حاشية العلامة الصاوي

على

تفسير الجلالين

جلال الدين المحلّي (ت: ٨٦٤هـ) — جلال الدين السُّيوطي (ت: ٩١١هـ)

تأليف

العالم العلّامة العارف بالله تعالى

الشيخ أحمد بن محمّد الصّاوي الخلوتي

(١١٧٥ - ١٢٤١هـ)

حُقِّقت على نسخٍ خطيّةٍ نفيسةٍ

ومطبوعةٍ قديمةٍ سليمةٍ من التّحريف والتّبديل

شَرُفَ بخدمتها

مرعي حسن الرّشيد

راجعها وقدّم لها

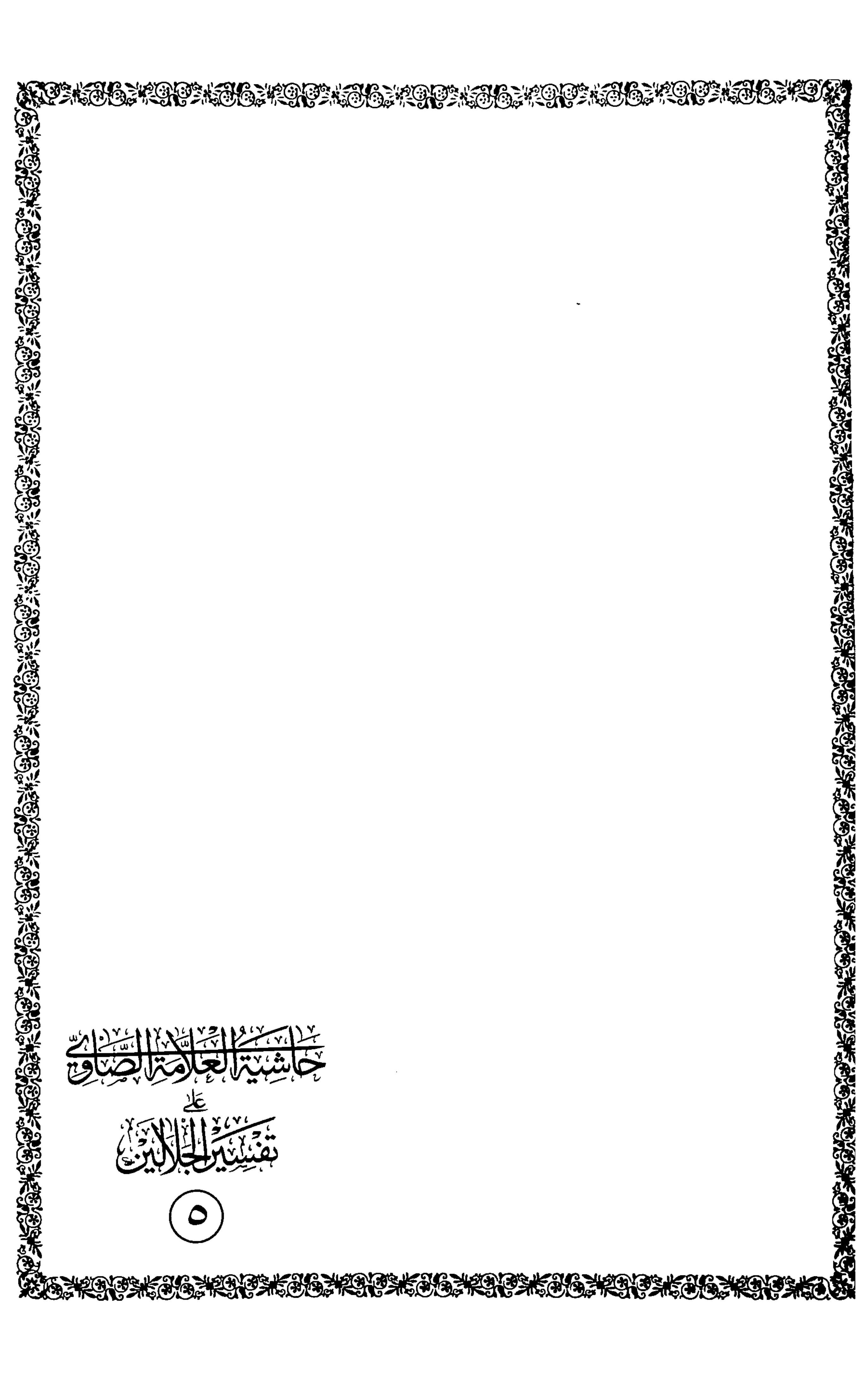
الدكتور عبد القادر الحسين

الجزء الخامس

سورة الشعراء - سورة ص

دار تحقيق الكتاب

للطباعة والنشر والتوزيع


حاشية العلامة الصاوي
على
تفسير الجلالين
٥



Title: Ḥāshiyat al-Ṣāwī ʻalá Tafsīr al-Jalālayn
Autor: Aḥmad Ṣāwī, Ğalāl-ad-Dīn Maḥallī, Ğalāl-ad-Dīn Suyūṭī,
Editor: Marʻī al-Rashīd
Publisher: Dar Tahkik Al Kitab
Pages: 575 (vol.5)
Year: 2024
Printed in: Lebanon
Edition: 1

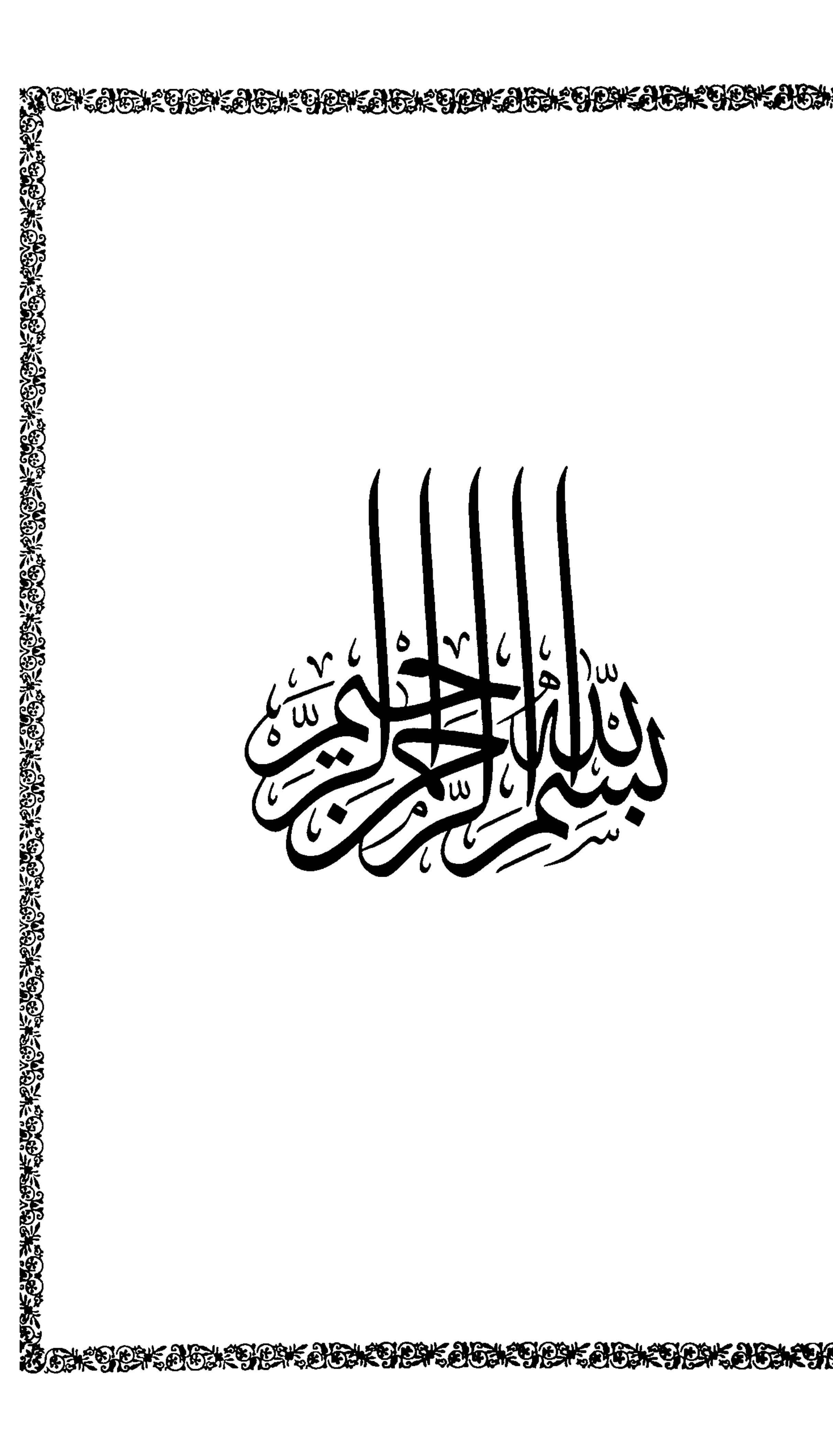
الكتاب: حاشية الصَّاوي على تفسير الجلالين.
المؤلف: أحمد الصاوي، جلال الدين المحلي، جلال الدين السيوطي.
تحقيق: مرعي الرشيد
الناشر: دار تحقيق الكتاب
عدد الصفحات: 575 (المجلد الخامس)
سنة الطباعة: 2024
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الأولى (لونان، ورق شاموا)



DAR TAHKIK AL KITAB
Büyük Reşit Paşa Caddesi Yümni İş Merkezi
No:16/B D:8 Vezneciler/Fatih/İstanbul/Turkey : +9 (0212)5190979
Merkez :1.Cadde No:66 MİDYAT/MARDİN : +9 (0482)4622775
www. tahkikalkitab.com : info@tahkikalkitab.com

ISBN 978-9933-638-15-3
9 789933 638153

Dar Tahkik Al Kitab, Nursabah Yayıncılık
Matbaacılık Ltd.Şti'nin Tescilli Markasıdır
دار تحقيق الكتاب هي دار تابعة لمؤسسة دار نور الصباح


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓمٓ ١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ٢﴾ ....



مَكِّيَّة إلَّا ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ إلى آخرها فمَدنيٌّ، وهي مائتان وسبعٌ وعشرون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ﴿طسٓمٓ﴾ الله أعلَم بِمُرادِه بِذَلك.

٢ ﴿تِلْكَ﴾ أي: هَذِه الآياتُ ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ ـ والإضافةُ بِمعنَى (مِن) ـ ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

أي: السورة التي ذكر فيها الشعراء، سمِّيت باسم بعضِها على عادته تعالى، وقد ورد في فضل الطواسين أحاديثُ منها: ما روي عنه ﷺ أنه قال: «إنَّ الله أعطاني السبع الطِّوال مكان التوراة، وأعطاني ﴿ٱلنَّصَ﴾ مكان الإنجيل، وأعطاني الطواسين مكان الزبور، وفضَّلني بالحواميم والمفصَّل؛ ما قرأهنَّ نبيٌّ قبلي»[1].

قوله: (إلا ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ إلى آخرها) أي: وجملته أربعُ آيات.

قوله: (﴿طسٓمٓ﴾) هكذا تكتب مُتصلة ببعضها، وفي مصحف ابن مسعود: (ط س م) مفصولة من بعضها، وبها قرئ، فيَقف على كلِّ حرفٍ وقفة يميِّز بها كلَّ حرف، وقرئ هنا وفي (القصص) بكسر الميم على البناء، وأمال الطَّاء بعضُ القرَّاء.

قوله: (﴿تِلْكَ﴾) مبتدأ، و﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ خبره، واسم الإشارة عائدٌ على آيات هذه السورة.

قوله: (والإضافة بمعنى «مِن») أي: والمعنى: آياتٌ من الكتاب.

---

(١) رواه محمد بن نصر المروزي في «مختصر قيام الليل» (ص١٧٠) عن سيدنا أنس ﷺ.

لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ ....

المُظهِرِ الحَقَّ مِن الباطِلِ.

﴿٣﴾ ﴿لَعَلَّكَ﴾ يا مُحمَّد ﴿بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾: قاتِلُها غمًّا مِن أجلِ ﴿أَلَّا يَكُونُواْ﴾ أي: أهلُ مكَّة ﴿مُؤۡمِنِينَ﴾، و(لعَلَّ) هُنا لِلإشفاقِ، أي: أَشفِقْ علَيها بِتَخفِيف هذا الغَمِّ.

﴿٤﴾ ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ﴾ ـ بِمعنَى المُضارِع ـ أي: تَظَلُّ أي: تَدُومُ ﴿أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ فيُؤمِنُون، ولمَّا وُصِفَت الأعناقُ بِالخُضُوعِ الذِي هو لِأربابِها جُمِعت الصِّفةُ مِنهُ جمعَ العُقَلاء.

حاشية الصاوي

قوله: (**المظهرِ الحقَّ من الباطل**) أشار بذلك إلىٰ أن (المبين) من (أبان) بمعنى: (أظهَر)، ويصح أن يكون من (أبان) اللازم؛ بمعنى: (ظهر) أي: الظاهرِ إعجازُهُ.

قوله: (﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾) هذا تَسليةٌ له ﷺ، والباخع: من (بخَع)، من باب (نفع): قتل نفسه من وَجْدٍ أو غيظٍ.

قوله: (**و«لعل» هنا للإشفاق**) أي: فالترجي بمعنى الأمر، والمعنى: ارحَم نفسك وارأَفْ بها.

قوله: (**أي: أشفق عليها**) بقَطع الهمزة من الرباعي، وبوصلها من الثلاثي، والأول إن تعدَّى بـ(من).. كان بمعنى الخوف، وإن تعدَّى بـ(على).. كان بمعنى الرحمة والرِّفق.

قوله: (﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم﴾... **إلخ**) هذا تسليةٌ لرسول الله ﷺ ببَيان حقيقة أمرهم، والمعنى: لا تحزن على عدم إيمانهم؛ فإننا لو شِئنا إيمانهم.. لأنزلنا عليهم معجزة تأخذ بقلوبهم، فيؤمنون قهراً عليهم، ولكن سَبق في علمنا شقاؤهم، فعدم إيمانهم منَّا لا منهم، فأَرِحْ نفسَكَ من التعب القائم بها.

و﴿إِن﴾: حرف شرط، و﴿نَّشَأۡ﴾: فعل الشرط، و﴿نُنَزِّلۡ﴾: جوابه.

قوله: (﴿ءَايَةٗ﴾) أي: معجزةً تخوِّفهم كرفع الجبل فوق رؤوسهم؛ كما وقع لبني إسرائيل.

قوله: (**بمعنى المضارع**) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿فَظَلَّتۡ﴾ مستأنفٌ، ويصح أن يكون معطوفاً على ﴿نُنَزِّلۡ﴾ فهو في محل جَزم.

قوله: (**ولما وصفت الأعناق بالخضوع... إلخ**) دَفع بذلك ما يقال: كيف جمع الأعناق بجمع عقلاء؟ فأجاب: بأنه لما نَسب الخضوع لها وهو وصف العقلاء.. جمعها بالياء والنون؛ كقوله

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧﴾ ....

(٥ - ٦) ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾: قُرآنٍ ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ ـ صفةٌ كاشِفة ـ ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾ به ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟﴾: عَواقبُ ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

(٧) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾: يَنظرُوا ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ أي: كَثِيراً ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ نَوعٍ حسَنٍ.

حاشية الصاوي

تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وإلَّا.. فكان مُقتضى الظاهر أن يقال: خاضعة، وهناك أجوِبةٌ أخرُ؛ منها: أنَّ المراد بالأعناق: الرؤساء، ومنها: أن لفظ (الأعناق) مقحَمٌ[1]، والأصل: فظلُّوا لها خاضعين، ومنها غير ذلك.

قوله: (﴿مِّن ذِكْرٍ﴾) ﴿مِّن﴾: زائدة، وقوله: ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ﴿مِّن﴾: ابتدائية.

قوله: (صفة كاشفة) أي: لأنه فُهِمَ من قوله: ﴿يَأْتِيهِم﴾؛ لأنَّ التعبير بالفعل يُفيد التجدد والحدوث.

قوله: (﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾) أي: غيرَ متأمِّلينَ له.

قوله: (عواقبُ) أي: وعبَّر عنها بالأنباء؛ لأنَّ القرآن أخبر عنها، والمراد: ننزل بهم مِثْلَ ما نزل بمَنْ قبلهم.

قوله: (﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾) أي: إلى عجائبها، والهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: أغفلُوا ولم ينظروا إلى الأرض... إلخ؟ وهذا بيانٌ للأدلة التي تحدث في الأرض وقتاً بعد وقت، تدلُّ على أنه مُنفرد بالألوهيَّة، ومع ذلك استمرَّ أكثرُهم على الكفر.

قوله: (﴿كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾) ﴿كَمْ﴾: في محل نصب مفعول لـ﴿أَنۢبَتْنَا﴾، و﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾: تمييز لها.

قوله: (نوعٍ حسنٍ) أي: كثيرِ النَّفع.

---

(١) أي: لبيان مَوضع الخضوع.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ ....

﴿٨﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾: دَلالةً على كَمالِ قُدرتِه تَعالى، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ في عِلمِ الله تَعالى، و(كان) قال سِيبَويه: زائِدة.

﴿٩﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: ذُو العِزَّة يَنتقِمُ مِن الكافِرين، ﴿الرَّحِيمُ﴾ يَرحَمُ المُؤمنِين.

﴿١٠﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر يا مُحمدُ لِقَومك ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾ لَيلةَ رَأى النَّار والشَّجرةَ ﴿أَنِ﴾ أي: بِأن ﴿ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ رَسولاً.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾... إلخ) قد ذكرت هذه الآية في هذه السورة ثمان مرَّات.

قوله: (في علم الله) هذا مبنيٌّ على أصالة ﴿كَانَ﴾، وقوله: (و«كان»: قال سيبويه... إلخ) توجيهٌ ثانٍ، فكان المناسب أن يقول: (وقال سيبويه: «كان» زائدة).

قوله: (ذو العزة) أي: الهيبةِ والجلالِ.

قوله: (ينتقم من الكافرين) أي: بمَظْهَرِ عزَّته الذي هو القَهر والغلبة، وقوله: (يرحم المؤمنين) أي: بمَظْهَرِ رحمته.

قوله: (﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾... إلخ) ذكر الله سُبحانه وتعالى في هذه السورة سبع قصص: أوَّلها: قصة موسى وهارون، ثانيها: قصة إبراهيم، ثالثها: قصة نوح، رابعها: قصة هود، خامسها: قصة صالح، سادسها: قصة لُوط، سابعها: قصة شعيب، وتقدَّم حكمة ذكر تلك القصص: أنَّ بها تكون الحجةُ على الكافرين، والزيادةُ في علم المؤمنين؛ ولذا كان المؤمن من هذه الأمَّة أسعدَ السعداء، وكافرها أشقى الأشقياء، وحكمة التكرار: الزيادة في إيمان المؤمن، وقَطع حجة الكافر.

والظرف: معمول لمحذوفٍ، قدَّره المفسِّر بقوله: (اذكر)، وليس المرادُ ذكرَ وقت المناداة، بل المرادُ ذكرُ القصةِ الواقعةِ في ذلك الوقت.

قوله: (ليلة رأى النار والشجرة) أي: رأى النار مُوقدة في الشجرة الخضراء، وليس هذا مبدأ ما وقع في المناداة، وإنما هو ما فُصِّلَ في سورة (طه) من قوله تعالى: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا﴾ إلى قوله: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ [طه: ١٠ - ٢٣].

قوله: (﴿أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾) يصح أن تكون (أن) مصدريَّة كما مشى عليه المفسِّر، أو مفسِّرة؛

قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى

﴿١١﴾ ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ مَعَهُ ظَلَمُوا أنفُسَهم بِالكُفرِ بِالله وبَنِي إسرائيل بِاستِعبادِهِم، ﴿أَلَا﴾ ـ الهَمزةُ لِلاستِفهامِ الإنكارِيِّ ـ ﴿يَتَّقُونَ﴾ اللهَ بِطاعَتِه فيُوحِّدُونه.

(﴿١٢﴾ - ﴿١٤﴾) ﴿قَالَ﴾ مُوسى: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ مِن تكذِيبِهم لِي ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ ....

حاشية الصاوي

لِتقدُّمها جملةً فيها معنى القول دُون حروفه. وكان النداء بكلامٍ نفسيٍ سمعه من جميع جهاته بجميع أجزائه من غير واسطة.

قوله: (رسولاً) حال من فاعل ﴿أَنتِ﴾.

قوله: (﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾) بدل من ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، وقوله: (معه) أي: فرعون، وهذا قد فُهِمَ بالأولى؛ لأنه رأس الضلال.

قوله: (وبني إسرائيل) معطوفٌ على (أنفسهم)، والتقدير: وظلموا بني إسرائيل.

قوله: (باستعبادهم) أي: مُعاملتهم إيَّاهم معاملة العبيد في استخدامهم في الأعمال الشَّاقَّة والصنائع الخَسيسة نحو أربع مئة سنة، وكانوا في ذلك الوقت ستَّ مئة ألف وثلاثين.

قوله: (للاستفهام الإنكاري) المناسب أن يقول: للاستفهام التعجبي؛ لأنَّ المعنى على الإنكار فاسدٌ؛ لأنه للنَّفي، ومدخولها نفيٌ، ونفيُ النَّفي إثباتٌ، فيصير المعنى: أنهم اتقوا الله، وليس كذلك، ويَصح أن تكون (ألا) للعرض.

قوله: (﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ﴾... إلخ) اعتذارٌ من موسى لإظهار العجز عن الأمر الذي كُلِّفَهُ، وقد أتى بثلاثة أعذار؛ كلُّ واحدٍ منها مرتَّبٌ على ما قبله.

قوله: (﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾) هما بالرفع على الاستئناف، أو عطف على خبر (إنَّ) عند السبع، وقرئ شذوذاً بنصبهما عطفاً على مدخول (أنْ)[1]، والمقصود من هذا الاعتذار: الإعانة

---

(١) وبها قرأ زيد بن علي وطلحة وعيسى والأعمش فتكون الأفعال الثلاثة: (يكذبون)، (ويضيق)، (ولا ينطلق) داخلةً في حيِّز الخوف. قال الزمخشري: (والفرق بينهما ـ أي: الرفع والنصب ـ أن الرفع يفيد أن فيه ثلاث عِلل: خوف التكذيب، وضيق الصدر، وامتناع انطِلاق اللسان، والنصب: على أن خوفه مُتعلق بهذه الثلاثة). انظر «الدر المصون» (٨/ ٥١٤).

﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَاذْهَبَا بِـَٔايَـٰتِنَآ ...... ﴾

بِأداءِ الرِّسالة لِلعُقدةِ التي فِيه، ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ﴾ أخِي ﴿هَـٰرُونَ﴾ مَعِي، ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنبٌ﴾ بِقَتلِ القِبطِيِّ مِنهُم، ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ بِه.

﴿١٥﴾ ﴿قَالَ﴾ تَعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يَقتُلُونك، ﴿فَاذْهَبَا﴾ أي: أنتَ وأخُوك، ففِيه تَغلِيبُ الحاضِر على الغائِب، ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ ....

حاشية الصاوي

على هذا الأمر المهمِّ؛ بِشرح الصدر، وطلق اللسان، وإرسال أخيه، والأمن من القتل، وقد دلَّ على ذلك قوله في سورة (طه): ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ...﴾ [طه: ٢٥-٢٧] الآيات.

قوله: (لِلعقدة التي فيه) أي: الثقل الحاصل بسبب وضع الجمرة عليه وهو صغير حين نَتف لحية فرعون، فاغتمَّ لذلك وهمَّ بقتله، فأشارت عليه زوجته أن يمتحنه فقدَّم له تمرةً وجمرةً، فأخذ الجمرة بتحويل جبريل يدَه، فوضعها على لسانه، فحَصل فيه ثقل في النطق[١].

قوله: (﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ﴾) أي: وكان في مصر، فأتاه جبريل بالرسالة على حين غَفلة؛ فموسى جاءته الرسالة من ربِّه بلا واسطة جبريل وإن كان حاضراً، وهارون جاءته الرسالة في ذلك الوقت أيضاً بواسطة جبريل.

قوله: (معي) أي: ليكون معيناً لي، وهو بمعنى قوله في سورة (القصص): ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾ [القصص: ٣٤].

قوله: (﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنبٌ﴾) أي: في زَعمهم.

قوله: (﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾) أي: فيَفوت المقصود من الإرسال.

قوله: (فيه تغليب الحاضر على الغائب) أي: بالنسبة لموسى، وإلا.. فهما حاضران بالنسبة لله تعالى، لكن سمع موسى الخطاب من الله بلا واسطة، وهارون سمعه بواسطة جبريل.

قوله: (﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾) جمع الآيات مع أنهما اثنان[٢]: العصا، واليد؛ باعتبار ما اشتَملت العصا عليه من الآيات.

---

(١) ذكره الخطيب الشربيني في «السراج المنير» (٢/ ٤٩٥).

(٢) كذا في الأصول، ولعلها (آيتان)، أو (اثنتان).

إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ ....

إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ ما تَقُولُون وما يُقال لَكُم، أُجرِيَا مُجرَى الجَماعةِ.

(﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾) ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا﴾ كُلًّا مِنَّا ﴿رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلَيكَ ﴿أَنْ﴾ أي: بِأن ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا﴾ إلى الشَّام ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، فأَتَيَاهُ فقالَا لَهُ ما ذُكِر.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّا مَعَكُم﴾) أي: معيَّةً خاصَّةً بالعَوْنِ والنَّصر.

قوله: (أجريا مجرى الجماعة) أي: تعظيماً لهما.

قوله: (أي: كلًّا منَّا) قدَّر ذلك؛ لتحصل المطابقة بين اسم (إن) وخبرها الذي هو الرسول؛ حيث أفرده[1].

قوله: (﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾) خلِّصهم وأطلقهم.

قوله: (فَأَتَيَاهُ... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ...﴾ إلخ مرتَّبٌ على محذوف.

روي: أنهما لما انطلقا إلى فرعون.. لم يُؤذن لهما سنةً في الدخول عليه، فدخل البوَّاب على فرعون وقال له: ههنا إنسانٌ يزعم أنه رسولُ ربِّ العالمين، فقال له فرعون: ائذَن له لعلَّنا نضحك منه، فدخلا عليه، فوجداه قد أخرج سباعاً من أسَد ونمور وفهود يتفرَّج عليها، فخاف خدَّامها أن تبطش بموسى وهارون، فأسرعوا إليهما، وأسرعت السباع إلى موسى وهارون، فأقبَلت تلحس أقدامهما وتُلصق خدودها بفخذيهما، فعجب فرعون من ذلك فقال: ما أنتُما؟ قالا: إنَّا رسولُ ربِّ العالمين، فعرف موسى؛ لأنه نشأ في بيته، فقال: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا...﴾ إلخ، فامتنَّ عليه أوَّلاً بنعمة التربية، وثانياً بعدم مؤاخذته بما وقع منه من قتلِ القبطي[2].

---

(١) أو إنما أفرد رسولاً؛ إما لأنه مصدر بمعنى رسالة، والمصدر يوحَّد، ومن مجيء (رسول) بمعنى (رسالة) قوله:

لقد كذب الواشون ما فُهْتُ عندهُم ... بِسِرٍّ ولا أرسلتهُم بِرَسُول

أي: برسالة، وإما لأنهما ذوَا شريعة واحدة، فنزلا منزلة رسول، وإما لأنه من وضع الواحد موضع التثنية؛ لِتَلازمهما، فصارا كالشيئين المتلازمين كالعينين واليدين، وحيث لم يقصد هذه المعاني.. طابق كما في قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾. انظر «الدر المصون» (٨/ ٥١٦).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (١٣/ ٩٤).

قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ ....

﴿١٨﴾ ﴿قَالَ﴾ فِرعَونُ لِمُوسى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾ أي: في مَنازِلنا ﴿وَلِيدًا﴾: صَغيراً قَريباً مِن الوِلادة بعدَ فِطامِه، ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ ثَلاثِينَ سَنةً، يَلبَس مِن مَلابِس فِرعونَ ويَركَب مِن مَراكِبِه، وكانَ يُسَمَّى ابنَه.

﴿١٩﴾ ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ هي قَتلُه القِبطِيَّ، ﴿وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾: الجاحِدِينَ لِنِعمَتِي علَيك بِالتَّربيةِ وعَدَم الاستِعبادِ.

(﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾) ﴿قَالَ﴾ مُوسى: ﴿فَعَلْتُهَا إِذًا﴾ أي: حِينَئِذٍ ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ عَمَّا آتانِي الله بعدَها مِن العِلمِ والرِّسالة، ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾: عِلماً ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (قريباً من الولادة) قصدُهُ بذلك دفعُ ما ورد على الآية: بأنَّ الوليد يُطلق على المولود حال ولادته وليس مراداً هنا؛ فإنه كان زمن الرضاع عند أمِّه، ثمَّ أخذه فرعون بعد الفِطام. والأولى: إبقاءُ الآية على ظاهرها؛ لأنَّ موسى وإن كان عند أمِّه إلا أنه تحت نظر فرعون، فهو في تَربيته من حين ولادته.

قوله: (﴿مِنْ عُمُرِكَ﴾) حال من ﴿سِنِينَ﴾ لأنه نعتُ نكرةٍ قدِّم عليها.

قوله: (وعدم الاستعباد) أي: اتخاذك لي عبداً مثل بني إسرائيل.

قوله: (حينئذ) هذا حلُّ معنى، لا حلُّ إعراب، وهي حرفُ جوابٍ فقط، وقيل: حرف جواب وجزاء.

قوله: (عمَّا آتاني الله بعدها... إلخ) أي: فليس عليَّ فيما فعَلته في تلك الحالة لومٌ؛ لعدم التكليف حينئذٍ، أو المعنى: من المخطِئين، لا من المتعمِّدين.

قوله: (﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾) في ذلك ردٌّ لما وبَّخه به فرعون، وهو القتل بغير حقٍّ، فكأنه قال: كيف تدَّعي الرسالة وقد حصل منك ما يقدح في تلك الدعوى؟! فأجابه موسى: بأنه قَتله قبل أن تأتيه الرسالة، ثمَّ أتته بعد ذلك.

وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ....

﴿٢٢﴾ ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ أصلُه: تَمُنُّ بها عليَّ، ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بَيانٌ لِـ(تِلك) - أي: اتَّخذتَهُم عَبِيداً ولَم تَستَعبِدْنِي، لا نِعمةَ لَك بِذلك لِظُلمِك بِاستِعبادِهِم، - وقَدَّرَ بَعضُهم أوَّلَ الكَلام هَمزةَ استِفهام لِلإنكارِ -.

﴿٢٣﴾ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لِمُوسى: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الَّذي قُلتَ: إنَّك رَسُولُه؟ أي: أيُّ شَيء هو؟ ولَمَّا لَم يَكُن سَبِيلٌ لِلخَلقِ إلى مَعرِفة حَقِيقَته تَعالى، وإنَّما يَعرِفُونَهُ بِصِفاتِهِ أجابَهُ مُوسَى عَلَيهِ الصَّلاة والسَّلام بِبَعضِها.

﴿٢٤﴾ ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ أي: خالِقُ ذلك، ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ بِأنَّهُ تَعالى خالِقُه فآمِنُوا بِه وَحدَه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾) مبتدأٌ وخبرٌ، وقوله (﴿تَمُنُّهَا﴾) صفة لـ﴿نِعْمَةٌ﴾، و﴿أَنْ عَبَّدتَّ...﴾ إلخ عطفُ بيانٍ مُوضح للمبتدأ كما أشار إليه المفسِّر.

قوله: (أصله: تمنُّ بها عليَّ) أي: فحذف الجارَّ، فاتصل الضمير، فهو مِن باب: الحذف والإيصال.

قوله: (ولم تستعبدني) أي: فلا منَّة لك عليَّ في عدم استِعبادك إياي؛ لأنَّ استعباد غيري ظلمٌ وقد نجَّاني الله منه.

قوله: (وقدَّر بعضهم) أي: وهو الأخفش.

قوله: (أول الكلام) أي: والأصل: أَوَتِلْكَ نعمةٌ...؟ إلخ.

قوله: (للإنكار) أي: وهو بمعنى النفي.

قوله: (أيُّ شيءٍ هو؟) أي: وذلك لأنَّ (ما) يسأل بها عن الحقيقة، والمعنى: أيُّ جنس هو من أجناسِ الموجودات؟

قوله: (﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾) أي: بين جنس السماوات والأرض، فاندَفع ما قيل: لِمَ ثنِّى الضمير مع أنَّ مرجِعَه جمع؟

قوله: (﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾) أي: محقِّقين أنَّ الله تعالى هو الخالِق لها.

قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ....

﴿٢٥﴾ ﴿قَالَ﴾ فِرعونُ ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ مِن أشرافِ قَومِه: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ جَوابَه الذِي لَم يُطابِق السُّؤالَ؟

(﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾) ﴿قَالَ﴾ مُوسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وهَذا وإن كانَ داخِلاً فِيما قبلَه يَغِيظُ فِرعونَ، ولِذلك: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿قَالَ﴾ مُوسى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أنَّهُ كذلكَ، فآمِنُوا بِه وحدَه.

حاشية الصاوي

قوله: (من أشراف قومه) أي: وكانوا خمس مئة، لابسِين الأساور، ولم يكن يَلبسها إلا السلاطين على عادة الملوك.

قوله: (الذي لم يطابق السؤال) أي: لأنَّ (ما) يسأل بها عن الحقيقة وقد أجابه بالصفات التي يسأل عنها بـ(أيِّ). والعُدول عن المطابقة؛ لأنَّ السؤال عن الحقيقة عبثٌ وسَفهٌ؛ لاستحالته.

قوله: (﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾) إنما ذكر ذلك؛ لأنَّ نُفوسهم أقرب الأشياء إليهم.

قوله: (وهذا) أي: الجواب.

قوله: (ولذلك) أي: لشدَّة غَيظه.

قوله: (﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ﴾) سمَّاه رسولاً؛ استهزاءً، وأضافه إلى المخاطبين؛ استنكافاً من نِسبته له.

قوله: (﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾) أي: فتُشاهدون في كل يومٍ أنه يأتي بالشمس من المشرق، ويذهب بها من المغرب.

قوله: (﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾) أي: إن كان لكم عقلٌ، وفيه ردٌّ لقوله: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

قَالَ لَبِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ ....

﴿٢٩﴾ ﴿قَالَ﴾ فِرعونُ لِموسى: ﴿لَبِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾، كانَ سِجنُه شَدِيداً، يَحبِس الشَّخصَ في مَكان تَحت الأرض وحدَه لا يُبصِر ولا يَسمَعُ فِيه أحَداً.

﴿٣٠﴾ ﴿قَالَ﴾ لَهُ مُوسى: ﴿أَوَلَوْ﴾ أي: أتفعَلُ ذَلِك ولَو ﴿جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بُرهانٍ بَيِّن على رِسالَتي؟

(﴿٣١﴾ - ﴿٣٣﴾) ﴿قَالَ﴾ فِرعونُ لَه: ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فِيه، ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: حَيَّة عَظيمةٌ، ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾: أخرَجَها مِن جَيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ﴾: ذاتُ شُعاعٍ ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ خِلافَ ما كانَت عليه مِن الأُدْمة.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالَ لَبِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي﴾... إلخ) عُدولٌ عن المحاجَّة إلى التهديد؛ لقمع حجَّته، وجَهله، وعدم استقامته. روي: أنه فزع من موسى فزعاً شديداً، حتى كان اللَّعينُ لا يمسك بَوله[1].

قوله: (أي: أتفعل ذلك) أشار إلى أنَّ الهمزة داخلة على محذوف، والواو: عاطفة على ذلك المحذوف[2].

قوله: (﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ﴾) إنما أمر فرعون بالإتيان به؛ لِظنِّه أنه يقدر على مُعارضته.

قوله: (﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾) أي: من جَيبه، قيل: لما رأى فرعون الآية الأولى.. قال: هل لك غيرها؟ فأخرج يده، فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاعٌ يكاد يغشي الأبصار ويسدُّ الأفق.

قوله: (من الأُدْمَةِ) أي: السُّمرةِ.

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١٣/ ٩٩).

(٢) وقد تكون للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل؛ أي: أتفعل ذلك ولو جئتُك بشيء يبين صدق دعواي؟ ولا ينافي هذا تقديرُ الفعل قبلها الذي قد يدلُّ على أنها عاطفة؛ لأن المقدَّر عامل الحال وصاحِبها. «فتوحات» (٣/ ٢٩٤).

قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ ....

(﴿٣٤﴾ - ﴿٣٥﴾) ﴿قَالَ﴾ فِرعونُ ﴿لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ فائِقٌ في عِلم السِّحر، ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾؟.

(﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾) ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾: أخِّر أمرَهما ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾: جامِعِين، ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ يَفضُل مُوسى في عِلم السِّحرِ.

(﴿٣٨﴾ - ﴿٤٠﴾) ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو وقتُ الضُّحى مِن يَومِ الزِّينة، ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ الاستِفهام لِلحَثِّ على الاجتِماعِ والتَّرجِّي على تَقدِيرِ غَلَبَتِهم؛ لِيَستَمِرُّوا على دِينِهم فلا يَتبَعُوا مُوسَى.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿حَوْلَهُۥٓ﴾) ظرف في محلِّ الحال.

قوله: (﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾) لما رأى تلك الآيات الباهرة.. خاف على قَومه أن يتَّبعوه، فتنزَّل إلى مشاورتهم بعد أن كان مستقلاً بالرأي والتدبير، وأراد تَنفيرهم عن موسى عليه السلام.

قوله: (﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾) أي: أيُّ شيءٍ تأمُرونني به؟

قوله: (﴿يَأْتُوكَ﴾) مجزوم في جواب الأمر.

قوله: (يفضل موسى) أي: يَفوقه ويزيد عليه.

قوله: (من يوم الزينة) كان يومَ عيدٍ لهم، وقيل: كان يومَ سوقٍ.

قوله: (والترجي على تقدير غلبتهم) أي: الترجي على فَرض الغلبة المقتضية للاتِّباع.

فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ ....

(٤١ - ٤٢) ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ﴾ - بِتَحقيقِ الهَمزتَينِ، وتَسهِيل الثَّانيةِ، وإدخالِ ألِف بَينَهما على الوَجهَين - ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا﴾ أي: حِينَئذٍ ﴿لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾.

(٤٣) ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ﴾ بعدَ ما قالُوا لَه: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف: ١١٥]: ﴿أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ فالأمرُ فِيه لِلإذن بِتَقديم إلقائِهم تَوَسُّلاً به إلى إظهارِ الحَقِّ.

(٤٤ - ٤٥) ﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلَقَّفُ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (على الوجهين) أي: تَحقيقهما وتسهيل الثانية، وكان عليه أن يقول: (وتركه) أي: ترك الإدخال على الوجهين، فتكون القراءات أربعاً[1].

قوله: (﴿لَأَجْرًا﴾) أي: أجرةً وجُعْلاً.

قوله: (﴿قَالَ نَعَمْ﴾) أي: لَكم الأجرة على عملكم السحر، وزادَهم بقوله: ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا...﴾ إلخ.

قوله: (فالأمر فيه) جوابٌ عمَّا يقال: كيف يَأمرهم بفعل السحر مع أنه لا يجوز الأمر به؛ لأنَّ الأمر به رضا، والرضا بالكفر كفرٌ؟

وحاصل الجواب: أنَّ الممتنع الأمرُ به في حال كونه مستحسناً له، وأمَّا الأمر به لِلتوسل لإبطاله.. فليس فيه استحسانٌ ولا رضا، بل هو الممدوح شرعاً.

قوله: (﴿وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾) أي: نُقسم ونحلف بعزة فرعون، وأقسموا؛ لِفرط اعتقادهم في أنفسهم أنهم غالبون.

---

(١) سهل الهمزة الثانية مع الإدخال قالون وأبو عمرو وأبو جعفر، وسهلها من غير إدخال ورش وابن كثير ورويس، وحقَّقها مع الإدخال قولاً واحداً هشام، وحققها الباقون من غير إدخال، وهذا من المواضع التي يدخل فيها هشام قولاً واحداً. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٣٠).

مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ....

ـ بِحَذفِ إحدَى التَّاءَينِ مِن الأصلِ ـ: تبتَلِع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: يَقلِبُونَهُ بِتَموِيهِهِم، فيُخَيِّلُونَ أنَّ حِبالَهم وعِصِيَّهم حَيَّاتٌ تَسعى.

(﴿٤٦﴾ - ﴿٤٨﴾) ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ لِعِلمِهِم بِأنَّ ما شاهَدُوهُ مِن العَصا لا يَتأتَّى بِالسِّحرِ.

﴿٤٩﴾ ﴿قَالَ﴾ فرعونُ: ﴿ءَامَنتُمْ﴾ ـ بِتَحقِيقِ الهَمزتَينِ، وإبدالِ الثَّانِية ألِفاً ـ ﴿لَهُۥ﴾: لِمُوسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أنَا ﴿لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ فعَلَّمكُم شَيئاً مِنهُ وغَلَبكُم بِآخَر، ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما يَنالُكُم مِنِّي؛ ....

حاشية الصاوي

قوله: (من الأصل) أي: أصل الصيغة.

قوله: (يقلبونه) أي: يُغيِّرونه عن حاله الأول من الجماديَّة إلى كونه حيَّة تسعى، وقوله: (بتمويههم) الباء: سببيَّة.

قوله: (﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ﴾) أي: خرُّوا وسَقطوا ساجدين؛ لما رأوا من باهِر المعجزة، فلم يتمالكوا أنفسهم.

قوله: (﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾) بدل ممَّا قبله؛ للتوضيح وللإشعار بأنَّ سبب إيمانهم ما أجراه الله على يد موسى وهارُون.

قوله: (وإبدال الثانية ألفاً) صوابه: (الثالثة)؛ لأنها هي المنقلبة ألفاً، وترك قراءة أخرى، وهي حذف الأُولى من الهمزتين، وقلب الثالثة ألفاً[1].

قوله: (فعلَّمكم شيئاً منه وغلبكم بآخر) أي: أخفاه عنكم، وأراد فرعون بهذا الكلام التلبيسَ على قومه؛ لئلَّا يَعتقدوا أنَّ السحرة آمنوا على بصيرةٍ وظهورِ حقٍّ.

---

(١) قرأ الجميع بإبدال الثانية ألفاً، وحقق الثانية حمزة والكسائي وشُعبة، وسهلها الباقون غير حفص فإنه أسقط الأُولى، والثانية عنده هي المبدوء بها. انظر «السراج المنير» (٣/١٣).

لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ أي: يَدَ كُلِّ واحِدٍ اليُمنَى ورِجلَه اليُسرى، ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

(٥٠ - ٥١) ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾: لا ضَرَر علَينا في ذلكَ، ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بعدَ مَوتِنا بِأيِّ وجهٍ كان ﴿مُنقَلِبُونَ﴾: راجِعُونَ في الآخِرةِ، ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾: نَرجُو ﴿أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن﴾ أي: بِأن ﴿كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في زَمانِنا.

٥٢ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾ بعدَ سِنِينَ أقامَها بَينَهم يَدعُوهُم بِآياتِ الله إلى الحَقِّ فلَم يَزِيدُوا إلَّا عُتُوًّا: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ بَنِي إسرائِيلَ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾) حاصِله: أنهم لما آمنوا بأجمعهم.. اشتدَّ خوف فرعون على باقي قَومه من دخولهم في الإيمان، فنفَّر الباقي بقوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾) تعليل لنفي الضَّيْر. وهل فعل بهم ما توعَّدهم به؟ خلافٌ، ولم يَرِدْ في القرآن ما يدلُّ على أنه فعَل.

قوله: (في زمانِنا) أي: من أتباع فرعون؛ فلا ينافي أنَّ بني إسرائيل سَبقوهم بالإيمان.

قوله: (﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾) يحتمل أن يكون الوحي بتكليم الله له، أو على لِسان جبريل.

قوله: (بعد سنين) أي: ثلاثين، وذلك أنَّ موسى مَكث في مصر أوَّلاً ثلاثين، وفي مدينَ عشر سنين، ثمَّ لما رجع إلى مصر ثانياً.. مكَث يدعوهم إلى الله ثلاثين سنة، ثمَّ أغرق الله فرعون وقومَه، وعاش بعد ذلك خمسين سنة، فجُملة عمره مئة وعشرون سنة.

قوله: (بآيات الله) أي: باقي التسع؛ لأنَّ موسى افتتحهم أوَّلاً بالعصا واليد فلم يُؤمنوا، فجاءهم بالسنين المجدبة، ثمَّ بالطوفان والجراد والقمَّل والضفادع والدَّم والطَّمس على أموالهم، فلم يُفِدْ فيهم ذلك، وقد سَبق ذلك مفصَّلاً في (الأعراف).

قوله: (﴿بِعِبَادِي﴾) الإضافة للتشريف، والمعنى: سِرْ بِعبادي المختصين برحمتي، وإلَّا.. فالكلُّ من حيث الخلقُ عبادُهُ.

إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ ....

ـ وفي قِراءة بِكَسرِ النُّون ووَصلِ همزةِ (ٱسرِ) مِن (سَرَى) لُغة في (أسرَى) ـ أي: سِر بِهِم لَيلاً إلى البَحر، ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: يَتبَعكُم فِرعونُ وجُنُودُه، فيَلِجُون وراءَكُم البَحر، فأُنجِيكُم وأُغرِقهُم.

(﴿٥٣﴾ - ﴿٥٦﴾) ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حِين أُخبِرَ بِسَيرِهِم ﴿فِي ٱلْمَدَآئِنِ﴾ قِيل: كان لَهُ ألفُ مَدِينة واثنا عَشَر ألفَ قَريةٍ، ﴿حَٰشِرِينَ﴾: جامِعِينَ الجَيشَ قائِلاً: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾: طائِفةٌ ﴿قَلِيلُونَ﴾ قِيل: كانُوا سِتَّمِائةِ ألف وسَبعِينَ ألفاً، ومُقَدَّمةُ جَيشِه سَبعُمِائةِ ألف، فقَلَّلَهُم بِالنَّظَرِ إلى كَثرةِ جَيشِه، ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾: فاعِلُون ما يَغِيظُنا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (أي: سِرْ بهم ليلاً) تفسير لكلٍّ من القراءتَين.

قوله: (إلى البحر) أي: بحر القلزم، فخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل في آخر الليل، فترك طريق الشام على يَساره وتوجَّه جهة البحر، فكان الرجل من بني إسرائيل يراجعه في ذلك، فيقول: هكذا أمرني ربي، فلمَّا أصبح فِرعون وعلم بسير موسى ببني إسرائيل.. خرج في أثرهم وبَعث إلى مدائن مصر؛ لِتَلحقه الجيوش.

قوله: (﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾) علَّة للأمر بالسَّيْرِ.

قوله: (حين أخبر بسيرهم) روي: أنَّ قوم موسى قالوا لجماعة فرعون: إنَّ لَنا في هذه الليلة عيداً، ثم استعاروا منهم حليَّهم بهذا السبب، ثم خرَجوا بتلك الأموال في الليل إلى جانب البحر، فلَما سمع فرعون ذلك.. جمع قومَه وتبعهم[2].

قوله: (ومقدمة جيشه... إلخ) أي: وجملة جيشه ألفُ ألفٍ وستُّ مئةٍ.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير بكسر النون ووصل الهمزة بعدها، وقرأ الباقون بسكون النون وقطع الهمزة بعدها. انظر «السراج المنير» (٣/ ١٣).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٣/ ٣٢٥).

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ۝٥٦ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨﴾ ....

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾: مُتيقِّظُون، ـ وفي قراءة: ﴿حَذِرُونَ﴾: مُستَعِدُّون ـ.

﴿٥٧﴾ قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾ أي: فِرعونَ وقَومَه مِن مِصر لِيَلحَقُوا مُوسى وقَومَه ﴿مِّن جَنَّٰتٍ﴾: بَساتِينَ كانَت على جانِبَي النِّيل، ﴿وَعُيُونٍ﴾: أنهارٍ جارِيةٍ في الدُّور مِن النِّيل.

﴿٥٨﴾ ﴿وَكُنُوزٍ﴾: أموالٍ ظاهِرة مِن الذَّهَب والفِضَّة، وسُمِّيَت كُنُوزاً لِأنَّهُ لَم يُعْطَ حَقُّ الله تَعالى مِنها، ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (فاعلون ما يغيظنا) أي: حيث خالَفوا ديننا، وطمَسوا على أموالنا، وقتلوا أبكارنا؛ لما روي: أنَّ الله أمر الملائكة أن يقتلوا أبكار القبط، وأوحى إلى موسى أن يجمع بني إسرائيل كلَّ أربعة أبياتٍ في بيت، ثم يَذبحوا أولاد الضَّأن ويُلطخوا أبوابهم بدمائها؛ لتميِّز الملائكة بيوت بني إسرائيل من بيوت القبط، فدخلت الملائكة، فقَتلت أبكارهم، فأصبحوا مَشغولين بموتاهم، وهذا هو سبب تأخُّر فرعونَ وقومِهِ عن موسى وقومِه[1].

قوله: (﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾) أي: من عادتنا الحذر والجزم في الأمور.

قوله: (وفي قراءة... إلخ) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[2]، بمعنى الأُولى، وقيل: الحَذِرُ: المتيقِّظ، والحاذر: الخائف.

قوله: (كانت على جانبي النيل) أي: مِن أسوان إلى رشيد.

قال كعب الأحبار: (أربعة أنهار من الجنة، وضعها الله تعالى في الدنيا: سيحان، وجيحان، والنيل، والفرات؛ فسيحان نهر الماء في الجنة، وجيحان نهر اللبن في الجنة، والنيل نهر العسل في الجنة، والفرات نهر الخَمر في الجنة)[3].

قوله: (أموال ظاهرة) هذا أحد قولَين، وقيل: المراد بالكنوز: الأموال التي تحت الأرض، وخصَّها بالذكر؛ لأنَّ ما فوق الأرض انطمس، وحينئذٍ: فتسميتُها كنوزاً ظاهرٌ.

---

(١) أورده الثعلبي بسنده في «الكشف والبيان» (٧/ ١٦٤)، وهو من الإسرائيليات؛ فالملائكة عليهم السلام ليسوا بحاجة لهذا حتى يعرفوا بيوت القِبط.

(٢) قرأ الكوفيون وابن ذكوان: (حاذرون) بالألف، والباقون بدونها. انظر «الدر المصون» (٨/ ٥٢٢).

(٣) ذكره عنه القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ١٠٤)، ثم قال: (قلت: الذي في الصحيح من هذا حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سيحان وجيحان والنيل والفرات كلٌّ من أنهار الجنة»، لفظ مسلم)، وانظر «صحيحه» (٢٨٣٩).

كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ ....

مَجلِسٍ حَسَن لِلأُمراءِ والوُزَراء يَحُفُّه أتباعُهُم.

﴿٥٩﴾ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: إخراجُنا كما وصَفنا ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بعدَ إغراق فِرعونَ وقَومِه.

(﴿٦٠﴾ - ﴿٦٢﴾) ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾: لَحِقوهُم ﴿مُّشْرِقِينَ﴾: وقتَ شُروق الشَّمس، ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾: رَأى كُلٌّ مِنهُما الآخَرَ ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾: يُدرِكُنا جَمعُ فِرعونَ ولا طاقةَ لَنا بِه، ﴿قَالَ﴾ مُوسى: ﴿كَلَّآ﴾ أي: لَن يُدرِكُونا؛ ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾ بِنَصرِه، ﴿سَيَهْدِينِ﴾ طريقَ النَّجاة.

﴿٦٣﴾ قال تَعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ فضَربَه، ﴿فَٱنفَلَقَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (مجلس حسن للأمراء والوزراء) قيل: كان إذا قعد على سريره.. وضع بين يديه ثلاث مئة كرسي من ذهب، يجلس عليها الأشراف من قومه والأمراء، وعليهم قُبة الديباج مرصعة بالذهب، وقيل: المقام الكريم: المنابر، وكانت ألفَ منبرٍ لألف جبّار يعظّمون عليها فرعون ومُلكه.

قوله: (أي: إخراجنا كما وصفنا) أشار بذلك أن قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ خبرٌ لمحذوف[1].

قوله: (﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا﴾) أي: الجنات والعيون والكنوز، وقيل: المراد: أورثنا بني إسرائيل ما استعارُوه من حلي آل فرعون، والأحسن أن يراد ما هو أعمُّ؛ فإنَّ بني إسرائيل رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه، ومَلكوا مشارق الأرض ومغاربها.

قوله: (وقت شروق الشمس) أي: يوم الملاقاة، وليس المراد أنهم أدركوا بني إسرائيل يوم خروجهم؛ لأنهم تأخَّروا عنهم حتى جمعوا جيوشَهم ودَفنوا موتاهم.

قوله: (أي: لن يدركونا) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿كَلَّآ﴾ للنفي، والمعنى: لا سَبيل لهم علينا؛ لأنَّ الله وعَدنا بالخلاص منهم.

قوله: (﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾... إلخ) قيل: لما انتهى موسى ومن معه إلى البحر.. هاج

---

(١) ويحتمل النصب على: أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وَصفنا. انظر «تفسير النسفي» (٢/ ٥١٥).

فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ ....

فانشَقَّ اثني عَشَر فِرْقاً، ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾: الجَبَلِ الضَّخم بَينَها مَسالِك سَلَكُوها لَم يَبتَلَّ مِنها سَرْجُ الرَّاكِبِ ولا لِبدُه.

(٦٤ - ٦٦) ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾: قَرَّبنا ﴿ثَمَّ﴾: هُناكَ ﴿الْآخَرِينَ﴾: فِرعونَ وقَومَه حتَّى سَلَكُوا مَسالِكَهُم. ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥ أَجْمَعِينَ﴾ بِإخراجِهِم مِن البَحر على هَيئَتِه المَذكُورةِ، ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾: فِرعونَ وقَومَه بِإطباقِ البَحر علَيهِم لَمَّا تَمَّ دُخُولُهم في البَحر وخُرُوجُ بَني إسرائيلَ مِنهُ.

(٦٧) ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: إغراقِ فِرعونَ وقَومِه ﴿لَآيَةً﴾: عِبرةً لِمَن بعدَهم، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بِاللهِ، لَم يُؤمِن مِنهُم غيرُ آسِيةَ امرأةِ فِرعونَ، وحِزقيلَ مُؤمِنِ آلِ فِرعونَ، ومَريَم بِنت نامُوسَى التِي دَلَّت على عِظام يُوسفَ علَيهِ السلام.

حاشية الصاوي

البحر، فصار يرمي بموج كالجبال، فصار بنو إسرائيل يقولون: أين أُمِرْتَ؟ فرعون من خَلفنا، والبحر أمامنا، وموسى يقول: ههنا، فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر، فإذا الرجل واقف على فرسه ولم يبتلَّ سرجُهُ ولا لِبْدُهُ[1].

قوله: (اثني عشر فِرْقاً) أي: قطعةً، بعدد أسباط بني إسرائيل.

قوله: (بينها مسالك) أي: بين الاثني عشر فِرْقاً.

قوله: (على هيئته) أي: وهي انفلاقُه اثنتي عشر فرقة.

قوله: (وحِزْقيل) هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ...﴾ [غافر: ٢٨] إلخ، وقوله: (ومريم بنت ناموسى) أي: وكانت عجوزاً تعيش من العمر نحو سبع مئة سنة.

قوله: (التي دلَّت على عظام يوسف عليه السلام) أي: وسبب ذلك: أنَّ الله أمر موسى بأخذ يوسف معه إلى الشام حين خُروجه من مصر، فسأل على قبره، فلم يُعرف إذ ذاك، فدلَّته عليه هذه

---

(١) رواه الطبري بسنده في «جامع البيان» (١٧/ ٥٨٣)، واللِّبْدُ: واحد اللُّبودِ، وهو: كلُّ شعر أو صوف متلبّد.

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ....

﴿٦٨﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فانتقَمَ مِن الكافِرين بإغراقِهِم، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمُؤمِنين فأنجاهُم مِن الغَرَق.

(﴿٦٩﴾ - ﴿٧١﴾) ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: كُفَّارِ مكَّة ﴿نَبَأَ﴾: خَبَرَ ....

حاشية الصاوي

العجوز بعد أن ضَمن لها موسى على الله الجنة، وكان يوسف قد دُفن في قعر بحر النيل، فحفر عليه موسى وأخرجه، وذهب به إلى الشام[١].

فائدة: قال قيس بن حَجاج: (لما فُتِحَتْ مصر.. أتى أهلها إلى سيدنا عمرو بن العاص حين دخل بؤونة من أشْهُر القبط، فقالوا: أيها الأمير؛ إنَّ لِنيلنا هذا سنَّةً وعادةً لا يجري إلا بها، فقال لهم: وما ذاك؟ فقالوا: إذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلُو من هذا الشهر.. عمَدنا إلى جارية بِكْرٍ بين أبوَيها، أرضينا أبويها، وحملنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقَيناها في هذا النيل، فقال لهم عمرو: وهذا لا يكون في الإسلام، وإنَّ الإسلام لَيَهدم ما قبله، فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى لا يجري قليلاً ولا كثيراً، وهمُّوا بالجلاء، فلمَّا رأى ذلك عمرو بن العاصي.. كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ فأعلمه بالقصة، فكتب إليه عمر بن الخطاب: إنك قد أصبتَ بالذي فعلت، وإني قد بعثتُ إليك بطاقةً في داخل كتابي، فألْقِها في النيل إذا أتاك كتابي، فلمَّا قدم كِتابُ عمرَ إلى عمرو بن العاصي.. أخذ البطاقة ففتَحها، فإذا فيها: «من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر: أما بعد؛ فإن كنت إنما تجري من قِبَلِكَ.. فلا تَجْرِ، وإن كان الله الواحد القهَّار هو الذي يُجريك.. فنسأل الله الواحد القهَّار أن يُجريَك»، فألقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم، فأصبحوا وقد زاد في تلك الليلة ستة عشر ذراعاً، وقطَع الله تلك السيرة من تلك السَّنة)[٢].

قوله: (﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾) عطف على (اذكر) العامل في قوله: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ...﴾ إلخ عطفَ قصة على قصة.

قوله: (أي: كفار مكة) خصَّهم بالذكر؛ لأنهم الحاضرون وقت نزول الآية، وإلَّا.. فهو خطاب لهم ولمن بعدهم إلى يوم القيامة.

---

(١) روى القصة بطولها ابن حبان في «صحيحه» (٧٢٣) عن سيدنا أبي موسى الأشعري ﷺ، وليس فيه ذكر اسم العجوز.

(٢) رواها الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي في «جامع كرامات الأولياء» (٦٦).

إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ....

﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾، ـ ويُبدَلُ منه ـ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ صرَّحُوا بالفِعل ليَعطِفُوا علَيه: ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ أي: نُقِيم نهاراً على عِبادَتِها، زادُوهُ في الجَواب افتِخاراً بِه.

(﴿٧٢﴾ - ﴿٧٤﴾) ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ﴾: حينَ ﴿تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ إن عَبدتُمُوهُم، ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾كُم إن لَم تَعبُدُوهُم؟ ﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: مِثلَ فِعلِنا.

حاشية الصاوي

قوله: (ويبدل منه) أي: بدل مفصَّل من مجمَلٍ[1].

قوله: (﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾) ﴿مَا﴾: اسم استفهام معمول لـ﴿تَعْبُدُونَ﴾، والمعنى: ما هذا الذي تَعبدونه؛ أي: ما حقيقتُه؟

قوله: (صرحوا بالفعل... إلخ) جوابٌ عمَّا يقال: كان القياس أن يقولُوا: أصناماً؛ كقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فأجاب: بأنهم صرَّحوا بالفعل؛ ليعطفُوا عليه ما فيه الافتخار.

قوله: (أي: نقيم نهاراً على عبادتها) هذا معنى (نظل) الأصلي، ولكن مقتضى الافتخار أن يكون معناها: نَدوم على عبادتها ليلاً ونهاراً.

قوله: (زادوه) أي: قوله: ﴿فَنَظَلُّ... إلخ﴾.

قوله: (﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾) أتى بالمضارع؛ إشارةً إلى أنَّ هذا الوصف مُستمرٌّ وثابتٌ في الأصنام في الماضي والحال والاستقبال، ولا بدَّ من محذوف هنا، دلَّ عليه قوله: ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ تقديره: هل يَسمعون دعاءكم؟

قوله: (﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾) ﴿إِذْ﴾: هنا بمعنى (إذا) استحضاراً للحال الماضية وحكاية لها تبكيتاً عليهم.

قوله: (﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ﴾... إلخ) هذا الجواب يُفيد تسليم ما قاله إبراهيم، وإنما اعتذرُوا عن ذلك بالتَّقليد، فلمَّا لم يجدوا مخلصاً غيره.. احتجُّوا به.

---

(١) أو بدل اشتمال. «فتوحات» (٣/ ٢٩٩).

قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ ....

(﴿٧٥﴾ - ﴿٨٢﴾) ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ لا أعبدُهم، ﴿إِلَّا﴾: لَكِن ﴿رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فإنِّي أعبُدُهُ، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أتأملتُم فعلمتم، أو أبصرتُم ما كنتم تعبدُونه؟[1]

قوله: (﴿وَءَابَآؤُكُمُ﴾) عطف على الضمير في ﴿تَعْبُدُونَ﴾، وهو ضمير رفع متصل؛ فلذا فصل بالضمير المنفصل، قال ابن مالك[2]: [الرجز]

وإنْ عـلـى ضَـمـيـرِ رفـعٍ مـتَّـصِـلْ عطَفْتَ فافْصِلْ بِالضَّميرِ المنفَصِلْ

قوله: (﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾) أسند العداوة لِنفسه؛ تعريضاً بهم، وهو أبلَغ في النَّصيحة من التصريح بأن يقول: (فإنهم عدوٌّ لكم).

إن قلتَ: كيف وصف الأصنام بالعَداوة وهي لا تعقل؟ أجيب بأجوبة منها: أنَّ المعنى: عدوٌّ لي يوم القيامة إن عبَدتُّهم في الدنيا، ومنها: أنَّ الكلام على حذف مضاف؛ أي: فإنَّ أصحابهم عدوٌّ لي، ومنها: أنَّ الكلام على القلب؛ أي: فإني عدُوٌّ لهم.

قوله: (﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) أشار المفسِّر بقوله: (لكن) إلى أنَّ الاستثناء منقطع، والمعنى: لكن رب العالمين ليس بعدوِّي، بل هو وَليِّي في الدنيا والآخرة.

قوله: (﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى﴾) نعت لـ﴿رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، أو بدل، أو عطفُ بيان، أو خبر لمحذوف، وما بعده عطف عليه.

قوله: (﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾) أتى بالفاء هنا وفي قوله: ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾؛ لترتُّب الهداية على الخَلق، والشفاء على المرض، بخلاف الإطعام والإسقاء فليس بينهما ترتُّب، وأتى بـ(ثُمَّ) في جانب الإحياء؛ لبعد زمنِه عن زمن الموت؛ لأنَّ المرادَ به الإحياءُ في الآخرة.

---

(١) وعليه: فتكون (رأى) بمعنى (عرف)؛ لأنه ليس هنا إلا مفعول واحد وهو الموصول. «فتوحات» (٣/ ٣٠٠).

(٢) «الخلاصة»، باب: عطف النسق.

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ۝٨٢ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۝٨٣ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝٨٤﴾ ....

إلـى الـدِّيـن، ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾: أرجو ﴿أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾: الجزاءِ.

(٨٣ - ٨٧) ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾: عِلماً ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾: النَّبيِّين، ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ﴾: ثَناءً حَسَناً ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ الَّذينَ يَأتُونَ بَعدِي إلى يَوم القِيامة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (**إلى الدين**) أي: وغيره من مصالح دُنياي وآخرتي، وإنما خصَّ الدِّين؛ لأنَّ المقام للرَّدِّ، ولأنَّه أهمُّ.

قوله: (﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾) أي: في الدنيا والآخرة.

قوله: (﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾) أسند المرض لِنفسه وإن كان الكلُّ من الله؛ تأدُّباً كما قال تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦] ولم يقل: والشر، وقال الخضر: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، وقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢].

قوله: (﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾) عبَّر بالطمع المفيد عدمَ الأخذِ في الأسباب مع أنها حاصلةٌ منه؛ لِعدم اعتماده عليها.

قوله: (﴿أَن يَغْفِرَ لِي﴾) ذكر ذلك تواضعاً وتعليماً للأمَّة، وإلَّا.. فهو مَعصومٌ من الخطايا.

قوله: (﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾) لما ذكر تلك الأوصاف.. قوي رجاؤه في ربِّه، فطلب منه معاليَ الأمورِ وخيرَ الدنيا والآخرة.

قوله: (**علماً**) أي: زيادة فيه.

قوله: (﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾) أي: في العمل، أو في دَرجات الجنة.

قوله: (﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ﴾) من إضافة الموصوف للصفة؛ أي: ذكراً حسناً، من باب: تسمية الشيء باسم آلته.

قوله: (**الذين يأتون بعدي**) وقد أجابه الله تعالى، فما من أمَّةٍ من الأمم وإلا وهي تحبُّه وتثني عليه بخير، سيَّما في هذه الأمة المحمَّديَّة، خُصوصاً في المؤمنين منهم؛ فإنهم يذكرونه بخير

وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ ....

﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: مِمَّن يُعطاها، ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ بِأن تَتُوبَ علَيهِ فتَغفِرَ لَه، وهذا قبلَ أن يَتَبيَّنَ لَه أنَّه عَدُوٌّ لِله كَما ذُكِرَ في سُورة (بَراءة)، ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾: تَفضَحني ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: النَّاس.

حاشية الصاوي

في كل تشهُّد، وإنما طلب ذلك؛ لينتفعَ به هو، وينتفع به المثْني لكن بشرط الإيمان، وأمَّا حديث: «من أحبَّ قوماً حُشِرَ معهم وإن لم يَعمل بعملهم»[1]. . فمعناه: إذا اشتركوا معهم في الإيمان وإن لم يَصلُوا لمقامهم.

قوله: (﴿مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾) أي: مندرجاً فيهم ومِن جملتهم، وإضافة ﴿جَنَّةِ﴾ لـ﴿ٱلنَّعِيمِ﴾ من إضافة المحلِّ إلى الحالِّ فيه، فالمرادُ: مطلقُ الجنة، لا خصوصُ الدَّار المسمَّاة بذلك. وقد أجابه الله في جميع دعواته سوى الدعاء بالمغفرة لأبيه.

قوله: (بأن تتوب عليه. . . إلخ) ظاهره: أنَّ هذا الدعاء صَدر من إبراهيم وأبوه حيٌّ، ولكن يُنافيه قوله: (وهذا قبل أن يتبيَّن له أنه عدوٌّ لله)؛ فإن التَّبيُّن المذكور إنما حصل بموته كافراً، وحينئذٍ: فلا يصح جعله قيداً للدعاء له في حياته بالتوفيق للإيمان، وإنما يصحُّ لو كان المراد الدعاءَ له بمغفرة الذنوب على حالته التي هو عليها.

وأجيب: بأنه لا مانع أنَّ الله أعلَمَ إبراهيم بموت أبيه كافراً وهو حيٌّ، وحينئذٍ: فقد صحَّ ما قاله المفسِّر.

قوله: (وهذا) أي: الدعاء له بما ذُكِرَ.

قوله: (كما ذكر في سورة «براءة») أي: في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ. . .﴾ الآية [١١٤].

قوله: (تَفضحني) أي: تكشف عُيوبي بين خلقك، وهذا تواضعٌ منه، أو بالنظر للتَّجويز العقلي؛ فإنَّ تعذيب المطيع جائزٌ عقلاً، لا شرعاً.

---

(١) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٢٤٧٣٠) للخطيب عن سيدنا جابر ﷺ، ويشهد له حديث: «المرء مع من أحبَّ».

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ . . . .

(٨٨ - ٨٩) قال تَعالى فِيه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ أحداً، ﴿إِلَّا﴾: لَكِن ﴿مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ مِن الشِّركِ والنِّفاقِ وهو قَلبُ المُؤمِنِ؛ فإنَّهُ يَنفَعُه ذلك.

(٩٠ - ٩٣) ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾: قُرِّبَت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ فيَرَونَها، ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾: أُظهِرَت ﴿لِلْغَاوِينَ﴾: الكافِرين، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرَه مِن الأصنامِ،

حاشية الصاوي

قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. . .﴾ إلخ من كلام الله تعالى، ويَصح أن يكون من كلام إبراهيم، فيكون بدلاً من (يوم) قبله.

قوله: (لكن ﴿مَنْ أَتَى ٱللَّهَ﴾. . . إلخ) أشار المفسِّر بذلك إلى أنَّ الاستثناء منقطع، ولكن يُنافيه تقديره (أحداً)، فتحصَّل أنَّ الاستثناء إمَّا منقطعٌ إن جعل من قَوله: ﴿مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾، ويكون المعنى: لكن من أتى الله بقلب سليم فإنه يَنتفع، أو متصلٌ إن جعل من المفعول الذي قدَّره المفسِّر، والتقدير: لا ينفع المال ولا البنون أحداً إلا الذي أتى الله بقَلب سليم فإنه ينفعه المال والبنون.

قوله: (وهو قلبُ المؤمن) أي: فينتفع بالمال الذي أنفقه في الخير، والولدِ الصالحِ بدعائه له؛ لما في الحديث: «**إذا مات ابن آدم انقَطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو عِلم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[1].

قوله: (﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾) أي: بحيث يُشاهدونها في الموقف، ويعرفون ما فيها، فتحصل لهم البهجة والسرور. وعبَّر بالماضي؛ لتحقُّق الحصول.

قوله: (﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾) أي: جُعلت لهم بارزة ظاهرة؛ بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع العذاب، فتحصل لهم المأساة والأحزان، ويوقنون بأنهم مُواقعوها، ولا يجدون فيها مصرفاً.

قوله: (﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾) أي: على سبيل التَّوْبيخ.

قوله: (﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾) ﴿أَيْنَ﴾: خبر مقدَّم، و﴿مَا﴾: مبتدأ مؤخَّر، و﴿كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾: صلة ﴿مَا﴾، والعائد محذوف، تقديره: تَعبدونه، وقوله: (﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾) حال.

---

(١) رواه الترمذي (١٣٧٦)، والنسائي في «المجتبى» (٦/ ٢٥١) عن سيدنا أبي هريرة ﷺ.

هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ ....

﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ بِدَفعِ العَذاب عنكُم، ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ بِدَفعِه عن أنفُسِهم؟ لا.

(﴿٩٤﴾ - ﴿٩٥﴾) ﴿فَكُبْكِبُوا۟﴾: أُلقُوا ﴿فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾: أتباعُه ومَن أطاعَهُ مِن الجِنِّ والإنسِ ﴿أَجْمَعُونَ﴾.

(﴿٩٦﴾ - ﴿٩٨﴾) ﴿قَالُوا۟﴾ أي: الغاوُونَ ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ مَعَ مَعبُودِيهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن﴾ ـ مُخفَّفة مِن الثَّقِيلة واسمُها مَحذُوف ـ أي: إنَّهُ ﴿كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بيِّن، ﴿إِذْ﴾: حيثُ ﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في العِبادةِ.

(﴿٩٩﴾ - ﴿١٠٢﴾) ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ﴾ عن الهُدَى ﴿إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: الشَّياطِينُ، أو أوَّلُونا الذينَ اقتَدَينا بِهِم، ....

حاشية الصاوي

قوله: **(أُلقُوا)** أي: مرَّة بعد أخرى؛ لأنَّ الكَبكبة تكرير الكبِّ، وهو: الإلقاء على الوجه، كأنَّ من ألقي في النار ينكبُّ مرَّة بعد أخرى حتى يستقرَّ في قعرها.

قوله: (﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾) عطف على ضمير (كبكبوا)، وسوَّغه الفصلُ بالجار والمجرور وضميرِ الفصل.

قوله: **(ومَن أطاعه)** عطف تفسير.

قوله: (﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾) الجملة حاليَّة، ومقول القول: (تالله... إلخ).

قوله: **(واسمها محذوف... إلخ)** قد يقال: إنها في الآية مُهملة، فلا اسم لها ولا خبر؛ لوجود اللام، قال ابن مالك[1]: [الرجز]

وخُفِّفَتْ إنَّ فقَلَّ العَمَلُ... إلخ

قوله: (﴿إِذْ نُسَوِّيكُم﴾) ظرفٌ لكونهم في ضلال مُبين.

قوله: **(أو أوَّلونا)** أي: السابقون علينا، وهو جمع (أوَّل).

(١) «الخلاصة»، باب: (إنَّ) وأخواتها.

فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾

﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ كما لِلمُؤمِنين مِن المَلائكة والنَّبِيِّين والمُؤمِنين، ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ أي: يُهِمُّهُ أمرُنا، ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾: رَجعةً إلى الدُّنيا، ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ - (لَو) هُنا لِلتَّمنِّي، و(نكُون) جَوابُه -.

(١٠٣ - ١٠٤) ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المَذكورِ مِن قِصَّة إبراهِيمَ وقَومِه ﴿لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

(١٠٥) ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ بِتكذِيبِهِم لَه لِاشتِراكِهِم في المَجِيء بِالتَّوحِيدِ، أو لِأَنَّه لِطُولِ لُبثِه فِيهِم كأَنَّهُ رُسُل، ....

حاشية الصاوي

قوله: (من الملائكة والنبيِّين... إلخ) فالشفعاء تكثر للمؤمنين؛ لما ورد: «لكلِّ مُؤمنٍ شفاعةٌ يوم القيامة»[1].

قوله: (﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾) أفرَد الصَّديق وجمع الشفعاء؛ لِكثرة الشفعاء في العادة، وقلَّة الصديق. والحميم: القريب؛ من قولهم: حامة فلان؛ أي: خاصَّته، أو الخالص، ويُؤيِّده قول المفسِّر: (أي: يُهِمُّه أمرنا)، وقوله: (يُهِمُّه) بضمِّ أوَّله وكسر ثانيه، وبفتح أوَّله وضمِّ ثانيه.

قوله: (و«نكونَ» جوابه) أي: فهو منصوبٌ في جواب التَّمنِّي.

قوله: (﴿لَءَايَةً﴾) أي: عِظةً لمن أراد أن يَستبصر بها ويعتبر؛ فإنَّها على أحسن ترتيب.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾) أي: بل لم يُؤمن منهم إلا لوطُ ابنُ أخيه، وسارة زوجته؛ كما في سورة (الأنبياء).

قوله: (بتَكذيبهم له) جوابٌ عمَّا يقال: لِمَ جمع المرسلين مع أنهم إنما كذَّبوا رسولاً واحداً وهو نوح؟ فأجاب: بأنَّ تكذيبَهم له تكذيبٌ للباقي، فالجمع على حقيقته، وقوله: (أو لأنه... إلخ) جوابٌ ثانٍ، وعليه: فالجمعُ مجازٌ.

---

(١) أوله: «استكثروا من الإخوان...»، وقد عزاه السيوطي في «الفتح الكبير» (١/ ١٧٠) إلى ابن النجار في «تاريخه» عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ ....

وتَأنيث (قَوم) بِاعتِبارِ مَعناهُ، وتَذكِيرُه باعتِبارِ لَفظه.

(١٠٦ - ١٠٨) ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ نَسَباً ﴿نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ اللهَ؟ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على تَبليغِ ما أُرسِلتُ بِه، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فِيما آمُرُكُم بِه مِن تَوحِيد الله وطاعَتِه.

(١٠٩ - ١١٠) ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على تَبليغه ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِيَ﴾ أي: ثَوابِي ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ - كرَّرهُ تَأكيداً -.

(١١١) ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ﴾: نُصَدِّق ﴿لَكَ﴾: لِقَولِك ....

حاشية الصاوي

قوله: (وتأنيثُ «قوم») أي: تأنيث الفعل المسند إليه، وقوله: (باعتبار معناه) أي: وهو الأُمَّة والجماعة.

قوله: (وتذكيره) أي: تذكير الضمير العائد عليه في قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ﴾، ولا مفهومَ لـ(قوم)، بل كلُّ اسم جمع أو جمع تكسير لمذكَّر أو مؤنَّث كذَلك.

قوله: (نسباً) أي: لا في الدِّين.

قوله: (﴿نُوحٌ﴾) تقدَّم أنَّ اسمه عبد الغفار، أو يشكر، ونوحٌ لقبُهُ.

قوله: (﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾) (ألا): لِلعرض.

قوله: (﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾) إنما أخبر بذلك؛ لِيُتَّبع، وليس قصده الافتخار.

قوله: (﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾) أي: امتثِلوا أوامره، واجتنبوا نواهيَهُ.

قوله: (﴿مِنْ أَجْرٍ﴾) (مِن): زائدة في المفعول؛ أي: أجرةً وجُعلاً.

قوله: (كرَّره تأكيداً) أي: وحسَّن ذلك كونُ الأوَّل مرتَّباً على الرسالة والأمانة، والثاني على عدم سؤاله أجراً منهم.

قوله: (﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ﴾... إلخ) هذا من سَخافة عقولهم وفساد رأيهم؛ حيث جعلوا اتِّباع الفقراء مانعاً من إيمانهم، وأشارُوا بذلك إلى أنَّ اتِّباعهم ليس خالصاً لوجه الله، بل هو طمعٌ في أن يَنالهم شيءٌ من الدنيا.

وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ ....

﴿وَٱتَّبَعَكَ﴾ ـ وفي قِراءة: (وأتباعُك) جَمع (تابع) مُبتَدأ ـ، ﴿ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾: السَّفِلةُ كالحاكَة والأساكِفَة؟

(﴿١١٢﴾ - ﴿١١٥﴾) ﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي﴾: أيُّ عِلم لي ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ﴾: ما ﴿حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ﴾ فيُجازِيهِم، ﴿لَوۡ تَشۡعُرُونَ﴾: تَعلَمُون ذلك ما عِبتُمُوهُم، ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) ظاهره: أنها قراءةٌ سبعيَّةٌ، وليس كذلك، بل هي عشريَّة، والمعتمد: جواز القراءة بها[1].

قوله: (﴿وأتباعك﴾) مبتدأ، وخبره: ﴿ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾، وأما القراءة الأُولى.. فهي جملة فعليَّة، وهي حاليَّة على كل حال.

قوله: (﴿ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾) جمع (أرذَل) كـ: الأكبَرون جمع (أكبر).

قوله: (السَّفِلَة) المراد بهم: الفقراء والضعفاء، وسبب مُبادرتهم للإيمان: قلَّة عَوائقهم كالرئاسة والغنى؛ فإنَّ ذلك موجبٌ للأنَفَةِ عن الاتِّباع.

قوله: (﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي﴾) يحتمل أن تكون (ما) استفهاميَّة، وإليه يشير المفسِّر بقوله: (أيُّ علم لي؟)، ويحتمل أن تكون نافيةً.

قوله: (﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾) أي: لم أكلَّف العلمَ بِعقائدهم الباطنيَّةِ، وإنما كُلِّفْتُ أن أدعوَهُم إلى الإيمان.

قوله: (﴿إِنۡ حِسَابُهُمۡ﴾) أي: حسابَ بَواطنهم.

قوله: (ما عِبْتُمُوهم) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ (لو) شرطيَّةٌ حُذِفَ جوابها.

قوله: (﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾) جوابٌ لما فهمه من طلبهم طَرْدَ الضعفاء، وهذا كما سألت

---

(١) وبها قرأ يعقوب وعبد الله وابن عباس وأبو حيوة. انظر «الدر المصون» (٨/ ٥٣٦)، و«البدور الزاهرة» (ص٢٣٢).

إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ....

إِنْ﴾: ما ﴿أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بيِّن الإنذارِ.

﴿١١٦﴾ ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ﴾ عمَّا تقول لنا، ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ بالحِجارةِ أو بِالشَّتم.

(﴿١١٧﴾ - ﴿١٢٠﴾) ﴿قَالَ﴾ نوحٌ: ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ أي: احكُمْ، ﴿وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾: المملُوءِ مِنَ النَّاس والحَيوان والطَّيرِ، ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾: بعدَ إنجائِهم ....

حاشية الصاوي

قريش النبي ﷺ أن يَطرد المواليَ والفقراءَ؛ كما تقدَّم في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ [الأنعام: ٥٢][1].

قوله: (﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾) أي: للمكلَّفين أعزَّاء أو غيرَهم؛ فكيف يَليق مني طرد الفقراء؟!

قوله: (﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾) أي: تترُكْ ما أنت عليه من مُعارضتنا.

قوله: (﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾) إنما قال ذلك تمهيداً للدعاء عليهم، كأنه قال: إنهم أعرضوا عن دينك وتَوحيدك فأنا أدعو عليهم لأجل ذلك، والمعنى: إنهم استمرُّوا على تكذيبي وأصرُّوا بعد ما كرَّرتُ عليهم الدعوة، وسيأتي تفصيل ذلك في سورة (نوح) في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا...﴾ [نوح: ٥] إلخ.

قوله: (﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾) من: الفُتَاحَةِ بالضمِّ والكسر، وهي: الحكومة؛ أي: احكم بيننا بما يستحقُّ كلٌّ منَّا.

قوله: (﴿وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾) آثر الإيمان؛ إشارةً إلى أنهم خالِصون في الاتباع، وكان مَنْ معه مِنَ المؤمنين ثمانين: أربعون من الرجال، وأربعون من النساء، على أحد أقوالٍ تقدَّمت.

قوله: (﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾) أي: بالطوفان؛ حيث التقى ماءُ السماء على ماء الأرض.

---

(١) انظر سبب النزول في تفسير سورة (الأنعام)، (٢/ ٣٧٢)، والحديث رواه ابن ماجه (٤١٢٧) عن سيدنا خباب ﷺ.

﴿ٱلْبَاقِينَ ١٢٠ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ١٢١ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٢ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٢٣ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٢٥ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٢٦ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٢٧﴾

﴿ٱلْبَاقِينَ﴾ من قومه.

(١٢١ - ١٢٧) ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ١٢١ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٢ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٢٣ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٢٥ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٢٦ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلْبَاقِينَ﴾ من قَومه) أي: صغاراً وكباراً؛ أي: فالهلاك الدنيوي عمَّ الصغار والكِبار والبهائم، وأما في الآخرة.. فالخُلود في النار مخصوصٌ بمَنْ مات كافراً بعد البلوغ، وأمَّا صِبيانهم بل وصبيان المشركين من أوَّل الدنيا إلى آخرها.. فيدخلون الجنَّة بشفاعة النبي ﷺ.

قوله: (﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾) اسم أبي قبيلة هود الأعلى، سمِّيت القبيلة باسمه، فالمراد: كذبت القبيلة المنسوبة لعاد، وقوله: ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ المراد: هود، وإنما جُمِعَ؛ لأنَّ مَنْ كذَّب رسولاً واحداً فقد كذَّب الجميع؛ لاشتراك الكلِّ في المجيء بالتوحيد.

قوله: (﴿أَخُوهُمْ﴾) أي: من النَّسب؛ لما تقدَّم أنه من ذريَّة عاد، وكان هود تاجراً جميل الصورة، يشبه آدم، وعاش أربع مئة وأربعاً وستين سنة.

قوله: (﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾) (ألا): أداة عرض، وهو: الطلب بلِيْنٍ ورفقٍ؛ تأليفاً لقلوب المجرمين لعلَّهم يهتدون.

قوله: (﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾) تعليلٌ لعَرضه التقوى عليهم، والمعنى: إني لكم رسولٌ أبلِّغكم ما أرسلت به إليكم، أمينٌ لا أزيدُ ولا أنقص.

قوله: (﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾) تفريعٌ على قوله: ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أي: فحيث كنت رسولاً أميناً.. فالواجب عليكم تَقوى الله وطاعتي، فطاعته من حيث كونه رسولاً من عند الله، لا مِن حيث ذاته؛ ولذا لم يقُل: ألا تتقون وتطيعوني.

قوله: (﴿مِنْ أَجْرٍ﴾) أي: جُعْلٍ وأجرةٍ على رسالتي.

قوله: (﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) أي: لأنه المرسلُ لي، الغنيُّ المغني.

أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم ....

(﴿١٢٨﴾ - ﴿١٣٠﴾) ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾: مَكانٍ مُرتَفِعٍ ﴿ءَايَةً﴾: بِناءً عَلَماً لِلمارَّةِ، ﴿تَعْبَثُونَ﴾ بِمَن يَمُرُّ بِكُم وتَسخَرُون مِنهُم؟ - والجُملةُ حالٌ مِن ضَمير (تبنُون) - ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ لِلماءِ تحتَ الأرضِ، ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: كأنَّكُم ﴿تَخْلُدُونَ﴾ فِيها لا تَمُوتُون؟ ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ بِضَربٍ أو قَتلٍ ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ مِن غَيرِ رَأفةٍ.

(﴿١٣١﴾ - ﴿١٣٥﴾) ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ذلكَ ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فِيما أمَرتُكم به، ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم﴾: أنعَم علَيكُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَتَبْنُونَ﴾) الاستفهام للتقريع والتوبيخ، وهو شروعٌ في توبيخهم على أمور ثلاثة، كلٌّ واحدٍ منها منافٍ للتقوى: البناء للعبث، واتِّخاذ المصانع، والتَّجبُّر.

قوله: (﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾) بكسر الراء - ويقال بفتحها - هو: المكان المرتفع.

قوله: (علماً للمارَّة) أي: كالعَلَم في الارتفاع.

قوله: (بمن يمرُّ بكم... إلخ) هذا أحدُ أوجهٍ في تفسير متعلَّق العبث، وقيل: تعبثون بالبناء؛ لظنِّهم أنَّ المارَّة يحتاجون إلى البناء؛ ليَهتدوا به في الأسفار مع أنهم مستغنون عنه بالنجوم، وقيل: المعنى: تَبنون بروج الحمام لتعبثوا بها، وقيل: المعنى: تبنون بنياناً تجتمعون فيه للعبث، وكلٌّ صحيحٌ واقعٌ منهم.

قوله: (﴿مَصَانِعَ﴾) جمع مَصْنَعة؛ بفتح الميم مع فتح النون أو ضمِّها، وهو: الحوض أو البِرْكَةُ تجعل تحت الأرض كالصَّهاريج.

قوله: (كأنكم) فسَّر (لعل) بـ(كأنَّ)؛ بدليل القراءة الشاذَّة: (كأنَّكم تخلدون)، والأولى إبقاءُ (لعلَّ) على بابها من الترجي، ويكون المعنى: راجين أن تخلدوا في الدنيا بسبب عَملكم عملَ مَنْ يرجو ذلك؛ لأنَّ مجيء (لعل) بمعنى (كأن) لم يَرِد.

قوله: (﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾) أي: فعَلتم فعل الجبَّارين؛ من الضَّرب بالسِّياط، والقتل بالسيف.

قوله: (﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ذلك) أي: فيما تقدَّم من الأُمور الثلاثة.

قوله: (﴿الَّذِي أَمَدَّكُم﴾) أي: أعطاكم المدَد، وهو: النِّعم.

بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ ....

﴿بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ﴾: بَساتِينَ ﴿وَعُيُونٍ﴾: أنهارٍ، ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدُّنيا والآخِرةِ إن عَصيتُمُوني.

﴿١٣٦﴾ ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾: مُستَوٍ عِندَنا ﴿أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ أصلاً، أي: لا نَرعَوِي لِوَعظِك.

(﴿١٣٧﴾ - ﴿١٣٨﴾) ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَا﴾ الذي خَوَّفتَنا بِه ﴿إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: اختِلاقُهُم

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ﴾) بدلٌ مما قبله، بدل مُفصَّل من مجمل[1].

قوله: (﴿وَبَنِينَ﴾) أي: ذُرِّيَّة.

قوله: (﴿وَجَنَّاتٍ﴾) جمع جنَّة.

قوله: (﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾) أي: إن دُمتُم على مخالفتي ولم تشكروا على هذه النِّعم بعد بعثتي.

قوله: (في الدنيا) أي: بالريح العَقيم، وقوله: (وفي الآخرة) أي: بالخلود في النار.

قوله: (﴿أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾) هذا أبلَغ من أن يقولوا: أم لم تَعِظْ؛ لأنَّ المعنى: سواءٌ علينا أوعظت؛ بأن كنت من أهل الوعظ أم لم تكن أصلاً من أهلِه؛ بأن كنت أُمِّيًّا مِثلنا ولست نبيًّا.

قوله: (أي: لا نَرعوي لوعظك) أي: لا نَرتدع ولا ننكفُّ له.

قوله: (﴿إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾) أي: مَنْ تقدَّموا قبلك كشيث ونوح؛ فإنهم كانوا يَختلقون أموراً فاقتديت بهم، فاسمُ الإشارة على هذه القراءة راجعٌ لما خوَّفهم به.

---

(١) عبارة السمين في «الدر المصون» (٨/ ٥٤٠): (قوله: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ﴾: فيه وجهان: أحدهما: أن الجملة الثانية بيان للأولى وتفسير لها، والثاني: أن ﴿بِأَنْعَامٍ﴾ بدل من قوله: ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ بإعادة العامل؛ كقوله: ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾، قال الشيخ: «والأكثرون لا يجعلون هذا بدلاً، وإنما يجعلونه تكريراً، وإنما يجعلونه بدلاً بإعادة العامل إذا كان حرف جرٍّ من غير إعادة متعلَّقه، نحو: مررت بزيد بأخيك، ولا يقولون: مررت بزيد مررت بأخيك؛ على البدل»).

وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ ....

وكَذِبُهم، ـ وفي قِراءة: بِضَمِّ الخاء واللَّام ـ أي: ما هذا الذي نحنُ عليهِ مِن أن لا نُبعَثَ إلَّا خُلُقُ الأوَّلين أي: طَبيعتُهم وعادتُهم، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

(﴿١٣٩﴾ - ﴿١٤٠﴾) ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بِالعذابِ، ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ في الدُّنيا بِالريح، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

(﴿١٤١﴾ - ﴿١٥٢﴾) ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءةٍ) أي: وهي سبعيَّةٌ أيضاً[1]، وعليها: فاسمُ الإشارة عائدٌ على مُعتقدهم، وهو عدم البعث.

قوله: (أي: طَبيعتهم وعادتهم) أي: عادة الأولين من قَبلنا أنهم يعيشون ما عاشوا، ثم يموتون ولا بعث ولا حساب.

قوله: (﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾) أي: على ما فعَلنا من الأعمال.

قوله: (﴿فَكَذَّبُوهُ﴾) أي: استمرُّوا على تكذيبه.

قوله: (بالريح) أي: الصَّرصر، وكانت باردةً يوم صبح الأربعاء، لثمانٍ بقين من شوال، وكانت في أواخر الشتاء، وسيأتي بسطُها في سورة (الحاقة).

قوله: (﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾) أي: بل أقلُّهم؛ كانوا مع هود في حظيرة تَنْسُم عليهم ريحٌ ليِّنة حتَّى مضَت تلك المدَّة، فأخذهم وهاجر من تلك الأرض إلى مكة.

قوله: (﴿الْعَزِيزُ﴾) أي: الغالبُ على أمرِهِ.

قوله: (﴿الرَّحِيمُ﴾) أي: المنعِمُ على عباده بدقائق النِّعم.

قوله: (﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾) اسم أبي قبيلة صالح الأعلى، سمِّيت القبيلة باسمه، وتسمَّى أيضاً عاداً الثانية، وهم ذُرِّيَّة مَنْ آمن مِنْ قوم هود.

قوله: (﴿الْمُرْسَلِينَ﴾) المراد بهم: صالح، وتقدَّم وجهُ التَّعبير بالجمع.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بفتح الخاء وسكون اللام، والباقون بضمتين. انظر «الدر المصون» (٨/ ٥٤١).

إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ ....

إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا﴾ من الخيرات ﴿آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾: لَطِيف لَيِّن، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَخُوهُمْ﴾) أي: في النَّسب؛ لاجتماعه معهم في الأب الأعلى، وعاش صالح من العمر مئتين وثمانين سنة، وبينه وبين هود مئة سنة.

قوله: (﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾) تقدَّم أنَّ (ألا) أداة عرض؛ كما في قول الشاعر: [البسيط]

يَا ابْنَ الكِرَامِ أَلَا تَدْنُو فَتُبْصِرَ مَا ... قَدْ حَدَّثُوكَ فَمَا رَاءٍ كَمَنْ سَمِعَا

وحكمةُ التعبير أوَّلاً بالعرض: تأليفُ قلوبهم للتوحيد بالكلام اللَّيِّن؛ لقصر عقولهم وجهلهم.

قوله: (﴿أَتُتْرَكُونَ﴾) الاستفهام إنكاريٌّ توبيخيٌّ، و(ما): اسم موصول بيَّنها المفسِّر بقوله: (من الخيرات)، و(هنا): اسم إشارة لِلمكان القريب، والمراد: دار الدنيا، والمعنى: أتظنُّون أنكم تتركون في الدنيا متمتِّعين بأنواع النِّعم والشهوات، آمِنين من كلِّ مكروه، لا تُمْتَحَنون بأوامرَ ونواهٍ، ولا تحاسبُون على شيء فيها، لا تظنُّوا ذلك، بل الواجب عليكم تركُ الفاني، والاشتغال بالباقي.

قوله: (﴿فِي جَنَّاتٍ﴾) بدل من قوله: ﴿هَاهُنَا﴾ بإعادة الجارِّ.

قوله: (﴿وَنَخْلٍ﴾) هو: اسم جنس جمعي، واحدُه: نخلة، يذكَّر ويؤنَّث، وأما النخيل بالياء.. فمؤنَّثةٌ اتفاقاً.

قوله: (﴿طَلْعُهَا﴾) هو: ثمرها في أوَّل ما يطلع كنصل السيف، في جَوفه شماريخ القِنْوِ، وبعده الإِغْرِيض، ويسمَّى خلالاً[1]، ثم البَلَح، ثم الزَّهْو، ثم البُسْر، ثم الرُّطب، ثم التَّمر، يجمعها قولك: (طاب زبرت)، فأطوار النخيل سبعة كأطوار الإنسان؛ ولذا ورد في الحديث: **«أكرِموا عمَّاتكم النخل»**[2]، وأفرد النخل بالذكر؛ لفَضله على سائر الأشجار.

---

(١) الإِغْرِيضُ: الطَّلعُ حِين ينشقُّ عَنهُ كافورُه.

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٢٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٥٥) عن سيدنا علي رضي الله عنه.

وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ ....

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾: بَطِرِينَ، - وفي قِراءة: ﴿فَرِهِينَ﴾: حاذِقِين -، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فِيما أمَرتُكم بِه، ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بِالمَعاصِي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بطاعة الله.

(﴿١٥٣﴾ - ﴿١٥٤﴾) ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾: الذينَ سُحِرُوا كثيراً حتَّى غُلِبَ على عَقلِهم، ﴿مَآ أَنتَ﴾ أيضاً ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في رِسالَتِك.

(﴿١٥٥﴾ - ﴿١٥٦﴾) ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾) أي: لِطُول أعماركم؛ فإنَّ السقوف والأبنية كانت تَبْلى قبل فناءِ أعمارهم؛ لأنَّ الواحد منهم كان يعيش ثلاث مئة سنة إلى ألف سنة.

قوله: (بَطِرين) أي: لنِعم ربّكم.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّةٌ أيضاً[1].

قوله: (حاذقين) أي: ماهِرين في العمل.

قوله: (﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾) الإسناد مجازيٌّ في النسبة، والأصل: ولا تُطيعوا المسرفين في أمرهم.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾) صفة لـ﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

قوله: (﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾) دفع بذلك ما يُتوهم أنه يقع منهم الإصلاح في بعض الأوقات.

قوله: (﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾) أي: فكيف تدَّعي أنك رسولٌ إلينا؟!

قوله: (﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ﴾) الإشارة إليها بعد أن خرَجت من الصخرة بدعائه كما طلبُوا. عن أبي موسى الأشعري قال: (رأيت مبركها فإذا هو سِتون ذراعاً في ستين ذراعاً).

---

(١) قرأ الكوفيون وابن عامر: (فارهين) بالألف، والباقون: (فرهين) بدون ألف. انظر «الدر المصون» (٨/ ٥٤٢).

لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا ....

لَّهَا شِرْبٌ﴾: نَصِيبٌ مِن الماءِ ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ بِعِظَم العذابِ.

(﴿١٥٧﴾ - ﴿١٥٩﴾) ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي: عَقَرَها بَعضُهم بِرِضاهُم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَّهَا شِرْبٌ﴾... إلخ) أمرهم صالح بأمرَين: الأول: قوله: ﴿لَّهَا شِرْبٌ﴾، الثاني: قوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾.

قوله: (نصيبٌ من الماء) أي: فهي تشرب منه يوماً، وأنتم تَشربون منه يوماً، لا تزاحمكم ولا تزاحموها، وفي يومها تشربون مِن لبنها.

قوله: (﴿فَعَقَرُوهَا﴾) أي: يوم الثُّلاثاء، وأخَذهم العذاب يوم السبت، وقد جعل لهم علامة على نزول العذاب بهم، وهو أنهم في اليوم الأول تَصفرُّ وجوههم، ثم تحمرُّ في اليوم الثاني، ثم تسودُّ في اليوم الثالث.

قوله: (أي: عقَرها بعضهم) أي: وهو قُدَارُ، وكان قصيراً أزرق، وكان ابنَ زناً، ضربها في ساقيها بالسيف.

قال السُّدي وغيره: أوحى الله إلى صالح أنَّ قومك سيَعقرون ناقتك، فقال لهم ذلك، فقالوا: ما كنا لنفعلَ، فقال لهم صالح: إنه سيُولد في شهركم هذا غلام يعقرها، ويكون هَلاككم على يديه، فقالوا: لا يُولد في هذا الشهر ذكرٌ إلا قتَلناه، فوُلِدَ لتسعةٍ منهم في ذلك الشهر، فذبحوا أبناءهم، ثمَّ للعاشر فأبى أن يذبحَ ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك، فكان ابنُ العاشر أزرقَ أحمر، فنبت نباتاً سريعاً، فكان إذا مرَّ بالتسعة فرأَوه.. قالوا: لو كان أبناؤنا أحياءً.. لكانوا مثلَ هذا، وغضب التسعة على صالح؛ لأنه كان سبباً لقتلهم أبناءهم، فتعصَّبوا وتقاسموا بالله لنبيِّتنَّه وأهلَهُ، فقالوا: نخرج إلى سفر، فيرى الناس سفَرنا، فنكمن في غارٍ، حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى مَسجده.. أتيناه فقتلناه، ثم قُلنا: ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون، فيصدِّقون ويعلمون أنَّا قد خرجنا إلى سفرٍ، وكان صالحٌ لا ينام في القرية، بل كان ينام في المسجد، فإذا أصبح.. أتاهم فوَعظهم، فلمَّا دخلوا الغار.. أرادوا أن يخرجوا، فسَقط عليهم الغار فقتلهم، فرأى ذلك ناسٌ ممَّن كان قد اطَّلع

فَأَصْبَحُوا نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ ....

﴿فَأَصْبَحُوا نَٰدِمِينَ﴾ على عقرِها، ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ الموعودُ بِه، فهلَكوا، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

(﴿١٦٠﴾ - ﴿١٦٦﴾) ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: مِن الناسِ، ....

حاشية الصاوي

على ذلك، فصاحوا في القرية: يا عباد الله؛ أما رضي صالح أن أمر بقتل أولادهم حتى قتَلهم؟ فاجتمع أهل القرية على عَقر الناقة[1].

قوله: (﴿نَٰدِمِينَ﴾ على عقرها) إن قلتَ: لِمَ لم يُرْفَعْ عنهم العذاب بسبب نَدمهم؟ أجيب: بأنَّ الندم لم يكن توبةً لهم، على أنَّ ندمهم لخوف نزول العذاب فقط، لا توبةً منهم.

قوله: (﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾) حكمةُ ختْمِ كلِّ قصةٍ في هذه السورة بهذين الاسمين: الإشارةُ إلى أنَّ العذاب النازل بالكفار لا يُغادر منهم أحداً، والرحمة الحاصلة للمؤمنين لا تغادر منهم أحداً، فكلٌّ من مظهر الاسمين ظهر في مستحقِّه.

قوله: (﴿أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾) أي: بسبب السكنى والمجاورة، لا في النَّسب؛ لأنه ابن أخي إبراهيم عليهما السلام، وهما مِن بلاد المشرق من أرض بابل، فنزل إبراهيم بالخليل من أرض الشام، ولوط بسذوم وقُراها.

قوله: (﴿ٱلذُّكْرَانَ﴾) جمع ذكر؛ أي: أَدبارهم.

قوله: (أي: الناس) أي: وكذا غيرهم من الحيوانات الغير العاقلة، فهذه الخصلة القبيحة لم تكن في أحدٍ قبل قوم لوط، ثمَّ لما خُسف بهم.. تُنوسِيَتْ حتى ظهرت في هذه الأمَّة المحمَّدية؛ فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

(١) «تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٣).

وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ ....

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمۚ﴾ أي: أقبالهنَّ؟ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ مُتجاوِزُونَ الحَلالَ إلى الحرام.

﴿١٦٧﴾ ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ عن إنكارِك علَينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ مِن بَلدَتِنا.

(﴿١٦٨﴾ - ﴿١٧٥﴾) ﴿قَالَ﴾ لُوط: ﴿إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾: المُبغِضِينَ. ﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: مِن عذابه، ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا﴾: امرأته ﴿فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: الباقِينَ، أهلَكناها، ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾: أهلَكناهُم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ﴾) أي: أحلَّ وأباح.

قوله: (أي: أقبالهنَّ) أي: لأنه محلُّ نبات البذر، قال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

قوله: (﴿عَادُونَ﴾) أي: متعدُّون.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾) متعلق بمحذوف خبر (إنَّ) أي: لقالٍ من القالين، و﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ صفته، و﴿لِعَمَلِكُم﴾ مُتعلق بالخبر المحذوف، ولا يصح أن يجعل قوله: ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ خبرَ (إن) فيكون عاملاً في ﴿لِعَمَلِكُم﴾؛ لئلا يلزمَ عليه تقديم معمول الصلة على الموصول، وهو (أل) مع أنَّه لا يجوز.

قوله: (أي: من عذابه) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف؛ لأنَّ بقاءه على ظاهره بعيدٌ؛ لِعصمته منه، فطلبُ النَّجاة منه تحصيلٌ للحاصل.

قوله: (﴿وَأَهْلَهُۥٓ﴾) أي: بِنتيه وزوجتَهُ المؤمنةَ.

قوله: (الباقين) أي: في العذاب، قيل: تبعت لوطاً ثم التفَتت لقومها، فنزل عليها حجرٌ، وقيل: لم تتبعه فخُسِفَ بها مع قومها.

قوله: (أهلكناهم) أي: بقَلْبِ قُراهم حتى جعل عاليها سافِلَها.

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ....

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: حِجارةً من جُملة الإهلاكِ، ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ مَطرُهم. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

(﴿١٧٦﴾ - ﴿١٨٠﴾) ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ - وفي قِراءة: بِحَذفِ الهَمزةِ وإلقاءِ حركَتها على اللَّام وفتحِ الهاء: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾) أي: على مَنْ كان منهم خارج القُرى لسفرٍ أو غيرِهِ.

قوله: (مطرهم) هذا هو المخصوص بالذَّمِّ.

قوله: (﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾) هذه آخِر القصص التي ذكرت في هذه السورة على سبيل الاختصار، وقد وقع لفظ (الأيكة) في أربع مواضع[1] في القرآن: في (الحجر)، و(ق)، وهنا، و(ص)؛ فالأولان: بـ(أل) مع الجرِّ لا غير، والأخيران يُقرآن بالوجهين.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[2].

قوله: (بحذف الهمزة) أي: الثانية، وقوله: (على اللام) أي: لام التعريف، وأما الهمزة الأولى حذفت للاستغناء عنها بتحريك اللام؛ لأنها همزة وَصل أُتي بها للتوصل للنطق بالساكن، وفي كلام المفسِّر نظرٌ؛ لأنه يقتضي أنَّ اللام الموجودة لامُ التعريف، وحينئذٍ: فلا يصح قوله: (وفتح الهاء)؛ لأنَّ المقرون بـ(أل) يجرُّ بالكسرة؛ وقع فيه نقلٌ أم لا، قال ابن مالك[3]: [الرجز]

وجُرَّ بالفتحةِ ما لا يَنْصَرِفْ ... ما لم يُضَفْ أو يَكُ بعدَ (أَلْ) رَدِفْ

فالمناسب أن يقول: (وفي قراءة بوزن «ليلة»)؛ ليُفيد أنَّ اللام من بنية الكلمة، وحركتها أصليَّة، وحينئذٍ: فجرُّه بالفتحة ظاهرٌ؛ للعَلميَّة والتأنيث باعتبار البقعة إن كان هذا اللفظ عربيًّا، وللعلميَّة والعجمة إن كان أعجميًّا.

قوله: (وفتح الهاء) في بعض النسخ: (وفتح التاء)، وهي أوضح.

---

(١) كذا في الأصول، والقاعدة تقتضي مخالفة العدد للمعدود.

(٢) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر: (ليكة) بلام واحدة وفتح التاء، والباقون: (الأيكة). انظر «الدر المصون» (٨/ ٥٤٤).

(٣) «الخلاصة»: (باب: المعرب والمبني).

ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ....

هي غَيضةُ شَجرٍ قُربَ مَدينَ ـ ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ لم يَقُل: (أخُوهم) لأنَّه لم يَكُن مِنهُم: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

(﴿١٨١﴾ - ﴿١٨٤﴾) ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾: أتِمُّوهُ ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾: الناقِصِين، ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾: المِيزانِ السَّوِيِّ، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾: لا تُنقِصُوهُم مِن حَقِّهم شَيئاً، ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بِالقَتلِ وغَيرِه، مِن (عَثِيَ) بِكَسرِ المُثلَّثة: أفسَدَ،

حاشية الصاوي

قوله: (هي غيضة شجر) بفتح الغين وبالضاد المعجمة؛ أي: مكانٌ فيه شجرٌ ملتفٌّ بعضُهُ على بعض، وكان شجرُهم الدَّوْم[1].

قوله: (قرب مدين) هي قرية شعيب، سمِّيت باسم أبيها مَدين ابن إبراهيم، وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام.

قوله: (﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾) المراد به شُعيب، وفي جمعه ما علمتَ، وقد أُرْسِلَ شعيبٌ أيضاً لأهل مدين، لكنَّ أهل مدين أُهلكوا بالصيحة، وأصحاب الأيكة أهلكوا بعذاب يوم الظُّلة.

قوله: (لأنه لم يكن منهم) أي: بل كان من مَدين، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥].

قوله: (الناقصين) أي: لحقوق الناس.

قوله: (﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾) أي: فكانوا إذا اكتالوا على الناس.. يَستوفون، وإذا كالُوهم أو وزنوهم.. يخسرون، ومن جملة بَخْسِهم: أنهم يقصُّون الدراهم والدنانير.

قوله: (وغيره) كقطع الطريق.

---

(١) الدَّوم: شجر المقل، وهو شجر عِظام يشبه النخل.

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ....

و﴿مُفْسِدِينَ﴾ حال مُؤكِّدة لِمَعنى عامِلِها ﴿تَعْثَوْا﴾، ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ﴾: الخَليقة ﴿الْأَوَّلِينَ﴾.

(١٨٥ - ١٨٧) ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن﴾ - مُخفَّفة مِن الثَّقيلة واسمُها محذُوف - أي: إنَّهُ ﴿نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ - بِسُكونِ السِّين وفَتحها -: قِطْعةً ﴿مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في رِسالتِك.

حاشية الصاوي

قوله: (لمعنى عاملها) أي: ولفظهما مختلفٌ.

قوله: (﴿وَالْجِبِلَّةَ﴾) بكسر الجيم والباء وتشديد اللام؛ أي: الجماعةَ والأمَمَ المتقدِّمةَ الذين كانوا على خِلْقَةٍ وطبيعةٍ عظيمةٍ كأنَّها الجبال قوَّةً وصلابةً، وهذه قراءة العامَّة، وقرئ شذوذاً بضم الجيم والباء وتشديد اللام، وبفَتح الجيم أو كسرها مع سكون الباء[1].

قوله: (﴿وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾) أتى بالواو هنا دُون قصة صالح؛ مبالغةً في تكذيبه؛ لأنه عند دخول الواو يكون كلٌّ من الأمرَين - التَّسحير والبشرية - مقصوداً، بخلاف تركها فلم يقصد إلا التَّسحير، والثاني دليلٌ له.

قوله: (مخفَّفة من الثقيلة[2]) المناسب أن يقولَ: (مهملة لا عمل لها)؛ لأن المكسورة إذا خُفِّفت قلَّ عملها، والأَولى حمل القرآن على الكثير.

قوله: (بسكون السين وفتحها) قراءتان سبعيَّتان[3].

---

(١) قرأ أبو حصين والأعمش والحسن بضمهما وتشديد اللام، والسلمي بفتح الجيم أو كسرها مع سكون الباء. انظر «الدر المصون» (٨/ ٥٤٩).

(٢) مذهب البصريين أنَّ (إنْ) هذه هي المخففة من الثقيلة؛ أي: وإنَّا نظنُّك، والذي يقتضيه السياق ترجيح مذهب الكوفيين هنا في أنَّ (إنْ) نافية، فإنهم أرادوا بإثبات الواو في ﴿وَمَا أَنتَ﴾ المبالغة في نفي إرساله بتعداد ما يُنافيه، فيكون مرادهم أنه ليس لنا ظنٌّ يتوجه إلى غير الكذب، وهو أبلغ من إثبات الظنِّ به. انظر «السراج المنير» (٣/ ٣٢).

(٣) فتح السينَ حفصٌ، وأسكنها غيره. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٣٣).

قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ....

﴿١٨٨﴾ ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ فيُجازيكُم به.

(﴿١٨٩﴾ - ﴿١٩١﴾) ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾ هي سَحابةٌ أظلَّتهُم بعدَ حَرٍّ شَديد أصابَهُم، فأَمطرت علَيهِم ناراً فاحتَرقُوا، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

(﴿١٩٢﴾ - ﴿١٩٦﴾) ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآنَ ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾: جبريلُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَكَذَّبُوهُ﴾) أي: استمرُّوا على تكذيبه.

قوله: (﴿عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾) روي: أنَّ الله تعالى فتح عليهم باباً من أبواب جهنَّم، وأرسل عليهم حرًّا شديداً، فأخذ بأنفاسهم، فدَخلوا بيوتهم، فلم ينفعهم ظلٌّ ولا ماءٌ، فأنضجهم الحرُّ، فخرَجوا، فأرسل الله تعالى سحابةً فأظلتهم، فوجدوا لها برداً وروحاً وريحاً طيِّبة، فنادى بعضهم بعضاً، فلمَّا اجتمعوا تحت السحابة.. ألهبها الله عليهم ناراً، ورجَفت بهم الأرض، فاحترقوا كما يَحترق الجراد المقلي، فصاروا رماداً، وهذا العذاب الذي حلَّ بهم هو الذي طلَبوه تهكُّماً بشعيب بقولهم: ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الشعراء: ١٨٧][(١)].

قوله: (أصابهم) أي: سبعة أيام، ثم لجؤوا إلى السحابة بعد السبعة الأيام.

قوله: (﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾) شُروعٌ في مدح القرآن ومَنْ أنزله والمنزَلِ عليه، والمعنى: أنَّ هذا القرآن منزلٌ من عند الله تعالى، ليس بشِعرٍ ولا كهانةٍ ولا سحرٍ كما يزعمون.

قوله: (﴿نَزَلَ بِهِ﴾) الباء: للملابسة، والجارُّ والمجرور متعلِّق بمحذوف حال، كأنه قال: نزل به في حال مُلابسته له، على حدِّ: خرج زيد بثيابه.

(١) نقله الثعلبي في «الكشف والبيان» (٤/ ٢٦٢) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً ....

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾: بَيِّن، ـ وفي قراءة: بتشديد (نَزَّل) ونَصب (الرُّوح) والفاعلُ الله ـ، ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: ذِكرَ القُرآن المُنزَّلَ على مُحمَّد ﴿لَفِى زُبُرِ﴾: كُتُبِ ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ كالتَّوراةِ والإنجيلِ.

﴿١٩٧﴾ ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ﴾: لِكُفَّار مكَّة ﴿ءَايَةً﴾ على ذلك ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾) خصَّه بالذكر؛ لأنه سلطان الأعضاء؛ فكلُّ شيءٍ وَصل للقلب وصل لسائر الأعضاء؛ ففي الحديث: «**ألا وإنَّ في الجسد مضغةً إذا صلحت صلَح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه، ألا وهي القلب**»[1]؛ فحيث نَزل على قلبه.. فقد تمكَّن من سائر بدنه، فلا يطرأ عليه بعد ذلك نسيانٌ؛ ولِذا ورد: أنه كان إذا نزل عليه جبريل بالآية.. يريد أن يقرأها بلسانه قبل أن يَتْلُوَها جبريل عليه ظاهراً، حتى أُمِرَ بعدم الاستعجال بالقراءة، قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦][2].

قوله: (﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾) أي: ومن المبشِّرين.

قوله: (﴿بِلِسَانٍ﴾) يصح أن يكون بدلاً من قوله: ﴿بِهِ﴾ بإعادة الجارِّ، ويصح أن يكون متلِّعقاً بـ﴿ٱلْمُنذِرِينَ﴾، والمعنى: لتكونَ من الذين أنذروا بهذا اللسان العربي، وهم هود وصالح وشعيب وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة[3].

قوله: (أي: ذكرَ القرآنِ) دفع بذلك ما يقال: إنَّ ظاهر الآية أنَّ القرآن نفسَهُ ثابتٌ في سائر الكتب مع أنه ليس كذلك، والمراد بذكره: نعتُهُ، والإخبارُ عنه بأنه يَنزل على محمد، وأنه صِدقٌ وحقٌّ.

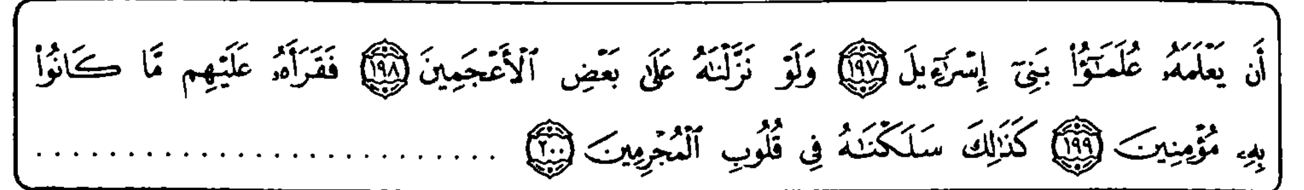
قوله: (﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾) الاستفهام للتوبيخ والتقريع.

---

(١) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) عن سيدنا النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص: (نزل) مخففاً، وباقي السبعة بالتشديد مبنيًّا للفاعل. انظر «الدر المصون» (٨/ ٥٥١).



﴿أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ كعبدِ الله بن سَلام وأصحابِه مِمَّن آمنُوا، فإنَّهم يُخبرُون بذلك، و﴿يَكُن﴾ بِالتَّحتانية ونَصب ﴿ءَايَةً﴾، وبِالفَوقانية ورَفع ﴿ءَايَةٌ﴾.

(﴿١٩٨﴾ - ﴿١٩٩﴾) ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾: جَمع (أَعجَم) ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾ أي: كفَّارِ مكَّة ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ أنفةً مِن اتِّباعِه.

(﴿٢٠٠﴾ - ﴿٢٠٣﴾) ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثلَ إدخالِنا التَّكذِيب به بِقراءةِ الأعجمِ ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾: أَدخَلنا التَّكذِيبَ بِه ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كُفارِ مَكة بِقراءة النَّبي، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وأصحابه) أي: وكانوا أربعةً غيره: أسد وأسيد وثعلبة وابن يامين، فالخمسة من علماء اليهود، وقد حسُن إسلامهم.

قوله: (و«يكن» بالتحتانية، ونصب «آية») على أنه خبر (يكن) مقدَّم، واسمها قوله: ﴿أَن يَعْلَمَهُ...﴾ إلخ.

قوله: (ورفع ﴿ءَايَةٌ﴾[1]) على أنه فاعل بـ(تكن)، وقوله: ﴿أَن يَعْلَمَهُ﴾ بدل من ﴿ءَايَةٌ﴾[2].

قوله: (جمع أعجم) أصله: أعجَمي بياء النسب، خفف بحذفها، وبه اندفع ما يقال: إن (أفعل فعلاء) لا يُجمع جمع المذكر السالم[3].

قوله: (أنَفَةً من اتباعه) أي: تكبُّراً.

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ﴾) معمول لـ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾، والضمير في ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾ للقرآن على حذف مضافٍ، أفاده المفسِّر[4].

---

(١) وبها قرأ ابن عامر، وقرأ الباقون (يكن) بالياء من تحت، (آية) بالنصب. انظر «الدر المصون» (٨/ ٥٥٢).

(٢) هذا إن قدَّرت «تكن» تامة، وإن قدَّرتها ناقصة.. فاسمها ضمير القصة، و﴿أَن يَعْلَمَهُ﴾ مبتدأ و﴿ءَايَةٌ﴾ خبره، والجملة خبر (تكن)، أو: ﴿ءَايَةٌ﴾ اسمها، و﴿لَّهُمْ﴾ خبرها، و﴿أَن يَعْلَمَهُ﴾ بدل أو خبر لمحذوف. وأما تجويز الزجاج كون ﴿ءَايَةٌ﴾ اسمها، و﴿أَن يَعْلَمَهُ﴾ خبرها.. فردُّوه: بأنه يَلزم منه جعل الاسم نكرة، والخبر معرفة، واعتذر له بأن النكرة قد تخصصت بـ(لهم). انظر «مغني اللبيب» (ص٥١٩).

(٣) هذا على رأي البصريين، أما الكوفيون.. فيجيزون جمع (أفعَل فعلاء) جمع المذكر السالم، فعلى هذا: يكون كلام الشارح على ظاهره. «فتوحات» (٣/ ٣١٢).

(٤) في هامش (أ): (والأصل: تكذيبه؛ أي: التكذيب به، فهو من باب الحذف والإيصال. اهـ).

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ ....

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾: مُمهَلُون لِنُؤمِن؟ فيُقال لَهم: لا، فقالُوا: متَى هذا العذابُ؟ قال تعالى:

(﴿٢٠٤﴾ - ﴿٢٠٧﴾) ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ﴾: أخبِرْني ﴿إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ مِن العذاب، ﴿مَآ﴾ ـ استِفهاميَّة بِمَعنَى أيُّ شَيء ـ ﴿أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ في دَفع العَذابِ أو تَخفِيفه، أي: لَم يُغنِ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾) الجملة مستأنفةٌ، أو حال من الهاء في ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾، وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ مقدَّم من تأخير، وأصلُ الكلام: حتى يأتيهم العذاب بغتةً وهم لا يشعرون فيَرونه، فيقولوا: هل نحن مُنظرون ـ أي: مؤخَّرون عن الإهلاك ـ ولو طرفةَ عينٍ فنؤمن؟ فيقال لهم: لا؛ أي: لا تأخير، ولا إمهال.

قوله: (﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾) استفهامُ توبيخٍ وتهكُّمٍ؛ حيث استعجلوا ما فيه هَلاكهم. والفاء للعطف على مقدَّر يقتضيه المقام، تقديره: أيُغْفِلون ما ينزل بهم؟

قوله: (﴿أَفَرَءَيْتَ﴾) معطوف على ﴿فَيَقُولُوا۟﴾، وما بينهما اعتراضٌ، وقوله: ﴿مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ تنازعه (رأيت) يَطلبه مفعولاً أول، و(جاءهم) يطلبه فاعلاً، فأعملنا الأول، وأضمرنا في الثاني ضميراً يعود عليه؛ أي: ثم جاءَهم هو؛ أي: الذي كانوا يُوعدونه، وجملة: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم...﴾ إلخ: في محل نصب سدَّت مَسدَّ المفعول الثاني لـ(رأيتَ).

قوله: (﴿مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾) أي: به، و(ما): اسم موصول.

قوله: (استفهامية) أي: استفهام إنكار؛ كما أشار له بقوله: (أي: لم يغن)، فهذا مُساوٍ في المعنى لقول بعضهم: إنها نافية، وهي على صنيع المفسِّر مفعول مقدم لـ(أغنى)، وقوله: ﴿مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ فاعل بـ﴿أَغْنَىٰ﴾، و﴿مَّا﴾: مصدرية.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾ ....

(٢٠٨ - ٢٠٩) ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾: رُسُل تُنذِر أهلَها، ﴿ذِكْرَىٰ﴾: عِظةً لَهُم، ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ في إهلاكهم بعدَ إنذارِهم. ونَزل رَدًّا لِقَول المُشرِكِين:

(٢١٠ - ٢١٢) ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ﴾: بِالقُرآنِ ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى﴾: يَصلُحُ ﴿لَهُمْ﴾ أن يَنزِلُوا بِه، ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾... إلخ) أي: أنه جرَت عادته سبحانه وتعالى أنَّه لا يُهْلِكُ أهلَ قريةٍ إلا بعد إرسال الرسول إليهم، وعِصيانهم، وذلك تفضُّلٌ منه سبحانه، وإلا.. فلو أهلكهم من أول الأمر.. لا يعدُّ ظالماً؛ لأنه متصرِّفٌ في مُلكه يحكم لا معقب لحكمه، ففِعله دائرٌ بين الفضل والعدل.

قوله: (﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾) الجملة صفة لـ﴿قَرْيَةٍ﴾[1].

فإن قلتَ: لم تركت الواو هنا، وذكرت في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]؟

أجيب: بأن الأصل ترك الواو، وإذا زِيدت.. كانت لتأكيد وصل الصفة بالموصوف؛ كما في قوله: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢].

قوله: (﴿ذِكْرَىٰ﴾) مفعول لأجله؛ أي: لأجل تذكيرهم العواقب.

قوله: (﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾) أي: لا نفعل فعل الظالمين؛ بأن نهلكهم قبل الإنذار، بل لا نهلكهم إلا بعد إتيان الرسل وإمهالهم الزمنَ الطويلَ حتى يتبيَّن لهم الحقُّ من الباطل.

قوله: (ردًّا لقول المشركين) مقول القول محذوفٌ، تقديره: إن الشياطين يُلقون القرآن على لسانه، فهو من جملة الكهنة.

قوله: (﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ﴾) أي: لا يمكنهم.

---

(١) عند من لم يرَ (إلا) مانعةً من الوصفية كالزمخشري وأبي البقاء، وكلام النحويين بخلاف ذلك، فتتعين في الجملة أن تكون حالية. انظر «مغني اللبيب» (ص٥٦٥).

إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ....

﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ﴾ لِكَلامِ المَلائكةِ ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾: مَحجُوبُون بِالشُّهُبِ.

(٢١٣ - ٢١٥) ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ إن فعَلتَ ذلك الذي دَعَوك إلَيه، ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ وهُم بَنُو هاشِم وبَنُو المُطَّلِب، وقد أنذَرَهُم جِهاراً، رَواهُ البُخارِيُّ ومُسلِم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ﴾... إلخ) علة لقوله: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

قوله: (لكلام الملائكة) إن كان المراد كلامهم بالوحي الذي يُبلغونه للأنبياء.. فالشياطين معزولون عنه لا يَصِلون إليه أصلاً، وإن كان المراد به المغيَّبات التي ستقع في العالم.. فكانوا أولاً يسترقونها، فلمَّا وُلِدَ ﷺ.. مُنِعُوا من السماوات، فلما بُعِثَ.. سُلِّطت عليهم الشهب، وحينئذٍ: فقد انسدَّ باب السماء على الشياطين، وانقَطع نزولهم على الكهنة، فبطَل قول المشركين: إنَّ القرآن تنزَّلت به الشياطين على رسول الله ﷺ.

قوله: (﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾) نزل ردًّا لقول المشركين: اعبُد آلهتنا سنة، ونحن نعبد إلهك سنة، والخطاب له ﷺ، والمراد غيره.

قوله: (رواه البخاري ومسلم) أي: فقد ورَد أنه ﷺ قال في إنذاره: **«يا معشرَ قريش؛ اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب؛ لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب؛ لا أُغني عنك من الله شيئاً، يا صفيَّة عمة رسول الله ﷺ؛ لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمةُ بنتَ رسول الله؛ سليني ما شئت من مالي لا أُغني عنك من الله شيئاً»**[1].

وفي رواية: أنه ﷺ صعد على الصفا، فجعل ينادي: **«يا بَني فهر، يا بني عديٍّ»**؛ لبُطون من قريش قد اجتمعوا، فجعل الذي لم يَستطع أن يخرج يرسل رسولاً؛ ليَنظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: **«أريتكم وأخبرتكم أنَّ خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدقيَّ؟»** قالوا: ما جرَّبنا عليك كذباً، قال: **«فإني نذير لكم بين يدَي عذاب شديد»**، فقال أبو لهب: تباً لك، ألهذا جمَعتنا، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ إلى آخر السورة[2].

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواها البخاري (٤٧٧٠) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ ....

﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾: أَلِنْ جانِبَك ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: المُوحِّدِين.

(﴿٢١٦﴾ - ﴿٢٢٠﴾) ﴿فَإِنۡ عَصَوۡكَ﴾ أي: عَشِيرتُك ﴿فَقُلۡ﴾ لَهُم: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ مِن عِبادةِ غَيرِ الله، ﴿وَتَوَكَّلۡ﴾ - بِالواو والفاءِ - ﴿عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾: اللهِ، أي: فَوِّض إِلَيهِ جَميعَ أُمورك، ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إلى الصَّلاةِ ﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ في أركانِ الصَّلاة قائِماً وقاعِداً وراكِعاً وساجِداً ﴿فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ أي: المُصَلِّين، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾) أي: فبعد الإنذار تَواضَعْ لمن آمن منهم، وتبرَّأْ ممَّن بقي على كُفره، ولا تَخَفْ من تحزُّبهم واجتماعهم وكثرتهم؛ فإنَّ الله حافظك وناصرُك عليهم، فتوكَّل عليه.

قوله: (بالواو والفاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]، فعلى الواو: هو معطوف على قوله: ﴿وَأَنذِرۡ﴾، وعلى الفاء: هو بدل من قوله: ﴿فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ﴾.

قوله: (﴿عَلَى ٱلۡعَزِيزِ﴾) أي: الغالب على أمرِه، القاهر لكلِّ مُعارض لأمره.

قوله: (﴿ٱلرَّحِيمِ﴾) أي: بالمؤمن الممتثِل لأمره.

قوله: (﴿حِينَ تَقُومُ﴾) أي: منفرداً، وقوله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ أي: مع الجماعة.

قوله: (إلى الصلاة) لا مفهوم لها، بل يَراه حين يقوم للجهاد، وللخطبة، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وغير ذلك من سائر تنقُّلاته، وإنما خصَّ الصلاة؛ لأنها أعظَم أركان الإسلام بعد الشهادتين، ولأنَّ قرَّة عينه فيها؛ لما في الحديث: «**وجُعلت قرَّة عيني في الصلاة**»[2]، والمراد برؤيته إيَّاه: زيادة تجلِّي الرحمة عليه، وإلَّا.. فرؤيةُ الله حاصلةٌ لكلِّ مخلوقٍ.

قوله: (﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾) ﴿فِي﴾: على كلام المفسِّر بمعنى (مع)، وقيل: إنَّ (في) على بابها، والمراد بالساجدين: المؤمنين، والمعنى: يراكَ متقلِّباً في أصلاب وأرحام المؤمنين مِن آدم إلى عبد الله، فأصوله جميعاً مؤمنون.

---

(١) قرأ المدنيان والشامي بالفاء، وغيرهم بالواو. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٣٣).

(٢) رواه النسائي في «المجتبى» (٧/ ٦١) عن سيدنا أنس بن مالك ﷺ.

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ....

(﴿٢٢١﴾ - ﴿٢٢٣﴾) ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ أي: يا كُفَّارَ مكَّة ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ - بِحَذفِ إحدَى التَّاءَين مِن الأصل - ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾: كَذَّاب ﴿أَثِيمٍ﴾: فاجِرٍ مِثلِ مُسَيلِمة وغَيره مِن الكَهَنة، ﴿يُلْقُونَ﴾ أي: الشَّياطِينُ ﴿ٱلسَّمْعَ﴾ أي: ما سَمِعُوهُ مِن المَلائكةِ إلى الكَهَنة، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾: يَضُمُّون إلى المَسمُوع كَذِباً كَثِيراً، ....

حاشية الصاوي

وأورد على هذا: آزر أبو إبراهيم؛ فإنه كان كافراً، وأجيب بجوابَين:

الأول: أنه كان عمَّه، واسم أبيه تارخ.

الثاني: أنه كان أباه حقيقةً، وقولهم: (إن أصوله ﷺ ليسوا كفاراً) محلُّه: ما دام النُّور المحمَّديُّ في الواحد منهم، فإذا انتَقل لمن بعده.. فلا مانع من أن يعبد غير الله، وحينئذٍ: فآزر ما كفر إلا بعد انتِقال النور منه إلى إبراهيم وَلده.

قوله: (﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾... الخ) هذا ردٌّ لقولهم: إنه كاهن.

قوله: (﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾) الجارُّ والمجرور متعلق بـ﴿تَنَزَّلُ﴾، والجملة في محل نصب سادَّة مسدَّ المفعول الثاني والثالث إن جُعِلَ ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾ متعدياً لثلاثة، ومسدَّ الثاني فقط إن جُعِلَ متعدِّياً لاثنين.

قوله: (وغيره) أي: كالسَّطيح[1].

قوله: (من الكهنة) جمع كاهِن، وهو: الذي يُخبر عن الأمور المستقبلة، والعرَّاف هو: الذي يخبر عن الأمور الماضية.

قوله: (﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾) يحتمل أن الضمير عائد على ﴿ٱلشَّيَٰطِينِ﴾، والمعنى: يُلقون ما سمعوه إلى الكهنة، ويحتمل أنه عائد على ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾، والمعنى: يُلقون ما سمعوه من الشياطين إلى عوامِّ الخلق، أو المعنى: يصغون إلى الشياطين بكلِّيَّتهم حين يسمعون منهم.

قوله: (﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾) الضمير إمَّا عائد على الشياطين أو الكهنة، والأكثريَّة باعتبار

(١) سطيح الغساني الكاهن، واسمه: ربيع بن ربيعة بن مسعود، وقد بلغ من الكهانة ما لم يبلغه أحد، وكان يسمى كاهن الكهان. انظر «البداية والنهاية» (٢/ ١٩٧).

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ ....

وكان هذا قبلَ أن حُجِبَت الشَّياطِين عن السَّماء.

(﴿٢٢٤﴾ - ﴿٢٢٦﴾) ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ في شِعرِهم فيقُولُون بِه ويَروُونَه عنهُم، فهُم مَذمُومُون، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَعلَم ﴿أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ﴾ مِن أودِيةِ الكَلام وفُنُونِه ﴿يَهِيمُونَ﴾: يَمضُونَ، فيُجاوِزُون الحَدَّ مَدحاً وهِجاء، ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾: فعَلنا ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾: يَكذِبُون.

حاشية الصاوي

الأقوال؛ أي: أكثر أقوالهم كاذبون فيها، والأقل فيها صدق، وليس المراد: أنَّ الأقل فيهم صادق، بل الكل أطبَقوا على الكذب[1]، وأكثر الكلمات كذب، وأقلُّها صدق.

قوله: (وكان هذا قبل أن حجبت الشياطين عن السماء) دفع بذلك التناقض بين ما هنا وما تقدَّم في قوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾، وحاصل ذلك: أنَّ هذه الآيةَ إخبارٌ من الله عن الشياطين قبل عزلهم عن السماوات، وتمثيله بمسيلِمَةَ باعتبار ما كان قبل وجوده ﷺ، وأمَّا بعد وجوده.. فلم يَصل لمسيلِمَةَ ولا غيرِهِ شيءٌ من الشياطين.

قوله: (﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾) أي: الذين يَستعملون الشعر، وهو: الكلام الموزون بأوزان عربية، المقفَّى قصداً، والمراد: شعر الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ، منهم: عبد الله بن الزبعرى السهمي، وهُبيرة بن أبي وهب المخزومي، ومسافع بن عبد مناف، وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي، وأُمية بن أبي الصلت الثقفي، تكلموا بالكذب والباطل، وقالوا: نحن نقول مثل ما يقول محمد، وقالوا الشعر، واجتمع إليهم غُواة قومهم يسمعون أشعارهم.

قوله: (من أودية الكلام وفُنونه) أشار بذلك إلى أنَّ الشعراء يخوضون في كلِّ كلام، فهم مشبَّهون بالهائم في الأودية الذي لا يدري أين يتوجَّه.

قوله: (يَمضون) أي: يخوضون.

قوله: (أي: يكذبون) أي: لأنهم يمدحون الكرم والشجاعة ويحثُّون عليهما ولا يفعلون ما ذكر، ويذمُّون ضدَّها ويصرُّون عليه، ويهجون الناس بأدنى شيءٍ صدر منهم.

---

(١) في (ب): (طبعوا) بدل (أطبقوا).

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ....

(٢٢٧) ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مِن الشُّعراءِ، ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي: لَم يَشغَلْهُم

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾) سبب نزولها: أنَّ كعب بن مالك قال للنبي ﷺ: قد أنزل في الشعر، فقال النبي ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده؛ لكأنَّ ما ترمونهم به نضحُ النبل»[١]، وقوله: (قد أنزل في الشعر) أي: أنزل القرآن في ذمِّ الشعر وأهلِهِ.

قوله: (من الشعراء) أي: ومنهم حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك وغيرهم.

واعلم: أنَّ الشعر منه مذمومٌ، وهو مدحُ مَنْ لا يجوز مدحُهُ، وذمُّ من لا يجوز ذمُّهُ، وعليه تتخرج الآية الأولى وقولُهُ عليه السلام: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خيرٌ له من أن يمتلئ شعراً»[٢].

ومنه ممدوحٌ، وهو مدح من يجوز مدحه، وذمُّ من يجوز ذمُّهُ، وعليه تتخرج الآية الثانية وقولُهُ عليه السلام: «إن من الشعر لحِكمة»[٣].

وقال الشعبي: كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان عثمان يقول الشعر، وكان علي أشعر الثلاثة.

وروي عن ابن عباس: أنه كان يُنشد الشعر في المسجد ويستنشد، فروي أنه دعا عمرو بن أبي ربيعة المخزوميَّ، فاستنشده قصيدةً، فأنشده إياها، وهي قريب من تسعين بيتاً، ثم إنَّ ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حَفظها من مرة واحدة.

وروي أنه عليه السلام قال يوم قُريظة لحسان: «اهجِ المشركين؛ فإنَّ جبريل معك»[٤]، وكان يضع له منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً، يفاخر عن رسول الله ﷺ وينافح، ويقول رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح ـ أو فاخر ـ عن رسول الله»[٥].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٦/١٤٨).

(٢) رواه البخاري (٦١٥٥)، ومسلم (٢٢٥٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، دون قوله: (ودماً).

(٣) رواه البخاري (٦١٤٥) عن سيدنا أبيِّ بن كعب رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٤١٢٤) عن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنهما.

(٥) رواه أبو داوود (٥٠١٥) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ....

الشِّعر عن الذِّكر، ﴿وَٱنتَصَرُواْ﴾ بِهَجوِهِم الكُفَّار ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ بِهَجوِ الكُفَّار لَهُم في جُملةِ المُؤمِنين، فلَيسُوا مَذمُومِين، قال الله تَعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن

حاشية الصاوي

وروي عن عائشة ﷺ: (أن رسول الله ﷺ قال: «**اهجوا قريشاً؛ فإنه أشدُّ عليها من رشق النَّبْل**»، فأرسل ابن رواحة، فقال: «**اهجُهم**»، فهجاهم، فلم يرضَ، وأرسل كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلمَّا دخل عليه حسان.. قال: قد آن لكم أن تُرسلوا إلى هذا الأسود الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه، فجعل يحرِّكه، فقال: والذي بعَثك بالحق؛ لأفرينَّهم بلساني فَرْيَ الأديم، فقال النبي ﷺ: «**لا تعجل؛ فإنَّ أبا بكر أعلَم قريش بأنسابها، وإنَّ لي فيهم نسباً حتى يخلِّص لك نسَبي**»، فأتاه حسان، ثم رجع فقال: والذي بعثك بالحق نبيًّا؛ لأسلَّنك منهم كما تُسَلُّ الشعرة من العجين. قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: «**إنَّ الله يُؤيدك بروح القدس، لا يزال يُؤيدك ما نافحت عن رسوله**»، قالت: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**هجاهم حسان، فشفَى واشتفى**»، فقال حسان: [الوافر]

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الجَزَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّداً بَرًّا تَقِيًّا ... رَسُولَ اللهِ شِيمَتُهُ الوَفَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَتِي وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ
ثَكِلْتُ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ
يُبَارِينَ الأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظِّمَاءُ
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ... تُلَطِّمُهُنَّ بِالخُمُرِ النِّسَاءُ
فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَانَ الفَتْحُ وَانْكَشَفَ الغِطَاءُ
وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَوْمٍ ... يُعِزُّ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَقَالَ اللهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْداً ... يَقُولُ الحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ
وَقَالَ اللهُ: قَدْ سَيَّرْتُ جُنْداً ... هُمُ الأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ
تُلاقِي كُلَّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ ... سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

ظُلِمَۚ﴾ [النساء: ١٤٨]، ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ مِن الشُّعراء وغَيرِهم ﴿أَىَّ مُنقَلَبٍ﴾: مَرجِع ﴿يَنقَلِبُونَ﴾: يَرجِعُون بعدَ المَوت.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللهِ فِينَا ... وَرُوحُ القُدْسِ لَيْسَ لَهُ خَفَاءُ[1]

قوله: (قال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾) استِدلال على جواز هَجْوِهم الكفار في مقابلة هَجو الكفار لهم، وقوله: (﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾... إلخ) استدلال على شَرط المماثلة في المقابلة؛ فلا يجوز للمظلوم أن يزيدَ في الذَّمِّ على ما ظلم به من الهجو.

قوله: (﴿أَىَّ مُنقَلَبٍ﴾) معمول لـ﴿يَنقَلِبُونَ﴾ الذي بعده، لا لما قبله؛ لأنَّ الاستفهام له الصدر، وهو مفعول مطلق؛ أي: ينقلبون أيَّ انقلاب، والجملة سادة مَسدَّ مفعولي (يعلم)، والمعنى: يرجعون مرجعاً سيئاً؛ لأنَّ مصيرهم إلى النار، وهو أقبح مرجع وأشرُّه[2].

✿ ✿ ✿

(١) رواه بطوله الإمام مسلم (٢٤٩٠).

(٢) كذا في الأصول في بناء التفضيل منه، ولا يكادون يستعملونه إلا على لغة لبني عامر، وقرئ في الشاذ: (من الكذاب الأَشَرُّ) على هذه اللغة. انظر «شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ٥٣).

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١﴾ ....



مَكِّيَّة، وهي ثلاثٌ أو أربعٌ أو خمسٌ وتِسعونَ آيةً.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

۝١ ﴿طسٓۚ﴾ الله أعلَم بِمُرادِهِ بِذلك. ﴿تِلۡكَ﴾ أي: هَذِه الآياتُ ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾: آياتٌ مِنهُ، ﴿وَكِتَابٖ مُّبِينٍ﴾: مُظهِر لِلحَقِّ مِن الباطِل، عَطف بِزِيادةِ صِفة.

حاشية الصاوي

سُورَةُ النَّمْلِ

(مكيَّة) أي: كلُّها، وقد اشتملت هذه السورة على خمس قِصص: الأولى: قصة موسى مع فرعون، الثانية: قصة النملة، الثالثة: قِصة بلقيس، الرابعة: قصة صالح مع قومه، الخامسة: قصة لوط مع قومه، وما بقي منها حكمٌ ومَواعظ.

قوله: **(ثلاث أو أربع... إلخ)** أي: إنه اختلف في النيِّف الزائد على التسعين على ثلاثة أقوال.

قوله: **(الله أعلم بمراده بذلك)** تقدَّم أنَّ هذا القول أسلَم، وعليه: فليس لهذا اللفظ محلٌّ من الإعراب؛ لأنه فرع معرفة المعنى، والموضوع أنه لم يُعرف.

قوله: **(﴿تِلۡكَ﴾)** مبتدأ، و﴿ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ خبره، واسم الإشارة عائدٌ على ما في هذه السورة.

قوله: **(آيات منه)** أشار بذلك إلى أنَّ الإضافة على معنى (مِن) كما تقول: جلست مع زيد ساعة الليل؛ تريدُ: ساعة منه.

قوله: **(مظهرٍ للحقِّ من الباطلِ)** أي: فالحقُّ صار بالقرآن ظاهراً واضحاً، والباطل كذلك.

قوله: **(عطف بزيادة صفة)** جوابٌ عمَّا يقال: لم عطف الكتاب على القرآن مع أنهما يتَّحدان معنى؟ فأجاب: بأنه سَوَّغ ذلك وصف الكتاب بصفةٍ لم تكن في القرآن.

هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ ....

﴿٢﴾ هو ﴿هُدًى﴾ أي: هادٍ مِن الضَّلالةِ، ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: المُصَدِّقِين بِهِ بِالجنَّة.

﴿٣﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: يَأْتُونَ بِها على وَجهِها، ﴿وَيُؤْتُونَ﴾: يُعطُون ﴿ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: يَعلَمُونها بِالاستِدلال، وأُعِيد ﴿هُمْ﴾ لَمَّا فُصِلَ بَينه وبينَ الخَبر.

﴿٤﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ القَبِيحةَ بِتَركِيب الشَّهوة حتَّى رَأَوها

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هُدًى﴾) خبرٌ لمحذوفٍ، قدَّره المفسر بقوله: (هو)، فالجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدَّر، تقديره: ما فائدةُ الإتيان به، وما الثمرة المترتبة عليه؟ فأجاب: بأنه هدى وبشرى للمؤمنين.

قوله: (أي: هادٍ من الضلالة) هذا أحد احتمالات في تفسير الهدى، ويحتمل أن المراد: ذو هدى، أو بُولغ فيه حتى جعل نفس الهدى؛ على حدِّ ما قيل في: زيد عدل.

قوله: (﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾) حذف من الأول؛ لِدلالة الثاني عليه، فالقرآن هدى للمؤمنين وبُشرى لهم، لا للكافرين؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤]، وخصَّ المؤمنين بالذكر؛ لأنهم المعتنى بهم، المشرَّفون بخدمته تعالى.

قوله: (يأتون بها على وجهها) أي: بشروطها وأركانها وآدابها على الوجه الأكمَل.

قوله: (﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾) أي: الواجبة لِلأصناف الثمانية.

قوله: (﴿وَهُم﴾) مبتدأ، و﴿يُوقِنُونَ﴾ خبره، و﴿بِٱلْآخِرَةِ﴾ متعلق بـ﴿يُوقِنُونَ﴾.

قوله: (يعلمونها بالاستدلال) أي: من الآيات القُرآنية والأحاديث النبوية؛ فمن شكَّ في ذلك.. فقد كفر.

قوله: (لما فصل بينه وبين الخبر) أي: بمتعلق الخبر وهو قوله: ﴿بِٱلْآخِرَةِ﴾.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾) مقابل قوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ...﴾ إلخ على عادتِه سبحانه وتعالى؛ متى ذكر وصف المؤمنين.. يعقبه بذكر ضدِّهم.

قوله: (﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾) أي: حسَّنَّاها لهم؛ بأن جعلناها محبوبةً لأنفسهم، وهي في الواقع ليست حسنة، وإنما ذلك ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، قال الشاعر: [البسيط]

فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ....

حَسَنة، ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾: يَتحيَّرُون فِيها لِقُبحِها عِندَنا.

﴿٥﴾ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾: أَشَدُّه في الدُّنيا: القَتلُ والأسر، ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ لِمَصِيرِهِم إلى النَّار المُؤبَّدة علَيهِم.

﴿٦﴾ ﴿وَإِنَّكَ﴾ - خِطاب لِلنَّبيِّ ﷺ - ﴿لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ﴾: يُلقَى علَيك بِشِدَّةٍ، ﴿مِن لَّدُنْ﴾: مِن عِند ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ في ذلك.

﴿٧﴾ اذكُر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ﴾: زَوجَته عِند مَسِيرِه مِن مَدينَ إلى مِصر: ﴿إِنِّي آنَسْتُ﴾: أبصَرتُ مِن بَعِيد ﴿نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن حال الطَّرِيق، ....

حاشية الصاوي

يُقْضَى عَلَى المَرْءِ فِي أَيَّامِ مِحْنَتِهِ ... حَتَّى يَرَى حَسَناً ما لَيْسَ بِالحَسَنِ

قوله: (يتحيَّرون فيها) أي: لِتعارض تزيين الشياطين وإخبار الرحمن، ولم تكن لهم بصيرةٌ يميِّزون بها الحسن من القبيح؛ فأهل الكفر متحيِّرون في كفرهم؛ لكونهم في ظلماتٍ، ومن المعلوم أنَّ السائر في الظلمات متحيِّرٌ، بخلاف السائر في النور، فأهل الإيمان مُصدِّقون مصمِّمون على اعتقادهم، وأهل الكفر متشكِّكون متحيِّرون.

قوله: (﴿هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾) أي: أنَّ خسرانهم في الآخرة أشدُّ من خُسرانهم في الدنيا؛ لدوام العذاب عليهم في الآخرة.

قوله: (بشدَّة) أخذ ذلك من تشديد الفعل.

قوله: (﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾) أي: مِنْ عند مَنْ يضع الشيء في محلِّه، العالم بالكلِّيَّات والجزئيَّات، فذكرُ وصفِ العِلم بعد الحكمة مِنْ ذكر العامِّ بعد الخاصِّ.

قوله: (اذكر) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرف لمحذوف، والمعنى: اذكُر يا محمد لقومك قصَّة موسى وما وَقع له.

قوله: (زوجتِهِ) أي: بنتِ شعيبٍ؛ أي: وولدِهِ وخادمِهِ.

قوله: (عند مَسيره من مدين) أي: ليَجتمع بأمِّه وأخيه بمصر، وكان في ليلة مُظلمة باردة مثلجة، وقد ضلَّ عن الطريق، وأخذ زوجتَهُ الطَّلْقُ.

أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا

وكان قد ضَلَّها، ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ - بالإضافةِ لِلبَيانِ وتَرْكِها - أي: شُعلةِ نار في رَأس فَتِيلة أو عُود، ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: تَستَدفِئُون من البَرد. والطَّاء بَدَل مِن تاءِ الافتِعال، مِن (صَلِيَ بِالنَّار) بِكَسرِ اللَّام وفَتحها.

﴿٨﴾ ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ﴾ أي: بِأن ﴿بُورِكَ﴾ أي: بارَكَ الله ﴿مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ أي: مُوسى ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: المَلائكة، أو العَكس، و(بارَك) يَتعدَّى بِنَفسِه وبِالحرفِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: **(وكان قد ضلَّها)** أي: تاه عنها.

قوله: (﴿أَوْ ءَاتِيكُم﴾) (أو): مانعةُ خلوٍّ تُجوِّزُ الجمع.

قوله: **(أي: شُعلة نار)** أي: بشُعلة مقتبسة من النار، فالإضافة لبيان الجنس كما قال المفسِّر؛ لأنَّ الشهاب يكون من النار وغيرها كالكوكب.

قوله: **(بدل من تاء الافتعال)** أي: لأنها وقعت بعد الصاد، وهي مِن حروف الإطباق، فقلبت طاءً على القاعدة المعلومة.

قوله: **(بكسر اللام)** أي: من باب (تَعب)، وقوله: **(وفتحها)** أي: من باب (رمى).

قوله: (﴿نُودِىَ﴾) أي: ناداه الله.

قوله: **(أي: بأن)** أشار بذلك إلى أنَّ (أن) مصدرية، وما بعدها في تأويل مصدر، وحرف الجرِّ مقدَّرٌ قبلها؛ أي: نُودي ببركة من في النار... إلخ؛ أي: بتقديسه وتطهيره ممَّا يشغل قلبه عن غير الله، وتخليصه للنبوة والرسالة؛ أي: ناداه الله بأنَّا قدَّسناك وطهَّرناك واخترناك للرسالة؛ كما تقدَّم في (طه) حيث قال: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ...﴾ [١٣] إلخ.

قوله: (﴿مَن فِى ٱلنَّارِ﴾) هو نائب فاعل ﴿بُورِكَ﴾، وهذا تحيَّةٌ لموسى وتكرمةٌ له.

قوله: **(أو العكس)** أي: فتفسَّر (مَنْ) الأولى بالملائكة، والثانية بموسى، وعلى هذا التفسير فلا يحتاج لتقدير مضاف.

قوله: **(يتعدَّى بنفسه)** أي: فيقال: باركك الله.

قوله: **(وبالحرف)** أي: اللام، وفي، وعلى.

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠﴾ . . . .

ويُقدَّرُ بَعد ﴿فِى﴾ (مَكان)، ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مِن جُملةِ ما نُودِي، ومَعناهُ تَنزيه الله مِن السُّوء.

(۝٩ - ۝١٠) ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ﴾ أي: الشأنَ ﴿أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها، ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾: تَتحرَّك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾: حَيَّة خَفيفةٌ ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: يَرجِع، قال تَعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ مِنها؛ ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ﴾ عِندِي ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ مِن حَيَّةٍ وغيرِها.

حاشية الصاوي

قوله: (ويقدَّر بعد «في» مكان) أي: على التفسير الأول؛ فيقال: أي: بُورك مَنْ في مكان النار، وإنما احتيج لهذا التقدير؛ لأنَّ موسى إذ ذاك لم يكن في النار حقيقةً، بل كان في المكان القريب منها.

قوله: (من جملة ما نودي) أي: به[1]، وإنما أتى بالتنزيه هنا؛ لِدفع ما يتوهم أنَّ الكلام الذي سمعه في ذلك المكان بحرفٍ وصوتٍ، أو كونِ الله في مكانٍ أو جهةٍ.

قوله: (﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾) لم يقُل هنا: (وأن) كما في (القصص)؛ لأنه هنا ذُكِرَ بعد (أن) فعلٌ، فحسُنَ عطف ﴿أَلْقِ﴾ عليه، وما يأتي لم يذكر، فقصد عطف ﴿وَأَنْ أَلْقِ﴾ على قوله: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ. . .﴾ إلخ.

قوله: (﴿تَهْتَزُّ﴾) حال من ضمير ﴿رَءَاهَا﴾.

قوله: (حيَّة خفيفة) أي: في سرعة الحركة، فما يُنافي عِظَمَ جثَّتها.

قوله: (يرجع) أي: لم يرجع على عَقبه.

قوله: (﴿لَا تَخَفْ﴾ منها) أي: لأنك في حضرتي، ومن كان فيها.. فهو آمنٌ، لا يَخطر بباله خوفٌ من شيء.

---

(١) في (ط٢): (أي: أتى به).

إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً ...

﴿١١﴾ ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿مَن ظَلَمَ﴾ نفسه ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾ أتاهُ ﴿بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ أي: تابَ، ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أقبل التَّوبةَ وأغفِر له.

﴿١٢﴾ ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾: طَوْقِ قَميصك ﴿تَخْرُجْ﴾ خِلاف لَونها مِن الأُدْمة ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: بَرَص لَها شُعاع يُغشِي البَصرَ، آيةً ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ مُرسَلاً بها ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.

(﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾) ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ أي: مُضِيئةً واضِحة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (لكن ﴿مَن ظَلَمَ﴾... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الاستثناء مُنقطع، و﴿مَن ظَلَمَ﴾: مبتدأ، وقوله: ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ﴾: خبره.

قوله: (أتاه) أي: عَمله.

قوله: (طوق القميص) إنما لم يَأمره بإدخالها في كمِّه؛ لأنه كان عليه مدرعةٌ صغيرةٌ من صوف لا كمَّ لها، وقيل: لها كمٌّ قصيرٌ.

قوله: (﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾) جواب لِقوله: (أدخل).

قوله: (لها شعاعٌ) أي: لمعانٌ وإشراقٌ.

قوله: (آية) أشار إلى أنَّ ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ في محل نصب، متعلق بمحذوف حال أخرى من ضمير ﴿تَخْرُجْ﴾، وقد صرَّح بهذا المحذوف في سورة (طه)؛ حيث قال هناك: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾، فالمعنى هنا: حال كونها آيةً مندرجةً في جملة الآيات التسع.

قوله: (﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾) متعلِّق بما قدَّره المفسِّر، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا...﴾ إلخ: تعليلٌ لذلك المقدَّر.

قوله: (﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا﴾) أي: جاءهم موسى بها، وقوله: (﴿مُبْصِرَةً﴾) اسم فاعل، والمراد به المفعول، أطلق اسم الفاعل على المفعول؛ إشعاراً بأنها لفرط وضوحها وإنارتها كأنها تبصر نفسها.

قوله: (أي: مضيئة) أي: إضاءةً معنويَّةً في جميعها، وحسِّيَّةً في بعضها وهو اليَد.

قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ....

﴿قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: بيِّن ظاهِر، ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ أي: لَم يُقِرُّوا ﴿وَ﴾ قد ﴿اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ أي: تيقَّنُوا أنَّها مِن عِند الله ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾: تَكبُّراً عن الإيمانِ بِما جاء بِه مُوسى راجِع إلى الجَحد، ﴿فَانظُرْ﴾ يا مُحمَّد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ الَّتي عَلِمتَها من إهلاكِهم.

﴿١٥﴾ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿عِلْمًا﴾ بِالقَضاء بينَ النَّاس ومَنطِق الطَّير وغيرِ ذلك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالُوا هَٰذَا﴾) أي: ما نُشاهده من الخوارق التي أتى بها موسى.

قوله: (﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾) حال من الواو في ﴿جَحَدُوا﴾؛ ولذا قدِّر فيه (قد).

قوله: (أي: تيقَّنوا... إلخ) أشار به إلى أن السين زائدة.

قوله: (راجع إلى الجحد) أي: على أنه علَّة له.

قوله: (﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾) ﴿كَيْفَ﴾: خبر مقدم لـ﴿كَانَ﴾، و﴿عَاقِبَةُ﴾: اسمها مؤخَّر، والجملة في محل نصبٍ على إسقاط الخافض[1].

قوله: (من إهلاكهم) أي: بِالإغراق على الوجه الهائل الذي هو عبرةٌ للعالمين.

قوله: (﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾) هو بالمدِّ بمعنى: (أعطينا)، وهو شروعٌ في القصَّة الثانية، وكان لداوود تسعة عشر ولداً، أجلُّهم سليمان، وعاش داوود مئة سنة، وسليمان ابنه نيِّفاً وخمسين سنة، وبين داوود وموسى خمس مئة سنة وتسع وستون سنة، وبين سليمان ومحمد ﷺ ألف وسبع مئة سنة.

قوله: (بالقضاء بين الناس) أي: وهو علم الشَّرائع.

قوله: (ومنطقِ الطير) أي: تصويتِهِ.

قوله: (وغير ذلك) أي: كتسبيح الجبال.

---

(١) لأنها معلقة لـ«انظر» بمعنى: تفكر. انظر «الدر المصون» (٨/ ٥٨١).

وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ....

﴿وَقَالَا﴾ شُكراً لله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾ بِالنُّبوَّةِ وتَسخيرِ الجِنِّ والإنس والشَّياطينِ ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿١٦﴾ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ النُّبوَّةَ والعِلمَ دُون باقي أولادِه، ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ أي: فهمَ أصواتِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾) أي: شكر كلٌّ منهما ربَّه على ما أنعم عليه به.

قوله: (﴿ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾) أي: أعطانا هذا الفضل العظيم.

قوله: (وتسخير الجن والإنس... إلخ) ظاهره: أنَّ هذا كان لكلٍّ من داوود وسليمان، وهو كذلك، إلا أنَّ سليمان فاق أباه وكانت له السَّلطنةُ الظاهرة.

قوله: (﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾) أي: الذين لم يُؤْتَوْا مثلنا، وهذه مزيَّةٌ، وهي لا تقتضي الأفضلية؛ فداوود وسليمان وإن أعطيا تلك المزايا فأولو العزم أفضل منهما؛ لأنَّ التَّفضيل من الله، لا بالمزايا.

قوله: (﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾) أي: قام مَقامه في ذلك دون سائر بَنيه التسعة عشر، مع كون النُّبوة والعطايا التي مع داوود مستمرَّةً معه، وليس المراد أن نبوَّة داوود وعطاياه انتقلت منه لسليمان وصار داوود بلا شيء.

قوله: (﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾) أي: قال سليمان لبني إسرائيل شكراً لله على نِعمه.

قوله: (﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾) أي: فهَّمنا الله أصوات الطير، ولا مفهوم للطير، بل كان الزرع والنبات يكلِّمه ويفهم كلامه.

ورد: أنَّ سليمان كان جالساً إذ مرَّ به طائرٌ يطوف، فقال لجلسائه: أتدرون ما يقول هذا الطائر؟ إنها قالت لي: السلام عليك أيها الملك المسلَّط، والنبيُّ لبني إسرائيل، أعطاك الله الكرامة، وأظهرك على عدوِّك، إني منطلق إلى أفراخي ثم أمرُّ بك الثانية، وإنه سيرجع إلينا الثانية، ثم رجع، فقال لهم: يقول: السلام عليك أيها الملك المسلَّط؛ إن شئتَ أن تأذن لي كيما أكتسب على أفراخي حتى يشبُّوا ثم آتيك فافعل بي ما شئتَ، فأخبرهم سليمان بما قال، وأذن له، فانطلق.

. . . .

حاشية الصاوي

ومرَّ سليمان على بُلبل فوق شجرة يحرِّك رأسه ويُميل ذنبه، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول هذا البلبل؟ قالوا: لا يا نبي الله، قال: إنه يقول: أكلتُ نصف تمرة، فعلى الدنيا العفاء.

ومرَّ بهدهد فوق شجرة وقد نصب له صبي فخًّا فخاف، فقال له سليمان: احذر، فقال الهدهد: يا نبيَّ الله؛ هذا صبي ولا عقلَ له، فأنا أسخر به، ثم رجع سليمان فوجده قد وقع في حبالة الصبي وهو في يَده، فقال له: ما هذا؟ قال: ما رأيتها حين وَقعت بها يا نبيَّ الله، قال: ويحك؛ فأنت ترى الماء تحت الأرض، أما ترى الفخ؟! فقال: يا نبيَّ الله إذا نزل القضاء.. عَمي البصر.

وصاح وَرَشَان[1] عند سليمان بن داوود، فقال سليمان: أتدرون ما يقولُ؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: لِدُوا للموت، وابنُوا للخراب.

وصاحت فاختة، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: ليت الخلق لم يُخلقوا، وليتهم إذ خُلِقُوا عملوا ما خُلقوا له.

وصاح عنده طاووس، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: كما تَدِينُ تُدَانُ.

وصاح عنده هدهد، فقال: أتدرُون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: من لا يَرْحَم.. لا يُرْحَم.

وصاح عنده صُرَد، فقال: أتدرُون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: استغفروا الله يا مُذنبون[2]. فمن ثَمَّ نهى رسول الله ﷺ عن قَتله[3]، وقيل: إنَّ الصرد هو الذي دلَّ آدم على مكان البيت؛ ولِذلك يقال له: الصرد الصرام.

---

(١) الورشان: بفتح الواو والراء، طائر شبه الحمام، وهو ذكر القماري، ويجمع على ورشان بكسر الواو وسكون الراء، ووراشين. «المصباح المنير»، مادة: (و ر ش).

(٢) ما أورده المفسر من كلامه عليه السلام مع الطيور رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٧/ ١٩٣)، وكلها من الإسرائيليات.

(٣) كما رواه أبو داوود (٥٢٦٧) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما، وابن ماجه في «سننه» (٣٢٢٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، والصرد: طائر فوق العصفور يصيد العصافير، ضخم الرأس والمنقار، له ريش عظيم، نصفه أبيض ونصفه أسود. انظر «حياة الحيوان» (٢/ ٨٣).

. . . .

حاشية الصاوي

وصاحت عنه طيطرجى[١]، فقال: أتدرون ما تَقول؟ قال: إنها تقول: كلُّ حيٍّ ميِّت، وكلُّ جديد بالٍ.

وصاحت عنده خُطَّافَةٌ، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: قدِّموا خيراً تجدوه. فمن ثمَّ نهى رسول الله ﷺ عن قَتلها[٢].

وقيل: إنَّ آدم خرج من الجنة، فاشتكى إلى الله تعالى الوَحشة، فآنسه الله بالخُطَّاف، وألزمها البيوت، فهي لا تفارق بَني آدم أنساً لهم، وقال: ومعها أربع آيات من كتاب الله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ. . .﴾ الآية إلى آخرها، وتمدُّ صوتها بقوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢١-٢٤].

وهدرت حمامة عند سليمان، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: سُبحان ربي الأعلى عددَ ما في السماوات والأرض.

وصاح قُمريٌّ عند سليمان، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: سبحان ربي العظيم المهيمِن.

قال كعب: وحدَّثهم سليمان فقال: الغراب يقول: اللَّهم العن العشَّار[٣]، والحدأ يقول: كلُّ شيءٍ هالك إلا وجهه، والقَطاة تقول: مَنْ سكت سَلِم، والببغاء تقول: ويلٌ لمن الدنيا همُّهُ، والضفدع تقول: سُبحان ربي القدوس، والبازي يقول: سبحان ربي وبِحمده، والسرطان يقول: سبحان المذكور بكلِّ مكان.

وصاح دُرَّاج عند سليمان، فقال: أتدرُون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

قال النبي ﷺ: «الديك إذا صاح قال: اذكروا الله يا غافِلون»، وقال النبي ﷺ: «النسر إذا صاح قال: يا ابن آدم؛ عِش ما شئتَ فآخرك الموت، وإذا صاح العقاب قال: في البعد عن الناس راحة،

---

(١) كذا في النسخ، ولعل الصواب والله أعلم: (طيطوى)، وهو ضرب من القطا. انظر «تفسير الخازن» (٣/ ٣٣٩).

(٢) رواه أبو داوود في «المراسيل» (٣٨٤)، والخطاف: العصفور، وهو الذي تدعوه العامة: عصفور الجنة.

(٣) العَشَّار: الذي يأخذ أموال الناس، وهو ما يُسمونه بالمكس.

﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ﴾ ....

﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ تُؤتاهُ الأنبياءُ والمُلُوك، ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المُؤتَى ﴿لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾: البيِّن الظاهرُ.

﴿١٧﴾ ﴿وَحُشِرَ﴾: جُمِعَ ﴿لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ﴾ في مَسِيرٍ لَه، ....

حاشية الصاوي

وإذا صاح القنبر قال: إلهي؛ العَن مبغض آل محمد، وإذا صاح الخطَّاف قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى آخرها، فيقول: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فيمدُّ بها صوته كما يمد القارئ»[1].

قوله: (﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾) قال ذلك تحدُّثاً بنعمة الله وشكراً على ما أعطاه.

قوله: (﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾) أي: من الأماكن البعيدة، وكان له نُقباء تردُّ أول العسكر على آخره؛ لئلا يتقدمُوا في المسير.

قال محمد بن كعب: كان عسكر سليمان عليه السلام مئة فرسخ في مئة فرسخ: خمسة وعشرون منها للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير.

وقيل: نسجت له الجنُّ بساطاً من ذهب وحرير فرسخاً في فرسخ، وكان يُوضع كرسيه في وسطه فيَقعد، وحوله كراسي من ذهب وفضة؛ فيَقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة، والناس حولَه، والجن والشياطين حول الناس، والوحش حولهم، وتُظلُّه الطير بأجنحتها حتى لا يقعَ عليه شمس.

وكان له ألف بيت من قوارير على الخَشب، فيها ثلاثُ مئة منكوحة ـ يعني: حرة ـ وسبع مئة سُرِّيَّة، فيأمر الريح العاصف فتَرفعه، ثم يأمر الرُّخاء فتسير به.

وروي عن كعب الأحبار أنه قال: كان سليمان إذا ركب.. حمَل أهله وخدمه وحشَمه، وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقُدور العظام، تَسَعُ كلُّ قدر عشرةً من الإبل، فتطبخ الطباخون، وتخبز الخبازون، وهو بين السماء والأرض، واتَّخذ ميادينَ للدواب، فتجري بين يدَيه، والريح تهوي، فسار من إصطخر يريد اليمن، فسلك على مدينة رسول الله ﷺ، فلمَّا وصل إليها.. قال سليمان: هذه دار هجرة نبيٍّ يكون آخرَ الزمان، طوبى لمن آمن به، وطوبى لمن تَبعه، ولما وصل مكة.. رأى حول البيت أصناماً تُعْبَدُ، فجاوزه سليمان، فلمَّا جاوزه.. بكى البيت، فأوحى الله إليه: ما يُبكيك؟ قال:

(١) روى الخبرين الثعلبي بسنده في «الكشف والبيان» (٧/ ١٩٥)، وهما غير صَحيحين.

فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ ....

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يُجمَعُون ثُمَّ يُساقُون.

﴿١٨﴾ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ هو بِالطَّائِف أو بِالشَّام، نَملُهُ صِغارٌ أو كِبار، ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ﴾: مَلِكةُ النَّمل ....

حاشية الصاوي

يا ربِّ أبكاني أن هذا نبيٌّ من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مرُّوا عليَّ ولم يُصلُّوا عندي، والأصنام تُعْبَدُ حولي من دونك، فأوحى الله إليه: لا تَبْكِ؛ فإني سوف أملؤك وجوهاً سجَّداً، وأنزل فيك قرآناً جديداً، وأبعث منك نبيًّا في آخر الزمان، أحبُّ أنبيائي إليَّ، وأجعل فيك عمَّاراً من خلقي يَعبدونني، أفرض عليهم فريضة يحنُّون إليك حنين الناقة إلى ولدها، والحمامة إلى بيضها، وأطهِّرك من الأوثان والأصنام وعبدة الشيطان ثم مضى سليمان حتى مرَّ بوادي النمل[١].

قوله: (**يجمعون ثم يُساقون**) أي: يمنعون من التقديم حتى يَجتمعوا، ثم يؤمرون بالسَّير.

قوله: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ﴾) غاية لمحذوف؛ أي: فساروا مُشاةً على الأرض وركباناً حتى إذا أتوا... إلخ.

قوله: (نملُهُ صغارٌ) أي: وهو المعروف، وقوله: (أو كبار) أي: كالبخاتي أو الذباب.

قوله: (﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ﴾) قيل: اسمها طاخية، وقيل: جرمى.

حكى الزمخشري عن أبي حنيفة ﵁ أنه وقف على قتادة وهو يقولُ: سَلوني، فأمر أبو حنيفة شخصاً سأل قتادة عن نملة سليمان؛ هل كانت ذكراً أو أنثى؟ فلم يجب، فقيل لأبي حنيفة في ذلك، فقال: كانت أنثى، واستدلَّ بلَحاق العلامة[٢].

قال بعضهم: وفيه نظر؛ لأنَّ إلحاق التاء في (قالت) لا يدل على أنها مؤنَّثة؛ لأنَّ تاءه لِلوحدة لا للتأنيث، وحينئذٍ: فيصح أن يقالَ: قال نملة، قالت نملة، وما استدل به أبو حنيفة يُفيد الظنَّ، لا التحقيق[٣].

---

(١) «تفسير البغوي» (٦/ ١٥٠)، والمراد بـ(قرآناً جديداً): شريعة خاتمة لجميع الشرائع.

(٢) «الكشاف» (٣/ ٣٦١).

(٣) ونقل العلامة الطيبي في «حاشيته» (١١/ ٤٨٦-٤٨٨) أجوبة لِبعض علماء ما وراء النهر عما نقل عن الإمام الأعظم رحمه الله تعالى وارتضاها، ثم قال: (فظهر أن القول ما قالت حذام، والمذهب ما سَلكه الإمام)، وذكر العلامة =

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ ....

وقد رأت جُندَ سُليمان: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وقد رأت جند سليمان) أي: من ثلاثة أميال؛ بدليل قوله الآتي: (وقد سمعه من ثلاثة أميال).

قوله: (﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ﴾... إلخ) اشتمل هذا القول على أحد عشر نوعاً من البلاغة: أولها: النداء بـ(يا)، ثانيها: لفظ (أيُّ)، ثالثها: هاء التنبيه، رابعها: التسمية بقولها: ﴿ٱلنَّمْلُ﴾، خامسها: الأمر بقولها: ﴿ٱدْخُلُوا۟﴾، سادسها: التنصيص بقولها: ﴿مَسَـٰكِنَكُمْ﴾، سابعها: التحذير بقولها: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾، ثامنها: التخصيص بقولها: ﴿سُلَيْمَـٰنُ﴾، تاسعها: التعميم بقولها: ﴿وَجُنُودُهُۥ﴾، عاشرها: الإشارة بقولها: ﴿وَهُمْ﴾، حادي عشرها: العذر بقولها: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾.

وكانت تلك النملة عَرجاء، ذات جناحين، وهي من جملة الحيوانات العشرة التي تدخل الجنة، وهي براق رسول الله ﷺ، وهُدهد بلقيس، ونملة سليمان، وعجل إبراهيم، وكبش ولده، وبقرة بني إسرائيل، وكلب أهل الكهف، وحمار العزير، وناقة صالح، وحوت يونس.

روي: أن سليمان قال لها: لم حذَّرتِ النَّمل؟ أخِفْتِ من ظلمي؟ أما عَلِمْتِ أني نبيٌّ عدل؟ فلِمَ قلتِ: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾؟ فقالت النملة: أما سمعتَ قولي: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؟ مع أني لم أرد حطم النفوس، وإنما أردتُ حطم القلوب؛ خشية أن يتمنَّيْنَ مثل ما أعطيت، ويَفتتنَّ بالدنيا، ويشتغلن بالنظر إلى مُلكك عن التسبيح والذكر، فلما تكلَّمت مع سليمان.. مضت بسرعة إلى قومها فقالت: هل عندكم من شيء نهديه إلى نبيِّ الله؟ قالوا: وما قَدْرُ ما نهدي له؟! والله ما عندنا إلا نَبِقَةٌ واحدة، فقالت: حسنة؛ ائتوني بها، فأتوها بها، فحمَلتها بفيها وانطلقت تجرُّها، وأمر الله الريح فحملتها، وأقبلت تشقُّ الجنَّ والإنس والعلماء والأنبياء على البِساط حتى وقفت بين يدَيه ووضعت تلك النبقة من فيها في فيه، وأنشأت تقول: [الطويل]

أَلَـمْ تَـرَنَـا نُـهْـدِي إِلَـى الـلَّـهِ مَـا لَـهُ وَإِنْ كَـانَ عَـنْـهُ ذَا غِـنًـى فَـهْـوَ قَـابِـلُـهْ

= الآلوسي في «روح المعاني» (١٠/ ١٧٣): (والحزم القول بعدم صحة هذه الحكاية فأبو حنيفة رضي الله تعالى عنه من عرفتَ، وإن كان إذ ذاك غلاماً حَدثاً، وقتادة بن دعامة السدوسي بإجماع العارفين بالرجال كان بصيراً بالعربية، فيَبعُد كل البعد وقوعُ ما ذكر منهما، والله تعالى أعلَم).

لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ....

لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾: يَكسِرَنَّكُم ﴿سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بِهلاكِكم، نَزَّلَ النَّمل مَنزِلة العُقلاءِ في الخِطاب بِخِطابِهم.

﴿١٩﴾ ﴿فَتَبَسَّمَ﴾ سُلَيمان ابتِداءً ﴿ضَاحِكًا﴾ انتِهاءً ﴿مِّن قَوْلِهَا﴾ وقد سَمِعَهُ مِن ثَلاثة

حاشية الصاوي

وَلَوْ كَانَ يُهْدَى لِلْجَلِيلِ بِقَدْرِهِ ... لَأَقْصَرَ عَنْهُ البَحْرُ يَوْماً وَسَاحِلُهْ

وَلَكِنَّنَا نُهْدِي إِلَى مَنْ نُحِبُّهُ ... فَيَرْضَى بِهِ عَنَّا وَيُشْكَرُ فَاعِلُهْ

وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ كَرِيمِ فِعَالِهِ ... وَإِلَّا فَمَا فِي مُلْكِنَا مَا يُشَاكِلُهْ

فقال لها: بارَكَ الله فيكم، فهم بتلك الدعوة أشكرُ خلق الله، وأكثرُ خَلق الله[١].

والنمل: حيوان معروف شديد الإحساس والشَّمِّ، حتى إنه يشَمُّ الشيء من بعيد، ويَدَّخر قُوْتَهُ، ومن شدَّة إدراكه: أنه يَفلق الحبَّة فلقتين؛ خوفاً من الإنبات، ويفلق حبَّة الكزبرة أربع فِلَق؛ لأنها إذا فلقت فلقتين.. نَبتت، ويأكل في عامه نصف ما جمع، ويستبقي باقِيَه عدَّة.

قوله: (﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾) فيه وجهان: أحدهما: أنه نهي[٢]، والثاني: أنه جواب الأمر[٣].

قوله: (﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾) جملة حالية.

قوله: (﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾) مفرع على محذوفٍ، تقديره: فسمع قولَهَا المذكورَ فتبسَّم، وكان سبب ضحكه شيئَين: أحدهما: ما دلَّ على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشَفَقتهم من قولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، الثاني: سُروره بما آتاه الله ما لم يؤت أحداً؛ من إدراك سمعِه ما قالته النملة.

قوله: (ابتداء... إلخ) أي: فالتبسُّم: انفتاح الفم من غير صوت، والضحك: انفتاحُه مع صوت خفيف، والقهقهة: انفتاحه مع صوت قويٍّ، وهي لا تكونُ من الأنبياء.

---

(١) ومثل هذه القصص من نسج القصاص، ومتنها باطل.

(٢) وإذا كان نهياً.. ففيه وجهان، أحدهما: أنه نهي مُستأنف لا تعلق له بما قبله من حيث الإعراب، وإنما هو نهي للجنود في اللفظ، وفي المعنى للنمل؛ أي: لا تكونوا بحيث يَحطمونكم، كقولهم: (لا أرينك ههنا)، والثاني: أنه بدل من جملة الأمر قبله، وهي: ﴿ٱدْخُلُوا۟﴾. انظر «الدر المصون» (٨/ ٥٨٦).

(٣) وذلك على قراءة الأعمش؛ فقد قرأ: (لا يَحطِمْكم) بجزم الميم، دون نون توكيد. وأما مع وجود نون التوكيد.. فهو ضعيف يدفعه نون التوكيد؛ لأنه من ضَرورات الشعر. انظر «الدر المصون» (٨/ ٥٨٧)، و«تفسير النسفي» (٢/ ٥٤٤).

وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ ....

أميالٍ، حَمَلَتْهُ إِلَيهِ الرِّيح، فحَبَسَ جُنده حينَ أشرَفَ على وادِيهم، حتَّى دَخَلُوا بُيُوتَهم، وكان جُندُه رُكباناً ومُشاةً في هذا السَّير، ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾: ألهِمنِي ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ﴾ بِـــهـــا ﴿عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الأنبياءِ والأولياء.

﴿٢٠﴾ ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ لِيرَى الهُدهُد الذِي يَرَى الماء تحتَ الأرض ويَدُلُّ علَيهِ بِنَقرِهِ

حاشية الصاوي

قوله: (في هذا السَّير) أي: في خُصوص سيره على وادي النمل، وكان هو وجنوده في غير هذا المكان راكبين على البساط، وتَسير بهم الريح.

قوله: (﴿عَلَىَّ وَعَلَىٰ﴾) إنما ذكر نعمة والدَيه تكثيراً للنعمة؛ ليزدادَ في الشكر عليها.

قوله: (﴿فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾) على حذف مضاف؛ أي: في جملة عبادك، أو (في) بمعنى (مع)، والمراد: الكامِلون في الصلاح؛ لأن الصلاح مَقولٌ بالتشكيك[١]؛ فما من مقامٍ إلا وفوقه أعلى منه، والكامل يَقبل الكمال[٢].

قوله: (﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾) شروعٌ في القصة الثالثة، والمعنى: نظَر في الطير فلم يرَ الهدهد، وكان سؤاله عن الهدهد أنه كان دليلَ سليمان على الماء، وكان يَعرف موضعَ الماء تحت الأرض كما يرى في الزجاجة، ويَعرف قربه وبعده، فيَنقر في الأرض، ثم تجيء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء في ساعة يسيرة.

قيل: لما ذكر ذلك ابن عباس.. قيل له: إن الصبي يضع له فخًّا ويحثُو عليه التراب، فيجيء

---

(١) المعنى المشترك إذا كانت النسبة فيه متفاضلة.. سماه المصطلحون من باب التشكيك، وإذا كانت النسبة واحدة سَموه متواطئاً، والصلاح هنا نِسبته متفاضلة.

(٢) وبهذا أجاب المصنف على من قال: درجات الأنبياء أفضل من درجات الصالحين والأولياء، فما السبب في أنَّ الأنبياء يطلبون جعلهم من الصالحين وقد تمنَّى يوسف عليه السلام بقوله: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾؟ انظر «السراج المنير» (٣/ ٥١).

فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي ....

فِيها فتَستَخرِجهُ الشَّياطِين؛ لِاحتِياجِ سُليمانَ إلَيهِ لِلصَّلاةِ، فلَم يَرَهُ، ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ أي: أعرَضَ لي ما مَنَعنِي مِن رُؤيَتِه، ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ فلَم أرَهُ لِغَيبَتِه؟ فلمَّا تَحقَّقها قال:

﴿٢١﴾ ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا﴾: تَعذِيباً ﴿شَدِيدًا﴾ بِنَتفِ رِيشِه وذَنَبه ورَميِه في الشَّمس، فلا يَمتَنِع مِن الهَوامِّ، ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ بِقَطعِ حُلقُومِه، ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي﴾ - بِنُونٍ مُشدَّدة مَكسُورة، أو مَفتُوحة يَلِيها نُون مكسُورة - ....

حاشية الصاوي

الهدهد وهو لا يُبصر الفخ حتى يقع في عنقه، فقال ابن عباس: إذا نزَل القضاء والقدر.. ذهب اللُّبُّ وعميَ البصر[1].

قيل: ولم يكن له في مَسيره إلا هدهدٌ واحدٌ.

قوله: (فتستخرجه الشياطين) أي: بأن تسلخَ وجه الأرض عن الماء كما تسلخ الشاة.

قوله: (﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾) استفهامُ استخبارٍ.

قوله: (﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾) (أم): منقطعة تفسَّر بـ(بل) والهمزة، كأنه لما لم يَره.. ظنَّ أنه حاضرٌ ولا يراه لساترٍ أو غيرِه فقال: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾، ثمَّ احتاط فظهر له أنه غائبٌ، فأضرب عن ذلك، وهو إضرابٌ انتقاليٌّ.

قوله: (﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾) الحَلِف على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث؛ فـ(أو) بين الكلمتين الأُوليين للتخيير، وفي الثالث للترديد بينه وبينهما، فهي في الأخير بمعنى (إلا).

قوله: (بنَتف ريشه) هذا أحدُ أقوال في معنى التعذيب، وقيل: هو أن يحشرَه مع غير أبناء جنسه، وقيل: هو أن يطلى بالقَطِرَان ويوضع في الشمس.

قوله: (بنون مشددة... إلخ) أي: والقراءتان سبعيَّتان[2].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٠٦).

(٢) قرأ ابن كثير بنون التوكيد المشددة، بعدها نون الوقاية. وهذا هو الأصل، واتبع مع ذلك رسم مصحفه، والباقون بنون مشددة فقط. انظر «الدر المصون» (٨/ ٥٩٢).

بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ....

﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بِبُرهانٍ بَيِّن ظاهِر على عُذرِه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾) أي: حُجة ظاهرة على غيبته، والسبب في غَيبة الهدهد: أنَّ سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس.. عزم على الخروج إلى أرض الحرم، فتجهَّز للسير، واستصحب جنوده من الجنِّ والإنس والطير والوحش، فحَملتهم الريح، فلمَّا وافى الحرم.. أقام بها ما شاء الله أن يُقيم ـ أي: من غير صلاةٍ في الكعبة؛ كراهةً في الأصنام، ولم يكن مأموراً بتكسيرها، فاندفع التعارض بين ما هنا وما تقدَّم ـ وكان ينحر في كلِّ يومٍ طول مُقامه خمسةَ آلاف ناقة، ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة، وقال لمن حضَره من أشراف قومه: إنَّ هذا المكان يخرج منه نبيٌّ عربيٌّ صفته كذا وكذا، ويعطى النصر على جميع مَنْ عاداه، وتبلغ هيبتُهُ مسافةَ شهرٍ، القريبُ والبعيدُ عنده في الحق سواءٌ، لا تأخذه في الله لَومةُ لائمٍ، قالوا: فأيَّ دين يَدين يا نبي الله؟ قال: بدين الله الحنيفيَّة، فطوبى لمن أدركه وآمن به، قالوا: كم بينَنا وبين خروجه يا نبيَّ الله؟ قال: مِقدار ألف سنة، فليُبلِّغ الشاهد الغائب؛ فإنه سيد الأنبياء، وخاتم الرسل.

قال: فأقام بمكة حتى قضى نسكه، ثم خرج من مكة صباحاً، وسار نحوَ اليمن، فوافى صنعاء وقت الزوال، وذلك مسافة شهر، فرأى أرضاً حسناء تزهُو خضرتها، فأحبَّ النزول بها؛ ليصلي ويتغدى، فلمَّا نزل.. قال الهدهد: قد اشتغل سليمان بالنزول، فارتَفع نحو السماء ينظر إلى طول الدنيا وعَرضها، ففعل ذلك، فبينما هو ينظر يميناً وشمالاً رأى بستاناً لبِلْقِيسَ، فنزل إليه فإذا بهدهدٍ آخرَ، وكان اسم هدهد سليمان يَعفور، وهدهد اليمن عفير، قال عفير ليعفور: من أين أقبَلت؟ قال: أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داوود، قال: ومن سليمان؟ قال: ملك الإنس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح؛ فمِن أين أنت؟ قال عفير: أنا من هذه البلاد، قال: ومَن ملكها؟ قال: امرأة يقال لها: بلقيس، وإنَّ لصاحبك ملكاً عظيماً، ولكن ليس ملك بلقيس دونه؛ فإنها تملك اليمن، وتحت يدها أربع مئة ملك؛ كل ملك على كورة، مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل، ولها ثلاث مئة وزير يدبِّرون ملكها، ولها اثنا عشر قائداً، مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل، فهل أنت منطلقٌ معي حتى تنظر إلى ملكها؟ قال: أخاف أن يَتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج الماء، قال الهدهد اليماني: إنَّ صاحبك يسرُّه أن تأتيَهُ بخبر هذه الملكة، فانطلق معه ونظر إلى بلقيس ومُلكها.

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ....

﴿٢٢﴾ ﴿فَمَكَثَ﴾ ـ بِضَمِّ الكاف وفَتحها ـ ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي: يَسِيراً مِن الزَّمان وحَضَرَ

حاشية الصاوي

وأما سليمان.. فإنه نزل على غير ماء، فسأل عن الماء الجنَّ والإنسَ، فلم يعلموا، فتفقَّد الهدهد فلم يرَه، فدعا بعريف الطير وهو النسر، فسأله عن الهدهد، فقال: أصلَح الله الملك ما أدري أين هو، وما أرسلته إلى مكان، فغَضب سليمان وقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا...﴾ الآية، ثم دعا بالعُقاب وهو أشدُّ الطير طيراناً، فقال له: عليَّ بالهدهد الساعة، فارتفع العقاب في الهواء حتى نظر إلى الدنيا كالقصعة بين يدَي أحدكم، ثم التفت يميناً وشمالاً، فرأى الهدهد مقبلاً من نحو اليمن، فانقضَّ العُقاب يُريده، وعلم الهدهد أنَّ العُقاب يقصده بسوء، فقال: بحقِّ الذي قوَّاك وأقدرك عليَّ إلا ما رحمتني ولم تتعرَّض لي بسوءٍ، فتركه العُقاب وقال: ويلَك ثكلتك أمك، إنَّ نبيَّ الله قد حلف أن يعذِّبك أو يذبحك، فصارا متوجِّهَيْنِ نحو سليمان عليه الصلاة والسلام، فلمَّا انتهيا إلى العسكر.. تلقَّاه النسر والطير وقالا له: ويلَك أين غبت في يومك هذا؟ فلقد تَوعدك نبيُّ الله وأخبراه بما قال سليمان، فقال الهدهد: أوما استثنى نبيُّ الله؟ فقالوا: بلى إنه قال: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾، فقال: نجوتُ إذاً.

وكان غيبته من الزوال ولم يرجع إلا بعد العصر، فانطلق به العُقاب حتى أتيَا سليمان، وكان قاعداً على كرسيِّه، فقال العُقاب: قد أتيتك به يا نبيَّ الله، فلمَّا قرب منه الهدهد.. رفع رأسه وأرخى ذَنبه وجناحيه يجرُّهما على الأرض تواضعاً لسليمان عليه الصلاة والسلام، فلمَّا دنا منه.. أخذ برأسه فمدَّه إليه وقال له: أين كنتَ؟ لأعذبنَّك عذاباً شديداً، فقال: يا نبيَّ الله؛ اذكر وقوفك بين يدَي الله عزَّ وجلَّ، فلمَّا سمع سليمان عليه السلام ذلك.. ارتعد وعفا عنه، ثم سأله: ما الذي أبطأك عني؟ فقال الهدهد: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ....﴾ إلى آخره.

قوله: (﴿فَمَكَثَ﴾) أي: الهدهدُ.

قوله: (بضمِّ الكاف وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، والأول من باب (قَرُبَ)، والثاني من باب (نَصَرَ)[1].

قوله: (أي: يسيراً من الزمان) أي: وهو من الزوال إلى العصر.

---

(١) قرأ عاصم بفتح الكاف، والباقون بضمها، وهما لغتان، إلا أن الفتح أشهر. انظر «الدر المصون» (٨/ ٥٩٣).

فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ

لِسُليمانَ مُتواضِعاً بِرَفعِ رَأسه وإرخاء ذَنَبه وجَناحَيه، فعَفا عنهُ وسَألهُ عمَّا لَقِيَ في غَيبَتِه، ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي: اطَّلَعتُ على ما لَم تَطَّلِع علَيه، ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾ ـ بالصَّرفِ وتَركِه ـ قَبيلة بِاليَمنِ، سُمِّيَت بِاسمِ جَدٍّ لَهُم بِاعتِبارِه صُرف، ﴿بِنَبَإٍ﴾: خَبرٍ ﴿يَقِينٍ﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ أي: هي مَلِكةٌ لَهُم اسمُها بلقِيسُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (فعفا عنه) أي: من أول الأمر قبل أن يذكر العُذر.

قوله: (وسأله عمَّا لقي في غيبته) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ...﴾ إلخ مفرَّعٌ على محذوف.

قوله: (﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾) أي: علمتُ ما لم تعلمه أنت ولا جنودك، وفي هذا تنبيهٌ إلى أنَّ الله تعالى أرى سليمان عجزَه؛ لكونه لم يعلم ذلك مع كون المسافة قريبة وهي ثلاث مراحل.

قوله: (بالصرف وتركه) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان؛ فالصرف نظراً إلى أنه اسم رجل، وتركه نظراً إلى أنه اسم القبيلة للعَلمية والتأنيث[1].

قوله: (اسمها بلقيس) بالكسر، بنت شراحيل، من نسل يَعرب بن قحطان، وكان أبوها ملكاً عظيم الشأن، قد ولد له أربعون ملكاً هي آخِرهم، وكان الملك يملك أرض اليمن كلَّها، وكان يقول لملوك الأطراف: ليس أحدٌ منكم كُفْئاً لي، وأبى أن يتزوج فيهم، فخطب إلى الجنِّ، فزوَّجوه امرأةً منهم يقال لها: ريحانة بنت السكن، قيل في سبب وصوله إلى الجنِّ حتى خَطب إليهم: أنه كان كثير الصيد، فربما اصطاد من الجنِّ وهم على صورة الظباء فيخلِّي عنهم، فظهر له ملك الجنِّ وشكَره على ذلك واتخذه صديقاً، فخطب ابنته فزوَّجه إياها[2].

---

(١) قرأ البزي وأبو عمرو بفتح الهمزة، وقرأ قنبل بسكون الهمزة، كأنه نوى الوقف وأجرى الوصل مُجراه، والباقون بالجر والتنوين. انظر «الدر المصون» (٨/ ٥٩٤).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٣/ ٣٤٣).

وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ....

﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يَحتاج إلَيهِ المُلُوكُ مِن الآلة والعُدَّة، ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾: سَرِير ﴿عَظِيمٌ﴾ طُولُه ثَمانُون ذِراعاً وعَرضُه أربعُونَ ذِراعاً وارتِفاعه ثَلاثُون ذِراعاً، مَضرُوب مِن الذَّهب والفِضَّة، مُكلَّل بِالدُّرِّ والياقُوت الأحمَر والزَّبَرجَد الأخضَر والزُّمُرُّد، وقَوائِمه مِن الياقُوت الأحمَر والزَّبَرجَد الأخضَر والزُّمُرُّد، علَيهِ سَبعة أبواب، على كُلِّ بَيت بابٌ مُغلَق.

(﴿٢٤﴾ - ﴿٢٥﴾) ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾: طريقِ الحقِّ، ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ أي: أن يَسجُدوا

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾) عطف على قوله: ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾؛ لأنه بمعنى: مَلكتهم[1]، قال ابن عباس: كان يخدمها ستُّ مئة امرأة.

قوله: (يحتاج إليه الملوك) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ عامٌّ أريد به الخصوص.

قوله: (﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾) أي: تجلس عليه، ووَصفه بالعظم بالنسبة إلى ملوك الدنيا، وأما وصف عرش الله بالعِظَم.. فهو بالنسبة إلى جميع المخلوقات من السماوات والأرض وما بينهما، فحصل الفرق.

قوله: (طوله ثمانون ذراعاً... إلخ) وقيل: طوله ثمانون، وعَرضه كذلك، وارتفاعه في الهواء كذلك.

قوله: (عليه سبعة أبواب) صوابه: أبيات؛ بدليل قوله: (على كل بيت باب مغلق).

قوله: (﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾) أي: فهم مَجوسٌ.

قوله: (﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾) ذكر ذلك ردًّا على من يَعبد الشمس وغيرها من دون الله؛ لأنه لا يَستحق العبادة إلا من هو قادرٌ على من في السماوات والأرض، عالمٌ بجميع المعلومات.

---

(١) ويجوز أن يكون في محل نصب على الحال من مرفوع (تملكهم)، و(قد) معها مُضمرة عند من يرى ذلك. انظر «الدر المصون» (٨/ ٥٩٧).

﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ ....

لَه، فزِيدَت (لا) وأُدغِمَ فِيها نُون (أن) كما في قَوله تَعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩]، والجُملة في مَحلِّ مَفعول ﴿يَهْتَدُونَ﴾ بِإسقاطِ (إلى)، ﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾: مَصدر بِمَعنَى المَخبُوء مِن المَطر والنَّباتِ، ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ﴾ في قُلُوبِهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بِألسِنَتِهم.

﴿٢٦﴾ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ استئنافٌ جُملة ثَناءٍ مُشتَمل على عَرش الرَّحمن في مُقابَلة عَرش بلقِيس، وبينَهما بَونٌ عَظِيم.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: أن يسجدوا له...إلخ) أشار بذلك إلى أنه على هذه القراءة تكون (أن) ناصبة، و(لا) زائدة، و﴿يَسْجُدُواْ﴾ فعل مضارع منصوب بـ(أن)، وعلامةُ نصبه حذف النون، والواو: فاعل، وعليها: فلا يجوز الوقف على ﴿يَهْتَدُونَ﴾؛ لأنه من تَتمته، كأنه قال: فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا.

وقرأ الكسائي بتخفيف (لا)، وتوجيهُها أن يقال: إن (ألا) للافتتاح، و(يا): حرف تنبيه، و(اسجدوا): فعل أمر، لكن سَقطت ألف (يا) وهمزةُ الوصل من (اسجدوا) خطًّا، ووُصلت الياء بسين (اسجدوا)، فاتَّحدت القراءتان لفظاً وخطًّا.

وهناك وجهٌ آخَرُ في هذه القراءة، وهو أنَّ (يا): حرف نداء، والمنادى محذوف، والتقدير: ألا يا هؤلاء، وهو ضعيفٌ؛ لئلا يؤديَ إلى حذف كثير من غير ما يدلُّ على المحذوف.

قوله: (من المطر والنبات) لفٌّ ونشرٌ مرتَّبٌ، فالمطر هو المخبوء في السماوات، والنبات هو المخبوء في الأرض.

قوله: (﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ﴾) اعلَم: أنَّ ما ذكره الهدهد من قوله: ﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ إلى هنا إنما هو بيانٌ لحقيقة عَقيدته وعلومه التي اقتبسها من سليمان، وليس داخلاً تحت قوله: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾، وإنما ذكر الهدهد ذلك؛ ليُغري سليمان على قتالهم، وليبيِّن أنه لم يكن عنده مَيلٌ لهم، بل إنما غرضه وصفُ ملكها.

قوله: (وبينهما بونٌ) أي: فضلٌ ومزيَّةٌ.

قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ ....

﴿٢٧﴾ ﴿قَالَ﴾ سُليمانُ لِلهُدهدِ: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ﴾ فِيما أخبَرتَنا به، ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أي: مِن هذا النَّوعِ، فهو أبلَغ مِن (أم كَذَبت فِيه)، ثُمَّ دَلَّهُم على الماء فاستُخرِجَ وارتَوَوا وتَوضَّؤوا وصَلَّوا، ثُمَّ كَتَبَ سُليمانُ كِتاباً صُورَتُه: «مِن عبدِ الله سُليمان بنِ داودُ إلى بلقيسَ مَلكةِ سَبأ، بِسم الله الرَّحمن الرَّحيم، السَّلامُ على مَن اتَّبع الهُدى؛ أمَّا بعدُ، فلا تَعْلُوا عليَّ، وأْتُوني مُسلِمِين»، ثُمَّ طَبَعَه بِالمِسكِ وخَتَمَهُ بِخاتمِه، ثُمَّ قال لِلهُدهد:

﴿٢٨﴾ ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: بلقِيسَ وقَومِها، ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾: انصَرِف

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالَ سَنَنظُرُ﴾) هذه الجملة مستأنفةٌ، واقعةٌ في جواب سؤال مقدَّر، تقديره: فماذا قال سليمان لِلهدهد حين أخبره بالخبر؟

قوله: (فهو أبلغ من: «أم كذبت») أي: لأنه يُفيد أنه إن كان كاذباً في هذه الحادثة.. كان معدوداً من الكاذبين ومحسوباً منهم، والكذب له عادة، وليست فَلتةً يعفى عنه فيها؛ لأنَّ الكذب على الأنبياء أمرُهُ عظيمٌ.

قوله: (من عبد الله) خصَّ هذا الوصف؛ لأنه أشرَف الأوصاف، وقدَّم اسمه على البسملة؛ لأنها كانت في ذلك الوقت كافرةً، فخاف أن تستخفَّ باسم الله، فجعل اسمه وقايةً لاسم الله تعالى.

قوله: (السلام على من اتبع الهدى) أي: أمانُ الله على من اتَّبع طريقَ الحقِّ وترك الضَّلال.

قوله: (فلا تعلوا عليَّ) أي: لا تتكبَّروا.

قوله: (مسلمين) أي: منقادين لدين الله، وفي هذا الخطابِ إشعارٌ بأنه رسولٌ من عند الله، يدعوهم إلى دين الله، وليس مُطلقَ سلطانٍ، وإلَّا.. لقال: وائتوني طائعين.

قوله: (ثم طبعه بالمسك) أي: جعل عليه قطعةَ مسكٍ كالشَّمع.

قوله: (﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾) إمَّا بسكون الهاء، أو كسرها من غير إشباع، أو بإشباع، ثلاث قراءات سبعيَّات[1].

(١) قرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر بإسكان الهاء، وقالون بكسرها فقط من غير صلة بلا خلاف عنه، وهشام عنه وجهان: بالقصر والصلة، والباقون بالصلة بلا خلاف. انظر «الدر المصون» (٨/ ٦٠٧).

عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ ....

﴿عَنْهُمْ﴾ وقِفْ قَرِيباً مِنهُم، ﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾: يَرُدُّون مِن الجَواب، فأخَذَهُ وأتاها وحَولَها جُندُها، وألقاهُ في حِجرِها، فلَمَّا رَأتهُ ارتَعَدَت وخَضَعَت خَوفاً، ثُمَّ وقَفَت على ما فِيه.

(﴿٢٩﴾ - ﴿٣١﴾) ثُم ﴿قَالَتْ﴾ لِأشراف قَومِها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ﴾ - بِتَحقيقِ الهمزَتَين، وقَلبِ الثَّانِيَة واواً مَكسُورة - ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾) إن جعل (انظر) بمعنى: انتَظر.. فـ﴿مَاذَا﴾ بمعنى: الذي، و﴿يَرْجِعُونَ﴾: صلته، والعائد محذوف، ويكون (ما) مفعول ﴿يَرْجِعُونَ﴾، والمعنى: انتظر الذي يَرجعونه، وإن جعل بمعنى: تأمَّلْ وتفكَّرْ.. كانت (ما) استفهامية، و(ذا) بمعنى: الذي، و﴿يَرْجِعُونَ﴾: صلتها، والعائد محذوف، والتقدير: أيُّ شيء الذي يَرجعونه، والموصول هو خبر (ما) الاستفهامية، أو ﴿مَاذَا﴾ كلُّها اسم واحد مفعول لـ﴿يَرْجِعُونَ﴾، تقديره: أيَّ شيء يَرجعون؟

قوله: (من الجواب) بيان لـ(ما).

قوله: (وأتاها وحولها جندها... إلخ) وقيل: أتاها فوَجدها نائمةً، وقد غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها، وكذلك كانت تَفعل إذا رقدت، فألقى الكتاب على نحرها.

وقيل: كانت لها كرة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع، فإذا نظَرت إليها.. سجدت لها، فجاء الهدهد، فسدَّ الكوة بجناحَيه، فارتفعت الشمس ولم تعلم، فلمَّا استبطأت الشمس.. قامت تنظر، فرمى بالصحيفة إليها.

قوله: (فلمَّا رأته ارتعدت) أي: حين وجدت الكتاب مختوماً ارتعدت؛ لأنَّ ملك سليمان كان في خاتمه، وعرَفت أنَّ الذي أرسل الكتاب أعظمُ مُلْكاً منها، فقرأت الكتاب، وتأخَّر الهدهد غيرَ بعيد، وجاءت حتى قعَدت على سرير ملكها، وجمعت أشراف قومها.

قوله: (بقلبها واو مكسورة) المناسب أن يقول: وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء، أو قلبها واواً... إلخ، فالقراءات ثلاث سبعيَّات[1].

---

(١) قرأ المدنيان والمكي والبصري ورويس بتسهيلها بين بين، وعنهم أيضاً إبدالها واواً خالصة مكسورة، والباقون بتحقيقها. انظر «البدور الزاهرة» (ص٤١).

أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَيَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ....

﴿أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾: مَختُوم، ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ﴾ أي: مَضمُونَه: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَيَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾.

﴿٣٢﴾ ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى﴾ - بِتحقيقِ الهمزتَين، وقَلبِ الثَّانية واواً - أي: أشِيرُوا علَيَّ ﴿فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾: قاضِيَتَه ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾: تَحضُرُون.

﴿٣٣﴾ ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي: أصحابُ شِدَّة في الحَرب، ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾نا نُطِعْك.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَيَّ﴾... إلخ) لم تَذكر صورة الكتاب، بل اقتصرت على ما فيه الفائدة؛ لشدَّة معرفتها وبلاغة لفظها.

قوله: (﴿كَرِيمٌ﴾) أي: مكرَّمٌ معظَّمٌ.

قوله: (مختوم) أي: لأنَّ الكتاب المختوم يُشعر بالاعتناء بالمرسل إليه؛ لما ورد: مَنْ كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختِمْهُ.. فقد استخفَّ به[1].

قوله: (﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾) جملة مستأنفة وقعت جواباً لسؤالٍ مقدَّر، تقديره: ماذا مَضمونه؟

قوله: (﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾) أي: الأشرافُ؛ سمُّوا بذلك؛ لأنهم يَملؤون العيون بمهابتهم، وكانوا ثلاث مئة واثني عشر، لكلِّ واحدٍ منهم عشرة آلاف من الأتباع.

قوله: (﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾) أي: إنَّ عادتي معكم لا أفعل أمراً حتى أشاوِركم.

قوله: (﴿نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ﴾... إلخ) استُفيد من ذلك أنهم أشاروا عليها بالقتال أوَّلاً، ثم ردُّوا الأمر إليها.

قوله: (نُطعك) مجزوم في جواب الأمر.

(١) نقَله الثعلبي في «الكشف والبيان» (٧/ ٢٠٦) من كلام ابن المقفع.

قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ....

﴿٣٤﴾ ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ بالتَّخريب، ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: مُرسِلُو الكِتاب.

﴿٣٥﴾ ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ مِن قَبُول الهَدِيَّة أو رَدِّها؛ إن كان مَلِكاً قَبِلها أو نَبِيًّا لم يَقبلها، فأرسَلَت خَدَماً ذُكوراً وإناثاً ألفاً بِالسَّوِيَّة، وخمسَمائةِ لَبِنة مِن الذَّهَب، وتاجاً مُكلَّلاً بِالجَواهِر، ومِسكاً وعَنبَراً وغيرَ ذلك مَع رَسُول بِكِتابٍ، فأسرَعَ الهُدهدُ إلى سُليمانَ يُخبِرهُ الخَبَرَ، فأمَرَ أن تُضرَب لَبِناتُ الذَّهَب والفِضَّة، وأن تُبسَط مِن مَوضِعه إلى تِسعةِ فَراسِخ مَيداناً، وأن يَبنُوا حَولَه حائِطاً مُشرِفاً مِن الذَّهب والفِضَّة، وأن يُؤتَى بِأحسَنِ دَوابِّ البَرِّ والبحر مع أولادِ الجِنِّ عن يَمِين المَيدانِ وشِمالِه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ﴾... إلخ) أي: فلم ترضَ بالحرب الذي أشاروا عليها به، بل اختارت الصلح، وبيَّنت سببَه.

قوله: (﴿إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً﴾) أي: عَنْوَةً.

قوله: (﴿بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾) أي: منتظرةٌ رجوعَ الرسلِ وعَوْدَهُم إليَّ.

قوله: (إن كان ملكاً.. قَبِلَها) أي: وقاتَلناه.

قوله: (أو نبيًّا.. لم يقبلها) أي: واتبعناه؛ لأنها كانت لَبيبةً عاقلةً تعرف سياسةَ الأمور.

قوله: (ألفاً بالسوية) أي: خمس مئة ذكر، وخمس مئة أنثى.

قوله: (فأمر أن تُضْرَبَ لَبِنَاتُ الذهب والفضة) أي: كما يُضْرَبُ الطينُ.

قوله: (وأن تبسط من موضعه) أي: تُوضع في الأرض كالبلاط.

قوله: (إلى تسعة فراسخ) أي: وهو مَسيرة يوم وثمن يوم.

قوله: (وأن يبنوا) أي: الجنُّ.

قوله: (عن يمين الميدان وشماله) أي: وقصدُهُ بذلك إظهارُ البأس والشدة.

وحاصلُ تفصيل تلك القصة: أنَّ بلقيس عمَدت إلى خمس مئة جارية، فألبست الجواريَ لباسَ الغلمان؛ الأقبية والمناطق، وألبَست الغلمان لِباس الجواري، وجعلت في أيديهم أساور الذهب،

. . . .

حاشية الصاوي

وفي أعناقهم أطواقَ الذهب، وفي آذانهم أقرطة وشنوفاً مرصَّعات بأنواع الجواهر، وحمَلت الجواري على خمس مئة فرس، والغلمان على خمس مِئة بِرذون، على كلِّ فرسٍ سرجٌ من ذهب مرصَّع بالجوهر، وأغشية الديباج، وبَعثت إليه لَبِنَاتٍ من ذهب، ولَبِنَاتٍ من فضة، وتاجاً مكلَّلاً بالدُّرِّ والياقوت، وبعثت بالمسك والعَنبر والعود، وعمَدت إلى حقَّة جعلت فيها درَّةً ثمينةً غيرَ مثقوبةٍ، وخرزةَ جزع معوجَّةَ الثقب، ودعت رجلاً من أشراف قومها يقال له: المنذر بن عمرو وضَمَّت إليه رجالاً من قومها أصحاب عقل ورأي، وكتبت مع المنذر كتاباً تذكر فيه الهديَّة، وقالت: إن كنت نبيًّا. . فميِّز الوُصفاء والوصائف، وأَخْبِرْنا بما في الحقَّة قبل أن تفتحها، واثقُب الدُّرَّة ثقباً مستوياً، وأدخل الخرزة خيطاً من غير علاج إنس ولا جنٍّ.

وأمرت بلقيس الغلمان فقالَت: إذا كلَّمكم سليمان. . فكلِّموه بكلامٍ فيه تأنيثٌ وتخنيثٌ، فيُشبه كلام النساء، وأمرت الجواري أن يكلِّموه بكلام فيه غِلظة يشبه كلام الرجال، ثم قالت للرسول: انظر إلى الرجل إذا دخَلتَ عليه؛ فإن نظر إليك نظراً فيه غضب. . فاعلَم أنه ملكٌ فلا يَهولنَّك منظره، فأنا أعزُّ منه، وإن رأيتَ الرجل بشَّاشاً لطيفاً. . فاعلم أنه نبيٌّ، فتفهَّم قوله، ورُدَّ الجواب.

فانطلق الرسول بالهدايا، وأقبل الهدهد مسرعاً إلى سليمان، فأخبره الخبر، فأمر سليمان الجنَّ أن يَضربوا لَبِناتِ الذهب والفضة، ففَعلوا، وأمرهم بعمل ميدان مِقدار تسع فراسخ، وأن يُفْرَشَ فيه لَبِنُ الذَّهب والفضة، وأن يخلُّوا قدر تلك اللَّبنات التي معهم، وأن يَعملوا حول الميدان حائطاً مشرفاً من الذهب والفضة، ففَعلوا، ثم قال سليمان: أيُّ دوابِّ البر والبحر أحسَن؟ فقالوا: يا نبيَّ الله؛ رأينا في بحر كذا دوابَّ مختلفةً ألوانها، لها أجنحة وأعراف ونَواص، قال: عليَّ بها، فأتوا بها، قال: شدُّوها عن يمين الميدان وشماله، وقال للجنِّ: عليَّ بأولادكم، فاجتمع منهم خلقٌ كثيرٌ، فأقامهم على يمين الميدان وشمالِه، ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره، ووَضع أربعة آلاف كرسي على يمينه وعلى شماله، وأمر الجنَّ والإنس والشياطين والوحوش والسباع والطير، فاصطفُّوا فراسخ عن يمينه وشماله. فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان ورأَوا الدوابَّ التي لم يرَوا مثلها تَرُوث على لَبِنِ الذهب والفضة. . تقاصرت إليهم أنفسهم، ووضعوا ما معهم من الهدايا.

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ....

﴿٣٦﴾ ﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ الرَّسُول بِالهديَّة ومَعه أتباعُه ﴿سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ مِن النُّبُوَّة والمُلكِ ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ مِن الدُّنيا، ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ لِفخرِكُم بِزَخارِفِ الدُّنيا.

حاشية الصاوي

وقيل: إنَّ سليمان لما فرش الميدان بلَبِنات الذهب والفضة.. ترك من طريقهم موضعاً على قدر ما معهم من اللَّبِنات، فلما رأى الرسل موضع اللَّبنات خالياً.. خافوا أن يُتَّهموا بذلك، فوَضعوا ما معهم من اللَّبِنِ في ذلك الموضع، ولما نظروا إلى الشياطين.. هالَهُم ما رأوا وفَزِعوا، فقالت لهم الشياطين: جُوزوا، لا بأس عليكم، وكانوا يمرُّون على كراديس الإنس والجن والوحش والطير حتى وقفُوا بين يدي سليمان، فأقبل عليهم بوجهٍ طَلْقٍ وتلقَّاهم متلقًّى حسناً، وسألهم عن حالهم، فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا به، وأعطاه كتاب الملكة، فنَظر فيه وقال: أين الحقَّة؟ فأتي بها وحرَّكها، فجاءه جبريل عليه السلام فأخبره بما فيها، فقال لهم: إنَّ فيها درَّةً ثمينةً غيرَ مثقوبةٍ، وجزعةً، فقال الرسول: صدقتَ، فاثقُب الدرَّة وأدخل الخيط في الجزعة، فقال سليمان: مَن لي بثقبها؟ وسأل الإنس والجنَّ فلم يكن عندهم عِلم ذلك، ثم سأل الشياطين، فقالوا: ترسل إلى الأرضة، فلما جاءت الأرضة.. أخذَت شعرة في فمها ودخلت فيها حتى خرَجت من الجانب الآخر، فقال لها سليمان: ما حاجتك؟ قالت: تُصيِّر رزقي في الشجر، فقال لها: لك ذلك، ثم قال: مَن لهذه الخرزة؟ فقالت دودة بيضاء: أنا لها يا نبيَّ الله، فأخذت الدودة خيطاً في فمها ودخَلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر، فقال لها سليمان: ما حاجتك؟ قالت: يكون رزقي الفواكه، فقال: لكِ ذلك.

ثم ميَّز بين الغلمان والجواري؛ بأن أمرهم أن يَغسلوا وجوههم وأيديهم، فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب بها الأخرى وتغسل وَجهها، والغلام يأخذ الماء بيدَيه ويضرب بِه وجهه، وكانت الجارية تصبُّ الماء على باطن ساعِدها، والغلام يصبُّه على ظاهره، فميَّز بين الغلمان والجواري، ثم ردَّ سليمان الهدية كما أخبر الله عنه بقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ...﴾ إلى آخره.

قوله: (﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ﴾... إلخ) استفهامُ توبيخٍ؛ أي: لا يَنبغي لكم ذلك.

ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ ....

﴿٣٧﴾ ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بما أتيتَ بِه مِن الهدِيَّة، ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ﴾: لا طاقةَ ﴿لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾: مِن بَلدِهِم سَبَأ، سُمِّيَت بِاسمِ أبي قَبيلتِهِم ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ إن لَم يَأتُونِي مُسلِمِين، فلَمَّا رَجع إلَيها الرَّسُول بِالهدِيَّةِ جَعَلَت سَرِيرها داخِلَ سبعة أبوابٍ داخِلَ قَصرِها، وقصرَها داخِل سَبعة قُصُور، وأغلَقَت الأبوابَ وجَعلت علَيها حَرَساً، وتَجهَّزت لِلمَسِيرِ إلى سُليمانَ لِتَنظُرَ ما يَأمُرُها بِه، فارتَحلت في اثنَي عشَر ألفِ قَيل، مع كُلِّ قَيل أُلُوف كثِيرة، إلى أن قَرُبَت مِنهُ على فرسَخ شَعَر بِها.

﴿٣٨﴾ ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ﴾ - في الهمزتَينِ ما تَقدَّمَ - ﴿يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾) حال ثانية مؤكِّدة للأولى.

قوله: (أي: إن لم يأتوني مُسلمين) أفاد بذلك أنَّ يمين سليمان معلَّق على عدم إتيانهم مُسلمين.

قوله: (داخل سبعة أبواب) صوابه: أبيات، وتقدَّم أنه داخل سبعة أبيات، فيكون حينئذٍ في داخل أربعة عشر بيتاً.

قوله: (حرساً) بفتحتين جمع: حارس.

قوله: (قَيْلٍ) بفتح القاف؛ أي: مَلِكٍ، سمِّي بذلك؛ لأنه ينفِّذ ما يقول.

قوله: (إلى أن قربت منه) أي: مِن سليمان.

قوله: (شعر بها) أي: علم، وذلك أنه خرج يوماً فجَلس على سريره، فسمع رَهْجاً قريباً منه[1]، فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس قد نزَلت هنا بهذا المكان، وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾) الخطابُ لكلِّ مَنْ عنده من الجنِّ والإنس وغيرهما.

قوله: (ما تقدَّم) أي: من التحقيق، أو قلب الثانية واواً[2].

قوله: (﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾) أي: وكان سليمان إذ ذاك في بيتِ المقدس، وعرشها في سبأ، وبينها وبين بيت المقدس مسيرةُ شهرَين.

---

(١) كذا في النسخ، ولعل الصواب: (فرأى رهجاً قريباً منه)، والرَّهج: الغبار. وانظر «تفسير الخازن» (٣/ ٣٤٧).

(٢) أبدل الثانية واواً المدنيان والمكي والبصري ورويس، وحققها الباقون. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٣٦).

قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ....

مُنقادِينَ طائِعِين، فلِي أخذُه قبل ذلك لا بَعدَه.

﴿٣٩﴾ ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ هو القَويُّ الشَّديد: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ الَّذِي تَجلِسُ فِيه لِلقَضاءِ، وهو مِن الغَداة إلى نِصفِ النَّهار، ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ﴾ أي: على حَملِه، ﴿أَمِينٌ﴾ على ما فِيه مِن الجَواهِر وغَيرِها، قال سُليمانُ: أُرِيد أسرَعَ من ذلك.

﴿٤٠﴾ ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ المُنزَّل وهو آصِفُ بنُ بَرْخَيا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (فلي أخذه قبل ذلك) أي: قبل إتيانهم مُسلمين؛ لأنهم حربيُّون حينئذٍ.

قوله: (لا بعده) أي: لأنَّ إسلامهم يعصمُ مالهم، وهذا بحسب الظاهر، وأمَّا باطن الأمر.. فقصده أن يَبهرَ عقلها بالأمور المستغربة؛ لتزيد إيماناً.

قوله: (﴿عِفْرِيتٌ﴾) بكسر العين، وقرئ شذوذاً بفتحها[1].

قوله: (وهو القوي) أي: وكان مثل الجبل يَضع قدمه عند منتهى طرفه، وكان اسمه ذكوان، وقيل: صخر.

قوله: (﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ﴾) يحتمل أنه فعل مضارع أصلُه: أأتي بهمزتين، أبدلت الثانية ألفاً، ويحتمل أنه اسم فاعل كـ: ضارب وقائم.

قوله: (﴿مِن مَّقَامِكَ﴾) أي: مَجلسك.

قوله: (أسرع من ذلك) أي: لأنَّ المقصودَ الإتيانُ به قبل أن تَقْدَمَ هي، والحال أنَّ بين قدومها مسيرةَ ساعةٍ ونصف، ومَجلسه من الغداة إلى نصف النهار.

قوله: (﴿عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾) أي: وهو التوراة، وهو آصف بن بَرْخِيَا بالمدِّ والقصر، وكان وزير سليمان، وقيل: كاتِبه، وكان من أولياء الله تعالى، وقيل: الذي عنده عِلمٌ من الكتاب هو جبريل، وقيل: الخضر، وقيل: ملك آخر، وقيل: سليمان نفسه، وعلى هذا: فالخطاب في قوله: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ للعِفريت، وما مشى عليه المفسِّر هو المشهور.

---

(١) وبها قرأ أبو حيوة. انظر «الدر المصون» (٨/ ٦١٤).

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ﴾ ....

كان صِدِّيقاً يَعلَم اسمَ الله الأعظَمَ الذِي إذا دُعِيَ بِه أُجِيب: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ إذا نَظَرتَ بِه إلى شَيء، فقال لَه: انظُر إلى السَّماء، فنَظَر إلَيها ثُمَّ ردَّ بِطَرفِه فوَجدهُ مَوضُوعاً بينَ يَدَيه، ففِي نَظَرِه إلى السَّماء دَعا آصفُ بِالاسمِ الأعظَم أن يَأتِي الله بِه، فحَصل بِأن جَرَى تَحت الأرض حتَّى نَبَعَ تحتَ كُرسِيِّ سُليمانَ، ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا﴾ أي: ساكِناً ﴿عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا﴾ أي: الإتيانُ لِي بِه ﴿مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ﴾: لِيَختَبِرَنِي ﴿ءَأَشْكُرُ﴾ - بِتَحقِيق الهمزتَينِ، وإبدالِ الثَّانِية ألِفاً، وتَسهِيلِها وإدخالِ ألِف بينَ المُسهَّلة

حاشية الصاوي

قوله: (كان صدِّيقاً) أي: مبالغاً في الصِّدق مع الله ومع عباده.

قوله: (﴿طَرْفُكَ﴾) هو بالسكون: البصر.

قوله: (قال) أي: آصف، وقوله: (له) أي: لسليمان.

قوله: (دعا بالاسم الأعظم) قيل: كان الدعاء الذي دعا به: يا ذا الجلال والإكرام، وقيل: يا حي يا قيوم، وقيل: يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت؛ ائتني بعرشها.

قوله: (بأن جرى تحت الأرض) أي: بحمل الملائكة له؛ لأمر الله لهم بذلك.

قوله: (أي: ساكناً) أي: غيرَ متحرِّكٍ، كأنه وُضِعَ من قبل بزمن متَّسع، وليس المراد مطلق الاستقرار والحصول، وإلا.. كان واجب الحذف؛ لأن الظرف يكون مستقرًّا، وعلى ما ذكره المفسِّر فالظرف لغوٌ، عامله خاصٌّ مذكور، فتدبَّر.

قوله: (﴿مِن فَضْلِ رَبِّى﴾) أي: إحسانِهِ إليَّ.

قوله: (وإدخال ألف... إلخ) أي: فالقراءات سبعيَّات، وبَقيت خامسة وهي: إدخال ألف بين المحقَّقتين[1].

---

(١) نافع يسهل الهمزة الثانية، وابن كثير وأبو عمرو وهشام بخلاف عنه، وأدخل بينهما ألفاً قالون وأبو عمرو وهشام، ولم يدخل ورش وابن كثير، ولورش أيضاً إبدالها ألفاً، والباقون بالتحقيق وعدم الإدخال. انظر «السراج المنير» (٣/ ٦١).

أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ ....

والأُخرَى وتَركِه ـ ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ النِّعمةَ ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: لِأجلِها؛ لِأنَّ ثَوابَ شُكرِه لَه، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النِّعمةَ ﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ﴾ عن شُكرِه، ﴿كَرِيمٌ﴾ بِالإفضالِ على مَن يَكفُرها.

﴿٤١﴾ ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي: غَيِّرُوهُ إلى حالٍ تُنْكِرُه إذا رَأَتْهُ، ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ﴾ إلى مَعرِفَتِه ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى مَعرِفة ما يُغَيَّر علَيهِم؟ قَصَدَ بِذلك اختِبارَ عقلِها لمَّا قِيل لَه: إنَّ فِيهِ شيئاً، فغَيَّرُوهُ بِزيادةٍ أو نَقص أو غيرِ ذلك.

حاشية الصاوي

قوله: (لأنَّ ثواب شكره له) أي: لأنَّ الشكر سببٌ في زيادة النِّعم، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

قوله: (بالإفضال على من يكفرها) أي: فلا يقطع نعمه بسبب إعراضه عن الشكر وكفران النعمة.

قوله: (﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾) معطوفٌ في المعنى على قوله: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾[1]، وكلاهما مرتَّبٌ على قوله: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾.

قوله: (إلى حالةٍ تُنْكِرُهُ إذا رأته) أي: فالتَّنكير: إبهامُ الشيء بحيث لا يعرف، ضدُّ التعريف، ومنه: النكرة والمعرفة في اصطلاح النحويين.

قوله: (﴿نَنظُرْ﴾) هو جواب الأمر.

قوله: (قصد بذلك... إلخ) أشار بذلك إلى حكمة التغيير.

قوله: (لما قيل له: إنَّ فيه شيئاً) أي: نقصاً، والقائل له ما ذُكِرَ الجنُّ، وقالوا له أيضاً: إن رجلها كرجلي حمار، وقالوا له أيضاً: إنَّ في ساقيها شعراً؛ لأنهم ظنُّوا أنه يتزوَّجها، فكرهوا ذلك؛ لئلا تُفشي له أسرار الجن، ولئلا يأتي له منها أولاد، فيَخلفوه في استخدام الجن، فيَدوم عليهم الذلُّ.

---

(١) والمقصود عطف المتعلق، فكان يكفي أن يقال: ونكروا لها عرشها، وإنما أعيد القول لكون المتعلق مختلفاً؛ لكونه أولاً ثناءً على الله تعالى، وثانياً متعلقاً بشأن عرشها. «فتوحات» (٣/ ٣٣٥) نقلاً عن شيخه العلامة الأجهوري.

فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ ....

﴿٤٢﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ﴾ لَها: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ أي: أمِثلُ هذا عَرشُك؟ ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ أي: فعَرَفَتهُ وشَبَّهَت علَيهِم كما شَبَّهُوا علَيها؛ إذ لَم يَقُل: أهذَا عَرشُك؟ ولو قِيل هذا قالَت: نَعَم، قال سُليمانُ لمَّا رَأى لَها مَعرِفةً وعِلماً: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾.

﴿٤٣﴾ ﴿وَصَدَّهَا﴾ عن عِبادةِ الله ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيرَه، ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قِيلَ﴾ لها) القائل لها سليمان، أو مأموره.

قوله: (﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾) الهمزة: للاستفهام، والهاء: للتنبيه، والكاف: حرف جرٍّ، و(ذا): اسم إشارة مجرور بها، والجارُّ والمجرور خبرٌ مقدَّم، و﴿عَرْشُكِ﴾: مبتدأ مؤخَّر، وفصل بين هاء التنبيه واسم الإشارة بحرف الجرِّ وهو الكاف اعتناءً بالتنبيه، وكان مُقتضاه أن يقال: أكهَذا عرشك؟

قوله: (أي: أمثل هذا؟) أشار بذلك إلى أنَّ الكاف اسم بمعنى: مثل، وقولهم: لا يفصل بين (ها) التنبيه واسم الإشارة بشيءٍ من حُروف الجر إلا بالكاف.. معناه: ولو صورةً وإن كانت في المعنى اسماً بمعنى: مِثل.

قوله: (وشبَّهت عليهم... إلخ) أي: فأتَت بهذه العبارة مشاكلةً لكلام سليمان، والمشاكلة: الإتيان بمثل الكلام السابق وإن لم يتَّحد الكلامان؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾.

قوله: (قال سليمان) أي: تحدُّثاً بنعمة الله.

قوله: (﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾) أي: العلمَ بالله وصفاته من قبل أن تؤتى هي العلمَ بما ذكر، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ من قبل أن تُسلِم، فنحن أسبق منها علماً وإسلاماً.

قوله: (﴿وَصَدَّهَا﴾) أي: منَعها، وقوله: (﴿مَا كَانَت﴾) فاعل (صدَّ)، والمعنى: منَعها من عبادة الله الذي كانت تَعبده من دون الله، وهو الشمس.

قوله: (﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾) بكسر (إنَّ) في قراءة العامَّة، استئناف، وقرئ شذوذاً بفتحها على إسقاط حرف التعليل[1].

---

(١) قرأ سعيد بن جبير وأبو حيوة بالفتح، وفيها وجهان، أحدهما: أنها بدل من ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ﴾ أي: وصدَّها أنها كانت، والثاني: أنها على إسقاط حرف العلة؛ أي: لأنها، فهي قريبة من قراءة العامة. انظر «الدر لمصون» (٨/٦١٨).

قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى ....

(٤٤) ﴿قِيلَ لَهَا﴾ أيضاً: ﴿ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾ هو سَطحٌ مِن زُجاج أبيَض شفَّاف تَحتَه ماءٌ عَذب جارٍ، فِيه سَمَك اصطَنَعهُ سُليمانُ لمَّا قِيل لَهُ: إنَّ ساقَيها وقَدَمَيها كقَدَمَي الحِمار، ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ مِن الماءِ، ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ لِتَخُوضَهُ، وكان سُليمانُ على سَرِيره في صَدرِ الصَّرح، فرأى ساقَيها وقَدَمَيها حِساناً، ﴿قَالَ﴾ لَها: ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾: مُملَّس ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ أي: زُجاج، ودَعاها إلى الإسلامِ، ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بِعِبادةِ غَيرِك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قِيلَ لَهَا﴾ أيضاً) أي: كما قيل: نكِّروا لها عَرشها.

قوله: (هو سطح) وقيل: الصرح: القصر، أو صَحن الدار.

قوله: (من زجاج أبيض) أي: وهو المسمَّى بالبلّور.

قوله: (اصطنعه سليمان) أي: أمر الشياطين به، فحفرُوا حُفيرة كالصهريج، وأجروا فيها الماء، ووضعوا فيها سمكاً وضفدعاً وغيرهما من حيوان البحر، وجعلوا سَقفها زجاجاً شفَّافاً، فصار الماء وما فيه يُرَى من هذا الزجاج، فمن لم يكن عالماً به.. يظنُّ أنه مكشوفٌ يُخاض فيه مع أنه ليس كذلك.

قوله: (لما قيل له) القائل ذلك الجنُّ.

قوله: (﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ﴾) أي: أبصَرته.

قوله: (﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾) أي: على عادة مَنْ أراد خوض الماء، قيل: لما رأت اللُّجة.. فزعت وظنَّت أنه قَصد بها الغرق، فلمَّا لم يكن لها بدٌّ من امتثال الأمر.. سلَّمت وكشفت عن ساقَيها.

قوله: (لتخوضه) أي: لأجل أن تَصل إلى سليمان.

قوله: (فرأى ساقيها... إلخ) أي: فلمَّا علم ذلك.. صرف بصرَه عنها.

قوله: (﴿مُّمَرَّدٌ﴾) صفة أولى لـ﴿صَرْحٌ﴾، وقوله: ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ صفة ثانية، جمع: قارُورة.

قوله: (مملَّس) ومنه: الأمرد؛ لِمَلاسة وجهه؛ أي: نُعومته؛ لعدم الشعر به.

قوله: (بعبادة غيرك) أي: وهو الشمس.

وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ....

﴿وَأَسْلَمْتُ﴾ كائِنةً ﴿مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وأرادَ تَزَوُّجها، فكَرِهَ شَعرَ ساقَيها، فعَمِلت لَه الشَّياطِينُ النُّورَةَ، فأزالَتهُ بِها، فتزوَّجها وأحَبَّها وأقَرَّها على مُلكِها، وكان يَزُورُها في كُلِّ شَهر مَرَّةً ويُقِيم عِندها ثلاثةَ أيَّام، وانقَضَى مُلكُها بِانقضاءِ مُلكِ سُليمان، رُوي أنَّه ملَك وهو ابنُ ثلاثَ عشرة سنة، ومات وهو ابنُ ثلاثٍ وخَمسِين سَنةً، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾) حال من التاء في (أسلمت) كما أشار لذلك بقوله: (كائنة)، والمعنى: أسلمت حالة كَوني مصاحبة له في الدين، ولا يصح أن يكون متعلِّقاً بـ(أسلمت)؛ لأنه يوهم أنها متَّحِدة معه في الإسلام في زمن واحد.

قوله: (فعملت له الشياطين النُّورة) أي: بعد أن سأل الإنس عمَّا يزيل الشعر، فقالوا له: يُحلق بالموسى، فقالت: لم يمسَّ الحديد جسمي، فكره سليمان الموسى وقال: إنها تقطع ساقيها، فسأل الجنَّ، فقالوا: لا ندري، فسأل الشياطين، فقالوا: نَحتال لك حتى يكون جسدها كالفضة البيضاء، فاتخذوا النُّورة والحمَّام، فكانت النُّورة والحمَّام من يومئذٍ.

قوله: (فتزوَّجها) أي: ووَلدت منه ولداً، وسمَّته داوود، ومات في حياة أبيه، وبقيت معه إلى أن مات، وهذا أحد قولَين، وقيل: إنها لما أسلمت.. قال لها سليمان: اختاري رجلاً من قومك حتى أزوجك إياه، فقالت: ومثلي يا نبي الله يَنكح الرجال، وقد كان لي من قَومي الملك والسلطان؟ قال: نعم إنه لا يكون في الإسلام إلا ذلك، ولا ينبغي لك أن تحرِّمي ما أحلَّ الله، قالت: إن كان ولا بد.. فزوِّجني ذا تبَّع ملك هَمْدَانَ، فزوَّجها إيَّاه، وذهب بها إلى اليَمن، وملَّك زوجها ذا تبع على اليَمن، ودعا سليمان زوبعة ملك الجن وقال له: اعمل لذي تبع ما استعملك فيه، فلم يَزل يعمل له ما أراد إلى أن مات سليمان، وحال الحول ولم يَعلم الجن موته، فأقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال بأعلى صَوته: يا معشر الجن؛ إن سليمان قد مات فارفَعوا أيديكم، فرفعوا أيديهم وتفرَّقوا.

قوله: (وأقرَّها على ملكها) أي: وأمر الجنَّ فبنَوا لها بأرض اليمن ثلاثة حُصون لم يرَ الناس مثلها في الارتفاع والحُسن.

قوله: (ويقيم عندها ثلاثة أيام) أي: وكان يُبكر من الشام إلى اليمن، ومن اليمن إلى الشام.

قوله: (روي أنه ملك) أي: أعطي الملك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ . . . . . .

فسُبحان مَن لا انقِضاءَ لِدَوام مُلكِه.

﴿٤٥﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ مِن القَبيلة ﴿صَـٰلِحًا أَنِ﴾ أي: بِأن ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: وحِّدُوهُ، ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ في الدِّين: فَرِيقٌ مُؤمِنُون مِن حِين إرسالِه إلَيهِم، وفرِيقٌ كافِرُون.

حاشية الصاوي

قوله: (فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه) أي: فما سواه يَفنى، وهو الباقي بلا زوال، قال العارف:

ما آدمُ في الكَوْنِ وما إبلِيسُ   ما مُلْكُ سُلَيْمانَ وما بِلْقِيسُ
الكلُّ إشارةٌ وأنتَ المَعنَى   يا مَن هو لِلقُلوبِ مغناطِيسُ

فالأكوان جميعها إشارة دالَّة على المقصود بالذات، وهو الله الواحد القهَّار.

قوله: (﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ﴾) شُروعٌ في القصة الرابعة من هذه السورة، وثمود: اسمٌ لقبيلة صالح، سمِّيت باسم أبي القبيلة، فهو ممنوعٌ من الصرف للعَلمية والتأنيث، وتسمَّى عاداً الثانية، وأمَّا عاد الأولى.. فهم قَوم هود.

قوله: (﴿أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا﴾) أي: في النَّسب؛ لأنه من أولاد ثمود الذي هو أبو القبيلة، وعاش صالح مئتين وثمانين سنة.

قوله: (أي: بأن ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ (أن) مصدرية، وحرف الجرِّ محذوف، ويصح أن تكون مُفسِّرة؛ لوجود ضابطها، وهو تقدُّم جملة فيها معنى القول دون حرُوفه.

قوله: (وحِّدوه) أي: اعتقدوا أنه واحدٌ في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له في شيء منها.

قوله: (﴿فَإِذَا هُمْ﴾) (إذا): فجائية، والمعنى: ففاجأ إرساله تفرقهم واختصامهم، فآمن فريق، وكفَر فريق، وتقدَّم حكاية اختصام الفريقين في سورة (الأعراف) في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ...﴾ إلخ [الأعراف: ٧٥].

قوله: (فريق مؤمنون) جمع وصف الفريق؛ مراعاةً لمعناه.

قوله: (من حين إرساله) أي: وبعد ظهور المعجزات.

قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴿٤٧﴾ ....

﴿٤٦﴾ ﴿قَالَ﴾ لِلمُكَذِّبين: ﴿يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ أي: بِالعَذابِ قبل الرَّحمة حيثُ قُلتُم: إنْ كان ما أتيتَنا بِه حقًّا فأتِنا بِالعَذابِ، ﴿لَوۡلَا﴾: هَلَّا ﴿تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ مِن الشِّركِ ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ فلا تُعَذَّبُون.

﴿٤٧﴾ ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا﴾ ـ أصلُه: تَطيَّرنا، أُدغِمَت التَّاء في الطاء واجتُلِبَت همزةُ الوصلِ ـ أي: تَشاءَمنا ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ﴾ أي: المُؤمِنِين حيثُ قُحِطُوا المَطَر وجاعُوا، ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ﴾: شُؤمُكُم ﴿عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ أتاكُم بِه، ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ﴾: تُختَبَرُون بِالخَيرِ والشَّرِّ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾) أي: لأيِّ شيء تستعجلون العذاب وتَطلبونه لأنفسكم، ولا تطلبون الرحمة، ويصح أن يُرَادَ بالسيئة والحسنة أسبابُ العذاب وأسبابُ الرحمة، والمعنى: تؤخِّرون الإيمان الذي هو سببٌ في الرحمة، وتُقدِّمون الكفر الذي هو سبب العذاب.

قوله: (هلَّا) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿لَوۡلَآ﴾ تحضيضيَّة.

قوله: (من الشرك) أي: بأن تتركوا الشرك وتؤمنوا.

قوله: (﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾) الترجي في كلام الله بمنزلة التحقيق؛ لأنه صادرٌ من قادرٍ عالمِ العواقب، لا يُخلف وعده.

قوله: (أدغمت التاء في الطاء) أي: بعد قلبها طاءً.

قوله: (واجتلبت همزة الوصل) أي: للتوصُّل للنطق بالساكن.

قوله: (أي: تشاءمنا) أي: أصابنا الشؤم، وهو: الضيق والشِّدَّة.

قوله: (حيث قحطوا المطر) أي: حُبِسَ عنهم.

قوله: (﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾) أي: جزاء عملكم من عند الله، عامَلكم به، فالشؤم وصفكم لا وصفي، وسمي طائراً؛ لأنه يأتي الظالم بغتةً وسرعةً كنزول الطائر.

قوله: (﴿تُفۡتَنُونَ﴾) أتى بالخطاب مراعاةً لتقدُّم الضمير وهو الراجح، ويجوز مراعاة الاسم الظاهر فيؤتى بالغيبة، فيقال مثلاً: نحن قوم نَقرأ ويقرؤون.

قوله: (تُختبرون بالخير والشَّر) أي: لتعلموا أنَّ ما أصابكم من خيرٍ فمِن الله، وما أصابكم من شرٍّ فبِما كسبت أيديكم.

وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ ....

﴿٤٨﴾ ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾: مَدِينَةِ ثَمُود ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ أي: رِجالٍ ﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بِالمَعاصِي، مِنها قَرضُهم الدَّنانير والدَّراهِم، ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بِالطَّاعة.

﴿٤٩﴾ ﴿قَالُوا۟﴾ أي: قال بَعضُهم لِبَعضٍ: ﴿تَقَاسَمُوا۟﴾ أي: احلِفُوا ﴿بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ ـ بِالنُّون، والتَّاء وضَمِّ التَّاء الثَّانِية ـ ﴿وَأَهْلَهُۥ﴾ أي: مَن آمَنَ بِهِ أي: نَقتُلُهم لَيلاً ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (مدينة ثمود) أي: وهي الحجر، وتقدَّم أنه وادٍ بين الشام والمدينة.

قوله: (﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾) ما دون العشرة من الرجال، والنفر: ما دُون السبعة إلى الثلاثة.

قوله: (أي: رجال) دفع بذلك ما يقال: إنَّ تمييز التسعة جمع مجرور، فكيف يؤتى به مفرداً؟ فأجاب: بأنه وإن كان مفرداً في اللفظ فهو جمع في المعنى، وهؤلاء التسعة هم الذين قتلوا أولادهم حين أخبرهم صالح أنَّ مَولوداً يولد في شهركم هذا يكون عقر الناقة على يديه، فقتل التسعة أولادهم، وأبى العاشر أن يقتل ولدَه، فعاش ذلك الولد ونبت نباتاً سريعاً، فكان إذا مرَّ بالتسعة.. حزنوا على قتل أولادهم، فسوَّل لهم الشيطان أن يجتمعوا في غارٍ، فإذا جاء الليل.. خرجوا إلى صالح وقتلُوه.

وتقدَّم: أنهم اجتمعوا في الغار، فأرادوا أن يخرجوا منه، فسقط عليهم الغار، فقتلهم وعقر الناقةَ ولدُ العاشر وهو قدار بن سالف، وقيل: إنهم جاؤوا ليلاً لِقتله شاهرين سيوفهم، فرمتهم الملائكة بالأحجار؛ كما أفاده المفسِّر.

قوله: (أي: احلفوا) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿تَقَاسَمُوا۟﴾ فعل أمر؛ أي: قال بعضهم لبعض: احلفوا على كذا.

قوله: (بالنون) أي: مع فتح التاء، وقوله: (والتاء) كان المناسب أن يقول: (وبالتاء)؛ لأنَّ ضمَّ التاء لا يكون إلا على قراءة التاء، فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (أي: من آمن به) وسيأتي أنهم أربعة آلاف.

---

(١) قرأ الأخوان بتاء الخطاب المضمومة وضم التاء، والباقون بنون المتكلم وفتح التاء. انظر «الدر المصون» (٨/ ٦٢٤).

لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ ....

ـ بِالنُّونِ، والتَّاء وضَمِّ اللَّام الثَّانية ـ ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾ أي: وَلِيِّ دَمه: ﴿مَا شَهِدْنَا﴾: حَضَرنا ﴿مُهْلَكَ أَهْلِهِۦ﴾ ـ بِضَمِّ المِيم وفَتحها ـ أي: إهلاكَهُم أو هَلاكَهُم فلا نَدرِي مَن قَتَلَهُم، ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

﴿٥٠﴾ ﴿وَمَكَرُوا۟﴾ في ذلك ﴿مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ أي: جازَيناهُم بِتَعجيل عُقُوبَتِهم، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (بالنون) أي: مع فتح اللام، وقوله: (والتاء) أي: فقراءة النون هنا مع قراءة النون في الذي قبله، وقراءة التاء مع التاء، فهما قراءتان فقط.

قوله: (أي: ولي دمه) أي: دمِ مَنْ قُتِلَ مِنْ صالحٍ ومَنْ معه.

قوله: (﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾) أي: أهل ولي الدم الذي يقوم عند موت صالح وأقاربه المؤمنين به.

قوله: (بضم الميم) أي: مع فتح اللام، وقوله: (وفتحها) أي: مع فتح اللام وكسرها، فالقراءات ثلاث سبعيَّات[1].

قوله: (أي: إهلاكهم) راجع للضمِّ؛ لأنه من الرباعي.

قوله: (وهلاكهم) راجع للفتح بوجهَيه؛ لأنه من الثلاثي.

قوله: (﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾) أي: ونحلف إنا لَصادقون، أو المعنى: والحال إنا لصادقون فيما قلنا.

قوله: (﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا﴾) أرادوا إخفاء ما بيَّتوا عليه من قتل صالح وأهله.

قوله: (﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾) أي: أهلكناهم من حيث لا يشعرون، وهو من باب المشاكلة، نظير قول الشاعر[2]: [الكامل]

قَالُوا: اقْتَرِحْ شَيْئاً نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ ... قُلْتُ: اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصَا

وإلا.. فحقيقة المكر مُستحيلةٌ على الله تعالى؛ لأنه التحيُّل على الغدر، وهو من صفات العاجز، والعجز على الله محالٌ.

---

(١) قرأ عاصم بفتح الميم، والباقون بضمها، وكسر اللام حفص، وفتحها الباقون. انظر «السراج المنير» (٣/ ٦٥).

(٢) قائله أبو الرقعمق؛ كما في «معاهد التنصيص على شواهد التلخيص» (٢/ ٢٥٢).

فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ....

﴿٥١﴾ ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ إِنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ﴾: أهلَكناهُم ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بِصَيحةِ جِبريلَ أو بِرَمْيِ المَلائكة بِحِجارةٍ يَرَونَها ولا يَرَونَهُم.

﴿٥٢﴾ ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ﴾ أي: خاليةً، ـ ونَصبُه على الحال، والعامِلُ فيها معنى الإشارةِ ـ ﴿بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾: بِظُلمِهِم أي: كُفرِهم، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾: لَعِبرةً ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قُدرَتَنا فيتَّعِظُون.

﴿٥٣﴾ ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِصالِحٍ وهُم أربعةُ آلاف ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ الشِّركَ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَانظُرْ﴾) أي: تأمَّل وتفكَّر.

قوله: (﴿أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ﴾) بكسر (إن) على الاستئناف، وفتحها على أنه خبرٌ لمحذوف؛ أي: وهي تدميرنا إياهم، والقراءتان سبعيَّتان(١).

قوله: (أو برمي الملائكة) (أو): للتنويع؛ أي: إنَّ عذابهم نوعان مُوزعان عليهم: رمي الحجارة على التسعة بسبب تبييتهم على قتل صالح وأهله، والصيحة على غيرهم بسبب عَقر الناقة. ولو قال المفسِّر: (أهلكناهم برمي الملائكة الحجارة، وقومهم أجمعين بصيحة جبريل).. لكان أوضح.

قوله: (﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ﴾) مبتدأ وخبر؛ أي: ديارهم.

قوله: (بِظلمهم) أشار بذلك إلى أنَّ (ما) مصدرية، والباء سببيَّة.

قوله: (﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾) أي: المذكورِ من إهلاكهم.

قوله: (﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) أي: من الهلاك، فخرج صالح بهم إلى حَضرموت، فلمَّا دخلها.. مات صالح، فسمِّيت تلك البلدة بذلك، ثم بني الأربعة آلاف مدينة يقال لها: حاضوراء.

قوله: (﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾) أي: يَدومون على اتقاء الشرك؛ بأن لم يرتدوا.

---

(١) قرأ الكوفيون بالفتح، والباقون بالكسر. انظر «الدر المصون» (٨/ ٦٢٦).

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ ....

﴿٥٤﴾ ﴿وَلُوطًا﴾ - مَنصُوب بـ(اذكُر) مُقدَّراً قبلَه، ويُبدل مِنهُ -: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي: اللِّواط ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي: يُبصِرُ بَعضُكُم بَعضاً انهِماكاً في المَعصيَة.

﴿٥٥﴾ ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ - بِتَحقيقِ الهَمزتَين، وتَسهِيل الثَّانية، وإدخالِ أَلِف بينَهما على الوَجهَينِ - ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ عاقِبةَ فِعلِكُم.

﴿٥٦﴾ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ﴾: أهلَه ....

حاشية الصاوي

قوله: (ويبدل منه) أي: بدل اشتمال، والمراد: ذكر القول، لا ذكر وقته.

قوله: (﴿لِقَوْمِهِۦٓ﴾) أي: من حيث إرساله إليهم وإقامتُهُ عندهم، وإلَّا.. فهو في الأصل من أرض بابل، فلمَّا قدم مع عمِّه إبراهيم إلى الشام.. نزل إبراهيم بفلسطين، ونزل لوط بسذوم.

قوله: (يبصر بعضكم بعضاً) أشار بذلك إلى أنَّ المراد: الإبصار بالعين، وقيل: المراد: إبصار القلب، ويكون المعنى: وتعلمون أنها قبيحةٌ.

قوله: (وإدخال ألف بينهما) أي: وتركه، فالقراءات أربعٌ سبعيَّاتٌ[1].

قوله: (﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾) أشار بذلك إلى أنهم أساؤوا من الطرفين في الفعل والترك، وقوله: (﴿شَهْوَةً﴾) مفعول لأجله.

قوله: (عاقبة فعلكم) أي: وهي العذاب الذي نزل بهم.

قوله: (﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾) خبر ﴿كَانَ﴾ مقدَّم، وقوله: (﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟﴾) اسمها مؤخَّر.

قوله: (﴿ءَالَ لُوطٍ﴾) المراد: هو وأهله، وهُم: بِنتاه وزوجته المؤمنة.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية المكسورة كالياء، وحقَّقها الباقون، وأدخل بينهما قالون وأبو عمرو ألفاً، وهشام بخلاف عنه. انظر «السراج المنير» (٣/ ٦٧).

مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ

﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ مِن أدبارِ الرِّجال.

﴿٥٧﴾ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا﴾: جَعلناها بِتَقدِيرنا ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: الباقِينَ في العَذاب.

﴿٥٨﴾ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ هو حِجارةُ السِّجِّيل أهلَكَتهُم، ﴿فَسَآءَ﴾: بِئسَ ﴿مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ بِالعَذابِ مَطَرُهم.

﴿٥٩﴾ ﴿قُلِ﴾ يا مُحمَّد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هَلاك كُفَّار الأُمَم الخالِية، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾) الإضافة للجنس؛ لأنه تقدَّم أنَّ قُراهم كانت خمسةً، وأعظمها سذوم.

قوله: (﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾) أي: يتنزَّهون، وقالوا ذلك على سبيل الاستهزاء.

قوله: (﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾) أي: فخرج لوط بأهله من أرضهم، وطوى الله تعالى له الأرض حتى نجا، ووصل إلى إبراهيم.

قوله: (الباقين في العذاب) أي: الذي حلَّ بهم، وهو أن جبريل اقتلع مدائنهم ثمَّ قلبها، فهلك جميع من فيها. قيل: كان فيها أربعة آلاف ألف.

قوله: (﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم﴾) أي: على مَنْ كان في ذلك الوقت خارجاً عن المدائن لسفر أو غيره.

قوله: (هو حجارة السجيل) أي: الطين المحرَّق.

قوله: (مطرهم) هو المخصوص بالذمِّ.

قوله: (﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾) لما تمَّم سبحانه وتعالى القصص.. أمر رسوله بحمده والسلام على المصطفين؛ شكراً له على نُصرة أهل الحق والإيمان، وقطع دابر أهل الكفر والطغيان، وتمهيداً لما يذكر من أدلة التوحيد التي أقامها ردًّا على المشركين. والسِّرُّ في ذلك إنصات العاقل وإصغاؤه؛ ليدخلَ في زُمرة مَنْ سلَّم الله عليهم.

قوله: (﴿وَسَلَٰمٌ﴾) أي: أمانٌ.

ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ....

﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ﴾ هم ﴿ءَآللَّهُ﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الثانية ألِفاً وتسهيلها، وإدخالِ ألِف بين المُسهَّلة والأُخرى وتَركِه ـ ﴿خَيْرٌ﴾ لِمَن يَعبُدهُ، ﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ـ بالياء والتَّاء ـ أي: أهل مكَّةَ بِه الآلِهة خيرٌ لِعابِدِيها؟

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ﴾) قيل: هم الأنبياء والرسل، وقيل: أصحاب رسول الله ﷺ، وقيل: مؤمنو هذه الأمة، وقيل: كلُّ مؤمن من مبدأ الدنيا إلى مُنتهاها، ومعنى (اصطفى): اختارهم أزلاً لخدمته وطاعته في الدنيا، ولجنَّته ونعيمه في الآخرة، فالأصل: اصطفاء الله للعبد؛ فلولا اصطفاؤه له.. ما وفِّق العبدُ لخدمة ربِّه، ومن هذا قولهم: لولا السابقة.. ما كانَت اللاحقة.

قوله: (بتحقيق الهمزتين... إلخ) ظاهر المفسِّر أنَّ القراءات أربعٌ، وهو سبق قَلم، والصواب: أن هنا قراءتين فقط: تسهيل الثانية مقصورة، وإبدالها ألفاً ممدودة مدًّا لازماً، وتقدَّم أنَّ هذين الوجهين يجريان في خمسة مواضع في القرآن غير هذا: اثنان في الأنعام: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ في الموضعين، وثلاثة في (يونس): ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾، ﴿ءَآلْـَٔنَ﴾ في الموضعين.

قوله: (﴿خَيْرٌ﴾) خبر لفظ الجلالة، وهو إمَّا اسم تفضيل باعتبار زعم الكفار، أو صفة لا تفضيل فيها، والكلام على حذف مضاف، والتقدير: توحيدُ الله خيرٌ لمن عبده أم الأصنام خيرٌ لمن عبَدها؟ فهو تهكُّمٌ بالمشركين؛ لأنهم اختاروا عِبادة الأصنام على عبادة الله، والاختيار للشيء لا يكون إلا لخيرٍ ومنفعةٍ، ولا خير في عبادتها، وكان ﷺ إذا قرأها يقول: «بل الله خيرٌ وأبقى، وأجلُّ وأكرمُ»[1].

قوله: (﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾) (أم) هذه: متصلة عاطفة على لفظ الجلالة؛ لوجود المعادل، وهو تقدم همزة الاستفهام، بخلاف (أم) الآتية فهي منقطعةٌ تفسَّر بـ(بل) وهمزةِ الاستفهام الإنكاري.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (أي: أهل مكة) تفسير للواو في ﴿يُشْرِكُونَ﴾.

قوله: (أي: الآلهة) تفسير لـ(ما)، والمعنى: أم الآلهة التي يُشركونها به خيرٌ لعابديها.

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٩١٥) عن سيدنا علي بن الحسين ﵄.

(٢) قرأ عاصم والبصريان بياء الغيبة، وغيرهم بتاء الخطاب. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٣٧).

أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ ....

(٦٠) ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا﴾ - فِيهِ التِفاتٌ مِن الغيبة إلى التَّكلُّم - ﴿بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾: جمع حَدِيقة وهو البُستانُ المُحَوَّطُ ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾: حُسنٍ ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ لِعَدَمِ قُدرَتِكُم علَيهِ، ﴿أَءِلَٰهٌ﴾ - بِتحقِيق الهَمزتينِ، وتَسهِيل الثانِية، وإدخالِ أَلِف بينَهما على الوَجهَين في مَواضِعِه السَّبعة - ﴿مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أعانَهُ على ذلك؟ أي: ليسَ مَعَهُ إلَه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾) القراءة السبعيَّة بإدغام إحدى الميمين في الأخرى، و(أم): منقطعة، و(مَن خلق): مبتدأ خبره محذوف، تقديره: خيرٌ أم ما يشركون، وقرئ شذوذاً بتخفيف الميم، فتكون (مَنْ) موصولة دخلت عليها همزة الاستفهام.

قوله: (فيه التفاتٌ) أي: وحكمته اختصاصه سبحانه وتعالى بهذا الفعل، إشارةً إلى أنَّ الله تعالى هو المنبِت للأشجار والزروع لا غيره، وخلقها مختلفة الألوان والطعوم مع كونها تسقى بماء واحد.

قوله: (وهي البستان المحوط) أي: المجعول عليه حائط لعزَّته.

قوله: (﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾) صفة لـ﴿حَدَآئِقَ﴾، وأفرد؛ لكونه جمعَ كثرةٍ لما لا يعقل.

قوله: (﴿مَّا كَانَ لَكُمْ﴾) أي: لا ينبغي؛ لأنكم عاجزون عن إخراج النبات وإن كنتم قادرين على السقي والغرس ظاهراً.

قوله: (﴿أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾) أي: فضلاً عن ثمارها وأشكالها.

قوله: (وإدخال ألف بينهما) أي: وتركه، فالقراءات أربعٌ سبعيَّاتٌ[1].

قوله: (في مواضعه السبعة) أي: مواضع اجتماع الهمزتين المفتوحة ثم المكسورة، وهي لفظ ﴿أَءِلَٰهٌ﴾ خمس مرات، و﴿أَءِذَا﴾، و﴿أَءِنَّا﴾.

قوله: (أي: ليس معه إله) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاري، وكذا يقال فيما بعده.

---

(١) سهَّل الثانية مع الإدخال قالون والبصري وأبو جعفر، ومن غير إدخال ورش وابن كثير ورويس، وحققها هشام مع الإدخال وعدمه، والباقون كذلك من غير إدخال. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٣٦).

بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ....

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾: يُشرِكُون بِالله غَيرَه.

﴿٦١﴾ ﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾: لا تَمِيدُ بِأهلِها ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾: فِيما بينَها ﴿أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾: جِبالاً أثبتَ بِها الأرضَ، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ بينَ العَذب والمِلح لا يَختلِط أحَدُهما بِالآخَر، ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تَوحِيدَه.

﴿٦٢﴾ ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾: المَكروبَ الذِي مَسَّهُ الضُّرُّ ﴿إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ عنهُ وعن غَيرِه، ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ الإضافةُ بِمعنَى (في)، أي: يَخلُف كُلُّ قَرن القَرنَ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾) إضرابٌ انتقاليٌّ من تبكيتهم إلى بيانِ سوء حالهم.

قوله: (﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾) أي: مستقرًا للإنسان والدوابِّ، لا تتحرَّك بما على ظهرها.

قوله: (فيما بينها) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿خِلَالَهَا﴾ ظرف لـ﴿جَعَلَ﴾، وتكون بمعنى: خَلق، ويصح أن تكون بمعنى: صيَّر، و﴿خِلَالَهَا﴾ مفعولٌ ثانٍ.

قوله: (﴿حَاجِزًا﴾) أي: معنويًا غير مشاهدٍ.

قوله: (﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾) أي: وكفرهم تقليدٌ، والأقلُّ يعلم الأدلَّة وكفرهم عنادٌ.

قوله: (﴿الْمُضْطَرَّ﴾) هو اسم مفعول، وهذه الطاء أصلها تاء الافتعال، قلبت طاء؛ لوقوعها إثر حرف الإطباق وهو الضاد.

قوله: (﴿إِذَا دَعَاهُ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ إجابة المضطر متوقِّفةٌ على دعائه، فلا ينبغي لمن كان مضطرًا تركُ الدعاء، بل يَدعو، والله يجيبه على حسَب ما أراد سبحانه وتعالى؛ لأنَّ الله أرأف على العبد من نفسه، فالعاقل إذا دعا. . يُسلِّم في الإجابة لمراد الله.

قوله: (الإضافة بمعنى: في) أي: فالمعنى يجعلكم خلفاء في الأرض.

أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ....

الذِي قبلَه، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾: تتَّعِظُون ـ بِالفوقانيَّة والتَّحتانيَّة، وفيهِ إدغام التَّاء في الذَّال، و﴿مَّا﴾ زائِدة لِتقليلِ القَليل ـ.

﴿٦٣﴾ ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾: يُرشِدُكُم إلى مَقاصِدكُم ﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ بِالنُّجُوم لَيلاً وبِعَلاماتِ الأرض نَهاراً، ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ نُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓۗ﴾ أي: قُدَّام المَطَر، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بِه غَيرَه.

﴿٦٤﴾ ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ في الأرحامِ مِن نُطفةٍ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بعدَ المَوت وإن لَم تَعترِفُوا بِالإعادةِ؛ لِقِيامِ البَراهِين علَيها، ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بِالمَطَرِ ﴿وَٱلْأَرْضِۗ﴾ بِالنَّباتِ ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ أي: لا يَفعَل شَيئاً مِمَّا ذُكِر إلَّا الله ولا إلَه مَعهُ، ﴿قُلْ﴾ يا مُحمَّد: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾: حُجَّتكُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (وفيه إدغام التاء في الذال) أي: بعد قلبها دالاً فذالاً، وهذا على كلٍّ من القراءتين[1].

قوله: (و﴿مَّا﴾ زائدة لتقليل القليل) أي: فالمراد تأكيد القلَّة.

قوله: (وبعلامات الأرض) أي: كالجبال.

قوله: (أي: قدَّام المطر) أي: أمامه.

قوله: (وإن لم يعترفوا بالإعادة) أشار بذلك إلى سؤالٍ واردٍ، حاصله: كيف يقال لهم: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ مع أنهم مُنكرون للإعادة؟ وأشار إلى جوابه بقوله: (لقيام البراهين عليها)، وإيضاحُهُ أن يقال: إنهم معترفون بالابتداء، ودلالةُ الابتداء على الإعادة ظاهرةٌ قويَّةٌ، وحينئذٍ: صاروا كأنهم لم يبقَ لهم عذرٌ في إنكار الإعادة، بل ذلك محضُ جحودٍ.

قوله: (﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾) أمره ﷺ بتبكيتهم إثرَ قيام الأدلة على أنه لا يستحقُّ العبادة غيره.

(١) قرأ هشام والبصري وروح بياء الغيبة مع تشديد الذال والكاف، وحفص والأخوان وخلف بتاء الخطاب مع تخفيف الذال وتشديد الكاف، والباقون بتاء الخطاب مع تشديد الذال والكاف. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٣٧).

إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ ....

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّ مَعي إلهاً فعَل شيئاً مِمَّا ذُكِر. وسَألُوه عن وقت قِيام السَّاعة فنَزل:

﴿٦٥﴾ ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مِن المَلائكة والنَّاس ﴿ٱلْغَيْبَ﴾ أي: ما غاب عَنهُم، ﴿إِلَّا﴾: لَكِنِ ﴿ٱللَّهُ﴾ يَعلَمهُ، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: كُفارُ مكَّةَ كغَيرِهم ﴿أَيَّانَ﴾ وقتَ ﴿يُبْعَثُونَ﴾.

﴿٦٦﴾ ﴿بَلِ﴾ - بِمَعنى (هل) - ﴿أَدْرَكَ﴾ - وزن (أكرَم)، وفي قِراءة أُخرى: ﴿ٱدَّٰرَكَ﴾ بِتَشدِيد الدَّال، وأصلُه: تَدارَك، أُبدِلت التَّاء دالاً وأُدغِمت في الدَّال، واجتُلِبت همزةُ الوصلِ -، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أنَّ معي إلهاً) الأوضح أن يقول: (أنَّ مع الله إلهاً)؛ لأنَّ النبيَّ مأمورٌ بهذا القول، وهو لا يقول لهم: إن كنتم صادقين أنَّ معي إلهاً.

قوله: (وسألوه) أي: المشركون.

قوله: (﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) ﴿مَن﴾: فاعل ﴿يَعْلَمُ﴾، والجار والمجرور صلتها، و﴿ٱلْغَيْبَ﴾ مفعول به، و﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء، ولفظ الجلالة مبتدأٌ، خبرُهُ محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (يعلمه)، والتقدير: لا يَعلم الذي ثبت في السماوات كالملائكة والأرضِ كالإنس الغيبَ، لكن الله هو الذي يعلمه.

قوله: (من الملائكة والناس) بيان لـ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ على سبيل اللَّف والنَّشر المرتَّب.

قوله: (لكن ﴿ٱللَّهُ﴾... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الاستثناء منقطع، ولا يصح جعله متَّصلاً؛ لإيهامه أنَّ الله من جملة مَن في السماوات والأرض، وهو محالٌ.

قوله: (وقت ﴿يُبْعَثُونَ﴾) تفسير لـ﴿أَيَّانَ﴾، والمناسب: تفسيرها بـ(متى)؛ لأنَّ (أيَّان) ظرفٌ مضمَّن معنى همزة الاستفهام، و(متى) كذلك، بخلاف لفظ (وقت).

قوله: (بمعنى: هل) أي: التي للاستفهام الإنكاري.

عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ....

أي: بَلَغَ ولَحِقَ، أو تَتابَع وتَلاحَق ﴿عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: بِها حتَّى سَألُوا عن وقتِ مَجيئِها، ليسَ الأمر كذلك، ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ مِن عَمَى القَلب وهو أبلَغ ممَّا قبلَه، ـ والأصل: عَمِيُون، استُثقِلت الضَّمة على الياء، فنُقِلت إلى المِيم بعدَ حذف كسرَتِها ـ.

(﴿٦٧﴾ - ﴿٦٨﴾) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أيضاً في إنكار البَعث: ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ مِن القُبُور؟ ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: جمع (أُسطُورة) بِالضَّم، أي: ما سُطر مِن الكَذِب.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: بلغ ولحق) راجع للقراءة الأولى، وقوله: (أو تتابع) راجع للثانية[1]، والمعنى: هل بلغ علمهم بالآخرة أو تتابع عِلمهم الآخرة حتى سألوا عن وقت مجيء الساعة؟ ليس عندهم علمٌ بذلك، بل ولا إثبات حتى يسألوا عن وقت الساعة، فسؤالهم محضُ تعنُّتٍ وعنادٍ.

قوله: (﴿فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾) أي: الآخرة.

قوله: (﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾) أي: عِندهم جزمٌ بعدمها؛ لعدم إدراكهم دلائِلَها.

قوله: (بعد حذف كسرتها) أي: وسقطت الياء؛ لوقوعها ساكنةً إثر ضمَّةٍ.

قوله: (أيضاً) أي: كما قالوا ما تقدَّم.

قوله: (﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾) (كان): فعل ماض ناقص، و(نا): اسمها، و﴿تُرَابًا﴾: خبرها، و(آباؤنا): معطوف على اسم (كان)، وسوَّغه الفصل بخبرها.

قوله: (﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا﴾) (وُعد): فعل ماض، و(نا): نائب الفاعل مفعول أول، و﴿هَٰذَا﴾:

---

(١) قرأ المكي والبصريان وأبو جعفر بإسكان لام (بل)، و(أدرك) بهمزة قطع مفتوحة وإسكان الدال، والباقون بكسر لام (بل)، و(ادارك) بهمزة وصل تسقط في الدرج وتثبت في الابتداء مكسورة وفتح الدال وتشديدها وألف بعدها. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٣٧).

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ ....

﴿٦٩﴾ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ بِإنكارِهِم وهي هَلاكُهم بالعَذاب.

﴿٧٠﴾ ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ تَسلِية لِلنَّبيِّ ﷺ، أي: لا تَهتَمَّ بِمَكرِهم علَيك؛ فإنَّا ناصِرُوك علَيهم.

حاشية الصاوي

مفعول ثان، و﴿نَحْنُ﴾: تأكيد لـ(نا)، و(آباؤنا): عطف على المفعول الأول، وسوَّغه الفصل بالمفعول الثاني والضمير المنفصل، والمعنى: لقد وعدنا محمَّدٌ بالبعث كما وعد مَنْ قبله آباءَنا به؛ فلو كان حقًّا.. لحصل.

قوله: (﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾) أمرُ تهديدٍ لهم؛ إشارةً إلى أنهم إن لم يرجعوا.. نَزل بهم ما نزل بمَنْ قبلهم.

قوله: (﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾) أي: لتعتبروا بهم، فتَنزجروا عن قبائحكم.

قوله: (بإنكارهم) أي: المجرمين.

قوله: (بالعذاب) أي: الدنيويِّ؛ لأنه هو المشاهَدُ آثارُهُ.

قوله: (﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾) أي: لا تغتمَّ على عدم إيمانهم فيما مضى، ولا تخَف من مكرهم في المستقبل؛ فالحزن: غمٌّ لما مضى، والخوف: غمٌّ لما يستقبل.

قوله: (﴿وَلَا تَكُن﴾) بثبوت النون هنا، وهو الأصل، وقد حذفت من هذا المضارع في القرآن في عشرين موضعاً: تسعة مبدوءة بالتاء، وثمانية بالياء، واثنان بالنون، وواحد بالهمزة، وهو حذفٌ غيرُ لازمٍ قال ابن مالك[1]: [الرجز]

وَمِنْ مُضَارِعٍ لِكَانَ مُنْجَزِمْ ... تُحْذَفُ نُونٌ وَهْوَ حَذْفٌ مَا الْتُزِمْ

قوله: (﴿فِي ضَيْقٍ﴾) بفتح الضاد وكسرها، قراءتان سبعيَّتان[2]؛ أي: حَرَجٍ.

---

(١) «الخلاصة»، باب: (كان وأخواتها)، (ص١٩).

(٢) قرأ ابن كثير بكسر الضاد، والباقون بالفتح. انظر «السراج المنير» (٣/ ٧٢).

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ....

(﴿٧١﴾ - ﴿٧٢﴾) ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالعَذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه؟ ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ﴾: قَرُبَ ﴿لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ فحَصَلَ لَهُم القَتل بِبَدرٍ، وباقِي العَذاب يَأتِيهِم بعدَ المَوت.

﴿٧٣﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ومِنهُ تَأخِير العَذاب عن الكُفَّار، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ فالكُفَّار لا يَشكُرُون تَأخِير العَذاب لِإنكارِهم وُقُوعه.

(﴿٧٤﴾ - ﴿٧٥﴾) ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: تُخفِيه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسِنَتِهم، ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ - الهاء لِلمُبالَغة - أي: شيءٍ في غاية الخَفاء على النَّاس، ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّن هو اللَّوح المَحفُوظ ومَكنُون عِلمه تَعالى، ومِنهُ تَعذِيبُ الكُفَّار.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾) خطابٌ للنبيِّ ومَنْ معه من المؤمنين.

قوله: (﴿قُلْ عَسَىٰٓ﴾. . . إلخ) الترجي في القرآن بمَنزلة التحقيق.

قوله: (القتل ببدر) أي: وغيره، وهذا هو العذاب المعجَّل.

قوله: (وباقي العذاب. . . إلخ) أي: وهو العذاب المؤجَّل.

قوله: (ومنه) أي: الفضل.

قوله: (﴿لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾) أي: فالتأخير ليس لخفاء حالهم عليه.

قوله: (الهاء للمبالغة) أي: كـ: راوية وعلَّامة، وسمَّاها هاءً باعتبار الوقف، ولو قال: (التاء). . لكان أسهل، وقيل: إنها كالتاء الداخلة على المصادر نحو: الباقية والكافية، ونظيرها: الذبيحة والنطيحة في أنها أسماءٌ غيرُ صفاتٍ.

قوله: (ومكنون علمه) الواو: بمعنى (أو)؛ لأنه تفسيرٌ ثانٍ، فتَسميته كتاباً على سبيل الاستعارة التصريحيَّة؛ حيث شبِّه بالكتاب؛ كالسجل الذي يَضبط الحوادث ويُحصيها، ولا يشذُّ عنه شيءٌ منها.

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا ....

(﴿٧٦﴾ - ﴿٧٧﴾) ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ المَوجُودِين في زمانِ نَبيِّنا ﴿أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: بِبيانِ ما ذُكِر على وَجهِه الرَّافِع لِلاختِلافِ بينَهم لَو أخَذُوا بِه وأسلَمُوا، ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى﴾ مِن الضَّلالةِ، ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ مِن العَذاب.

﴿٧٨﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم﴾ كغَيرِهِم يومَ القِيامة ﴿بِحُكْمِهِۦ﴾ أي: عَدلِه، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالِب ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِما يَحكُم بِه، فلا يُمكِّن أحَداً مُخالَفَته كما خالَف الكُفَّار في الدُّنيا أنبياءَهُ.

﴿٧٩﴾ ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: ثِق بِه، ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ أي: الدِّينِ البَيِّن، فالعاقِبة لَك بِالنَّصرِ على الكُفَّار. ثُمَّ ضَرَب أمثالاً لَهُم بِالمَوتَى والصُّم وبِالعُمي فقال:

(﴿٨٠﴾ - ﴿٨١﴾) ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزتَين، وتَسهِيل

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾) أي: فقد نصَّ بالتصريح على الأكثر؛ فلا يُنافي قوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾، ومِن جملته: اختلافهم في شأن المسيح، وتفرُّقهم فيه فرقاً كثيرة، فوقع بينهم التباغض حتى لَعن بعضهم بعضاً.

قوله: (أي: عَدْلِهِ) دفع بذلك ما يقال: إنَّ القضاء مرادفٌ للحكم فينحلُّ المعنى: يقضي بقضائه، أو يحكم بحكمه، فأجاب: بأنَّ المراد بالحُكْمِ: العدلُ.

قوله: (فلا يمكن أحداً مخالفته... إلخ) تفريعٌ على (العزيز)، فكان المناسب تَقديمه بلصقه.

قوله: (﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾... إلخ) تفريعٌ على كونه عزيزاً عليماً؛ أي: فإذا ثبَتت له هذه الأوصاف.. فالواجبُ على كلِّ شخص تفويضُ الأمور إليه والثِّقةُ به.

قوله: (﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾) عِلة للتوكل، وكذا قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ....

الثّانية بينَها وبينَ الياء ـ ﴿وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ إِن﴾: ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سَماعَ إفهام وقَبُول ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: القُرآنِ ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: مُخلِصُون بِتَوحِيد الله.

﴿٨٢﴾ ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: حَقَّ العَذاب أن يَنزِل بِهِم في جُملةِ الكُفَّار ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: تُكَلِّم المَوجُودِين حِينَ خُرُوجها بِالعَربيَّة ....

حاشية الصاوي

قوله: (بينها وبين الياء) أي: فتقرأ متوسطة بين الهمزة والياء، والقراءتان سبعيَّتان[١].

قوله: (﴿مُدْبِرِينَ﴾) أي: مُعرضين.

قوله: (﴿بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ﴾) ضمَّنه معنى (تَصْرفُ) فعدَّاه بـ(عن).

قوله: (﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾) أي: مَنْ سَبق في علم الله أنه يكون مؤمناً، ومِنْ هنا قولُهُم: لولا السابقةُ.. ما كانت اللاحِقةُ.

قوله: (﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾) أي: قَرُبَ وقوعُهُ، وإنما عبَّر بالماضي؛ لحصوله في عِلم الله؛ لأنَّ الماضي والحال والاستقبال في عِلم الله واحدٌ؛ لإحاطته بها، والمرادُ بالقول: مواعيدُ القرآن بالفضائح والخزي والعذاب الدائم وغير ذلك للكفار.

قوله: (حقَّ العذابُ) تفسيرٌ لـ﴿وَقَعَ﴾، والمعنى: قرُب نزوله بهم.

قوله: (﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾) أي: وهي الجسَّاسةُ، ورد في الحديث: «أنَّ طُولها ستون ذراعاً بذراع آدم عليه السلام، لا يُدركها طالبٌ، ولا يفوتها هاربٌ»[٢]، وروي: «أنَّ لها أربعَ قوائم، ولها زغبٌ وريشٌ وجناحان»[٣].

وعن ابن جريح في وصفها: رأس ثور، وعين خنزير، وأذن فيل، وقرن أُيَّل[٤]، وعُنق نعامة،

(١) سهَّل نافع وابن كثير وأبو عمرو الهمزة الثانية من (الدعاء إذا) كالياء مع تحقيق الأولى، والباقون بتحقيقهما. انظر «السراج المنير» (٣/ ٧٤).

(٢) رواه الثعلبي بسنده في «الكشف والبيان» (٧/ ٢٢٣) عن سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٣) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٨٦٢) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) الأيل بضم الهمزة وكسرها، والياء فيهما مشددة مفتوحة: ذكر الأوعال، وهو التيس الجبلي.

. . . .

حاشية الصاوي

وصدر أسد، ولون نمر، وخاصرة هرَّة، وذنب كبش، وخُف بعير، وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام.

وعن أبي هريرة ﷺ: فيها كل لون، ما بين قرنَيْها فرسخٌ للراكب[١].

وعن علي ﷺ: أنها تخرج بعد ثلاثة أيام والناس ينتظرون؛ فلا يخرج كلَّ يوم إلا ثُلثها[٢].

وعن النبي ﷺ: أنه سئل من أين تخرج الدابة؟ فقال: «مِن أعظم المساجد حرمة على الله تعالى»[٣] يعني: المسجد الحرام. وروي: «أنها تخرج ثلاث خرجات: تخرج بأقصى اليمن، ثم تكمن، ثم تخرج بالبادية، ثم تكمُن دهراً طويلاً، فبينما الناس في أعظم المساجد حرمة على الله تعالى وأكرمها فما يَهولهم إلا خروجها من بين الركن حِذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد»[٤].

وقيل: تخرج من الصفا؛ لما روي: «بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تَضطرب الأرض تحتهم ـ أي: تتحرك تحرك القنديل ـ وتنشقُّ الصفا مما يلي المسعى، فتخرج الدابة من الصفا، ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان عليهما السلام، فتَضرب المؤمن في مسجده بالعصا، فتنكت نكتة بيضاء، فتَفشو حتى يضيء بها وجهه، وتكتب بين عينيه: مؤمن، وتَنكت الكافر بالخاتم في أنفه، فتفشو النكتة حتى يسودَّ بها وجهه، وتكتب بين عينيه: كافر، ثم تقول لهم: أنت يا فلان من أهل الجنة، وأنت يا فلان من أهل النار»[٥].

وروي: «أنَّ أول الآيات خروجاً طُلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيَّتهما كانت قبل صاحِبتها.. فالأخرى على أثَرها»[٦].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٩٧) عن سيدنا ابن عمر ﷺ بلفظ: (تخرج الدابة من صَدع في الصفا، كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ١٧٦) عن سيدنا حذيفة بن أسيد ﷺ.

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٨٤) عن سيدنا أبي سريحة الأنصاري ﷺ.

(٥) رواه البغوي في «تفسيره» (٦/ ١٨٠).

(٦) رواه مسلم (٢٩٤١) عن سيدنا عبد الله بن عمرو ﷺ.

أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ....

تقُول لَهُم مِن جُملة كلامها عنَّا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ أي: كُفَّار مَكَّة، ـ وعلى قِراءةِ فتح هَمزة ﴿أَنَّ﴾ تُقَدَّر الباء بعدَ ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ ـ ﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: لا يُؤمِنُون بِالقُرآن المُشتَمِل على البَعث والحِساب والعِقاب، وبِخُرُوجِها يَنقَطِع الأمر بِالمَعروفِ والنَّهي عن المُنكَر، ولا يُؤمِن كافِر كما أوحَى الله إلى نُوح: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦].

حاشية الصاوي

واختُلف في تعيين هذه الدابة؛ فقيل: هي فصيلُ ناقة صالح، وهو أصحُّ الأقوال؛ فإنه لما عقرت أمُّه.. هرب، فانفتح له حجرٌ، فدخل في جَوفه، ثم انطبق عليه الحجر، فهو فيه حتى يخرج بإذن الله عزَّ وجلَّ، وقيل غير ذلك.

قوله: (تقول لهم) تفسير لـ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾.

قوله: (عنا) متعلق بمحذوف؛ أي: حال كونها حاكية وناقِلة لما تقوله عنَّا؛ بأن تقول: قال الله: إن الناس... إلخ.

قوله: (أي: كفار مكة) المناسب حمل (الناس) على الموجودين وقتَ خروجها من الكفار.

قوله: (وعلى قراءة فتح همزة «أن» تقدَّر الباء) أي: للتعدية أو للسببيَّة، وأمَّا على قراءة الكسر.. فهو مستأنفٌ من كلامه تعالى، تَقوله الدابة على سبيل الحكاية والنقل، والقراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (ينقطع الأمر بالمعروف...إلخ) أي: لعدم إفادة ذلك؛ لأنه في ذلك الوقت ظهر المؤمن والكافر عِياناً بوَسْمِ الدابة؛ فمَن وسمتْهُ بالكفر.. لا يمكن تغييره؛ فحينئذٍ: لا ينفع أمرٌ بمعروفٍ ولا نهيٌ عن منكرٍ.

ووجد في بعض النسخ: (ولا يبقى منيبٌ ولا تائبٌ، ولا يؤمن كافر) أي: لا يوجد في هذا الوقت مَنْ ينوب إلى الله ـ أي: يرجع إليه ـ ولا تُقْبَلُ توبةُ تائبٍ من العُصاة، ولا إيمانُ كافرٍ.

---

(١) قرأ الكوفيون بالفتح، والباقون بالكسر. انظر «الدر المصون» (٨/ ٦٤٢).

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا ....

﴿٨٣﴾ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾: جماعة ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ وهُم رُؤساؤُهم المُتَّبَعُون ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُجمَعُون بِرَدِّ آخِرهم إلى أوَّلِهم ثُم يُساقُون.

﴿٨٤﴾ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا﴾ مَكانَ الحِساب ﴿قَالَ﴾ تَعالى لَهُم: ﴿أَكَذَّبْتُم﴾ أنبيائي ﴿بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا﴾ مِن جِهة تَكذِيبِكُم ﴿بِهَا عِلْمًا أَمَّا﴾ - فِيه إدغامُ (ما) الاستِفهامِيَّة - ﴿ذَا﴾ - مَوصُول - أي: ما الَّذِي ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مِمَّا أُمرتُم به.

﴿٨٥﴾ ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ﴾: حَقَّ العَذابُ ﴿عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا﴾ أي: أشرَكُوا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ﴾) أي: الحشرَ الخاصَّ بهم للعذاب بعد انفضاض الحشر العامِّ لجميع الخلق.

قوله: (﴿نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾) (مِن): تبعيضيَّة، وقوله (﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ﴾) (مِن): بيانيَّة للفوج.

قوله: (﴿فَوْجًا﴾) الفوج في الأصل: الجماعة المارَّة المسرعة، ثم أُطلق على الجماعة مطلقاً.

قوله: (وهم رؤساؤهم) أي: كأبي جهل وأبيِّ بن خلف، وفرعون وقارون والنمروذ، وغيرهم من رؤساء الضلال؛ فكلُّ رؤساء زمنٍ تُحْشَرُ على حِدة.

قوله: (بردِّ آخرهم إلى أوَّلهم) المناسب أن يقول: (بردِّ أوَّلهم على آخرهم) أي: يحبس أوَّلهم ويُوقف حتى يأتي آخرهم، ويجتمعون ثم يساقون.

قوله: (﴿أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي﴾) الاستفهام للتوبيخ والتقريع، والمعنى: أنكرتمُوها وجحدتموها.

قوله: (﴿وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾) الجملة حالية مؤكِّدة للإنكار والتوبيخ، والمعنى: أنكرتموها من غير فهمها وتأمُّلها، فهم مُؤاخَذون بالجهل والكفر.

قوله: (﴿أَمَّاذَا﴾) (أم): مُنقطعة بمعنى (بل)، و(ما): اسم استفهام، أُدغمت ميم (أم) في (ما)، فقوله: (فيه إدغام «ما» الاستفهامية) أي: الإدغام فيها.

قوله: (حقَّ العذاب) أي: نزل بهم، وهو كبُّهم في النار.

فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ....

﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ إذ لا حُجَّةَ لَهم.

﴿٨٦﴾ ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا﴾: خَلَقنا ﴿ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ كغيرِهم، ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ بِمَعنى: يُبصَرُ فِيه لِيَتصرَّفُوا فِيه، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ﴾: دَلالاتٍ على قُدرَته تَعالى ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خُصُّوا بِالذِّكرِ لِانتِفاعِهم بِها في الإيمان بِخِلافِ الكافِرين.

﴿٨٧﴾ ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾: القَرنِ النَّفخة الأُولَى ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾) أي: بحجة واعتذار.

قوله: (﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾) أي: يَعلموا.

قوله: (﴿أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ﴾) أي: مظلماً، بدلالة قوله: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ كما حذف (ليتصرفوا فيه) من قوله: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ بدلالة قوله: ﴿لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ عليه؛ ففي الآية احتباكٌ.

قوله: (بمعنى: يبصر فيه) أي: فالإسناد مجازيٌّ من الإسناد إلى الزمان.

قوله: (يتصرفوا فيه) أي: بالسَّعي في مَصالحهم.

قوله: (﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾) أي: الجعلِ المذكور.

قوله: (دلالاتٍ على قدرته تعالى) أي: من حيثُ اختلافُ الليل والنهار بالنور والظلمة.

قوله: (﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾) معطوف على قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾.

قوله: (النفخة الأولى) أي: وتسمَّى نَفخة الصعق، ونفخة الفزع، فعبَّر عنها بالفزع، وفي سورة (الزمر) بالصعق، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ...﴾ [الزمر: ٦٨] إلخ، وعند حُصولها يموت كلُّ حيٍّ ما عدا ما استثني، وأما النفخة الثانية فعندها يحيَا كلُّ من كان ميتاً، فالنفخة اثنتان، وبينهما أربعون سنة، وقيل: إنها ثلاث: نَفخة الزلزلة وذلك حين تَسير الجبال وترتجُّ الأرض بأهلها، ونَفخة الموت، ونفخة الإحياء، والقولُ الأول هو المشهور.

والصحيح في الصُّور: أنه قَرن من نور خلقه الله، وأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه، شاخص ببَصره إلى العرش، ينتظر متى يؤمر بالنفخة، وعظم كل دائرة فيه كعرض السماء والأرض، ويسمَّى بالبُوق في لغة اليمن.

﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ٨٧﴾ ....

مِن إسرافِيلَ، ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خافُوا الخَوف المُفضِي إلى المَوت كما في آيةٍ أُخرَى: ﴿فَصَعِقَ﴾ [الزمر: ٦٨]، والتَّعبير فِيه بِالماضِي لِتَحقُّقِ وُقُوعه، ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: جِبرِيلَ ومِيكائِيلَ وإسرافِيل ومَلَك المَوت، وعن ابن عبَّاس: هُم الشُّهَداء؛ إذ هُم أحياء عِند ربِّهم يُرزَقُون، ﴿وَكُلٌّ﴾ ـ تَنوِينه عِوَض عن المُضاف إلَيه ـ أي: وكُلُّهم بعدَ إحيائِهِم يَوم القِيامة ﴿أَتَوْهُ﴾ ـ بِصِيغةِ الفِعل واسمِ الفاعِل ـ ﴿دَٰخِرِينَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (من إسرافيل) أي: وهو أحد الرؤساء الأربعة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل.

قوله: (﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾) أي: كلٌّ من كان حيًّا في ذلك الوقت.

قوله: (أي: خافوا الخوف المفضي إلى الموت) أي: استمرَّ بهم الخوف إلى أن ماتوا به.

قوله: (والتعبير بالماضي... إلخ) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ الفزع مستقبلٌ؛ فلِمَ عبَّر بالماضي؟ فأجاب: بأنه لتحقيقه نُزِّل منزلة الواقع؛ لأنَّ الماضي والحال والاستقبال بالنسبة لعلمه تعالى واحدٌ؛ لتعلُّق العلم به.

قوله: (أي: جبريل... إلخ) أي: فهؤلاء الأربعة لا يموتون عند النفخة الأولى، بخلاف باقي الملائكة، وإنما يموتون بين النفختين، ويحيَون قبل الثانية.

قوله: (وعن ابن عباس: هم الشهداء) وقيل: هم حمَلة العرش، وقيل: أهل الجنة من الحور العين والولدان، وخزَنة الجنة والنار، وقيل: موسى، وقيل: جميع الأنبياء.

قوله: (إذ هم أحياء) أي: حياةً برزخيَّةً لا تزول ولا تحول، ولكن ليست كحياة الدنيا.

قوله: (أي: كلهم) أي: المخلوقات؛ مَنْ صعق منها، ومن لم يصعَق.

قوله: (بصيغة الفعل) أي: الماضي، فيقرأ بفتح الهمزة مقصورة، وتاء مفتوحة، وواو ساكنة.

قوله: (واسم الفاعل) أي: فيقرأ بمدِّ الهمزة، وضمِّ التاء، وسكون الواو، وأصله: آتون له، حذفت اللام للتخفيف، والنون للإضافة، والقراءتان سبعيَّتان[1].

---

(١) قرأ حمزة وحفص: (أتوه) فعلاً ماضياً، ومفعوله الهاء، والباقون: (آتوه) اسم فاعل مضافاً للهاء. انظر «الدر المصون» (٨/ ٦٤٥).

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ ....

صاغِرين. والتَّعبِير في الإتيان بِالماضِي لِتَحقُّقِ وُقُوعه.

﴿٨٨﴾ ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾: تُبصِرُها وقتَ النَّفخة ﴿تَحْسَبُهَا﴾: تَظُنُّها ﴿جَامِدَةً﴾: واقِفة مَكانها لِعِظَمِها، ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾: المَطر إذا ضَرَبَتهُ الرِّيح، أي: تَسِيرُ سَيرَه حتَّى تَقَع على الأرض فتَستَوِي بِها مَبثُوثةً، ثُمَّ تَصِير كالعِهنِ، ثُمَّ تَصِير هَباء مَنثُوراً. ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ مَصدر مُؤكِّد لِمَضمُون الجُملة قبلَه أُضِيف إلى فاعِله بعدَ حذفِ عامِله، أي: صَنَعَ الله ذلك صُنْعاً، ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ﴾: أحكَمَ ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ صَنَعَه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (صاغرين) أي: أذلَّاءَ لهيبة الله تعالى، فيشملُ الطائعَ والعاصيَ، وليس المرادُ ذلَّ المعاصي، والمعنى: أنَّ إسرافيل حين ينفخ في الصور النفخة الثانية التي يكون بها إحياءُ الخلق يأتي كلُّ إنسان ذليلاً لهيبة الله تعالى.

قوله: (﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾) عطف على قوله: ﴿يُنفَخُ﴾.

قوله: (وقت النفخة) أي: الثانية؛ لأنَّ تبديل الأرض وتَسيير الجبال وتسوية الأرض إنما يكون بعد النفخة الثانية؛ كما يشهَد به قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا...﴾ [طه: ١٠٥] الآية، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ...﴾ [إبراهيم: ٤٨] الآية.

قوله: (لعِظَمِهَا) أي: وذلك لأنَّ الأجرام الكبار إذا تحرَّكت مرةً واحدةً.. لا تكاد تُبْصَرُ حركتُهَا.

قوله: (المطر) الصواب: إبقاء اللفظ على ظاهره؛ لأنَّ تفسير السحاب بالمطر لم يَقله أحد، ولعل الباء سقطت من قلم المفسِّر، والأصل: (مرَّ السحاب بالمطر).

قوله: (حتى تقع) أي: الجبال على الأرض.

قوله: (مبسوسةً) أي: مفتَّتةً كالرمل السائل.

قوله: (كالعِهْنِ) أي: الصوفِ المنفوشِ.

قوله: (مؤكِّدٌ لمضمون الجملة قبله) أي: لأنَّ ما تقدم من نفخ الصور وتسيير الجبال وغير ذلك إنَّما هو من صنع الله لا غيره.

قوله: (﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾) أي: وضَعَهُ في محلِّه على أكمل حالاته.

إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ....

﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ - بالياءِ والتَّاء - أي: أعداؤُهُ مِن المَعصِية وأولياؤُهُ مِن الطَّاعة.

﴿٨٩﴾ ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ أي: (لا إِلَه إلَّا الله) يومَ القِيامة ﴿فَلَهُۥ خَيۡرٞ﴾: ثَواب ﴿مِّنۡهَا﴾ أي: بِسَبَبِها، وليسَ لِلتَّفضِيلِ إذ لا فِعلَ خَير مِنها، وفي آيةٍ أُخرى: ﴿عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ﴿وَهُم﴾ أي: الجاؤُون بِها ﴿مِّن فَزَعِ يَوۡمِئِذٍ﴾ - بِالإضافةِ وكسرِ المِيم وفَتحِها، و﴿فَزَعٖ﴾ مُنوَّناً ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (أي: لا إله إلا الله) إنما حمَله على هذا التفسير ذكرُ المقابل؛ لأنَّ الكبَّ في النار ليس بمطلقِ سيئةٍ، بل إنما يكون بالكفر، وهو يقابل الإيمان، وحينئذ: فـ(أل) في (الحسنة) للعهد؛ أي: الحسنة المعهودة، وهي كلمة التوحيد، وقيل: الحسنة: كلُّ عمل خير من صلاة وزكاة وصدقة وغير ذلك من وجوه البرِّ.

قوله: (﴿فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا﴾) أي: وهو الخُلود في الجنة.

قوله: (أي: بسببها) أشار بذلك إلى أن (من) للسببية، ويصح أن تكون للتعليل؛ أي: من أجل مجيئه بها.

قوله: (وليس للتفضيل) أي: ليس (خير) أفعلَ تفضيلٍ؛ لأنه ليس عبادة أفضل من: لا إله إلا الله، ويؤيِّد ما قاله المفسِّر ما روي عن ابن عباس أنه قال: (له من تلك الحسنة خير يوم القيامة، وهو الثواب، والأمن من العذاب، أمَّا من يكون له شيءٌ خيرٌ من الإيمان.. فلا؛ لأنه لا شيء خيرٌ من: لا إله إلا الله)[2].

قوله: (بالإضافة) أي: إضافة (فزع) لـ(اليوم).

قوله: (وكسر الميم) أي: للإعراب، وقوله: (وفتحها) أي: فتحة بناء، وهو قراءة ثانية في الإضافة، وقوله: (و«فزع» منوناً) معطوف على قوله: (بالإضافة)، فتكون القراءات ثلاثاً

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بالغيبة جرياً على قوله: (وكل أتوه)، والباقون بالخطاب جرياً على قوله: (وترى)؛ لأن المراد النبي ﷺ وأمَّته. انظر «الدر المصون» (٨/ ٦٤٦).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠).

ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا ....

وفَتح المِيم - ﴿ءَامِنُونَ﴾.

﴿٩٠﴾ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ أي: الشِّركِ ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ بِأن ولِيَتها، وذُكِرَت الوُجُوه لِأنَّها مَوضِع الشَّرَف مِن الحَواسِّ، فغَيرُها مِن باب أولَى، ويُقال لَهُم تَبكِيتاً: ﴿هَلْ﴾ أي: ما ﴿تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاءَ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مِن الشِّرك والمَعاصِي. قُل لَهُم:

﴿٩١﴾ ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ أي: مكّة ﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ أي: جَعَلَها

حاشية الصاوي

سبعيَّات[١]، فكان الأوضح أن يعبِّر بـ(أو) بدل الواو في الأخير.

قوله: (﴿ءَامِنُونَ﴾) أي: لا يُصيبهم منه شيءٌ، والمراد بالفزع هنا: الخوف من العذاب، وبالفزع المتقدِّم: الهيبة والانزعاج من الشدة الحاصلة في ذلك اليوم؛ فلا تَنافي بين إثباته فيما تقدَّم ونفيِه هنا.

قوله: (﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾) أي: ألقُوا عليها في النار.

قوله: (ويقال لهم) أي: وقت كبِّهم على وجوههم في النار، والقائل لهم خزَنتها.

قوله: (أي: ما ﴿تُجْزَوْنَ﴾... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ﴾... إلخ) أُمِرَ ﷺ بأن يقول لهم ما ذكر بعد بيان ما يَحصل في المعاد؛ إشارةً إلى أن عبادة الله هي المقصودة بالذات له؛ آمنوا أو كفروا، فيتسبَّب عن ذلك اهتمامهم بأمر أنفسِهم، ورجوعهم عمَّا يوجب نُقصانهم.

قوله: (﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾) صفة لـ﴿رَبَّ﴾، ولا يعارضه قوله ﷺ: «إنَّ إبراهيم حرَّم مكة، وإني حرَّمت المدينة»[٢]؛ لأنَّ إسناد التحريم لله باعتبار حكمه وقضائه، وإسناد التحريم لإبراهيم باعتبار إخباره بذلك وإظهاره.

---

(١) قرأ الكوفيون بتنوين (فزع)، وغيرهم بترك التنوين، وكسر ميم (يومئذ) المكي والبصريان والشامي، وفتحها غيرهم. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٣٧).

(٢) رواه مسلم (١٣٦٢) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ....

حَرَماً آمِناً لا يُسفَك فِيها دَم إنسانٍ، ولا يُظلَم فِيها أحَدٌ، ولا يُصاد صَيدُها ولا يُختَلَى خَلاها، وذلك مِن النِّعَم على قُرَيش أهلِها في رَفع الله عن بَلَدِهم العَذاب والفِتَن الشَّائِعةَ في جَمِيع بِلاد العَرَب، ﴿وَلَهُۥ﴾ تَعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ فهو رَبُّه وخالِقه ومالِكُه، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ لِله بِتَوحِيدِه.

﴿٩٢﴾ ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ علَيكُم تِلاوةَ الدَّعوةِ إلى الإيمان؛ ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ لَه ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: لِأجلِها؛ فإنَّ ثَواب اهتِدائِه لَه، ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عنِ الإيمان وأخطأ طَرِيقَ الهُدَى ﴿فَقُلْ﴾ لَه: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾: المُخَوِّفِين، فليسَ علَيَّ إلَّا التَّبلِيغ، وهذا قبلَ الأمر بِالقِتال.

﴿٩٣﴾ ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (ولا يختلى خلاها) أي: لا يُقطع حشيشها الرطب.

قوله: (﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾) أي: أن أثبت على ما كنت عليه.

قوله: (﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾) أي: أواظِب عليه؛ لتكشف لي حقائقه ورقائقه؛ لأنَّ علوم القرآن كثيرة، فبتكرار التلاوة أزداد علوماً ومعارف، وفي هذه الآية إشعارٌ بأنَّ تلاوة القرآن أعظَم القراءات[1] قدراً عند الله.

قوله: (﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ له) أي: للإيمان.

قوله: (﴿فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾) هو جواب الشرط، والرابطُ محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (له).

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أي: فهو منسوخٌ.

قوله: (﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾) أي: على ما أعطاني من النِّعم العظيمة التي أجلُّها النبوَّة التي بها إرشاد الخلق لصلاحهم.

---

(١) في (ط٢): (العبادات).

﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ﴾ فأراهُم الله يَومَ بَدر القَتل والسَّبيَ وضَربَ المَلائكةِ وُجُوهَهم وأدبارَهم وعَجَّلهُم الله إلى النَّار، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ - بِالياءِ والتَّاء -، وإنَّما يُمهِلهُم لِوَقتِهم.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾) أي: في الدنيا.

قوله: (وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم) أي: وجوهَ الذين قُتِلوا وأدبارَهُم.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان؛ فعلى الأولى هو وعيدٌ محضٌ، وعلى الثانية فيه وعدٌ للطائعين، ووعيدٌ لِلعاصين[1].

✿ ✿ ✿

(١) قرأ بالخطاب المدنيان والشامي وحفص ويعقوب، وبالغيبة غيرهم. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٣٩).

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ ....



مَكِّيَّة إلَّا ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ...﴾ الآيةَ، نزلت بالجُحفةِ، وإلا ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ... إلى لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، وهي سبعٌ أو ثمانٍ وثَمانونَ آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿طسٓمٓ﴾ الله أعلَم بِمُرادِه بِذلك.

﴿٢﴾ ﴿تِلْكَ﴾ أي: هَذِه الآياتُ ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الإضافة بِمَعنى (مِن) ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: المُظهِر الحَقَّ مِن الباطِل.

حاشية الصاوي

سُورَةُ القَصَصِ

سمِّيت بذلك؛ لاشتمالها على الحِكايات والأخبار المرويَّة عن الله؛ لأنَّ (القصص) مصدر بمعنى: الإخبار، وتسمَّى أيضاً: سورة موسى.

قوله: (نزلت بالجحفة) أي: حين خرج النبي ﷺ من الغار ليلاً مهاجراً في غير الطريق مخافةَ الطلبِ، فلمَّا رجع إلى الطريق ونَزل بالجحفة.. عرف الطريق إلى مكة، فاشتاق إليها، فنزلت تلك الآية تسليةً وتبشيراً له بأنه يرجع إلى مكان عَوده ـ وهو مكة ـ أحسن مرجع[1]. ومن هنا صحَّ استعمال هذه الآية للعارفين عند توديع المسافر، وقيل: المعاد: الموت، وقيل: الآخرة، وكلٌّ صحيحٌ، وهذه الآية ليست مكية ولا مدنية، لأنها لم تَنزل قبل الهجرة، ولم تنزل بعد استقرارها، بل نزلت بالطريق[2].

قوله: (إلى قوله: ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾) أي: وهو أربع آيات.

قوله: (أي: هذه الآيات) أي: آياتُ هذه السورة، والإشارةُ لمحقَّق حاضر في علم الله تعالى.

---

(١) انظر «زاد المسير» (٣/ ٣٩٦)، وروى البخاري (٤٧٧٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، قال: إلى مكةَ.

(٢) شطب في (أ) على قوله: (وهذه الآية ليست مكية) إلى قوله: (بل نزلت بالطريق)، والمثبت من (ط٢).

نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ....

﴿٣﴾ ﴿نَتْلُواْ﴾: نَقُصُّ ﴿عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ﴾: خَبَر ﴿مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ﴾: الصِّدقِ، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لِأجلِهِم؛ لِأنَّهُم المُنتَفِعُون به.

﴿٤﴾ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾: تَعَظَّم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مِصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾: فِرَقاً في خِدمَتِه؛ ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ هُم بَنُو إسرائيلَ، ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ المَولُودِين ﴿وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾: يَستَبقِيهِنَّ أحياءً لِقَولِ بَعض الكَهَنة لَهُ: إنَّ مَولوداً يُولَد في بَني إسرائيلَ يَكُون سَبَبَ زَوال مُلكِك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ﴾) مفعوله محذوف؛ أي: شيئاً، وقوله: (﴿مِن نَّبَإِ﴾) صفة لذلك المحذوف، ويصح أن تكون (مِن) اسم بمعنى (بعض) هي المفعول، أو زائدة على مذهب الأخفش، و(نبأ) هو المفعول.

قوله: (﴿بِٱلْحَقِّ﴾) حالٌ إما من فاعل ﴿نَتْلُواْ﴾، أو من مفعوله، والمعنى: حالَ كوننا ملتبسين بالصدق، أو كون الخبر ملتبساً بالصدق.

قوله: (لأجلهم) أشار بذلك إلى أنَّ اللام للتعليل؛ أي: إنَّ المقصود بالذكر المؤمنون؛ لأنهم هم المنتفعون بذلك، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

قوله: (﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ﴾) كلامٌ مستأنفٌ، بيانٌ للنَّبأ.

قوله: (تعظَّم) أي: تكبَّر وافتخر.

قوله: (﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾) أي: أصنافاً، فجعل الصنائعَ الشريفةَ والإمارةَ للقبط، وجعل الصنائعَ الخسيسةَ لبني إسرائيل؛ من بناءٍ وحرثٍ وحفرٍ وغير ذلك، ومَنْ لم يستعمله.. ضرب عليه الجزية.

قوله: (﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾) بدل اشتمال من قوله: ﴿يَسْتَضْعِفُ...﴾ إلخ، وذلك أنَّ بني إسرائيل لما كثروا بمصر.. استطالوا على الناس، وعملوا المعاصي، فسلَّط الله عليهم القبط، فاستَضعفوهم وذبَّحوا أبناءهم بأمر فرعون؛ قيل: إنه ذبح سبعين ألفاً إلى أن أنجاهم الله على يد موسى عليه السلام.

إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ﴿٦﴾ ....

﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ بالقَتلِ وغَيرِه.

﴿٥﴾ ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ﴾ - بتحقيقِ الهَمزَتينِ، وإبدالِ الثَّانية ياءً - يُقتدَى بِهِم في الخَير، ﴿وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ مُلكَ فِرعون.

﴿٦﴾ ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أرض مِصر والشَّام، ﴿وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾ - وفي قِراءة: (ويَرَى) بِفَتحِ التَّحتانِيَّة والرَّاء ورَفعِ الأسماءِ الثَّلاثةِ - ﴿مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ﴾: يَخافُون مِن المَولُود الَّذِي يَذهَب مُلكُهُم على يَدَيه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾) أي: الراسخين في الفساد.

قوله: (بالقتل وغيره) أي: كدعوى الألوهيَّة.

قوله: (﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾) أي: نتفضَّل عليهم بإنجائهم من بأسه.

قوله: (يُقتدى بهم) أي: بعد أن كانوا أذلَّاء مسخَّرين.

قوله: (﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾) أي: نُملكهم مصر والشام، يتصرَّفون فيها كيف يَشاؤون.

قوله: (﴿وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ﴾) أي: نبصِّرهُ، و﴿فِرۡعَوۡنَ﴾ وما عطف عليه: مفعول أول، و﴿مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ﴾ مفعولٌ ثانٍ.

قوله: (وفي قراءة) أي: وعليها: فلها مفعول واحد، وهو قوله: ﴿مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ﴾، وعلى هذه: فتجب إمالة الراء إمالةً محضةً[1].

قوله: (ورفع الأسماء الثلاثة) أي: على الفاعليَّة.

قوله: (﴿مِنۡهُم﴾) أي: المستضعفين.

قوله: (يخافون من المولود... إلخ) أي: وقد حصل ما خافوه حين أتتهم مُعجزات موسى عليه السلام، وحين أدركهم الغرق.

---

(١) قرأ الأخوان (يرى) بفتح الياء والراء مضارع (رأى) مسنداً إلى فرعون وما عطف عليه؛ فلذلك رفعوا، والباقون بضم النون وكسر الراء مضارع (أرى). انظر «الدر المصون» (٨/ ٦٥١).

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ....

﴿٧﴾ ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ وحيَ إلهامٍ أو مَنام ﴿إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ وهو المَولُود المَذكُور، ولَم يَشعُر بِولادَتِه غيرُ أُختِه: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾: البَحرِ أي: النِّيل، ﴿وَلَا تَخَافِى﴾ غَرَقَه، ﴿وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾ لِفِراقِه؛ ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فأرضَعَتهُ ثَلاثةَ أشهُرٍ لا يَبكِي، وخافَت عَلَيهِ فوَضَعَتهُ في تابُوتٍ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وحي إلهام أو منام) هذان قولان للمفسِّرين، وقيل: كان بملكٍ تمثَّل لها، واعترض: بأنها ليست بنبيَّة، وأجيب: بأنَّ الممنوع نزول الملائكة على غير الأنبياء بالشرائع، وأمَّا بغيرها.. فجائزٌ؛ كنزول الملك على البارِّ بأمِّه التي تقدَّمت قصَّته في (البقرة)[1].

قوله: (﴿إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾) أي: واسمها يُوحَانِذ، بضمِّ الياء، وكسر النون، وبالذال المعجمة، وقيل: لوخا بنت هاند بن لاوي بن يعقوب.

وقد اشتملت هذه الآية على أمرين وهما: ﴿أَرْضِعِيهِ﴾، و﴿أَلْقِيهِ﴾، ونهيين وهما: ﴿وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾، وخبرين وبشارتين وهما: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فهما خبران تضمَّنا بشارتين.

قوله: (﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾) يصح أن تكون (أن) مفسِّرة أو مصدريَّة.

قوله: (﴿وَلَا تَخَافِى﴾ غرقه) دفع بذلك التناقضَ بين إثباتِ الخوف ونفيِهِ، فالمثبتُ هو خوف الذبح، والمنفيُّ هو خوف الغرق.

قوله: (﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾) أي: لِتأمنين عليه[2]، وهو علة للنهي عن الخوف والحزن.

قوله: (فوضعته في تابوت) وكان طوله خمسة أشبارٍ، وعرضه كذلك، وجعلَتِ المفتاحَ في التابوت.

---

(١) عند ذكر قصة بقرة بني إسرائيل، والخبر بطوله في «تفسير الخازن» (١/ ٥٢)، وروي: أنه كان بارًّا بأبيه عند ابن أبي الدنيا في «مَن عاش بعد الموت» (٥٥).

(٢) كذا في النسخ بإثبات نون (تأمنين) على إهمال (أن) الناصبة، كما أُهملت في قوله ﷺ: «ما منعك أن تحجين معنا»، وهو قليل، وبعضهم ينقل أنها لغة لبعض العرب. انظر «شرح التسهيل» لابن مالك (٢/ ٤٤).

مَطليٍّ بالقارِ من داخِل، مُمَهَّد لَهُ فِيه، وأغلَقَتهُ وألقَتهُ في بَحر النِّيل لَيلاً.

حاشية الصاوي

قوله: (مطليٍّ بالقار) أي: الزفت.

قوله: (ممهَّدٍ) أي: مفروشٍ له فيه، ففرشَتْ فيه قطناً مَحْلُوجاً[1].

قوله: (وأغلقته) أي: وقيَّرت رأسه، وحاصله: أنَّ أمَّ موسى لما تقاربت ولادتها، وكانت قابلةٌ من القوابل التي وكَّلهنَّ فِرعون بحبالى بني إسرائيل مُصافيةً لأمِّ موسى ومصاحبةً لها، فلمَّا ضربها الطَّلْق.. أرسلت إليها فقالت: قد نزَل بي ما نزل، فليُسعفني حبُّك إيَّاي اليوم، فعالجتْهَا، فلمَّا أن وقع موسى بالأرض.. هالها نورٌ بين عيني موسى، فارتعش كلُّ مفصل فيها، ودخل حبُّ موسى قلبَها، ثمَّ قالت القابلة لها: يا هذه؛ ما جئتُ إليك حين دعوتني إلا ومرادي قتل مولودك، ولكن وجدتُ لابنك هذا حبًّا ما وجدت حبَّ شيءٍ مثلَ حبِّه، فاحفَظي ابنك.

فلمَّا خرجت القابلة من عندها.. أبصرها بعض العُيون، فجاؤوا على بابها؛ ليدخلوا على أم موسى، فقالت أخته: يا أمَّاه هذا الحرس بالباب، فلفَّت موسى بِخرقة وألقته في التَّنُّور وهو مسجورٌ، وطاش عقلُها فلم تعقل ما تصنع، قال: فدخلوا فإذا التَّنُّور مسجورٌ، ورأوا أمَّ موسى ولم يتغيَّر لها لونٌ، ولم يظهر لها لبنٌ، فقالوا: ما أدخل عليك القابلة؟ فقالت: هي مُصافيةٌ لي، فدخلت عليَّ زائرةً، فخرجوا من عندها، فرجع إليها عقلها، فقالت لأخت موسى: وأين الصبي؟ فقالت: ما أدري، فسمِعت بكاءَ الصبي من التَّنُّور، فانطلقت إليه وقد جعل الله عليه النار برداً وسلاماً، فاحتَمَلته.

ثمَّ إنَّ أمَّ موسى لما رأت إلحاحَ فرعون في طلب الولدان.. خافت على ابنِها، وقذف الله في نفسها أن تَتَّخذ له تابوتاً، ثم تَقذف التابوت في النيل، فانطلقت إلى رجلٍ نجارٍ من قوم فرعون، فاشترت منه تابوتاً صغيراً، فقال النَّجَّار: ما تصنعين بهذا التابوت؟ فقالت: لي ابن أَخْبُؤُهُ في التابوت، وكرهت الكذب، ولم تقُل: أخشى عليه كيد فرعون، فلمَّا اشترت التابوت وحملته وانطلقت به.. انطلَق النجار إلى الذباحين؛ ليخبرهم بأمر أمِّ موسى، فلمَّا همَّ بالكلام.. أسكت الله لسانه، فلم يُطِق الكلام، وجعل يشير بيده، فلم يَدْرِ الأمناء ما يقول، فأعياهم أمرُه، قال كبيرهم: اضربوه، فضربوه وأخرجوه، فلما انتهى النجار إلى موضعه.. ردَّ الله عليه لسانه، فتكلَّم، فانطلق

(١) المحلوج: الذي تمَّ تخليصه من بذره.

. . . .

حاشية الصاوي

أيضاً يريد الأمناء، فأتاهم ليُخبرهم، فأخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئاً، فضربُوه وأخرجوه، فبقي حيران، فجعل لله عليه إن ردَّ لسانه وبصره ألَّا يدلَّ عليه، وأن يكون معه ويَحفظه حيثما كانوا، وعرَف الله منه الصدق، فردَّ عليه لسانه وبصره، فخرَّ معه ساجداً وقال: ربِّ دُلَّني على هذا العبد الصالح، فدلَّه الله عليه، فآمن به وصدَّقه[1].

وقيل: لما حملت أمُّ موسى به.. كتَمت أمرها عن جميع الناس، فلم يطَّلع على حبلها أحدٌ من خلق الله، وذلك شيءٌ ستره الله تعالى؛ لما أراد أن يمنَّ به على بني إسرائيل، فلمَّا كانت السنة التي وُلد فيها.. بعث فرعونُ القوابلَ إليهنَّ، ففتَّشن النساء تفتيشاً لم يفتِّشن قبل ذلك مثله، وحملت أمُّ موسى فلم يتغيَّر لونها، ولم تكبر بطنها، وكانت القوابل لا يَتعرضن لها، فلما كانت الليلة التي ولدته فيها ولا رقيبَ لها ولا قابلة، ولم يطَّلع عليها أحدٌ إلا أخته مريم، وأوحى الله إليها ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ وهو البحر ليلاً، وكان لفرعون يومئذ بنتٌ لم يكن له ولد غيرها، وكانت من أكرم الناس عليه، وكان لها كلَّ يوم ثلاثُ حاجاتٍ ترفعها إليه، وكان بها برصٌ شديدٌ، وكان فرعون قد جمع لها الأطباء والسحرة، فنظروا في أمرها فقالُوا: أيها الملك؛ لا تبرأ إلا من قبل البحر، فيوجد فيه شِبه الإنسان، فيؤخذ من ريقه، فيلطخ فيه برَصها، فتبرأ من ذلك، وذلك في يوم كذا، في ساعة كذا، في شهر كذا، حين تُشرق الشمس، فلمَّا كان ذلك اليوم.. غدا فرعون إلى مجلسٍ له كان على شفير النيل، ومعه امرأته آسية بنت مزاحم، وأقبلت بنت فرعون في جوارِيها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواريها تُلاعبهنَّ، وتنضح الماء على وجوههنَّ إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج، فقال فرعون: إنَّ هذا الشيء في البحر قد تعلَّق بشجرةٍ، ائتوني به، فابتدرُوه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يدَيه، فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه، وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه، فدَنت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً لم يرَه غيرها، فعالجته ففتحت الباب، فإذا بصبيٍّ صغيرٍ في التابوت، وإذا النور بين عينيه، وقد جعل الله رزقه في إبهامه يمصُّ منها لبناً، فألقى الله محبَّته في قلب آسية، وأحبَّه فرعون وعطَف عليه، وأقبلت بنت فرعون، فلمَّا أخرجوا الصبي من التابوت.. عمدت إلى ما يَسيل من ريقه، فلطخت به برَصها، فبرأت في الحال بإذن الله تعالى، فقبَّلته وضمَّته إلى صدرها، فقال الغُواة من قوم فرعون: أيها الملك؛ إنا نظنُّ أنَّ ذلك

---

(١) انظر الخبر بطوله في «السراج المنير» (٣/ ٨٢).

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ....﴾

﴿٨﴾ ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ﴾ بِالتَّابُوت صَبِيحة اللَّيل ﴿ءَالُ﴾: أعوانُ ﴿فِرْعَوْنَ﴾ فوَضَعُوهُ بَين يَدَيهِ، وفُتِحَ وأُخرِجَ مُوسى مِنهُ وهو يَمُصُّ مِن إبهامِهِ لَبَناً؛ ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ في عاقِبةِ الأمر ﴿عَدُوًّا﴾ يَقتُل رِجالَهم، ﴿وَحَزَنًا﴾ يَستَعبِدُ نِساءَهُم، ـ وفي قِراءة بِضَمِّ الحاء وسُكُون الزَّاي

حاشية الصاوي

المولود الذي تحذر منه من بني إسرائيل هو هذا، رُمِيَ به في البحر خوفاً منك، فهمَّ فرعون بقَتله، فقالت آسية: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ أي: فنصيب منه خيراً، ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾، وكانت آسية لا تَلد، فاستوهبت موسى من فرعون، فوهبه لها وقال فرعون: أمَّا أنا فلا حاجة لي فيه.

قال رسول الله ﷺ: «لو قال فرعون يومئذ: قُرة عين لي كما هو لك.. لهداه الله كما هَداها»[1]، فقيل لآسية: سمِّيه، فقالت: سمَّيته موسى؛ لأنا وَجدناه في الماء والشجر؛ لأنَّ (مو) هو الماء، و(شى) هو الشجر، فأصل موسى بالمهملة: موشى بالمعجمة[2].

قوله: (﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾) عطف على ما قدَّره المفسِّر بقوله: (فأرضعته... إلخ).

قوله: (صبيحة الليل) أي: وكان يوم الاثنين.

قوله: (وفتح) أي: فتحَتْهُ آسية بعد أن عالَجوه بالفتح والكسر فلم يقدروا.

قوله: (في عاقبة الأمر) أشار بذلك إلى أنَّ اللام للعاقبة والصيرورة، لا لِلعلة؛ لأنَّ علة التقاطهم أن يكون حبيباً وابناً، ففي الآية استعارةٌ تبعيَّةٌ في متعلَّق معنى الحرف، يقدر تشبيه ترتُّب نحو العداوة والحزن على نحو الالتقاط بترتُّب العلة الغائية في المحبة والتَّبني، بجامع مُطلق الترتُّب الأعمِّ من الطرفين، فالتَّرتُّب الثاني متعلَّق معنى اللام، فقدَّر استعارة الترتُّب الكلي المشبَّه به بالترتب الكلي المشبَّه، فسرى التشبيه لمعنى اللام الذي هو الترتُّب الجزئيُّ، فاستُعير لفظ اللام واستعمل في الترتُّب الجزئي، والعداوة والحزن قرينة. أفاده الملَّوي.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[3].

---

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (١١٣٢٦) بنحوه عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر الخبر بطوله في «تفسير الخازن» (٣/ ٣٥٨).

(٣) قرأ العامة بفتح الحاء والزاي، وهي لغة قريش، والأخوان بضم وسكون، وهما لغتان بمعنى واحد؛ كالعُدْم والعَدَم. انظر «الدر المصون» (٨/ ٦٥٥).

إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ ....

لُغتانِ في المَصدَر، وهو هُنا بِمَعنى اسم الفاعِل مِن (حَزَنَه) كـ(أحزَنَهُ) ـ، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ﴾: وَزِيره ﴿وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ﴾ مِن الخَطِيئة أي: عاصِينَ، فعُوقِبُوا على يَدَيه.

﴿٩﴾ ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وقد هَمَّ مَع أعوانِه بِقَتلِه: هو ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾، فأطاعُوها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بِعاقِبةِ أمرِهِم مَعَه.

﴿١٠﴾ ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ لَمَّا عَلِمَت بِالتِقاطِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (من: حزنه) هو من باب: (طَرِبَ) و(نَصَرَ).

قوله: (فعوقبوا على يديه) أي: مع أنه تربَّى على أيدِيهم، فهو أبلغ في إذلالهم.

قوله: (﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾) أي: وهي آسية بنت مزاحم، وكانت من خِيار النساء؛ قيل: كانت من ذُرية الريَّان بن الوليد الذي كان في زمن يوسف الصديق عليه السلام، وقيل: من بنات الأنبياء من بني إسرائيل، مِن سبط موسى عليه السلام، وقيل: كانت عمَّته، فقالت لفرعون وهي قاعدةٌ إلى جَنبه: هذا الولد أكبر من ابن سنة، وأنت تذبح ولدان هذه السنة، فدَعْهُ يكون عندي، وقيل: إنها قالت له: إنه أتى من أرض أخرى، وليس هو من بني إسرائيل.

قوله: (هو ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ﴾) أشار المفسِّر إلى أنه خبرٌ لمحذوف.

قوله: (﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾... إلخ) أي: لِما رأت فيه من العلامات الدَّالة على النَّجابة والبركة.

قوله: (فأطاعوها) أي: على عادة أمراء مصر من كونهم يُطيعون النساء فيما يَقُلنه.

قوله: (﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾) حال من ﴿ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾.

قوله: (﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ﴾) يصح أن يبقى (أصبح) على ظاهره إن ثبت أنها ألقته ليلاً، أو بمعنى (صار) إن كانت ألقته نهاراً.

فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ....

﴿فَٰرِغًا﴾ مِمَّا سِواهُ، ﴿إِن﴾ ـ مُخففة مِن الثَّقِيلة، واسمها مَحذُوف ـ أي: إنَّها ﴿كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ أي: بِأنَّهُ ابنُها ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ بِالصَّبرِ أي: سَكَّنَّاهُ ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: المُصَدِّقِين بِوَعدِ الله. ـ وجَواب ﴿لَوْلَآ﴾ دلَّ علَيهِ ما قبلَها ـ.

﴿١١﴾ ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ مَريَم: ﴿قُصِّيهِ﴾: اتَّبِعِي أثَره حتَّى تَعلَمِي خَبَرَه، ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ﴾: أبصَرَتهُ ﴿عَن جُنُبٍ﴾: مِن مَكان بَعِيد اختِلاساً، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنَّها أختُه وأنَّها تَرقُبُه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَٰرِغًا﴾ ممَّا سواه) أي: من التفكر في غيره؛ لِما ورد: أنه أتاها الشيطان وقال: كرهت أن يقتل فرعون ابنك، فيكون لك أجره وثوابه، وتولَّيت أنت قتلَه فأغرقتيه في البحر[1]؟! فحزنت لذلك وانحصرَتْ فكرتُهَا فيه، ونسيَتْ ما أُوحِيَ به إليها.

قوله: (﴿لَتُبْدِى بِهِۦ﴾) ضمَّنه معنى (تصرِّح)، فعدَّاه بالباء، ويصح أن يبقى على ظاهِره وتكون الباء زائدة؛ أي: تُظهره.

قوله: (﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾) جوابها محذوفٌ؛ أي: لأبدت به؛ كما أشار له المفسِّر.

قوله: (بوعد الله) أي: المدلول عليه بقوله: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿لِأُخْتِهِۦ﴾) أي: شَقيقته.

قوله: (مريم) هو أحد أقوال، وقيل: اسمها كلثمة، وقيل: كلثوم.

قوله: (﴿عَن جُنُبٍ﴾) حال إما من الفاعل، أو من الضمير المجرور بالباء؛ أي: أبصرته مُستخفية كائنة عن جَنب، أو أبصرته بعيداً منها.

قوله: (اختلاساً) أي: اختفاءً.

قوله: (وأنها ترقبه) أي: تَنظره.

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٦/ ١٩٤).

وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ....

﴿١٢﴾ ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبلَ رَدِّه إلى أُمِّه، أي: مَنَعناهُ مِن قَبُول ثَدي مُرضِعة غَيرِ أُمِّه، فلَم يَقبَل ثَديَ واحِدة مِن المَراضِع المُحضَرةِ لَه، ﴿فَقَالَتْ﴾ أُختُه: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ لَمَّا رَأت حُنُوَّهُم علَيهِ ﴿يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ بِالإرضاعِ وغَيرِه، ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾، وفَسَّرَت ضَمِير ﴿لَهُۥ﴾ بِالمَلِكِ جَواباً لَهُم، فأُجِيبَت، فجاءَت بِأُمِّهِ فقَبِلَ ثَديَها، وأجابَتهُم عن قَبُوله بِأنَّها طَيِّبة الرِّيح طَيِّبة اللَّبَن، فأُذِنَ لَها في إرضاعِه في بَيتِها، فرَجَعَت بِهِ كما قال تَعالى:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ﴾) أي: على موسى.

قوله: (﴿مِن قَبْلُ﴾) هو ظرف مبني على الضم؛ لحذف المضاف إليه ونيَّةِ معناه.

قوله: (أي: منعناه) أشار بذلك إلى أنَّ المراد من التحريم لازمُه وهو المنع؛ لأنَّ الصبي ليس من أهل التكليف.

قوله: (من المراضع المحضرة) أي: التي أحضَرها فرعون.

قوله: (﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾) أي: مُخلصون في العمل من شوائب الفساد.

قوله: (حنوَّهم عليه) أي: عطْفَهُم وميلَهُم إليه.

قوله: (وغيره) أي: كالتربية وإصلاح الحال.

قوله: (فقَبِلَ ثديها) أي: بعد أن مكَث عندهم ثمانية أيام لا يقبل ثدي مُرضعة أصلاً، قيل: إنَّ هامان لما سمع قولها: وهم له ناصحون.. قال: إنها لتعرفه وأهله، فخذوها واحبِسوها حتى تخبر بحاله، فقالت: إنما أردت: وهم لِلملك ناصحون، فأمرها فرعون أن تأتي بمن يَكفله، فأتت بأمِّ موسى وهو على يد فرعون يبكي طالباً للرضاع، وهو يُعلِّله شفقةً عليه، فلمَّا وجد ريحها.. التقم ثديَها، فقال لها: من أنتِ منه؛ فقد أبى كلَّ ثدْيٍ إلا ثَديك؟ فقالت: إني امرأة طيِّبة الريح، طيِّبة اللبن، لا أكاد أُوْتَى بصبيٍّ إلا قَبِلَني، فدفَعه إليها وقال: أقيمي عِندنا لإرضاعه، فقالت: لا أقدر على فراق بَيتي؛ فإن رضيتم.. أرضعتُه في بيتي، وإلا.. فلا حاجة لي فيه، وأظهرَت الزهد فيه؛ نفياً للتهمة عنها، فرضوا بذلك، فرجعت به إلى بيتها من يومها، ولم يبقَ أحدٌ من آل فرعون إلا أهدى إليها وأتحَفها بالذهب والجواهر.

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ ....﴾

﴿١٣﴾ ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بِلِقائِه ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حِينَئِذٍ، ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بِرَدِّه إلَيها ﴿حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: النَّاس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ بِهَذا الوَعد، ولا بِأنَّ هَذه أُختُه وهَذِه أُمُّه. فمَكَث عِندها إلى أن فطَمَتْهُ، وأُجري علَيها أُجرَتها لِكُلِّ يوم دِينار، وأخَذَتها لِأنَّها مالُ حَربِيٍّ، فأتَت بِه فِرعونَ فتَرَبَّى عِنده كما قال تَعالى حِكايةً عنهُ في سُورة الشُّعراء: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٨].

﴿١٤﴾ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ وهو ثَلاثُون سَنة أو وثَلاث، ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي: بَلَغ أربَعِين سَنة ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾: حِكمةً ﴿وَعِلْمًا﴾: فِقهاً في الدِّين قبلَ أن يُبعَث نَبيًّا، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جَزَيناهُ ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لِأنفُسِهم.

﴿١٥﴾ ﴿وَدَخَلَ﴾ مُوسى ﴿ٱلْمَدِينَةَ﴾: مَدِينة فِرعونَ وهي مَنفُ بعدَ أن غابَ عنها مُدَّة ...

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾) أي: تبرد وتَسكن من ألم الفراق.

قوله: (﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾) عطف على ﴿تَقَرَّ﴾ منصوب بـ(أن) مضمرة بعد (كي).

قوله: (فمكث عندها إلى أن فطمته) أي: وهو سَنتان.

قوله: (وأخذتها؛ لأنها مال حربي) جوابٌ عمَّا يقال: كيف جاز لها أن تأخذَ أجرةً منه على إرضاع ولدها؟

قوله: (أو: وثلاث) أو: لتنويع الخلاف.

قوله: (أي: بلغ أربعين سنة) المناسب أن يقول: أي: كمَل عقله وانتهى شبابه؛ لأنَّ موسى أقام في مصر ثلاثين سنة، ثم ذهب إلى مَدين وأقام فيها عشر سنين، ووَقْعَةُ قتل القبطي كانت قبل ذهابه لمدين، فهي السبب فيه.

قوله: (كما جزيناه) أي: مثل ذلك الذي فعلنا بموسى وأمِّه نجزي المحسنين على حسناتهم.

قوله: (مُنْفُ) بضمٍّ فسكون، ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، أو العُجمة، وهي من أعمال

﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ ....

﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ وقتَ القَيلُولة، ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي: إسرائيليٌّ ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ أي: قِبطِيٌّ يُسَخِّر إسرائيليًّا لِيَحمِل حَطَباً إلى مَطبخِ فِرعونَ، ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ فقال لَهُ مُوسى: خَلِّ سَبِيلَه، فقِيل: إنَّهُ قال لِمُوسى: لَقَد هَمَمتُ أن أحمِلَهُ عَليك، ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ أي: ضَرَبَهُ بِجُمعِ كَفِّه ـ وكان شَدِيد القُوَّة والبَطشِ ـ ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي: قَتَلَهُ ولَم يَكُن قَصَدَ قَتلَه، ودَفَنَهُ في الرَّمل، ...

حاشية الصاوي

مصر، وقيل: قرية يقال لها: أم خنان[1] على فرسخين من مصر، وقيل: هي مدينة عين الشمس، وقيل: هي مصر.

قوله: **(وقت القيلولة)** وقيل: بين المغرب والعشاء، وسبب دخول المدينة في ذلك الوقت: أنَّ موسى كان يسمَّى ابن فرعون، وكان يركب مَراكبه، ويلبس ملابسه، فركب فرعون يوماً وكان موسى غائباً، فلمَّا قدم.. قيل له: إنَّ فرعون قد ركب، فركب موسى في أثره، فأدركه المقيل في أرض مُنْف، فدخلها وليس في طُرقها أحد.

قوله: (﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾) أي: وكان طبَّاخاً لفرعون، واسمه فليثون، أراد أن يسخِّر الإسرائيليَّ لحمل الحطب.

قوله: (﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ﴾) أي: طلب غَوْثَهُ ونصره.

قوله: **(أن أحمله)** أي: الحطبَ.

قوله: (﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾) أي: دفعه بجُمْعِ كفِّه، وأمَّا اللكز.. فهو الضرب بأطراف الأصابع.

قوله: **(بِجُمْعِ كفِّه)** أي: بكفِّه مجموعة، فهو من إضافة الصفة للموصوف.

قوله: (﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾) أي: أوقع عليه القضاء، وهو الموت.

قوله: **(ولم يكن قصد قتله)** جوابٌ عمَّا يقال: كيف تجرَّأ على قتل القبطي؟ وحاصل إيضاح

---

(١) كذا في النسخ وفي «الفتوحات» (٣/ ٣٦٠)، وهي اليوم إحدى قرى مركز قويسنا التابع لمحافظة المنوفية بمصر، والذي في «تفسير الخازن»: (حابين)، وضبطها الشهاب الخفاجي في «حاشيته على البيضاوي» (٧/ ٦٦): (بحاء مهملة وباء موحدة في النسخ، وهي وعين شمس أسماء بلدتين من نواحي مصر).

قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ....

﴿قَالَ هَٰذَا﴾ أي: قَتلُه ﴿مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ المُهيِّج غضبي، ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ﴾ لابنِ آدمَ، ﴿مُّضِلٌّ﴾ لَه، ﴿مُّبِينٌ﴾: بيِّن الإضلالِ.

﴿١٦﴾ ﴿قَالَ﴾ نادِماً: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بِقَتلِه، ﴿فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: المُتَّصِف بِهِما أزلاً وأبداً.

﴿١٧﴾ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ﴾: بِحَقِّ إنعامِك ﴿عَلَىَّ﴾ بِالمَغفِرةِ اعصِمنِي ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾: عوناً ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾: الكافِرِين بعدَ هذه إن عَصَمتَني.

﴿١٨﴾ ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾: يَنتَظِر ما يَنالُه مِن جِهة القَتِيل، ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾: يَستَغِيث بِه ....

حاشية الصاوي

الجواب: أنَّ قتلَه كان خطأ، وقد يقال: قَتَلَهُ من باب دفع الصائل، وهو واجبٌ، والاستغفارُ من باب: حسناتُ الأبرار سيِّئاتُ المقربين.

قوله: (﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾) نِسبته للشيطان من حيث إنه لم يُؤمر بقتل القبطي، وظهر له أنَّ قتْلَهُ خلافُ الأولى؛ لما يترتَّب عليه من الفِتَن، والشيطان تُفرحه الفتن.

قوله: (﴿إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾) الحقُّ أنَّ هذا تواضعٌ منه، وحسناتُ الأبرار سيِّئاتُ المقربين.

قوله: (بحق إنعامك عليَّ) أشار بهذا إلى أنَّ (ما) مصدرية، والكلام على حذف مضاف، وأشار بقوله: (اعصمني) إلى أنَّ الباء متعلقة بمقدَّر هو هذا، وقوله: ﴿فَلَنْ أَكُونَ﴾ جوابُ شرطٍ قدَّره بقوله: (إن عصمتني)، وأراد بمظاهَرة المجرمين: صحبةَ فرعون، وانتظامَهُ في جماعته، وتكثيرَ سوادِهِ.

قوله: (﴿فَإِذَا ٱلَّذِى﴾) (إذا): فجائية، و﴿ٱلَّذِى﴾: مبتدأ، نعتٌ لمحذوف؛ أي: فإذا الإسرائيليُّ الذي، و﴿ٱسْتَنصَرَهُۥ﴾: صِلته، و﴿يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾: خبر المبتدأ.

قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ....

على قِبطِيٍّ آخَرَ، ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ الغَوايةِ لِما فعَلتَه أمسِ واليَوم.

﴿١٩﴾ ﴿فَلَمَّآ أَنْ﴾ - زائِدة - ﴿أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾: لِمُوسى والمُستَغِيث بِه ﴿قَالَ﴾ المُستَغِيثُ ظانًّا أنَّهُ يَبطِش به لمَّا قال لَه: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن﴾: ما ﴿تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾، فسَمِعَ القِبطِيُّ ذلك فعَلِمَ أنَّ القاتِل مُوسى، فانطَلَق إلى فِرعونَ فأخبَرَهُ بِذلك، فأمَرَ فِرعونُ الذَّبَّاحِين بِقَتلِ مُوسى، فأخَذُوا في الطَّرِيق إلَيه.

حاشية الصاوي

قوله: (على قِبطي آخر) أي: يُريد أن يستخدمه، والاستصراخ: الاستغاثة، وسمِّيت بذلك؛ لأنَّ المستغيث يُصوِّت ويصرخ في طلب الغوث.

قوله: (﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ﴾) قال ابن عباس: إنَّ القبط قالوا لفرعون: إنَّ بني إسرائيل قتلوا منَّا رجلاً، فخذ لنا بحقِّنا، فقال: اطلبوا قاتِله ومن يشهد عليه، فبينما هم يَطوفون لا يجدون بيِّنةً إذ مرَّ موسى من الغد، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيًّا آخر، فاستغاثه على الفرعونيِّ، وكان موسى قد نَدم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي، فقال للإسرائيلي: إنك لغويٌّ مبينٌ[1].

قوله: (لما فعلته أمس واليوم) أي: حيث قاتَلت بالأمس رجلاً، فقتَلْتُهُ بسببك، وتقاتل اليوم آخر وتَستغيثني عليه.

قوله: (﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ﴾... إلخ) وذلك أنَّ موسى أخذَته الغيرة والرقة على الإسرائيلي، فمدَّ يده ليَبطش بالقبطيِّ، فظنَّ الإسرائيلي أنه يريد أن يَبطش به هو؛ لما رأى من غضبه، وسمع قوله: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾، فقال له: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾) الجبَّار هو: الذي يقتل ويَضرب ويتعاظم، ولا ينظر في العواقب.

قوله: (﴿مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾) أي: بين الناس.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٠٨).

وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ ....

﴿٢٠﴾ ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ هو مُؤمِنُ آلِ فِرعونَ ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾: آخِرِها ﴿يَسْعَىٰ﴾: يُسرِع في مَشيِهِ مِن طَريق أقرَبَ مِن طَريقِهم، ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾ مِن قومِ فِرعونَ ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾: يَتَشاوَرُون فِيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ﴾ مِن المَدِينةِ، ﴿إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ في الأمرِ بالخُرُوج.

﴿٢١﴾ ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ لُحُوقَ طالِب أو غَوثَ الله إيَّاهُ، ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قومِ فِرعونَ.

﴿٢٢﴾ ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾: قَصَدَ بِوَجهِه ﴿تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾: جِهَتَها، وهي قَريةُ شُعَيب مَسِيرةَ ثَمانِيَة أيَّام مِن مِصر، سُمِّيَت بِمَدينَ بنِ إبراهيم، ولَم يَكُن يَعرِفُ طَرِيقَها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (مؤمن آل فرعون) هو ابن عمِّ فرعون، واسمه حزقيل، وقيل: شمعون، وقيل: سمعان، وهو الذي ذُكر في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [غافر: ٢٨].

قوله: (﴿يَسْعَىٰ﴾) صفة لـ﴿رَجُلٌ﴾، أو حال منه؛ لوجود المخصِّص قبله.

قوله: (يتشاورون فيك) أي: يأمر بعضهم بعضاً بقتلك.

قوله: (أو غَوْثَ الله إيَّاه) (أو): مانعةُ خلوٍّ تجوِّزُ الجمع.

قوله: (﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى﴾... إلخ) خلِّصني منهم، واحفَظني من لحوقهم.

قوله: (﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾) أي: بإلهام من الله؛ لِعلمه بأنَّ أرض مدين لا تسلُّط لفرعون عليها، وأنَّ بينه وبين أهل مدين قرابةً؛ لكونهم من ذريَّة إبراهيم، وهو كذلك.

قوله: (ابن إبراهيم) أي: الخليل عليه السلام، وله ولدٌ آخر اسمه مدائن، فأولاده أربعة: إسماعيل وإسحاق، ومَدين ومدائن، وإنما لم يصرِّح في القرآن بمَدين ومدائن؛ لأنهما لم يكونا أنبياء.

قوله: (ولم يكن يعرف طريقها) وخرج بلا زاد ولا رَفيق، ولم يكن له طعامٌ إلا ورق الشجر

قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ....

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: قَصدَ الطَّرِيق، أي: الطَّرِيقَ الوَسَط إلَيها، فأرسَل الله مَلَكاً بِيَدِه عَنَزةٌ فانطَلَق بِه إلَيها.

﴿٢٣﴾ ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ﴾: بِئر فِيها أي: وصَل إلَيها ﴿وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ﴾: جَماعةً ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ﴾ مَواشِيَهم، ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ أي: سِواهُم ....

حاشية الصاوي

ونبات الأرض حتى رُئِيَتْ خُضرته في باطنه من خارج، وما وصل إلى مَدين حتى وقع خفُّ قدمَيه، وهو أول ابتلاءٍ من الله لموسى.

قوله: (﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾) من إضافة الصفة للموصوف؛ أي: السَّبيلَ السَّويَّ.

قوله: (أي: للطريق الوسط) أي: وكان لها ثلاث طُرق، فأخذ موسى يمشي في الوسطى، وجاء الطلاب في أثره، فساروا في الأخريَين ولم يعرفوا محلَّه.

قوله: (ملكاً) أي: وكان راكباً على فرس؛ قيل: هو جبريل.

قوله: (بيده عَنَزَةٌ) هي: فوق العصا ودون الرمح، في طرفها حربة كحربة الرمح.

قوله: (بئرٌ[1] فيها) أشار بذلك إلى أنه أطلق الحالَّ وأراد المحلَّ، فأطلق الماء وأريد البئر.

قوله: (أي: وصل إليها) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالورود هنا: الوصول؛ لأنَّ الوُرود يطلق على الدخول في الشيء، وعلى الاطلاع على الشيء والوصول إليه، ومنه: قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ [مريم: ٧١] على مشهور التفاسير.

قوله: (جماعة) أي: كثيرة.

قوله: (﴿يَسۡقُونَ﴾) الجملة حال من فاعل ﴿وَجَدَ﴾[2]؛ لأنها بمعنى (لقي)، فتنصب مفعولاً واحداً.

قوله: (مَواشيهم) هو مَعمول ﴿يَسۡقُونَ﴾، وقد حذف في هذه الآية معمولَ ﴿يَسۡقُونَ﴾ و﴿تَذُودَانِۖ﴾، و﴿لَا نَسۡقِي﴾؛ لأنَّ المقصود الفعل لا المفعول.

---

(١) خبر مبتدأ محذوف، صرح به الخازن؛ أي: هو بئر فيها. «فتوحات» (٣/ ٣٦٤).

(٢) في هامش (أ): (لعله من مفعول «وجد». اهـ).

ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ ....

﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ﴾: تَمنعان أغنامَهُما عن الماءِ، ﴿قَالَ﴾ مُوسى لَهُما: ﴿مَا خَطْبُكُمَاۖ﴾ أي: ما شَأنُكما لا تَسقِيانِ؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يَصْدُرَ ٱلرِّعَآءُۖ﴾: جَمع (راعٍ) أي: يَرجِعُون مِن سَقيِهم خَوفَ الزِّحام، فنَسقِي، ـ وفي قِراءة: ﴿يُصْدِرَ﴾ مِن الرُّباعِيِّ ـ أي: يَصرِفُوا مَواشِيَهم عن الماء، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يَقدِر أن يَسقِيَ.

﴿٢٤﴾ ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ مِن بِئر أُخرَى بِقُربِهما؛ رَفَع حَجراً عنها لا يَرفَعهُ إلَّا عَشَرةُ أنفُس، ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ﴾: انصَرَف ....

حاشية الصاوي

قوله: (جمع راع) أي: على غير قياس، وقياسه: بضمِّ الراء ك: قاض وقُضاة[1].

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[2].

قوله: (﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾) أي: فهذا وجه مُباشرتنا للسَّقي بأنفسنا.

قال الأجهوري في شرح خطبة الشيخ خليل: (تتمة: عاش شعيب نبي الله ثلاثة آلاف سنة، ذكره الشيخ زروق، وفي رواية: وكان في غنَمه اثنا عشر ألف كلب، وفي رواية: أنه عاش ثلاثة آلاف سنة، وست مئة سنة). انتهى ملخَّصاً من «حاشية شيخنا الشيخ الجمل على فضائل رمضان للأجهوري».

قوله: (لا يقدر أن يسقي) أي: فيُرسلنا اضطراراً.

قوله: (﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾) أي: سقى أغنامهما لأجلهما.

قوله: (إلا عشرة أنفس) وقيل: سبعة، وقيل: ثلاثون، وقيل: أربعون، وقيل: مئة.

---

(١) لأن (فاعلاً) الوصف المعتل اللام ك: قاض قياسه: (فُعلة) نحو: قُضاة، ورُماة، خلافاً للزمخشري في قوله: (إن جمع «راع» على «فعال» قياس؛ ك: صيام، وقيام). «فتوحات» (٣/ ٣٦٤).

(٢) قرأ أبو عمرو وابن عامر بفتح الياء وضم الدال من: صدر يصدر، وهو قاصر؛ أي: يصدرون بمواشيهم، والباقون بضم الياء وكسر الدال مضارع (أصدر) معدًّى بالهمزة، والمفعول محذوف؛ أي: يصدرون مواشيهم. انظر «الدر المصون» (٨/ ٦٦٣).

إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ ....

﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ لِسَمُرةٍ مِن شِدَّة حَرِّ الشَّمس وهو جائِعٌ، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾: طعامٍ ﴿فَقِيرٌ﴾: مُحتاج، فرَجَعَتا إلى أبيهما في زَمَن أقلَّ مِما كانَتا تَرجِعانِ فِيه، فسألَهُما عن ذلك فأخبَرَتاهُ بِمَن سقَى لَهُما، فقال لإحداهُما: ادعِيه لي، قال تعالى:

﴿٢٥﴾ ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ أي: واضِعةً كُمَّ دِرعها على وَجهها حَياءً مِنهُ، ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ﴾، فأجابَها مُنكِراً في نَفسِه أخذَ الأُجرةِ، كأنَّها قَصَدَت المُكافَأةَ إن كانَ مِمَّن يُرِيدُها، فمَشَت بينَ يَدَيهِ، فجَعَلت الرِّيحُ تَضرِب ثَوبَها فتَكشِف ساقَيها، فقال لَها: امشِي خَلفِي ودُلِّينِي على الطَّرِيق، ففَعَلت، إلى أن جاء أباها ....

حاشية الصاوي

قوله: (لسمرة) بضم الميم، وهي شجرةٌ عظيمةٌ من شجر الطلح، وهي التي أُمِرَ ﷺ ليلة الإسراء بالنزول والصلاة عندها[1].

قوله: (﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ﴾) (إنَّ): حرف توكيد، والياء: اسمها، و﴿لِمَآ أَنزَلْتَ﴾: مُتعلق بـ﴿فَقِيرٌ﴾، وهو خبر (إنَّ)، و﴿أَنزَلْتَ﴾ بمعنى (تُنزل)، والمعنى: إني فقيرٌ ومحتاجٌ لما تنزله إليَّ من أيِّ شيء كان؛ قليلاً أو كثيراً.

قوله: (ادعيه لي) أي: اطلُبيه ليحضر عندي.

قوله: (﴿فَجَآءَتْهُ﴾... إلخ) عطف على ما قدَّره المفسِّر بقوله: (فرجعت... إلخ).

قوله: (﴿تَمْشِي﴾) حال من فاعل (جاء)، وقوله: ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ حالٌ من الضمير في ﴿تَمْشِي﴾، والاستحياء هو: الحياء بالمد، وهو حالة تعتري الشخص، تَحمله على تجنُّب الرذائل.

قوله: (كُمَّ دِرْعِهَا) أي: قميصِهَا.

قوله: (منكراً في نفسه أخذ الأجرة) أي: فلم يكن قصدُهُ بالإجابة أخذَ الأجرة، بل للتَّبرك

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧١٤٢)، والبزار في «مسنده» (٨/ ٤٠٩) عن سيدنا شداد بن أوس ﷺ.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾ ....

وهو شُعيبٌ علَيهِ السَّلام وعِندَه عَشاءٌ، فقال له: اجلِس فتعَشَّ، قال: أخافُ أن يَكُون عِوَضاً مِمَّا سَقَيتُ لَهُما، وإنَّا أهل بَيت لا نَطلُب على عَمَلٍ خير عِوَضاً، قال: لا، عادَتِي وعادةُ آبائِي نَقرِي الضَّيف ونُطعِم الطَّعام، فأكَل وأخبَرَه بِحالِه، قال تَعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ﴾ - مَصدَر بِمَعنَى المَقصُوص - مِن قَتلِه القِبطِيَّ وقَصدِهم قَتلَه وخَوفِه مِن فِرعونَ، ﴿قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إذ لا سُلطانَ لِفِرعونَ على مَدينَ.

٢٦ ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا﴾ وهي المُرسَلةُ الكُبرَى أو الصُّغرَى: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾: اتَّخِذهُ أجِيراً يَرعَى غَنَمَنا أي: ي: أ بَدَلنا، ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ أي: استَأجِرهُ لِقُوَّتِه وأمانَتِه، فسَألَها عنهُما فأخبَرَتهُ بِما تَقدَّم مِن رَفعه حَجَرَ البِئر ومِن قَولِه لها: امشِي خَلفِي، وزِيادة أنَّها لَمَّا جاءَتهُ وعَلِمَ بِها صَوَّبَ رَأسَه فلَم يَرفَعْهُ، فرَغِبَ في إنكاحِه.

حاشية الصاوي

بأبيها.

قوله: (وهو شعيب) هذا هو الصحيح، وقيل: هو يثرون، ابن أخي شعيب، وكان شعيب قد مات، وقيل: هو رجلٌ ممَّن آمن بشعيب. وشعيب هو ابن مبعون بن عنفاش بن مدين بن إبراهيم عليه السلام.

قوله: (وهي المرسَلَةُ) أي: وهي التي تزوَّجها موسى عليه السلام.

قوله: (﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ﴾) تعليلٌ للأمر بالاستئجار.

قوله: (فسألها عنهما) أي: بأن قال لها: وما أعلمك قوَّته وأمانَته؟!

قوله: (وزيادة) أي: على ما ذكرته من القُوة والأمانة، وقد يقال: إن هذا من جملة الأمانة؛ فلا زيادة.

قوله: (صوَّب رأسه) أي: خفَضه.

قوله: (فرغب في إنكاحه) أي: رغب شعيب في إنكاحه ابنته.

قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ ....

﴿٢٧﴾ ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ﴾ وهي الكُبرى أو الصُّغرى، ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي﴾: تَكُونَ أجيراً لِي في رَعيِ غَنَمِي ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ﴾ أي: سِنِينَ، ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾ أي: رَعيَ عَشرِ سِنِين ﴿فَمِنْ عِندِكَۖ﴾ التَّمامُ، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ﴾ باشتِراطِ العَشر، ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ - لِلتَّبرُّك - ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الوافِينَ بِالعَهد.

﴿٢٨﴾ ﴿قَالَ﴾ مُوسى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الَّذي قُلتَه ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هَٰتَيْنِ﴾) استُفيد منه أنه كان له غيرهما، قيل: كان له سبع بنات.

قوله: (﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي﴾) حال من الفاعل أو المفعول[١]، ومفعول ﴿تَأْجُرَنِي﴾ محذوف[٢]، والمعنى: تأجرَني نفسك، وقوله: ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ﴾ ظرفٌ له.

قوله: (﴿فَمِنْ عِندِكَۖ﴾ التمام) قدَّره؛ إشارة إلى أن قوله: ﴿فَمِنْ عِندِكَۖ﴾ خبرٌ لمحذوف، والتقدير: فالتَّمام من عندك تفضُّلاً لا إلزاماً.

قوله: (للتبرك) أي: فالاستثناء لِلتبرك والتفويض إلى توفيقه تعالى، لا للتعليق؛ لأنَّ صلاحَه محقَّقٌ.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) اسم إشارة مبتدأ، و﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ﴾ خبرُه، والمعنى: ذلك الذي وقع منك وعاهَدتني عليه ثابتٌ بيننا جميعاً، لا يخرج عنه واحد منَّا، ويصح أن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ مفعولاً لمحذوف؛ أي: قبلت ذلك، وقوله: ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ...﴾ إلخ حال من اسم الإشارة، والمعنى: قبلتُ ذلك العقد حال كونه كائناً بيني وبينك، لم يكُن علينا شهيدٌ إلا الله.

قوله: (﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾) (أيّ): شرطية، وجوابها: ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ﴾، و(ما): زائدة؛ كما قال المفسِّر.

---

(١) أي: مشروطاً عليَّ، أو عليك.

(٢) أي: مفعوله الثاني.

قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ

الثَّمان أو العَشر ـ و(ما) زائِدة ـ أي: رَعِيَّة ﴿قَضَيْتُ﴾ به أي: فرَغتُ مِنهُ ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ بِطَلبِ الزِّيادة علَيه، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾: أنا وأنتَ ﴿وَكِيلٌ﴾: حَفِيظٌ أو شَهِيد. فتَمَّ العَقد بِذلك، وأَمَر شُعَيب ابنَته أن تُعطِيَ مُوسى عَصاً يَدفَع بِها السِّباعَ عن غَنَمِه، وكانَت عِصِيُّ الأنبِياء عِندَه، فوَقَعَ في يَدها عصَا آدمَ مِن آسِ الجَنَّة، فأخَذَها مُوسى بِعِلمِ شُعَيب.

﴿٢٩﴾ ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ أي: رَعيَه وهو ثمان أو عشرُ سِنِين ـ وهو المَظنون بِه ـ ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾: زَوجَته بِإذنِ أبِيها ....

حاشية الصاوي

قوله: (الثمان أو العشر) بالنصب تفسير لـ(أيَّ).

قوله: (فتمَّ العقد) أي: عَقد النكاح والإجارة.

إن قلتَ: إنَّ الذي وقع من شعيب وعدٌ، والنكاح لا يكونُ إلا بصيغة إبرام، وأيضاً: لم يبيِّن المنكوحة، وأيضاً: الصداق ليس ثمرتُه عائدةً عليها.

أجيب بجوابَين: الأول: أنَّ هذا كان في شرعه جائزاً، والثاني: أنه يمكن تَنزيله على شرعنا؛ بأنه قصد بالوعد إنشاءَ الصيغة، وقد وقع من موسى القَبول بقوله: (ذلك)، وبأنه يمكن أنه بيَّن المنكوحة بإشارةٍ مثلاً، وبأنَّ الغنم يُمكن أن يكون بعضها مملوكاً لها، فثمرةُ الرعي عائدةٌ عليها.

قوله: (فوقع في يدها عصا آدم) قيل: إنه أودعها ملكٌ في صورة رجل عند شعيب، فأمر ابنتَه أن تأتيه بعصاً، فأتته بها، فردَّها سبع مرات، فلم يقع في يَدها غيرها، فدفعها إليه، ثم ندم؛ لأنها وديعةٌ عنده، فتَبِعه، فاختَصما فيها، ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع، فأتاهما الملك فقال: ألقِياها؛ فمن رفعها.. فهي له، فعالجها الشيخ فلم يُطِقها، فرفعها موسى عليه السلام، فكانت له.

قوله: (من آس الجنة) أي: وتوارَثها الأنبياء بعد آدم، فصارت منه إلى نوح، ثم إلى إبراهيم حتى وصلت لشعيب، وكان لا يأخذها غَيْرُ نبيٍّ إلا أكلَته.

قوله: (وهو المظنون به) أي: وإن لم يصرِّح القرآن به؛ لكمال مُروءته، فالمعوَّل عليه أنه وفَّى العشرَ.

قوله: (﴿بِأَهْلِهِۦٓ﴾) أي: زوجته وولَده وخادمه.

ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ....

نَحو مِصر، ﴿ءَانَسَ﴾: أبصرَ مِن بَعِيد ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾: اسم جَبَل ﴿نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ هُنا؛ ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن الطَّريق وكان قد أخطأها، ﴿أَوْ جِذْوَةٍ﴾ ـ بِتَثليثِ الجِيم ـ: قِطعة وشُعلة ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: تَستَدفِئُون، والطَّاء بَدَل مِن تاءِ الافتِعال من (صَلِيَ بِالنارِ) بِكَسرِ اللَّام وفَتحِها.

حاشية الصاوي

قوله: (نحو مصر) أي: لِصلة رحمه، وزيارة أمِّه وأخيه.

ورد: (أنه لما عزم على السير.. قال لزوجته: اطلبي من أبيك أن يُعطينا بعض الغنم، فطلبت من أبيها ذلك، فقال: لكما كلُّ ما ولد هذا العام على غير شبهها من كل أبلَق وبلقاء، فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعَصاك الماء، واسقِ منه الغنم، ففَعل ذلك، فما أخطأت واحدةٌ إلا وضعت حملها ما بين أبلَق وبلقاء، فعلم شعيبٌ أنَّ ذلك رِزقٌ ساقه الله إلى موسى وابنته، فوَفى له بشرطه، وأعطاه الأغنام)(١).

قوله: (﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾) أي: الأيمن؛ بدليل ما يأتي.

قوله: (عن الطريق) أي: نستدلُّ عليها.

قوله: (بتثليث الجيم) أي: وكلُّها سبعيَّةٌ؛ فالكسر قراءة الجمهور، والضمُّ قراءة حمزة، والفتح قراءة عاصم(٢).

قوله: (قطعةٍ وشعلةٍ) أي: عودٍ غليظٍ؛ كان في رأسه نارٌ أو لا، وقيل: هو ما في رأسه نار، فقوله: ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ وصفٌ مخصِّصٌ على الأول، وكاشفٌ على الثاني.

قوله: (والطاء بدل من تاء الافتعال) أي: فأصله (تصتلون)، وقعت التاء بعد أحد حُروف الإطباق، فقلبت طاءً.

قوله: (بكسر اللام) أي: من باب (رضي)، وقوله: (وفتحها) أي: من باب (رمَى).

---

(١) ذكر الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨٧) في القصة حديثاً رواه البزار والطبراني.

(٢) انظر «الدر المصون» (٨/ ٦٦٨).

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ ....

﴿٣٠﴾ ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ﴾: جانب ﴿ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ لِموسى ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ لِموسى لِسَماعِه كَلامَ الله فِيها، ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ ـ بَدَل مِن ﴿شَٰطِئِ﴾ بإعادةِ الجار ـ لِنَباتِها فِيه، وهي شَجَرة عُنَّاب أو عُلَّيْقٍ أو عَوسَج، ﴿أَن﴾ ـ مُفسِّرة لا مُخفَّفة ـ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ﴾... إلخ) قيل: إنَّ موسى لما رأى النار مشتعلةً في الشجرة الخضراء.. علم أنَّ ذلك لا يَقدر عليه إلا الله، فلمَّا نُودي.. علم أنَّ الله هو المتكلم بذلك النداء.

قوله: (﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾) صفة للشاطئ أو للوادي؛ من اليُمْن وهو البركة، أو اليمين مُقابل اليسار، والمعنى: الشاطئ الذي يلي يمين موسى.

قوله: (﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ﴾) متعلق بـ﴿نُودِىَ﴾.

قوله: (﴿ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ لموسى) أي: لأنه في ذلك المحلِّ حصَلت له البركة التامَّة، فتلك الليلةُ أسعدُ لَياليه؛ كليلة الإسراء لرسول الله ﷺ.

قوله: (﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾) حال من الضمير في ﴿نُودِىَ﴾، والتقدير: نودي موسى والحال أنه كائنٌ في جهة الشجرة، وليس المراد: أنه سمع الكلام من جهة الشجرة فقط، بل المحققون على أنه سمع الكلام بجميع أجزائه، بلا حرفٍ ولا صوتٍ، من جَميع جهاته؛ كما يكون لنا في الآخرة عند رؤية ذاته بلا كيفٍ ولا انحصارٍ.

قوله: (بدل) أي: بدل اشتمال.

قوله: (أو عوسجٍ) أي: شوكٍ.

قوله: (مفسِّرة) أي: لأنه تقدَّمها جملةٌ فيها معنى القول دُون حروفه.

قوله: (لا مخففةٌ) أي: لعدم إفادتها المعنى المقصود.

قوله: (﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) هكذا قال هنا، وفي سورة (طه): ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢]، وقال في (النمل): ﴿نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨]، ولا تنافيَ، بل الكل قاله الله له[١].

---

(١) إلا أنه حكى في كلِّ سورةٍ بعضَ ما اشتمل عليه ذلك النداء. «فتوحات» (٣/ ٣٦٧).

وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ....

﴿٣١﴾ ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها، ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾: تتحرَّك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ وهي الحَيَّة الصَّغيرة مِن سُرعةِ حَرَكَتها ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾: هارِباً مِنها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي: يَرجِع، فنُودِي: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ﴾.

﴿٣٢﴾ ﴿ٱسْلُكْ﴾: أدخِل ﴿يَدَكَ﴾ اليُمنَى بِمَعنَى الكَفِّ ﴿فِى جَيْبِكَ﴾ هو طَوق القَمِيص، وأخرِجها ﴿تَخْرُجْ﴾ خِلافَ ما كانَت علَيهِ مِن الأُدْمة ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي: بَرَص، فأدخَلَها وأخرَجَها تُضِيءُ كشُعاعِ الشَّمس تُغشِي البَصَر، ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَنْ أَلْقِ﴾) عطف على قوله: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾.

قوله: (من سرعة حركتها) أي: فهو وجهُ شبهها بالجانِّ، وقوله في الآية الأخرى: ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧] أي: في عظم الجثَّة، فتحصَّل أنها باعتبار الجُثة كالثعبان العظيم، وباعتبار الخفة وسرعة الحركة كالحيَّة الصغيرة.

قوله: (﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾) أي: باعتبار الطبع البشري حين رآها بهذه الصفة.

ورد: أنها لم تَدع شجرة ولا صخرة إلا ابتلعتها، حتى إنَّ موسى سمع صريرَ أسنانها وقعقعة الشجر والصخر في جَوفها، ثمَّ ولَّى مُدبراً[١].

قوله: (من الأُدمة) أي: الحُمرة[٢].

قوله: (تغشي البصر) أي: تُغطِّيه.

قوله: (﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾) جعل الجناح هنا مضموماً، وفي آية (طه) مضموماً إليه حيث قال: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: ٢٢]؛ لأنَّ المراد بالجناحِ المضموم: اليد اليمنى، وبالجناح المضموم إليه: اليد اليسرى، وكلٌّ من اليدَين جناحٌ.

---

(١) ذكره الخازن في «تفسيره» (٣/ ٣٦٤) عن وهب.

(٢) كذا في الأصول، ولعلها: السُّمرة؛ كما «الفتوحات» (٣/ ٣٦٨).

مِنَ ٱلرَّهْبِۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ ....

﴿مِنَ ٱلرَّهْبِۖ﴾ - بِفَتح الحرفَين، وسُكُون الثاني مع فتحِ الأوَّل وضَمِّه - أي: الخَوف الحاصِل مِن إضاءة اليَد بِأن تُدخِلَها في جَيبِك فتَعُود إلى حالَتها الأُولى، وعَبَّرَ عنها بِالجَناحِ لِأنَّها لِلإنسانِ كالجَناحِ لِلطَّائِر، ﴿فَذَٰنِكَ﴾ - بِالتَّشدِيد والتَّخفِيف - أي: العَصا واليَد، وهُما مُؤنَّثانِ، وإنَّما ذَكَّرَ المُشار بِه إلَيهِما المُبتَدأ لِتَذكِيرِ خَبَره، ﴿بُرْهَٰنَانِ﴾ مُرسَلانِ ﴿مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِنَ ٱلرَّهْبِۖ﴾) متعلق بـ(اضمم).

قوله: (بفتح الحرفين... إلخ) فالقراءات ثلاثٌ سبعيَّاتٌ[1].

قوله: (بأن تدخلها) أي: تُدْخِلَ اليدَ اليمنى التي حصَل فيها البياضُ في جيبِك، فتعود لحالتها الأولى، فيَزول عنك الخوف والفزع الذي حصل لك.

قوله: (كالجناح للطائر) أي: لأن الطائر إذا خاف.. نشَر جناحيه، وإذا أمن واطمأنَّ.. ضمَّهما إليه.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان؛ فالمشدَّد تثنية (ذلك) بلام البعد، والمخفف تثنية (ذاك)؛ فالتشديد عوضٌ عن اللام في المفرد[2].

قوله: (وإنما ذكَّر المشار به... إلخ) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ العصا واليد مُؤنثتان، فكان اللائق الإشارة إليهما بـ(تانِ)، فأجاب: بأنه رُوعي الخبر.

قوله: (مرسلان) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ متعلق بمحذوف صفة لـ﴿بُرْهَٰنَانِ﴾.

قوله: (﴿وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾) أي: جماعته.

---

(١) قرأ حفص بفتح الراء وإسكان الهاء، والأخوان وابن عامر وأبو بكر بالضم والإسكان، والباقون بفتحتين. انظر «الدر المصون» (٨/ ٦٧٠).

(٢) شدَّد ابن كثير وأبو عمرو النون، وخفَّفها الباقون. انظر «السراج المنير» (٣/ ٩٨).

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ....

(﴿٣٣﴾ - ﴿٣٤﴾) ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ هو القِبطيُّ السابقُ، ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ به، ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾: أبيَنُ، ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾: مُعِيناً، وفي قِراءة بِفَتحِ الدَّال بِلا همزةٍ، ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ - بالجَزمِ جَواب الدُّعاء، وفي قِراءة بِالرفع، وجُملته صفةُ ﴿رِدْءًا﴾ -، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾.

﴿٣٥﴾ ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾: نُقَوِّيك ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾: غَلَبةً ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بِسُوءٍ، اذهبا ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ لَهُم.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِسَانًا﴾) أي: كلاماً.

قوله: (﴿رِدْءًا﴾) حال من ضمير (أرسله).

قوله: (بفتح الدال) أي: مع التنوين، وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾) أي: يُقوِّيني في الصدق عند الخَصم؛ بتوضيح الحُجج والبراهين.

قوله: (جواب الدعاء) أي: الذي هو قوله: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ﴾؛ لأنَّ طلب الأدنى من الأعلى دعاء.

قوله: (﴿أَن يُكَذِّبُونِ﴾) أي: بِسبب العقدة التي كانت فيه بسبب الجَمرة التي وضعها وهو صغير في فيه.

قوله: (نُقويك) أي: فشدُّ العضد كناية عن التقوية؛ من إطلاق السبب وإرادة المسبَّب؛ لأنَّ شدَّ العَضد يستلزم شدَّ اليد، وشدُّ اليد مستلزمٌ للقوة.

قوله: (بسوء) متعلق بـ﴿يَصِلُونَ﴾، وقوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ متعلق بمحذوف قدَّره بقوله: (اذهبا) بدليل الآية الأخرى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾، وجمَعهما في ضمير واحد مع أنَّ هارون لم يكن حاضراً مجلس

(١) قرأ نافع بنقل حركة الهمزة إلى الدال وحذف الهمزة، والباقون بسكون الدال وتنوين الهمزة بعدها. انظر «السراج المنير» (٣/ ٩٩).

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ ....

﴿٣٦﴾ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ﴾: واضِحاتٍ - حال - ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى﴾: مُختلَق، ﴿وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا﴾ كائناً ﴿فِيٓ﴾ أيامِ ﴿ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

﴿٣٧﴾ ﴿وَقَالَ﴾ - بِواوٍ وبِدُونِها - ﴿مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ﴾ أي: عالِم ﴿بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ﴾ - الضَّمِير لِلرَّبِّ - ﴿وَمَن﴾ - عَطف على (مَن) - ﴿تَكُونُ﴾ - بِالفَوقانِيَّة والتَّحتانِيَّة - ..

حاشية الصاوي

المناجاة، بل كان في ذلك الوقت بِمِصر؛ لأنَّ الله أرسل جبريل إلى هارون بالرسالة وهو بمصر في ذلك الوقت، فموسى سمع الخطاب من الله بلا واسِطة، وهارون سمعه بواسطة جبريل.

قوله: (﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾) المراد بها: العصا واليد، وجمعهما لأنَّ كلَّ واحدةٍ اشتملت على آيات مُتعددة، وتقدَّم ذلك في سورة (طه).

قوله: (﴿قَالُواْ﴾) أي: فرعونُ وقومُهُ.

قوله: (مختلقٌ) أي: مختَرَعٌ من قِبَلِ نفسِهِ.

قوله: (﴿وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا﴾... إلخ) هذا عنادٌ وكذبٌ؛ إذ هم يَعرفون أنَّ قبله الرسل كإبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم.

قوله: (بواوٍ ودونها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان؛ فعلى الواو يكون تابعاً لما قبله، وعلى حذفها يكون الكلام مستأنفاً في جواب سؤال[1].

قوله: (أي: عالم) أشار بذلك إلى أنه لا مُفاضلة في أوصاف الله تعالى؛ لأنَّ التفاضل من مُقتضيات الحدوث، وهو مستحيل عليه، فلا تفاضل بين صفاته مع بعضها، ولا مع صفاتِ خلقه.

قوله: (عطف على «مَنْ» قبلها) أي: فهي محل جرٍّ، والعلم مُسلَّط عليها.

قوله: (بالفوقانية والتحتانية) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، فـ﴿لَهُۥ﴾ خبر ﴿تَكُونُ﴾ مقدَّم، و﴿عَٰقِبَةُ﴾: اسمها مؤخَّر على كلا الوجهين، وذكَّر الفعل على قراءة التحتانيَّة للفعل، ولأنه مجازي التأنيث[2].

---

(١) قراءة العامة بإثبات واو العطف، وابن كثير حذفها، وكلٌّ وافق مُصحفه؛ فإنها ثابتةٌ في المصاحف غير مصحف مكة، وإثباتها وحذفها واضحان، وهو الذي يُسميه أهل البيان الوصل والفصل. انظر «الدر المصون» (٨/ ٦٧٨).

(٢) قرأ حمزة والكسائيّ بالياء على التذكير، والباقون بالتاء على التأنيث. انظر «السراج المنير» (٣/ ١٠٠).

لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا ....

﴿لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ﴾ أي: العاقِبةُ المَحمُودة في الدَّار الآخِرة، أي: هو أنا في الشِّقَّينِ، فأنا مُحِقٌّ فِيما جِئتُ بِه، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكافِرُون.

﴿٣٨﴾ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾: فاطبُخ لِي الآجُرَّ، ﴿فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾: قَصراً عالِياً ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: العاقبة المحمودة... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بِالدار: الدار الآخرة، وأنَّ الإضافة على معنى (في)، ويصح أنَّ المراد بالدار: دارُ الدنيا، والمرادُ بالعاقبة المحمودة: الجنَّةُ؛ لأنَّ العاقبة قِسمان: مذمومة، ومَحمودة، فالجنة عاقبة محمودة، والنار عاقبة مَذمومة.

قوله: (وهو أنا في الشقين) تفسيرٌ للموصول، كأنه قال: إن لم تشهدوا لي بِالصدق وبأنَّ العاقبة المحمودة لي.. فالله عالمٌ بأني جئتُ بالهدى، وبأنَّ العاقبة المحمودة لي.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾) تعليلٌ لقوله: ﴿رَبِّىٓ أَعْلَمُ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾) أي: بعد أن شاهدَ إيمان السحَرة وما وقع منهم.

قوله: (﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾) أي: ليس لي علمٌ بوجود إلهٍ غيري، وليس مرادُهُ بإلهيَّة نفسه كونَهُ خالقاً للسماوات والأرض وما فيهما، ولا يشك عاقلٌ في أنَّ الله هو الخالق لكلِّ شيء، وكان اعتقاده أنَّ العالم العلويَّ أثَّر في العالم السفليِّ، فلا حاجةَ للصانع.

قوله: (﴿عَلَى ٱلطِّينِ﴾) أي: بعد اتخاذه لبناً، قيل: إنه أوَّل من اتخذ الآجر وبَنى به، وهو الذي علَّم صنعته لهامان، ولما أمر وزيرَه هامان ببناء الصرح.. جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون ألف بنَّاءٍ سوى الأتباع والأُجراء، فطبخ الآجرَّ والجبس، ونشر الخشب، وسبك المسامير، فبنَوْهُ ورَفعوه حتى ارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بناءُ أحدٍ من الخلق، فلمَّا فرَغوا.. ارتقى فرعون فوقه وأمر بنُشَّابةٍ، فضربها نحو السماء، فرُدَّت إليه وهي ملطخةٌ دماً، فقال: قد قتَلت إله موسى، وكان فرعون يصعد هذا الصرح راكباً على البراذين، فبعث الله جبريل عليه السلام عند غروب الشمس، فضربه بِجناحه فقطعه ثلاث قطع: قطعة وقعت على عسكر فرعون فقَتلت منهم ألف ألف، وقطعة وقعت في البحر، وقطعة وقعت في المغرب، ولم يبقَ أحدٌ عمل في الصرح عملاً إلا هلك.

﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ ....

﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾: أنظُر إليهِ وأقِف عليهِ، ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في ادِّعائِه إلَهاً آخَرَ وأنَّهُ رَسُولُه.

(﴿٣٩﴾ - ﴿٤٠﴾) ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مِصر ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ - بِالبِناءِ لِلفاعلِ ولِلمفعُول - ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾: طَرَحناهُم ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾: البَحر المالِح فغَرِقُوا، ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ حِين صارُوا إلى الهَلاك.

(﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾) ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ في الدُّنيا ﴿أَئِمَّةً﴾ - بِتَحقِيقِ الهمزتَين، وإبدالِ الثَّانِية

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ﴾) كأنَّه من قُبحه توهَّم أنَّ إله موسى في السماء يمكن الرقي إليه.

قوله: (وأنه رسوله) أي: أنَّ موسى رسول الإله.

قوله: (﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾) أي: تكبَّر.

قوله: (﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾) أي: أرض مصر.

قوله: (بالبناء للفاعل والمفعول) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿فَأَخَذْنَٰهُ﴾) أي: عقبَ تكبُّره وعِناده.

قوله: (﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾) الخطاب لرسول الله ﷺ؛ ليخبر به المشركين، فيرجعوا عن كُفرهم وعنادهم.

قوله: (وإبدال الثانية) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، لكن قراءة الإبدال من طريق «الطيبة»، لا من طريق «الشاطبية»[2].

---

(١) قرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم، والباقون بضمِّ الياء وفتح الجيم. انظر «السراج المنير» (٣/ ١٠١).

(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ورويس بتسهيل الثانية بلا إدخال لأحد منهم، وقرأ أبو جعفر بالتسهيل مع الإدخال، وقرأ هشام بالتحقيق مع الإدخال وعدمه، وقرأ الباقون بالتحقيق من غير إدخال. هذا هو طريق «الشاطبية» =

يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ ....

ياءً ـ: رُؤَساءَ في الشِّرك، ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ بِدُعائِهِم إلى الشِّرك، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ بِدَفعِ العَذاب عَنهُم، ﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾: خِزياً، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾: المُبعَدِين.

﴿٤٣﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾: التَّوراةَ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾: قَومَ نُوح وعادٍ وثَمُود وغَيرهم، ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ ـ حال مِن ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾ ـ: جَمعُ (بَصِيرة)

حاشية الصاوي

قوله: (بدعائهم إلى الشرك) أي: المؤدِّي للنار.

قوله: (﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾) أي: من المطرُودين، أو الموسومين بعلامةٍ منكرةٍ؛ كزُرقة العيون، وسواد الوجه.

قوله: (﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾) إخبارٌ من الله لقريش بامتِنانه على بني إسرائيل حين أهلك الأُمَم الماضية لما عاندوا وكذَّبوا رُسلهم وصاروا في زمنِ فترةٍ بإنزاله التوراة؛ ليتعبَّدوا بها، والمقصود من ذلك: تَعدادُ النِّعم على هذه الأُمة المحمدية، والمعنى: كما أنزل على موسى التوراة وقومُهُ في فترةٍ وجهلٍ أُنْزِلَ على محمد القرآن وقومُه في فترة وجهل؛ ليَهتدوا به.

قوله: (وعاد وثمودَ) عطف على (قوم نوح)، ولم يُنوِّنه؛ لأنه علمٌ على القبيلة، وهو بهذا الاعتبار ممنوعٌ من الصرف؛ للعَلَمية والتأنيث[١].

قوله: (وغيرهم) أي: كفِرعون.

قوله: (حال من ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾) أي: إمَّا على حذف مضاف؛ أي: ذا بصائر، أو مبالغة، على حدِّ ما قيل في: زيدٌ عدلٌ، وكذا يقال في قوله: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾.

= و«التيسير»، وأما إبدالها ياءً محضة لنافع ومن معه.. فليس من طُرق «الحرز» وأصله، بل هو من طريق «النشر»، ووقف عليه حمزة بالتسهيل فقط. انظر «البدور الزاهرة» (ص١٣٤).

(١) عبارة «الفتوحات» نقلاً عن العلامة الأجهوري (٣/ ٣٧١): (وعاد معطوفٌ على «قوم نوح» فهو منصوب، وكان الأولى رسمه بألف بعد الدال؛ إذ رسمه بدونها يُوهم أنه معطوف على «نوح»، فيقتضي أنَّ لعاد قوماً مع أنهم أنفسهم قوم هود)، فقول المصنف رحمه الله: (للعلمية والتأنيث) يَرجع لمنع صرف (ثمود) فحسب.

وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ....

وهي نُور القَلب، أي: أنواراً لِلقُلوب، ﴿وَهُدًى﴾ مِن الضَّلالة لِمَن عَمِلَ بِه، ﴿وَرَحْمَةً﴾ لِمَن آمَن بِه، ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يَتَّعِظُون بِما فِيه مِن المَواعِظ.

﴿٤٤﴾ ﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا مُحمَّد ﴿بِجَانِبِ﴾ الجَبَل أو الوادِي أو المَكان ﴿ٱلْغَرْبِيِّ﴾ مِن مُوسى حِين المُناجاةِ، ﴿إِذْ قَضَيْنَآ﴾: أوحَينا ﴿إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ بِالرِّسالةِ إلى فِرعونَ وقَومِه، ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ لِذلك فتعلَمهُ فتُخبِرَ بِه.

﴿٤٥﴾ ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾: أُمَماً بَعدَ مُوسى، ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ أي: طالَت أعمارُهم فنَسُوا العُهُود ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: أنواراً للقلوب) أي: تبصر به القلوب؛ كما أنَّ إنسان العين تُبصر به العين[1].

قوله: (﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾) أي: فالعاقل إذا عَلم أنَّ كتاب الله من أوصافه أنَّه منوِّرٌ للقلوب وهادٍ من الضلالة ورحمةٌ لمن صدَّق به.. بادَر إلى امتثال أوامره واجتناب نَواهيه، ولا يرضى لنفسه بالتواني والكسل والعِناد.

قوله: (﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾... إلخ) المقصود من ذلك: إقامةُ الحجة على مَنْ كذَّبه ﷺ؛ يعني: كيف تكذِّبونه بعد إتيانه بتفاصيل ما حصَل للأمم السابقة وأنبيائهم والحال أنكم تعلمون أنه لم يكن حاضراً ذلك ولا شاهداً له؟!

قوله: (﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾) إن قلتَ: إنَّ هذا معلومٌ نفيُهُ من قوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ فما ثمرة ذِكره عقبه؟

أجيب: بأنه لا يلزم من كونه هناك ـ على فَرض حصوله ـ مشاهدتُهُ لذلك؛ ولذلك قال ابن عباس: لم تحضر ذلك الموضع، ولو حضرتَه.. ما شاهدت ما وقع فيه.

قوله: (بعد موسى) أي: لأنَّ أنبياء بني إسرائيل الذين يتعبَّدون بالتوراة كداوود وسليمان وزكريا ويحيى وذي الكفل كائنون بعد موسى.

---

(١) إنسان العين: هو النقطة السوداء اللامعة وسَط سواد العين.

وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن ....

واندَرَسَت العُلُومُ وانقَطَع الوَحي، فجِئْنا بِك رَسُولاً وأوحَينا إلَيك خَبرَ مُوسى وغَيرَه، ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾: مُقِيماً ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ ـ خَبر ثانٍ ـ فتَعرِف قِصَّتَهم فتُخبِر بِها، ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ لَك وإلَيك بِأخبارِ المُتقدِّمين.

﴿٤٦﴾ ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾: الجَبَل ﴿إِذْ﴾: حِينَ ﴿نَادَيْنَا﴾ مُوسى أن: خُذ الكِتاب بِقُوَّةٍ، ﴿وَلَٰكِن﴾ أرسَلناكَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (واندرست العلوم) أي: فكيف يأتيك الخبر من غير وَحي؟!

قوله: (وأوحينا إليك خبر موسى وغيره) أي: ليكون معجزةً لك، وتذكيراً لقومك.

قوله: (﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾) إن قلتَ: إنَّ قصة مَدين متقدمةٌ على قصة الإرسال، فكان مقتضى الترتيب ذكرها قبلها.

أجيب: بأنَّ المقصودَ تعدادُ العجائب من غير نظرٍ للترتيب؛ إشارةً إلى أنَّ أيَّ واحدةٍ تكفي في إثبات صِدقه فيما يخبر به عن ربِّه.

قوله: (مقيماً) أي: إقامةً طويلةً تشعر بمعرفتك قصَّتهم.

قوله: (﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾) متعلق بـ﴿ثَاوِيًا﴾.

قوله: (﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾) أي: وأنزلنا عليك كتاباً فيه هذه الأخبار تَتلوها عليهم، ولولا ذلك.. ما علمتَها ولم تُخبِرْهُم بها.

قوله: (﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾) أي: كما لم تَحضر يا محمد جانب المكان الغربي إذ أرسل الله موسى إلى فرعون فكذلك لم تحضر جانب الطور؛ إذ نادينا موسى لما أتى الميقات مع السبعين لأخذ التوراة، وبين الإرسال وإيتاء التوراة نحوُ ثلاثين سنةً، وهذا بالنظر للعالم الجسماني؛ لإقامة الحجة على الخصم، وأما بِالنظر للعالم الروحاني.. فهو حاضرٌ رسالةَ كلِّ رسولٍ وما وقع له، من لدن آدم إلى أن ظهر بِجسمه الشريف، ولكن لا يُخَاطَبُ به أهلُ العناد.

رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ....

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ وهُم أهل مكَّة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتَّعِظُون.

﴿٤٧﴾ ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ﴾: عُقُوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ مِن الكُفر وغَيره ﴿فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ﴾: هَلَّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ﴾ المُرسَلَ بِها ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وجَواب (لَولا) مَحذُوف، وما بعدَها مُبتَدأ، والمَعنَى: لَولا الإصابةُ المُسَبَّب عنها قَولُهم أو لَولا قَولُهم المُسَبَّب عنها لَعاجَلناهُم بِالعُقُوبةِ، ولَمَا أرسَلناك إلَيهِم رَسُولاً.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾) أي: لِوجودهم في فترةٍ بينك وبين عيسى، وهي ستُّ مئة سنة.

قوله: (﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم﴾... إلخ) (لولا): حرف امتِناع لوجود، و(أن) وما بعدها: في تأويل مصدر مبتدأ، وخبره محذوف وجوباً، تقديره: مَوجود؛ كما قال المفسِّر.

قوله: (﴿فَيَقُولُوا۟﴾) عطف على ﴿تُصِيبَهُم﴾، والفاء: للسببيَّة.

قوله: (وجواب «لولا») أي: الأُولى، وأما الثانية.. فهي تحضيضيَّة.

قوله: (أو لولا قولهم... إلخ) أي: فالمعنى الأول فيه انتفاء الجواب ـ وهو عدم الإرسال ـ لِوجود السبب والمسبَّب معاً، والمعنى الثاني؛ لوجود المسبب الناشئ عن السبب، فتدبَّر.

قوله: (لما أرسلناك إليهم رسولاً) أي: فالحامِل على إرسالك تعلُّلُهم بهذا القول، فالمعنى: امتنع عدم إرسالنا لك؛ لِوجود المصائب المسبَّب عنها قولهم: ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ...﴾ إلخ.

إن قلتَ: إنَّ الآية تقتضي وجود إصابتهم بالمصائب، وقولهم المذكور والواقع أنهم حين نُزول تلك الآيات لم يُصابوا ولم يقولوا.

أجيبَ: بأنَّ الآية على سبيل الفرض والتقدير، فالمعنى: لولا إصابة المصائب واحتجاجهم على سبيل الفرض والتقدير.. لَما أرسلناك إليهم، فهو بمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا...﴾ الآية [طه: ١٣٤].

فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ ....

﴿٤٨﴾ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾: مُحمَّد ﴿مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ﴾: هَلَّا ﴿أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ مِن الآيات كاليَدِ البَيضاء والعَصا وغَيرِهما، أو الكتابِ جُملةً واحدةً، قال تَعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ حيثُ ﴿قَالُوا۟﴾ فِيه وفي مُحمَّد: ﴿سَٰحِرَانِ﴾، ـ وفي قِراءة: ﴿سِحْرَانِ﴾ ـ أي: القُرآنُ والتَّوراة ﴿تَظَٰهَرَا﴾: تَعاوَنا، ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ﴾ مِن النَّبيَّين والكِتابَين ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

(﴿٤٩﴾ - ﴿٥٠﴾) ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾: مِن الكِتابَينِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالُوا۟﴾) أي: تعنُّتاً.

قوله: (أو الكتاب جملة) أشار بِذلك إلى قول آخر في تفسير المِثْلِ.

قوله: (﴿مِن قَبْلُ﴾) أي: قبل ظُهورك.

قوله: (﴿سَٰحِرَانِ﴾) خبرٌ لمحذوف؛ أي: هما.

قوله: (وفي قراءةٍ) أي: وهي سبعيَّةٌ أيضاً[1].

قوله: (تعاوَنا) أي: بِتَصديق كلٍّ منهما الآخر، وذلك: أنَّ كفار مكة بعثوا رهطاً منهم إلى رؤساء اليهود بالمدينة في عيدٍ لهم، فسألوهم عن شأنه عليه السلام، فقالوا: إنَّا نَجده في التوراة بنعته وصفته، فلمَّا رجع الرهط وأخبَروهم بما قالت اليهود.. قالوا ما ذكر[2].

قوله: (والكتابين) الواو: بمعنى (أو).

قوله: (﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ﴾... إلخ) أي: إذا لم تؤمنوا بهذين الكتابين.. فأتوا بكتابٍ من عند الله واضحٍ في هِداية الخلق، فإن أتيتُم به.. اتَّبعتُه، وهذا تنزُّلٌ للخصم؛ زيادةً في إقامة الحجة عليهم.

---

(١) قرأ الكوفيون بكسر السين وإسكان الحاء، وغيرهم بفتح السين وألف بعدها مع كسر الحاء. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٤١).

(٢) انظر «زاد المسير» (٣/ ٣٨٧).

﴿أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٩ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٠ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥١ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢﴾ ....

﴿أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في قولِكُم، ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ﴾ دُعاءَك بالإتيانِ بِكِتابٍ، ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في كُفرِهِم، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا أَضَلَّ مِنهُ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافِرين.

﴿٥١﴾ ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾: بيَّنَّا ﴿لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾: القُرآنَ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يَتَّعِظُون فيُؤمِنُون.

﴿٥٢﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي: القُرآنِ ﴿هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ أيضاً، نَزَلَت

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَتَّبِعْهُ﴾) مجزوم في جواب شرط مقدَّر، تقديره: إن أتيتُم به.. أتَّبعْه[1].

قوله: (﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ﴾) أي: لم يفعلوا ما أمرتَهم به.

قوله: (﴿أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾) أي: ليس لهم مُستندٌ إلا اتِّباع هواهم الفاسد.

قوله: (أي: لا أضل منه) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾) العامَّة على تشديد الصاد، وهو مأخوذٌ إمَّا من: وصل الشيء بالشيء بمعنى: جعله تابعاً له؛ لأنَّ القرآن تابعٌ بعضه بعضاً، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، أو مِن: وصل الحبل: جعَله أوصالاً؛ أي: أنواعاً؛ لأنَّ القرآن أنواع؛ كالوعد والوعيد، والقصص والعبر والمواعظ.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾) الاسم الموصول: مبتدأ، و﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ﴾: صِلته، و﴿هُم﴾: مبتدأ ثان، و﴿بِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، و﴿يُؤْمِنُونَ﴾: خبر الثاني، وهو وخبرُه: خبر الأول.

قوله: (أيضاً) أي: كما آمنوا بكتابهم.

---

(١) بناء على قول أكثر المتأخرين في تقدير الشرط، خلافاً لابن مالك رحمه الله إذ قال في «شرح الكافية» (٣/ ١٥٥١): (وأكثر المتأخرين ينسبون جزم جواب الطلب لـ «إن» مقدرةً، والصحيحُ: أنه لا حاجة إلى تقدير لفظ «إنْ»، بل تَضمُّن لفظ الطلب لمعناها مُغنٍ عن تقدير لفظها كما هو مُغنٍ في أسماء الشرط، نحو: مَن يأتني أكرمه، وهذا هو مذهب الخليل وسيبويه رحمهما الله تعالى).

وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ ....

في جَماعة أسلَمُوا مِن اليَهُود كعَبدِ الله بن سَلَّام وغَيرِه، ومِن النَّصارَى قَدِمُوا مِن الحَبَشة ومِن الشَّام.

﴿٥٣﴾ ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القُرآنُ ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾: مُوَحِّدِين.

﴿٥٤﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بِإيمانِهم بِالكِتابَينِ، ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾: بِصَبرِهِم على العَمَل بِهِما، ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾: يَدفَعُون ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ مِنهُم، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: يَتصدَّقُون.

حاشية الصاوي

قوله: **(نزل في جماعة أسلموا من اليهود)** قال ابن عباس: نزلت في ثمانين من أهل الكتاب: أربعون من نجران، واثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من أهل الشام[1].

وقيل: إنها نزلت في أربعين رجلاً قَدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة، آمنوا بالنبي ﷺ، فلمَّا رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة.. قالوا: يا رسول الله؛ إنَّ لنا أموالاً؛ فإن أذنتَ لنا.. انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسَينا بها المسلمين، فأذن لهم، فانصرفوا، فأتوا بأموالهم، فواسَوْا بها المسلمين[2]. والمقصودُ من قِصة هؤلاء: الثناءُ عليهم، والفخرُ بهم على المشركين.

قوله: (﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾) أي: فإسلامنا ليس بمتجدِّدٍ، بل هو موافقٌ لما عندنا؛ لأنَّ في كُتبهم صفةَ النبي ﷺ ونعتَهُ، فتمسَّكوا بكتابهم ولم يغيِّروا، ولم يبدِّلوا إلى أن بُعِثَ رسولُ الله ﷺ، فنظروا إلى صفاته وأحواله، فلمَّا وجدوها مطابقةً لما عندهم.. أظهَروا ما كان عندهم من الإسلام.

قوله: **(بصبرهم)** أشار بذلك إلى أنَّ (ما) مصدرية، وقوله: **(على العمل بهما)** أي: أو على أذى المشركين ومَن عاداهم من أهل دينهم.

قوله: (﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾) أي: يَدفعون الكلام القبيح كالسَّبِّ والشتم الحاصل لهم من أعدائهم بالحسنة؛ أي: الكلمة الطيبة الجميلة، أو المعنى: إذا وقعت منهم معصيةٌ.. أتبعوها بطاعة كالتوبة.

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٣/ ٣٦٧).

(٢) أورد الخبر الثعلبي في «الكشف والبيان» (٩/ ٢٥٠) عن سعيد بن جبير.

وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ....

﴿٥٥﴾ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ﴾: الشَّتمَ والأذى مِن الكُفَّار ﴿أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ سَلامَ مُتارَكة، أي: سَلِمتُم مِنَّا مِن الشَّتم وغيرِه، ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: لا نَصحَبُهم.

﴿٥٦﴾ ونَزَل في حِرصِه ﷺ على إيمانِ عَمِّه أبي طالِب: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ﴾... إلخ) وذلك أنَّ المشركين كانوا يَسبُّون مؤمني أهل الكتاب ويقولون: تبًّا لكم، أعرضتم عن دِينكم وتركتموه، فيُعرضون عنهم ويقولون: لنا أعمالنا ولكم أعمالكم.

قوله: (سلامَ مُتارَكةٍ) أي: إعراضٍ وفراقٍ، لا سلامَ تحيَّةٍ.

قوله: (لا نصحبهم) الأوضَح أن يقول: لا نطلب صُحبتهم(١).

قوله: (ونزل في حرصه... إلخ) وذلك: أنه لما احتَضرته الوفاة.. جاءه رسول الله ﷺ وقال: «يا عمِّ؛ قل: لا إله إلا الله، كلمةً أحاجُّ لك بها عند الله»(٢)، فقال: يا ابن أخي؛ قد علمتُ إنك لصادقٌ، ولكني أكره أن يقال: جزع عند الموت، ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة بعدي.. لقلتُهَا، ولأقررتُ بها عينك عند الفراق؛ لما أرى من شدَّة وَجدك ونصيحتك، ثم أنشد:

[الكامل]

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا

لولا الْمَلامَةُ أو حِذارُ مَسَبَّةٍ ... لَوَجَدْتَني سَمْحاً بِذاك مُبِينَا

---

(١) لأنَّ الابتغاء هو الطلب. «فتوحات» (٣/ ٣٧٤).

(٢) رواه البخاري (٣٨٨٤) عن سيدنا المسيب بن حزن ﷺ، وفيه: (فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن مِلَّة عبد المطلب، فلم يزالا يكلمانه، حتى قال آخر شيء كلَّمهم به: على مِلة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: «لأستغفرنَّ لك، ما لم أُنهَ عنه»، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾).

إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ....

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدايته، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالِمٌ ﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿٥٧﴾ ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ أي: قومُه: ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ أي: نُنتزَع منها بسُرعة، ....

حاشية الصاوي

ولكني سوف أموت على مِلة أشياخ عبد المطلب وهاشم وبني عبد مناف، ثم مات، فأتى عليٌّ ابنُهُ للنبي ﷺ وقال له: عمُّك الضال قد مات، فقال له: «اذهب فَوارِه»[1].

وما تقدَّم من أنه لم يُؤمن حتى مات هو الصحيح، وقيل: إنه أُحيي وأسلم ثم مات، ونقل هذا القول عن بعض الصوفية[2].

قوله: (﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾) أي: لا تَقدر على هدايته.

إن قلتَ: إنَّ بين هذه الآية وآية: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] تنافٍ[3]..

أجيب: بأن المنفيَّ هنا خلق الاهتداء، والمثبَت هناك الدلالةُ على الدين القويم.

قوله: (﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾) أي: فسَلِّم أمرك لله؛ فإنه أعلَم بأهل السعادة وأهل الشقاوة، ولا يبالي بأحد.

قوله: (أي: قومه) أي: وهم بعض أهل مكة؛ كالحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف؛ فإنه أتى النبي ﷺ فقال له: أنا أعلَم أنك على الحق، ولكنَّا نخاف إن تبعناك وخالفنا العرب أن يَتخطفونا من أرضنا[4].

قوله: (﴿ٱلْهُدَىٰ﴾) أي: وهو دين الإسلام.

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٩٣).

(٢) وبيَّن العلامة أحمد زيني دحلان رحمه الله تعالى هذا المسلك في رِسالته «أسنى المطالب في نجاة أبي طالب».

(٣) كذا في الأصول، وحقها النصب (تنافياً)؛ لأنها اسم (إنَّ) مؤخر، إلا أن يقدر ضمير الشأن، فتكون مبتدأً مؤخراً.

(٤) انظر «زاد المسير» (٣/ ٣٨٨).

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ ....﴾

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾: يأمَنُون فِيه مِن الإغارةِ والقَتل الواقِعَين مِن بَعض العَرَب على بَعض، ﴿تُجْبَىٰٓ﴾ - بِالفوقانيَّة والتَّحتانيَّة - ﴿إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِن كُلِّ أوبٍ، ﴿رِّزْقًا﴾ لَهُم ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: عِندنا، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ ما نَقُوله حَقٌّ.

﴿٥٨﴾ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ ....﴾

حاشية الصاوي

قوله (﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾) أي: نجعل مكانهم حرماً ذا أمنٍ، وعدِّي بنفسه؛ لأنه بمعنى (جعل)، يدل عليه الآية الأخرى وهي: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [العنكبوت: ٦٧][1].

قوله: (يأمنون فيه) أشار بذلك إلى أنَّ في الكلام مجازاً عقليًّا.

قوله: (﴿يُجْبَىٰٓ﴾) أي: يُحْمَلُ ويُساقُ.

قوله: (بالفوقانيَّة والتحتانيَّة) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾) مجازٌ عن الكثرة؛ كقَوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]، قال بعض العارفين: مَنْ يتعلَّقُ ببيت الله الحرام ويسعى إليه فهو من خِيار الخلق؛ لقوله في الآية: ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

قوله: (من كل أَوْبٍ) أي: ناحية وطريق وجِهة.

قوله: (﴿رِّزْقًا﴾) إما بمعنى: مَرزوق، فيكون منصوباً على الحال من ﴿ثَمَرَٰتُ﴾، أو باقٍ على مصدريَّته، فيكون مفعولاً مطلقاً مؤكِّداً لمعنى ﴿يُجْبَىٰٓ﴾ أي: نرزقهم رزقاً.

قوله: (أنَّ ما نقوله حقٌّ) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾ محذوف.

قوله: (﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾) ردَّ بذلك على الكُفار وبيَّن لهم أنَّ العبارة بالعكس،

---

(١) (مكَّن) متعدٍّ بنفسه من غير أن يضمَّن معنى (جعل)، كقوله: ﴿مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾. انظر «الدر المصون» (٨/٦٨٦).

(٢) قرأ نافع بتاء التأنيث مراعاة للفظ (ثمرات)، والباقون بالياء للفصل، ولأنه تأنيث مجازي. انظر «الدر المصون» (٨/٦٨٦).

بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ ....

﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أي: عَيشَها، وأُريد بِالقَريةِ أهلُها، ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ لِلمارَّةِ يوماً أو بَعضه، ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ مِنهُم.

﴿٥٩﴾ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ بِظُلمٍ مِنها ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾ أي: أعظَمِها ﴿رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ بِتَكذِيبِ الرُّسُل.

حاشية الصاوي

وأنَّ خوف التَّخطف يكون بالكفر لا بالإيمان، وأنهم ما دامُوا مصرِّين على كفرهم.. يحلُّ بهم وبالُ بطرهم؛ كما حصل لمن قبلهم.

قوله (﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾) أي: كفرت بنعمة ربِّها في زمن معيشتها؛ أي: حياتها.

قوله: (﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ﴾) أي: خربة بسبب ظلمهم، والإشارة إلى قوم لوط وصالح وشعيب وهود؛ فإنَّ السُّفَّار[1] تمرُّ على تلك المساكن، وتنزل بها في بعض الأوقات.

قوله: (للمارة يوماً أو بعضه) أي: لأنَّ المارَّ في الطريق إذا نزل للاستراحة إنما يستمرُّ في الغالب يوماً أو بعضه.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾... إلخ) بيانٌ لِلحكمة الإلهيَّة التي سبقت بها مشيئته تعالى، والمعنى: ما ثبت في حُكمه أن يهلك قرية قبل الإنذار.

قوله: (أي: أعظمِهَا) أي: وهي المدن بالنسبة لما حوالَيها، فجرت عادة الله أن يبعث الرسول من أهل المدائن؛ لأنهم أعقَل وأفطن، ويتبعهم غيرهم، ولما كان النبي ﷺ مبعوثاً لجميع الخلق.. كانت بلده أفضلَ البلاد على الإطلاق، وقَبيلته أشرف القبائل على الإطلاق.

قوله: (﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾... إلخ) أي: لقطع الحجج والمعاذير.

قوله: (﴿إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾) استثناءٌ من عموم الأحوال، كأنه قال: ما كنَّا نهلكهم في حال من الأحوال إلا في حالِ كونهم ظالمين.

---

(١) قوم سفار مثل: راكب وركاب؛ أي: مسافرون. انظر «الصحاح» للجوهري، مادة: (س ف ر).

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿٦٠﴾ ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ﴾ أي: تتمتَّعون وتتزيَّنون به أيَّام حياتِكم ثُمَّ يفنى، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: ثوابُه ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾) (ما): اسم موصول مبتدأ، و﴿أُوتِيتُم﴾: صلته، و﴿مِّن شَيْءٍ﴾: بيان لـ(ما)، وقوله: ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: خبره، وقرن بالفاء؛ لما في المبتدأ من مَعنى العموم.

ويصح أن تكون (ما) شرطية، وقوله: ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ خبر مبتدأ محذوف، والجملة جواب الشرط.

قوله: (ثم يفنى) أي: يذهب بِفنائكم، فجميع ما في الدنيا عرضٌ زائلٌ يذهب بذهاب أهله، ولا يبقى إلا جزاؤه، فحلال الدنيا حسابٌ، وحرامها عقابٌ.

قوله: (وهو ثوابه) أي: ثواب الأعمال التي قُصِدَ بها وجهُهُ سبحانه وتعالى.

قوله: (﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ﴾) أي: دائمٌ بدوام الله.

قوله: (﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أتركتم التَّدبُّر في أحوالكم فلا تعقلون؛ فمن آثر الفانيَ على الباقي.. فلا عقلَ عنده؛ لما في الحديث: «الدنيا دارُ مَنْ لا دارَ له، ومالُ مَنْ لا مالَ له، ولها يجمع مَنْ لا عقل له»[1].

ولله درُّ الإمام الشافعي حيث قال: [الرمل]

إنَّ لِلَّهِ عِباداً فُطَنا ... طلَّقُوا الدُّنيا وَخافوا الفِتَنا
نَظَروا فيها فَلَمَّا عَلِمُوا ... أَنَّها لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنا
جَعَلوها لُجَّةً وَاتَّخَذوا ... صالِحَ الأَعْمالِ فيها سُفُنَا

وليس المرادُ من ذلك تركَ الدنيا رأساً، والخروجَ منها بالمرَّة، بل المراد: لا يجعلها أكبرَ همِّه، ولا مبلغَ علمه، وإنما يطلب الدنيا؛ ليستعينَ بها على خدمة ربِّه؛ لتكون مزرعةً لآخرته؛ لما في الحديث: «نعم المالُ الصالح في يد الرجل الصالح»[2]، فالمضرُّ شغل القلب، والنيَّة السوء.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ٧١) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٩٧) عن سيدنا عمرو بن العاصي رضي الله عنه.

أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ....

ـ بِالتَّاء والياء ـ أنَّ الباقِيَ خَير مِن الفاني؟

﴿٦١﴾ ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾: مُصِيبُه وهو الجنَّة ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فيزُول عن قَريب، ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ النَّار؟ الأوَّل المُؤمِن والثَّانِي الكافِر، أي: لا تَساوِيَ بينَهما.

(﴿٦٢﴾ - ﴿٦٣﴾) ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ اللهُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (أنَّ الباقي خيرٌ من الفاني) قدَّره؛ إشارةً إلى أن مفعول ﴿يَعْقِلُونَ﴾ محذوف، واستُفيد منه: أن أعقل الناس المشتغلون بطاعة الله، الذين اختاروا الباقي على الفاني، ومن هنا قال الإمام الشافعي ﷺ: مَنْ أوصى بثُلث ماله لأعقل الناس.. صُرِفَ إلى المشتغلين بطاعة الله تعالى[2].

قوله: (﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ﴾... إلخ) (مَنْ): مبتدأ، وجملة ﴿وَعَدْنَٰهُ﴾: صِلتها، وقوله: ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ...﴾ إلخ: خبر المبتدأ، والمعنى: أيستوي مَنْ وعدناه وعداً حسناً فهو لاقِيه بمن انهمك في طلب الفاني حتى صار يوم القيامة من المحضرين للعذاب؟ فهو نظير قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

قوله: (مصيبُهُ) أي: مدركُهُ لا محالة؛ لأنَّ وعده لا يتخلَّف.

قوله: (﴿مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾) أي: المشوبَ بالأكدار.

قوله: (الأول) أي: وهو مَن وعدناه، والثاني وهو من متَّعناه.

قوله: (أي: لا تساوي بينهما) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾) أي: المشركين الذين عبدوا غير الله على لسان ملائكة العذاب،

(١) قرأ أبو عمرو بالياء، وهو أبلغ في الموعظة؛ لاشتماله على الالتفات للإعراض به عن خِطابهم، والباقون بالتاء على الخطاب جرياً على ما تقدَّم. انظر «السراج المنير» (٣/ ١١١).

(٢) انظر «الحاوي الكبير» للماوردي (٨/ ٣٥٣).

فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ ....

﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾هُم شُركائي؟ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ بِدُخولِ النَّار وهُم رُؤساءُ الضَّلالة: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾هم ـ مُبتدأ وصِفة ـ ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ﴾ ـ خَبَرُه ـ فغَوَوا ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾ لم نُكرِهْهُم على الغيِّ، ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾ مِنهُم ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ ـ ﴿مَا﴾ نافِية، وقَدَّمَ المَفعُول لِلفاصِلةِ ـ.

حاشية الصاوي

أو النداء من الله لهم، والمنفيُّ في آية: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ كلامُ الرضا والرحمة؛ فلا ينافي أنه يكلِّمهم كلامَ غضبٍ وسخطٍ.

قوله: (﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾) تفسير للنداء.

قوله: (﴿تَزْعُمُونَ﴾هُم شركائي) أشار بذلك إلى أنَّ مفعولي ﴿تَزْعُمُونَ﴾ محذوفان.

قوله: (﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾) كلامٌ مُستأنفٌ واقعٌ في جواب سؤال مقدَّر، تقديره: ماذا قالوا؟ وجواب هذا السؤال: أنه حَصل التنازع والتخاصم بين الرؤساء والأتباع، فقال الأتباع: إنهم أضلُّونا، وقال الرؤساء: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ...﴾ إلخ، فهو بمعنى قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا...﴾ [إبراهيم: ٢١] إلخ، وبمعنى: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ...﴾ [غافر: ٤٧] إلخ.

قوله: (﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾) أي: ثبت وتحقَّق، وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

قوله: (وهم رؤساء الضلال) أي: الذين أطاعوهم في كلِّ ما أمرُوهم به ونهوهم عنه.

قوله: (﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾... إلخ) اسم الإشارة: مبتدأ، والموصول: نَعته، و﴿أَغْوَيْنَآ﴾: صلته، والعائد محذوفٌ قدَّره المفسِّر، و﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ﴾: خبره، وصحَّ الإخبار به؛ لِتَقييده بقوله: ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾؛ ففيه زيادةُ فائدة على الصلة، والمعنى: تسبَّبنا لهم في الغيِّ، فقبلوا منَّا ولم يتَّبعوا الرسل وما أنزل عليهم من الكُتب التي فيها المواعظ والأوامر والنواهي، فلم نخيِّرهم عن أنفسنا، بل اخترنا لهم ما اخترناه لأنفسنا، فاتَّبعونا بهَواهم.

قوله: (﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾ منهم) هذا تقريرٌ لما قبله.

قوله: (وقدَّم المفعول) وهو قوله: ﴿إِيَّانَا﴾.

وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ....

﴿٦٤﴾ ﴿وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾ أي: الأصنامَ الَّذِين تزعُمُون أنَّهُم شُركاءُ الله، ﴿فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾ دُعاءَهم، ﴿وَرَأَوُاْ﴾ هُم ﴿ٱلۡعَذَابَۚ﴾: أبصَرُوهُ ﴿لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ﴾ في الدُّنيا لَما رَأَوهُ في الآخِرة.

(﴿٦٥﴾ - ﴿٦٦﴾) ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿يَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ إلَيكُم؟ ﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ﴾: الأخبارُ المُنجِية في الجَواب ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ أي: لَم يَجِدُوا خَبَراً لَهُم فِيه نَجاةٌ، ﴿فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ عنهُ فيسكُتُون.

﴿٦٧﴾ ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ مِن الشِّرك ﴿وَءَامَنَ﴾: صَدَّقَ بِتَوحِيدِ الله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾: أدَّى الفَرائِض، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾) أي: استغيثوا بآلهتكم التي عبدتُموها لتنصركم وتدفع عنكم ما نزل بكم، وهذا القولُ للتَّهكُّم والتَّبكيت لهم.

قوله: (﴿وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ﴾) أي: نازلاً بهم.

قوله: (ما رَأوه) هو جواب (لو).

قوله: (﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ﴾) معطوفٌ على ما قبله، فتحصَّل أنهم يسألون عن إشراكهم وجوابهم للرسل.

قوله: (﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ﴾) أي: خَفيت عليهم فلم يهتدوا لجوابٍ فيه راحةٌ لهم، أو الكلام على القلب، والأصل: فعمُوا عن الأنباء - أي: ضلُّوا وتحيَّروا في ذلك - فلم يهتدوا إلى جوابٍ فيه نجاتُهم.

قوله: (﴿فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ عنه) أي: عن الخبر المنجي؛ لحصول الدهشة لهم، ولِقُنوطهم من رحمة الله حينئذٍ.

قوله: (﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾... إلخ) أي: رجع عن كفره حال الحياة.

فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ....

﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾: النَّاجِين بِوَعدِ الله.

﴿٦٨﴾ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ ما يَشاءُ، ﴿مَا كَانَ لَهُمُ﴾: لِلمُشرِكِين ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾: الاختِيارُ في شَيءٍ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾) الترجي في القرآن بمنزلة التحقيق؛ لأنه وَعد كريم، ومن شأنه: لا يخلف وعده.

قوله: (﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾) سبب نزولها: أنَّ الوليد بن المغيرة استعظم النبوة ونزول القرآن على رسول الله ﷺ وقال: لولا نزِّل هذا القرآن على رجلٍ من القريتَين عظيم، فنزلت هذه الآية ردًّا عليه[١].

واختلف المفسرون في تفسير هذه الآية على أقوال كثيرة؛ فقيل: يخلق ما يشاء من خلقه، ويختار ما يشاء منهم لطاعته، وقيل: يخلق ما يشاء من خلقه، ويختار ما يشاء لنبوَّته، وقيل: يخلق ما يشاء: محمَّداً، ويختار الأنصار لدينه، وقيل: يخلق ما يشاء: محمداً، ويختار ما يشاء: أصحابه وأمته؛ لما روي: «**إنَّ الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين، واختار من أصحابي أربعةً ـ يعني: أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا ـ فجعلهم أصحابي، وفي أصحابي كلِّهم خيرٌ، واختار أمَّتي على سائر الأمم، واختار لي من أُمتي أربعة قرون**»[٢]، فقد اختار محمَّداً على سائر المخلوقات، واختار أمَّته على سائر الأمم، فكما هو أفضل الخَلق على الإطلاق.. أُمَّتُهُ أفضلُ الأُمم على الإطلاق.

قوله: (﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾) بالتحريك والإسكان معناهما واحد، وهو الاختيار، و﴿مَا﴾: نافية، و﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، والجار والمجرور: خبرها مقدَّم، و﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾: اسمها مؤخَّر، والجملة مستأنفة، فالوقف على ﴿يختار﴾.

والمعنى: ليس للخلق جميعاً الاختيار في شيءٍ لا ظاهراً ولا باطناً، بل الخيرة لله تعالى

---

(١) انظر «زاد المسير» (٣/ ٣٩١).

(٢) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٦): (رواه البزار، ورجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف).

سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ . . . . .

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: عن إشراكِهم.

﴿٦٩﴾ ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: تُسِرُّ قُلوبُهم مِن الكُفر وغَيرِه، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بِألسِنَتِهم مِن ذلك.

﴿٧٠﴾ ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ﴾: الدُّنيا ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾: الجَنَّة، ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: القَضاءُ النَّافِذ في كُلِّ شَيء، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بِالنُّشور.

حاشية الصاوي

في أفعاله؛ لما في الحديث القدسي: «يا عَبدي؛ أنتَ تريد وأنا أريد، ولا يكون إلا ما أريد؛ فإن سلَّمت لي ما أريد.. أعطيتُك ما تريد، وإن لم تُسلِّم لي ما أريد.. أتعبتُك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد»[1].

وإنما خصَّ المفسِّر المشركين بذلك؛ مراعاةً لسبب النزول، ويَصح أن تكون (ما) مصدرية، وما بعدها مؤوَّل بمصدر، والمعنى: ويختار اختيارهم فيه، ويصح أن تكون موصولة، والعائد محذوف، والتقدير: ويختار الذي لهم فيه الاختيار، وحِينئذ: فلا يصح الوقف على ﴿يختار﴾، والأول: أظهَر؛ فالواجب على الإنسان أن يعتقدَ أنه لا تأثير لشيءٍ من الكائنات في شيء أبداً، وإنما الذي يظهر على أيدِي الخلق أسباب عادية يمكن تخلُّفها.

قوله: (﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾) أي: تنزيهاً له عمَّا لا يَليق به.

قوله: (من الكفر وغيره) أي: كالإيمان، فيجازي الكافر بالخلود في النار، والمؤمن بالخلود في الجنة.

قوله: (﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾) أي: هو مستحقٌّ للثناء بالجميل في الدنيا والجنَّة؛ لأنه لا مُعطي للنعم فيهما إلا هو سبحانه وتعالى، فالمؤمنون يحمدونه في الجنة بقولهم: الحمد لله الذي صدقنا وعده، الحمد لله الذي أذهب عنا الحَزن؛ كما حمدوه في الدنيا، لكن الحمد في الدنيا مكلَّفون به، وأما في الآخرة.. فهو تَلذذ؛ لانقطاع التَّكليف بالموت.

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/١٠٧) ممَّا أوحاه الله تعالى لسيدنا داوود عليه السلام.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ ....﴾

(٧١) ﴿قُلْ﴾ لِأهلِ مكَّة: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أي: أخبِرُوني ﴿إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ﴾ ......

حاشية الصاوي

قال العلماء: لا ينبغي لأحدٍ أن يُقْدِمَ على أمرٍ من أمور الدنيا والآخرة حتى يسألَ الله تعالى الخيرة في ذلك، وذلك بأن يُصلي ركعتين صلاة الاستخارة، يقرأ في الركعة الأولى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ...﴾ الآية، وفي الثانية: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ...﴾ [الأحزاب: ٣٦] الآية، ثم يَدعو بالدعاء الوارد في «صحيح البخاري»: عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلِّها كما يُعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا همَّ أحدكم بالأمر.. فليَركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقُل: **اللهم؛ إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقُدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدِر، وتعلم ولا أعلَم، وأنت علام الغيوب، اللهم؛ إن كنتَ تعلم أنَّ هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومَعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: في عاجل أمري وآجله ـ فاقدُره لي، ويسِّره لي، وإن كنتَ تعلم أنَّ هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: في عاجل أمري وآجِله ـ فاصرفه عني، واصرِفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثمَّ رضِّني به**»، قال: «**ويسمِّي حاجته**»[1]، وروي عن أنس أن النبي ﷺ قال له: «**يا أنس؛ إذا هممتَ بأمرٍ.. فاستخر ربَّك فيه سبعَ مرات، ثم انظر إلى ما يسبق إلى قلبك واعمَله؛ فإنَّ الخير فيه**»[2]، فإن لم يكن يحفظ الشخص هاتين الآيتين.. يقرأ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ و(الإخلاص)، فإن لم يكن يحفظ هذا الدعاء.. فليقرأ: (اللهمَّ خِرْ واختَرْ لي)؛ كما روي عن عائشة عن أبي بكر رضي الله عنهما[3].

واعلم: أنَّ هذه الكيفيَّة هي الواردة في الحديث الصحيح، وأما الاستخارة في المنام أو بالمصحَف أو السبحة.. فليس وارداً عن النبي ﷺ؛ ولِذا كرهه العلماء وقالوا: إنه نوعٌ من الطيرة.

قوله: (﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ﴾... إلخ) ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ و﴿جَعَلَ﴾ تنازعا في ﴿ٱلَّيْلَ﴾، أعمل الثاني، وأضمر في الأول وحذف، وهو مَفعوله الأول، ومفعوله الثاني جملة الاستفهام بعده،

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٣٨٢).

(٢) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٩٨).

(٣) رواه الترمذي (٣٥١٦).

سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٍ تَسۡكُنُونَ فِيهِۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ

﴿سَرۡمَدًا﴾: دائماً ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ بزعمكم ﴿يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ﴾: نهار تطلُبون فِيهِ المَعِيشة؟ ﴿أَفَلَا تَسۡمَعُونَ﴾ ذلك سَماعَ تَفهُّم فترجِعُون عن الإشراكِ؟

﴿٧٢﴾ ﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ بِزَعمِكُم ﴿يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٍ تَسۡكُنُونَ﴾: تَستَرِيحُون ﴿فِيهِۖ﴾ مِن التَّعب؟ ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ ما أنتُم علَيهِ مِن الخَطأ في الإشراك فتَرجِعُون عنهُ؟

﴿٧٣﴾ ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ تَعالى ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾: في اللَّيل، ......

حاشية الصاوي

و﴿إِن﴾: حرف شرط، و﴿جَعَلَ﴾: فعل الشرط، و﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، و﴿ٱلَّيۡلَ﴾: مفعول أول، و﴿سَرۡمَدًا﴾: مفعول ثان، وجواب الشرط محذوف تقديره: ماذا تَفعلون؟ وتقدَّم الكلام على نظيرتها في (الأنعام).

قوله: (﴿سَرۡمَدًا﴾) من السَّرد، وهو المتابعة والاطراد.

قوله: (دائماً) أي: بأن يسكن الشمس تحت الأرض.

قوله: (إلى يوم القيامة) متعلق بـ﴿جَعَلَ﴾.

قوله: (﴿مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ بزعمكم) دفع بذلك ما يقال: إنَّ المقام لـ(هل)؛ لأنها لطلب التصديق، لا (مَنْ) التي لطلب اليقين؛ لأنه يُوهم وجود آلهة غيره تعالى، فأجاب: بأنه مجاراة للمشركين في زعمهم وجودَ آلهةٍ معه.

قوله: (سماع تفهُّم) أي: تدبُّرٍ واعتبارٍ؛ لأنَّ مجرد الإبصار لا يُفيد.

قوله: (﴿إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا﴾) أي: بأن يسكنَ الشمس في وسط السماء.

قوله: (﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾) أي: تفضُّله وإحسانه.

قوله: (﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾... إلخ) لأنَّ المرء في الدنيا لا بدَّ وأن يحصل له التعب؛ ليحصِّل ما يحتاج إليه في مَعاشه، فجعل الله له محلَّ تكسُّبٍ وهو النهار، ومحل راحة وسكون؛ ليستريح من ذلك التعب، وهو الليل.

وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ ....

﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ في النَّهار لِلكسبِ، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النِّعمةَ فِيهما.

(٧٤ - ٧٥) ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ذَكَرَ ثانياً لِيَبنِيَ علَيهِ، ﴿وَنَزَعْنَا﴾: أخرَجنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نَبيُّهم يَشهَد علَيهِم بِما قالُوا، ﴿فَقُلْنَا﴾ لَهُم: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ على ما قُلتُم مِن الإشراك، ﴿فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ﴾ في الإلهيَّة ﴿لِلَّهِ﴾ لا يُشارِكهُ فِيه أحَد، ﴿وَضَلَّ﴾: غابَ ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ في الدُّنيا مِن أنَّ مَعَهُ شَرِيكاً تَعالى عن ذلك.

(٧٦) ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ ابن عَمِّه وابن خالَتِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾) استُفيد من الآية مدحُ السعي في طلب الرزق؛ لما ورد: «الكاسب حبيب الله»(١).

قوله: (ذكر ثانياً؛ ليبني عليه: ﴿وَنَزَعْنَا﴾... إلخ) أي: وإشارة إلى أنَّ الشرك أمرُهُ عظيمٌ، لا شيء أجلب منه لغضب الله؛ كما أنَّ التوحيد عظيمٌ لا شيء أجلبَ منه لرضا الله.

قوله: (يشهد عليهم بما قالوا) أي: وأمة محمد يَشهدون للأنبياء بالتبليغ، وعلى الأُمم بالتكذيب(٢).

قوله: (﴿أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾) أي: التوحيد لله خاصة، لا لغيره.

قوله: (من أن معه شريكاً) بيان لـ(ما).

قوله: (﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾) هو اسم أعجمي ممنوع من الصرف؛ للعَلَميَّة والعجمة.

قوله: (ابن عمه) أي: واسم ذلك العم يَصْهُر ـ بياء تحتية مفتوحة، وصاد مهملة ساكنة، وهاء

---

(١) لم أجده فيما بين يديَّ من المصادر.

(٢) كما في «صحيح البخاري» (٣٣٣٩) من شهادة سيدنا محمد ﷺ وأُمَّته لسيدنا نوح عليه السلام.

﴿فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦﴾ ....

وآمَن بِه، ﴿فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ بِالكِبرِ والعُلُوِّ وكَثرةِ المال، ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ﴾: تَثقُل ﴿بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾: الجَماعةِ ﴿أُوْلِي﴾: أصحابِ ﴿ٱلۡقُوَّةِ﴾ أي: تُثقِلُهُم ـ فالباءُ لِلتَّعدِيةِ ـ، وعِدَّتُهم قِيل: سَبعُون، وقِيل: أربَعُون، وقِيل: عَشَرة، وقِيلَ غَير ذلك. اذكُر ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ﴾ المُؤمِنُون مِن بَنِي إسرائِيل: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ﴾ بِكَثرةِ المال فرَحَ بَطَر؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ بِذلك.

حاشية الصاوي

مضمومة ـ بن قَاهَث ـ بقاف وهاء مفتوحة وثاء مثلثة ـ ويصهر أبو قارون وعمران أبو موسى أخوان، ولدا قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، وقيل: إنَّ قارون عمُّ موسى.

قوله: (وآمن به) أي: وكان من السبعين الذين اختارهم مُوسى للمناجاة، فسمع كلام الله، ثم حسد مُوسى على رسالته، وهارون على إمامته.

قوله: (بالكبر) هو احتقار ما سواه، ومن جملة تكبُّره: أن زاد في ثيابه شبراً، ومن جملة بغيه بالكبر: حسَده لموسى عليه السلام على النبوة، وكان يسمَّى المنوَّر؛ لحسن صُورته.

قوله: (﴿مِنَ ٱلۡكُنُوزِ﴾) سميت كنوزاً؛ لما قيل: إنه وجد كنزاً من كنوز يوسف عليه السلام، وقيل: لامتناعه من أداء الزكاة.

قوله: (﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾... إلخ) ﴿مَآ﴾: اسم موصول، صفة لموصوف محذوف، و﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد ونصب، و﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾: اسمها، وجملة ﴿لَتَنُوٓأُ﴾ خبرها، والجملة صلة الموصول، والتقدير: وآتيناه من الكنوز الشيء الذي مفاتحه تثقل العصبة أولي القُوة، وكانت مفاتحه من حديد، فلما كثرت.. جعلها من خشب، فثقلت، فجعلها من جُلود البقر ـ وقيل: من جلود الإبل ـ كل مفتاح على قدر الإصبع، وكانت تُحْمَلُ معه على أربعين ـ وقيل: على ستين ـ بغلاً.

قوله: (﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾) الباء: للتعدية، والمعنى: لَتثقل المفاتيح العصبة.

قوله: (فَرَحَ بَطَرٍ) أي: لأنه هو المذموم، وأما الفرح بالدنيا من حيث إنها تُعينه على أمور الآخرة؛ كقضاء الدَّين والصدقة وإطعام الحاج وغير ذلك.. فلا بأس به.

وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ ....

﴿٧٧﴾ ﴿وَٱبْتَغِ﴾: اطلُب ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ مِن المالِ ﴿ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ بِأن تُنفِقَهُ في طاعة اللهِ، ﴿وَلَا تَنسَ﴾: تَترُك ﴿نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: أن تَعمَل فِيها لِلآخِرةِ، ﴿وَأَحْسِن﴾ لِلنَّاسِ بِالصَّدَقةِ ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ﴾: تَطلُب ﴿ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بِعَمَلِ المَعاصِي؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بِمَعنَى أنَّهُ يُعاقِبُهُم.

﴿٧٨﴾ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ أي: المالَ ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ أي: في مُقابَلَتِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بأن تُنفقه في طاعة الله) أي: كصِلة الرحم والصدقة وغير ذلك.

قوله: (﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾) أي: بأن تصرف عمرك في مَرضاة ربِّك، ولا تدع نفسك من غير خيرٍ، فتصير يوم القيامة مُفلساً؛ لما في الحديث: «اغتنِم خمساً قبل خمس؛ شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شُغلك، وغِناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك»[1].

وقيل: المراد بالنصيب: الكفن ومُؤَن التجهيز، قال الشاعر: [الطويل]

نَصِيبُكَ مِمَّا تَجْمَعُ الدَّهْرَ كُلَّهُ ... رِدَاءانِ تُدْرَجُ فِيهِمَا وَحَنُوطُ

قوله: (﴿وَأَحْسِن﴾ للناس بالصدقة) المناسبُ حملُه على العُموم، ويكون تفسيراً لقوله: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾، وقوله: ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ الكاف: للتشبيه، و(ما): مصدرية، والمعنى: أَحْسِنْ إحساناً كإحسان الله إليك، أو لِلتعليل.

قوله: (﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾) جوابٌ لما قالوه من الجمل الخمس، كأنه ينكر محضَ الفضل، والمعنى: إنما أُوتيته حال كوني متَّصفاً بالعلم الذي عندي، فأعطاني الله تِلك الأموال؛ لكوني مستحقًّا لها؛ لفضلي وعلمي.

---

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (١١٨٣٢) مرسلاً من حديث عمرو بن ميمون، ووصله الحاكم في «المستدرك» (٤/٣٠٦) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ﴾ ....

وكان أعلَم بَنِي إسرائيلَ بِالتَّوراة بعد مُوسى وهارُون، قال تَعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾: الأُمَم ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ لِلمالِ، أي: هو عالِم بِذلك، ويُهلِكهُم الله ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ لِعِلمِه تَعالى بِها، فيَدخُلُون النَّار بِلا حِساب.

﴿٧٩﴾ ﴿فَخَرَجَ﴾ قارُونُ ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ بِأتباعِه الكَثِيرِينَ رُكباناً، مُتَحَلِّينَ بِمَلابسِ الذَّهَب والحَرِير على خُيُول وبِغالٍ مُتحلِّيَة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وكان أعلَم بني إسرائيل بالتوراة) وقيل: العلم الذي فضِّل به هو علم الكيمياء؛ فإنَّ موسى علَّمه ثلثه، ويوشع ثلثه، وكالب ثلثه[1]، فخدعهما قارون حتى أضافَ ما عندهما إلى ما عنده، فكان يأخذ من الرصاص فيجعله فضة، ومن النحاس فيَجعله ذهباً، فكثر بذلك ماله وتكبَّر، وعلى هذا فقوله: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ المراد به: عِلم الكيمياء، ويكون المعنى: اكتسبتُه بعلمي الذي عندي، لا من فضل الله كما تقولون.

قوله: (﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: أيدَّعي ذلك ولم يعلم أنَّ الله. . . إلخ، والاستفهام للتوبيخ، والمعنى: أنه إذا أراد إهلاكه. . لم ينفعه ذلك.

قوله: (﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾) أي: لا يسألهم الله عن ذنوبهم إذا أراد عقابهم.

إن قلتَ: كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

أجيب: بأنَّ السؤال قسمان: سؤال استعتاب، وسؤال توبيخ وتقريع، فالمنفيُّ سؤال الاستعتاب الذي يَعقبه العفو والغفران؛ كسؤال المسلم العاصي، والمثبَتُ سؤال التوبيخ الذي لا يَعقبه إلا النار.

قوله: (﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾) عطف على قوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، وما بينهما اعتراضٌ، وكان خروجه يوم السبت، وقوله: (بأتباعه) قيل: كانوا أربعة آلاف، وقيل: تسعين ألفاً عليهم

(١) أي: إن موسى عليه السلام علم الكيمياء ثلاثة: يوشع بن نون، وكالب بن يوفنا، وقارون. «فتوحات» (٣/ ٣٨١).

قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ ....

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَا﴾ ـ لِلتَّنبيه ـ ﴿لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ في الدُّنيا، ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ﴾: نَصِيب ﴿عَظِيمٍ﴾: وافٍ فِيها.

﴿٨٠﴾ ﴿وَقَالَ﴾ لَهُم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ بِما وعَدَ الله في الآخِرة: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ ـ كلِمة زَجر ـ ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ في الآخِرة بِالجنَّةِ ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ مِمَّا أُوتِيَ قارُونُ في الدُّنيا. ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي: الجَنَّةَ المُثاب بِها ﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على الطَّاعة وعن المَعصِية.

﴿٨١﴾ ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ﴾: بِقارُون ﴿وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ﴾ ....

حاشية الصاوي

المعصفرات، وهو أول يوم رُئي فيه المعصفر[1]، وكان عن يمينه ثلاث مئة غلام، وعن يساره ثلاث مئة جارية بيضٍ عليهنَّ الحلي والديباج، وكانت خيولهم وبغالهم متحلية بالديباج الأحمر، وكانت بغلته شهباء؛ بياضها أكثر من سوادها، سَرجها من ذهب، وكان على سرجها الأرجوان ـ بضمِّ الهمزة والجيم ـ وهو قطيفة حمراء.

قوله: (﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾) أي: وكانوا مؤمنين غير أنهم مَحجوبون.

قوله: (كلمة زجر) أي: وهي منصوبة بمقدَّر؛ أي: ألزمكم الله ويلَكم، والأصل في الويل: الدعاء بالهلاك، ثم استعمل في الزجر والردع.

قوله: (﴿مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ في الدنيا) لأن الثواب منافعُهُ عظيمةٌ.

قوله: (﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾) أي: يُوفَّق للعمل بها.

قوله: (على الطاعة وعن المعصية) أي: وعلى الرضا بأحكامه تعالى.

قوله: (﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾) قال أهل العِلم بالأخبار والسِّير: كان قارونُ أعلمَ بني

---

(١) وهو اللباس المصبوغ بالعصفر، وهو صبغ أحمر معروف، وقد نهي الرجال عن لبس المعصفر؛ لأنه مِن لباس الزينة وأسباب الكبر، ولأن له رائحة لا تَليق بالرجال. انظر «روح البيان» (٦/ ٤٣٣).

. . . .

حاشية الصاوي

إسرائيل بعد موسى وهارون، وأقرأَهُم للتوراة، وأجملَهُم وأغناهم، وكان حسَن الصوت، فبغى وطغى واعتزَّ بأتباعه، وجعل موسى يُداريه للقرابة التي بينهما، وهو يؤذيه في كلِّ وقتٍ ولا يزيد إلا عتوًّا وتجبُّراً ومعاداةً لموسى حتى بنى داراً وجعل بابها من الذهب، وضرَب على جدرانها صفائح الذهب، وكان الملأ من بني إسرائيل يَغدون إليه ويروحون، ويطعمهم الطعام، ويحدثونه ويضاحكونه.

قال ابن عباس: فلمَّا نزلت الزكاة على موسى.. أتاه قارون فصالحه عن كلِّ ألف دينار على دينار واحد، وعن كلِّ ألف درهم على درهم، وعن كل ألف شاة على شاة، وكذلك سائر الأشياء، ثم رجع إلى بيته، فحسبه فوجده شيئاً كثيراً، فلم تسمح نفسُه بذلك، فجمع بني إسرائيل وقال لهم: إنَّ موسى قد أمركم بكلِّ شيءٍ فأطعتموه، وهو يُريد أن يأخذ أموالكم، قالت بنو إسرائيل: أنت كبيرنا فمُرنا بما شئت، قال: آمركم أن تأتُونا بفلانة الزانية، فنجعل لها جعلاً على أن تقذف موسى بنفسها، فإذا فعلَت ذلك.. خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه، فدعَوها، فجعل لها قارون ألف دينار، وألف درهم، وقيل: جعل لها طشتاً من ذهب؛ وقيل: قال لها قارون: أموِّلك وأخلطك بنسائي على أن تَقذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل، ثم أتى إلى موسى فقال له: إنَّ بني إسرائيل ينتظرون خروجك؛ لتأمرهم وتَنهاهم، فخرج إليهم موسى وهم في براح من الأرض، فقام فيهم فقال: يا بني إسرائيل؛ مَن سرق.. قُطِعَتْ يده، ومن افترى.. جُلِدَ ثمانين، ومن زنى وليست له امرأة.. جلَدناه مئة، ومن زنى وله امرأة.. رجمناه حتى يموت، قال له قارون: وإن كنتَ أنت؟ قال: وإن كنت أنا، قال قارون: فإنَّ بني إسرائيل يزعمون أنك فجرتَ بفلانة الزانية، قال موسى: ادعوها، فلمَّا جاءت قال لها موسى: يا فلانة؛ أنا فعَلتُ بك ما يقول هؤلاء؟ وعظَّم عليها وسألها بالذي فلَق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة إلَّا صدَقت، فتداركها الله بالتوفيق فقالت في نفسها: أُحدث توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله، فقالت: لا والله، ولكنَّ قارون جعَل لي جعلاً على أن أقذفك بنفسي، فخرَّ موسى ساجداً يَبكي وقال: اللهمَّ؛ إن كنتُ رسولك.. فاغضب لي، فأوحى الله إليه أني أمرت الأرض أن تُطيعك، فمُرْها بما شئت، فقال موسى: يا بني إسرائيل؛ إنَّ الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون، فمَن كان معه.. فليثبت مكانه، ومَن كان معي.. فليَعتزل، فاعتزلوا، فلم يبق مع قارون إلا رجلان، ثم قال موسى: يا أرض؛ خُذيهم، فأخذتهم الأرض

مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ ....

مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره بأن يمنعُوا عنه الهلاك، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ منهُ.

﴿٨٢﴾ ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ أي: من قريب ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ

حاشية الصاوي

بأقدامهم، ثم قال: يا أرض؛ خُذيهم، فأخذتهم إلى الركبتين، ثم قال: يا أرض؛ خذيهم، فأخذتهم الأرض إلى أوساطهم، ثم قال: يا أرض؛ خذيهم، فأخذتهم إلى الأعناق، وأصحابُه في كلِّ ذلك يتضرَّعون إلى موسى، ويُناشده قارون الله والرحمَ، حتى قيل: إنه ناشده سبعين مرَّة، وموسى في ذلك لا يَلتفت إليه؛ لِشدة غضبه، ثم قال: يا أرض؛ خُذيهم، فانطبقت عليهم[1].

قال قتادة: خسف به، فهو يتجلجل في الأرض كلَّ يوم قامةَ رجلٍ، لا يبلغ قعرَها إلا يوم القيامة، وفي الخبر: «إذا وَصل قارون إلى قرار الأرض السابعة.. نفخ إسرافيل في الصور»[2].

وأصبحت بنو إسرائيل يَتحدثون فيما بينهم أنَّ موسى إنما دعا على قارون؛ ليستبِدَّ بداره وكنوزه وأمواله، فدعا اللهَ موسى حتى خَسف بداره وبكُنوزه وأمواله الأرض.

قال بعضهم: مقتضى هذا الحديث أنَّ الأرض لا تأكل جسمه، فيُمكن أن يلغز ويقال: لنا كافرٌ لا يبلى جسده بعد الموت، وهو قارُون.

قوله: (﴿مِن فِئَةٍ﴾) ﴿مِن﴾: زائدة، و﴿فِئَةٍ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ إن كانت ناقصةً، والجارُّ والمجرور خبرها، أو فاعل بها إن كانت تامَّةً.

قوله: (﴿مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾) أي: الممتنِعين بأنفسهم.

قوله: (أي: من قريب) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالأمس الوقت الماضي القريب، لا اليومُ الذي قبل يَومك.

قوله: (﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾... إلخ) فيها خمسة مذاهب:

الأول: أنَّ (وَي) كلمة برأسها، اسم فعل بمعنى: أعجَب، والكاف: للتعليل، و(أنَّ) وما دخلت

---

(١) انظر القصة كاملة في «تفسير الخازن» (٣/ ٣٧٢).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (١٣/ ٣١٨).

يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ ....

يَبْسُطُ﴾: يُوسِّع ﴿ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾: يُضَيِّق على مَن يَشاء، ـ و(وَي) اسمُ فِعل بِمَعنَى أعجَب، أي: أنا، والكاف بِمَعنَى اللَّام ـ ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ ـ بِالبِناء لِلفاعِل والمَفعول ـ ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ لِنِعمةِ الله كفارُونَ.

﴿٨٣﴾ ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾ أي: الجَنَّة ....

حاشية الصاوي

عليه مجرور بها؛ أي: أعجب لأنَّ الله يَبسط الرزق... إلخ، فالوقف على (وَي)، وهو قراءة الكسائي.

الثاني: أن (كأنَّ) للتشبيه غير أنه ذهب معناه منها، وصارت لليقين، وحينئذ: فالوقف على (وي) كالذي قبله.

الثالث: أن (وَيك) كلمة برأسها، والكاف: حرف خطاب، و(أنَّ) معمولة لمحذوف؛ أي: أعلم أنَّ الله يبسط الرزق... إلخ، وحينئذٍ: فالوقف على (ويكَ)، وهو قراءة أبي عمرو.

والرابع: أنَّ أصلها (ويلك)، حذفت اللام، وحينئذٍ: فالوقف على الكاف أيضاً.

الخامس: أنَّ ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ كلُّها كلمةٌ بسيطةٌ، ومعناها: ألم ترَ الله يبسط الرزق... إلخ، وحينئذٍ: فالوقف على النون.

قوله: (﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾) أي: بالإيمان والرحمة.

قوله: (بالبناء للفاعل والمفعول) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿وَيْكَأَنَّهُۥ﴾) تأكيد لما قبله، ويجري فيها ما جرى في التي قبلها.

قوله: (﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾) مناسبةُ هذه الآية لما قبلها ظاهرةٌ؛ فإنَّ فرعون وقارون تكبَّرا وتجبَّرا واختارا العلوَّ، فآل أمرُهما للخسران والوبال والدمار، وموسى وهارون اختارَا التواضع، فآل أمرهما للعزِّ الدائم الذي لا يزول ولا يَحول.

قوله: (أي: الجنة) أي: وما فيها من النعيم الدائم، ورؤية وجه الله الكريم، وسماع كلامه القديم.

---

(١) قرأ حفص: ﴿لَخَسَفَ﴾ مبنيًّا للفاعل؛ أي: الله تعالى، والباقون ببنائه للمفعول. انظر «الدر المصون» (٨/ ٦٩٩).

نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ....

﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ بِالبَغْيِ، ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ بِعَمَلِ المَعاصِي، ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ المَحمُودةُ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عِقابَ الله بِعَمَلِ الطَّاعات.

﴿٨٤﴾ ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾: ثَوابٌ بِسَبَبِها، وهو عَشرُ أمثالِها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا﴾) التعبير بالإرادة أبلَغ في النفي؛ لأنه نفيٌ للفعل وزيادة.

قوله: (﴿نَجْعَلُهَا﴾) أي: نصيِّرها.

قوله: (بالبغي) أي: الظلم والكبر؛ كما وقع لفرعون وقارون وجنودهما.

قوله: (بعمل المعاصي) أي: كالقتل والزنا والسرقة وغير ذلك من الأمور التي تخالف أوامره تعالى.

قوله: (﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾) أظهر في مقام الإضمار؛ إظهاراً لشأنهم، ومدحاً لهم بنسبتهم للتقوى، وتسجيلاً على ضدِّهم.

قوله: (﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾) تقدَّم أنه إن أريد بالحسنة: لا إله إلا الله.. فالمراد بالخير: الجنة، و(مِنْ) للتعليل، وليس في الصيغة تفضيلٌ، وإن أريد بها مطلق طاعة.. فالمراد بالخير منها: عشرة أمثالها؛ كما جاء مفسَّراً به في الآية الأخرى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فقول المفسر: (ثواب بسببها... إلخ) إشارةٌ للمعنى الثاني.

قوله: (وهو عشرُ أمثالها) هذا أقلُّ المضاعفة، وتضاعف لسبعين، ولسبع مئة، والله يضاعف لمن يشاء، وهذا في الحسنة التي فعلَها بنفسه أو فُعِلَتْ من أجله؛ كالقراءة أو الذكر إذا فُعِلَ وأُهْدِيَ ثوابه للميت مثلاً، وأمَّا الحسنة التي تُؤخذ في نظير الظلامة[1].. فلا تضاعَف، بل تؤخذ الحسنة للمظلوم، وأما المضاعفة.. فتكتب للظالم؛ لأنها محضُ فَضلٍ من الله تعالى، ليس للعبد فيه فعلٌ، والمضاعفة مخصوصةٌ بهذه الأمَّة، وأما غيرهم.. فلا مُضاعفة له.

---

(١) كما لو ضرب زيد عمراً ضربة، وكان لزيد حسنات مَوجودة، فيؤخذ منها فيعطى لعمرو، فهذه الحسنة لا تنسب لعمرو، لا حقيقةً ولا حكماً؛ فلا تُضاعف له، وخرج أيضاً: ما لو همَّ بحسنةٍ فلم يَعملها لمانع، فإنها تكتب له واحدة، ويجازى عليها من غير تضعيف. «فتوحات» (٣/ ٣٨٥).

وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ ....

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا﴾ جزاءَ ﴿مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي: مِثلَه.

﴿٨٥﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: أنزلَهُ ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ إلى مَكَّة، وكان قد اشتاقَها، ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ نَزَلَ جواباً لِقَولِ كُفَّار مَكَّة لَه: إنَّك في ضَلال، أي: فهو الجائي بِالهُدَى وهُم في ضَلالٍ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾... إلخ) أظهر في مَقام الإضمار؛ تسجيلاً وتقبيحاً على فاعل السيئات؛ لينزجرَ عن فعلها.

قوله: (أي: مثله) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (أنزله) أي: أو افترضه، بمعنى: أوجب عليك تبليغَهُ للعباد والتَّمسُّكَ به.

قوله: (إلى مكة وكان قد اشتاقها) تقدَّم أنَّ سبب نزول هذه الآية: أنه ﷺ لما أُذِنَ له في الهجرة إلى المدينة وخرج من الغار مع أبي بكر ليلاً.. سار في غير الطريق، فلمَّا نزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف طريق مكة.. اشتاق إليها، وذكر مولده ومولد أبيه، فنزل عليه جبريل وقال له: أتشتاق إلى بَلدك ومولدك؟ فقال عليه السلام: «نعم»، فقال جبريل: إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ يعني: إلى مكة ظاهراً عليهم[1].

وسمِّيت البلد معاداً؛ لأنَّ شأن الإنسان أن ينصرف من بَلده ويعود إليها، وتقدَّم أنَّ هذه السورة ينبغي قراءتها للمسافر تفاؤلاً بعَوده لوطنه، ولا يقال: إنَّ الآية قيلت للنبي ﷺ فكيف تقال لغيره؟ لأنه يقال: إن القرآن نزل للتعبد والاقتداء به، فكأنه قال: كما صدقتَ وعد نبيِّك.. فاصدق وعدي.

قوله: (جواباً لقول كفار مكة له... إلخ) أي: كما قالت بنو إسرائيل لموسى مثل ذلك، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ [القصص: ٣٧].

---

(١) انظر «زاد المسير» (٣/ ٣٩٦)، وروى البخاري (٤٧٧٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، قال: «إلى مكة»، وتقدم هذا في تفسير أول السورة.

وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ ....

و﴿أَعْلَمُ﴾ بِمَعنى عالِم.

﴿٨٦﴾ ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: القُرآنُ ﴿إِلَّا﴾: لَكِن أُلقِيَ إلَيك ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾: مُعِيناً ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ على دِينِهم الَّذي دَعَوك إلَيه.

﴿٨٧﴾ ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ ـ أصلُه: يَصُدُّونَنَّكَ، حُذِفت نُون الرَّفع لِلجازِم، والواوُ الفاعِلُ لِالتِقائِها مَع النُّون السَّاكِنة ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (و«أعلم» بمعنى: عالم) إنما احتيج إلى تحويله؛ لتعديته للمفعول بنفسه، وإلا.. فكان مقتضى الظاهر تعديته بـ(مِنْ).

قوله: (﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ﴾) أي: قبل مجيء الرسالة إليك.

قوله: (﴿أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾) أي: فإنزاله عليك ليس عن مِيعاد، ولا بطلب منك، ومن هنا قال العلماء: إن النبوة ليست مكتسبة لأحد، قال في «الجوهرة»: [الرجز]

وَلَـمْ تَـكُـنْ نُـبُـوَّةٌ مُـكْـتَـسَـبَـهْ ... وَلَـوْ رَقَـى فِـي الـخَـيْـرِ أَعْـلَـى عَـقَـبَـهْ

... إلخ[1].

قوله: (لكن ألقي إليك... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الاستثناء منقطع.

قوله: (﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾) الخطاب له، والمراد غيره؛ لاستحالة ذلك عليه.

قوله: (حذفت نون الرفع للجازم) أي: وهو (لا) الناهية.

قوله: (لالتقائها ساكنة) أي: ووُجود دليل يدل عليها، وهو الضمة. وما مشى عليه المفسِّر في تصريف الفعل إنما يأتي على نُدور، وهو تأكيد الفعل الخالي عن الطلب، فالأولى أن يقول: وأصله: (يصدونك)، دخل الجازم فحذف النون، ثم أُكِّد، فالتقى ساكنان، فحذفت الواو؛ لالتقائهما، ووجود الضمة دليلاً عليها.

---

(١) بَـلْ ذاكَ فَـضْـلُ اللهِ يُـؤْتِـيـهِ لِـمَـنْ ... يَـشَـاءُ جَـلَّ اللهُ وَاهِـبُ الـمِـنَـنْ

عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ ....

﴿عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ أي: لا تَرجِع إلَيهِم في ذلك، ﴿وَٱدْعُ﴾ النَّاس ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ بِتَوحِيدِه وعِبادَتِه، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بإعانَتِهِم، ولَم يُؤَثِّر الجازِم في الفِعل لِبنائه.

﴿٨٨﴾ ﴿وَلَا تَدْعُ﴾: تَعبُد ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾) أي: بعد وقت إنزالها عليك.

قوله: (أي: لا ترجع إليهم) أي: لا تركن إلى أقوالهم.

قوله: (﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾) الخطاب له، والمراد غيره.

قوله: (ولم يؤثر الجازم في الفعل) أي: لفظاً وإن كان مؤثراً محلًّا.

قوله: (لبنائه) أي: بسبب مباشرة نون التوكيد له، بخلاف قوله: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾، فتأثر بالجازم وإن كان مؤكَّداً بالنون؛ لعدم مباشرتها للفعل؛ فإنه فصل بينهما بواو الجماعة، قال ابن مالك:[1] [الرجز]

.... وَأَعْـرَبُـوا مُـضَـارِعـاً إِنْ عَـرِيَـا

مِـنْ نُـونِ تَـوْكِـيـدٍ مُـبَـاشِـرٍ... ....

قوله: (تعبد) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالدعاء العبادة، وحينئذٍ: فليس في الآية دليلٌ على ما زعمه الخوارج من أنَّ الطلب من الغير حيًّا أو ميتاً شركٌ؛ فإنه جهلٌ مركبٌ؛ لأنَّ سؤال الغير من حيث إجراءُ الله النفعَ أو الضُّرَّ على يده قد يكون واجباً؛ لأنه من التمسُّك بالأسباب، ولا يُنكر الأسبابَ إلا جَحُودٌ أو جهولٌ.

قوله: (﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾) أي: كلُّ ما سوى الله تعالى قابل للهلاك، وجائز عليه؛ لأنَّ وجوده ليس ذاتيًّا، قال بعض العارفين[2]: [الكامل]

اللهَ قُـلْ وَذَرِ الـوُجُـودَ وَمَـا حَـوَى إِنْ كُـنْـتَ مُـرْتَـاداً بُـلُـوغَ كَـمَـالِ

(١) «الخلاصة»، باب: (المعرب والمبني).

(٢) الأبيات لسيدي أبي مدين الغوث ﷺ؛ كما ذكر المصنف رحمه الله تعالى في شرحه لـ«جوهرة التوحيد» (ص١٤٧).

﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٨﴾

إِلَّا إِيَّاهُ، ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: القَضاءُ النَّافِذ، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بِالنُّشُورِ مِن قُبُورِكُم.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

فَالكُلُّ دُونَ اللهِ إِنْ حَقَّقْتَهُ ... عَدَمٌ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالإِجْمَالِ

مَنْ لَا وُجُودَ لِذَاتِهِ مِنْ ذَاتِهِ ... فَوُجُودُهُ لَوْلَاهُ عَيْنُ مُحَالِ

والعَارِفُونَ فَنُوا بِهِ لَمْ يَشْهَدُوا ... شَيْئاً سِوَى المُتَكَبِّرِ المُتَعَالِ

وَرَأَوْا سِوَاهُ عَلَى الحَقِيقَةِ هَالِكاً ... فِي الحَالِ وَالمَاضِي وَالاسْتِقْبَالِ

وقيل: المراد بالهلاك: الانعِدام بالفعل، ويُستثنى منه ثمانية أشياء، نظمها السيوطي في قوله: [الطويل]

ثَمَانِيَةٌ حُكْمُ البَقَاءِ يَعُمُّها ... مِنَ الخلقِ وَالبَاقُونَ فِي حيِّزِ العَدَمْ

هِيَ العَرْشُ والكُرْسِيْ ونَارٌ وجنَّةٌ ... وعَجْبٌ وأرْوَاحٌ كذا اللَّوْحُ والقَلَمْ

وهو معنى قول صاحب «الجوهرة»[1]: [الرجز]

وكلُّ شيءٍ هَالِكٌ قدْ خَصَّصُوا ... عُمُومَهُ فاطْلُبْ لما قَدْ لخَّصُوا

ولا مفهوم لما عدَّه السيوطي، بل منها أجساد الأنبياء والشهداء ومَن في حكمهم، والحُور والولدان.

قوله: (إلا إياه) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالوجه: الذات، ويصح أن المراد به: ما عمل لأجله سبحانه وتعالى؛ فإنَّ ثوابه باقٍ.

قوله: (﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾) أي: في جميع أحوالكم.

✿ ✿ ✿

(١) انظر «شرح جوهرة التوحيد» لِلمُصنف رحمه الله تعالى (ص٣٦٣).

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾ ....



مَكِّيَّة، وهي تِسعٌ وسِتون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلَم بِمُرادِه بِذلك.

(٢) ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ﴾ أي: بِقَولِهِم: ﴿ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾: يُختَبَرُون بِما يَتبيَّن بِه حقيقةُ إيمانِهم، نَزل في جَماعةٍ آمَنُوا فآذاهُم المُشرِكُون.

حاشية الصاوي

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

(سورة العنكبوت مكية) مبتدأٌ وخبرٌ، وفي بعض النسخ: (سورة العنكبوت، وهي تسعٌ وستون آيةً مكيَّةٌ)؛ ففيه الفصل بين المبتدأ والخبر بالجملة الحاليَّة.

وسمِّيت بذلك؛ لذكر العَنكبوت فيها، من باب: تسمية الجزء باسم الكلِّ، وتقدَّم أنَّ أسماء السور توقيفيٌّ، وقوله: (مكيَّة) أي: كلُّها، وقيل: مدنيَّة كلُّها، وقيل: مكيَّة إلا عشر آيات من أولها إلى قوله: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا...﴾ إلخ؛ فإنها مدنيَّة.

قوله: (الله أعلَم بمراده) تقدَّم غيرَ مرَّةٍ أنَّ هذا القول أسلم؛ لأنه من المتشابه الذي يفوَّض علمُهُ لله تعالى.

قوله: (﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾) الاستفهام يصح أن يكون للتقريرِ، وحينئذٍ فيكون المعنى: يجب على الناس أن يعترفوا بأنهم لا يتركون سُدًى، بل يُمتحنون ويبتلون؛ لأنَّ الدنيا دارُ بلاءٍ وامتحانٍ، أو التوبيخِ، وعليه فالمعنى: لا يَليق منهم هذا الحسبان ـ أي: الظن والتخمين ـ بل الواجب عليهم علمهم بأنهم لا يتركون.

وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا ....

(٣) ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم عِلمَ مُشاهَدةٍ،

حاشية الصاوي

و(حَسب): فعل ماض، و﴿ٱلنَّاسُ﴾: فاعله، و﴿أَن﴾ وما دخلت عليه: في تأويل مصدر سدَّت مسدَّ مفعولي (حسب)، و﴿أَن يَقُولُوٓا﴾: علة للحسبان، وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ الجملة حاليَّة مقيِّدة لقوله: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾، ويكون المعنى: أحسِب الناس أن يتركوا من غير افتتان بمجرد نطقهم بالشهادتين، أو من أجل نُطقهم بالشهادتين، بل لا بدَّ من امتحانهم بعد النطق بالشهادتين؛ ليتميَّز الراسخُ من غيره.

قوله: (بما يتبيَّن به حقيقة إيمانهم) أي: من المشاقِّ كالهجرة والجهاد وأنواع المصائب في الأنفس والأموال.

قوله: (نزل في جماعة) أي: كعمَّار بن ياسر وعيَّاش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وسَلمة بن هشام وكانوا يُعذَّبون بمكة، والمقصودُ من الآية: تسليةُ هؤلاء، وتعليمُ من يأتي بعدهم.

قوله: (﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾... إلخ) إمَّا حالٌ من ﴿ٱلنَّاسُ﴾، وحينئذٍ فالمعنى: أحسبوا ذلك والحال أنهم عَلموا أنَّ ذلك ليس سنة الله، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]؟ أو من فاعل ﴿يُفْتَنُونَ﴾، والمعنى: أحسبوا ألَّا يكونوا كغيرهم ولا يسلك بهم مَسالك الأمم السابقة؟

روى البخاري عن خباب بن الأرت قال: شكَونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسِّدٌ بردةً له في ظلِّ الكعبة، فقُلنا: ألا تستنصر، ألا تَدعو لنا؟ فقال: **«قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل، فيُحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيؤتى بالمنشار، فيُوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يَصرفه ذلك عن دينه، والله لَيُتَمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئبَ على غنمه، ولكنكم كنتم تَستعجلون»**[1].

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُوا﴾... إلخ) عبَّر في جانب الصدق بالفعل الماضي، وفي جانب الكذب باسم الفاعل؛ إشارةً إلى أنَّ الكاذبين وصفُهم مستمرٌّ لم يظهر منهم إلا ما كان مخبأً، وأمَّا الصادقون.. فقد زال وصفُ الكذب عنهم، وتجدَّد لهم الصدق، فناسبه التعبير بالفعل.

قوله: (علم مشاهدة) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ علم الله لا تجدُّد فيه، والجوابُ: أنَّ المراد: ليظهر متعلَّق علم الله للناس ببَيان الصادق من الكاذب.

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٦١٢).

وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ ....

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ فيه.

﴿٤﴾ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: الشِّركَ والمَعاصِيَ ﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾: يَفُوتُونا فلا نَنتقِم مِنهُم؟ ﴿سَاءَ﴾: بئسَ ﴿مَا﴾: الذي ﴿يَحْكُمُونَ﴾ه حُكمُهم هذا.

﴿٥﴾ ﴿مَن كَانَ يَرْجُو﴾: يَخافُ ﴿لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ به ﴿لَآتٍ﴾ فليَستَعِدَّ له، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لِأقوالِ العِباد، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِأفعالِهِم.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ﴾... إلخ) انتقالٌ من توبيخ إلى توبيخ، فالأول: تَوبيخ للناس على ظنِّهم بلوغَ الدرجات بمجرَّد الإيمان من غير مشقَّةٍ ولا تعبٍ، والثاني: أشدُّ منه، وهو توبيخهم على ظنِّهم أنهم يفوتون عذاب الله ويَفرُّون منه مع دوامهم على الكفر.

قوله: (الذي ﴿يَحْكُمُونَ﴾ه... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ (ما) اسم موصول، فاعل ﴿سَاءَ﴾، و﴿يَحْكُمُونَ﴾: صلته، والعائد محذوف، والمخصوص بالذم محذوف، قدَّره بقوله: (حُكمهم هذا)، ويصح أن يكون (ما) مميزاً، والفاعل ضمير مفسَّر بـ(ما)، قال ابن مالك[1]: [الرجز]

و(مَا) مُمَيِّزٌ وقِيلَ: فاعِلُ   في نَحْوِ: نِعْمَ ما يَقُولُ الفَاضِلُ

قوله: (﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ﴾) أي: يَعتقد ويجزم بأنه يلاقي الله، فيرجو رحمته ويخاف عقابه، وهذا التفسيرُ أتمُّ ممَّا قاله المفسِّر؛ لأنَّ المؤمن المصدِّق بلقاء الله لا بدَّ له من الرجاء والخوف معاً، ويؤيِّد ما قُلناه جواب الشرط الذي قدَّره بقوله: (فليستعدَّ له) أي: يتهيَّأ ويَستحضر للرحمة والنجاة من العذاب.

قوله: (﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾) ليس هذا هو جواب الشرط، وإلا.. لزم أنَّ مَنْ لا يرجو لقاء الله.. لا يكون أجل الله آتياً له، بل الجوابُ ما قدَّره المفسِّر.

قوله: (بأفعالهم) أي: وعَقائدهم.

---

(١) «الخلاصة»، باب: (نِعْمَ وبئس وما جرى مَجراهما).

وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

﴿٦﴾ ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ جهادَ حَرب أو نَفسٍ ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾: فإنَّ مَنفَعةَ جِهادِه له لا لله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: الإنسِ والجِنِّ والمَلائكة وعن عِبادَتِهم.

﴿٧﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (جهادَ حربٍ) أي: وهو الجهاد الأصغر، وقوله: (أو نفسٍ) أي: وهو الجهاد الأكبر؛ لأنَّ الشيطان يَجري من ابن آدم مجرى الدم، والنفس أختُه، ولا تغيب عن الإنسان أبداً، وهي خفيَّةٌ تظهر المحبَّة لصاحبها، بخلاف العدو من الكفار، وإذا قتَله الكافر.. مات شهيداً، وأمَّا إذا قتلته نفسه.. فإمَّا عاصٍ أو كافرٌ، فلا شكَّ أنَّ جهاد النفس أكبرُ من جهاد الكفار؛ ولذا ورد في الحديث أنه قال بعد رُجوعه من الجهاد: «**رجعنا من الجهاد الأصغَر إلى الجهاد الأكبر**»، قيل: يا رسول الله؛ وأيُّ جهاد أكبر من هذا؟ قال: «**جِهاد النفس والشيطان**»[1].

قوله: (﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾) أي: فلا تمنُّوا بِطاعتكم وخدمتكم على ربكم، فالفضل له في توفيقكم لعبادته، فالحصرُ إضافيٌّ؛ فلا يُنافي أنه ينتفع غيره بجهاده؛ كما ينتفع الآباء بصلاح الأولاد، فالمقصود: نفي النفع عن الله؛ لاستحالته عليه.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) أي: فلا يصلُ له منهم نفعٌ ولا ضرٌّ؛ لما في الحديث القدسي: «**يا عبادي؛ لو أنَّ أوَّلكم وآخِركم وإنسكم وجنَّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد.. ما زاد ذلك في مُلكي شيئاً، يا عبادي؛ لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم كانوا على أفجرِ قلب رجل واحد.. ما نقَص ذلك في ملكي شيئاً**»[2].

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾... إلخ) مبتدأ، خبره: الجملة القسميَّة[3]، وهذا وعدٌ حسنٌ للمتَّصفين بالإيمان.

---

(١) رواه البيهقي في «الزهد الكبير» (٣٧٣) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وفيه: (مجاهدة العبد هواه) بدل (جهاد النفس والشيطان).

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٧) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) أي: مع جوابها، والتقدير: والله لَنكفرن، ويجوز أن يكون منصوباً بفعل مضمر على الاشتغال؛ أي: وليخلصن الذين آمنوا من سيئاتهم. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٠).

لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا

لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ بعَمَلِ الصَّالِحات، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ﴾ بِمَعنَى حَسَن - ونَصبُه بِنَزعِ الخافِض الباء - ﴿ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وهو الصالِحاتُ.

﴿٨﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أي: إيصاءً ذا حُسنٍ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾) أي: لا نُؤاخذهم بها، وهذا ظاهرٌ في غير المعصومين، وأمَّا المعصومون.. فلا سيئات لهم، فما معنى تكفيرها؟

أجيب: بأنَّ الكلام على الفَرض والتقدير، يعني: أنه لو وجدت منهم سيئاتٌ.. تُكفَّر، أو المرادُ بالسيئات: خلافُ الأولى على حسب مَقامهم، ومن هنا قيل: إنَّ حسناتِ الأبرار سيئاتُ المقرَّبين.

قوله: (بمعنى: حسَن) فاسم التفضيل ليس على بابِه؛ لأنه يوهم أنهم يجازون على الأحسن، لا على الحسن، وقد يقال: المراد بالأحسَن: الثواب الواقع في مقابلة الأعمال الصالحة، فالمعنى عليه حينئذٍ: نضاعف لهم الثواب في نَظير أعمالهم الصالحة، فتأمَّل.

قوله: (﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾) سبب نزولها هي وآية (لقمان) و(الأحقاف): أنَّ سعد بن أبي وقاص ﷺ أحَد العشرة المشبرين بالجنة والسابقين إلى الإسلام لما أسلم.. آلت أمُّه حمنةُ بنت أبي سفيان ألَّا تأكل ولا تشربَ ولا تستظلَّ بسقفٍ حتى تموتَ أو يكفرَ سعدٌ بمحمَّد، فأبى سعدٌ أن يُطيعها، فصبرت ثلاثة أيام لا تأكل ولا تشرب ولا تستظل حتى غشيَ عليها، فأتاها وقال لها: والله لو كان لكِ مئةُ نَفْسٍ فخرجَتْ نَفْساً نَفْساً.. ما كفرتُ بمحمَّد ﷺ، فإن شئتِ.. فكلي، وإن شئتِ.. فلا تأكلي، فلمَّا رأت ذلك.. أكلَت، فنزلت الآية بالوصية عليها[١].

وإنما أمر الله الأولاد ببرٍّ والديهم دُون العكس؛ لأنَّ الأولاد جُبِلُوا على القَسوة وعدم طاعة الوالدين، فكلَّفهم الله بما يخالف طَبعهم، والآباء مجبولون على الرحمة والشفقة بالأولاد، فوكلهم الله لما جُبِلُوا عليه.

قوله: (أي: إيصاءً ذا حُسن) أشار بذلك إلى أن ﴿حُسْنًا﴾ صفة لمصدر محذوف على حذف مضاف، ويصح أن يَبقى على مصدريَّته مبالغةً على حدِّ: زيد عدل.

---

(١) رواه مُسلم بنحوه (١٧٤٨).

وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ....

بِأن يَبرَّهما، ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ﴾: بِإشراكِه ﴿عِلْمٌ﴾: مُوافَقةٌ لِلواقِعِ فلا مَفهُومَ لَه، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ في الإشراكِ، ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فأُجازِيكُم بِه.

﴿٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّٰلِحِينَ﴾: الأنبِياء والأولِياء بِأن نَحشُرَهُم مَعَهُم.

حاشية الصاوي

قوله: (بأن يبرَّهما) أي: يحسنَ إليهما، وأوجُه البرِّ كثيرة جدًّا؛ منها: لِين الجانب، والخدمة، وبذل المال لهما، وطاعتهما في غير معاصي الله، وغير ذلك.

قوله: (﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾) أتى هنا باللام، وفي (لقمان) بـ(على) حيث قال: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي﴾ [لقمان: ١٥]؛ لأنَّ ما هنا موافقٌ لما قبله في قوله: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾، وما في (لقمان) ضمَّن ﴿جَٰهَدَاكَ﴾ معنى: حملاك.

قوله: (﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾) (ما): مفعول (تشرك) أي: إلهاً لا علم لك به.

قوله: (موافقة للواقع) علةٌ لمحذوف تقديره: ذكر هذا القيد مُوافقة للواقع؛ أي: بأنَّ الواقع أن الإله واحد، فليس إلهٌ لك به علم، وإله لا عِلم لك به، وأمَّا الأصنام.. فإشراكها مع الله في العبادة ضررٌ وسخافةُ عقل؛ إذ لو تأمَّل الكافر أدنى تأمُّل.. ما علم إلهاً غير الله ولا ظنَّه ولا توهَّمه.

قوله: (﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾) فيه وعدٌ حسنٌ لمن برَّ بوالديه واتَّبع الهدى، ووعيدٌ لمن عقَّ والديه واتَّبع سبيل الرَّدى.

قوله: (﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾) أي: بالصالح والسيِّئ، فيَترتب على كلٍّ جزاؤه.

قوله: (﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾... إلخ) (الذين): اسم موصول مبتدأ، و﴿ءَامَنُوا﴾: صلته، وقوله: ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ﴾.. إلخ﴾ خبره[1].

قوله: (بأن نحشرهم معهم) أي: يوم القيامة، بل ويَجتمعون بهم في البرزخ؛ إذا مات المؤمن

(١) أي: الجملة القسمية مع الجواب، ويجوز أن يكون منصوباً بفعل مُضمر على الاشتغال.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ ....

(١٠) ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أذاهُم لَهُ ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ في الخوف مِنهُ، فيُطِيعهُم فيُنافِق، ﴿وَلَئِن﴾ - لامُ قَسَم - ﴿جَآءَ نَصْرٌ﴾ لِلمُؤمِنين ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ فغَنِمُوا ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ - حُذِفَت مِنهُ نُون الرَّفع لِتَوالِي النُّونات، والواوُ ضَمِير الجَمع ....

حاشية الصاوي

الصالح.. اجتمعت روحه بمن أحبَّ من الأنبياء والأولياء حتى تقوم القيامة، فحينئذٍ يكون مرافقاً لهم في الدرجات العالية، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

قوله: (﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾... **إلخ**) لما بيَّن حالَ المؤمنين والكافرين فيما تقدَّم.. بيَّن هنا حال المنافقين، وهم مَن أظهروا الإسلام وأخفَوا الكفر.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾: خبر مقدَّم، و﴿مَن يَقُولُ﴾: مبتدأ مؤخَّر، وقوله: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ...﴾ إلخ: مقول القول.

قوله: (﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾) أي: آذَوه الكفار على إظهار الإيمان[1].

قوله: (﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾) أي: لم يَصبر على الأذى، بل ترك الدين، والتشبيه من حيث إنَّ عذاب الله مانعٌ للمؤمنين من الكفر، فكذلك المنافقون جَعلوا أذاهم مانعاً لهم من الإيمان، وكان يمكنهم الصبر على الأذى إلى حدِّ الإكراه، وتكون قلوبهم مطمئنة بالإيمان.

قوله: (ليطيعهم[2]) أي: ظاهراً وباطناً، وأما المكره.. فقد أطاع ظاهراً، لا باطناً، والمؤاخذة مرجعها للقلب.

قوله: (**والواوُ... إلخ**) عطف على (نون الرفع)، سلِّط عليه قوله: (حُذِفَ منه).

---

(١) كذا في (أ): (آذوه الكفار) على لغة: (يتعاقبون فيكم ملائكة)، وفي (ط٢): (آذاه الكفار).

(٢) في (ط٢): (فيطيعهم).

إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْۖ ....

لِالتِقاء السَّاكِنَينِ ـ ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْۚ﴾ في الإيمانِ فأَشرِكُونا في الغَنِيمة، قال تَعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ أي: بِعالمٍ ﴿بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: قُلُوبِهِم مِن الإيمان والنِّفاقِ؟ بَلى.

﴿١١﴾ ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِقُلُوبِهِم، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فيُجازِي الفَرِيقَين. ـ واللَّام في الفِعلَينِ لام قَسَم ـ.

﴿١٢﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا﴾: دِينَنا، ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ في اتِّباعِنا إن كانَت، والأمرُ بِمَعنى الخبَر، قال تَعالى: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في ذَلك.

﴿١٣﴾ ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾: أوزارَهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْۖ﴾ بِقَولِهِم لِلمُؤمِنين: اتَّبِعُوا

حاشية الصاوي

قوله: (لالتقاء الساكنين) أي: ولوجود الضمَّة دليلاً عليها.

قوله: (﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْۚ﴾ في الإيمان) أي: وإنَّ الذي وقع منا إنما هو على سبيل الإكراه.

قوله: (أي: بعالم) أشار بذلك إلى أنَّ التفضيل في صفات الله وأسمائه ليس مراداً.

قوله: (﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾... إلخ) أي: ليَظهر متعلَّق علمه للناس فيفتضح المنافق، ويظهر شرف المؤمن الخالص.

قوله: (إن كانت) أي: على فرض حصولها، وإلا.. فهم ليسوا مسلِّمين أنَّ في اتباعهم خطايا.

قوله: (والأمر بمعنى الخبر) أي: فالمعنى: ليكن منكم الاتباع ومنَّا الحمل.

قوله: (﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْۖ﴾) أي: لأنَّ الدَّالَّ على الشرِّ كفاعله من غير أن يَنْقُصَ من وزر الأتْبَاعِ شيءٌ.

وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ ....

سَبِيلَنا وإضلالِهِم مُقلِّدِيهِم، ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾: يَكذِبُون على الله سُؤالَ تَوبيخ. - واللّامُ في الفِعلَينِ لام قَسَم، وحُذِف فاعِلُهما الواو ونُونُ الرَّفع -.

﴿١٤﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ وعُمُره أربَعُون سَنة أو أكثَر، ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ يَدعُوهُم إلى تَوحِيد الله فكذَّبُوهُ، ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ أي: الماءُ الكَثِير

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾) أي: يَختلقون من الأباطيل التي من جملتها قولهم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا...﴾ إلخ.

قوله: (﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾... إلخ) لما قدَّم سبحانه وتعالى تكاليف هذه الأمَّة، وبيَّن أنَّ مَنْ أطاع فله الجنة، ومَن عصى فله النار.. بيَّن هنا أن هذه التكاليف ليست مختصَّةً بهذه الأمَّة، بل من قبلهم كانوا كذلك.

وتقدَّم أن نوحاً اسمه: عبد الغفار، وقيل: يشكر، وكان يسمَّى السكن؛ لأنَّ الناس بعد آدم سكنوا إليه، فهو أبوهم، ولقِّب بنوح؛ لكثرة نَوْحِهِ على قومه، وقيل: على خَطيئته؛ لما روي: أنه مرَّ بكلب فقال في نفسه: ما أقبحه، فأوحى الله إليه: أعِبتني أم أعبت الكلب، اخلُق أنتَ أحسن منه؟[1].

ونوح هو: ابن لَمْكَ بن مَتُّوشَلَخَ بن إدريس بن يرد بن أهاليل بن قينان بن أَنُّوشَ بن شيث بن آدم عليه السلام.

قوله: (وعمره أربعون سنة أو أكثر) تقدَّم أنه اختلف في الأكثر؛ فقيل: بُعِثَ على رأس خمسين، وقيل: مئتين وخمسين، وقيل: مئة سنة، وقيل: غير ذلك.

قوله: (﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ﴾... إلخ) الحكمة في ذكر لُبثه هذه المدة: تسليته ﷺ على عدم دخول الكفار في الإسلام، فكأنَّ الله يقول لنبيِّه ﷺ: لا تحزن؛ فإنَّ نوحاً لبث هذا العدد الكثير ولم يؤمن من قومه إلا قليلٌ، فصبِر وما ضجر، فأنتَ أولى بالصبر؛ لقلة مُدة مكثك وكثرة مَنْ آمن مِنْ قومك.

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٣/ ٢٤٠)، و«زاد المسير» لابن الجَوزي (١/ ٢٧٤).

وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ....

طافَ بِهِم وعَلاهُم فغَرِقُوا، ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: مُشرِكُون.

﴿١٥﴾ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي: نُوحاً ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ أي: الَّذِينَ كانُوا مَعهُ فِيها، ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً﴾: عِبرةً ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: لِمَن بعدَهم مِن النَّاس إن عَصَوا رُسُلَهم. وعاشَ نُوح بعدَ الطُّوفان سِتِّين سنة أو أكثَرَ، حتى كثُر الناس.

﴿١٦﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾: خافُوا عِقابَه، ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِمَّا أنتُم علَيهِ مِن عِبادةِ الأصنام، ....

حاشية الصاوي

والحكمة في المغايَرة بين العام والسنة: التفنُّن، وخصَّ لفظ العام بالخمسين؛ إشارةً إلى أنَّ نوحاً لما غرقوا.. استراح وبقي في زمن حسَن، والعرب تعبِّر عن الخصب بالعام، وعن الجَدب بالسنة.

قوله: (طاف بهم وعلاهم) أي: أحاط بهم وارتفع فوق أعلى جبل أربعين ذراعاً.

قوله: (الذين كانوا معه فيها) قيل: كانوا أربعين رجلاً، وأربعين امرأة، وقيل: تسعةٌ؛ أولاده الثلاثة وستَّةٌ من غيرهم، وقيل غير ذلك.

قوله: (ستين أو أكثر) قيل: عاش بعد الطوفان مئتين وخمسين سنة.

قوله: (﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾) قرأ العامَّة بالنصب، عطف على ﴿نُوحًا﴾، أو معمول لمحذوف كما درج عليه المفسِّر حيث قدَّر (اذكر)، وقرئ شذوذاً بالرفع على أنه مبتدأ، والخبر محذوف تقديره: ومن المرسلين إبراهيمُ[1].

قوله: (﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾) أي: امتثلوا ما يأمركم به على لسان نبيِّكم.

قوله: (﴿وَٱتَّقُوهُ﴾) أي: اجتنبوا نواهيَهُ.

قوله: (﴿ذَٰلِكُمْ﴾) أي: ما ذُكِرَ من العبادة والتقوى.

قوله: (﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما أنتم عليه... إلخ) أي: في زعمكم أنَّ فيه خيراً، والأحسن أن يقال: ذلكم خيرٌ لكم من جميع الحظوظات المعجَّلة.

---

(١) وبها قرأ النخعي وأبو جعفر وأبو حنيفة. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٤).

إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ ....

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخيرَ مِن غيره.

﴿١٧﴾ ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾: تقولون كذباً: إنَّ الأوثان شُركاءُ لله، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾: لا يقدِرُون أن يرزُقوكُم، ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾: اطلُبوه مِنه، ﴿وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾ أي: تُكذِّبوني يا أهلَ مكَّةَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (الخير) أي: وهو عبادة الله، وقوله: (من غيره) أي: وهو عبادة غيره.

قوله: (﴿أَوْثَـٰنًا﴾) جمع وثن، وهو ما يصنع من حجر أو غيره؛ ليتَّخذ معبوداً.

قوله: (﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾) أي: تَختلقونه وتخترعونه.

قوله: (﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾) أي: لا يَستطيعون ذلك؛ لعجزهم وعدم قُدرتهم عليه.

قوله: (فاطلبوه منه) أي: ولا تَطلبوه من غيره؛ لأنه تكفَّل لكلِّ دابَّة برزقها، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

قوله: (﴿وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾) أي: لأنَّ بالشكر تَزداد النعم، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

قوله: (﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾) أي: تُردُّون؛ فيثيب الطائع، ويعذِّب العاصي.

قوله: (﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾) شرطٌ حذف جوابه، تقديره: فلا يَضرني تكذيبكم، وإنما تضرون أنفسكم، وقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ دليلُ الجواب.

فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ....

﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ مَن قَبلِي، ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: إلَّا البَلاغُ البَيِّن. في هاتَينِ القِصَّتَينِ تَسلِيةٌ لِلنَّبيِّ ﷺ. وقال تعالى في قَومِه:

﴿١٩﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ - بِالياء والتَّاء -: يَنظُرُوا ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ - هو بِضَم أوَّلِه، وقُرِئَ بِفَتحِه مِن (بَدَأ) و(أبدَأ) بِمَعنًى - أي: يَخلُقُهم ابتِداءً، ....

حاشية الصاوي

ومن هنا إلى قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦ﴾ جملٌ معترضةٌ بين كلام إبراهيم وجواب قَومه له؛ إشارةً إلى أنَّ المقصود بالخطاب أمَّة محمد ﷺ[١].

قوله: (مَنْ قبلي) (مَن): اسم موصول مفعول ﴿كَذَّبَ﴾، والمعنى: فلم يضرَّ الرسلَ تكذيبُ قومهم لهم.

قوله: (في هاتين القصتين) أي: قِصة نوح وإبراهيم.

قوله: (وقد قال تعالى) أي: ردًّا على مُنكري البعث.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[٢].

قوله: (﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾... إلخ) لما تقدَّم ذكر التوحيد وذكر الرسالة.. ذكر الحشر، وهذه الأُصول الثلاثة يجب الإيمان بها، ولا يَنفكُّ بعضها عن بعض.

قوله: (وقرئ بالفتحة) أي: شذوذاً[٣].

قوله: (من: بدأ وأبدأ) لفٌّ ونشرٌ مشوَّش.

---

(١) ويحتمل أن تكون من جملة قول سيدنا إبراهيم عليه السلام لِقَومه، والمراد بالأُمَم قبله: قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم، فلا اعتراض. انظر «تفسير النسفي» (٢/ ٦٠٨).

(٢) قرأ الأخوان وأبو بكر بالخطاب، على خطاب إبراهيم لِقومه بذلك، والباقون بالغيبة ردًّا على الأُمَم المكذبة. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٥).

(٣) وبها قرأ الزبيري وعيسى وأبو عمرو بخلاف عنه. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٥).

ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١٩﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ....

﴿ثُمَّ﴾ هو ﴿يُعِيدُهُۥٓۚ﴾ أي: الخَلق كما بَدَأهُم، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المَذكُور مِن الخَلقِ الأوَّل والثَّاني ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ فكيفَ يُنكِرُون الثَّاني؟!

(﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾) ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ﴾ لِمَن كانَ قبلكُم وأماتَهُم، ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ - مَدًّا، وقَصراً مَع سُكُون الشِّين - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ ومِنهُ البَدءُ والإعادةُ، ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تَعذِيبَه، ﴿وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ﴾ رَحمَته، ﴿وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ﴾: تُرَدُّون.

﴿٢٢﴾ ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ ربَّكُم عن إدراكِكُم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾ لَو كُنتُم فِيها، أي: لا تَفُوتُونَه، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيره ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ثُمَّ﴾ هو ﴿يُعِيدُهُۥٓۚ﴾) قدَّر الضمير؛ إشارةً إلى أن الجملة ليست معطوفةً على ما قبلها، بل هي مستأنفة[1].

قوله: (﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾) أمرٌ من الله لمحمَّد ﷺ بأن يقول لمنكري البعث ما ذكر؛ ليشاهدُوا كيف أنشأ الله جميع الكائنات، ومَن قدر على إنشائها بدءاً.. يقدر على إعادتها.

قوله: (مع سكون الشين) راجعٌ للقصر، والقراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾) أي: في الدنيا والآخِرة، وقوله: ﴿وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ﴾ أي: فيهما فلا يسأل عمَّا يفعل.

قوله: (لو كنتم فيها) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالأرض والسماء حقيقتُهما، ويصحُّ أن يرادَ بهما جهةُ السفل والعُلو.

---

(١) لأن إعادة الخلق لم تقع بعد فيقرروا برؤيتها، ويُؤيد الاستئناف فيه قولُه تعالى على عقب ذلك: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾. انظر «مغني اللبيب» (٨١٨/٢).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «النشاءة» بالمد هنا و(النجم) وفي (الواقعة)، والباقون بالقصر مع سكون الشين. انظر «الدر المصون» (١٦/٩).

مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ....

﴿مِن وَلِيٍّ﴾ يمنَعُكم مِنهُ ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينصُركم مِن عَذابِهِ.

﴿٢٣﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ أي: القُرآنِ والبَعث ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ أي: جَنَّتي، ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِم.

﴿٢٤﴾ قال تَعالى في قِصَّة إبراهيمَ: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ التي قَذَفُوهُ فِيها بِأن جَعَلَها عليهِ بَرداً وسلاماً، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: إنجائِه مِنها ﴿لَـَٔايَـٰتٍ﴾ هي عَدَم تأثيرها فِيه مَع عِظَمها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: القرآن والبعث) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب؛ فالأول راجع للآيات، والثاني راجع للقاء.

قوله: (﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾) أي: يوم القيامة، وعبَّر بالماضي؛ لتحقُّق وقوعه.

قوله: (﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ﴾... إلخ) أي: لم يكن جواب قوم إبراهيم له حين أمرهم بعبادة الله وتَرْكِ ما هم عليه من عبادة الأوثان جزاءً لما صدر منه من النصيحة إلا ذلك؛ فإنَّ النفس الخبيثةَ أبت ألَّا تخرج من الدنيا حتى تسيء إلى مَنْ أحسن إليها.

وهذا الكلام واقعٌ من كبارهم لِصغارهم؛ لأنَّ الشأن أنَّ الآمر بالقتل أو التحريق يكون من الكبار، والذي يَتولى ذلك الصغار، وإنما أجابوا بذلك عناداً بعد ظُهور الحجة منه.

قوله: (﴿أَوْ حَرِّقُوهُ﴾) أتى هنا بالترديد، واقتصر في (الأنبياء) على أحدِ الأمرين[1]، وهو الذي فعَلوه؛ إشارةً إلى أنَّ ما هنا حكاية عن أصل تَشاورهم، وما في (الأنبياء) عن عزمهم وتصميمهم على ما فعَلوه.

قوله: (﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾) في الكلام حذفٌ، والتقدير: فقذفوه في النار فأنجاه الله... إلخ، وإلى هذا أشار المفسِّر بقوله: (التي قذفوه فيها).

قوله: (هي) أي: الآيات.

---

(١) في قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ﴾.

لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ ....

وإخمادُها وإنشاءُ رَوضٍ مَكانَها في زَمَن يَسِير، ﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾: يُصَدِّقُون بِتَوحِيدِ الله وقُدرَتِه؛ لِأَنَّهُم المُنتَفِعُون بها.

﴿٢٥﴾ ﴿وَقَالَ﴾ إبراهِيمُ: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا﴾ تَعبُدُونها، ـ و(ما) مصدرِيَّة ـ ﴿مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ﴾ ـ خَبَر (إنَّ)، وعلى قِراءة النَّصب مَفعُولٌ لَه، و(ما) كافَّة ـ المَعنى: تَوادَدتُم

حاشية الصاوي

قوله: (وإخمادها) أي: سكونُ لهبها مع بقاء جمرها، وأما الإهماد.. فهو طفءُ النار بالمرَّة.

قوله: (في زمن يسير) أي: مِقدار طرفة عين.

قوله: (لأنهم المنتفعون) علةٌ لمحذوف، والتقدير: خصُّوا بالذكر؛ لأنهم... إلخ.

قوله: (﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم) عطف على قوله: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ﴾.

قوله: (﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا﴾) (إنَّ): حرف توكيد ونصب، و(ما): مصدرية، و﴿ٱتَّخَذۡتُم﴾: صِلتها مَسبوكة بمصدر اسم (إنَّ)، و﴿أَوۡثَٰنٗا﴾: مفعول أول، والمفعول الثاني محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (تَعبدونها)، و(مَودةُ): خبر (إنَّ)، و﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: حال من ﴿أَوۡثَٰنٗا﴾، وهذا على قراءة الرفع. وقوله: (وعلى قراءة النصب مفعول له، و«ما» كافة) أي: سواء قُرئ بتنوين (مودة) ونصب (بينكم)، أو بعدم التنوين وخَفض (بينكم). و(اتخذ)؛ إما مُتعد لواحد، أو لاثنين والثاني هو قوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

ويصح أن تكون (ما) اسماً موصولاً، و﴿ٱتَّخَذۡتُم﴾: صِلته، والعائد محذوفٌ، والتقدير: إنَّ الذي اتَّخذتموه من دون الله أوثاناً تعبدونها لأجل المودَّة بينكم[1]، فتحصَّل أن القراءات ثلاث: الرفع مع جرِّ (بينكم)، والنصب مع جرِّ (بينكم)، وفتحها، وكلُّها سبعيٌّ[2].

---

(١) في (ب): زيادة: (ونقل عن عاصم أنه رفع «مودة» غير منونة ونَصب «بينكم»، وخرجت على إضافة «مودة» للظرف، وإنما بني؛ لإضافته إلى غير مُتمكِّن؛ كقراءة: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾ بالفتح إذا جعل «بينكم» فاعلاً)، وقد ذكرت في أصل (أ) ولكن وضع عليها علامة الشطب.

(٢) في (ط٢): (فتحصل أن القراءات أربع: الرفع مع جر «بين» وفتحها، والنصب مع جر «بين» وفتحها، وكلها سبعي)، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي برفع «مودة» غيرَ منونة وجرِّ «بينكم»، ونافع وابن عامر وأبو بكر بنصب «مودة» منوَّنة ونصب «بينكم»، وحمزة وحفص بنصب «مودة» غير منوَّنة وجرِّ «بينكم». انظر «الدر المصون» (٩/ ١٨).

فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ ....

على عِبادَتها ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾: يَتبرَّأ القادةُ مِن الأتباع، ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: يلعَن الأتباعُ القادةَ، ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ﴾: مَصيرُكم جَميعاً ﴿ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مانِعين مِنها.

﴿٢٦﴾ ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ﴾: صدَّق بإبراهيمَ ﴿لُوطٌ﴾ وهو ابنُ أخِيهِ هارانَ، ﴿وَقَالَ﴾ إبراهِيم: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ مِن قَومِي ﴿إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ أي: إلى حيثُ أمَرَني ربِّي، وهَجَرَ قَومَه وهاجَرَ مِن سَواد العِراق إلى الشَّام، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في مُلكِه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنعِه.

﴿٢٧﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ بعدَ إسماعيلَ ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بعدَ إسحاقَ، ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (المعنى) أي: الحاصل من تِلك القراءات.

قوله: (يتبرأ القادة) أي: يُنكرونهم ويقولون لهم: لا نَعرفكم.

قوله: (صدَّق بإبراهيم) أي: بنبوَّته وإن كان مؤمناً قبل ذلك، ويَجب الوقف على ﴿لُوطٌ﴾؛ لأنَّ قوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من كلام إبراهيم؛ فلو وُصل.. لتوهم أنه من كلام لوط.

قوله: (أي: إلى حيث أمرني ربي) دفع بذلك ما يُتوهم من ظاهر اللفظ إثبات الجهة له سبحانه وتعالى.

قوله: (وهاجر من سواد العراق) أي: فنزل بِحران هو وزوجته سارة ولوط ابن أخيه، ثم انتقل منها فنزل بفلسطين، ونزل لوط بسذوم، وكان عمر إبراهيم إذ ذاك خمساً وسبعين سنة.

قوله: (﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾) أي: بعد هِجرته.

قوله: (بعد إسماعيل) أي: بأربع عشرة سنة.

قوله: (﴿فِي ذُرِّيَّتِهِ﴾) أي: إبراهيم.

وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ ....

فكُلُّ الأنبياء بعدَ إبراهيم مِن ذُرِّيَّته، ﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾ بِمَعنَى الكُتُب، أي: التَّوراةَ والإنجِيلَ والزَّبُور والفُرقان، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ وهو الثَّناء الحَسَن في كُلِّ أهل الأديانِ، ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الَّذِينَ لَهُم الدَّرجاتُ العُلى.

﴿٢٨﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَئِنَّكُمْ﴾ - بِتَحقيقِ الهَمزتَينِ، وتَسهيل الثَّانية وإدخالِ ألِف بَينهما على الوَجهَينِ في المَوضِعَينِ - ﴿لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي: أدبارَ الرِّجال ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: الإنسِ والجِن.

﴿٢٩﴾ ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾: طَريقَ المارَّة بِفِعلِكُم الفاحِشةَ بِمَن يَمُرُّ بِكُم، فتَرَكَ النَّاس المَمَرَّ بِكُم، ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ﴾ أي: مُتحدَّثكم ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذُريته) أي: لانحصار الأنبياء في إسماعيل وإسحاق ومدين جدِّ شعيب.

قوله: (وهو الثناء في كل أهل الأديان) أي: فجَميع أهل الأديان يحبُّونه ويذكرونه بخيرٍ، وينتمون إليه.

قوله: (﴿لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾) أي: الكامِلين في الصلاح.

قوله: (﴿وَلُوطًا﴾) معمول لمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (اذكر).

قوله: (﴿لِقَوْمِهِۦٓ﴾) أي: أهل سَذوم وتوابعها.

قوله: (وإدخال ألف بينهما) أي: وعدمه، فالقراءات أربعٌ سبعيَّاتٌ[1].

قوله: (الإنس والجن) أي: مِن عهد آدم إلى قوم لوط.

قوله: (بفعلكم الفاحشة بمن يمرُّ بكم) قيل: إنهم كانوا يجلسون في مَجالسهم وعند كلِّ رجل

---

(١) قال السمين الحلبي في شرح هذه المواضع في القراءات: (ما في سورة «العنكبوت»، وحكمه: أن نافعاً وابن كثير وابن عامر وحفصاً يخبرون في الأول ويَستفهمون في الثاني، وأن الباقين يستفهمون فيهما). انظر «الدر المصون» (٧/١٨).

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ ....

فِعلَ الفاحِشة بَعضُكُم بِبَعضٍ، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في استِقباح ذلك وأنَّ العَذابَ نازِل بِفاعِليه.

﴿٣٠﴾ ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ بِتَحقيقِ قَولِي في إنزالِ العَذاب ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: العاصِينَ بِإتيانِ الرِّجال، فاستَجابَ الله دُعاءَهُ.

﴿٣١﴾ ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بِإسحاقَ ويَعقُوب بعدَه، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ أي: قَريةِ لُوط، ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾: كافِرِين.

﴿٣٢﴾ ﴿قَالَ﴾ إبراهِيم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُواْ﴾ أي: الرُّسُل: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ ....

حاشية الصاوي

منهم قصعةٌ فيها حصى، فإذا مرَّ بهم عابر سبيل.. حذَفوه، فأيُّهم أصابه كان أولى به، فيَأخذ ما معه وينكحه ويُغرمه ثلاثة دراهم، ولهم قاض بذلك.

قوله: (فعل الفاحشة) أي: والضراط وكَشف العورات وغير ذلك من القبائح.

قوله: (﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا﴾) أي: على سبيل الاستهزاء.

قوله: (بإتيان الرجال) أي: وفِعل بقيَّة الفواحش.

قوله: (فاستجاب الله دُعاءه) أي: فأمر الملائكة بإهلاكهم، وأرسَلهم مبشرين ومنذرين، فبشروا إبراهيم بالذريَّة الطيِّبة، وأنذروا قوم لوطٍ بالعذاب.

قوله: (بإسحاق ويعقوب) أي: وبهلاك قوم لوط.

قوله: (﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾) هذا بعض المجادلة التي تقدَّمت في قوله: ﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾؛ حيث قال لهم: أتُهلكون قرية فيها ثلاث مئة مؤمن؟ قالوا: لا، إلى أن قال: أفرأيتم إن كان مُؤمن واحد؟ قالوا: لا، قال: إن فيها لوطاً، قالوا: نحن أعلَم بمن فيها.

وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا ....

ـ بِالتَّخفِيف والتَّشدِيد ـ ﴿وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: الباقِينَ في العَذاب.

﴿٣٣﴾ ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ﴾: حَزِنَ بِسَبَبِهِم، ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: صَدراً لأنَّهُم حِسانُ الوُجُوه في صُورة أضيافٍ، فخافَ علَيهِم قَومَه، فأعلَمُوهُ أنَّهم رُسُل ربِّه، ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ ـ بِالتَّشدِيدِ والتَّخفِيف ـ ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ ـ ونَصب (أهلك) عَطف على مَحَلِّ الكاف ـ.

﴿٣٤﴾ ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾ ـ بالتَّخفِيفِ والتَّشدِيد ـ ﴿عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾: عَذاباً

حاشية الصاوي

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (الباقين في العذاب) أي: الذين لم يَخلصوا منه؛ لأنَّ الدَّالَّ على الشرِّ كفاعله، وهي قد دلَّت القوم على أضيافِ لوط، فصارت واحدةً منهم بسبب ذلك.

قوله: (﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ﴾) (أنْ): زائدة للتوكيد.

قوله: (حزن بسببهم) أشار بذلك إلى أنَّ الباء في ﴿بِهِمْ﴾ سببيَّة.

قوله: (﴿ذَرْعًا﴾) تمييز محوَّل عن الفاعل؛ أي: ضاق ذَرعه، وقوله: (صدراً) تفسيرٌ لحاصل المعنى، وإلَّا.. فالذرع معناه: الطاقة والقُوة.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (على محل الكاف) أي: وهو النصب على أنها مفعول (منجُّو).

قوله: (عذاباً) قيل: حجارة، وقيل: نار، وقيل: خسف، وعليه: فالمراد بكونه من السماء: أنَّ الحكم به من السماء.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بسكون النون الثانية وتخفيف الجيم بعدها، والباقون بفتح النون وتشديد الجيم بعدها. انظر «السراج المنير» (٣/ ١٣٧).

(٢) قرأ المكي وشعبة والأخوان ويعقوب وخلف بالتخفيف، وغيرهم بالتشديد. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٤٥).

مِنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةً لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ ....

﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا﴾: بِالفِعلِ الذِي ﴿كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ بِه أي: بِسَبَبِ فِسقِهِم.

﴿٣٥﴾ ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةً﴾: ظاهِرةً هي آثارُ خَرابِها ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾: يَتدبَّرُون.

﴿٣٦﴾ ﴿وَ﴾ أرسَلْنا ﴿إِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾: اخشَوهُ، هو يَوم القِيامة، ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ ـ حال مُؤكِّدة لِعامِلِها، مِن (عَثِيَ) بِكسرِ المُثلَّثة: أفسَدَ ـ.

﴿٣٧﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (هي آثار خرابها) وقيل: هي الحجارة التي أُهلكوا بها، أبقاها الله عزَّ وجلَّ حتى أدركتها أوائل هذه الأمَّة، وقيل: هي ظهور الماء الأسود على وجه الأرض.

قوله: (﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾) متعلق بـ﴿تَّرَكۡنَا﴾، أو بـ﴿بَيِّنَةً﴾، وخصَّهم؛ لأنهم المنتفعون بالاتِّعاظ بها.

قوله: (﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ﴾) متعلق بمحذوف معطوف على ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾ في قصة نوح.

قوله: (﴿أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا﴾) أي: لأنه من ذريَّة مَدين بن إبراهيم، الذي هو أبو القبيلة، فكما هو منسوب لمدين هم كذلك.

قوله: (﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾) أي: وحِّدوه.

قوله: (﴿وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾) يصح أن يَبقى الرجاء على معناه، ويكون المعنى: ارجوا رحمة الله في اليوم الآخر، ويصح أن يكون بمعنى: خافوا، والمعنى: خافُوا عقاب الله في اليوم الآخر، وإليه يشير المفسِّر بقوله: (اخشَوه).

قوله: (من «عَثِيَ» بكسر المثلثة) أي: من باب (تعب)، ويصح أن يكون من باب (قال).

قوله: (﴿فَكَذَّبُوهُ﴾) إن قلتَ: مقتضى الظاهر أن يقال: فلم يَمتثلوا أوامره؛ لأنَّ التكذيب إنما يكون في الإخبار.

فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: الزَّلزلةُ الشَّدِيدة، ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: بارِكِينَ على الرُّكَب مَيِّتِين.

﴿٣٨﴾ ﴿وَ﴾ أهلَكنا ﴿عَادًا وَثَمُودَا۟﴾ - بِالصَّرف وتَركِه، بِمَعنَى الحَيِّ والقَبِيلة - ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ إهلاكُهم ﴿مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ بِالحِجْرِ واليَمَن، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ مِن الكُفر والمَعاصِي ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: سَبِيل الحَقِّ، ﴿وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾: ذَوِي بَصائر.

حاشية الصاوي

أجيب: بأنَّ ما ذكره من الأمر والنهي متضمِّنٌ للخبر، كأنه قِيل: اللهُ واحدٌ فاعبدوه، والحشرُ كائنٌ فارجوه، والفسادُ محرَّمٌ فاجتَنِبوه، فالتكذيب راجع إلى الإخبار.

قوله: (﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾) أي: الزلزلة التي نشأت من صيحة جبريل عليهم، وتقدَّم في (هود): ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾، ولا منافاة بين الموضعين؛ فإنَّ سبب الرجفة الصيحة، والرجفةُ سببٌ في هلاكهم، فتارةً يضاف الأخذ للسبب، وتارةً لسبب السبب.

قوله: (بالصرف وتركه) راجع لثمود فقط، وقوله: (بمعنى الحي والقبيلة) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب، فكونه بمعنى الحي يكون اسمَ جنسٍ لم تُوجد فيه العَلمية التي هي إحدى علَّتي منع الصرف، وكونه بمعنى القبيلة يكون علمَ شخصٍ على أبي القبيلة، فقد وُجدت فيه العلَّتان.

قوله: (إهلاكهم) أشار بذلك إلى أن فاعل ﴿تَّبَيَّنَ﴾ ضميرٌ عائدٌ على الإهلاك.

قوله: (بالحِجْرِ) راجع لثمود، وهو وادٍ بين الشام والمدينة، وقوله: (واليمن) راجع لعاد.

قوله: (﴿وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾) أي: بِواسطة الرسل، فلم يكن لهم عذرٌ في ذلك؛ لأنَّ الرسل بيَّنوا طريق الحقِّ بالحجج الواضحة.

قوله: (ذوي بصائر) أي: عقلاء متمكِّنين من النظر والاستبصار، لكنهم لم يَفعلوا تكبُّراً وعناداً.

وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ......

﴿٣٩﴾ ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿قَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ مِن قبلُ ﴿مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: الحُجَجِ الظَّاهِرات ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾: فائِتِينَ عذابَنا.

﴿٤٠﴾ ﴿فَكُلًّا﴾ مِن المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾: رِيحاً عاصِفةً فِيها حَصباء كقَومِ لُوط، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ كثَمُود، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ كقارُونَ، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ كقَوم نُوح وفِرعونَ وقَومِه، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فيُعَذِّبَهُم بِغَيرِ ذَنب، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بِارتِكابِ الذَّنب.

﴿٤١﴾ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: أصناماً يَرجُونَ نَفعَها ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَقَٰرُونَ﴾) قدَّمه على فرعون؛ لِشَرفه عليه لكونه ابنَ عمِّ موسى.

قوله: (﴿وَهَٰمَٰنَ﴾) هو وزير فرعون.

قوله: (﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾) أي: تكبَّروا عن عبادة الله.

قوله: (﴿بِذَنۢبِهِۦ﴾) الباء: سببيَّة؛ أي: بسبب ذنبه.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾) أي: يُعاملهم معاملة ملك ظالم في رعيَّته، وعلى فرض لو عذَّبهم بغير ذنب.. لا يكون ظالماً؛ لأنه الخالق المتصرِّف في مُلكه على ما يريد.

قوله: (يرجون نفعها) هذا هو وجه الشبه؛ أي: فمثل الذين اتخذُوا من دون الله أصناماً يعبدونها في اعتمادهم عليها ورَجائهم نفعها كمثل العنكبوت في اتخاذها بيتاً لا يُغني عنها في حرٍّ ولا برد ولا مطر ولا أذى.

وحملُ المفسِّر الأولياء على الأصنام مخرِجٌ للأولياء بمعنى: المتولين خدمة ربهم؛ فإنَّ اتخاذهم بمعنى: التبرك والالتجاء بهم والتعلُّق بأذيالهم مأمورٌ به، وهم أسبابٌ عاديَّةٌ، تتنزل الرحمات والبركات عندهم لا بهم، خلافاً لمن جَهل وعاند وزعم أنَّ التبرك بهم شركٌ.

كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ ....

﴿كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ﴾ لِنَفسِها تأوِي إلَيه، ﴿وَإِنَّ أَوۡهَنَ﴾: أضعَفَ ﴿ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ﴾ لا يَدفَع عنها حَرًّا ولا بَرداً، كذلك الأصنامُ لا تَنفَع عابِدِيها ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك ما عَبَدُوها.

﴿٤٢﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا﴾ - بِمَعنَى الذِي - ﴿يَدۡعُونَ﴾: يَعبُدُون - بِالياء والتَّاء - ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ غَيره ﴿مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في مُلكِه، ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في صُنعِه.

﴿٤٣﴾ ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ﴾ في القُرآنِ ﴿نَضۡرِبُهَا﴾: نَجعَلُها ﴿لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ﴾ أي: يَفهَمها ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ﴾) هو حيوان معروف، له ثمانية أرجل، وستة أعين، يقال: إنه أقنَعُ الحيوانات، جعل الله رِزقه أحرص الحيوانات وهو الذباب والبَق. ونونه أصلية، والواو والتاء زائدتان؛ بدليل قولهم في الجمع: عناكيب، وفي التصغير: عُنَيكِيب.

قوله: (﴿وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ﴾) الجملة حاليَّة.

قوله: (كذلك الأصنام لا تنفع عابديها) أي: فمَن التجأ لغير الله.. فلا ينفعه شيءٌ، ومن التجأ لله.. وقاه بغير سببٍ، وبسببٍ ضعيفٍ، ومن هنا: وقاية رسول الله ﷺ من الكفَّار حين نزل الغار بالعَنكبوت وبيض الحمام مع كونهما أضعفَ الأشياء[1].

قوله: (ما عبدوها) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ جواب (لو) محذوفٌ.

قوله: (بمعنى: الذي) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿مَا﴾: اسم موصول، وجملة ﴿يَدۡعُونَ﴾: صلتها، والموصول وصلته معمول لـ﴿يَعۡلَمُ﴾.

قوله: (أي: يفهمها) أي: يفهم صحَّتها وفائدتها.

---

(١) حديث نسج العنكبوت رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/٣٤٨) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما، وأما حديث بيض الحمام.. فرواه البزار في «مُسنده» (٤٣٤٤) من حديث زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك رضي الله عنهم.

إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ ....

﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾: المُتدبِّرون.

﴿٤٤﴾ ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: مُحِقًّا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ دالَّة على قُدرَتِه تَعالى ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ خُصُّوا بِالذِّكرِ لِأَنَّهُم المُنتَفِعُون بِها في الإيمان بِخِلافِ الكافِرين.

﴿٤٥﴾ ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ شَرعاً أي: مِن شَأنها ذلك ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾) خصَّهم؛ لأنهم المنتفِعون بذلك، وأما الكافرون.. فيزدادون طغياناً وعتوًّا.

قوله: (محقًّا) أشار بذلك إلى أنَّ الباء في ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ للملابسة، والجارُّ والمجرور حالٌ.

قوله: (خصُّوا بالذكر) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ في خلق السماوات والأرض آيةً لكلِّ عاقل.

قوله: (﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾) أي: ما أوحاه الله إليك بنُزول جبريل به، والمعنى: تقرَّبْ إلى الله بتلاوته وتَرداده أنت وأُمَّتك؛ لأنَّ فيه محاسنَ الآدابِ، ومكارمَ الأخلاقِ.

قوله: (﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾) أي: دُمْ على إقامتها بأركانها وشروطها وآدابها؛ فإنها عماد الدين؛ من أقامها.. فقد أقام الدين، ومَن هدمها.. فقد هدم الدين. والخطاب للنَّبي، والمراد هو وأُمَّته؛ بدليل مَدحهم في آية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ...﴾ [فاطر: ٢٩] الآية.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾) أي: المواظبةَ عليها تكون سبباً في تطهيره من الفحشاء والمنكر إذا استُوفيت شروطها وآدابها؛ لأنَّ الواجب حين الإقبال على الصلاة التَّطهُّرُ من الحدث الحسِّي والمعنوي، وتجديدُ التوبة، فإذا وَقف بين يدي الله وخشع وتذكَّر أنه واقفٌ بين يدي مولاه، وأنه مطَّلعٌ عليه يَراه.. فحينئذٍ يظهر على جَوارحه هيبتها.

وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ ....

ما دامَ المَرءُ فِيها، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ مِن غيرِه مِن الطَّاعاتِ، ....

حاشية الصاوي

وقوله: (ما دام المرء فيها) هذا أحدُ قولين، والقول الصحيح: أنها تنهى عنها في سائر الأوقات؛ لما روي: أنَّ فتى من الأنصار كان يُصلي مع رسول الله ﷺ ثمَّ لا يدع شيئاً من الفواحش إلا ارتكبه، فوصف للنبي ﷺ حاله فقال: «إنَّ الصلاة ستَنهاه»، فلم يلبث أنه تاب وحسُن حاله[1]، وروي عن بعض السلف: أنه كان إذا قام إلى الصلاة.. ارتعد واصفرَّ لونه، فكلِّم في ذلك فقال: إني واقف بين يدَي الله تعالى، وحقَّ لي هذا مع ملوك الدنيا، فكيف مع مَلك الملوك؟!

وأمَّا من كانت صلاته بخلاف ذلك؛ بأن كانت لا خشوعَ فيها ولا تذكُّر.. فإنها لا تكون سبباً في نهيه عن الفحشاء والمنكر، بل يَستمرُّ على ما هو عليه من البعد؛ لما ورد: «مَن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر.. لم تَزده من الله إلا بعداً»[2].

قوله: (﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ﴾) أي: بسائر أنواعه (﴿أَكۡبَرُۗ﴾) أي: أفضلُ الطاعات على الإطلاق؛ لما روي عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مَليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخيرٍ لكم من إعطاء الذهب والوَرِقِ، وخيرٍ لكم من أن تلقَوْا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم ويَضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «ذكر الله»[3].

وروي أنَّ رسول الله ﷺ سُئِلَ: أيُّ العبادة أفضل درجةً عند الله يوم القيامة؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً»، قالوا: يا رسول الله؛ ومِن الغازي في سبيل الله؟ فقال: «لو ضرب بسيفِه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً.. لكان الذاكرون الله كثيراً أفضل منه درجة»[4].

فالذكر أفضل الأعمال، وهو المقصود من تلاوة القرآن ومن الصلاة؛ ولذا وَرد عن الجنيد: أنه كان يأتيه العُصاة يريدون التوبة على يديه فيلقِّنهم الذكر ويأمرهم بالإكثار منه، فتنوَّر قلوبهم.

---

(١) قال العلامة المناوي في «الفتح السماوي» (٢/٨٩٧) عند ذكر القاضي البيضاوي لهذا الحديث: (قال الحافظ ابن حجر: لم أجِده، قال الولي العراقي: لم أقف عليه. وفي «مسند أحمد» والبزار وإسحاق وأبي يعلى عن أبي هريرة: «جاء رجل إلى النبي عليه السلام فقال: إن فلاناً يُصلي بالليل، فإذا أصبح سرق، فقال: إن صلاته ستَنهاه»).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٠٢٥)، والشهاب القضاعي في «مُسنده» (٥٠٩) عن سيدنا ابن عباس ﷺ.

(٣) رواه الترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠).

(٤) رواه الترمذي (٣٣٧٦) عن سيدنا أبي سعيد الخدري ﷺ.

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ....

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ فيُجازِيكُم بِه.

﴿٤٦﴾ ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى﴾ أي: المُجادَلةِ التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ كالدُّعاءِ إلى الله بِآياتِه والتَّنبيه على حُجَجه، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ بِأن حارَبُوا وأبَوا أن يُقِرُّوا بِالجِزيةِ، فجادِلُوهُم بِالسَّيفِ حتَّى يُسلِمُوا أو يُعطُوا الجزيةَ، ﴿وَقُولُوٓاْ﴾ لِمَن قَبِلَ الإقرار بِالجِزيةِ إذا أخبَرُوكُم بِشَيءٍ مِمَّا في كُتُبِهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ ولا تُصَدِّقُوهُم ولا تُكَذِّبُوهُم في ذلك، ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: مُطِيعُون.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾) أي: من خيرٍ وشرٍّ فيُجازيكم عليه.

قوله: (﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾) أي: لا تَدعوهم إلى دين الله إلا بالكلام اللَّين، والمعروفِ والإحسانِ لعلهم يَهتدون، وقوله: (﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾) أي: فادعُوهم إلى دين الله بالإغلاظ والشدَّة، وقاتلوهم حتى يُسلموا أو يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، فهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ...﴾ [التوبة: ٢٩] الآية، وعلى هذا التقرير: فالآية محكَمة، وهو التحقيق[١].

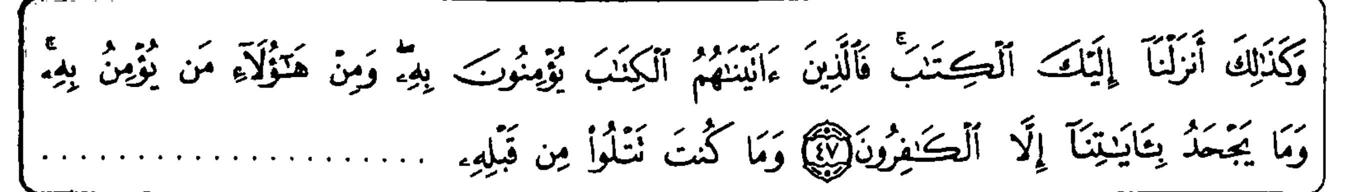
قوله: (بأن حاربوا... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالظلم: الامتناع ممَّا يلزمهم شرعاً، فلا يقال: إنَّ الكلَّ ظالمون؛ لأنهم كفارٌ.

قوله: (أو يعطوا الجزية) أي: يَلتزموا بإعطائها.

قوله: (﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾) أي: لِما روي أنه كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويُفسِّرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: **«لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تُكذبوهم، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾»**... الآية[٢]، وفي رواية:

(١) وقيل: هذه الآية منسوخة بآية القتال، وهي قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ...﴾ الآية. انظر «تفسير القرطبي» (١٣/ ٣٥٠).

(٢) رواه البخاري (٤٤٨٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.



﴿٤٧﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القُرآنَ كما أنزَلنا إلَيهِم التَّوراةَ وغيرَها، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ كعَبدِ الله بن سَلام وغَيرِه ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: بِالقرآنِ، ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: أهل مكَّةَ ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بعدَ ظُهُورِها ﴿إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: اليَهُود، وظَهَرَ لَهُم أنَّ القُرآن حَقٌّ والجائيَ بِه مُحِقٌّ وجَحَدُوا ذلك.

﴿٤٨﴾ ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي: القُرآنِ ....

حاشية الصاوي

«وقولوا: آمنَّا بالله وبكتبه وبرسله؛ فإن قالوا باطلاً.. لم تصدِّقوهم، وإن قالوا حقًّا لم تُكذبوهم»[1] ومحل ذلك: ما لم يتعرَّضوا لأمور توجب نقض عهدِهم؛ كأن يظهروا أنَّ شرعهم غيرُ منسوخ، وأنَّ نبيَّنا غيرُ صادق فيما جاء به وغير ذلك؛ فحينئذٍ نُقاتلهم.

ومحلُّه أيضاً: ما لم يخبرونا بخبرٍ موافق لما في كِتابنا، وإلا.. فيجب تصديقُهم من حيثُ إنَّ الله أخبرنا به.

قوله: (﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾) أي: نَفعناهم به؛ بأن أعطيناهم نوره، وظهرت ثمرته عليهم، هم الذين يؤمنون به، وإلا.. فجميع علمائهم أُوتوا الكتاب، ولم يُسْلِمْ منهم إلا القليل، ويصح أن يكون المراد: ففريقٌ من أهل الكتاب... إلخ.

قوله: (﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾) أي: يُنكرها بعد معرفتها.

قوله: (أي: **اليهود**) لا مفهوم له، بل النصارى والمشركون كذلك، فالمناسب أن يقول: (إلا الكافرون كاليهود).

قوله: (﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾) شروعٌ في إثبات الدليل على أنَّ القرآن من عند الله، وأنه مُعجز للبشر؛ كأنَّ الله يقول لأهل الكتاب: أنتم لا عُذر لكم في إنكار القرآن، ولا في تكذيب النبي ﷺ؛ لأنَّ من جملة صفاته في كتبهم أنَّه أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب، ووجد بهذه الصفة؛ فلو فرض أنه كان يَكتب أو يقرأ.. لحصل لكم الشك في نبوَّته وفي القرآن؛ لوجوده على خلاف الصفة التي في كُتبهم.

---

(١) رواه أبو داوود (٣٦٤٤) عن سيدنا أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه.

مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ ....

﴿مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا﴾ أي: لَو كُنتَ قارِئاً كاتِباً ﴿لَّٱرۡتَابَ﴾: شَكَّ ﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾: اليَهُود فِيك وقالُوا: الَّذِي في التَّوراة أنَّهُ أُمِّيٌّ لا يَقرأ ولا يَكتُب.

﴿٤٩﴾ ﴿بَلۡ هُوَ﴾ أي: القُرآنُ الذِي جِئتَ بِه ﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ أي: المُؤمِنُون يَحفَظُونَه، ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: اليَهُود وجَحَدُوها بعدَ ظُهُورها لَهُم.

﴿٥٠﴾ ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: كُفَّارُ مكَّة: ﴿لَوۡلَآ﴾: هَلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيۡهِ﴾ أي: مُحمَّد ﴿ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ ـ وفي قِراءة: ﴿ءَايَٰتٞ﴾ ـ كناقةِ صالِح وعَصا مُوسى ومائِدةِ عِيسى، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِن كِتَٰبٖ﴾) مفعول ﴿تَتۡلُواْ﴾، و﴿مِن﴾: زائدة.

قوله: (أي: لو كنت قارئاً كاتباً) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب.

قوله: (اليهود) لا مفهوم له.

قوله: (﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾) إضرابٌ عمَّا تقدَّم من الارتياب.

قوله: (أي: المؤمنين يَحفظونه) أي: لفظاً ومعنى؛ لما ورد: «وجَعلت من أمَّتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم»[1] أي: كالأناجيل، والمعنى: أنَّ القرآن محفوظٌ في صدورهم، وثابتٌ فيها؛ كما كان كتاب النصارى ثابتاً في أناجِيلهم.

قوله: (﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾) أي: القرآن.

قوله: (اليهود) تقدَّم ما فيه.

قوله: (وفي قراءة: ﴿ءَايَٰتٞ﴾) أي: وهما سبعيَّتان[2].

---

(١) رواه الطبراني بنحوه في «المعجم الكبير» (١٠٠٤٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص: (آيات) بالجمع؛ لأنَّ بعده ﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ﴾ بالجمع إجماعاً، والباقون (آية) بالإفراد؛ لأنَّ غالب ما جاء في القرآن كذلك. انظر «السراج المنير» (٣/١٤٦).

قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ ....

﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يُنْزِلها كيفَ يَشاء، ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: مُظهِرٌ إنذارِي بِالنار أهلَ المَعصيَة.

﴿٥١﴾ ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ فِيما طَلَبُوا ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآنَ ﴿يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ فهو آيةٌ مُستَمِرَّة لا انقِضاء لَها، بِخِلافِ ما ذُكِرَ مِن الآيات، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: الكِتاب ﴿لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ﴾: عِظَةً ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿٥٢﴾ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ بِصِدقِي، ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومِنهُ حالِي وحالُكُم، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ وهو ما يُعبَدُ مِن دُون الله ﴿وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (ينزلها كيف يشاء) أي: على ما يُريد، ولا دخل لأحد في ذلك؛ لأنَّ المعجزة أمرٌ خارق للعادة يأتي بفضل الله.

قوله: (﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: أجهلوا ولم يكفهم... إلخ؟، والاستفهام للتوبيخ.

قوله: (﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا﴾) «أنَّ» وما دخلت عليه في تأويل مصدر: فاعل (يكفِ)، والتقدير: أولم يكفِهم إنزالنا.

قوله: (مستمرَّة لا انقضاء لها) أخذ ذلك من قوله: ﴿يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾.

قوله: (بخلاف ما ذكر من الآيات) أي: فانقضت بموت الرسل.

قوله: (﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾) خُصُّوا بالذكر؛ لأنهم هم المنتفعون بذلك.

قوله: (ومنه: حالي وحالكم) أي: من جملة ما في السماوات والأرض.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾) أي: خَضعوا له وعبدوه.

أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ ....

مِنكُم ﴿أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ في صَفقَتِهم حيثُ اشتَرَوا الكُفرَ بالإيمان.

﴿٥٣﴾ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لَه ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ عاجِلاً، ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بِوَقت إتيانِه.

(﴿٥٤﴾ - ﴿٥٥﴾) ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ في الدُّنيا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَنَقُولُ﴾ فِيه - بِالنُّون - أي: نَأمُر بِالقَولِ، - وبِالياء - أي: يَقُول أي: المُوَكَّل بِالعَذابِ: ﴿ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جَزاءَهُ فلا تَفُوتُونَا.

حاشية الصاوي

قوله: (حيث اشتروا الكفر بالإيمان) أي: أخذوا الكفر وتركوا الإيمان.

قوله: (﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ له) أي: للعذاب.

قوله: (﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾) أي: كوقعة بدر؛ فإنها أتتهم على حين غفلة.

قوله: (﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾) أي: لا يظنُّون أنَّ العذاب يأتيهم أصلاً.

قوله: (﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾) تعجُّبٌ من قِلة فطنتهم ومن تعنُّتهم، والمعنى: كيف يستعجلون العذاب والحال أنَّ جهنَّم محيطةٌ بهم يوم القيامة لا مَفرَّ لهم منها؟!

قوله: (﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾) ظرف لقوله: ﴿لَمُحِيطَةٌ﴾، والمعنى على الاستقبال؛ أي: ستُحيط بهم في ذلك اليوم.

قوله: (﴿مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾) تفسيرٌ للإحاطة، وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١].

قوله: (أي: نأمر بالقول) إنما أوَّله؛ جمعاً بين ما هنا وبين قولِه في الأخرى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤].

قوله: (أي: جزاءه) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم ....

﴿٥٦﴾ ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ في أيِّ أرضٍ تيسَّرت فيها العِبادة، بِأن تُهاجِرُوا إلَيها مِن أرض لَم تَتيسَّر فِيها، نَزل في ضُعفاءِ مُسلِمي مكَّة، كانُوا في ضِيق مِن إظهارِ الإسلام بِها.

﴿٥٧﴾ ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ - بِالتَّاء والياء - بعدَ البَعث.

﴿٥٨﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾: نُنزِلَنَّهُم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾) خطابٌ لفقراء الصحابة الذين كانوا يخافون من إظهار الإسلام في مكة كما قال المفسِّر، والإضافة لِتشريف المضاف.

قوله: (﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾) (إياي): منصوب بفعلٍ محذوف دلَّ عليه المذكور(١).

قوله: (كانوا في ضيق... إلخ) أي: فوسَّع الله لهم الأمر، والعبرة بعُموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ فمن تعسَّرت عليه العبادة في بَلد.. فعليه أن يهاجر منها لبلد تتيسَّر له فيها؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فالمهمُّ العبادةُ في أيِّ مكان تيسَّر، ولا يُعوَّل على مكان في الدنيا؛ لأنها دار ممرٍّ لا مقرٍّ، والمارُّ في الطريق لا يُعوِّل على مسكن، ولا قرارَ في طريقه.

قوله: (﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾) أي: لا تُقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت؛ فإنَّ كلَّ نفس ذائقة الموت، فالحكمةُ في تخويفهم من الموت: كونُ مفارقة الأوطان تَهون عليهم؛ فإنَّ من أيقن بالموت هان عليه كلُّ شيء في الدنيا.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾) لما ذكر أحوال الكفار وما آل إليه أمرُهم.. أتبعه بذكر أحوال المؤمنين وما آل إليه أمرُهم.

---

(١) أي: فاعبدوا إياي فاعبدون، فاستغنى بأحد الفعلين عن الثاني، والفاء في قوله: ﴿فَإِيَّٰيَ﴾ بمعنى الشرط؛ أي: إن ضاق بكم موضعٌ.. فإياي فاعبُدوا؛ لأن أرضي واسعة. انظر «تفسير القرطبي» (١٣/ ٣٨٥).

مِنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ....

- وفي قِراءة بِالمُثلَّثة بعدَ النُّون مِن الثَّواء: الإقامةِ، وتَعدِيَتُه إلى ﴿غُرَفًا﴾ بِحَذفِ (في) -، ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾: مُقدِّرِينَ الخُلُود ﴿فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ هذا الأجرُ.

﴿٥٩﴾ هُم ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ أي: على أذَى المُشرِكِينَ والهِجرة لِإظهارِ الدِّين، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فيرزُقُهُم مِن حيثُ لا يَحتسِبُون.

﴿٦٠﴾ ﴿وَكَأَيِّن﴾: كَم ﴿مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لِضَعفِها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة بالمثلثة) أي: الساكنة بعد النون، وبعدها واو مكسورة، ثم ياء مفتوحة[1]، و﴿غُرَفًا﴾ على هذه القراءة: إما منصوب بنزع الخافض كما قال المفسِّر، أو مفعول به بتضمين (نُثْوِي) معنى (ننزل)، فيتعدى لاثنين.

قوله: (﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾) أي: الغُرَفِ.

قوله: (مُقدرين الخلود فيها) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال مقدَّرة؛ أي: إنهم حين الدخول مقدِّرون الخلود؛ لأنه أتمُّ في النعيم؛ لِسماعهم النداء من قِبَلِ الله: **«يا أهل الجنة؛ خلودٌ بلا موت»**[2].

قوله: (هذا الأجر) أشار بذلك إلى أنَّ المخصوص بالمدح محذوف.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾) نعت لـ﴿ٱلْعَٰمِلِينَ﴾، أو خبرٌ لمحذوف كما قال المفسِّر.

قوله: (لإظهار الدين) متعلق بالهجرة.

قوله: (﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾) سبب نزولها: أنه ﷺ لما أمر المؤمنين بالهجرة.. قالوا: كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دارٌ ولا مالٌ؟ فمَن يطعمنا بها ويسقينا؟[3]

---

(١) وبها قرأ الأخوان وخلف. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٤٦).

(٢) كما رواه البخاري (٦٥٤٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر «زاد المسير» (٣/ ٤١٢).

ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ

﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ أيُّها المُهاجِرُونَ وإن لَم يَكُن مَعَكُم زادٌ ولا نَفَقة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِأقوالِكُم، ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بِضمائِرِكُم.

﴿٦١﴾ ﴿وَلَئِن﴾ - لام قَسَم - ﴿سَأَلۡتَهُم﴾ أي: الكُفّار ﴿مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾: يُصرَفُون عن تَوحِيدِه بعدَ إقرارِهِم بذلك؟

﴿٦٢﴾ ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾: يُوَسِّعهُ ﴿لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ امتِحاناً، ﴿وَيَقۡدِرُ﴾: يُضَيِّق ﴿لَهُۥٓۚ﴾ بعدَ البَسط أي: لِمَن يَشاءُ ابتِلاءً، ....

حاشية الصاوي

وقوله: (﴿لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾) أي: لا تدَّخره لغدٍ كالبهائم والطير. قال سفيان بن عيينة: ليس شيءٌ من الخلق يخبأ إلا الإنسان والفأرة والنملة[1].

قوله: (﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾) أي: فلا فرق بين الحريص والمتوكل والضعيف والقَوي في أمر الرزق، بل ذلك بتقديره سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هود: ٦]، فينبغي للإنسان أن يُفوِّض أمر الرزق له تعالى، ولا ينافي هذا أخذُهُ في الأسباب؛ لأنَّ الله تعالى أوجد الأشياء عند أسبابها لا بها، فالأسباب لا تُنكَر، ومن أنكرها.. فقد ضلَّ وخسر.

قوله: (﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم﴾) أي: كفَّارَ مكة.

قوله: (﴿مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾... إلخ) أتى في جانب السماوات والأرض بالخَلق، وفي جانب الشمس والقمر بالتسخير؛ إشارةً إلى أنَّ الحكمة في خَلقهما: التسخير الذي ينشأ عنه الليل والنهار اللذان بهما قِوَامُ العالم، بخلاف السماوات والأرض؛ فالنفع في مجرَّد خلقهما.

قوله: (﴿فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾) الاستفهام للتوبيخ.

قوله: (﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ﴾) أي: فلا تَركن لغيره؛ فليس مالكاً لضرٍّ ولا نفعٍ.

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٦/ ٢٥٣).

إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ ....

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومِنهُ مَحَلُّ البَسط والتَّضييق.

﴿٦٣﴾ ﴿وَلَئِن﴾ - لام قَسَم - ﴿سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾، فكيفَ يُشرِكُونَ بِه؟ ﴿قُلِ﴾ لَهُم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ثُبُوت الحُجَّة علَيكُم، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ تناقُضَهم في ذلك.

﴿٦٤﴾ ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ وأمَّا القُرَبُ فمِن أُمُور الآخِرة؛ لِظُهُورِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَأَحْيَا بِهِ﴾) أي: بالنبات الناشئ عن الماء.

قوله: (﴿مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾) أي: جُوعها وقحط أهلها[1].

قوله: (فكيف يشركون به؟!) أي: بعد إقرارهم.

قوله: (﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾) أي: والأقل يَعقل، ومَنْ عقل منهم.. اهتدى وآمن.

قوله: (﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ الدنيا حقيرةٌ لا تَزن جناح بعوضة، فينبغي للعاقل التجافي عنها، ويأخذ منها بقَدر ما يوصله للآخرة، قال بعض العارفين[2]: [الوافر]

تَـأَمَّـلْ فـي الـوُجُـودِ بِـعَـيْـنِ فِـكْـرٍ ... تَـرَى[3] الـدُّنـيـا الـدَّنـيَّـةَ كـالـخـيـالِ

ومَـنْ فِـيـهَـا جَـمِـيـعـاً سَـوْفَ يـفْـنَـى ... ويَـبْـقَـى وَجْـهُ ربِّـكَ ذُو الـجـلالِ

قوله: (﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾) اللهو: الاشتغال بما فيه نفعٌ عاجلٌ، واللعب: الاشتغال بما لا نَفع فيه أصلاً.

قوله: (وأما القُرَبُ) أي: كالتوحيد والذكر والعبادة.

---

(١) في (ط٢): (جدبها) بدل (جوعها).

(٢) نسبهما المقري في «نفح الطيب» (١/ ١٢٠) لماميه الرومي، واسمه محمد بن أحمد.

(٣) كذا في الأصول بإثبات الألف، وحقها الحذف لأنها مجزومة بالطلب، إلا أن يقال: إنه اكتفى بحذف الحركة المقدرة على الألف؛ كما في قراءة قنبل: (إنه من يتقي ويصبرْ) بإثبات الياء. وانظر «مغني اللبيب» (ص٦٢١).

وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ....

ثَمرَتها فِيها، ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ بِمَعنَى الحَياة، ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ما آثَرُوا الدُّنيا عليها.

﴿٦٥﴾ ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: الدُّعاءَ، أي: لا يَدعُونَ مَعَهُ غَيرَه لِأَنَّهُم في شِدَّة لا يَكشِفها إلَّا هو، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ بِه.

﴿٦٦﴾ ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ مِن النِّعمةِ، ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾ بِاجتِماعِهِم على عِبادةِ الأصنامِ، ـ وفي قِراءة: بِسُكُونِ اللَّام أمرُ تَهديد ـ، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ ذلك.

حاشية الصاوي

قوله: (بمعنى الحياة) أي: الدائمة الخالدة التي لا زوال فيها.

قوله: (ما آثروا الدنيا عليها) جواب (لو) أي: ما قدَّموا لذَّات الدنيا على الآخرة.

قوله: (﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾... إلخ) أي: وذلك أنَّ الكفار كانوا إذا ركبوا في البحر.. حملوا معهم الأصنام، فإذا اشتدَّت الريح.. ألقَوها في البحر وقالوا: يا ربّ، يا ربّ، ودعَوا الله مخلصين حالة الكرب.

قوله: (﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾) جواب (لما)، والمعنى: عادُوا إلى شركهم؛ لأجل كفرهم بما أعطاهم الله، وتلذذهم بأعراض الدنيا، فلم يُقابلوا النِّعم بالشكر، بخلاف المؤمنين.

قوله: (﴿لِيَكْفُرُوا۟﴾) اللام: لام العاقبة والصيرورة، وقوله: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾ عطف عليه.

قوله: (وفي قراءة بسكون اللام) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (أمر تهديد) أي: في الفعلَين؛ بدليل الوعيد المرتَّب عليهما بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، فالحاصل: أنه إذا سُكِّنت اللام في الثاني.. تعيَّن كونها للأمر في الفعلين، وإن لم تُسَكَّن.. كانت في الفعلين للعاقبة والصَّيرورة.

---

(١) قرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم وورش بكسر اللام، والباقون بسكونها. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٧).

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا ....

﴿٦٧﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يعلموا ﴿أَنَّا جَعَلْنَا﴾ بلدهم مكة ﴿حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ قتلاً وسَبياً دُونَهم؟ ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾: الصَّنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ بإشراكِهم؟

﴿٦٨﴾ ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحَدَ ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن أشرَكَ بِه، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ﴾: النَّبيِّ أو الكِتاب ﴿لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: مَأوًى ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: فِيها ذلك، وهو مِنهُم.

﴿٦٩﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا﴾: في حَقِّنا ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: أعَمُوا فلم يرَوا... إلخ؟!.

قوله: (﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ﴾) الجملة حاليَّة على تقدير المبتدأ؛ أي: وهم يُتخطف... إلخ.

قوله: (أي: لا أحد) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾) قال المفسِّرون: إنَّ هذه الآية نزلت قبل الأمر بالجهاد؛ لكونها مكيَّةً، وحينئذٍ: فالمرادُ بالجهاد فيها: جهادُ النفس.

قال الحسن: الجهاد: مخالفة الهوى. وقال الفُضيل بن عياض: والذين جاهدوا في طلب العلم لَنهدينَّهم سبل العمل به. وقال سَهل بن عبد الله: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينَّهم سُبل ثوابنا. وقيل: والذين جاهدوا فيما عَملوا لنهدينَّهم إلى ما لم يعلموا؛ لما في الحديث: «مَن عمل بما علم.. علَّمه الله عِلم ما لم يَعلم»[1].

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» عن سيدنا أنس بن مالك ﷺ، وقال السيوطي في «الدرر المنتثرة» (ص١٩٢): (وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس مرفوعاً: «مَن تعلم علماً فعمل به.. كان حقًّا على الله أن يُعلِّمه ما لم يكن يعلم»، وفي كتاب «رواية الكبار عن الصغار» لأبي يعقوب البغدادي عن سفيان: «من عمل بما يعلم.. وُفِّق لما لا يعلم».).

﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾

﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ أي: طُرُقَ السَّير إلَينا، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: المُؤمِنِينَ بِالنَّصرِ والعَونِ.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾) أي: طُرق الوصول إلى مَرضاتنا، فالطريق هي: العمل بالأحكام الشرعية، وثمرتها الحقيقة، وهي: العلوم والمعارف المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾ [الجن: ١٦].

قوله: (﴿لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾) فيه إقامة الظاهر مُقام المضمر؛ لإظهار شرفهم بوصف الإحسان، والمعنى: وإنَّ الله لمعهم بالعون والنصر والمحبة، فهي معيَّة خاصة، وإليها الإشارة بقوله ﷺ في الحديث القدسي: «فإذا أحبَبته.. كنت سمعه الذي يسمع به...» الحديث[١].

✿ ✿ ✿

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ ....



مَكِّيَّة، وهي سِتُّون أو تِسعٌ وخَمسونَ آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلَم بِمُرادِه بِه.

٢ ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الرُّومِ

مبتدأ، و(«ستون») خبر أول، و(«مكية») خبر ثان، وظاهر المفسِّر أنَّ كلَّها مكيٌّ، وقيل: إلا قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ...﴾ الآية[1].

قوله: (الله أعلم بمراده بذلك) تقدَّم أنَّ هذا أصحُّ التفاسير.

قوله: (﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾) الروم: اسم قبيلة، سمِّيت باسم جدِّها، وهو روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم، وسمِّي عيصو؛ لأنه كان مع يعقوب في بطن، فعند خروجهما تزاحما وأراد كلٌّ أن يخرج قبل الآخر، فقال عيصو ليعقوب: إن لم أخرج قبلك وإلا.. خرجت من جنبها، فتأخَّر يعقوب شفقةً منه؛ فلهذا كان أبا الأنبياء، وعيصو أبا الجبَّارين.

وسبب نُزول هذه الآية: أنه كان بين فارس والروم قتالٌ، وكان المشركون يَوَدُّون أن تَغْلِبَ فارسُ الرومَ؛ لأنَّ فارسَ كانوا مجوساً أُمِّيِّين، والمسلمون يَوَدُّون غلبة الروم على فارس؛ لكونهم أهلَ كتابٍ، فبعث كسرى جيشاً إلى الروم، واستعمل عليهم رجلاً يقال له: شهريزان، وبعث قيصر جيشاً وأمَّر عليهم رجلاً يدعى بخنس، فالتقيا بأذرعات وبصرى، وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعَجم، فغلبت فارس الروم، فبلغ ذلك المسلمين بمكة، فشقَّ عليهم، وفَرح به كفار مكة، وقالوا

(١) كذا في «البيضاوي»، وفي «القرطبي»: مكية كلها من غير خلاف. «فتوحات» (٣/ ٤٠٥).

وهُم أهل الكِتاب، غَلَبَتها فارِس ولَيسُوا أهلَ كِتاب ....

حاشية الصاوي

للمسلمين: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، ونَحن أمِّيُّون، وفارس أمِّيُّون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم، وإنكم إن قاتَلتمونا.. لنظهرنَّ عليكم، فأنزل الله هذه الآيات[١].

فخرج أبو بكر الصديق إلى كفار مكة فقال: فَرِحتم بظهور إخوانكم، فلا تفرحوا، فوالله لتظهرنَّ الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبيُّنا ﷺ، فقام إليه أبيُّ بن خَلف الجمحي وقال: كذبتَ، فقال له الصديق: أنت كذبت يا عدوَّ الله، فقال: اجعل أجلاً أناحِبْكَ - أي: أقامِرك وأراهنك - عليه، فراهنه على عشر قلائص منه، وعشر قلائص من الآخر، فقال أبيٌّ: إن ظهرت الروم على فارس.. غرمتُ ذلك، وإن ظهر فارس على الروم.. غَرمْتَ لي، ففعلوا وجعلوا الأجلَ ثلاث سنين، فجاء أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، وكان ذلك قبل تحريم القمار، فقال النبي ﷺ: «**ما هكذا ذكرت، إنما البضع ما بين الثلاثِ إلى التسع، فزايِده في الخطر، وماددِه في الأجل**»، فخرج أبو بكر، فلقي أبيًا، فقال: لعلَّك ندمتَ؟ فقال: لا، فتعالَ أزايدك في الخطر وأُماددك في الأجل، فاجعلها مئة قلوص ومئة قلوص إلى تسع سنين - وقيل: إلى سبع - فقال: قد فعلتُ، فلما خشي أبيُّ بن خلف أن يخرج أبو بكر من مَكة.. أتاه ولزمه وقال: إني أخاف أن تخرج من مكة، فأَقم لي كفيلاً، فكفَله ابنه عبد الله بن أبي بكر، فلمَّا أراد أبيُّ بن خلف أن يخرج إلى أحد.. أتاه عبد الله بن أبي بكر فلَزمه وقال: لا والله لا أدعَك حتى تعطيني كفيلاً، فأعطاه كفيلاً، ثم خرج إلى أحد، ثم رجع أبيُّ بن خلف إلى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه النبي ﷺ إياها حين بارَزه، وظهرت الروم على فارس يوم الحُديبية، وذلك على رأس سبع سنين من مناحبتهم - وقيل: كان يوم بدر - وربطت الروم خيولهم بالمدائن، وبنَوا بالعراق مدينة وسمَّوها روميَّة، فأخذ أبو بكر مال الخطر من ورَثته، وجاء به إلى النبي ﷺ، وذلك قبل أن يحرم القمار، فقال له النبي ﷺ: «**تصدَّق بها**»[٢].

قوله: (**وهم أهل كتاب**) أي: نصارى، فنصرُهُم علامةٌ على نصرة النبي ﷺ وأصحابه، وقوله: (**ليسوا أهل كتاب**) أي: بل هم مجوس، فنَصرهم علامة على نصر كفار مكة؛ فكلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون.

---

(١) انظر «زاد المسير» (٣/ ٤١٥).

(٢) رواه البغوي في «تفسيره» (٦/ ٢٥٧)، وبنحوه الترمذي (٣١٩٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ ....

بَل يَعبُدُون الأوثانَ، ففَرِحَ كُفَّار مَكَّة بِذلك وقالُوا لِلمُسلِمِين: نَحنُ نَغلِبكُم كما غَلَبَت فارِسُ الرُّوم.

٣ ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: أقرَبِ أرضِ الرُّوم إلى فارِس بِالجَزِيرة، التَقَى فِيها الجَيشانِ، والبادِئُ بِالغَزوِ الفُرس، ﴿وَهُم﴾ أي: الرُّوم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ أُضِيفَ المَصدَر إلى المَفعُول أي: غَلَبةِ فارس إيَّاهُم ﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾ فارِس.

٤ ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ هو ما بينَ الثَّلاث إلى التِّسعِ أو العَشرِ، فالتَقَى الجَيشانِ في السَّنة السَّابِعة مِن الالتِقاء الأوَّل وغَلَبَت الرُّومُ فارِس، ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾

حاشية الصاوي

قوله: **(بل يعبدون الأوثان)** أي: التي من جملتها النار.

قوله: **(وقالوا للمسلمين... إلخ)** هذا هو حكمة ذكر تلك الواقعة.

قوله: **(أقرب أرض الروم)** أي: فـ﴿أَدۡنَى﴾ أفعل تفضيل، و(أل): عوض عن المضاف إليه.

قوله: **(بالجزيرة)** المراد بها: ما بين دجلة والفرات، وليس المرادُ بها جزيرةَ العرب.

قوله: (﴿وَهُم﴾) مبتدأ، وجملة ﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾ خبره.

قوله: (﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾) متعلق بـ(يغلبون)، وهو على حذف مضاف؛ أي: في انتهاء بضع سنين، وأبهم البِضع؛ لإدخال الرعب والخوف عليهم في كلِّ وقت.

قوله: **(فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول)** أي: يومَ بدر إن كانت الواقعة الأولى قبل الهجرة بخمس سنين، أو يومَ الحديبية إن كانت الأولى قبل الهجرة بسنة، والمراد بالجيشين: جيش كسرى، وجيش قيصر ملك الروم، فأقبل في خمس مِئة ألف رومي إلى الفرس، وغلَبوهم، ومات كسرى ملك الفرس.

قوله: (﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ﴾) أي: لا لغيره.

قوله: (﴿مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾) القراءة المشهورة ببناء (قبل) و(بعد) على الضم؛ لحذف المضاف ونيَّةِ معناه.

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ ....

أي: مِن قَبل غَلَبِ الرُّوم ومِن بَعدِه، المَعنى: أنَّ غَلَبة فارِس أوَّلاً وغَلَبةَ الرُّوم ثانياً بِأمرِ الله أي: إرادَتِه، ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: يومَ تَغلِبُ الرُّومُ ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

۝٥ ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ إيَّاهُم على فارِس، وقَد فَرِحُوا بِذلك وعَلِمُوا بِه يَومَ وُقُوعه يَوم بَدر بِنُزُول جِبرِيل بِذلك مَع فرَحهم بِنَصرِهِم على المُشرِكِين فِيه ﴿يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالِبُ ﴿الرَّحِيمُ﴾ بِالمُؤمِنِين.

۝٦ ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ مَصدَر بَدَل مِن اللَّفظ بِفعلِه، والأصلُ: وعَدَهُم الله النَّصرَ، ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ بِه، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كُفَّار مكَّةَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ وعدَه تَعالى بِنَصرِهِم.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: من قبل غَلَبِ الروم) أي: من قبل كونهم غالبين، وقوله: (ومن بعده) أي: من بعد كونهم مغلوبين.

قوله: (إن غلبة فارس... إلخ) جوابٌ عمَّا يقال: ما فائدة قوله: ﴿غَلَبِهِمْ﴾ بعد قوله: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾؟ وحاصل الجواب: أنَّ فائدته إظهارُ أنَّ ذلك بأمر الله؛ لأنَّ شأن مَنْ غَلَبَ بعد كونه مغلوباً أن يكون ضعيفاً؛ فلو كانت الغلَبة بحولهم وقوتهم.. لما غُلِبُوا أولاً.

قوله: (أي: يوم تَغْلِبُ الرومُ) أشار بذلك إلى أن تَنوين (يومئذٍ) عوضٌ عن جملة.

قوله: (﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾) أي: فاستبشر المؤمنون بنَصر الروم على فارس، وعلموا أنَّ الغلبة لهم على كفَّار مكة.

قوله: (يوم بدر) هذا أحدُ قولين، وهو مبنيٌّ على أنَّ الواقعة الأولى كانت قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل: يوم الحديبية بناءً على أنَّ الأولى قبل الهجرة بسنة.

قوله: (مصدر) أي: مؤكِّدٌ لمضمون الجملة التي تقدَّمت، وعامِله محذوف؛ أي: وعدهم الله وعداً.

قوله: (به) أي: بالنصر.

قوله: (﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾) أي: لجهلهم وعدم تفكُّرهم واعتبارهم.

يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ ....

﴿٧﴾ ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: مَعايِشَها مِن التِّجارة والزِّراعةِ والبِناء والغَرْسِ وغَيرِ ذلك، ﴿وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ ـ إعادةُ (هُم) تأكيد ـ.

﴿٨﴾ ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ﴾ لِيَرجِعُوا عن غَفلَتِهم، ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ﴾ لِذلك تَفنَى عِند انتِهائِه وبعدَه البَعث، ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: كُفَّار مكَّة ﴿بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ﴾ أي: لا يُؤمِنُون بِالبَعث بعدَ المَوت.

﴿٩﴾ ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ مِن الأُمَم، وهي

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَعۡلَمُونَ﴾) أي: الأكثرُ.

قوله: (﴿ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾) أي: وأمَّا باطناً منها وهو كونها مجازاً إلى الآخرة يتزوَّد فيها بالأعمال الصالحة.. فليس لهم به علمٌ.

قوله: (أعاده[1]) أي: لفظ (هم).

قوله: (﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: أعمُوا ولم يتفكروا؟.

قوله: (﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾) أي: بالحكمة، لا عبثاً.

قوله: (تفنى عند انتهائه) أي: تَنعدم السماوات والأرض وما بينهما عند انقضاء ذلك الأجل.

قوله: (﴿بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ﴾) متعلق بـ﴿كَٰفِرُونَ﴾، واللام غير مانعة من ذلك؛ لوقوعها في غير محلِّها، وهو خبر (إنَّ).

قوله: (﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: أقعدُوا ولم يسيروا؟ والاستفهام للتوبيخ، والجملة معطوفة على جملة: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ﴾ عطف سببٍ على مسبَّب؛ لأنَّ السير سببٌ للتفكر.

(١) كذا في (أ)، ولعل نسخة المصنف: (أعاده تأكيداً)، وفي (ط٢): (إعادة) وهي الموافقة لنسخ الجلال: (إعادة «هم» تأكيد).

كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ....

إهلاكُهُم بِتكذِيبِهِم رُسُلَهم، ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾ كعادٍ وثَمُودَ، ﴿وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾: حَرَثُوها وقَلَّبُوها لِلزَّرعِ والغَرس، ﴿وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي: كُفَّار مكَّة ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾: بِالحُجَجِ الظَّاهِرات، ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ بِإهلاكِهِم بِغَيرِ جُرمٍ، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بِتكذِيبِهِم رُسُلَهم.

﴿١٠﴾ ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: تَأنِيثُ (الأسوَأ): الأقبَح ـ خَبَر ﴿كَانَ﴾ على رَفع ﴿عَٰقِبَةُ﴾، واسم ﴿كَانَ﴾ على نَصب ﴿عَٰقِبَةَ﴾ ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾) بالقصر لعامَّة القراء، وقرئ شذوذاً: (وآثاروا) بألف بعد الهمزة[1].

قوله: (﴿أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾) نعتٌ لمصدر محذوف؛ أي: عمارةً أكثرَ من عمارتهم.

قوله: (﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾) أي: فلَم يُذعنوا لها، بل كذَّبوا بها.

قوله: (﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾) أي: يُعاملهم معاملة ملك ظالم جبَّار، بل ملك عدل رحيم، وعلى فرض أخذهم من غير جرم لا يكون ظالماً؛ إذ لا مُشارك له في خلقه، ولكن من فضله تعالى ألزم نفسه ما لا يَلزمه.

قوله: (﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾) بيانٌ لعاقبة أمرهم إثْرَ بيان حالهم في الدنيا.

قوله: (خبر ﴿كَانَ﴾ على رفع ﴿عَٰقِبَةُ﴾) أي: و﴿عَٰقِبَةُ﴾: اسمها، وهي مضاف للموصول، و﴿أَسَٰٓـُٔواْ﴾: صلته، و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: صِفة لموصوف محذوف؛ أي: المجازاة السوأى، وهي جهنم، خبر ﴿كَانَ﴾.

وقوله: (واسم ﴿كَانَ﴾ على نصب ﴿عَٰقِبَةَ﴾) أي: فـ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر، و﴿عَٰقِبَةَ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ مقدَّم، وعلى كلٍّ: فقوله: ﴿أَن كَذَّبُواْ﴾ خبر لمحذوف، تقديره: وإساءتهم أن كذَّبوا،

(١) وهي قراءة أبي جعفر؛ كما في «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها» (٣/ ١٦٣).

أَن كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ....

والمُراد بِها جَهنَّم، وإساءَتُهم ﴿أَن﴾ أي: بِأن ﴿كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنِ ﴿وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

(﴿١١﴾ - ﴿١٢﴾) ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ﴾ أي: يُنشِئُ خَلقَ النَّاس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي: خَلْقَهُم بعدَ مَوتِهم، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ـ بِالياءِ وبالتاء ـ ....

حاشية الصاوي

فهي جملة مُستأنفة بيانٌ لصلة الموصول، فيصح الوقف على ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾، هذا ما اختاره المفسِّر من أوجُه شتَّى، وهو أنوَرها[1]. وذكَّر الفعل؛ لأنَّ اسم (كان) على كلٍّ مجازيُّ التأنيث.

قوله: (المراد بها) أي: السوأى.

قوله: (أي: بأن ﴿كَذَّبُوا﴾) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على تقدير الباء، وهي للسببيَّة.

قوله: (﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ﴾) عبَّر بالمضارع؛ إشارةً إلى أن البدء متجدِّد شيئاً فشيئاً ما دامَت الدنيا.

قوله: (أي: ينشئ خلق الناس) أي: يُظهرهم من العدم.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالرفع، والباقون بالنصب؛ فالرفع على أنها اسم (كان)، وذكَّر الفعل؛ لأن التأنيث مجازي، وفي الخبر حينئذ وجهان: أحدهما: (السوأى) أي: الفَعلة السوأى، أو الخَصلة السوأى، والثاني: (أن كذبوا) أي: كان آخر أمرهم التكذيب؛ فعلى الأول: يكون في (أن كذبوا) وجهان: أحدهما: أنه على إسقاط الخافض؛ إما لام العلة؛ أي: لأن كذَّبوا، وإما باء السببية؛ أي: بأنْ كذبوا، فلَما حذف الحرف.. جرى القولان المشهوران بين الخليل وسيبويه في محل (أن)، والثاني: أنه بدل من (السوأى) أي: ثم كان عاقبتهم التكذيب، وعلى الثاني: يكون (السوأى) مصدراً لـ (أساؤوا)، أو يكون نعتاً لمفعول محذوف؛ أي: أساؤوا الفَعلة السوأى.
وجوَّز بعضهم أن يكون خبر (كان) محذوفاً للإبهام، والسوأى: إما مصدر، وإما مفعول كما تقدم؛ أي: اقترفوا الخطيئة السوأى؛ أي: كان عاقبتهم الدمار.
وأما النصب فعلى خبر (كان)، وفي الاسم وجهان: أحدهما: السوأى؛ أي: كانت الفعلة السوأى عاقبة المسيئين، و(أن كذبوا) على ما تقدَّم، والثاني: أن الاسم (أن كذبوا)، والسوأى: على ما تقدَّم أيضاً. انظر «الدر المصون» (٩/ ٣٤).

(٢) قرأ أبو عمرو وشعبة بالياء على الغيبة على النسق الماضي، والباقون بالتاء على الخطاب. انظر «السراج المنير» (٣/ ١٥٩).

وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ ....

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾: يَسكُتُ المُشرِكُون لِانقطاعِ حُجَّتِهم.

﴿١٣﴾ ﴿وَلَمۡ يَكُن﴾ أي: لا يَكُون ﴿لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ﴾ مِمَّن أشرَكُوهُم بِاللهِ وهُم الأصنامُ لِيَشفَعُوا لَهُم ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ﴾ أي: يَكُونُون ﴿بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ﴾ أي: مُتَبَرِّئِين مِنهُم.

(﴿١٤﴾ - ﴿١٦﴾) ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ﴾ - تَأكِيد - ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ أي: المُؤمِنُون والكافِرُون؛ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ﴾: جَنَّةٍ ﴿يُحۡبَرُونَ﴾: يُسَرُّون، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾) أي: وهو يوم الإعادة.

قوله: (يسكت المشركون) أي: عن جوابٍ يدفع عنهم العذاب.

قوله: (أي: لا يكون) أشار بذلك إلى أنَّ الماضي بمعنى المضارع؛ لأنَّ المنفي بـ(لم) ماضي المعنى.

قوله: (﴿بِشُرَكَآئِهِمۡ﴾) متعلق بـ﴿كَٰفِرِينَ﴾.

قوله: (تأكيد) أي: لفظي.

قوله: (أي: المؤمنون والكافرون) أخذ هذا التَّعميم من قوله أولاً: ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾.

قوله: (﴿فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ﴾) الروضة: كلُّ أرضٍ ذات نبات وماء ورَونق ونضارة.

قوله: (﴿يُحۡبَرُونَ﴾) أي: يُكرمون وينعَّمون بما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين، روي: «أنَّ في الجنة أشجاراً عليها أجراسٌ من فضة، فإذا أراد أهل الجنة السَّماع.. بعث الله ريحاً من تحت العرش، فتقع في تلك الأشجار، فتحرِّك تلك الأجراس بأصواتٍ لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طرباً»[١].

---

(١) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٧/ ٢٩٧) من حديث عبد الله بن عرادة الشيباني عن القاسم بن مطيب عن مغيرة عن إبراهيم، وذكره الزمخشري في «كشافه» (٣/ ٤٧٧).

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ١٨﴾ ....

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: القُرآنِ ﴿وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: البَعثِ وغيرِه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾.

(١٧) ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي: سَبِّحُوا الله بِمَعنى: صَلُّوا ﴿حِينَ تُمۡسُونَ﴾ أي: تَدخُلُون في المَساء، وفيهِ صَلاتانِ المَغرِبُ والعِشاء، ﴿وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾: تَدخُلُون في الصَّباح، وفِيهِ صَلاة الصُّبح.

(١٨) ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ اعتِراضٌ، ومَعناهُ: يَحمَدهُ أهلُهُما، ﴿وَعَشِيّٗا﴾ - عَطف على ﴿حِينَ﴾ - وفِيه صَلاةُ العَصر، ﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾: تَدخُلُون في الظَّهِيرة وفِيه صَلاة الظُّهر.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) مقابل قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

قوله: (وغيره) أي: كالجنة والنار.

قوله: (﴿مُحۡضَرُونَ﴾) أي: حاضِرون.

قوله: (﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾... إلخ) وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما ذكر أولاً أنه يَبدأ الخلق ويعيده، وأن الخلق يَكونون فريقين: فريقٌ في الجنة، وفريقٌ في السعير.. ذكر هنا أنه منزَّهٌ عن النقائص؛ إشارةً إلى أنَّ تسبيحه وتحميده وَسيلتان للنجاة من العذاب، وحُلول دار الثواب.

قوله: (بمعنى: صلوا) إنما فسَّر التسبيح بالصلاة؛ لأن التنزيهَ يكون باللسان والأركان، ولا شيء أجمع لذلك كلِّه من الصلاة.

قوله: (أي: تدخلون في المساء) أشار بذلك إلى أن ﴿تُمۡسُونَ﴾ و﴿تُصۡبِحُونَ﴾ فِعلان تامَّان.

قوله: (وفيه صلاتان... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ هذه الآية جمَعت الصلوات الخمسَ، وخصَّها بالذكر دون سائر العبادات؛ لأنها عِماد الدين، مَن أقامها.. فقد أقام الدين.

قوله: (اعتراض) أي: بين المعطوف والمعطوف عليه، والحكمةُ في ذلك: الإشارةُ إلى أنَّ التوفيق للعبادة نعمةٌ ينبغي أن يُحْمَدَ عليها.

يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ....

﴿١٩﴾ ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالإنسانِ مِن النُّطفةِ والطَّائرِ مِن البَيضةِ، ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ﴾: النُّطفةَ والبَيضةَ ﴿مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ﴾ بِالنَّباتِ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يُبسِها، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الإخراجِ ﴿تُخْرَجُونَ﴾ مِن القُبُور، ـ بِالبِناءِ لِلفاعلِ والمَفعول ـ.

﴿٢٠﴾ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ تَعالى الدَّالَّةِ على قُدرَتِه ﴿أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ أي: أصلَكُم آدم، ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ﴾ مِن دَم ولَحمٍ ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ في الأرضِ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾) أي: فالقادر على إخراج الميِّت من الحيِّ وعكسه، وإحياءِ الأرض.. قادرٌ على إحياء الخَلق بعد موتهم؛ ففي ذلك ردٌّ على مُنكري البعث.

قوله: **(للفاعل والمفعول)** أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾) شروعٌ في ذكر جملة من الآيات الدالة على وَحدانيَّته سبحانه وتعالى.

وذكر لفظ (من آيات) ستَّ مرات، تَنتهي عند قوله: ﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾، وابتدأها بذكر خلق الإنسان، ثم بخَلق العالم علويًّا وسفليًّا؛ إشارةً إلى أنَّ الإنسان هو المنتفع بها، والحكمةُ في ذكر تلك الآيات: ليهتدي بها من أراد الله هدايته، وتقوم الحجة على مَن لم يهتد.

قوله: **(أي: أصلكم آدم)** أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف، ويصح أن يبقى الكلامُ على ظاهره؛ لأنَّ النطفة ناشئة من الغذاء، وهو ناشئ من التراب.

قوله: (﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ﴾) عبَّر بـ(ثم)؛ إشارةً إلى تراخي أَطواره؛ لكونه أولاً نطفة، ثم مُضغة، ثم علقة إلى آخر أطواره، وأتى بعدها بـ(إذا) الفجائية؛ إشارةً إلى أنه لم يفصل بين تلك الأطوار وبين البشرية فاصلٌ وإن كان الكثير الإتيانَ بها بعد الفاء.

---

(١) قرأ الأخوان وخلف وابن ذكوان بخلف عنه بفتح التاء وضم الراء، والباقون بضم التاء وفتح الراء، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان، هذا ما يؤخذ من «الشاطبية» لابن ذكوان، ولكن الذي حقَّقه صاحب «النشر»: أن طريق الأخفش وهي طريق «الشاطبية» بفتح التاء وضم الراء، وقال: لا ينبغي أن يُؤخذ من التيسير بِسواه. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٤٨).

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ....

﴿٢١﴾ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ فخُلِقَت حَوَّاءُ مِن ضِلَع آدم، وسائِرُ النَّاس مِن نُطَف الرِّجال والنِّساءِ، ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ وتألَفُوها، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم﴾ جَمِيعاً ﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورِ ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صُنعِ الله تعالى.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَزْوَٰجًا﴾) أي: زوجات.

قوله: (من ضلع آدم) أي: الأيسر القصير وهو نائم، فلمَّا استيقظ ورآها.. مال إليها، فقالت له الملائكة: مَه يا آدم حتى تؤدِّيَ مهرها، فقال: وما مَهرها؟ فقيل له: أن تصلي على محمد ﷺ(١).

قوله: (وسائر النساء) أي: باقيهنَّ.

قوله: (﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾) قيل: المراد بالمودة: الجماع، والرحمة: الولد، وقيل: المودة: المحبة، والرحمة: الشفقة؛ فإذا تخلَّف هذا الأمر؛ بأن لم تُوجد بينهما محبَّة ولا مودَّة.. فالمناسب المفارقة.

قوله: (﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾) أي: فيما ذكر من خلقهم من تراب، وخَلق أزواجهم من أنفسهم، وإلقاء المودة والرحمة بينهم.

قوله: (﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾) أي: يتأمَّلون في تلك الأشياء؛ ليحصلَ لهم الاعتبار وزيادة الإيمان، سيَّما إذا تأمَّل في خلق الله إياه من نطفة، ثم جعله بشراً سويًّا، ثم جعل له زوجة من جنسه، ولم تكن جنيَّة ولا بهيمة، وأسكن بينهما المحبة والشفقة، وإذا أراد جماعها زيَّنها له، وجعل بينهما اللذة، فإذا نزلت النطفة منه.. جعَلها راحة له، وخلق منها بشراً سويًّا، وغير ذلك من أنواع التفكرات، فإذا تأمَّل الإنسان في ذلك.. كان سبباً في زيادة معارفه وأدبِه مع ربِّه؛ ولذا قال بعض العارفين: لَذة الجماع ربما كانت من أبواب الوصول إلى الله تعالى، ومنه: ما روي: «حُبب إليَّ من دنياكم ثلاث: النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة»(٢).

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «بستان الواعظين» (ص٣٠٧).

(٢) رواه النسائي في «المجتبى» (٧/ ٦١) عن سيدنا أنس بن مالك ﷺ بلفظ: «حبِّب إليَّ النساء والطيب، وجُعلت قُرة عيني في الصلاة».

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ....

﴿٢٢﴾ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: لُغاتِكُم مِن عَرَبيَّة وعَجميَّة وغَيرِهِما، ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ مِن بَياضٍ وسَوادٍ وغَيرِهِما، وأنتُم أولادُ رَجُلٍ واحِدٍ وامرَأةٍ واحِدة، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾: دَلالاتٍ على قُدرَتِه تَعالى ﴿لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ - بِفَتحِ اللَّام وكَسرِها - أي: ذَوِي العُقُول وأُولي العِلم.

﴿٢٣﴾ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) أي: إنشاؤهما من العدم إلى الوجود.

قوله: (أي: لغاتكم) أي: بأن خلق فيكم علماً ضروريًّا تفهمون بها لغاتكم ولغاتِ بعضكم على اختلافها.

قوله: (﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾) أي: فجعلكم ألواناً مختلفة؛ منكم الأبيض والأسود والمتوسط، وغاير بين أشكالكم، حتى إنَّ التوأمين مع تَوافق موادهما وأسبابهما يختلفان في شيءٍ من ذلك وإن كانا في غاية التشابه.

وإنما قرن هذا بخلق السماوات والأرض وإن كان من جملة خلق الإنسان؛ إشارةً إلى أنه آية مستقلَّة دالَّة على وحدانيَّة الصانع.

قوله: (بفتح اللام وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (أي: ذوي العقول وأولي العلم) أي: وهم أهل المعرفة الذين لا تَحجبهم المصنوعات عن صانعها، بل يشهدون الصانع في المصنوعات، قال العارف[2]: [المتقارب]

وفِي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلى أنَّهُ الواحِدُ

قوله: (﴿مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾) قيل: في الآية تقديم وتأخير، والتقدير: ومن آياته مَنامكم

---

(١) قرأ حفص بكسر اللام، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٩/ ٣٧).

(٢) البيت لأبي العتاهية في «ديوانه» (ص٤٥) من قصيدة مطلعها:

ألا إنَّنا كُلُّنا بائدُ ... وأيُّ بَني آدمٍ خالِدُ؟

وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ

بإرادتِه راحةً لكُم، ﴿وَٱبۡتِغَآؤُكُم﴾ بالنَّهارِ ﴿مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ أي: تَصرُّفُكم في طَلَب المَعيشةِ بإرادتِه، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ سَماعَ تَدَبُّر واعتِبارٍ.

﴿٢٤﴾ ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ﴾ أي: إراءَتُكم ﴿ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا﴾ لِلمُسافِرِ مِن الصَّواعِق، ﴿وَطَمَعٗا﴾ لِلمُقِيمِ في المَطَر، ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ أي: يُبسِها بأن تُنبِتَ، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورِ ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾: يَتدبَّرُون.

﴿٢٥﴾ ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ﴾: بإرادَتِه مِن غَير عَمَدٍ، ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ بأن يَنفُخَ إسرافِيلُ ....

حاشية الصاوي

بالليل، وابتغاؤكم من فضله بالنهار، حذف حرف الجرِّ؛ لاتصاله بالليل، والأحسن أن يبقى على حاله[1]، والنوم بالنهار من جملة النِّعم لا سيَّما في أوقات القيلولة في البلاد الحارة.

قوله: (بإرادته) أي: فلا قدرة لأحد على اجتلابه.

قوله: (راحة لكم) أي: من آثار التعب الحاصل لكم.

قوله: (﴿لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾) غاير بين رؤوس الآي تفنُّناً؛ فإنَّ أهل العقل هم أهل الفكر والسمع.

قوله: (﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ﴾) الجارُّ والمجرور خبر مقدَّم، و﴿يُرِيكُمُ﴾: مؤوَّل بمصدر، مبتدأ مؤخر، وحذفت (أن) من الفعل؛ لدلالة ما قبله وما بعده عليه، وهكذا يقال فيما تقدَّم وما يأتي.

قوله: (﴿أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾) أي: تثبت وتستقرَّ.

قوله: (من غير عمد) بفتحتين: اسم جمع لعَمود، وقيل: جمع له، أو ضمَّتين: جمع عمود كـ: رُسل ورسول.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾) متعلق بـ﴿دَعَاكُمۡ﴾[2].

---

(١) أي: بلا تقدير، ويكون المعنى والله أعلَم: ومن آياته مَنامكم في الزمانين، وابتغاؤكم فيهما.

(٢) أو أنه متعلق بمحذوف صفة لـ (دعوة)، أو بمحذوف يدل عليه (تخرجون) أي: خرجتم من الأرض، ولا جائز أن يتعلق بـ (تخرجون)؛ لأن ما بعد (إذا) لا يعمل فيما قبلها. انظر «الدر المصون» (٩/ ٣٩).

إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ....

في الصُّور لِلبَعثِ مِن القُبُور ﴿إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾ مِنها أحياءً، فخُرُوجُكم مِنها بِدَعوةٍ مِن آياتِه تَعالى.

﴿٢٦﴾ ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ مُلكاً وخَلقاً وعَبِيداً، ﴿كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾: مُطِيعُون.

﴿٢٧﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ لِلنَّاسِ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بعدَ هَلاكِهم، ﴿وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ مِن البَدء بِالنَّظَرِ إلى ما عِند المُخاطَبِينَ مِن أنَّ إعادةَ الشَّيءِ أسهَلُ مِن ابتِدائِه، وإلَّا فهُما عِند الله تَعالى سَواءٌ في السُّهُولة، ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: الصِّفةُ العُليا ....

حاشية الصاوي

قوله: (في الصور) أي: نفخة البعث، فتخرج منه الأرواح إلى أجسادها؛ لأنَّ فيه طاقات بعدد الأرواح، فتَجتمع فيه ثم تخرج بالنفخة دفعة واحدة، فلا تخطئ روحٌ جسدَها.

قوله: (﴿إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾) عبَّر في ابتداء خلق الإنسان بـ(ثم) حيث قال: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ﴾ وتركها من هنا؛ لأنه في ابتداء الخلق تحصل المهلة والتراخي؛ لكونه على أطوار مختلفة، بخلاف الإعادة فلا تدريج فيها، بل تَحصل دفعة واحدة.

قوله: (مطيعون) أي: لأفعاله طاعة انقياد، لا طاعةَ عبادة، وقيل: المعنى: قائمون للحساب، وقيل: مُقِرُّون بالعبودية إمَّا باللسان أو الحال.

قوله: (﴿وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾) الضمير عائدٌ على الإعادة المفهومة من قوله: ﴿يُعِيدُهُۥ﴾، وذكَّر الضمير مراعاةً للخبر.

قوله: (بالنظر إلى ما عند المخاطبين) أي: فهو مبنيٌّ على ما تقتضيه عقولهم؛ لأنَّ مَنْ أعاد منهم شيئاً.. كان أهونَ عليه وأسهل من إنشائه، وهو جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ أفعال الله كلَّها متساوية بالنسبة إلى قدرته تعالى. وأجيب أيضاً: بأنَّ اسم التفضيل ليس على بابه؛ فـ﴿أَهۡوَنُ﴾ بمعنى: هيِّن.

قوله: (أي: الصفة العليا) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿ٱلۡمَثَلُ﴾ بمعنى الصفة، و﴿ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ بمعنى العليا؛ أي: المرتفعة المنزَّهة عن كلِّ نقص.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ ....

وهي أنَّهُ لا إلَه إلَّا الله، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في مُلكِه، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خَلقِه.

﴿٢٨﴾ ﴿ضَرَبَ﴾: جعَلَ ﴿لَكُم﴾ أيُّها المُشرِكُون ﴿مَّثَلًا﴾ كائناً ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ وهو: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم﴾ أي: مِن مَمالِيكِكُم ﴿مِّن شُرَكَاءَ﴾ لَكُم ﴿فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ مِن الأموالِ وغَيرِها، ﴿فَأَنتُمْ﴾ وهُم ﴿فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: أمثالَكُم مِن الأحرارِ - والاستِفهامُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وهي أنه لا إله إلا هو[1]) أي: فالمراد بها الوصف بالوحدانيَّة ولَوازمها من كلِّ كمال، والتَّنزيه عن كل نقص.

قوله: (﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا﴾) أي: صفة وشكلاً تقيسون عليه.

قوله: (كائناً ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ (من) ابتدائية متعلقة بمحذوف صفة لـ﴿مَّثَلًا﴾.

قوله: (﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ﴾... إلخ) ﴿هَل﴾: حرف استفهام، و﴿لَّكُم﴾: خبر مقدَّم، و﴿شُرَكَاءَ﴾: مبتدأ مؤخَّر، و﴿مِّن﴾: زائدة، و﴿مِّمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: حال من ﴿شُرَكَاءَ﴾؛ لكونه نعت نكرة قدِّم عليها، و(مِن): تبعيضيَّة، فتحصَّل أنَّ (مِن) الأولى ابتدائية، والثانية تبعيضيَّة، والثالثة زائدة.

قوله: (﴿فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾) أي: ملَّكناكم، وأشار بذلك إلى أنَّ الرزق حقيقة لله تعالى. وإيضاح هذا المثل أن يقال: إذا لم يصحَّ أن تكون مَماليككم شركاءَ فيما بأيديكم من رزق الله.. فلا يصح بالأَولى جعل بعض مَماليك الله شركاءَ فيما هو له حقيقة.

قوله: (﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾) أي: مُستون معهم في التَّصرف على حُكم عادة الشركاء.

قوله: (﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾) من جملة المنفي، فهو مرتَّب عليه، فالمراد: نفي الثلاثة: الشركة، والاستقامة مع العَبيد، وخوفهم كخوف أنفسكم، والمعنى: أنتم تَنفون عنهم الأوصاف الثلاثة من أجل كونهم مماليك لكم؛ فكيف تثبتون تلك الأوصاف لِبعض مماليك الله؟!

(١) في (ط٢): (وهي أنه لا إله إلا الله) وهي الموافقة لِنُسخ الجلال.

كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ....

بِمَعنَى النَّفي ـ المَعنَى: ليسَ مَماليكُكُم شُركاءَ لَكُم إلى آخِره عِندكُم، فكيفَ تَجعَلُون بَعضَ مَماليك الله شُركاءَ لَهُ؟! ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾: نُبيِّنُها مِثلَ ذلك التَّفصِيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يَتدبَّرُون.

﴿٢٩﴾ ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ بِالإشراكِ ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ أي: لا هادِيَ لَهُ، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مانِعِين مِن عَذابِ الله.

﴿٣٠﴾ ﴿فَأَقِمْ﴾ يا مُحمَّد ﴿وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ مائِلاً إلَيهِ، أي: أخلِص دِينَك لِله أنتَ ومَن تَبِعَك، ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾: خِلْقَتَهُ ﴿ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وهي دِينُه، أي: اِلزَمُوها،

حاشية الصاوي

قوله: (بمعنى النفي) أي: فهو استفهام إنكاري.

قوله: (﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾) أي: فهذا المثل إنما ينفع العاقل الذي يتدبَّر الأمور.

قوله: (﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾... إلخ) إضرابٌ عمَّا ذكر أوَّلاً؛ إشارةً إلى أنهم لا حُجة لهم في الإشراك، ولا دليل لهم سوى اتباع هواهم.

قوله: (لا هادي له) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾) شروعٌ في تسليته ﷺ، والمراد بإقامة الوجه: بذل الهمَّة ظاهراً وباطناً في الدين.

قوله: (أنت ومن تبعك) أشار بذلك إلى أنَّ الخطاب للنبي ﷺ، والمراد هو وأُمَّته.

قوله: (﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾) منصوب بفعل محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (الزموها)، وهي ترسم بالتاء المجرورة، وليس في القرآن غيرها، وقوله: (وهي دينه) أي: دين الإسلام، وعلى هذا: فالخَلق جميعاً مجبولون على التوحيد يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؛ ولذا قال ﷺ: «**كلُّ مولود يولد على الفطرة، فأبَواه يهوِّدانه وينصِّرانه**»[1]، وهذا غير ما سَبق في علم الله، وأمَّا هو فعلم أن قوماً

(١) رواه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨) عن سيدنا أبي هريرة ﷺ.

لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ....

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾: لِدِينِه، أي: لا تُبَدِّلُوهُ بِأن تُشرِكُوا، ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: المُستقِيم تَوحِيدُ الله، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: كُفَّار مكَّة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ تَوحِيدَ الله.

﴿٣١﴾ ﴿مُنِيبِينَ﴾: راجِعِينَ ﴿إِلَيْهِ﴾ تَعالى فِيما أمَرَ بِه ونَهَى عنهُ، ـ حالٌ مِن فاعِل (أقِم)

حاشية الصاوي

يكفرون، وقوماً يؤمنون؛ فمَنْ سبق في علم الله إيمانُهُ.. فقد استمرَّ على فِطرته الأصليَّة، ومَنْ سبق في علم الله كفرُهُ.. فقد رجع عن فطرته وإن كان سَبق منه التوحيد، وحينئذٍ يكون معنى الآية: الزَم أنت ومن تبعك الفطرة التي فطرك ربُّك عليها، وهي التوحيد، وهذا أحدُ أقوال ثلاثة في معنى الفطرة.

وقيل: المراد بها: الخلقة الأصليَّة التي ابتدأهم الله عليها من سَعادة وشقاوة، وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ؛ فمَن ابتدأ الله خلقه للضلالة.. صيَّره إلى الضلالة وإن عمل بأعمال الهدى ومن ابتدأ الله خلقه للهدى.. صيَّره إلى الهدى وإن عَمل بأعمال الضلالة.

وقيل: إنها الخلقة والطبيعة التي في نفس الطفل، يكون بها مهيَّأً لمعرفة ربِّه، ليس بين قلوبهم ومعرفة ربهم حِجاب؛ كما خلق أسماعهم وأبصارهم قابلة للمسموعات والمبصرات، فما دامت باقيةً على تلك الهيئة أدركت الحقَّ ودين الإسلام، ولا يَحجبها عنه إلا وساوس الشيطان بعد البلوغ؛ ولذا كان كلُّ مَنْ مات من بني آدم قبل بُلوغه في الجنة وإن كان من أولاد المشركين، وهذا قولٌ قريبٌ من معنى القول الأول.

قوله: (أي: لا تبدلوه) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾ خبرٌ والمراد منه الأمر.

قوله: (توحيد الله) تفسير لقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾.

قوله: (﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد الله) أي: بل جَهلوا ذلك، فعبدوا غير الله.

قوله: (حال من فاعل «أقم») أي: وما بينهما اعتراض(١).

(١) أو يكون حالاً من فاعل (الزموا) المضمر؛ أي: الزموها مُنيبين، أو خبراً لـ (كان) مقدرة؛ أي: كونوا مُنيبين؛ لدلالة قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟﴾. وانظر «الدر المصون» (٩/ ٤٤).

وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ....

وما أُريد به ـ أي: أَقيموا ﴿وَاتَّقُوهُ﴾: خافوه، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿٣٢﴾ ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ ـ بَدَل بإعادةِ الجارِّ ـ ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ باختلافِهِم فِيما يَعبُدُونَه، ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾: فِرَقًا في ذلك، ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ مِنهُم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عِندَهم ﴿فَرِحُونَ﴾: مَسرُورُون، ـ وفي قِراءة: (فارَقُوا) ـ أي: تَركُوا دِينَهم الذِي أُمِرُوا به.

﴿٣٣﴾ ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ﴾ أي: كُفَّارَ مكَّة ﴿ضُرٌّ﴾: شِدَّةٌ ﴿دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ﴾: راجِعِين ﴿إِلَيْهِ﴾ دُون غَيرِه، ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ بالمَطرِ ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿٣٤﴾ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أُرِيد بِه التَّهدِيدُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وما أريد به) أي: بالخطاب؛ فإنه أريد به محمَّد ومَنْ تَبعه.

قوله: (أي: أقيموا) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ عطف على محذوف مأخوذ من الحال قبله.

قوله: (﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾) أي: فأهل السعادة فَرِحون بسعادتهم، وأهل الشقاوة فرحون بما زيَّن لهم الشيطان؛ لظنِّهم أنهم على حقٍّ.

قوله: (وفي قراءة: «فارقوا») أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ﴾) (إذا): شرطية، وجوابها قوله: ﴿دَعَوْا رَبَّهُم﴾، وقوله: (أي: كفار مكة) خصَّ ذلك بهم؛ لأنه سبب النزول، وإلَّا.. فالعِبرة بعموم اللفظ.

قوله: (﴿إِذَا فَرِيقٌ﴾) (إذا): فجائية قائمة مَقام الفاء، فهي رابطة للشرط.

قوله: (أريد به التهديد) أي: فاللام لام الأمر للتوبيخ والتقريع، على حدِّ: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾.

(١) وبها قرأ حمزة والكسائي. انظر «السراج المنير» (٣/ ١٦٨).

فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ ....

﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقِبَةَ تَمتُّعِكُم، ـ فِيه التِفاتٌ عن الغَيبةِ ـ.

﴿٣٥﴾ ﴿أَمْ﴾ ـ بِمَعنى هَمزةِ الإنكارِ ـ ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ : حُجَّةً وكِتاباً ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ تكلُّمَ دَلالةٍ ﴿بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ أي: يَأْمُرُهُم بالإشراكِ؟ لا.

﴿٣٦﴾ ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾ : كُفَّارَ مكَّةَ وغيرَهُم ﴿رَحْمَةً﴾ : نِعمةً ﴿فَرِحُواْ بِهَا﴾ فرحَ بَطَرٍ، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ﴾ : شِدَّة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ : يَيأَسُونَ مِن الرَّحمةِ، ومِن شَأنِ المُؤمِنِ أن يَشكُرَ عِند النِّعمة ويَرجُوَ رَبَّه عِندَ الشِّدَّة.

﴿٣٧﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ : يَعلَمُوا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ : يُوَسِّعهُ ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتِحاناً،

حاشية الصاوي

قوله: (عاقبة تمتُّعكم) قدّره؛ إشارةً إلى أن مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾ محذوف.

قوله: (فيه التفات عن الغيبة) أي: إلى الخطاب؛ لأجل المبالَغة في زجرهم.

قوله: (بمعنى همزة الإنكار) أي: فهي مُنقطعة تفسَّر تارةً بالهمزة وحدها، وتارةً بالهمزة و(بل).

قوله: (﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾) داخل في حيِّز النفي.

قوله: (أي: يأمرهم بالإشراك) أشار بذلك إلى أنَّ (ما)، مصدرية، والأحسَن أن يجعلها موصولة؛ أي: بالأمر الذي كانوا يشركون بسببه.

قوله: (فرحَ بطرٍ) أي: عجبٍ وكبرٍ، فيصرفونها فيما يُغضبه تعالى، ولو فرحوا بها فرحَ سرورٍ.. لصرفوها فيما يُرضيه.

قوله: (﴿يَقْنَطُونَ﴾) بفتح النون وكسرها، سبعيَّتان[1].

قوله: (ومن شأن المؤمن) أي: من خَصلته وهيئته.

قوله: (ويرجو ربَّه عند الشدة) أي: لأنه يشهد أنه لا كاشف لها غيره، ولا رحيم سِواه.

قوله: (امتحاناً) أي: اختباراً؛ لينظر أيشكر أم يطغى.

---

(١) قرأ أبو عمرو والكسائي بكسر النون بعد القاف، والباقون بالفتح. انظر «السراج المنير» (٣/ ١٧٠).

وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا ....

﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضَيِّقُهُ لِمَن يَشاء ابتلاءً؟ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بها.

﴿٣٨﴾ ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ﴾: القَرابةِ ﴿حَقَّهُ﴾ مِن البرِّ والصِّلة، ﴿وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾: المُسافِر مِن الصَّدَقة، وأُمَّةُ النَّبيِّ تَبَعٌ لَهُ في ذلك، ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ أي: ثَوابَه بِما يَعمَلُون، ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائِزُون.

﴿٣٩﴾ ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا﴾ بِأن يُعطِيَ شَيئاً هِبةً أو هَدِيَّة لِيَطلُبَ أكثَرَ مِنهُ، فسُمِّيَ

حاشية الصاوي

قوله: (ابتلاءً) أي: فينظر هل يصبر ويرضى أم يضجُر ويشكو.

قوله: (﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾) هذه الآية في صدقة التطوع، لا في الزكاة الواجبة؛ لأنَّ السورة مكيَّة، والزكاة فرضت في السنة الثانية من الهجرة بالمدينة.

قوله: (القرابة) أخذ أبو حنيفة من الآية أنَّ النفقة على الأرحام عموماً واجبةٌ على القادر، وعند مالك والشافعي: النفقة على الأصول والفُروع واجبة، وما عدا ذلك مندوب[١].

قوله: (وأمة النبي. . .الخ) أشار بذلك إلى أنَّ الأمر وإن كان للنبي فالمراد أمَّته.

قوله: (﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾) أي: الظافرون بمقصودهم.

قوله: (﴿وَمَا آتَيْتُمْ﴾) بالمد والقصر، قراءتان سبعيَّتان[٢].

قوله: (بأن تعطوا شيئاً. . . إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ هذه الآية نزلت في هبة الثواب، وهي: أن يريد الرجل بهديَّته أكثر منها، وهي مكروهة في حقِّنا، وأما في حقِّه ﷺ. . فمحرمة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦]، والحكم فيها إذا وقَعت: أنه إذا شرط عليه الثواب. . لزمه الدفع، وإن لم يشترط عليه. . فلا يلزمه إلا دفع قيمتها إن كان مِثله ممن يطلب الثواب من الموهوب له، لا من نحو غنيٍّ لفقير.

قوله: (فسمِّي) أي: المُعطى، وهو الهدية.

---

(١) انظر «حاشية ابن عابدين» (٣/ ٦٢٨)، و«المدونة» (٢/ ٢٦٦)، و«تحفة المحتاج» (٨/ ٣٤٥).

(٢) قرأ ابن كثير بقصر الهمزة بمعنى: ما جئتم به من إعطاء رباً، والباقون بمدِّها. انظر «السراج المنير» (٣/ ١٧١).

لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم

بِاسم المَطلوبِ مِن الزِّيادة في المُعامَلة، ﴿لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ المُعطَين أي: يَزِيدَ ﴿فَلَا يَرْبُواْ﴾: يَزكُو ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا ثَوابَ فِيهِ لِلمُعطِين، ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾: صَدَقةٍ ﴿تُرِيدُونَ﴾ بِها ﴿وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ ثَوابَهم بِما أرادُوهُ، فِيهِ التِفاتٌ عن الخِطاب.

﴿٤٠﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ مِمَّن أشرَكتُم بِالله ....

حاشية الصاوي

قوله: (باسم المطلوب) أي: الذي يَأخذه من المهدى إليه في مقابلة ما أعطاه.

قوله: (﴿فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾) أي: في تحصيلها.

قوله: (المعطَيْن) أي: الآخذِين للهبة والهدية.

قوله: (أي: لا ثواب فيه للمعطِينَ) أي: الدافعين لما ذكر، فالأوَّل اسم مفعول، والثاني اسم فاعل.

قوله: (صدقةٍ) أي: صدقةِ تطوُّعٍ، وعبَّر عنها بالزكاة؛ إشارةً إلى أنها مطهِّرةٌ للأموال والأبدان والأخلاق.

قوله: (﴿هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾) أي: الذين تَضاعفت لهم الحسنات.

قوله: (فيه التفات عن الخطاب) أي: تعظيماً لحالهم، أو قصداً للعموم، كأنه قيل: من فعل ذلك.. فأولئك هم المضعِفون.

قوله: (﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾) جملةٌ من مبتدأ وخبر، وهي تفيد الحصر؛ لكونها معرَّفةَ الطرفين.

قوله: (﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾... إلخ) خبرٌ مقدَّم، و﴿مِّن﴾: للتبعيض، و﴿مَّن يَفْعَلُ﴾: مبتدأ مؤخَّر، وقوله: ﴿مِّن ذَٰلِكُم﴾: جارٌّ ومجرور متعلق بمحذوف حال من ﴿شَىْءٍ﴾؛ لكونه نعتَ نكرةٍ تقدَّم عليها، و﴿مِّن شَىْءٍ﴾: مفعول ﴿يَفْعَلُ﴾، و﴿مِّن﴾: زائدة، والتقدير: من الذي يفعل شيئاً من ذلكم من شركائكم؟ واسم الإشارة يَعود على ما ذكر من الأمور الأربعة، وهي الخلق، والرزق، والإماتة، والإحياء.

مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ....

﴿مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾؟ لا، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به.

﴿٤١﴾ ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ﴾ أي: القِفارِ بِقَحطِ المَطَر وقِلَّة النَّبات ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ أي: البِلاد التِي على الأنهارُ بِقِلَّةِ مائِها، ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ مِن المَعاصِي؛

حاشية الصاوي

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاري.

قوله: (﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾) هذا نتيجة ما قبله؛ أي: فإذا ثبت أنه تعالى هو الفاعل لذلك كلِّه، ولا شريكَ له في شيء منها.. فالواجبُ تسبيحُهُ وتنزيهه عن كلِّ نقصٍ.

قوله: (أي: القفار) بكسر القاف جمع (قَفْرٍ)، وهي: الأرض التي لا ماءَ بها ولا نبات، وأمَّا القَفَارُ ـ بفتح القاف ـ فهو الخبز الذي لا أُدْمَ معه[1].

قوله: (بقحط المطر) أي: مَنعه من النزول.

قوله: (أي: البلاد التي على الأنهار) وقيل: إنَّ قلَّة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر؛ فتَخلو أجواف الأصداف، وتعمو دوابُّه[2]، فإذا أمطرت السماء.. تفتَّحت الأصداف في البحر؛ فما وقع فيها من السماء فهو لؤلؤ، وتكثر دوابُّ البحر.

قوله: (﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾) الباء: سببيَّة، و(ما): مصدرية؛ أي: بِسبب كسبهم.

قوله: (من المعاصي) أي: ومبدؤها قتل قابيل هابيل؛ لأنَّ الأرض كانت قبل ذلك نضرةً مثمرةً، لا يأتي ابنُ آدم شجرةً إلَّا وجد عليها الثمر، وكان البحر عذباً، وكان الأسد لا يَصول على الغنم ونحوها، فلَما قتله.. اقشعرَّت الأرض[3]، ونبت الشوك في الأشجار، وصار ماء البحر ملحاً، وتسلَّطت الحيوانات بعضُها على بعضٍ.

---

(١) ومنه: أقفر البيت: إذا خَلا من الأدم.

(٢) كذا في الأصول، ولعلها: (وتعمى دوابه)، وفي «القرطبي» (١٤/ ٤٠): (إذا قلَّ المطر.. قلَّ الغوص عنده، وأخفق الصيادون، وعَمِيت دواب البحر).

(٣) اقشعرت الأرض: اربدت وتقبضت وتجمَّعت. «تاج العروس» (١٣/ ٤٢٠).

لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ ....

﴿لِيُذِيقَهُم﴾ - بالياءِ والنُّون - ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ أي: عُقُوبَتَه ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يَتُوبُون.

﴿٤٢﴾ ﴿قُلْ﴾ لِكُفَّارِ مكَّة: ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ فأُهلِكُوا بِإشراكِهِم، ومَساكِنُهم ومَنازِلُهم خاوِية.

﴿٤٣﴾ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾: دِينِ الإسلامِ ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ هو يَومُ القِيامة، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾) اللام: للعاقبة والصيرورة، متعلق بقوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ...﴾ إلخ، وهذا فيمن أظهر الفساد وتكبَّر وتجبَّر وكفر، وإلا.. فالمصائب للصالحين رفعُ درجاتٍ، ولِعُصاة المؤمنين تكفيرُ سيئاتٍ.

قوله: (أي: عقوبته) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾) أي: وهي الدمار والهلاك إن لم يَتوبوا، وكذلك يحل بكفار مكة إن لم يتوبوا، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٧٥].

قوله: (﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾) الخطاب للنبي ﷺ، والمراد هو وأُمَّته، والمعنى: ابذل همَّتك في دين الإسلام واشتغل به، ولا تحزن عليهم.

قوله: (﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾) أي: وأما بعد مجيئه.. فلا ينفع العاملَ عملُهُ، بل كلُّ إنسان يلقى جزاءَ ما عمله قبل ذلك، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨-٤١].

قوله: (﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾) متعلق بـ﴿يَأْتِىَ﴾.

قوله: (﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾) التنوين عوض عن جملة؛ أي: يوم إذ يأتي هذا اليوم.

مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم . .

ـ فِيهِ إدغام التَّاء في الأصلِ في الصَّاد ـ: يَتفرَّقُون بعدَ الحِساب إلى الجنَّة والنَّار.

﴿٤٤﴾ ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾: وَبالُ كُفرِه وهو النَّار، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾: يُوطئُون مَنازِلَهم في الجَنَّة.

﴿٤٥﴾ ﴿لِيَجْزِيَ﴾ ـ مُتعلِّق بـ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: يُثيبَهُم، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: يُعاقِبُهم.

﴿٤٦﴾ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ تعالى ﴿أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ بِمَعنَى: لِتُبَشِّرَكُم بِالمَطَرِ، ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾ بِها ....

حاشية الصاوي

قوله: (فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد) أي: فأصله: يتصدعون، أبدلت التاء صاداً وأدغمت في الصاد.

قوله: (يتفرقون بعد الحساب) أي: عند سماع قوله تعالى: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩].

قوله: (وبال كفره) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (يُوطئون منازلهم) أي: فالأعمال الصالحة في الدنيا بها تُهيَّأ المنازل في الجنة.

قوله: (متعلق بـ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾) أي: والتقدير: يتفرقون ليجزيَ الذين آمنوا من فضله، والذين كفروا بعدله.

قوله: (﴿ٱلرِّيَاحَ﴾) أي: الشمال والصبا والجنوب؛ فإنها رياح الرحمة، وأما الدَّبُور.. فهي ريح العذاب، يدل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «**اللهمَّ اجعلها رياحاً، ولا تجعلها ريحاً**»[١].

قوله: (﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾) عطف على ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾، كأنه قال: لِتبشركم وليذيقكم[٢].

---

(١) رواه الإمام الشافعي في «المسند» (١/ ٨١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٢١٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) وهو عطف على المعنى ـ المسمَّى في غير القرآن: عطف التوهم ـ في المركبات، ويحتمل أن التقدير: وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلها، انظر «مغني اللبيب» (ص٦٢٣).

مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ ....

﴿مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾: المَطَر والخَصب، ﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾: السُّفُن بِها ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾: بِإرادَتِه، ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾: تَطلُبُوا ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ الرِّزقَ بِالتِّجارةِ في البَحر، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هَذِه النِّعَمَ يا أهلَ مكَّة فتُوَحِّدُونَهُ.

﴿٤٧﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بِالحُجَجِ الواضِحات على صِدقِهِم في رِسالَتِهِم إلَيهِم، فكَذَّبُوهُم، ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾: أهلَكنا الَّذِين كذَّبُوهُم، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ على الكافِرين بِإهلاكِهِم وإنجاءِ المُؤمِنِين.

﴿٤٨﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾: تُزعِجُهُ، ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾) (مِن): تبعيضيَّة؛ أي: بعضَ رحمته.

قوله: (يا أهل مكة) خصَّهم؛ لأنهم سبب نزول الآية، وإلَّا.. فالعبرة بعموم اللفظ.

قوله: (﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا﴾) هذه الآية مُعترضة بين الآيات المُفَصَّلةِ والمُفصِّلةِ؛ لأنَّ قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ تفصيلٌ لقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾، وحكمةُ ذلك: تسليتُهُ ﷺ وتأنيسُهُ؛ حيث وَعده بنصر المؤمنين عموماً.

قوله: (﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾) عطف على محذوف، قدَّره بقوله: (فكذَّبوهم).

قوله: (﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾) (كان): فعل ماض ناقص، و﴿نَصْرُ﴾: اسمها مؤخَّر، و﴿حَقًّا﴾: خبرها مقدَّم، و﴿عَلَيْنَا﴾: متعلق بـ﴿حَقًّا﴾، أو بمحذوف صفة، وهذا وعدٌ حسَن من الله للمؤمنين بنَصرهم على أعدائهم في الدنيا والآخرة، وهو لا يتخلَّف.

قوله: (﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾) مبتدأ وخبر، وهو تفصيل لما أجمل أوَّلاً؛ كما تقدَّم التَّنبيه عليه.

قوله: (تُزعجه) أي: تهيِّجه وتحرِّكه.

قوله: (﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾) أي: يَنشره في جهتها متَّصلاً بعضه ببعض.

وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ ....

مِن قِلَّةٍ وكَثرة، ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ بِفَتحِ السِّين وسُكُونها: قِطَعاً مُتفرِّقةً، ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾: المَطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ أي: وسَطِه، ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾: بِالوَدْق ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يَفرَحُون بِالمَطر.

﴿٤٩﴾ ﴿وَإِن﴾: وقد ﴿كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ﴾ - تأكيد - ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾: آيِسِينَ مِن إنزالِه.

﴿٥٠﴾ ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ أَثَرِ﴾ - وفي قِراءةٍ: ﴿ءَاثَٰرِ﴾ - ﴿رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي: نِعمَتِه بِالمَطرِ ﴿كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أي: يُبسِها بِأن تُنبِتَ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بفتح السين وسكونها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[١]؛ فالمفتوح جمعُ: كِسْفَةٍ، والمسكَّن مخفَّف المفتوح؛ فقوله: (قطعاً) تفسير للوجهين.

قوله: (﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾) ﴿إِذَا﴾: فُجائية، والمعنى: فاجأهم الفرح.

قوله: (﴿وَإِن كَانُوا۟﴾) فسَّر (إن) بـ(قد) تبعاً لغيره؛ فالواو: للحال، و(قد): لِلتحقيق، وبعضهم جعلها مخفَّفة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والجملة خبرها؛ بدليل اللام في ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾؛ فإنها اللام الفارقة، وكلٌّ صحيح.

قوله: (تأكيد) أي: إشارة إلى أنه أتاهم الفرج بعد تمادِي يأسهم.

قوله: (﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾) أي: ما ينشأ عن المطر من خضرة الأشجار وأثمارها وبهجتها ونضارتها.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[٢].

---

(١) قرأ أبو جعفر وابن ذكوان وهشام بخلف عنه بإسكان السين، والباقون بفتحها، وهو الوجه الثاني لهشام. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٤٩).

(٢) قرأ ابن عامر والأخوان وحفص بالجمع، والباقون بالإفراد. انظر «الدر المصون» (٩/ ٥٣).

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٥٠ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ۝٥١ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۝٥٢ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ۝٥٣﴾ ....

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(٥١) ﴿وَلَئِنْ﴾ - لامُ قَسَم - ﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ مُضِرَّة على نَبات ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا﴾: صارُوا - جَواب القَسَم - ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بعدَ اصفِرارِه ﴿يَكْفُرُونَ﴾: يَجحَدُون النِّعمةَ بِالمَطَرِ.

(٥٢) ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزتَينِ وتَسهِيلِ الثَّانية بينها وبينَ الياء - ﴿وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾.

(٥٣) ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن﴾: ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سَماعَ إفهامٍ وقَبُولٍ ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: القُرآنِ ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: مُخلِصُون بِتَوحِيدِ الله.

حاشية الصاوي

قوله: (مضرَّة) أي: وهي ريح الدَّبُور.

قوله: (﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾) أي: بعد خُضرته.

قوله: (جواب القسم) أي: وقد سدَّ مسدَّ جواب الشرط؛ للقاعدة المعلومة من أنه عند اجتماع الشرط والقسم يحذف جوابُ المتأخِّر منهما.

قوله: (يَجحدون النعمة) أي: فشأنهم يَفرحون عند الخصب؛ فإذا جاءتهم مصيبة في زرعهم.. جحدوا سابِق نعمة الله عليهم.

قوله: (﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾) تعليلٌ لمحذوف، والمعنى: لا تحزن على عدم إيمانهم، فهم موتى صمٌّ عميٌ، وأنت لا تُسْمِعُ مَنْ كان كذلك.

قوله: (بتحقيق الهمزتين... إلخ) أي: وهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾) أي: يصدِّق بها.

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية في الوصل، والباقون بالتحقيق، ووقف حمزة وهشام على (الدعاء) وأبدلا الهمزة ألفاً مع المدَّة والتوسط والقصر. انظر «السراج المنير» (٣/ ١٧٦).

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ﴾ ....

﴿٥٤﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضُعْفٍ﴾: ماءٍ مَهِينٍ، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضُعْفٍ﴾ آخَرَ - وهو ضَعفُ الطُّفُولِيَّة - ﴿قُوَّةً﴾ أي: قُوةَ الشاب، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفًا وَشَيْبَةً﴾ ضُعف الكِبَر وشَيبُ الهَرَم، - والضُّعف في الثَّلاثة بِضَمٍّ أوَّلِه وفَتحِه - ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ مِن الضُّعف والقُوَّة والشَّبابِ والشَّيبةِ، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بِتَدبيرِ خَلقِه، ﴿ٱلْقَدِيرُ﴾ على ما يَشاءُ.

﴿٥٥﴾ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ﴾: يَحلِف ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: الكافِرُون: ﴿مَا لَبِثُوا۟﴾ في القُبُور ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِّن ضَعْفٍ﴾) أي: أصلٍ ضعيفٍ.

قوله: (ماء مهين) أي: حقيرٍ ضعيفٍ قليلٍ.

قوله: (﴿وَشَيْبَةً﴾) أي: وهو بَياض الشعر الأسود، ويحصل أوَّله غالباً في السنة الثالثة والأربعين، وهو أول سنِّ الكهولة، والأخذ في النقص بعد الخمسين لثلاث وستين فيزيد، وهو أول سن الشيخوخة، فيزيد الضعف في الجسم والعقل إلى آخر العُمر، وهذا في غير أهل التقوى والصلاح، وأمَّا هم.. فيَزيد عقلهم لآخر عُمرهم.

قوله: (بضمِّ أوله وفتحه) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾) أي: تحصل وتوجد، والمراد بها: القيامة، سمِّيت بذلك؛ لحصولها في آخر ساعةٍ من ساعات الدنيا.

قوله: (الكافرون) أي: المنكرُون للبعث.

قوله: (مكثوا في القبور) إنما استقلُّوا تلك المدة؛ لأنَّ عذاب القبر خفيفٌ بالنسبة لما شاهَدوه من عذاب النار، وقيل: المراد: مكثوا في الدنيا، فاستقلُّوا أجل الدنيا لما عايَنوا الآخرة.

---

(١) قرأ حمزة وشعبة وحفص بخلف عنه. بفتح الضاد والباقون بضمها وهو الوجه الثاني لحفص والوجهان عنه جيدان. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٥٠).

كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ ....

قال تَعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرَفُون عن الحَقِّ البَعث كما صُرِفُوا عن الحَقِّ الصِّدقِ في مُدَّة اللُّبْث.

﴿٥٦﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ مِن المَلائكةِ وغَيرِهم: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: فِيما كَتَبَهُ في سابِق عِلمِه ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ الَّذِي أنكَرتُمُوهُ، ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وُقُوعَه.

﴿٥٧﴾ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ﴾ ـ بِالياءِ والتَّاء ـ ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ في إنكارِهِم لَهُ، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لا يُطلَب مِنهُم العُتبَى أي: الرُّجُوعُ إلى ما يُرضِي الله.

حاشية الصاوي

قوله: (يُصرفون عن الصدق) أي: الإقرار والاعتراف به في الدنيا.

قوله: (﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾) أي: ردًّا عليهم وتكذيباً لهم.

قوله: (وغيرهم) أي: كالأنبياء والمؤمنين.

قوله: (أنكرتموه) أي: في الدنيا.

قوله: (﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾) التنوين عوض عن جمل محذوفة؛ أي: يَومئذْ قامت الساعة وحلف المشركون كاذبين وردَّ عليهم الملائكة وغيرُهم وبيَّنوا كذبهم لا تنفع... إلخ.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾) أي: اعتذارهم.

قوله: (العتبى) كـ: (الرجعى) وزناً ومعنىً، والمعنى: لا يُجابون لما طلبوه من الرجوع إلى الدنيا.

---

(١) قرأ الكوفيون بياء التذكير وغيرهم بتاء التأنيث. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٥١).

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿٥٨﴾ ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾: جعَلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ﴾ تنبيهاً لَهُم، ﴿وَلَئِن﴾ ـ لام قَسَم ـ ﴿جِئْتَهُم﴾ يا مُحمَّد ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ مِثل العَصا واليَد لِمُوسى ﴿لَّيَقُولَنَّ﴾ ـ حُذِفَ مِنهُ نُونُ الرَّفع لِتَوالِي النُّونات، والواوُ ضَمِير الجَمع لِالتقاءِ السَّاكِنَين ـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ مِنهُم: ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ﴾ أي: مُحمَّد وأصحابُه ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾: أصحابُ أباطِيلَ.

﴿٥٩﴾ ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التَّوحِيدَ كما طَبَعَ على قُلُوب هؤلاءِ.

﴿٦٠﴾ ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بِنَصرِك عَلَيهِم ﴿حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ بِالبَعثِ، أي: لا يَحمِلُنَّك على الخِفَّة والطَّيش بِتَركِ الصَّبرِ، أي: لا تَترُكْهُ.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾) (مِن): للتبعيض؛ أي: بعض كلِّ صفة؛ لأجل إرشادهم.

قوله: (﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ﴾) أي: ممَّا اقترحوا.

قوله: (حذف منه نون الرفع... إلخ) هذا سبق قَلم من المفسِّر؛ فالصواب أن يقول: هو فعل مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والذين: فاعله؛ لأنَّ اللام مفتوحة باتفاق القرَّاء.

قوله: (منهم) حال من الكافرين.

قوله: (﴿فَٱصْبِرْ﴾) أي: إذا علمت حالهم وأنهم لا يؤمنون؛ لوجود الطبع على قلوبهم.. فاصبر... إلخ.

قوله: (﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾) تعليل للأمر بالصبر.

قوله: (والطيش) عطف مرادف على (الخفة).

قوله: (أي: لا تتركنَّه) أي: لا تَترك الصبر؛ لتكذيبهم وإيذائهم.

✿ ✿ ✿

﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ ....



مَكِّيَّة أو إلَّا ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ...﴾ الآيتَين فمَدنِيَّتان، وهي أربعٌ وثلاثونَ آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلَم بِمُرادِه بِهِ.

(٢) ﴿تِلْكَ﴾ أي: هَذه الآياتُ ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: ذِي الحِكمة، ـ والإضافةُ بِمَعنى (مِن) ـ.

حاشية الصاوي

سُورَةُ لُقْمَانَ

(سورة لقمان مكية) مبتدأ وخبر، سمِّيت بذلك؛ لذكر قصة لقمان فيها.

قوله: (إلا ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾... إلخ) هذا أحد أقوال ثلاثة، وقيل: مكيَّة كلُّها، وقيل: إلا ثلاث آيات من قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى ﴿خَبِيرٌ﴾، وهذا القول الثالث للبيضاوي[1].

قوله: (أي: هذه الآيات) أي: آيات السورة، وأُشير إليها بإشارة البعيد؛ لعلوِّ رتبتها، ورفعة قدرها عند الله وإن كانت قريبةً من الأذهان.

قوله: (ذي الحكمة) أي: المشتمل على الحكمة، وهي: العِلم النافع، ويصح أن يراد بـ(الحكيم): المحْكَم؛ أي: المتْقَن الذي لا يَأتيه الباطل من بين يدَيه ولا من خلفه، ويصح أن يراد: الحكيم قائله، حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وهو الضمير المجرور، فبانقلابه مرفوعاً استكن في الصفة المشبهة.

(١) انظر «تفسير البيضاوي» (٤/ ٢١٢).

هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ

﴿٣﴾ هو ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ ـ بِالرفع ـ ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾، ـ وفي قِراءة العامَّة بِالنَّصبِ حالاً مِن الآيات، العامِل فِيها ما في ﴿تِلْكَ﴾ مِن مَعنَى الإشارة ـ.

(﴿٤﴾ ـ ﴿٥﴾) ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ـ بَيان لِلمُحسِنِين ـ ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ـ ﴿هُمْ﴾ الثَّاني تَأكِيد ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائِزُون.

﴿٦﴾ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ أي: ما يُلهِي مِنهُ عَمَّا يَعنِي ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالرفع) أي: لحمزة على أنه خبرٌ لمحذوف، قدَّره بقوله: (هو).

قوله: (وفي قراءة العامَّة) أي: وهم السبعة ما عدَا حمزة.

قوله: (حالاً من «الآيات») أي: حالة كون كلٍّ منهما حالاً.

قوله: (من معنى الإشارة) أي: كأنه قال: أشير إلى تلك الآيات حال كونها هدىً ورحمةً.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾) أي: يُؤدُّونها بأركانها وآدابها.

قوله: (﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾) أي: يعطونها لمستحقِّيها.

قوله: (﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾) أي: يؤمنون بلقاء الله والبعث.

قوله: (الفائزون) أي: بما أُعِدَّ لهم من النَّعيم المقيم.

قوله: (﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي﴾... إلخ) شروعٌ في ذكر مُقابل الفريق الأول على حكم عادته تعالى في كتابه.

والجارُّ المجرور: خبر مقدَّم، والاسم الموصول: مبتدأ مؤخَّر. واعلَم أنَّ (مَنْ) لفظها مفرد، ومعناها جمع، فرُوعي لفظها في جميع الضمائر الآتية، وروعي معناها في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

قوله: (﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾) إمَّا من إضافة الصفة للموصوف؛ أي: الحديث اللهو؛ أي: المشغل عمَّا يعني، أو الإضافة على معنى (من)، وإليه يشير المفسِّر بقوله: (أي: ما يلهي منه).

لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ ....

﴿لِيُضِلَّ﴾ ـ بِفَتحِ الياءِ وضَمِّها ـ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: طَرِيقِ الإسلامِ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا﴾ ـ بِالنَّصبِ عَطفاً على (يَضِلَّ)، وبِالرفعِ عطفاً على ﴿يَشْتَرِى﴾ ـ ﴿هُزُوًا﴾: مَهزُوءاً بِها، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: ذُو إهانةٍ.

﴿٧﴾ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ أي: القُرآنُ ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾: مُتكبِّراً ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾: صَمَماً، ـ وجُملَتا التَّشبِيه حالانِ مِن ضَمِيرِ ﴿وَلَّىٰ﴾، أو الثَّانيةُ بيانٌ لِلأُولى ـ ﴿فَبَشِّرْهُ﴾: أَعلِمْه ....

حاشية الصاوي

قوله: (بفتح الياء) أي: يستمرَّ على الضلال، وقوله: (وضمِّها) أي: ليوقع غيره في الضلال، فهو ضالٌّ مضلٌّ، والقراءتان سبعيَّتان[١].

قوله: (طريق الإسلام) أي: الأمور الموصِلة للإسلام؛ فاللَّهو: كلُّ ما يَشغل عن عبادة الله وذكره من الأضاحيك والخرافات والمغاني والمزامير وغيرها من الأمُور الباطلة[٢].

قوله: (﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾) حال من فاعل ﴿يَشْتَرِى﴾ أي: حالَ كونه جاهل القلب وإن كان عليم اللسان.

قوله: (﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾) أي: الآيات[٣].

قوله: (بالنصب. . . إلخ) أي: والقراءتان سبعيَّتان[٤].

قوله: (مهزوءاً بها) أي: لمحاكاته لها بالخرافات.

قوله: (أَعْلِمْهُ) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالبشارة: مطلق الإعلام بالخبر وإن لم يكن فيه بشارةٌ،

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء قبل الضاد من الضلالة، بمعنى: ليثبت على ضَلاله، والباقون بضمِّها. انظر «السراج المنير» (٣/ ١٨١).

(٢) الأضاحيك: جمع (الأضحوكة) بالضمِّ، وهي: ما يُضْحَكُ منه.

(٣) أي: أو السبيل. «فتوحات» (٣/ ٤٢٣).

(٤) قرأ الأخوان وحفص بالنصب عطفاً على (ليضل)، فهو علة كالذي قبله، والباقون بالرفع عطفاً على (يشتري)، فهو صلة، وقيل: الرفع على الاستئناف من غير عطف على الصلة. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦١).

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ ....

﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤلِم. وذِكرُ البِشارة تَهَكُّم بِه وهو النَّضر بن الحارِث، كان يَأتِي الحِيرةَ يَتَّجِر، فيَشتَرِي كُتُبَ أخبارِ الأعاجِم ويُحَدِّث بِها أهل مَكَّةَ ويَقُول: إنَّ مُحمَّداً يُحَدِّثكم أحادِيثَ عادٍ وثَمُود، وأنا أُحَدِّثكم أحادِيثَ فارِس والرُّوم، فيَستَمِلحُون حَدِيثَه ويَترُكُون استِماعَ القُرآن.

(﴿٨﴾ - ﴿٩﴾) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ - حال مُقدَّرة - أي: مُقَدَّراً خُلُودُهم فِيها إذا دَخَلُوها، ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ أي: وعَدَهُم الله ذلك

حاشية الصاوي

ودفع بذلك ما يقال: إنَّ الإخبار بالعذاب الأليم ليس بشارةً، بل هو نذارة، وقوله: (وذكر البشارة... إلخ) جواب آخر، فكان المناسب أن يذكره بـ(أو).

قوله: (النضر بن الحارث) أي: ابن كلدة، كان صديقاً لقريش.

قوله: (فيستملحون حديثه) أي: يعدُّونه مليحاً فيصغون له.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾) بيان لحال المؤمنين بالقرآن بعد بيان حال الكافرين به.

قوله: (﴿جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾) المراد بها: جميع الجنان، لا خصوص المسمَّاة بهذا الاسم.

قوله: (أي: مقدَّراً دخولهم) أي: فهم عند دخولهم يُقدِّرون الخلود؛ لسماعهم النداء من قِبَلِ الله: «يا أهل الجنة؛ خُلود بلا موت»[1].

قوله: (﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾) وَعْدَ: مؤكِّد لنفسه؛ لأن قوله: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ في معنى: وعدهم الله بذلك، و﴿حَقًّا﴾: مؤكِّد لمضمون الجملة الأولى، والعامل مختلف، والتقدير: وعد ذلك وعداً، وحقَّه حقًّا[2].

---

(١) كما رواه البخاري (٦٥٤٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) المصدر المؤكَّد لنفسه هو: الواقع بعد جملة هي نصٌّ في معناه، وسمي بذلك لأنه بمنزلة إعادة الجملة؛ فكأنه نفسها، والمؤكد لغيره هو: الواقع بعد جملة تحتمل غيره فتصير به نصًّا، وسمِّي بذلك لأنه أثَّر في الجملة، فكأنه غيرها؛ لأنَّ المؤثِّر غير المؤثَّر فيه؛ فلذا كان (وعد) مؤكِّداً لنفسه، و(حقًّا) مؤكِّداً لغيره. وفي (ط٢): (قوله: =

وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ ....

وحَقَّه حَقًّا، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: الَّذِي لا يَغلِبُهُ شَيء فيَمنَعهُ مِن إنجازِ وَعدِه ووَعِيدِه، ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: الَّذِي لا يَضَع شَيئاً إلَّا في مَحَلِّه.

﴿١٠﴾ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ أي: العَمَد جَمع (عِماد) وهو الأُسطُوانةُ، وهو صادِق بِأن لا عَمَدَ أصلاً، ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾: جِبالاً مُرتَفِعة لِـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾: تَتحرَّكَ ﴿بِكُمۡ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (الذي لا يَغلبه شيء) أي: لا يَقهره أحد.

قوله: (﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾... إلخ) هذا دليلٌ على أنه عزيزٌ حكيمٌ، لا يمنعه أحدٌ من إنجاز وعده ووَعيده.

قوله: (أي: العَمَد) أشار بذلك إلى أن جملة ﴿تَرَوۡنَهَاۖ﴾ صفة لـ﴿عَمَدٖ﴾.

قوله: (جمع عماد) ك: أَهَبٍ جمع إِهَابٍ[1].

قوله: (الأسطوانة) بضمِّ الهمزة وهي: السَّارية.

قوله: (وهو صادق... إلخ) أي: لأنَّ السَّالبة تصدق بنفي الموضوع وهو المراد هنا، ويصح أن يراد الشِّقُّ الثاني وهو أن يكون لها عمدٌ لا ترى، وهي قُدرة الله تعالى.

قوله: (﴿رَوَٰسِيَ﴾) أي: ثَوابت.

قوله: (جبالاً مرتفعة) قال ابن عباس: هي سبعة عشر جبلاً منها: ق، وأبو قبيس، والجودي، ولبنان، وطور سينين.

قوله: (﴿أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾) قدَّر المفسِّر لام التعليل و(لا) النافية؛ إشارةً إلى أنَّ حكمةَ تثبيت الأرض بالجبال عدمُ تحرُّكها بأهلها.

= «وعد الله حقًّا» مصدران مؤكِّدان لمضمون الجملة الأولى، والعامل مختلف، والتقدير: وعد ذلك وعداً، وحقَّه حقًّا). وانظر «الفتوحات الإلهية» (٣/ ٤٢٤)، و«شرح الأشموني للألفية» (١/ ٤٧٧).

(١) وفي الكثير يجمع على: (أُهُبٍ) بضم الأولين. «تاج العروس» (٢/ ٤٠)، وقوله: (جمع: عماد) وجمع عَمود أيضاً، وجمعه كما في «المختار»: (في القلة: «أعمِدة»، وفي الكثرة: «عَمَد» بفتحتين، و«عُمُد» بضمَّتين). «فتوحات» (٣/ ٤٢٤).

وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ....

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا﴾ - فِيهِ التِفاتٌ عن الغَيبة - ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: صِنفٍ حَسَن.

﴿١١﴾ ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ أي: مَخلُوقُه ﴿فَأَرُونِى﴾: أخبِرُوني يا أهلَ مكَّة ﴿مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ غيره أي: آلِهَتكُم حتَّى أشرَكتُمُوها به تَعالى. - و(ما) استِفهامُ إنكار مُبتدأ، و(ذا) بِمَعنَى (الَّذِي) بِصِلَتِه خَبَره، و(أرُونِي) مُعلَّق عن العَمَل، وما بعدَه سَدَّ مَسَدَّ المَفعُولَين -. ﴿بَلِ﴾ - لِلانتِقالِ - ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّن بِإشراكِهِم وأنتُم مِنهُم.

﴿١٢﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾) أي: نشر، وقوله: (﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾) (مِن): زائدة[1].

قوله: (فيه التفات) أي: مِن الغيبة إلى الخطاب؛ زيادة في التبكيت وإلزام الحجة.

قوله: (﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾) أي: ما ذكر من السماوات والأرض وما فيهما.

قوله: (استفهام إنكار) أي: وتوبيخ وتقريع.

قوله: (معلَّق عن العمل) أي: في اللفظ، وأما في المحل.. فهو عاملٌ النصب.

قوله: (سدَّ مسدَّ المفعولين) ظاهره: أنَّ (أروني) تنصب ثلاث مفاعيل: الياء، وجملة الاستفهام التي سدَّت مسد الثاني والثالث، وهذا غير ما ذكرُوه من أنَّ (أرى) إن كانت بمعنى (أخبر).. فإنها تتعدَّى لمفعولين: الأول صريح، والثاني جملة الاستفهام؛ فالمناسب للمفسِّر أن يقول: (سدَّت مسدَّ الثاني).

قوله: (للانتقال) أي: من تبكيتهم إلى الإخبار بتقبيح الظالمين عموماً.

قوله: (﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾) اختلف في لقمان؛ فقيل: اسم أعجمي، ممنوع من الصرف للعَلَمية والعجمة، وقيل: عربي، ومُنع من الصرف للعَلَمية وزيادة الألف والنون.

---

(١) أي: على مذهب الأخفش، ويجوز أن تكون تَبعيضية. انظر «الدر المصون» (٢/ ٢٠٥).

مِنها العِلمُ والدِّيانة والإصابةُ في القَول، وحِكَمُه كَثِيرة مَأثُورة، كان يُفتِي قبلَ بَعثة داوُد وأدرَكَ بَعثَتَه وأخَذَ عنهُ العِلمَ وتَرَك الفُتيَا وقال في ذلك: ألا أكتَفِي إذا كُفِيتُ؟ وقِيل لَه:

حاشية الصاوي

واختلف فيه أيضاً فقيل: هو لقمان بن فاغور بن ناخور بن تارخ[1]، وهو آزر؛ فعلى هذا: هو ابنُ ابنِ أخي إبراهيم الخليل عليه السلام، وقيل: كان ابن أخت أيوب، وقيل: كان ابنَ خالته، يقال: إنه عاش ألف سنة حتى أدرك داوودَ.

واتفق العلماء على أنه كان حكيماً ولم يكن نبيًّا إلا عكرمة والشعبي فقالا بنبوَّته، وقيل: خُيِّر بين النبوة والحكمة، فاختار الحكمة، ورُوي: أنه كان نائماً في نصف النهار، فنُودي: يا لقمان؛ هل لك أن نجعلك خليفة في الأرض فتَحكم بين الناس بالحق؟ فأجاب الصوت فقال: إن خيَّرني ربي.. قبلت العافية ولم أقبَل البلاء، وإن عزم عليَّ.. فسمعاً وطاعة؛ فإني أعلم أنَّ الله إن فَعل لي ذلك.. أعانني وعصَمني، فقالت الملائكة بصوت لا يراهم: لِمَ يا لقمان؟ قال: إن الحاكم بأشدِّ المنازل وأكدرها يغشاه المظلوم من كلِّ مكان؛ إن عدَل.. نجا، وإن أخطأ الطريق.. أخطأ طريق الجنة، ومَن يكن في الدنيا ذليلاً خيرٌ من أن يكون شريفاً، ومن يختر الدنيا على الآخرة.. تَفتنه الدنيا ولم يُصب الآخرة، فعجبت الملائكة من حسن مَنطقه، فنام نومة، فأُعطِيَ الحكمة، فانتبه وهو يتكلَّم بها، ثم نُودي بها داوود بعده فقَبلها[2].

وكان لقمان يؤازر داوود لحكمته، وقيل: كان خيَّاطاً، وقيل: كان راعي غنم، فروي أنه لقيه رجلٌ وهو يتكلَّم بالحكمة، فقال: ألستَ فلاناً الراعي؟ قال: بلى، قال: فبِم بلغت ما بلغت؟ قال: بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يَعنيني.

قوله: (منها العلم والديانة) أي: فالحكمة هي: العلم والعمل، ولا يسمَّى الرجل حكيماً حتى يجمعهما، وقيل: الحكمة: المعرفة والأمانة، وقيل: هي نور القلب يُدرك به الأشياء كما تدرك بالبصر.

قوله: (وحكمه كثيرة) قال وهب: تكلَّم لقمان باثني عشر ألف باب من الحكمة، أدخلها الناس في كلامهم.

قوله: (وقال في ذلك) أي: في شأن الاعتذار عن ترك الفُتيا.

---

(١) في «الخازن» (٣/ ٣٩٧): (لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارخ).

(٢) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٣٧٣).

أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ ....

أيُّ النَّاس شَرٌّ؟ قال: الذي لا يُبالِي أنْ رَآهُ النَّاس مُسِيئاً، ﴿أَنِ﴾ أي: وقُلنا لَهُ: أن ﴿ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ على ما أعطاكَ مِن الحِكمةِ، ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لِأنَّ ثَوابَ شُكرِه لَه، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النِّعمةَ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ عن خَلقِه، ﴿حَمِيدٌ﴾: مَحمُودٌ في صُنعِه.

﴿١٣﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ﴾ - تَصغِيرُ إشفاقٍ - ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ﴾ بالله ....

حاشية الصاوي

قوله: (وقلنا له: أن ﴿ٱشْكُرْ﴾... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ (أن) زائدة، وجملة ﴿ٱشْكُرْ﴾ مَقول القول، والأنسب: أنَّ (أن) تفسيرية؛ لتقدُّم جملة فيها معنى القول دون حُروفه[1].

قوله: (على ما أعطاك من الحكمة) أي: فهي نعمةٌ يجب الشكر عليها؛ بِصرفها في مصارفها.

قوله: (﴿وَمَن يَشْكُرْ﴾... إلخ) تعليلٌ للأمر بالشكر.

قوله: (محمودٌ في صنعه) أي: فهو حقيقٌ بأن يُحْمَدَ من دون المخلوقات.

قوله: (﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾) أي: واسمه: ثاران، وقيل: مشكم، وقيل: أَنْعَمَ، قيل: كان ابنه وامرأته كافرَيْنِ، فما زال يَعِظهما حتى أسلما.

قيل: وضع لقمان جراباً من خردل إلى جنبه، وجعل يعظُ ابنه موعظة، ويخرج خردلة خردلة، فنفد الخردل، فقال: يا بنيَّ؛ وعظتك موعظة لو وعظتُها جبلاً.. لتفطَّر، فتفطَّر ابنه ومات[2].

قوله: (﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾) الجملة حاليَّة.

قوله: (﴿يَٰبُنَىَّ﴾) بكسر الياء وفتحها، قراءتان سبعيَّتان[3].

قوله: (إشفاقٍ) أي: محبَّةٍ.

---

(١) أي: وهي إيتاء الحكمة.

(٢) عزاه الإمام السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥١٣) لابن أبي الدنيا من حديث حفص بن عمر الكندي.

(٣) قرأ حفص بفتح الياء، وسكَّنها ابن كثير، وكسرها الباقون. انظر «السراج المنير» (٣/ ١٨٥).

لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ....

﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ فرَجَعَ إليه وأسلَمَ.

حاشية الصاوي

قوله: (فرجع إليه) أي: إلى دين أبيه وهو الإسلام، وقال له أيضاً: يا بنيَّ؛ اتخذ تقوى الله تعالى تجارة.. يأْتِكَ الربح من غير بِضاعة[1].

يا بنيَّ؛ احضر الجنائز ولا تحضُر العرس؛ فإنَّ الجنائز تذكِّرك الآخرة، والعرس يُشَهِّيك الدنيا.

يا بنيَّ؛ لا تكن أعجزَ من هذا الديك الذي يُصوِّت بالأسحار وأنت نائم على فراشك.

يا بنيَّ؛ لا تؤخِّر التوبة؛ فإنَّ الموت يأتي بغتةً.

يا بنيَّ؛ لا ترغب في ودِّ الجاهل؛ فيرى أنك تَرضى عمله.

يا بنيَّ؛ اتَّقِ الله ولا تُري الناس أنك تخشى؛ ليُكرموك بذلك وقلبك فاجر.

يا بنيَّ؛ ما ندمتُ على الصَّمت قط؛ فإنَّ الكلام إذا كان من فضَّة.. كان السكوت من ذهب.

يا بنيَّ؛ اعتزل الشَّرَّ كيما يَعتزلك؛ فإنَّ الشَّرَّ للشَّرِّ خُلِقَ.

يا بنيَّ؛ عليك بمجالس العلماء، واستمع كلام الحكماء؛ فإنَّ الله تعالى يُحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل المطر؛ فإنَّ من كذب.. ذهب ماء وجهه، ومَن ساء خلقه.. كثر غمُّه، ونقلُ الصخور من مواضعها أيسرُ مِنْ إفهام مَنْ لا يفهم.

يا بنيَّ؛ لا تُرسل رسولك جاهلاً؛ فإن لم تجد حكيماً.. فكن رسولَ نفسك.

يا بنيَّ؛ لا تنكح أمةَ غيرك؛ فتورث بَنِيك حزناً طويلاً.

يا بنيَّ؛ يأتي على الناس زمان لا تقرُّ فيه عين حَليم.

يا بنيَّ؛ اختر المجالس على عينَيك، فإذا رأيت المجلس يُذْكَرُ فيه الله عزَّ وجلَّ.. فاجلس معهم؛ فإنك إن تك عالماً.. ينفعك علمك، وإن تكن غبيًّا.. يعلِّموك، وإن يطَّلع الله عزَّ وجلَّ عليهم برحمة.. تُصِبْكَ معهم.

يا بنيَّ؛ لا تجلِس في المجلس الذي لا يُذْكَرُ فيه الله عزَّ وجلَّ؛ فإنك إن تك عالماً.. لا يَنفعك علمك، وإن تك غبيًّا.. يَزيدوك غباءً، وإن يطَّلع الله عليهم بعد ذلك بسخط.. يُصبك معهم.

---

(١) في (أ): (يأتيك) والياء إشباع للكسرة، أو الجزم بحذف الحركة على حد قراءة قنبل: (إنه من يتقي ويصبرْ) بإثبات الياء وجزم (يصبر). انظر «مغني اللبيب» (ص٦٢١).

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ....

﴿١٤﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾: أَمَرناهُ أن يَبَرَّهُما، ....

حاشية الصاوي

يا بنيَّ؛ لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، وشاوِر في أمرك العلماء.

يا بنيَّ؛ إن الدنيا بحر عميق وقد غَرق فيها ناس كثير، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله، وحشوَها الإيمان بها[١]، وشراعَها التوكل على الله لعلَّك أن تنجو.

يا بنيَّ؛ إني حملت الجندل والحديد فلم أحمل شيئاً أثقل من جارِ السوء، وذقتُ المرارة كلَّها فلم أذق أشدَّ من الفقر.

يا بنيَّ؛ إن الحكمة أجلسَت المساكين مجالس الملوك.

يا بنيَّ؛ لا تتعلَّم ما لا تعلم حتى تَعمل بما تعلم.

يا بنيَّ؛ إذا أردت أن تؤاخي رجلاً.. فأغضِبه قبل ذلك؛ فإن أنصفك عند غضبه، وإلَّا.. فاحذَره.

يا بنيَّ؛ إنك منذ نزلت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة، فدارٌ أنت إليها تسير أقربُ من دارٍ أنت عنها تَرحل.

يا بنيَّ؛ عوِّد لسانك أن يقول: اللهم اغفر لي؛ فإنَّ لله ساعاتٍ لا تردُّ.

يا بنيَّ؛ إيَّاكَ والدَّيْن؛ فإنَّه ذلٌّ بالنهار وهمٌّ بالليل.

يا بنيَّ؛ ارجُ الله رجاءً لا يجرِّئك على معصيته، وخَفِ الله خوفاً لا يُؤيسك من رحمته... إلى غير ذلك من المواعظ المأثورة عنه عليه السلام.

قوله: (﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾... إلخ) هاتان الآيتان نزَلتا في شأن سعد بن أبي وقاص كما تقدَّم[٢]، فهما مُعترضتان بين كلامي لقمان، والعبرة بعموم اللفظ لا بخُصوص السبب، فـ(أل) في ﴿ٱلْإِنسَـٰنِ﴾ للجنس.

قوله: (أن يبرَّهما) أي: يُحسن إليهما.

(١) كذا في الأصول، وفي «الفتوحات» (٣/ ٤٢٦): (وحشوها الإيمان بالله).

(٢) في سورة (العنكبوت)، وسبب النزول في «مُسلم» (١٧٤٨).

حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ ....

﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ﴾ فوهَنَت ﴿وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ﴾ أي: ضَعُفَت لِلحَملِ وضَعُفَت لِلطَّلقِ وضَعُفَت لِلولادةِ، ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أي: فِطامُه ﴿فِي عَامَيۡنِ﴾، وقُلنا لَه: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ أي: المَرجع.

﴿١٥﴾ ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ﴾: مُوافَقةٌ لِلواقِعِ ﴿فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ أي: بِالمَعرُوفِ البِرِّ والصِّلة، ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ﴾: طَرِيقَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (فوهنت) قدَّر الفعل؛ إشارةً إلى أن ﴿وَهۡنًا﴾ مفعول مطلق، والأحسن: جعله حالاً من ﴿أُمُّهُۥ﴾ أي: ذاتَ وهنٍ.

قوله: (﴿عَلَىٰ وَهۡنٖ﴾) صفة لـ﴿وَهۡنًا﴾ أي: ضعفاً كائناً على ضَعف، والمراد: التوالي، لا خصوص وهنَين؛ بدليل قول المفسِّر: (أي: ضعفت للحمل... إلخ).

قوله: (أي: فطامه) أي: ترك رضاعه.

قوله: (﴿فِي عَامَيۡنِ﴾) أي: في انقضائهما.

قوله: (﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي﴾) يحتمل أنها مفسِّرة لجملة (وصينا)، أو مصدريَّة[1].

قوله: (أي: المرجع) أي: فأجازي المحسنَ على إحسانِهِ، والمسيءَ على إساءتِهِ.

قوله: (موافقة للواقع) أي: فلا مفهوم له، وهو جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ الشريك مستحيلٌ على الله تعالى، فربما يتوهَّم وجود شريك له به علم.

قوله: (﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا﴾) أي: أمورهما التي لا تتعلَّق بالدِّين.

قوله: (أي: بالمعروف) أشار بذلك إلى أنه منصوب بنزع الخافض.

قوله: (﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ ....

(١) قال سفيان بن عيينة في هذه الآية: من صلى الصلوات الخمس.. فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس.. فقد شكر الوالدَين. «خازن» (٣/٣٩٨).

مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ ....

﴿مَنْ أَنَابَ﴾: رَجَع ﴿إِلَيَّ﴾ بالطَّاعةِ، ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فأُجازِيكُم عليهِ، وجُملة الوَصِيَّة وما بعدَها اعتِراضٌ.

﴿١٦﴾ ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ﴾ أي: الخَصلةَ السَّيِّئة ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ....

حاشية الصاوي

مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾) قيل: إنَّ الخطاب للمكلفِين عموماً، ويراد بـ﴿مَنْ أَنَابَ﴾: النبيُّ ﷺ وأصحابُهُ ومَن على قدمهم، وقيل: الخطاب لسعد بن أبي وقاص، والمراد بـ﴿مَنْ أَنَابَ﴾: أبو بكر الصديق ؓ، وذلك أنه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عَوف فقالوا له: قد صدَّقت هذا الرجل وآمنتَ به؟ قال: نعم، هو صادق، فآمِنوا، ثم جاء بهم إلى النبي ﷺ حتى أسلَموا، فهؤلاء سابقون للإسلام بإرشاد أبي بكر ؓ[1].

قوله: (فأجازيكم عليه) أي: الفِعل الحسن والسيِّئ.

قوله: (وجملة الوصية) أي: وهي قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ ... إلخ، وقوله: (وما بعدها) أي: وهو قوله: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ ... إلخ، وقوله: (اعتراض) أي: بين كلامَي لقمان.

قوله: (﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾... إلخ) رجوعٌ لذكر وصايا لقمان لِوَلده، وسبب تلك المقالة: أنه قال له وَلده: يا أبت؛ إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحدٌ كيف يَعلمها الله؟ فقال له تلك المقالة، وهذا السؤال ليس عن اعتقاد لمضمونه؛ إذ هو مُسلمٌ، لا يعتقد أنَّ الله تخفى عليه خافية، وإنما مقصوده الانتقالُ من العلم بالدليل إلى المعرفة والمشاهدة؛ ولِذا مات من استيلاء الهيبة على قلبه.

قوله: (﴿مِّنْ خَرْدَلٍ﴾) هو حَبُّ الكبر، وهو أصغر حبٍّ، والمراد: أصغَر شيء؛ بدليل ضرب المثل بالذَّرَّة في الآية.

قوله: (﴿فِى صَخْرَةٍ﴾) قيل: المراد بها تحت الأرضين السبع، وهي التي تكتب فيها أعمال

---

(١) انظر «زاد المسير» (٣/ ٤٣١).

يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ ....

أي: في أخفى مكان من ذلك ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ فيحاسِب عليها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستِخراجِها، ﴿خَبِيرٌ﴾ بِمكانِها.

﴿١٧﴾ ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ بِسَبَبِ الأمرِ والنَّهي، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المَذكُور ....

حاشية الصاوي

الفجار، وخضرة السماء منها؛ لما قيل: خلق الله الأرض على حُوت، والحوت في الماء على ظهر صَفَاةٍ، والصَّفاة على ظهر ملك، وقيل: على ظهر ثَور، وهو على الصخرة، وهي التي ذكرها لقمان، فليست في السماء ولا في الأرض.

قوله: (أي: في أخفى مكان من ذلك) أي: من الصخرة والسماوات والأرض، فأخفى الصخرة باطنها، وأخفى السماوات أعلاها، وأخفى الأرض أسفلَها.

قوله: (﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾) جواب الشرط.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾) أي: عالمٌ بخفيَّات الأمور.

قوله: (﴿خَبِيرٌ﴾) أي: عالمٌ ببواطن الأشياء كظواهرها، قيل: إنَّ هذه الكلمة آخر كلمة تكلَّم بها لقمان، فانشقَّت مرارة ابنه من هيبتها وعظمها، فمات مسلماً شهيداً رضي الله عنه.

قوله: (﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾) أي: بشُروطها وأركانها وآدابها؛ لكونها عمادَ الدِّين، ومناجاةَ الله تعالى.

قوله: (﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾) أي: بكل ما عُرِفَ شرعاً؛ لأنَّ الدَّالَّ على الخير كفاعِله.

قوله: (﴿وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾) أي: باليد أو اللسان أو القلب على حسَب الطاقة، فإن لم يُفد.. فالهجر أولى بالمعروف.

قوله: (بسبب الأمر والنهي) المناسب حمله على العموم، فالصبرُ على المصائب سواء كانت من الخلق أو الخالق أمرُهُ عظيمٌ؛ لأنَّ الكلَّ في الحقيقة من الله، والمراد بالصبر: التسليم لأحكام الله، والرجوع إليه، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦].

مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ....

﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: مَعزُوماتِها التي يُعزَمُ علَيها لِوُجُوبِها.

﴿١٨﴾ ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ - وفي قِراءة: (تُصاعِر) - ﴿خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: لا تُمِلْ وجهَك عنهُم تكبُّراً، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: خُيَلاءَ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾: مُتَبَختِرٍ في مَشيِه، ﴿فَخُورٍ﴾ على النَّاس.

﴿١٩﴾ ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾: تَوسَّط فِيه بينَ الدَّبِيب ....

حاشية الصاوي

قوله: (التي يعزم عليها؛ لوجوبها) أي: تحتُّمِهَا على المكلَّفين؛ فلا ترخيصَ في تركها.

قوله: (﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾) الصَّعَر بفتحتين في الأصل: داء يصيب البعير يلوي عنقه، ثم استعمل في مَيل العنق وانقلاب الوجه إلى أحد الشدقَين؛ لأجل الفخر على الناس، والمراد: لا تتكبَّر فتحتقر الناس، ولا تُعرِضْ عنهم بوَجهك إذا كلَّموك.

قوله: (وفي قراءة: «تُصاعر») أي: وهما سبعيَّتان، ومعناهما واحد[1].

قوله: (أي: خُيلاء) أي: عجباً وتكبُّراً، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

قوله: (﴿فَخُورٍ﴾ على الناس) أي: لِظَنِّه أنَّ نعمة الله أسبغت عليه؛ لاستحقاقه إيَّاها، فتكبَّر بها على الناس.

قوله: (﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾) لما أمره أوَّلاً بحسن الباطن.. أمَره ثانياً بحسن الظاهر؛ ليجمع له في وصيَّته بين كمال الظاهر والباطن.

قوله: (بين الدَّبيب) أي: وهو ضعيف المشي جدًّا، قال الشاعر[2]: [الخفيف]

زَعَمَتْنِي شَيْخاً وَلَسْتُ بِشَيْخٍ ... إِنَّمَا الشَّيْخُ مَنْ يَدِبُّ دَبِيبَا

---

(١) قرأ نافع وأبو عمرو والأخوان: (تصاعر) بألف وتخفيف العين، والباقون دُون ألف وتشديد العين، والرسم يحتملهما؛ فإن الرسم بغير ألف، وهما لغتان: لغة الحجاز التخفيف، وتميم التثقيل. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٥).

(٢) البيت لأبي أميَّة أوس الحنفي؛ كما في «شرح شواهد المغني» (٢/ ٩٣٢).

﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ١٩﴾ ....

والإسراعِ، وعَلَيك السَّكِينةُ والوَقار، ﴿وَٱغْضُضْ﴾: اخفِضْ ﴿مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾: أقبَحَها ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾؛ أوَّلُه زَفيرٌ وآخِرُه شَهيق.

حاشية الصاوي

قوله: (والإسراع) أي: وهو قُوة المشي، وهي مذمومة؛ لما ورد: «**سُرعة المشي تذهب بهاء المؤمن**»[١].

إن قلتَ: في الحديث: «كنا نجهد أنفسنا خلفَ رسول الله ﷺ»[٢] فيقتضي أنه يسرع في مشيه.

أجيب: بأنه ﷺ في نفسه مشية متوسط، وبالنسبة للصحابة هو أعلى مشياً منهم؛ لما في الحديث المتقدم: «وهو غير مكترث، كأنَّ الأرض تطوى له».

قوله: (﴿مِن صَوْتِكَ﴾) يحتمل أنَّ (مِن) تبعيضيَّة، أو الجارُّ والمجرور متعلقٌ بمحذوف، صفة لمحذوف؛ أي: شيئاً من صَوتك[٣].

قوله: (﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾) أي: هذا الجنس؛ لما فيه من العلوِّ المفرِط من غير حاجةٍ؛ فإنَّ كلَّ حيوان يَصيح من ثقل أو تعب أو غير ذلك، والحمار يصيح لغير سبب، وصياحُ كلِّ شيءٍ تسبيحٌ لله تعالى إلا الحمار.

إن قلتَ: إنَّ دقَّ النحاس بالحديد أشدُّ صوتاً من الحمير.

أجيب: بأنَّ الصوت الشديد لحاجة يتحمَّله العقلاء، بخلاف الصوتِ الخالي من الثمرة والفائدة، وهو صوت الحمار.

قوله: (أوَّله زفير) أي: صوت قوي، وقوله: (وآخره شهيق) أي: صوت ضعيف، وهما صفة صوت أهل النار.

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ١٣٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٩٠) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي (٣٦٤٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «ما رأيتُ أحداً أسرعَ في مشيه من رسول الله ﷺ، كأنما الأرض تُطوى له، إنا لنجهد أنفسنا، وإنه لَغير مكترث».

(٣) وعند الأخفش: يجوز أن تكون مزيدة، ويؤيده: ﴿يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾. «الدر المصون» (٩/ ٦٦).

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى ....

(٢٠) ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾: تَعلَمُوا يا مُخاطَبِين ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ﴾ مِن الشَّمس والقَمَر والنُّجوم لِتَنتَفِعُوا بِها، ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مِن الثِّمارِ والأنهار والدَّوابِّ، ﴿وَأَسْبَغَ﴾: أوسَعَ وأتَمَّ ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً﴾ وهي حُسنُ الصُّورة وتَسوِيةُ الأعضاءِ وغَير ذلك، ﴿وَبَاطِنَةً﴾ هي المَعرِفةُ وغَيرُها، ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكَّة ﴿مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ مِن رَسُولٍ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم﴾... إلخ) رجوعٌ لما سبق من خِطاب المشركين والردِّ عليهم.

قوله: (يا مخاطبين) القياس بالواو؛ لأنه منادى مفرد، وهو مبني على ما يرفع به إلا أن يُقال: إنه نكرة غير مقصودة، فهو منصوب.

قوله: (﴿نِعَمَهُ﴾) إما بالجمع فـ﴿ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ حالان، أو الإفراد بتاء التأنيث، نكرة، فهما نعتان لها، وهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (هي حسن الصورة... إلخ) وقيل: الظاهرة: نِعمة الدنيا، والباطنة: نعمة العقبى، وقيل: الظاهرة: ما تُرى بالأبصار كالمال والجاه والجمال في الناس، والباطنة: ما يجده الإنسان من نفسه من حسن اليقين والعلم بالله تعالى، وكلٌّ صحيحٌ.

قوله: (وتسوية الأعضاء) أي: تناسبُهَا.

قوله: (﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾) نزلت في النضر بن الحارث وأُبي بن خلف وأميَّة بن خلف ومن حذا حذوَهم، كانوا يجادلون النبي ﷺ في الله وصفاته من غير عِلم[2].

قوله: (﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾) أي: بالجهل وعدم المعرفة.

قوله: (﴿وَلَا هُدًى﴾ من رسول) أي: جاءهم به.

---

(١) قرأه نافع وأبو عمرو وحفص بفتح العين وبعد الميم هاء مضمومة، والباقون بسكون العين وبعد الميم تاء مفتوحة مُنوَّنة، ومعناها الجمع أيضاً؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾. انظر «السراج المنير» (٣/ ١٩٢).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٣/ ٣٩٩).

وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ....

﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ أنزَلَهُ الله، بَل بِالتَّقْلِيد.

﴿٢١﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾، قال تعالى: ﴿أَ﴾يتَّبِعُونَه ﴿وَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: مُوجِباتِهِ؟ لا.

﴿٢٢﴾ ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: يُقبِلْ على طاعَتِه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: مُوحِّدٌ، ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: بِالطَّرَفِ الأوثَق الذِي لا يُخافُ انقِطاعُه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾) أي: نيِّرٍ واضحِ الدَّلالة.

قوله: (﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾) الجمع باعتبار المعنى.

قوله: (﴿أَ﴾ يتبعونه) أشار بذلك إلى أنَّ هذا الشرط للحال، والتقدير: أيتَّبعونه والحال أنَّ الشيطان يَدعوهم إلى العذاب، وحينئذٍ: فلا جواب له.

قوله: (﴿يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾) أي: يَدعو آباءهم؛ لأنَّ مَدار إنكار الاتِّباع كونُ الرؤساء تابعين للشيطان.

قوله: (لا) أي: لا يَليق منهم ذلك.

قوله: (أي: يقبل على طاعته) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالوجه: الذات، والمعنى: مَنْ يَبذل ذاته في طاعة ربِّه والحال أنه موحِّدٌ.. فقد استمسك... إلخ، وهذا هو حقيقة الشكر، فالإقبال على الله ظاهراً وباطناً موجبٌ للأمن من عذاب الله، ومِن زوال تلك النعمة، وهذه الآية معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

قوله: (موحِّدٌ) إنما فسَّره بذلك؛ ليشملَ الإحسان في حقِّ العامة وهو التوحيد، وإلَّا.. فالإحسان الكامل: أن تعبد الله كأنك تَراه.

قوله: (بالطرف الأوثق) أي: الموصل إلى الله بلا انقِطاع، فقد مثَّل المؤمن المتمسِّك بطاعة الله بمن أراد أن يرقى إلى شاهق جبلٍ، فتمسَّك بأوثق حَبل، فهو تشبيهٌ تمثيلي بذكر طرفَي التشبيه.

وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ ....

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾: مَرجِعُها.

﴿٢٣﴾ ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ﴾ يا مُحمَّد ﴿كُفْرُهُۥٓ﴾: لا تَهتَمَّ بِكُفرِه، ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: بِما فِيها كغَيرِه، فمُجازٍ عليهِ.

﴿٢٤﴾ ﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدُّنيا ﴿قَلِيلًا﴾ أيَّامَ حَياتِهم، ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ في الآخِرةِ ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ وهو عَذاب النَّار لا يَجِدُون عنهُ مَحِيصاً.

﴿٢٥﴾ ﴿وَلَئِن﴾ ـ لامُ قَسَم ـ ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ﴾ ـ حُذفَ مِنهُ نُون الرَّفع لِتَوالِي الأمثالِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (مرجعها) أي: فيجازي عليها.

قوله: (﴿وَمَن كَفَرَ﴾... إلخ) هذا مُقابل الفريق الأول.

قوله: (﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾) بفتح الياء وضمِّ الزاي، وبضمِّ الياء وكسرِ الزاي، قراءتان سبعيَّتان[1]؛ أي: فتسلَّ ولا تَغتمَّ على ذلك.

قوله: (﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾) أي: نُخبرهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا.

قوله: (﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾) أتى بـ(ثم)؛ إشارةً إلى أن العذاب الغليظ إنما يكون لهم في الآخرة لا في الدنيا، كما أنَّ المؤمن إذا نُعِّم في الدنيا بأنواع النِّعَم.. فليس ذلك جزاءً لأعماله الصالحة.

قوله: (لا يجدون عنها مَحيصاً) أي: ملجأً.

قوله: (﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ﴾) الجملة جواب القسم، وحذف جواب الشرط؛ لِلقاعدة، ولفظ الجلالة: مرفوع إمَّا على أنه فاعل بفعل محذوف تقديره: خلَقهنَّ الله؛ بدليل آية: ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، أو خبرٌ لمحذوف تقديره: الخالق لهنَّ.

---

(١) قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي، والباقون بفتح الياء وضم الزاي. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٥١).

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ ....

وواوُ الضَّمير لِالتِقاء السَّاكِنين ـ ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ظُهُور الحُجَّة علَيهِم بِالتَّوحِيد، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وُجُوبَه علَيهِم.

﴿٢٦﴾ ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مُلكاً وخَلقاً وعَبِيداً، فلا يَستَحِقُّ العِبادةَ فِيهِما غَيرُه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن خَلقِه، ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: المَحمُودُ في صُنعِه.

﴿٢٧﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرَ﴾ ـ عَطف على اسمِ (أَنَّ) ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وواو الضمير) أي: لالتقائها ساكنة مع نون التوكيد، وبقيت الضمة دليلاً عليها.

قوله: (﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وُجوبه عليهم) أي: بل يعتقدون أنَّ الإشراك يقرِّب إلى الله تعالى مع كونهم يَنسبون الخلق لله وحده.

قوله: (﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) هذا نتيجة ما قبله؛ أي: فحيث ثبت أنه الخالق لها تحقَّق أنه المالك لها.

قوله: (المحمود في صنعه) أي: المتَّصفُ بالكمالات أزلاً وأبداً، لا يَستحقُّ الحمد غيره.

قوله: (﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾) (أنَّ): حرف توكيد ونصب، و(ما): اسم موصول في محل نصب اسمها، وجملة الجارِّ والمجرور مع مُتعلَّقه: صلة الموصول، و﴿مِن شَجَرَةٍ﴾: بيان لها، وتوحيدُ (شجرة) إشارةٌ إلى استغراق الأفراد، كأنه قال: لو أنَّ كلَّ شجرةٍ شَجرةٍ تجعل أقلاماً. . . إلخ، وقوله: ﴿أَقْلَٰمٌ﴾ خبر (أنَّ).

قوله: (﴿وَٱلْبَحْرُ﴾) أي: المحيط؛ لأنَّ الحقيقة إذا أُطلقت. . تنصرف للفرد الكامل.

قوله: (عطف على اسم «أن») أشار بذلك إلى توجيه قراءة النصب، وترك تَوجيه قراءة الرفع، وتوجيهها أن يقالَ: إما عطف على جملة (أن) واسمها وخبرها؛ لأنَّ موضعها رفع على الفاعلية لفعل محذوف، والتقدير: لو ثبت أنَّ ما في الأرض. . . إلخ، أو مبتدأً، خبره: ﴿يَمُدُّهُ﴾، والجملة حاليَّة[1].

---

(١) ولم يحتج إلى ضمير رابط بين الحال وصاحبها؛ للاستغناء عنه بالواو، وقرأ أبو عمرو بالنصب، والباقون بالرفع. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٧).

يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ....

﴿يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ مِداداً ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ المُعَبَّر بِها عن مَعلُوماتِه بِكَتبِها بِتلكَ الأقلام بِذلك المِداد، ولَو بأكثَرَ مِن ذلك؛ لِأنَّ مَعلُوماتِه تَعالى غيرُ مُتَناهِية، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يُعجِزُهُ شَيء، ﴿حَكِيمٌ﴾: لا يَخرُج شَيء عن عِلمِه وحِكمَتِه.

﴿٢٨﴾ ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ خَلقاً وبَعثاً؛ لِأنَّهُ بِكَلِمةِ (كُن فيَكُون)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾: يَسمَع كُلَّ مَسمُوع، ﴿بَصِيرٌ﴾: يُبصِر كُلَّ مُبصَر، لا يَشغَلُهُ شَيء عن شيءٍ.

حاشية الصاوي

قوله: (مداد) خبر لمحذوف، تقديره: والجميع مِداد، وهو جملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدَّر، تقديرُه: ما تجعل تلك الأبحر؟ فأجاب بقوله: (مداد)، يَدل على ذلك قوله في الآية الأخرى: ﴿لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى...﴾ [الكهف: ١٠٩] إلخ.

قوله: (﴿كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾) أي: مَدلولات كلامه النفسي القديم القائم بذاته تعالى؛ بدليل قوله: (المعبَّر بها)[١]؛ فإنَّ مدلول الكلام القديم هو ما أحاط به العلم القديم، وأما الكلام المنزل للقراءة والتَّعبُّد به كالكتب السماوية.. فهو دالٌّ على بعض مَدلول الكلام القديم؛ فلذلك كان له مبدأ وغاية.

قوله: (﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾) سبب نزولها: أنَّ أبيَّ بن خَلف وجماعة قالوا للنبي ﷺ: خلقنا أطواراً، نُطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً، ثم تقول: إنا نبعث خلقاً جديداً جميعاً في ساعة واحدة، فنَزلت[٢].

والمعنى: أنَّ الله لا يَصعب عليه شيء، بل خلق العالم وبعثُهُ برمَّته كخَلق نفسٍ واحدةٍ وبعثِهَا.

قوله: (خلقاً وبعثاً) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب.

---

(١) قوله: (المعبر بها عن معلوماته) يعني: على سبيل الفرض والتقدير؛ أي: لو كان يُعبر به، وإلا.. فالتعبير به محال؛ لأن التعبير إنما يكون بالألفاظ المحدَثة، وبعد هذا كله: لا حاجة لقوله: (المعبر بها)؛ لأن الكلام القديم في حدِّ ذاته لا يتناهى ولا يَنحصر. اهـ فليتأمل. «فتوحات» (٣/ ٤٣٢).

(٢) انظر «زاد المسير» (٣/ ٤٣٤).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾

(٢٩) ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَعلَم يا مُخاطَبُ ﴿أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ﴾: يُدخِلُ ﴿الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ﴾: يُدخِلُهُ ﴿فِي الَّيْلِ﴾ فيَزِيد كُلٌّ مِنهُما بِما نَقَصَ مِنَ الآخَر، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ مِنهُما ﴿يَجْرِي﴾ في فَلَكِه ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو يومُ القِيامةِ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

(٣٠) ﴿ذَلِكَ﴾ المَذكُورُ ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: الثَّابِت، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ - بِالياء والتَّاء -: يَعبُدُون ....

حاشية الصاوي

قوله: (يا مخاطباً) نصبه؛ لكونه قَصد أنه نكرة غير مقصودة.

قوله: (بما نقص) أي: بالجزء الذي نَقص من الآخر، وهو أربع ساعات دائرة بين الليل والنهار، فتارة يَزيدها بالليل، وتارة بالنهار.

قوله: (﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾) عطف على ﴿يُولِجُ﴾، وعبَّر في الأول بالمضارع؛ لأنَّ الإيلاج متجدِّد، بخلاف التسخير.

قوله: (﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾) عبَّر هنا بـ(إلى)، وفي (فاطر) و(الزمر) باللام تفنُّناً؛ لأنَّ اللام و(إلى) للانتهاء[١].

قوله: (﴿ذَلِكَ﴾ المذكور) أي: من الآيات الكريمة، وهو مبتدأ، خبره قوله: (بأن الله هو الحق الثابت) أي: الذي لا يَقبل الزوال أزلاً ولا أبداً.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[٢].

---

(١) وهو قوله تعالى في سورة (فاطر): ﴿يُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾، وفي سورة (الزمر): ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ الَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾.

(٢) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص: (يدعون) بالياء على الغيبة، والباقون بالتاء على الخطاب. انظر «السراج المنير» (٣/١٩٧).

مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ....

﴿مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾: الزَّائِل، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ على خَلقِه بِالقَهرِ، ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: العَظِيم.

﴿٣١﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ﴾: السُّفُن ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم﴾ يا مُخاطَبِين بذلك ﴿مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾: عِبَراً ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن مَعاصِي الله، ﴿شَكُورٍ﴾ لِنِعمَتِه.

﴿٣٢﴾ ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ أي: عَلا الكُفَّارَ ﴿مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾: كالجِبالِ الَّتِي تُظِلُّ مَن تَحتَها ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: الدُّعاءَ بِأن يُنجِيَهُم، أي: لا يَدعُون مَعَه غَيرَه، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: مُتَوسِّط بينَ الكُفر والإيمانِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ﴾... إلخ) هذا دليلٌ آخر على إثبات الألوهيَّة لله وحده.

قوله: (﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾) أي: إحسانه.

قوله: (أي: علا الكفار) أي: أحاط بهم، فـ(علا) فعلٌ ماضٍ، لا حرفُ جرٍّ.

قوله: (أي: لا يدعون معه غيره) أي: كالأصنام؛ لأنهم في ذلك الوقت في غاية الشدة والهول، فلا يَجدون ملجأ لكشف ما نزَل بهم غيره تعالى.

قوله: (متوسط بين الكفر والإيمان) المناسب: تفسير (المقتصد) بالعَدل الموفي بما عاهد الله عليه من التوحيد؛ ليكونَ موافقاً لسبب النزول؛ فإنها نزلت في عكرمة بن أبي جهل، وذلك أنه هرب عام الفتح إلى البحر، فجاءتهم ريحٌ عاصفٌ، فقال عِكرمة: لئن أنجانا الله من هذا.. لأرجعنَّ إلى محمد ﷺ، ولأضعنَّ يدِي في يده، فسكن الريح، فرجع عكرمة إلى مكة، فأسلَم وحسُن إسلامه[1].

---

(١) روى الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠١٩) عن ابن أبي مليكة قال: (لما كان يوم الفتح هرب عكرمة بن أبي جهل، فركب البحر، فخبَّ بهم البحر، فجَعلت الصواري ومَن في البحر يدعون الله عزَّ وجل ويستغيثون به، فقال: «ما هذا؟» فقيل: مكان لا يَنفع فيه إلا الله، فقال عكرمة: «فهذا إله محمد الذي يَدعونا إليه، ارجعوا بنا إليه»، فرجع وأسلَم، وكانت امرأتُه قد أسلمت قبله فكانَا على نِكاحهما)، وانظر «زاد المسير» (٣/ ٤٣٥).

وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ....

ومِنهُم باقٍ على كُفرِه، ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ - ومِنها الإنجاءُ من المَوج - ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾: غدَّار ﴿كَفُورٍ﴾ لِنِعَم اللهِ تعالى.

﴿٣٣﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهلَ مكَّة ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى﴾: يُغنِي ﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ فِيه شَيئاً، ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ﴾ فِيه ﴿شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ بِالبَعثِ، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ عن الإسلامِ، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ﴾ في حِلمِه وإمهالِه ﴿ٱلْغَرُورُ﴾: الشَّيطانُ.

حاشية الصاوي

قوله: (ومنهم باق على كفره) أي: وهو المشار إليه بقوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ...﴾ إلخ.

قوله: (غدَّار) أي: لأنه نَقض العهد ورجع إلى ما كان عليه.

قوله: (﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾) أي: امتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه.

قوله: (﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾... إلخ) كلٌّ من الجملتين نعت لـ(يوماً)، والمعنى: أنَّ يوم القيامة يقولُ كل إنسان: نفسي نفسي، لا أملِك غيرها، ولا يهتمُّ بقريب ولا بعيد.

وهذه الآية مخصوصة بالكفار، وأما المسلمون.. فيَنتفعون من بعضهم؛ فالأولاد تنفع الآباء، والآباء تنفع الأولاد، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]، وأمَّا ما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام لفاطمةَ ابنته: «**أنا لا أُغني عنك من الله شيئاً**»[1].. فهو تحذيرٌ لها من الكفر الذي به تنقطع الأنساب.

قوله: (﴿وَلَا مَوْلُودٌ﴾) مبتدأ، و﴿هُوَ﴾: مبتدأ ثان، و﴿جَازٍ﴾ خبر الثاني، وهو وخبره: خبر الأول، أو معطوف على ﴿وَالِدٌ﴾.

قوله: (في حِلمه وإمهاله) أشار بذلك إلى أنَّ الباء سببيَّة، والكلام على حذف المضاف، والأصل: ولا يغرَّنَّكم بسبب حِلم الله وإمهاله الغرور.

---

(١) رواه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦) عن سيِّدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ ....

(٣٤) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى تَقُوم، ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ - بالتَّخفيف والتَّشديدِ - ﴿ٱلْغَيْثَ﴾ بِوَقتٍ يَعلَمهُ، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ أذكَر أم أُنثى؟ ولا يَعلَم واحِداً مِن الثَّلاثة غَيرُ الله تَعالى، ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ مِن خَير أو شَرٍّ، ويَعلَمهُ الله تَعالى،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾... إلخ) نزلت لما قال الحارث بن عمرٍو للنبي ﷺ: متى الساعة؟ وأنا قد ألقيت الحبَّ في الأرض؛ فمتى السماء تُمطر؟ وامرأتي حامل؛ فهل حملها ذكر أم أنثى؟ وأيُّ شيء أعمله غداً؟ ولقد علمتُ بأيِّ أرض ولدت؛ فبأيِّ أرض أموت؟[١]

قوله: (متى تقوم) أي: وقت قيامها.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[٢].

قوله: (بوقت علمه) أي: وفي أيِّ مكان يُنزله.

قوله: (﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾) أي: من حيث ذاتها، وأما بإعلام الله للعبد.. فلا مانع منه كالأنبياء وبعضِ الأولياء، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]، قال العلماء: وكذا وَلي؛ فلا مانع من كون الله يُطلع بعض عباده الصالحين على بعض هذه المغيَّبات، فتكون معجزةً للنبي، وكرامةً للولي؛ ولِذلك قال العلماء: والحق: أنه لم يخرج نبيُّنا من الدنيا حتى أطلَعه على تلك الخمس، ولكنَّه أُمِرَ بكَتمها[٣].

والحكمة في كونه تعالى أضاف العِلم إلى نفسه في الثلاثة الأول، ونفى العلم عن العباد في الأخيرتين منها مع أنَّ الخمسة سواءٌ في اختصاص الله تعالى بعلمها ونفيِ عِلم العباد بها: أنَّ الثلاثة الأُوَلَ أمرُها عظيمٌ، لا يُتوهم في الخلق علمها، بخلاف الأخيرتين، فهما من صِفات العباد، فربما يتوهمون علمهما، فإذا انتفى عنهم علمهما.. كان انتفاء علمهم بغَيرهما أَولى.

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٣/ ٤٠١).

(٢) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح النون وتشديد الزاي، والباقون بسكون النون وتخفيف الزاي. انظر «السراج المنير» (٣/ ١٩٩).

(٣) وهو الذي نقله الإمام اللقاني في «هداية المريد لجوهرة التوحيد» (٢/ ٩٧٥) عن جمعٍ.

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ويَعلَمهُ الله تَعالى، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بِكُلِّ شيء، ﴿خَبِيرٌۢ﴾ بباطِنِه كظاهِرِه، رَوَى البُخاريُّ عن ابن عُمرَ حَدِيث «مَفاتِيحُ الغَيب خَمسة؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ. . .﴾ إلى آخِرِ السُّورة».



حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾) لم يقُل: بأيِّ وقتٍ تموت فيه؛ لأنَّ انتقال الإنسان من مكان إلى آخر في وُسعه واختياره، فتوهُّمه علمَ مكان موته أقربُ، بخلاف الزمان؛ ففيه تنبيهٌ على انتفاء علم الأقرَب؛ لِيفهم منه عِلمُ الأبعد بالأولى.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ عِلمه تعالى ليس مختصًّا بهذه الأشياء المتقدِّمة، بل هو عليم ببَواطن الأشياء كظواهرها.

✿ ✿ ✿


﴿الٓمٓ ۝١﴾ ....



مكيَّة، ثلاثون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

۝١ ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلَم بِمُرادِه بِه.

حاشية الصاوي

سُورَةُ السَّجْدَةِ

أي: التي ذكر فيها السجدة.

قوله: (مكيَّة) ظاهره: أن جميعها مكيٌّ، وقال غيره: إلا ثلاثَ آيات، وقيل: إلا خمس آيات أوَّلها قوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾، وآخرها قوله: ﴿ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

وورد في فضلها أحاديث؛ منها: ما في «الصحيح» عن ابن عباس: (أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ السجدة، و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾)[1]، وقد أخذ بهذا الحديث الإمام الشافعي رضي الله عنه، ولم يأخذ به مالك؛ لِعدم استمرار العمل عليه[2].

ومنها: أنه ﷺ كان لا يَنام حتى يقرأ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة، و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[3].

وتسمَّى أيضاً المنجِية؛ لأنها أحد المنجيات السبع، وهي: هذه السورة، و(يس)، و(الدخان)، و(الواقعة)، و(هل أتى)، و(الملك)، و(البروج)، ولِما ورد عن خالد بن معدان أنه قال: اقرَؤوا المنجية، وهي ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾؛ فإنه بلغني أنَّ رجلاً كان يقرؤها ما يقرأ شيئاً غيرها، وكان كثيرَ

(١) «صحيح مسلم» (٨٧٩)، ورواه البخاري (٨٩١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) انظر «تحفة المحتاج» (٢/ ٥٥)، و«منح الجليل شرح مختصر خليل» (٣/ ٣٦٦).
(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٤٠) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ

﴿٢﴾ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ مُبتَدأ ﴿لَا رَيْبَ﴾: شَكَّ ﴿فِيهِ﴾ - خَبر أوَّل - ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ - خَبرٌ ثانٍ -.

﴿٣﴾ ﴿أَمْ﴾: بَل ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ مُحمَّد، لا ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ....

حاشية الصاوي

الخطايا، فنشرت جناحها عليه وقالت: ربِّ؛ اغفر له؛ فإنه كان يُكثر قراءتي، فشفَّعها الله فيه، وقال: «اكتبوا له بكل خَطيئة حسنة، وارفعوا له درجة»(١).

قوله: (﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾) أي: نُزوله ومجيئه.

قوله: (﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) أي: لفظاً ومعنى.

قوله: (خبر ثان) هذا أحسَن الأعاريب في هذا الموضع، ويَصح أن يكون حالاً من ضمير الخبر(٢).

قوله: (﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾) «أم»: منقطعة تفسَّر بـ(بل) والهمزة عند البصريين، والمفسِّر قدَّرها بـ(بل) فقط، وهو غير مناسب؛ بدليل قوله: (لا)؛ فإنه إشارةٌ إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ مع أنه لم يَذكر الهمزة، ولعلَّها سقطت من قلم ناسخ المبيضة.

قوله: (﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾) إضرابٌ انتقاليٌّ عن نفي الافتراء عنه إلى إثبات حقِّيَّته، ويصح أن يكون

---

(١) رواه الدارمي في «سُننه» (٣٧٣٠).

(٢) قوله: ﴿تَنزِيلُ﴾ فيه أوجه: أحدها: أنه خبر (ألم)؛ لأن (ألم) يراد به السورة وبعض القرآن، و(تنزيل) بمعنى: مُنزل، والجملة من قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ حال من (الكتاب)، والعامل فيها (تنزيل)؛ لأنه مصدر، و﴿مِن رَّبِّ﴾ متعلق به أيضاً، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في (فيه)؛ لوقوعه خبراً، والعامل فيه الظرف أو الاستقرار.

الثاني: أن يكون (تنزيل) مبتدأ، و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ خبره، و﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حال من الضمير في (فيه)، ولا يجوز حينئذ أن يتعلق بـ(تنزيل)؛ لأن المصدر قد أُخبر عنه فلا يعمل، ومَن يتسع في الجارِّ لا يبالي بذلك.

الثالث: أن يكون (تنزيل) مبتدأ أيضاً، و﴿مِن رَّبِّ﴾ خبره، و﴿لَا رَيْبَ﴾ حال، أو معترض.

الرابع: أن يكون ﴿لَا رَيْبَ﴾ و﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خبرين لـ(تنزيل).

الخامس: أن يكون خبر مبتدأ مُضمر، وكذلك ﴿لَا رَيْبَ﴾، وكذلك ﴿مِن رَّبِّ﴾، فتكون كل جملة مُستقلة برأسها. ويجوز أن يكونا حالين من (تنزيل)، وأن يكون ﴿مِن رَّبِّ﴾ هو الحال، و﴿لَا رَيْبَ﴾ مُعترَض. انظر «الدر المصون» (٩/ ٧٧).

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ...﴾

﴿لِتُنذِرَ﴾ به ﴿قَوْمًا مَّآ﴾ - نافية - ﴿أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بإنذارك.

﴿٤﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أوّلها الأحدُ وآخِرُها الجُمُعة، ....

حاشية الصاوي

إبطاليًّا لقولهم، كأنه قيل: ليس هو كما قالوا، بل هو الحق، وقولهم: (كل ما في القرآن من الإضراب انتقالي)[1].. يحمل على غير هذا، والمعنى: أنَّ القرآن مَحصورٌ في الحق، لا يخرج عنه لغيره، واستفيد الحصر من الجملة المعرَّفة الطرفين.

قوله: (﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾) هو فعل ينصب مفعولين: الأول: ﴿قَوْمًا﴾، والثاني: محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (به)، وقدَّره غيره (العقاب)[2].

قوله: (﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾) جعل المفسِّر الجملةَ منفيَّةً صفة لـ﴿قَوْمًا﴾[3].

واختلف في القوم؛ فقيل: المراد بهم العرب؛ لأنهم أمة لم يأتهم نذيرٌ قبل محمد ﷺ، وتكون هذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس: ٦]، وقيل: المراد بهم أهل الفترة الذين كانوا بين عيسى ومحمد عليهما السلام، فيشمل بني آدم برُمَّتهم.

قوله: (﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾) الترجي بالنسبة له ﷺ، والمعنى: لتنذر قوماً راجياً لاهتدائهم، لا آيساً منه.

قوله: (﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾) مبتدأ وخبر، وهو شروعٌ في ذكر أدلة تَوحيده سبحانه وتعالى.

قوله: (أوَّلها الأحد، وآخرها الجمعة) أي: على سبيل التوزيع؛ فخلق الأرض أولاً في الأحد

---

(١) كما ذهب إليه ابن مالك رحمه الله في «شرحه على الكافية»، ووَهَّمه ابن هشام في «المغني» (ص١٧٧). والإضراب الإبطالي: إبطال الحكم السابق ونفي مَضمونه والانصراف عنه إلى ما بعده، والانتقالي: الانتقال من غرض إلى آخرَ يُخالفه.

(٢) انظر «الدر المصون» (٩/ ٧٩).

(٣) وجعل الإمام أبو حيان (ما) موصولة، والمعنى: لتنذر قوماً العقاب الذي أتاهم. انظر «البحر المحيط» (٧/ ١٩٢).

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ﴾ ....

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ هو في اللُّغة سَرِير المُلك استِواءً يَلِيق بِه، ﴿مَا لَكُم﴾ يا كُفَّار مكَّة ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: غَيره ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ - اسمُ (ما) بِزِيادةِ (مِن) - أي: ناصِر ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يَدفَع عَذابَه عنكُم، ....

حاشية الصاوي

والاثنين، وخلق ما فيها في الثَّلاثاء والأربعاء، وخلق السماوات في الخميس والجمعة، وفي ذلك إشكالٌ، وهو أن الأيام لم تكن معرُوفة إذ ذاك، فضلاً عن تسميتها؛ لعدم وجود الشمس والأفلاك التي بها تعرف الأيام، وأجيب: بأنَّ المراد مقدار ستة أيام كائنة في عِلمه تعالى؛ بحيث تكون عند ظهورها لنا أولها الأحد وآخرها الجمعة، ويقتضي هذا أنها كأيام الدنيا، وبه قال الحسن، وقال ابن عباس والضحاك: اليوم منها مقدار ألف سنة(١).

قوله: (**سرير الملك**) أي: ومنه: ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾ [النمل: ٤١]، والمراد به هنا: الجِسم النوراني المحيط بالعالم كلِّه.

قوله: (**استواء يَليق به**) هذا إشارةٌ لطريقة السلف الذين يُؤمنون بالمتشابه ويفوِّضون علمه لله تعالى، وهو أسلَم؛ ولِذا سلكه المفسِّر، وطريقة الخلف يؤوِّلون الاستواء بالاستيلاء والقهر؛ إذ هو أحد معنيَي الاستواء، ومنه: قال الشاعر(٢): [الرجز]

قَـدِ اسْتَـوَى بِـشْـرٌ عَـلـى الـعِـرَاق ... مِـن غَـيْـرِ سَـيْـفٍ ودَمٍ مُـهْـرَاقِ

وتقدَّم الكلام في هذا غيرَ مرة.

قوله: (﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾) هذا نتيجةُ ما قبله؛ أي: فحيث ثبت أنه الخالق للسماوات والأرض وما بينهما، وهو المالك للعرش وما حوى.. فلا وليَّ ولا شفيع غيره.

قوله: (**يا أهل مكة**) خصَّهم؛ لأنهم سبب نزول الآية، وإلا.. فالعِبرة بعموم اللفظ.

قوله: (**اسم «ما»**) أشار بذلك إلى أنَّ (ما) حجازيَّة و﴿وَلِيٍّ﴾: اسمها مؤخَّر، و﴿مِّن دُونِهِۦ﴾: خبرها مقدَّم، وفيه: أنَّ شرط إِعمالها الترتيب، وهو مَفقود هنا، إلا أن يقال: إنه مشى على قول ضعيف للنحويين مِن عدم اشتراطه في عملها، والأحسَن: جعلُها تميميَّة، و﴿مِّن دُونِهِۦ﴾: خبر مقدَّم، و﴿وَلِيٍّ﴾: مبتدأ مؤخَّر؛ لأنَّ القرآن لا يَنبغي حمله على ضعيف.

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١٤/ ٨٦).

(٢) هو للبعيث كما قاله ابن عباد، أو للأخطل كما قاله الجوهري. انظر «إتحاف السادة المتقين» (٣/ ١٠٦).

أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ....

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون؟

﴿٥﴾ ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ مُدَّة الدُّنيا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أغفلتُم فلا تتفكرون؟

قوله: (﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾) أي: الشأن والحال، والمعنى: يتصرف في الخلق على طبق عِلمه وإرادته، وهو القضاء والقدر المشار إليهما بقول الأجهوري: [من: الرجز]

إِرَادَةُ اللهِ مَعَ التَّعَلُّقِ ... فِي أَزَلٍ قَضَاؤُهُ فَحَقِّقِ

والقَدَرُ الإِيجَادُ لِلأَشْيَا عَلَى ... وَجْهٍ مُعَيَّنٍ أرادَهُ عَلا

وبَعْضُهُمْ قدْ قَالَ: مَعْنَى الأَوَّلِ ... العِلْمُ مَعْ تَعَلُّقٍ في الأَزَلِ

والقَدَرُ الإِيجَادُ لِلأُمُورِ ... على وِفَاقِ عِلْمِهِ المَذْكُورِ

وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، فالتَّصريفُ الذي يظهر في الخلق من حيثُ وجودُهُ على طِبق العلم والإرادة.. قدرٌ، ومن حيثُ عِلمُ الله وإرادتُهُ به.. قضاءٌ، فكلُّ شيء بقضاء وقدر.

قوله: (﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾) قال ابن عباس: مَعناه: ينزل القضاء والقدر، وقيل: ينزل الوحي مع جبريل، ورُوي أنه: «**يدبِّر أمر الدنيا أربعة: جبريل، وميكائيل، وملك الموت، وإسرافيل صلواتُ الله عليهم أجمعين، فأما جبريل فمُوكَّل بالأرياح والجنود، وأما ميكائيل فموكَّل بالقطر والماء، وأما ملك الموت فموكَّل بقَبض الأرواح، وأما إسرافيل فهو يَنزل بالأمر عليهم**»[1].

وقد قيل: إنَّ العرش موضع التَّدبير؛ كما أنَّ ما دُون العرش موضعُ التَّفصيل، قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ... يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [الرعد: ٢]، وما دون السماوات مَوضعُ التَّصريف.

قوله: (مدة الدنيا) أي: وهي كما ورد: «سبعة آلاف سنة، بُعِثَ رسول الله ﷺ في الألف

---

(١) رواه البيهقي في «الشعب» (١/ ٣١٦)، وابن أبي شَيبة في «مصنفه» (٧/ ١٥٩) من حديث عبد الرحمن بن سابط.

﴿ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦﴾ ....

﴿ثُمَّ يَعۡرُجُ﴾: يَرجِعُ الأمرُ والتَّدبيرُ ﴿إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ في الدُّنيا، وفي سُورة (سَأَلَ): ﴿خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج: ٤]، وهو يَوم القِيامة لِشِدَّةِ أهوالِه بِالنِّسبة إلى الكافِر، وأمَّا المُؤمِن فيَكُون أخفَّ علَيه مِن صَلاة مَكتُوبة يُصَلِّيها في الدُّنيا كما جاءَ في الحَديث.

﴿٦﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الخالِقُ المُدبِّر ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: ما غابَ عن الخَلقِ وما حَضَرَ، ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾: المَنيعُ في مُلكِه، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بِأهلِ طاعَتِه.

حاشية الصاوي

السادس»[1]، ومُدة أمَّته تزيد على الألف سنة، ولا تبلغُ الزيادة عليها خمسَ مئة سنة كما ذكره السيوطي في «الكشف عن مُجاوزة الأمة الألف»[2]، وهذا أحد أقوال تقدَّمت.

قوله: (يرجع الأمر والتدبير ﴿إِلَيۡهِ﴾) أي: يَنتقل التصريف الظاهري من أيدِي العبيد يوم القيامة، ويكون لله وحده ظاهراً وباطناً، قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

قوله: (لشدة أهواله... إلخ) إشارة لوجه الجمع بين الآيتين؛ أي: فالمراد من ذكر الألف وذكر الخمسين: التَّنبيه على طُوله، والتخويف منه، لا العدد المذكور بخصوصه.

وجمع أيضاً: بأنَّ مواقف يوم القيامة خمسون موقفاً؛ لكلِّ موقف ألف، فهذه الآية بيَّنت أحد المواقف، وآية (سأل) بيَّنت المواقف كلَّها، وهذا هو الأقرب.

وجمع أيضاً: بأنَّ العذاب مُختلف؛ فيعذَّب الكافر بجنس من العذابِ ألفَ سنة، ثم يُنْقَلُ إلى جنسٍ آخر مدَّته خمسونَ ألف سنة.

قوله: (من صلاة مكتوبة) صادِق بصلاة الصبح، فهو في حقِّ المؤمن قصير جدًّا.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) مبتدأ، و﴿عَٰلِمُ﴾ خبر أول، و﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ خبر ثان، و﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ خبر ثالث، و﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ﴾ خبر رابع، وهذه قراءة العامَّة، وقرئ شذوذاً برفع (عالم)، وخفض (العزيزِ الرحيم)

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٣٠٢)، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن زمل الجهني من حديثه الطويل، وفيه: «فالدنيا سبعة آلاف سنة، وأنا في آخرها ألفاً».

(٢) «الكشف عن مجاوزة الأمة الألف» (ص٢٥).

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ ....

(٧ - ٨) ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ ـ بِفَتحِ اللَّام فِعلاً ماضِياً صِفة، وبِسُكُونِها بَدَل اشتِمال ـ ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ﴾: آدمَ ﴿مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾: ذُرِّيَّته ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾: عَلَقةٍ ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾: ضَعِيفٍ هو النُّطفة.

(٩) ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ أي: خَلقَ آدمَ ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ أي: جَعلَهُ حَيًّا حَسَّاساً بعدَ أن كانَ جَماداً، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ أي: لِذُرِّيَّته ﴿ٱلسَّمْعَ﴾ بِمَعنَى الأسماعَ ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾: القُلُوب، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ـ (ما) زائِدة مُؤَكِّدة لِلقِلَّة ـ.

حاشية الصاوي

على أنهما بدلان من الهاء في ﴿إِلَيْهِ﴾، وقرئ أيضاً بجرِّ (عالم) وما بعده، وخرِّجت على جَعل اسم الإشارة فاعلاً لـ﴿يَعْرُجُ﴾، و(عالم) وما بعده: بَدل من الضمير في (إليه)[1].

قوله: (﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾) أي: أحكَم وأتقن.

قوله: (صفة) أي: لـ(كل)، أو لـ(شيء).

قوله: (وسكونها) أي: وهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (بدل اشتمال) أي: من ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾.

قوله: (ذرِّيَّته) سميت نسلاً؛ لأنها تَنسلُّ؛ أي: تنفصل.

قوله: (أي: خلق آدم) أشار بذلك إلى أنَّ الضمير في (سوَّاه) عائد إلى آدم، ويصح أن يكون عائداً على النسل، ويكون المعنى: سوَّى أعضاءَه في الرحم، وصوَّرها بعد أن كان يُشبه الجماد؛ حيث كان نُطفة، ثم علقة، ثم مضغة.

قوله: (﴿مِن رُّوحِهِۦ﴾) الإضافة للتشريف.

قوله: (أي: لذرِّيَّته) فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، والنكتة: أنَّ الخطاب إنما يكون مع الحيِّ، فلمَّا نفخ فيه الروح.. حَسُنَ خطابه.

---

(١) قرأ بالأولى أبو زيد، وبالثانية زيد بن علي. انظر «الدر المصون» (٩/ ٨٠)

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بسكون اللام، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٩/ ٨١).

وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ....

﴿١٠﴾ ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أي: مُنكِرُو البَعث: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: غِبْنا فِيها بِأن صِرْنا تُراباً مُختَلِطاً بِتُرابِها ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾؟ ـ استِفهام إنكارٍ بِتَحقِيقِ الهَمزَتَين وتَسهِيل الثَّانية وإدخالِ أَلِف بَينَهما على الوَجهَينِ في المَوضِعَين ـ، قال تَعالى: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ بِالبَعث ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

﴿١١﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي: بِقَبضِ أرواحِكُم، .....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا﴾) حكايةٌ لبعض قبائحهم وأباطيلهم، وقرأ العامَّة بضاد معجمة ولام مفتوحة بمعنى: ذهبنا، وقرئ شذوذاً بكسر اللام، وبضمِّ الضاد وكسر اللام مشدَّدة[١].

قوله: (وإدخال ألف بينهما) أي: وتركه، فتكون القراءات أربعاً سبعيَّات[٢].

قوله: (في الموضعين) أي: وهما: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا﴾، ﴿أَءِنَّا﴾.

قوله: (﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾) انتقالٌ من جَحدهم البعثَ إلى جحدهم لقاءَ الله بالمرَّة.

قوله: (﴿قُلْ﴾ لهم) أي: للكفار، وخصَّهم بالذكر؛ لوجود التَّشنيع بعد ذلك.

قوله: (﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾) أسند التوفي في هذه الآية لملك الموت، وفي آية (الأنعام) للرسل[٣]، وفي (الزمر) لله تعالى[٤]، ولا مُنافاة بينها؛ فما هنا محمولٌ على مباشرة أخذها حين تَصل للحلقوم، وما في (الأنعام) محمولٌ على معالجة أعوان عزرائيل لمن أمر بقبض رُوحه؛ فإنَّ المباشر لإخراجها من الظفر إلى الحلقوم أَعوانه، وما في (الزمر) محمولٌ على الحقيقة؛ فإن المتوفِّي حقيقة هو الله تعالى.

---

(١) قرأ يحيى بن يعمر وابن محيصين وأبو رجاء بكسر اللام، وهي لغة العالية، وقرأ علي وأبو حيوة: (ضُلِّلنا) بضم الضاد وكسر اللام المشددة من: ضَلَّله بالتشديد. انظر «الدر المصون» (٩/ ٨٤).

(٢) مذهب قالون وأبي عمرو في الاستفهام تسهيل الثانية وإدخالُ الألف بينها وبين همزة الاستفهام، وورش وابن كثير بتسهيل الثانية من غير إدخال، وهشام يُسهل الثانية ويحققها مع الإدخال، والباقون بتحقيقهما من غير إدخال. انظر «السراج المنير» (٣/ ٢٠٦).

(٣) في قوله عزَّ شأنه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾.

(٤) في قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾.

ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ....

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أحياءً فيُجازِيكُم بِأعمالِكُم.

﴿١٢﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: الكافِرُون ﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: مُطَأطِئُوها حَياءً يَقُولُون: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا﴾ ما أنكَرنا مِن البَعثِ، ﴿وَسَمِعْنَا﴾ مِنك تَصدِيقَ الرُّسُل فِيما كَذَّبناهُم فِيه، ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ إلى الدُّنيا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ فِيها، ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآنَ، فما يَنفَعهُم ذلك ولا يَرجِعُون، ....

حاشية الصاوي

روي: «أن الدنيا جعلت لملك الموت مثل راحة اليد، فيأخذ منها مَنْ شاء أَخْذَهُ من غير مشقَّةٍ، فهو يقبض أرواح الخَلق من مشارق الأرض ومغاربها، وله أعوانٌ من ملائكة الرحمة ومَلائكة العذاب»[1].

وروي: «أن خطوته ما بين المشرق والمغرب»[2]، وروي: «أنه جعلت له الأرض مثل الطشت يتناول منه حيث يَشاء»[3].

وقيل: إنه على مراح بين السماء والأرض، وقيل: إنَّ له حربةً تبلغ ما بين المشرق والمغرب، وهو يتصفَّح وجوه الناس، فما مِن أهل بيت إلا وملك الموت يتصفَّحهم في كل يوم مرَّتين، فإذا رأى إنساناً قد انقضى أجله.. ضرب رأسه بتلك الحربة وقال له: الآن يَنزل بك عسكر الموت.

قوله: (فيُجازيكم بأعمالكم) أي: عليها من خير وشرٍّ.

قوله: (﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾) الخطاب لكلِّ أحدٍ ممن يَصلح له.

قوله: (﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾) أي: خافِضوها.

قوله: (وسمعنا منك تصديق الرسل) أي: فيما أخبرونا به من الوعد والوعيد.

قوله: (﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآن) أي: آمنَّا في الحال، ويحتمل أن المعنى: لم يقع منَّا الشرك؛ كقولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

---

(١) أورده الثعلبي في «الكشف والبيان» (٧/ ٣٢٨).

(٢) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٤٨) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً.

(٣) أورده الثعلبي في «الكشف والبيان» (٧/ ٣٢٨) من كلام مجاهد رحمه الله.

وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ....

وجَواب (لَو): لَرَأيت أمراً فَظيعاً. قال تَعالى:

﴿١٣﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ فتَهتَدِي بِالإيمانِ والطَّاعة بِاختِيارٍ مِنها، ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ﴾: الجِنِّ ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وتَقُول لَهم الخزَنَةُ إذَا دَخلُوها:

﴿١٤﴾ ﴿فَذُوقُوا﴾ العَذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: بِترِكِكُم الإيمانَ بِه، ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾: تَرَكناكُم في العَذاب، ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ الدَّائِم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مِن الكُفر والتَّكذِيبِ.

﴿١٥﴾ ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (لرأيت أمراً فظيعاً) أي: شنيعاً عجيباً.

قوله: (﴿هُدَاهَا﴾) أي: إيمانها، والمعنى: لو أردنا خلق كلِّ نفس على الإيمان والطاعة.. لفعلنا ذلك.

قوله: (﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾) أي: ثبت وتقرَّر وعيدي.

قوله: (﴿مِنَ الْجِنَّةِ﴾) قدَّمهم؛ لأنَّ دخول الجِنَّةِ النارَ أكثرُ من الإنس.

قوله: (أي: بترككم الإيمان) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالنسيان: التَّركُ.

قوله: (﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾) كرَّره لِبيان مفعول (ذوقوا) الأول.

قوله: (﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾) أي: بسبب عملكم.

قوله: (﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾... إلخ) هذا تسليةٌ له ﷺ على بقاء مَنْ كفر على كُفره؛ كأنَّ الله يقول لنبيِّه: لا تحزن؛ فإنَّ أهل الإيمان مجبولون على الاتِّعاظ بالقرآن، وأهل الكفر مجبُولون على عدم الاتِّعاظ به؛ فالخلق فريقان في علم الله.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ....﴾

القُرآنِ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟﴾: وُعِظُوا ﴿بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟﴾ مُتَلَبِّسِين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: قالُوا: سُبحانَ اللهِ وبِحَمدِه، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمانِ والطَّاعةِ.

﴿١٦﴾ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾: تَرتفِعُ ﴿عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾: مَواضِعِ الاضطِجاعِ بِفُرُشِها ......

حاشية الصاوي

قوله: (القرآن) استشكل ظاهر تلك الآية: بأنه يَقتضي مَدْحَ كلِّ مَنْ سمع القرآن واتَّعظ به وسجد لله وإن لم يكن موضع سجود.

وأجيب: بأنَّ السُّنَّة بيَّنت مواضع السجود في القرآن، فمدح المتَّعظين بالقرآن في كلِّ آية، الساجدين في مواضع السجود.

قوله: (﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾) أي: على وجوههم؛ تعظيماً لآياته، وامتثالاً لأمره، وخصَّ السجود بالذكر؛ لأنَّه غاية الذل والخضوع، وهو لا يكون إلا لله، وفِعلُهُ لغيره كفرٌ، ولأنه روح الصلاة وأعظم أركانها، ولأنه يُقرِّب العبد من الله تعالى؛ لما في الحديث: «**أقرَب ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجد**»[1].

قوله: (ملتبسين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾) أي: جمعوا في سُجودهم بين التَّنزيه والحمد؛ فالتنزيهُ حاصلٌ بوضع الأعضاء على الأرض، وبقَولهم: (سبحان الله)، والحمد لله حاصلٌ بقولهم: (وبحمده)، فالسجود يطلب فيه التسبيح والتحميد، ويُطلب فيه أيضاً الدعاء، ومما ورد فيما يقال في سجدات القرآن: «**اللهم؛ اكتُب لي بها أجراً، وضع عني بها وزراً، واجعَلها لي عندك ذخراً، وتقبَّلْها مني كما تقبَّلتها من عبدك داوود عليه السلام**»[2].

قوله: (﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾) أي: لا يتكبَّرون ولا يأنفون.

قوله: (﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾) أسند التَّجافي للجُنوب؛ لأنَّ الواعظ الذي يكون سبباً في القيام للصلاة ونحوها من جهة الجُنوب، وهو القلب، فالإنسان إذا كان مشغولاً بربِّه.. سُلِّط عليه واعظٌ في قلبه يُقلقه، فيكون قليل النوم والهجوع، قال تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]،

(١) رواه مسلم (٤٨٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي (٥٧٩)، وابن ماجه (١٠٥٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ....

لِصَلاتِهِم بِاللَّيلِ تَهجُّداً، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ مِن عِقابِه، ﴿وَطَمَعًا﴾ في رَحمَتِه، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾: يَتصدَّقُون.

﴿١٧﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ﴾: خُبِّئ ﴿لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾: ما تَقَرُّ بِه أعيُنُهم، ـ وفي قِراءة: بِسُكون الياء مُضارع ـ ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

حاشية الصاوي

فإذا اضطجع.. قصد بذلك التَّقوِّيَ على القيام والخدمة، وبالجملة فتكون جميعُ أفعاله دائرةً بين الواجب والمندوب.

قوله: (لصلاتهم بالليل) أي: لما فيها من نور القلب، ورضا الرَّبِّ؛ لما في الحديث: «**ما زال جبريل يُوصيني بقيام الليل حتى علمت أنَّ خِيار أمتي لا ينامون**»[1].

قوله: (﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾) أي: لا ملكٌ مقرَّب، ولا نبيٌّ مرسلٌ فضلاً عن غيرهم، والمعنى: لا تعلم ذلك تفصيلاً، وإلا.. فنحن نعلمه إجمالاً كالأشجار والأنهار والغُرَف والحور والولدان وغير ذلك؛ لأنَّ عطاء الجنة لا تحيط به العقول؛ ففي الحديث: «**لموضعُ سوط أحدكم في الجنَّة خيرٌ من الدُّنيا وما فيها**»[2].

قوله: (﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾) أي: سُرورها وفرحها؛ فلا يلتفتون لغيره.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[3].

قوله: (مضارع) أي: والفاعل مستتر تقديره: أنا؛ ففي الحديث: «**أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطَر على قلب بشرٍ**»[4].

قوله: (﴿جَزَاءً﴾) مفعول لأجله.

---

(١) رواه الديلمي في «الفردوس» (٦٣٠٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٢٥٠) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) قرأ حمزة بسكون الياء، والباقون بالفتح. انظر «السراج المنير» (٣/ ٢١٠).

(٤) رواه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ....

(﴿١٨﴾ - ﴿٢٠﴾) ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ أي: المؤمنون والفاسقون؛ ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا﴾ هو ما يُعدُّ للضَّيف ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ بالكفرِ والتَّكذيبِ ﴿فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾... إلخ) سبب نزولها: أنه كان بين علي بن أبي طالب وعقبة[1] ابن أبي معيط تنازعٌ، فقال الوليد بن عقبة لعليٍّ: اسكت؛ فإنَّك صبيٌّ، وأنا والله أبسَط منك لساناً، وأشجع منك جناناً، وأملأ منك حشواً في الكتيبة، فقال عليٌّ: اسكت؛ فإنك فاسِق[2].

وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١].

قوله: (﴿كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾) أي: كافراً.

قوله: (﴿لَّا يَسْتَوُونَ﴾) أي: في المآل، وقد راعى المعنى فجمع؛ لأنَّ المراد الفريق في كلٍّ، وروي: أنه ﷺ كان يتعمَّد الوقف على قوله: ﴿فَاسِقًا﴾، ويبتدئ بقوله: ﴿لَّا يَسْتَوُونَ﴾[3].

قوله: (﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾) تفصيل لما أجمل أولاً.

قوله: (﴿نُزُلًا﴾) أي: مهيَّأة ومعدَّة لإكرامهم، كما تهيَّأ التُّحف للضَّيف النَّازل بالكرام.

قوله: (﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾) أي: بسبب كونهم يَعملون الصالحات.

قوله: (﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾) لم يقُل: وعملوا السيئات؛ إشارةً إلى أنَّ مجرَّد الكفر كافٍ في الخلود في النار، فلا التفات إلى الأعمال معه، وأما العمل الصالح.. فله مع الإيمان تأثيرٌ؛ فلِذا قرنه به.

قوله: (﴿فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾) أي: مسكنهم ومنزلهم.

---

(١) كذا في الأصول، ولعلها: الوليد بن عقبة بن أبي معيط كما في سبب النزول.

(٢) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٠٤٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر «زاد المسير» (٣/ ٤٤٢).

(٣) ذكر الأشموني في «منار الهدى في بيان الوقف والابتدا» (١/ ١٣) أن الوقف كما أورده المفسر من وقف جبريل الذي ينبغي للقارئ تعلمه. وانظر «الدر المصون» (٩/ ٨٨).

كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ....

كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿٢١﴾ ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾: عَذاب الدُّنيا بِالقَتلِ والأسرِ والجَدب سِنِينَ والأمراضِ، ﴿دُونَ﴾: قبلَ ﴿ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ عَذابِ الآخِرة، ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾ أي: مَن بَقِيَ مِنهُم ﴿يَرۡجِعُونَ﴾ إلى الإيمانِ.

﴿٢٢﴾ ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾: القُرآنِ ﴿ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ﴾ أي: لا أحَدَ أظلَمُ مِنه، ﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: المُشرِكِينَ ﴿مُنتَقِمُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ﴾... إلخ) بيان لكون النار مأواهم.

روي: «أن النار تضربهم، فيَرتفعون إلى طبقاتها، حتى إذا قربوا من بابها وأرادوا أن يخرجوا منها.. يضربهم لهبها، فيَهوون إلى قعرها، وهكذا يفعل بهم أبداً»[1].

قوله: (﴿وَقِيلَ لَهُمۡ﴾) عطف على ﴿أُعِيدُواْ﴾، والقائل لهم الخزنة.

قوله: (﴿ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾) صفة لـ(عذاب)، وعبَّر هنا بالتذكير؛ نظراً للمضاف، وهو العذاب، وفي (سبأ) بالتأنيث؛ نظراً للمضاف إليه، وهو النار[2].

قوله: (والجدب سنين) أي: بمكة سبع سنين، حتى أكلوا فيها الجِيَف والعظام والكلاب.

قوله: (أي: من بقي منهم) أي: بعد القحط، وبعد يوم بدر، والترجي في القرآن بمنزلة التحقيق، وقد تحقَّق ذلك عند الفتح.

قوله: (﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾... إلخ) بيانٌ إجماليٌّ لحال المكذِّب إثر بَيانه تفصيلاً.

قوله: (﴿ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ﴾) أي: تركَ الإيمان بها.

قوله: (أي: لا أحد... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاري.

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٩٧) من تفسير الحسن رحمه الله تعالى.

(٢) أي: في قوله تعالى: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً ....

﴿٢٣﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ﴾: شَكٍّ ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾، وقد التَقَيا لَيلةَ الإسراءِ، ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي: مُوسى أو الكِتابَ ﴿هُدًى﴾: هادياً ﴿لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ ـ بِتحقِيقِ الهَمزتَينِ وإبدال الثَّانية ياءً ـ: قادةً ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾) الحكمة في ذكر موسى: قُربه من النبي ﷺ، ووجود من كان على دينه؛ لتقوم الحجَّة عليهم.

قوله: (وقد التقيا ليلة الإسراء) أي: في الأرض عند الكثيب الأحمر وهو قائمٌ يُصلي في قبره، وفي السماء السادسة؛ كما ورد بذلك الحديث[1].

وفي كلامه إشارةٌ إلى أن الضمير في ﴿لِّقَآئِهِۦ﴾ عائدٌ على (موسى)، والمصدر مضاف لمفعوله أي: من لقائك موسى لَيلة الإسراء، وهو أقوى الاحتمالات في هذا الموضع[2].

قوله: (﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾) أي: وهم الأنبياء الذين كانوا في بني إسرائيل، أو أتباعُ الأنبياء.

قوله: (وإبدال الثانية ياء) تقدَّم أنها سبعيَّة، لكن من طريق «الطيبة»، لا من طريق «الشاطبية»[3].

---

(١) أما حديث رؤيته عليه السلام قائماً يصلي. . فرواه مسلم (٢٣٧٥) عن سيدنا أنس رضي الله عنه، وأما حديث رؤيته في السماء السادسة. . فرواه مسلم في حديث قصة الإسراء (١٦٢) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

(٢) وفي عود الضمير في (لقائه) أقوال: أحدها: ما ذكره المصنف رحمه الله، والثاني: أنَّ الضمير يعود على (الكتاب)، وحينئذ: يجوز أن تكون الإضافة للفاعل؛ أي: من لقاء الكتاب لموسى، أو المفعول؛ أي: من لقاء موسى الكتاب؛ لأن اللقاء تَصح نسبته إلى كل منهما، والثالث: أنه يعود على (الكتاب) على حذف مُضاف؛ أي: من لقاء مثل كتاب موسى، والرابع: أنه عائد على مَلَك الموت؛ لتقدُّم ذكره، والخامس: عَودُه على الرجوع المفهوم من الرجوع في قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾؛ أي: لا تك في مِرية من لقاء الرجوع، والسادس: أنه يعود على ما يفهم من سياق الكلام مما ابتلي به موسى من البلاء والامتحان، قاله الحسن؛ أي: لا بدَّ أن تلقى ما لقي موسى من قومه. وهذه أقوال بعيدة ذكرتها لِلتَّنبيه على ضعفها، وأظهَرُها: أن الضمير: إما لموسى، وإما للكتاب؛ أي: لا ترْتَبْ في أن موسى لقي الكتاب وأنزل عليه. انظر «الدر المصون» (٩/ ٨٩).

(٣) انظر «البدور الزاهرة» (ص١٣٣).

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥) أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٦)﴾ ....

﴿يَهْدُونَ﴾ النَّاسَ ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ على دِينِهم وعلى البَلاء مِن عَدُوِّهِم، ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالَّةِ على قُدرَتِنا ووَحدانيَّتِنا ﴿يُوقِنُونَ﴾ - وفي قِراءة بِكَسرِ اللَّام وتَخفِيف المِيم -.

(٢٥ - ٢٦) ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مِن أمرِ الدِّين، ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ أي: يَتبيَّنْ لِكُفَّارِ مَكَّة إهلاكُنا كَثِيراً ﴿مِّنَ الْقُرُونِ﴾: الأُمَم بِكُفرِهِم، ﴿يَمْشُونَ﴾ - حالٌ مِن ضَمِير ﴿لَهُمْ﴾ - ﴿فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ في أسفارِهِم إلى الشَّام وغَيرِها فيَعتَبِرُوا، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾: دَلالاتٍ على قُدرَتِنا، ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ سَماعَ تَدَبُّر واتِّعاظ؟

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾) أي: تحمَّلوا المشاقَّ؛ فالصبر عواقبه خير، كما قيل: [البسيط]

الصَّبر كالصَّبِرِ مُرٌّ في مَذاقَتِه ... لَكنْ عَواقِبُهُ أحلَى مِنَ العَسَلِ

والمعنى: جعلنا منهم أئمَّةً حين صبروا.

قوله: (﴿وَكَانُوا﴾) عطف على ﴿صَبَرُوا﴾.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً، وخُرِّجت على جعل اللام للتعليل، و(ما): مصدرية؛ أي: جعَلناهم أئمة لأجل صَبرهم[1].

قوله: (﴿بَيْنَهُمْ﴾) أي: المؤمنين والمشركين، أو بين الأنبياء وأُمَمهم.

قوله: (﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾) الهمزة داخلةٌ على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: أغفلُوا ولم يتبيَّن لهم... إلخ؟.

قوله: (﴿مِّنَ الْقُرُونِ﴾) (مِن): بَيانية لـ(كم)، و﴿مِن قَبْلِهِم﴾: حال من ﴿الْقُرُونِ﴾.

قوله: (﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾) أي: المذكور من كثرة إهلاك الأمم الخالية.

(١) قرأ الأخوان بكسر اللام وتخفيف الميم، والباقون بفتحها وتشديد الميم. انظر «الدر المصون» (٩/ ٩٠).

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ ....

﴿٢٧﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾: اليابسةِ الَّتي لا نَباتَ فِيها، ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ هذا فيَعلَمُون أنَّا نَقدِرُ على إعادَتِهم.

(﴿٢٨﴾ - ﴿٢٩﴾) ﴿وَيَقُولُونَ﴾ لِلمُؤمِنِين: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ بَينَنا وبَينَكُم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾ بِإنزالِ العَذاب بِهِم ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يُمهَلُونَ لِتَوبةٍ أو مَعذِرةٍ.

﴿٣٠﴾ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ﴾ إنزالَ العَذاب بِهِم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (اليابسة التي لا نبات فيها) أي: التي قُطع وأزيل بالمرَّة، فـ(الجرز) معناه: القطع، سمِّيت الأرض اليابسة بذلك؛ لقطع النبات منها، وقيل: المراد بـ(الجرز): موضع باليمن.

قوله: (﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ﴾) قدَّم الأنعام؛ لأنَّ أكلها مقدَّم؛ لكونها تأكل قبل أن يُثمر.

قوله: (﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾) سبب نزولها: أنَّ المسلمين كانوا يقولون: إنَّ الله سيفتح لنا على المشركين ويفصل بيننا وبينهم، وكان أهل مكة إذا سمعوهم.. يقولون بطريق الاستعجال تكذيباً واستهزاء: متى هذا الفتح؟[1]

قوله: (﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾) المراد به: يوم القيامة؛ لأنه يوم الفصل بين المؤمنين والكافرين.

قوله: (﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ﴾) أي: لأنَّ الإيمان المقبول هو الذي يكون في الدنيا، ولا يُقْبَلُ بعد خُروجهم منها.

قوله: (﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾) أي: يؤخَّرون، وقوله: (أو معذرةٍ) أي: اعتذارٍ.

قوله: (﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾) أي: اتركهم ولا تتعرَّض لهم.

---

(١) انظر «زاد المسير» (٣/ ٤٤٤).

﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ۝٣٠﴾

﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ بِك حادِثَ مَوتٍ أو قَتلٍ فيَستَرِيحُون مِنك، وهذا قبلَ الأمرِ بِقِتالِهم.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (وهذا قبل الأمر بقتالهم) أي: فهو منسوخٌ بآية الجهاد، ويحتمل أنَّ الآية محكمةٌ، ومعنى ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: اقبل عُذر من أسلم منهم وترك ما هو عليه، وقد وَقع منه ذلك؛ فقد عفا عن وحشيٍّ حين أسلَم بعد قتله حمزة عمَّه ﷺ، وعن جميع مَنْ دخل عليهم مكة عام الفتح.

✿ ✿ ✿

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ....



مدنيَّة، ثلاثٌ وسَبعون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾: ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الأَحْزَابِ

أي: التي ذكرت فيها قصَّة الأحزاب، وهذه السورة اشتَملت على مَدح النبي ﷺ والصادقين من أصحابه، والتَّشنيعِ على المنافقين وذمِّهم، وكانت هذه السورة قدر سورة (البقرة)، وكانت فيها آية الرجم: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتةَ نكالاً من الله والله عزيز حكيم)[1]، فأبقى الله منها ما هو بأيدينا، ورفع الزائد، خلافاً للروافض؛ حيث زعموا أنَّ تلك الزيادة كانت في صَحيفة في بيت عائشة، فأكلها الداجن[2].

قوله: (مدنيَّة) أي: بإجماع.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾) لم يخاطبه الله كما خاطب غيره من الأنبياء حيث قال: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾،

---

(١) روى النسائي في «السنن الكبرى» (٧١٥٠) عن زرٍّ، قال: قال لي أبيُّ بن كعب: كم تعدون سورة الأحزاب آية؟ قلنا: ثلاثة وسبعين، فقال أبي: كانت لتعدل سورة (البقرة)، ولقد كان فيها آية الرجم: (الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم).

(٢) روى ابن ماجه (١٩٤٤) عن سيدتنا عائشة ﵂ قالت: «لقد نزلت آية الرجم، ورضاعة الكبير عشراً، ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته.. دخل داجنٌ فأكلها»، وعلَّق العلامة السندي على الحديث في «حاشيته» (١/ ٥٩٩)، فقال: (ولم تُرِد أنه كان مقروءاً بعد؛ إذ القول به يوجب وقوع التغيير في القرآن، وهو خلافُ النص؛ أعني: قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾)، فهذه الرواية وأمثالها مَحمولة على النسخ. وانظر «تفسير القرطبي» (١٤/ ١١٣).

وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ....

دُمْ على تَقواهُ، ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فِيما يُخالِفُ شَرِيعَتَك، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يَكُون قبلَ كَونِه، ﴿حَكِيمًا﴾ فِيما يَخلُقُه.

﴿٢﴾ ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: القُرآنَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ـ وفي قِراءة بِالفوقانيَّة ـ.

﴿٣﴾ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في أمرِك، ....

حاشية الصاوي

﴿يَٰعِيسَىٰ﴾، ﴿يَٰدَاوُۥدُ﴾؛ لكونه ﷺ أفضلَ الخلق على الإطلاق، فخاطَبه بما يُشعر بالتعظيم والإجلال؛ حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾، وإن ذكر اسمه صريحاً.. أردَفه بما يشعر بالتعظيم؛ حيث قال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ إلى غير ذلك.

قوله: (أي: دُمْ على تقواه) دفع بذلك ما يقال: إنَّ في الآية تحصيلَ الحاصل.

وسببُ نزول هذه الآية: أنَّ أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور عمرو بن سفيان السلمي قَدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبيٍّ رأسِ المنافقين بعد قتال أُحد، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلِّموه، فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق، فقالوا للنبي ﷺ وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومَناة، وقل: إنَّ لها شفاعة لمن عبدها، وندعك وربَّك، فشقَّ ذلك على النبي ﷺ، فقال عمر: يا رسول الله؛ ائذن لنا في قَتلهم، فقال: إني أَعطيتهم الأمان، فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه، فأمر النبي ﷺ عمرَ أن يخرجهم من المدينة[1].

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾) تعليلٌ للأمر والنهي.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾) الواو: ضمير الكفَرة والمنافقين على قراءة التحتانيَّة، وضمير النبي وأُمَّته على قراءة الفوقانيَّة، وهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾) أي: اعتمد عليه، وفوِّض أُمورك إليه.

---

(١) أورده الثعلبي في «الكشف والبيان» (٨/ ٥).

(٢) قرأ أبو عمرو بياء الغيبة، والباقون بتاء الخطاب. انظر «الدر المصون» (٩/ ٩١).

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ ....

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: حافِظاً لَك، وأُمَّتُه تَبَعٌ لَه في ذلك كُلِّه.

﴿٤﴾ ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ﴾ رَدًّا على مَن قال مِن الكُفَّار: إنَّ لَهُ قَلبَينِ يَعقِل بِكُلٍّ مِنهُما أفضَلَ مِن عَقل مُحمَّد، ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي﴾ - بِهَمزةٍ وياءٍ وبِلا ياء - ﴿تَظَّهَّرُونَ﴾ - بلا ألفٍ قبلَ الهاء، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾) الباء: زائدة في فاعل (كفى)، و﴿وَكِيلًا﴾: حال.

قوله: (تبع له في ذلك) أي: فيما ذكر من قوله: ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ إلى هنا.

قوله: (﴿مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ﴾) أي: لأنَّ القلب عليه مَدار قوى الجسد، فيَمتنع تعدُّده؛ لأنه يؤدِّي للتناقض، وهو أن يكون كلٌّ منها أصلاً لكل قوى الجسد، وغيرَ أصلٍ لها.

قوله: (ردًّا على من قال. . . إلخ) أي: وهو أبو مَعمر جميل بن معمر الفهري، كان رجلاً لبيباً حافظاً لما يَسمع، فقالت قريش: ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا من أجل أنَّ له قلبَين، وكان هو يقول: لي قلبان أعقل بكلٍّ منهما أفضلَ من عقل محمد، فلمَّا هزم الله المشركين يوم بدر. . انهزم أبو معمر، فلقيه أبو سفيان وإحدى نَعلَيه بيده، والأخرى برجله، فقال له: يا أبا معمر؛ ما حال الناس؟ قال: انهزَموا، فقال: ما بال إحدى نعلَيك في يدك والأخرى في رجلك؟ فقال أبو معمر: ما شعرتُ إلا أنهما في رجلي، فعلموا يومئذٍ أنه لو كان له قلبان. . لما نسي نعلَه في يده(١).

قوله: (بهمزة وياء وبلا ياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان(٢)، وهو جمع (التي)، قال ابن مالك(٣): [الرجز]

بـالـلَّات والـلَّاء الـتـي قـد جُـمِـعَـا

قوله: (بلا ألف قبل الهاء) أي: فأصله: (تَتَظَهَّرون) بتاءين، سُكِّنت الثانية وقلبت ظاءً وأدغمت في الظاء.

---

(١) انظر «زاد المسير» (٣/ ٤٤٧).

(٢) قرأ الكوفيون وابن عامر بياء ساكنة بعد همزة مكسورة، وقرأ قنبل وورش بهمزة مكسورة دون ياء. انظر «الدر المصون» (٩/ ٩٢) فقد ذكر قراءة أخرى لأبي عمرو والبزي بياء ساكنة وصلاً بعد ألف محضة في أحدِ وجهيهما.

(٣) «الخلاصة»، باب: (الموصول) (ص١٥).

مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ ....

وبِها، والتاءُ الثانيةُ في الأصلِ مُدغَمةٌ في الظَّاء - ﴿مِنْهُنَّ﴾ يَقُول الواحِد مَثَلاً لِزَوجَتِه: أنتِ عليَّ كظَهرِ أُمِّي ﴿أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ أي: كالأُمَّهاتِ في تَحرِيمِها بِذلك المُعَدِّ في الجاهِلِيَّة طَلاقاً، وإنَّما تَجِب بِه الكَفَّارة بِشَرطِه كما ذُكر في سُورة (المُجادَلة)، ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: **(وبها والتاء الثانية في الأصل مدغمة في الظاء)** أي: فهاتان قراءتان سبعيَّتان، وبقي قراءتان سبعيتان أيضاً، وهما: فتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء، وأصلها: بتاءين حذفت إحداهما، وضمُّ التاء وكسر الهاء مع تخفيف الظاء أيضاً مضارع (ظاهر)[1]. وهذا القراءات واردةٌ في (قد سمع) أيضاً غير فتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء[2]؛ لأنَّ المضارع هناك مبدوء بالياء، فلا تتأتى فيه، وفي الماضي ثلاث لغات: (تظهَّر) ك: تكلَّم، و(تظاهَر) ك: تقاتل، و(ظاهَر) ك: قاتل.

قوله: **(يقول الواحد مثلاً لزوجته... إلخ)** أي: وضابطُه: أن يشبِّه زوجته كلاًّ أو بعضاً بظهر مؤبَّدةِ التحريم.

قوله: (﴿أُمَّهَٰتِكُمْ﴾) مفعول ثان لـ﴿جَعَلَ﴾.

قوله: **(بشرطه)** أي: وهو العزم على العَود، فإن لم يعزم على العود.. فلا تَجب عليه كفارة ما لم يمسَّها، وإلَّا.. تحقَّقت عليه ولو طلَّقها بعد ذلك.

قوله: (﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ﴾) نزلت في حق زيد بن حارثة وهو كما رُوي: كان من سبايا الشام، فاشتراه حَكيم بن حزام بن خويلد، فوهبه لعمَّته خديجة بنت خويلد، فوهبَته خديجة لرسول الله ﷺ، فأعتقه وتبنَّاه، فأقام عنده مُدة، ثم جاء عنده أبوه وعمُّه في فِدائه، فقال لهما النبي ﷺ: **«خيِّراه»**، فاختار الرقَّ مع رسول الله ﷺ على حُرِّيَّته وقومه، فقال النبي ﷺ عند ذلك: **«يا مَعشر قريش؛ اشهَدوا أنه ابني يَرثني وأرثه»**، وكان يَطوف على حِلَقِ قريش يُشهدهم على ذلك، فرضي ذلك عمُّه وأبُوه وانصرفا، فزوَّجه رسول الله ﷺ زينبَ بنت جحش، فمكثت معه مُدة، ثم أخبر الله نبيَّه أنه زوَّجه

---

(١) قرأ عاصم: (تُظاهِرون) بضمِّ التاء وكسر الهاء بعد ألف، مضارع: ظاهَر، وابن عامر: (تَظَّاهَرون) بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء، مضارع: تَظاهر، والأخوان كذلك إلا أنهما خففا الظاء، والباقون: (تَظهرون) بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء والهاء دون ألف. انظر «الدر المصون» (٩/ ٩٣).

(٢) انظر «البدور الزاهرة» (ص٣٥١).

أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ ....

جَمع (دَعِيٍّ) وهو مَن يَدَّعِي لِغَيرِ أبيهِ ابناً له، ﴿أَبْنَآءَكُمْۚ﴾ حَقيقةً، ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ﴾ أي: اليَهُود والمُنافِقِينَ قالُوا لمَّا تَزوَّج النَّبيُّ ﷺ زَينَب بِنتَ جَحش التي كانَت امرأةَ زيدِ بن حارِثةَ الذِي تَبَنَّاهُ النَّبيُّ ﷺ قالُوا: تَزوَّج مُحمَّد امرأةَ ابنِه، فأكذَبَهُم الله تَعالى في ذلكَ، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ في ذلك، ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾: سَبِيلَ الحَقِّ.

﴿٥﴾ لكنِ ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ﴾: أعدَلُ ﴿عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ﴾: بَنُو عَمِّكُم، ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ في ذلك، ......

حاشية الصاوي

زينب، فلما طلَّقها زيد.. تزوَّجها رسول الله ﷺ، فتكلَّم المنافقون وقالوا: تزوَّج محمد حليلةَ ابنه وهو يحرِّمها، فنزلت هذه الآية ردًّا عليهم، وستأتي هذه القِصة في أثناء السورة(١).

قوله: (جمع دَعِيٍّ) أي: بمعنى مَدعوٍّ، وأصله: (دَعِيوٌ)، اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياءً وأُدغمت في الياء.

قوله: (أي: اليهود) تفسير للكاف في ﴿بِأَفْوَٰهِكُمْۖ﴾.

قوله: (﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾) رُوي: أنَّ عمر بن الخطاب قال: ما كنَّا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزلت ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾(٢).

قوله: (﴿هُوَ أَقْسَطُ﴾) أي: دعاؤهم لآبائهم أبلغ في العدل والصدق.

قوله: (﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾) أي: فادْعُوهم بمادة الأُخوة؛ بأن تقولوا: يا أخي مثلاً.

قوله: (بنو عمكم) تفسير للموالي؛ فإنه يُطلق على معان، من جملتها: ابن العم، والمعنى: إذا لم تعرفوا نسب شخص وأردتم خطابه.. فقولوا له: يا ابنَ عمي مثلاً.

قوله: (﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾) أي: إثم.

---

(١) روى الخبر بتمامه ابنُ سعد في «الطبقات» (٣/ ٣١)، وتزويجه ﷺ وقول المنافقين فيه رواه الترمذي (٣٢٠٧) من حديث سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري (٤٧٨٢)، ومسلم (٢٤٢٥) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ....﴾

﴿وَلَٰكِن﴾ في ﴿مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ فِيه وهو بعدَ النَّهي، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لِما كانَ مِن قَولِكُم قبلَ النَّهي، ﴿رَّحِيمًا﴾ بِكُم في ذلكَ.

٦ ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فِيما دَعاهُم إلَيهِ ودَعَتْهُم أنفُسُهم إلى خِلافِه، ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ في حُرمةِ نِكاحِهِنَّ علَيهِم، ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ﴾: ذَوُو القَراباتِ ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الإرثِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ﴾) أي: ولكن الجناح فيما تعمَّدته قلوبكم.

قوله: (﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾) أي: إنه ﷺ أحقُّ بكلِّ مؤمن من نَفسه، كان في زمنه أو لا، فطاعة النبيِّ مقدَّمة على طاعة النفس في كلِّ شيءٍ من أمور الدين والدنيا؛ لأنها طاعةٌ لله، قال تعالى: ﴿فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وإذا كان أَولى بهم من أنفسهم.. فهو أولى بمالهم وأولادهم وأزواجهم من أنفسهم بالأولى، فحقُّه ﷺ على أمَّته أعظمُ من حقِّ السَّيِّد على عبده، وهذه الآية أعظم دليل على أنه ﷺ هو الواسطة العظمى في كلِّ نِعمة وصلت للخلق.

قوله: (فيما دعاهم إليه) أي: من أمور الدين أو الدنيا أو الآخرة، فإذا طلب النبيُّ شيئاً من أمر الدنيا أو الدين وطَلبت النفس خلافه.. فالحقُّ في الطاعة للنبيِّ، وحينئذٍ: فلا يتأتى من النبي الغصب ولا السرقة، ولكن من كمال أخلاقه أنه كان يَتداين من اليهود، ويشتري الشيء بالثمن.

وإنما جعله الله أولى بالمؤمنين؛ لأنه ﷺ لا يفعل شيئاً عن هوى نفسه بل عن وحي، فجميع أفعاله وأقواله عن ربِّه.

قوله: (﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾) أي: مَنْ عقد عليهنَّ، سواء دخل بهنَّ أو لا، مات عنهنَّ أو طلَّقهنَّ، وسَراريه اللاتي تمتَّع بهنَّ كذلك.

قوله: (في حرمة نكاحهنَّ عليهم) أي: والتعظيم والاحترام والبرِّ، لا في غير ذلك من النظر والخلوة؛ فإنهنَّ في ذلك كالأجانب.

قوله: (﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ﴾) مبتدأ، و﴿بَعْضُهُمْ﴾: بدل، أو مبتدأ ثان، و﴿أَوْلَىٰ﴾: خبر.

قوله: (في الإرث) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف، والتقدير: الأقارب أولى بإرث بعضهم من أن يَرثهم المؤمنون والمهاجرون الأجانب.

فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ ....

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ أي: مِن الإرث بِالإيمانِ والهِجرةِ الذِي كان أوَّلَ الإسلام فنُسِخَ، ﴿إِلَّآ﴾: لَكِنْ ﴿أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ﴾ بِوَصِيَّةٍ فجائِز، ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي: نَسخُ الإرثِ بِالإيمانِ والهِجرة بِإرثِ ذَوِي الأرحامِ ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾، وأُرِيدَ بِالكِتابِ في المَوضِعَين اللَّوحُ المَحفُوظ.

﴿٧﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ حينَ أُخرِجُوا مِن صُلبِ آدمَ كالذَّرِّ جَمع (ذَرَّةٍ) وهي أصغَرُ النَّملِ، ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ﴾ بِأن يَعبُدُوا الله

حاشية الصاوي

قوله: (أي: من الإرث بالإيمان والهجرة) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ متعلّق بـ﴿أَوْلَىٰ﴾ يعني: أن الأقارب أولى بإرث بعضهم من الإرث بسبب الإيمان والهجرة الذي كان في صدر الإسلام، وذلك أنَّ النبي ﷺ كان يؤاخي بين الرجلين، فإذا مات أحدهما.. ورثه الآخر دُون عصبته، حتى نزلت: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾[1].

قوله: (﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ﴾) استثناءٌ منقطعٌ؛ ولذا فسَّره بـ(لكن).

قوله: (﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم﴾) أي: مَنْ تُوالونه من الأجانب.

قوله: (بوصية) أي: فلمَّا نُسِخَ الإرث بالإيمان والهجرة.. توصل إلى نفع الأجانب بالوصيَّة، وهي خارجة من ثُلث المال.

قوله: (﴿مَسْطُورًا﴾) أي: مكتوباً.

قوله: (﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾) ظرف لمحذوف، قدَّره بقوله: (اذكر).

قوله: (وهي أصغر النمل) أي: فكلُّ أربعين منها أصغَر من جناح بعوضة.

قوله: (بأن يعبدوا الله) أي: يُوحِّدوه، وهو تفسيرٌ للميثاق.

(١) أورده ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٢٢٩) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ....

ويَدعُوا إلى عِبادَته، وذِكرُ الخَمسة مِن عَطف الخاصِّ على العامِّ، ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾: شَدِيداً بِالوَفاءِ بِما حُمِّلُوهُ وهو اليَمِينُ بِالله تَعالى. ثُمَّ أَخذُ المِيثاق.

﴿٨﴾ ﴿لِّيَسْـَٔلَ﴾ اللهُ ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ في تَبلِيغ الرِّسالة تَبكِيتاً لِلكافِرِين بِهِم، ﴿وَأَعَدَّ﴾ تَعالى ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ بِهِم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلِماً، ـ هو عَطفٌ على (أَخذنا) ـ.

﴿٩﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (ويدعوا إلى عبادته) أي: يُبلِّغوا شرائعه للخلق، فعهد الأنبياء ليس كعهد مطلق الخلق.

قوله: (من عطف الخاص على العام) أي: والنكتة كونُهم أولي عزم، ومشاهير الرسل، وقدَّمه ﷺ؛ لمزيد شَرفه وتعظيمه.

قوله: (بما حملوه) أي: وهو عبادة الله والدعاء لها.

قوله: (وهو اليمين) أي: الحلف بالله أن يَعبدوا الله ويدعو إلى عبادته، فالميثاق الثاني غير الأول؛ لأنَّ الأول إيصاء على التوحيد والدعوى إليه من غير يمين، والثاني مغلَّظ باليمين، والشيءُ مع غيره غيرُهُ في نفسه[1].

قوله: (﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾) متعلق بـ(أخذنا)، وفي الكلام التفاتٌ من التكلُّم للغيبة كما أشار له المفسِّر بقوله: (ثم أخذ الميثاق). والمراد بـ(الصادقين): الرسلُ.

قوله: (تبكيتاً للكافرين) أي: تقبيحاً عليهم، فالحكمة في سؤال الرسل عن صِدقهم وهو تبليغهم ما أمروا به مع علمه تعالى أنهم صادقون: التقبيحُ على الكفار يوم القيامة.

قوله: (هو عطف على «أخذنا») ويصح أن يكون في الكلام احتِباك، وهو الحذف من الثاني نظير ما أثبت في الأول، والتقدير: ليسأل الصادقين عن صدقهم فأعدَّ لهم نعيماً مقيماً، ويسأل الكافرين عمَّا أجابوا به رُسلَهم وأعدَّ لهم عذاباً أليماً.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾) هذا شُروعٌ في ذكر قصة غزوة الأحزاب،

---

(١) في «الكشاف» (٣/ ٥٣٣): (فإن قلتَ: فماذا أراد بالميثاق الغليظ؟ قلتُ: أراد به ذلك الميثاق بعينه. ومعناه: وأخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقاً غليظاً).

. . . .

حاشية الصاوي

وكانت في شوال سنة أربع، وقيل: خمس، وسببُها: أنه لما وقع إجلاء بني النضير من أماكنهم. . سار منهم جمعٌ من أكابرهم منهم حُيي بن أخطب وكنانة بن الربيع وأبو عمار الوائلي في نَفر من بني النضير إلى أن قَدموا مكة على قريش، فحرَّضوهم على حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقال أبو سفيان: مرحباً وأهلاً، وأحبُّ الناس إلينا مَن أعاننا على عداوة محمد، ثم قالت قريش لأولئك: يا مَعشر اليهود؛ إنكم أهل الكتاب الأول، فأخبرونا أنحن على الحق أم محمَّد؟ فقالوا: بل أنتُم على الحق، فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥١-٥٥].

فلمَّا قالُوا ذلك لقريش. . سرَّهم ونَشطوا لحرب محمد، ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤوا غطفان وقيس وغيلان، فاجتَمعوا على ذلك، وخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدُهم عيينة بن حصن، ولما تهيَّأ الكل للخروج. . أتى ركبٌ من خُزاعة في أربع ليال حتى أخبروا محمداً بما اجتمعوا عليه، فشرع في حَفر الخندق بإشارة من سلمان الفارسي؛ فقال له: يا رسول الله؛ إنا كنا بفارس إذا حاصَرونا. . خندقنا علينا، فعمل فيه النبي والمسلمون حتى أحكَموه، وكان النبي يقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً، ومكثوا في حَفره ستة أيام، وقيل: خمسة عشر يوماً، وقيل: أربعة وعشرين، وقيل: شهراً.

قال عمرو بن عوف: كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرِّن المزني وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً، فحفَرنا وإذا ببطن الخندق صخرةٌ كَسَرَتْ حديدَنا، وشقَّت علينا، فقُلنا: يا سلمان؛ ارْقَ إلى رسول الله ﷺ وأخبره بخبر هذه الصخرة، فأتى سلمانُ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله؛ خرجت لنا صخرةٌ بيضاءُ مَروةٌ من بطن الخندق، فكسرت حَديدنا، وشقَّت علينا، فمُرنا فيها بأمرك؛ فإنَّا لا نحبُّ أن نجاوز خطَّك، فهبط رسول الله ﷺ مع سَلمان إلى الخندق، وأخذ المعولَ من سلمان، وضربها به ضربة صَدعها، وبرق منها برقٌ أضاء ما بين لابتَيها ـ يعني: المدينة ـ حتى كأنَّ مصباحاً في جوف بيتٍ مظلمٍ، فكبَّر رسول الله ﷺ، وكبَّر المسلمون، ثم ضرَبها الثانية، فبرق منها برقٌ مثلُ الأول، فكبَّر رسول الله ﷺ، وكبَّر المسلمون معه، ثم ضربها الثالثة فكسرها، فبرق منها برقٌ مثلُ الأول، وأخذ بيدِ سلمان ورَقِيَ، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله؛ لقد رأيتُ شيئاً ما رأيت مثلَه قط، فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم وقال: «**أرأيتم ما يقولُ سلمان؟**» قالوا: نعم، قال: «**ضرَبت ضربتي الأولى، فبرق البرق الذي رأيتُم، فأضاء لي منها قُصور الحيرة**

. . . .

حاشية الصاوي

ومدائن كسرى، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل أنَّ أمتي ظاهرة عليها، ثم ضرَبت الثانية، فبرق لي الذي رأيتُم أضاءت لي منها قصور قيصر من أرض الروم، كأنها أنياب الكلاب، فأخبَرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الثالثة، فبَرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور صنعاء، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل أنَّ أُمتي ظاهرة عليها، فأبشِروا»[1]، فاستبشَر المسلمون وقالوا: الحمد لله، مَوعد صدق، وعدنا النصر بعد الحصر.

فقال المنافقون: ألا تَعجبون؟ يمنِّيكم ويَعدكم الباطل ويخبر أنه ينظر من يثربَ قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تُفتح لكم وأنتم إنما تحفرُون الخندق من الفَرَقِ، لا تستطيعون أن تَبرزوا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ. . .﴾ [آل عمران: ٢٦] الآية.

فلمَّا فرغوا من حَفره. . أقبلت قريش والقبائل، وجملتهم اثنا عشر ألفاً، فنزلوا حول المدينة، والخندق بينهم وبين المسلمين، فلمَّا رأته قريش. . قالوا: هذه مَكيدة لم تكن العرب تَعرفها، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون معه حتى جعلوا ظُهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكرَه، والخندق بينهم وبين القوم.

وخرج عدوُّ الله حُيي بن أخطب رئيس بني النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظي سيِّد بني قريظة، فلما سمع كعب حييًّا. . أغلَق دونه حصنه، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له وقال له: ويحك يا حيي، إنك امرؤ مَشؤوم، إني عاهدت محمداً، فلست بناقضٍ؛ فإني لم أرَ منه إلا وفاءً وصدقاً، فما زال حييٌّ به ويقول له: جئتُك بعزِّ الدهر حتى فتح له ونقَض عهد رسول الله، فلمَّا انتهى الخبر إلى رسول الله. . بعث لهم سَعد بن معاذ سيِّد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج، وعبد الله بن رواحة، فوجدُوهم نقضوا عهد رسول الله ﷺ، فشاتموهم وقالُوا لهم: لا عقد بيننا وبينكم، ورجعوا أخبروا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، أبشِروا يا معشر المسلمين، فشرعوا يترامون مع المسلمين بالنَّبل، ومكثوا في ذلك الحصار خمسة عشر يوماً، وقيل: أربعة وعشرين يوماً، فاشتدَّ على المسلمين الخوف.

---

(١) رواه بنحوه النسائي في «المجتبى» (٦/ ٤٣) عن أبي سكينة رجل من المحررين عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

. . . .

حاشية الصاوي

ثمَّ إنَّ نعيماً ابن مسعود الأشجعي من غَطفان جاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: إني أسلمتُ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمُرني بما شئت، فقال له رسول الله ﷺ: «خَذِّل عنا إن استطعت؛ فإنَّ الحرب خَدْعةٌ»، فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة، وكان نديماً لهم في الجاهلية، فقال لهم: قد عرفتُم ودِّي إياكم، وخاصَّة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقتَ، لست عندنا بمتَّهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان جاؤوا لحرب محمد، وقد ظاهرتُموهم عليه، وإن قريشاً وغطفان ليسوا كهيئتكم، البلد بلدُكم، به أموالكم وأولادكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تتحوَّلوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم بغيره، وإن رأوا نهزة وغنيمةً.. أصابوا[1]، وإن كان غير ذلك.. لحقوا بِبلادهم، وخلَّوْا بينكم وبين هذا الرجل، ولا طاقة لكم عليه إن خلَا بكم، فلا تُقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا رُهُناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقةً لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً؛ لا يتأخروا، قالوا: أشرتَ برأيٍ ونصحٍ.

ثمَّ خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومَن معه: قد عرفتم ودِّي إيَّاكم وفراقي محمداً، فقد بلغني أمور رأيتُ حقًّا عليَّ أن أبلِّغكم نصحاً لكم، فاكتموا عليَّ، قالوا: نفعَل، قال: تعلمون أنَّ معشر اليهود قد نَدموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه أن قد نَدمنا على ما فعلنا، فهل يُرضيك عنَّا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنُعطيكهم، فتضربَ أعناقهم، ثم نكون معك على مَن بقي منهم، فأرسل إليهم أن: نَعم، فإن بعثَت إليكم يهود يلتمسون رهناً من رجالكم.. فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان، أنتم أهلِي وعشيرتي وأحبُّ الناس إليَّ، ولا أراكم تتهموني، قالوا: صدقتَ، قال: فاكتموا عليَّ، قالوا: نفعَل، فقال لهم مثل ما قال لقريش، وحذَّرهم مثل ما حذرهم.

فلمَّا كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان مما صنع الله لرسوله ﷺ أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى بني قريظة، فقالوا لهم: إنا لَسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر، فاغدُوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بَيننا وبينه، فأرسلوا إليهم أن اليوم السبت، وهو يوم لا نعمل شيئاً فيه، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً، فأصابهم ما لم يخْفَ عليكم، ولسنا مع الذي نقاتل

---

(١) النهزة: الفرصة.

. . . .

حاشية الصاوي

معكم حتى تُعطونا رهناً من رجالكم، يكون بأيدِينا ثقةً لنا حتى نناجز معكم محمداً، فإنا نخشى إن ضرَمتكم الحرب واشتدَّ عليكم القتال أن تسيروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بِلادنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد، فلمَّا رجعت إليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة.. قالت قريش وغطفان: تعلمُنَّ والله إن الذي حدَّثكم به نعيم بن مسعود لحقٌّ؛ فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله لا نَدفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تُريدون القتال.. فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسلُ بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحقٌّ، ما يُريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن وجدوا فرصة.. انتهزوها، وإن كان غير ذلك.. انتهَزوا إلى بلادهم وخلَّوا بينكم وبين الرجل في بلادكم، فأرسَلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم حتى تُعطُونا رهناً، فأبَوا عليهم، وخذَّل الله عزَّ وجلَّ بينهم.[1]

وبعث الله عليهم ريحاً عاصفاً، وهي ريح الصبا في ليلةٍ شديدة البرد والظلمة، فقَلعت بيوتهم، وقطَّعت أطنابهم، وكفَأت قدورهم، وصارت تُلقي الرجل على الأرض، وأرسل الله الملائكة، فزلزلتهم ولم تقاتل، بل نفَثت في قلوبهم الرعب.

ثمَّ إن رسول الله ﷺ قال: «**مَن يقوم فيذهب إلى هؤلاء القوم، فيَأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة؟**» فما قام منَّا رجل، ثم صلى رسول الله ﷺ هويًّا من الليل[2]، ثم التفت إلينا فقال مِثله، فسكت القوم، وما قام مِنا أحدٌ، ثم صلى هويًّا من الليل، ثم التفت إلينا فقال مثله، فسَكت القوم، وما قام منا أحدٌ من شِدة الخوف والجوع والبرد، ثم قال: «**يا حُذيفة**»، فقلت: لبَّيك يا رسول الله، وقمتُ حتى أتيته، فأخذ بيدي ومَسح رأسي ووجهي ثم قال: «**ائتِ هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم، ولا تُحْدِثَنَّ شيئاً حتى ترجعَ إليَّ**»، ثم قال: «**اللهم؛ احفَظه من بين يدَيه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومِن تحته**»، فأخذت سهمي، ثم انطَلقت أمشي نحوهم، كأنما أمشي في حمَّام، فذهبت فدخلت في القوم، وقد أرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً، وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقرُّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً، وأبو سفيان قاعد يصطَلي، فأخذت سهماً فوضعته

---

(١) خبر سيدنا نعيم بن مسعود رضي الله عنه رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٤٠٤-٤٠٦).

(٢) في (أ): (هوناً من الليل)، والمثبت من (ط٢)، والهويُّ بالفتح: الحين الطويل من الزمان، وقيل: هو مُختص بالليل. انظر «النهاية» لابن الأثير (٥/ ٢٨٥).

إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ ....

﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ مِن الكُفَّار مُتَحزِّبُون أيَّام حَفرِ الخَندَق، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ مِن المَلائكةِ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ـ بالتَّاء ـ مِن حَفرِ الخَندَق، ـ وبالياءِ ـ . .

حاشية الصاوي

في كبد قوسي، فأردتُ أن أرميه، ولو رميتُه لأصبته، فذكرت قول رسول الله ﷺ: «لا تحدثنَّ حدثاً حتى ترجع»، فرددتُ سهمي في كنانتي، فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم؛ لا تقرُّ لهم قدوراً ولا ناراً ولا بناء.. قام فقال: يا معشر قريش؛ ليأخذ كلٌّ منكم بيد جلِيسه، فليَنظر من هو؟ فأخذت بيد جليسي فقلتُ: مَن أنت؟ فقال: سبحان الله، أما تَعرفني؟ أنا فلان بن فلان رجل من هوازن، فقال أبو سفيان: يا معشرَ قريش؛ إنكم والله ما أصبحتم بدار مُقام، فقد هلك الكراع والخفُّ وأخلفتنا بنو قريظة، وبلَغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترَون، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو مَعقول، فجلس عليه، ثم ضربه، فوثب على ثلاث، فما أطلق عِقاله إلا وهو قائم. وسمعت غطفان بما فعَلت قريش، فاستمرُّوا راجعين إلى بلادهم.

قال: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ كأني أمشي في حمَّام، فأتيته وهو قائم يصلي، فلمَّا سلَّم.. أخبرتُه، فضحك حتى بدَت أنيابه في سواد الليل، فلمَّا أخبرته وفرغت.. قُرِرْتُ[١] وذهب عني الدِّفء، فأتاني النبي ﷺ، فأنامني عند رجلَيه، وألقى عليَّ طرف ثوبه، وألصق صَدري ببطن قدميه، فلم أزل نائماً حتى أصبحت، قال: «قُم يا نَومان»[٢].

قوله: (﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ﴾) بدل من ﴿نِعْمَةَ﴾، والعامل ﴿ٱذْكُرُواْ﴾.

قوله: (متحزبون) أي: مجتمعون، وتقدَّم أنهم كانوا اثني عشر ألفاً، وكان المسلمون إذ ذاك ثلاثة آلاف، والمنافقون من جُملتهم.

قوله: (﴿رِيحًا﴾) أي: وهي الصبا التي تهبُّ من المشرق ولم تتجاوزهم.

قوله: (ملائكة) أي: وكانوا ألفاً ولم يُقاتلوا، وإنما ألقَوا الرُّعب في قلوبهم.

قوله: (وبالياء) فهما قراءتان سبعيَّتان[٣].

---

(١) القرُّ بضم القاف: البرد.

(٢) خبر سيدنا حذيفة بن اليمان رواه بنحوه مسلم (١٧٨٨)، وانظر خبر الغزوة كاملاً عند البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٣٨٩)، والواقِدي في «مغازيه» (٢/ ٤٤١).

(٣) قرأ أبو عمرو بياء الغيبة، والباقون بتاء الخطاب. انظر «الدر المصون» (٩/ ٩١).

بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ....

مِن تَحزيب المُشرِكِينَ ﴿بَصِيرًا﴾.

﴿١٠﴾ ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ مِن أعلَى الوادِي وأسفَلِه مِن المَشرِق والمَغرِب، ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾: مالَت عن كُلِّ شَيء إلى عَدُوِّها مِن كُلِّ جانِب، ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾: جَمع (حَنجرةٍ)، وهي مُنتَهى الحُلقُوم مِن شِدَّة الخَوف، ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ المُختَلِفةَ بِالنَّصرِ واليَأس.

﴿١١﴾ ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: اختُبِرُوا لِيَتبيَّنَ المُخلِصُ مِن غَيرِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِذْ جَآءُوكُم﴾) بدل من ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ﴾.

قوله: (من أعلى الوادي) أي: وهم أسد وغطفان.

قوله: (وأسفله) أي: وهم قريش وكنانة.

قوله: (من المشرق والمغرب) لفٌّ ونشرٌ مرتَّبٌ.

قوله: (من كل جانب) أي: المحيط من كلِّ جانب.

قوله: (وهي منتهى الحلقوم) أي: من أسفله.

قوله: (﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾) بألف بعد النون وصلاً ووقفاً، وبدونها في الحالين، وبإثباتها وقفاً وحذفها وصلاً، ثلاث قراءات سبعيَّات، وتجري في قوله أيضاً: ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾، و﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾ في آخِر السورة[1].

قوله: (بالنصر) أي: من المؤمنين، وقوله (واليأس) أي: من المنافقين وبعض الضعفاء.

قوله: (﴿هُنَالِكَ﴾) ظرف مكان؛ أي: في ذلك المكان، وهو الخَندق.

---

(١) قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بإثبات ألف بعد نون (الظنونا)، ولام (الرسول) في قوله: ﴿وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾، ولام (السبيل) في قوله: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ وصلاً ووقفاً موافقة للرسم؛ لأنهن رُسِمن في المصحف كذلك، وقرأ أبو عمرو وحمزة بحذفها في الحالين؛ لأنها لا أصل لها، والباقون بإثباتها وقفاً وحذفها وصلاً. انظر «الدر المصون» (٩/ ٩٨).

﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ ....

﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾: حُرِّكُوا ﴿زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ مِن شِدَّة الفزَع.

﴿١٢﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: ضَعفُ اعتِقادٍ: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ بِالنَّصرِ ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾: باطِلاً.

﴿١٣﴾ ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: المُنافِقِين ﴿يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾ هي أرضُ المَدِينة، ولَم تُصرَف لِلعَلَمِيَّةِ ووَزنِ الفِعل، ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ ـ بِضَمِّ المِيم وفَتحِها ـ أي: لا إقامَةَ ولا مَكانَةَ، ﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ إلى مَنازِلِكُم مِن المَدِينة، وكانُوا خَرَجُوا مَعَ النَّبيِّ ﷺ إلى سَلْعٍ جَبَلٍ خارِجَ المَدِينةِ لِلقِتالِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿زِلْزَالًا﴾) بكسر الزاي في قراءة العامَّة، وقرئ شذوذاً بفتح الزاي، وهما لغتان في مصدر الفعل المضعَّف إذا جاء على (فعلال) ك: صلصال، وقلقال[1].

قوله: (﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ﴾ ... إلخ) القائل معتب بن بشير، وقال أيضاً: يَعدنا محمَّد بفتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرَّز خوفاً وفرقاً، ما هذا إلا وعد غُرور.

قوله: (﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾) القائل هو أوس بن قيظيٍّ ـ بكسر الظاء المعجمة ـ من رؤساء المنافقين.

قوله: (هي أرض المدينة) أي: فسمِّيت باسم رجل من العَمالقة، كان نزلها قديماً، وقد نهى النبي ﷺ عن تسميتها بذلك، وسمَّاها: طيبة، وطابة، وقبَّة الإسلام، ودار الهجرة.

قوله: (ووزن الفعل) أي: فهي على وزن (يَضرب).

قوله: (بضم الميم وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (ولا مكانة) أي: تمكُّناً، فهو بمعنى: الإقامة.

قوله: (جبل خارج المدينة) أي: بينها وبين الخندق، فجعل المسلمون ظُهورهم إليه، ووجوههم للعدو.

---

(١) وبها قرأ عيسى والجحدري، وقد يُراد بالمفتوح اسم الفاعل نحو: صلصال بمعنى: مُصلصل، وزلزال بمعنى: مُزلزل. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٠٠).

(٢) قرأ حفص بضم الميم، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٠٠).

وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ ....

﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ في الرُّجُوع، ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾: غيرُ حَصِينةٍ يُخشى علَيها، قال تَعالى: ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن﴾: ما ﴿يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ مِن القِتال.

﴿١٤﴾ ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ﴾ أي: المَدِينة ﴿عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾: نَواحِيها ﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟﴾ أي: سَأَلَهم الدَّاخِلُونَ ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾: الشِّركَ ﴿لَـَٔاتَوْهَا﴾ ـ بِالمَدِّ والقَصرِ ـ أي: أعطَوها وفَعَلُوها، ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾.

(﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾) ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ﴾) عطف على ﴿قَالَت طَّآئِفَةٌ﴾، وعبَّر بالمضارع؛ استحضاراً للصورة.

قوله: (يخشى عليها) أي: من السرَّاق؛ لكونها قصيرة البناء.

قوله: (قال تعالى) أي: تكذيباً لهم.

قوله: (﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾) أي: دخَلها الأحزاب.

قوله: (الشرك) أي: ومقاتلة المسلمين.

قوله: (بالمد والقصر) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (أي: أعطوها وفعلوها) لفٌّ ونشرٌ.

قوله: (﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾) أي: ما أقاموا بالمدينة بعد نَقض العهد وإظهار الكفر وقتال المسلمين إلا زمناً قليلاً ويهلكون، فالعزَّة لله ورسوله والمسلمين، فالمعنى: لو دخل الكفار المدينة وارتدَّ هؤلاء المنافقون وقاتلوكم مع الكفار.. لأخذ الله بأيديكم سريعاً بقطع دابِرهم؛ فلا تخشوا منهم داخل المدينة أو خارجها.

قوله: (﴿مِن قَبْلُ﴾) أي: قبل غزوة الخندق.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير بالقصر بمعنى: لجؤوها وغَشيوها، والباقون بالمد بمعنى: لأعطوها، ومفعوله الثاني محذوف تقديره: لآتوها السائلين. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٠٢).

لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ ....

لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ عن الوفاءِ به، ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا﴾ إن فررتُم ﴿لَّا تُمَتَّعُونَ﴾ في الدُّنيا بعدَ فِرارِكُم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ بَقِيَّة آجالِكُم.

﴿١٧﴾ ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم﴾: يُجيرُكُم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾: هَلاكاً وهَزِيمةً، ﴿أَوْ﴾ يُصيبكُم بِسُوءٍ إنْ ﴿أَرَادَ﴾ الله ﴿بِكُمْ رَحْمَةً﴾: خَيراً، ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيًّا﴾ يَنفعُهُم، ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يَدفعُ الضُّرَّ عنهُم.

﴿١٨﴾ ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾: المُثَبِّطين ﴿مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾) أي: بل يَثبتون على القتال حتى يموتوا شهداء.

قوله: (﴿مَسْـُٔولًا﴾ عن الوفاء) أي: مسؤولاً صاحبُهُ؛ هل وفى به أم لا؟

قوله: (﴿إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾) أي: لأنه مُصيبكم لا محالة.

قوله: (﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾) أي: وإن نفعكم الفرار وتمتَّعتم بالتأخير لم يكن ذلك التَّمتُّع إلا زمناً قليلاً.

قوله: (﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾) قدَّر له المفسِّر عاملاً يناسبه، وهو قوله: (أو يصيبكم بسوء)؛ لأنه لا يصلح لتسلُّط العامل السابق وهو ﴿يَعْصِمُكُم﴾، على حدِّ[1]: [الرجز]

عـلـفـتُـهـا تِـبْـنـاً ومـاءً بـارداً

قوله: (المُثبطين) أي: المكسِّلين غيرَهم عن القتال في سبيل الله، وهم المنافقون.

قوله: (﴿وَٱلْقَآئِلِينَ﴾) عطف على ﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾، وقوله: (﴿لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾) أي: في الكفر والعداوة لرسول الله ﷺ، والمراد بالقائلين: اليَهود من بني قريظة.

---

(١) تقدم البيت والكلامُ عليه أكثرَ من مرَّة.

هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم ....

هَلُمَّ﴾: تعالَوا ﴿إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾: القِتالَ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رِياءً وسُمعةً.

﴿١٩﴾ ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بالمُعاوَنةِ جمع (شَحِيح) ـ وهو حالٌ مِن ضَمِير ﴿يَأْتُونَ﴾ ـ، ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى﴾ كنَظَرِ أو كدَوَرانِ الذي ﴿يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: سَكَراتِه، ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾ وحِيزَت الغنائمُ ﴿سَلَقُوكُم﴾: آذَوكُم

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾) اسم فعل، ويلزم صفةً واحدةً للواحد والمثنى والجمع، والمذكر والمؤنث، وهذه لغة أهل الحجاز، وعند تميم هو: فِعل أمر تلحقه العلامات الدَّالَّة على التَّثنية والجمع والتأنيث، ومقتضى عبارة المفسِّر أنه لازم؛ حيث فسَّره بـ(تعالوا)، ويصح جعله متعدِّياً بمعنى: قرِّبوا، ومفعوله محذوف، والتقدير: أنفسَكم إلينا.

قوله: (رياءً وسمعةً) أي: لأنَّ شأن من يكسِّل غيره عن الحرب لا يَفعله إلا قليلاً لغرض خبيث.

قوله: (﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾) أي: مانِعين للخير عنكم.

قوله: (جمع «شحيح») هذا هو المسموع فيه، وقياسه: (أفعِلاء) كـ: خليل وأخلاء. والشُّحُّ: البخل.

قوله: (﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾... إلخ) هذا وصف لهم بالجبن؛ لأنَّ شأن الجبان الخائف ينظر يميناً وشمالاً شاخصاً ببَصره.

قوله: (كنظر أو كدوران) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ﴾ نعتٌ لمصدر محذوف من ﴿يَنظُرُونَ﴾، أو من: ﴿تَدُورُ﴾[1].

قوله: (﴿كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾) أي: لأنه يَشخص ببصره، ويذهب عقله.

قوله: (﴿سَلَقُوكُم﴾) السلق: بسط العضو ومدُّه للقهر، كان يداً أو لساناً، ففي الآية استعارةٌ

---

(١) والتقدير: ينظرون إليك نظراً مثل نظر الذي يُغشى عليه من الموت، أو تدور دوَراناً مثل دوران عين الذي يغشى عليه. «فتوحات» (٣/ ٤٠٢)، وذكر العلامة السمين في «الدر المصون» (٩/ ١٠٦) وجهاً ثالثاً، وهو أن يكون حالاً من (أعينهم) أي: تَدور أعينهم حالَ كونها مشبهة عين الذي يغشى عليه من الموت.

بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُولَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ ....

أو ضَرَبُوكُم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ أي: الغَنِيمةِ يَطلُبُونَها، ﴿أُولَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ حَقِيقةً، ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإحباطُ ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ بإرادتِه.

﴿٢٠﴾ ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ مِن الكُفَّار ﴿لَمْ يَذْهَبُوا۟﴾ إلى مكَّة لِخَوفِهِم مِنهُم، ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ كَرَّة أُخرَى ﴿يَوَدُّوا۟﴾: يَتَمَنَّوا ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾ أي: كائِنُون في البادِية، ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾: أخبارِكُم مَع الكُفَّار، ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم﴾ هَذه الكَرَّةَ ﴿مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾ رِياءً وخَوفاً مِن التَّعيير.

حاشية الصاوي

بالكناية؛ حيث شبَّه اللسان بالسيف، وطوى ذكر المشبَّه به، ورَمز له بشيء من لوازمه وهو السلق بمعنى: الضرب، فإثباته تخييل، والحِداد ترشيح.

قوله: (﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾) أي: مانعين له، فلا نفع في أنفسهم، ولا في مالهم.

قوله: (﴿لَمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ حقيقة) أي: بقلوبهم وإن أسلموا ظاهراً.

قوله: (﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾) أي: أظهر بُطلانها.

قوله: (﴿يَحْسَبُونَ﴾) أي: المنافقون؛ لشدَّة جُبْنِهم.

قوله: (﴿ٱلْأَحْزَابُ﴾) أي: قريشاً وغطفان واليهود.

قوله: (﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾) أي: ساكنون في البادية خارج المدينة؛ ليكونوا في بعدٍ عن الأحزاب.

قوله: (﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾) يصح أن يكون حالاً من الواو في ﴿بَادُونَ﴾، أو جملةً مستأنفةً، والمعنى: يسألون كلَّ قادم من جانب المدينة عمَّا جرى بينكم وبين الكفار قائلين فيما بينَهم: إن غلب المسلمون.. قاسمناهم في الغنيمة، وإن غلَب الكفار.. فنحن معهم.

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ....

﴿٢١﴾ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ إِسْوَةٌ﴾ ـ بِكَسرِ الهَمزة وضَمِّها ـ ﴿حَسَنَةٌ﴾ اقتِداءٌ بِه في القِتال والثَّباتِ في مَواطِنه، ﴿لِّمَن﴾ ـ بَدَل مِن ﴿لَكُمْ﴾ ـ ﴿كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ﴾: يَخافُهُ ﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ بِخِلافِ مَن ليسَ كذلِك.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾) هذه الآية وما بعدها إلى قوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مِن تمام قصة الأحزاب، وفيها عتابٌ للمتخلِّفين عن القتال مع رسول الله ﷺ من المؤمنين والمنافقين.

قوله: (بكسر الهمزة وضمِّها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (اقتداءً) أشار بذلك إلى أنَّ الأسوة اسمٌ بمعنى المصدر، وهو الائتساء، يقال: ائتسى فلان بفلان؛ أي: اقتَدى به.

قوله: (في القتال) لا مفهوم له، بل الاقتداء برسول الله ﷺ واجبٌ في الأقوال والأفعال والأحوال؛ لأنه لا ينطق ولا يفعل عن هوىً، بل جميعُ أفعاله وأقواله وأحواله عن ربِّه؛ ولذا قال العارف[2]: [الوافر]

وَخصَّكَ بِالهُدى في كُلِّ أَمْرٍ ... فَلَسْتَ تَشاءُ إِلَّا ما يَشاءُ

وإنما خصَّ القتال بالذكر؛ لأنه مَعرض السَّبب.

قوله: (﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾) أي: فالمتَّصف بهذه الأوصاف ثبَتت له الأسوة الحسنة في رسول الله، وأمَّا من لم يكن متَّصفاً بتلك الأوصاف.. فليس كذلك.

قوله: (﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾) أي: بلِسانه، أو جنانه، أو ما هو أعمُّ.

---

(١) قرأ عاصم بضم الهمزة حيث وقعت هذه اللفظة، والباقون بالكسر، وهما لغتان كـ: العُدوة والعِدوة، والقُدوة والقِدوة. انظر «الدر المصون» (٩/١٠٨).

(٢) البيت من قصيدة للإمام العارف عبد الله بن محمد الشبراوي في ديوانه «منائح الألطاف بمدائح الأشراف» (ص٣٩) مَطلعها:

رسولَ الله ضاقَ بيَ الفضاءُ

وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ....

﴿٢٢﴾ ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ مِن الكُفّار ﴿قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ مِن الابتِلاء والنَّصر، ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ في الوعد، ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّآ إِيمَـٰنًا﴾: تَصديقاً بِوَعدِ الله، ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لِأمره.

﴿٢٣﴾ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ مِن الثَّبات مَع النَّبيِّ ﷺ؛ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾) أي: أبصَروهم محدقين حول المدينة.

قوله: (﴿قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ﴾) أي: بقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقوله: (﴿وَرَسُولُهُۥ﴾) أي: بقوله: «إنَّ الأحزاب سائرون إليكم بعد تسع ليال، أو عشرٍ، والعاقبة لكم عليهم».

قوله: (﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾) أي: ظهر صِدق خبر الله ورسوله في الوعد بالنصر، فاستبشروا بالنصر قبل وُصوله.

وأظهر في محل الإضمار؛ زيادةً في تعظيم اسم الله، ولأنه لو أضمر.. لجمع بين اسم الله واسم رسوله في ضمير واحد، مع أنَّ النبي ﷺ عاب على من قال: من يُطع الله ورسوله.. فقد رشد، ومَن يعصمها.. فقد غوى، فقال له: «بئس خطيب القوم أنتَ، قُل: ومَن يعص الله ورسوله»[١].

قوله: (﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ذلك) أي: الوعد، أو الصدق.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟﴾... إلخ) هم جماعة من الصحابة نذرُوا أنهم إذا أدركوا حرباً مع رسول الله ﷺ.. ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا[٢].

---

(١) رواه مسلم (٨٧٠) عن سيدنا عدي بن حاتم رضي الله عنه، وقيل: إنما ردَّ عليه؛ لأنه وقف على «يعصهما»، وعلى الأول: استشكل بعضهم قوله ﷺ: «حتى يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سِواهما»؛ فقد جمع بينهما في ضمير واحد، وأجيب: بأن النبي ﷺ أعرَف بقدر الله تعالى منا، فليس لنا أن نقولَ كما يقول. انظر «الدر المصون» (٩/ ١١٠).

(٢) روى البخاري (٢٨٠٥) عن أنس رضي الله عنه، قال: (غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله؛ غِبتُ =

فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ....

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾: ماتَ أو قُتِلَ في سَبيل الله، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ ذلك، ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ في العَهد، وهُم بِخِلافِ حال المُنافِقِين.

﴿٢٤﴾ ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾ بِأن يُمِيتَهُم على نِفاقِهِم، ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لِمَن تابَ ﴿رَّحِيمًا﴾ به.

﴿٢٥﴾ ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: الأحزابَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾) أي: وَفى نذره بموته في القتال، يقال: نحب ينحب، من باب (قتل): نذر، ومن باب (ضرب): بكى.

قوله: (﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ ذلك) أي: قضاء النَّحب بالموت في سبيل الله.

قوله: (بخلاف حال المنافقين) أي: فقد بدَّلوا وغيَّروا، فكان الواحد منهم إذا أراد القتال إنما يقاتل خوفاً على نفسه وماله، لا طمعاً في رضا الله.

قوله: (﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾) متعلق بمحذوف تقديره: خَلق المؤمنين والمنافقين، وفرق بين نيَّاتهم؛ ليجزي الله... إلخ.

قوله: (بأن يميتهم على نفاقهم) أشار بذلك إلى أنَّ مفعول (شاء) محذوف، ودفع بذلك ما يقال: إن عذابهم متحتِّم فكيف علَّق على المشيئة؟ فالتعليق بحسب عِلمنا، وأما في علم الله.. فالأمر محتَّم؛ إما بالسعادة، أو الشقاوة، وسيَظهر ذلك للعباد.

= عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين.. ليَرينَّ الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون.. قال: اللهم؛ إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابَه - وأبرأ إليك مما صنَع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم، فاستقبله سَعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة وربِّ النضر، إني أجد رِيحها من دون أُحد، قال سعد: فما استطعتُ يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف، أو طَعنة برمح، أو رمية بسهم، ووَجدناه قد قتل وقد مثَّل به المشركون، فما عرفه أحدٌ إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى أو نَظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهِه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ...﴾ إلى آخر الآية).

بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ ....

﴿بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾: مُرادَهُم مِن الظَّفَر بِالمُؤمِنِين، ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بِالرِّيحِ والمَلائكةِ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا﴾ على إيجادِ ما يُريدُه، ﴿عَزِيزًا﴾: غالِباً على أمرِه.

﴿٢٦﴾ ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: قُرَيظةَ ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾: حُصُونِهم جَمع (صِيصِيَة) ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِغَيْظِهِمْ﴾) الجملة حاليَّة[1]؛ أي: مُلتبسين بالغيظ.

قوله: (﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾) حال ثانية.

قوله: (﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾) أي: لم يَحصل بينهم اختلاطٌ في الحرب، بل إنما كان بينهم ضربٌ بالسهام والخندق بينهم.

قوله: (بالريح) أي: فكُفِئَت قدورُهُم، وقطِّعَتْ خيامُهُم.

قوله: (والملائكة) أي: بإلقاء الرعب في قلوبهم، وتقدَّم بسطُ ذلك في القصة.

قوله: (﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾... إلخ) شروعٌ في ذكر قِصة بني قريظة، وذكرت عقب الأحزاب؛ لكون بني قريظة كانوا من جملة الذين تحزَّبوا على رسول الله وأصحابه ونقضُوا عهده وحاربُوه.

قال العلماء بالسِّيَر: لما أصبح ﷺ من الليلة التي انصَرف فيها الأحزاب راجعين إلى بلادهم.. انصرف هو والمؤمنون إلى المدينة، ووضعوا السلاح، فلمَّا كان الظهر.. أتى جبريلُ وعليه عمامة إستبرق، راكباً على بغلة بيضاء، عليها قَطيفة ديباج، ورسول الله ﷺ عند زينب بنت جحش، وهي تغسل رأسه، وقد غسلت شقَّه الأيمن، فقال: يا رسول الله؛ قد وضعتَ السلاح؟ قال: «نعم»، قال جبريل: عفا الله عنك، ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة، وما رجعتُ الآن إلا من طلب القوم، فقال: إنَّ الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة، فانهض إليهم؛ فإني قد قطعتُ أوتارهم، وفتحت أبوابهم، وتركتهم في زلزال، وألقيتُ الرعب في قلوبهم، فأمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي:

(١) الأولى أن يقال: (الجارُّ والمجرور متعلقان بمحذوف حال)؛ لأنَّ الحال هنا مفرد وليس جملة.

وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ ....

وهو ما يُتَحصَّنُ بِه، ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾: الخَوفَ، ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ مِنهُم وهُم المُقاتِلةُ، ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ مِنهُم أي: الذَّرارِيَّ.

حاشية الصاوي

«أن من كان مُطيعاً فلا يُصلينَّ العصر إلا في بني قريظة»، فحاصَرهم المسلمون خمساً وعشرين ليلة حتى جهَدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أتنزلون على حكمي؟»، فأبَوا، فقال: «أتنزلون على حكم سَعد بن معاذ سيِّد الأوس؟»، فرضُوا به، فحكَّمه فيهم، فقال سعد: إنّي أحكم فيهم أن تقتلَ الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء، فقال ﷺ: «لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات»، فحبَسهم رسول الله ﷺ في دار بنت الحارث من نساء بني النجار، ثم خرج إلى سوق المدينة الذي هو سُوقها اليوم، فخندق فيه خندقاً، ثم بعث إليهم، فأتي بهم إليه، وفيهم حُيي بن أخطب رئيس بني النضير، وكعب بن أسد رأس بني قريظة، وكانوا سِت مئة أو سبع مئة، فأمر عليًّا والزبير بضرب أعناقِهم وطرحهم في ذلك الخندق، فلمَّا فرغ من قَتلهم، وانقضى شأنهم. . تُوفي سعد المذكور بالجرح الذي أصابه في وقعة الأحزاب، وحضَره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، قالت عائشة: فوالذي نفس محمد بيَده؛ إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجري، قالت: وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[1].

قوله: (وهو ما يتحصَّن به) أي: سواء كان من الحُصُون أو لا، حتى الشوكة والقَرن وباب الدار ونحو ذلك تسمَّى صِيصِيَة[2].

قوله: (﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾) بيان لما فعل بهم.

قوله: (وهم المقاتلة) أي: وكانوا سِت مئة، وقيل: سبع مئة.

قوله: (أي: الذراري) أي: وكانوا سبع مئة، وقيل: وخمسين.

---

(١) انظر خبر بني قريظة بتمامه في «سبل الهدى والرشاد» (٩/٥)، وحديث صلاة العصر ببني قُريظة رواه البخاري (٩٤٦) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وحديث تحكيم سَيدنا سعد بن معاذ رضي الله عنه فيهم رواه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيهما: «لقد حَكمت فيهم بحكم الملك»، وحديث بكاء الشيخين رضي الله عنهما عند وفاة سيدنا سعد رضي الله عنه رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ١٤٢) من مسند الصديقة عائشة رضي الله عنها.

(٢) الصيصية: شوكة الديك التي في رِجليه، وأيضاً: قرن البقر والظباء. «تاج العروس» (١٨/ ٢٧).

وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ....

﴿٢٧﴾ ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ بعدُ وهي خَيبَرُ، أُخِذَت بعدَ قُرَيظَةَ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بعد) أي: الآن، وعبَّر بالماضي؛ لتحقق الحصُول.

قوله: (وهي خيبر) أي: وغيرها من كلِّ أرض ظهر عليها المسلمون بعد ذلك إلى يوم القيامة.

قوله: (أخذت بعد قريظة) أي: بسنتَين أو ثلاث على الخلاف المتقدم في قريظة؛ هل هي في الرابعة أو الخامسة، وخيبر كانت في السابعة في أول المحرم، وهي مدينة كبيرة ذات حُصون ثمانية، وذات مزارع ونخل كثير، بينها وبين المدينة الشريفة أربع مراحل، فأقبل عليها صبيحة النهار، وفي تلك الليلة لم يَصِحْ لهم ديكٌ، ولم يتحركوا، وكان فيها عشرة آلاف مقاتِل، فنزل رسول الله ﷺ عليها، وحاصرها، وبنى هناك مسجداً صلى به طول مقامه عندها، وقطَع من نخلها أربع مئة نخلة، وسبى أهلها، وأصاب من سبيها صفية بنت حيي بن أخطب رئيس بني النضير، وكانت وقعت في سهم دِحية الكلبي، فتنازع بعض الصحابة في شأن ذلك، فأخذها رسول الله ﷺ، وأرضاه، وكانت من سِبط هارون أخي موسى، فأسلَمت، ثم أعتقها وتزوجها، وجعل عتقَها صداقها[1].

قوله: (﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾) اختَلف المفسرون في هذا التخيير؛ هل كان تفويضاً في الطلاق لهنَّ فيَقع بنفس الاختيار أم لا؟ فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العِلم إلى أنه لم يكن تفويضاً في الطلاق، وإنما خيَّرهنَّ على أنهنَّ إن اخترن الدنيا.. فارَقهنَّ؛ لقوله تعالى: ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾.

وذهب قوم: إلى أنه كان تفويضاً، وأنهنَّ لو اخترن الدنيا.. لكان طلاقاً؛ فلا يحتاج لإنشاء صِيغة من رسول الله ﷺ.

---

(١) روى البخاري (٤٢٠٠) عن أنس رضي الله عنه، قال: صلى النبي ﷺ الصبح قريباً من خيبر بغلس، ثم قال: «الله أكبر، خَرِبت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صَباح المنذرين»، فخرجوا يَسعَون في السكك، فقتل النبي ﷺ المقاتلة، وسبى الذرية، وكان في السبي صَفية، فصارت إلى دِحية الكلبي، ثم صارت إلى النبي ﷺ، فجعل عتقَها صداقها.

إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ....

وهُنَّ تِسعٌ ـ وطَلَبنَ مِنهُ مِن زِينة الدُّنيا ما ليسَ عِندَه ـ: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ....

حاشية الصاوي

قوله: (وهنَّ تسعٌ) أي: وهنَّ اللاتي مات عنهنَّ، وقد جمعهنَّ بعض العلماء بقوله[1]: [الطويل]

تُوُفِّيْ رسولُ اللهِ عن تِسعِ نِسْوةٍ ... إليهِنَّ تُعْزَى المكْرُماتُ وتُنْسَبُ

فعائشةٌ مَيمونةٌ وصَفيَّةٌ ... وحَفصةُ تَتْلوهُنَّ هندٌ وزَينبُ

جُوَيريَّةٌ معْ رَملةٍ ثمَّ سَوْدةٌ ... ثلاثٌ وستٌّ نَظمُهُنَّ مهذَّبُ

فعائشة هي: بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، ومَيمونة بنت الحارث الهلاليَّة، وصفية بنت حُيي بن أخطب من بني النضير، وهِند هي: أُم سلمة بنت أبي أُمية، وزينب بنت جَحش، وجُويرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية، ورَملة هي: أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حَرب، وسَودة هي: بنت زَمعة.

قوله: (﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾) أي: التَّنعُّمَ فيها.

قوله: (﴿وَزِينَتَهَا﴾) أي: زخارفَها.

روي: (أن أبا بكر جاء ليستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوساً بِبابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم جاء عمر فاستأذن، فأذن له فدخل، فوجد النبي ﷺ جالساً واجماً ساكتاً، وحوله نساؤه، قال عمر: فقلتُ: والله لأقولنَّ شيئاً أضحك به النبي ﷺ، فقلتُ: يا رسول الله؛ لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة، فقمتُ إليها فوجأت عُنقها، فضحك النبي ﷺ وقال: «هنَّ حولي كما ترى يَسألنني النفقة»، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عُنقها، وقام عمرُ إلى حفصة يجأ عُنقها، كلاهما يقول: تَسألْنَ رسول الله ما ليس عنده؟ فقُلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ما ليس عنده، ثم اعتَزلهنَّ شهراً، ثم نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ حتى بلغ ﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

قال: فبدأ بعائشة فقال: «**يا عائشة؛ إني أريد أن أَعرض عليك أمراً أُحِبُّ ألَّا تعجلي فيه حتى تَستشيري أبوَيك**»، قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية، قالت: أَفِيك يا رسول الله

(١) نسَبها الإمام القسطلاني في «المواهب اللدنية» (١/ ٤٩١) إلى الحافظ أبي الحسن بن فضل المقدسي رحمه الله تعالى.

فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ

﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أي: مُتعةَ الطَّلاق، ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: أُطَلِّقْكُنَّ مِن غير ضِرار.

﴿٢٩﴾ ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾ أي: الجنَّةَ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾ بإرادةِ الآخِرة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: الجنَّة، فاختَرْنَ الآخِرةَ على الدُّنيا.

﴿٣٠﴾ ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ ....

حاشية الصاوي

أستَشير أبويَّ؟! بل أختار الله ورسولَه والدار الآخرة. وكلُّهنَّ قُلن كما قالت عائشة، فشكر لهنَّ ذلك، فأنزل الله: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾، ثم رفع ذلك الحرجَ بقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾، وبقوله: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾)[(١)].

قوله: (﴿فَتَعَالَيْنَ﴾) فعل أمر مبني على السكون، ونون النسوة فاعل.

قوله: (﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾) جواب الشرط، وما بينهما اعتراض، ويصح أن يكون مجزوماً في جواب الأمر، والجواب هو قوله: ﴿فَتَعَالَيْنَ﴾.

قوله: (أطلقكن من غير ضرار) أي: من غير تعب ولا مشقَّة.

قوله: (فاخترن الآخرة على الدنيا) أي: ودُمْنَ على ذلك، فكنَّ زاهداتٍ في الدنيا حتى وَرد: أنَّ عائشة دخل عليها ثمانون ألف درهَم من بيت المال، فأمرت جاريتها بتفرقتها، ففرَّقتها في مجلس واحد، فلما فرَغت.. طلبت عائشة منها شيئاً تُفطر به وكانت صائمة ولم تجد منها شيئاً[(٢)].

قوله: (﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ﴾... إلخ) هذه الآيات خطابٌ من الله لأزواج النبي؛ إظهاراً لِفَضلهنَّ وعِظم قدرهنَّ عند الله تعالى؛ لأنَّ العتاب والتشديد في الخطاب مُشعرٌ برفعة رتبتهنَّ؛ لِشدة قربهنَّ من رسول الله؛ لأنهنَّ ضَجيعاته في الجنة، فبقدر القرب من رسول الله يكون القرب من الله، خلافاً لمن شذَّ وزعم أنَّ حبَّ النبي والقربَ منه والتعلُّقَ به شركٌ.

قوله: (﴿بِفَٰحِشَةٍ﴾) قيل: المراد بها: الزنا، والمعنى: لو وَقع من واحدة منكنَّ هذا الفعل.. لحُدَّتْ حدَّيْن؛ لِعِظم قَدرها كالحرة بالنسبة للأمة، وعلى هذا القول: فلا خصوصية لنساء النبي، بل

---

(١) رواه مسلم (١٤٨٧) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وقوله: (وجأت عنقها): دَقَقته.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٥).

يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا ....

ـ بِفَتحِ الياء وكَسرِها ـ أي: بُيِّنَت أو هي بَيِّنَةٌ ﴿يُضَٰعَفۡ﴾ ـ وفي قِراءة: (يُضَعَّف) بِالتَّشدِيد، وفي أُخرَى: (نُضَعِّف) بِالنُّونِ مَعَه ونَصب (العَذاب) ـ ﴿لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾: ضِعفَي عَذابِ غَيرِهِنَّ، أي: مِثلَيهِ، ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾.

﴿٣١﴾ ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ﴾: يُطِعْ ﴿مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا ....

حاشية الصاوي

جميع نساء الأنبياء مَصُونات من الزنا؛ ولذا قال ابن عباس: (ما بغَت امرأة نبيٍّ قط)[1]، وإنما خانت امرأة نوح ولوط في الإيمان والطاعة.

وقيل: المراد بها: النُّشوز وسوء الخلق.

وقيل: الفاحشة إذا وردت معرَّفةً فهي: الزنا واللواط، وإن ورَدت منكَّرةً فهي: سائر المعاصي، وإن وردت منعوتةً كما هنا فهي: حقوق الزوج وسُوء عِشرته.

وقيل: المراد بها جميع المعاصي، وهو الأظهر، وهذا على سبيل الفرض والتقدير، على حدِّ: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وإلَّا.. فنساء النبي مُطهَّراتٌ مَصوناتٌ من الفواحش.

قوله: (**بفتح الياء وكسرها**) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿ٱلۡعَذَابُ﴾) أي: عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

قوله: (**أي: مثلَيه**) أي: فضعف الشيء: مِثله، وضعفاه: مِثلاه، وأضعافه: أمثاله.

قوله: (﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾) أي: سهلاً، فلا يُبالي الله بأحد وإن عظمت رتبتُه، فليس أمر الله كأمر الخلق بترك تعذيب الأعزة حيث أذنبوا لكثرة أوليائهم وأعوانهم، بل المكرم عند الله هو التقي.

قوله: (﴿وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا﴾) أي: تَدُمْ عليه، وفيه مراعاة معنى (مَن) على قراءة التاء، ومراعاة لفظها على قراءة الياء[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٤٣).

(٢) قرأ ابن كثير وشعبة بفتح الياء التحتية؛ أي: ظاهر فُحشها، والباقون بكسرها. انظر «السراج المنير» (٣/ ٢٤١).

(٣) قرأ الأخوان بالياء من تحت، والباقون بالتاء من فوق. انظر «الدر المصون» (٩/ ١١٧).

مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ....

﴿مَرَّتَيْنِ﴾ أي: مِثلَي ثَواب غَيرِهِنَّ مِن النِّساء - وفي قِراءة بِالتَّحتانيَّة في (تَعمَل) و(نُؤتِها) - ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ في الجنَّة زِيادةً.

﴿٣٢﴾ ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ﴾: كجَماعةٍ ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ الله فإنَّكُنَّ أعظَمُ، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ لِلرِّجالِ، ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾: نِفاقٌ، ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ مِن غَير خُضُوع.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَرَّتَيْنِ﴾) أي: مرَّة على الطاعة والتقوى، ومرة أخرى على خِدمة رسول الله الخدمة الباطنية التي لا تتيسَّر من غيرهنَّ.

قوله: (﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾) تقدَّم أنَّ حكمة التشديد عليهنَّ شدَّةُ قربهنَّ من رسول الله ﷺ، وهو دليلٌ على رفعة قدرهنَّ، وعظم رتبتهنَّ؛ فلا يَليق منهنَّ التوغُّل في الشهوات، وتطلب زينة الدنيا؛ لأنَّ رسول الله ﷺ قال: «لستُ من الدنيا، وليست الدنيا مِني»[1]، والمقرَّبون منه كذلك، والمعنى: ليست الواحدة منكنَّ كالواحدة من آحاد النساء، فالتَّفاضُل في الأفراد.

قوله: (﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾) شرط حُذف جوابه؛ لدلالة ما قبله عليه كما يشير له المفسِّر بقوله: (فإنكن أعظم)، والمعنى: إن اتقيتنَّ الله.. فلا يقاس بالواحدة منكنَّ واحدةٌ من سائر النساء.

قوله: (﴿فَلَا تَخْضَعْنَ﴾) كلامٌ مستأنفٌ مفرَّعٌ على التقوى[2].

قوله: (﴿بِٱلْقَوْلِ﴾) أي: بأن تتكلَّمن بكلام رقيق يميل قلوب الرجال إليكنَّ؛ إذ لا يَليق منكنَّ ذلك؛ لكونكنَّ أعظم النساء.

قوله: (﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾) في ذلك احتراسٌ عمَّا يقال: إنهنَّ أمهات المؤمنين، والإنسان لا يطمع في أُمِّه، فأجاب: بأن الذي يقع منه الطمع إنما هو المنافق؛ لأنَّ شَهوته حاصلة معه، وهو منزوع الخشية والخوف من الله، ولكن نُهينَ عموماً؛ سدًّا للذريعة.

قوله: (﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾) أي: حسناً، فيه تعظيم الكبير ورحمة الصغير، لا ريبة فيه.

---

(١) رواه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١٥٤٢) عن سيدنا أنس بن مالك ﷺ.

(٢) وقيل: هو جواب الشرط.

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ....

﴿٣٣﴾ ﴿وَقَرْنَ﴾ ـ بِكَسرِ القاف وفَتحِها ـ ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ مِن القَرار، ـ وأصلُه: اقْرِرْنَ بِكَسرِ الرَّاء وفَتحِها مِن (قَرِرت) بِفَتحِ الرَّاء وكَسرِها، نُقِلَت حَرَكة الرَّاء إلى القافِ وحُذِفَت مَع همزةِ الوَصل ـ ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ ـ بِتَركِ إحدَى التَّاءَينِ مِن أصلِه ـ ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: ما قبلَ الإسلام مِن إظهارِ النِّساء مَحاسِنَهُنَّ لِلرِّجالِ، والإظهارُ بعدَ الإسلامِ

حاشية الصاوي

قوله: (**بكسر القاف وفتحها**) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان(١).

قوله: (**من القرار**) أي: الثبات، بيانٌ لمعنى القراءتين.

قوله: (**وأصله: اقررن بكسر الراء**) أي: من باب (ضرب)، وقوله: (**وفتحها**) أي: من باب (علم)، فماضي الأول مفتوح، والأمر منه مكسور، والثاني بالعكس.

قوله: (**نقلت حركة الراء**) أي: الأولى، وحركتها إما كسرة على الأول، أو فتحة على الثاني.

قوله: (**مع همزة الوصل**) أي: للاستغناء عنها بتحريك القاف، والمعنى: اثبُتْنَ في بيوتكنَّ، ولا تخرجن إلا لِضرورة.

قوله: (﴿**تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ**﴾) اختُلف في زمنها؛ فقيل: هي ما قبل بعثة إبراهيم، وقيل: ما بين آدم ونوح، وقيل: ما بين نوح وإدريس، وقيل: ما بين نوح وإبراهيم، وقيل: ما بين موسى وعيسى، وقيل: ما بين عيسى ومحمد ﷺ، وقيل: هي ما قبل الإسلام مطلقاً، وعليه اقتصر المفسِّر، وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كنَّ عليه، وليس المعنى أنَّ ثمَّ جاهلية أخرى.

قوله: (**من إظهار محاسنهنَّ للرجال**) أي: فكانت المرأة تلبس القميص من الدُّرِّ غير مخيط الجانبَين، وكان النساء يظهرن ما يقبح إظهاره، حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخلِّها، فيَنفرد خلُّها بما فوق الإزار، وينفرد زوجها بما دُون الإزار إلى أسفل، وربما سأل أحدهما صاحبَه البدل.

قوله: (**والإظهار بعد الإسلام... إلخ**) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ إظهار الزينة واقعٌ من فَسَقة النساء بعد الإسلام؛ فلا حاجة لذكر الجاهلية الأُولى، فأجاب: بأنه تقدَّم النهي عنه في قوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ...﴾ إلخ.

---

(١) قرأ نافع وعاصم بفتح القاف، والباقون بكسرها. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٢٠).

وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ....

مَذكُورٌ في آيةِ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]، ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾: الإثمَ يا ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي: نِساءَ النَّبيِّ ﷺ، ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ منه ﴿تَطْهِيرًا﴾.

﴿٣٤﴾ ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنِ ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾: السُّنَّةِ،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾) أي: بشُروطها وآدابها.

قوله: (﴿وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾) أي: لمستحقِّيها.

قوله: (﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾) أي: في جميع الأوامر والنواهي؛ فلا تَليق منكنَّ المخالفةُ فيما أمر الله ورسوله به.

قوله: (﴿ٱلرِّجْسَ﴾) أي: الذنبَ المدنِّسَ لعرضكنَّ.

قوله: (﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾) منصوب على أنه منادى، وحرف النداء محذوف قدَّره المفسِّر.

قوله: (أي: نساء النبيِّ) قصره عليهنَّ؛ لمراعاة السياق، وإلا.. فقد قيل: الآية عامَّةٌ في أهل بيت سكنه وهنَّ أزواجه، وأهل بيت نسَبه وهنَّ ذريَّته.

قوله: (﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾) أكَّده؛ إشارةً إلى الزيادة في التطهير بسبب التكاليف، فالعبادة والتقوى سببٌ للطهارة، وهي الخلوص من دَنس المعاصي، فمن ادَّعى الطهارة مع ارتكابه المعاصي.. فهو ضالٌّ كذَّاب.

قوله: (﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾) أي: لِتذكرن به أنفسكنَّ أو غيركنَّ، وفيه تذكيرٌ لهنَّ بهذه النعمة العظيمة؛ حيث جعلهنَّ من أهل بيت النبوَّة، وشاهدن نزول الوحي، وكلُّ ذلك موجبٌ للزوم التقوى.

قوله: (﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾) بيان لـ(ما).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝٣٤ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٣٥﴾ ....

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ بأوليائِه، ﴿خَبِيرًا﴾ بجميعِ خلقِه.

۝٣٥ ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾: المُطيعاتِ ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ في الإيمانِ ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ على الطَّاعاتِ، ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ﴾: المُتواضِعين ﴿وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ عن الحرامِ، ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ لِلمَعاصِي ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ على الطَّاعاتِ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَطِيفًا﴾) أي: عالماً بخفيَّات الأمور.

قوله: (﴿خَبِيرًا﴾) أي: مطَّلعاً على كل شيء.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾... إلخ) سبب نزولها: أنَّ أزواج النبي ﷺ جلسن يتذاكرن فيما بينهنَّ ويقُلن: إنَّ الله ذكر الرجال في القرآن، ولم يذكر النساء بخير، فما فينا خير نذكر به، إنا نخاف ألَّا تُقْبَلَ منَّا طاعةٌ، فسألت أم سلمة رسول الله ﷺ وكانت كثيرةَ السؤال له، فقالت: يا رسول الله؛ ما بالُ ربنا يذكر الرجال في كتابه ولا يَذكر النساء؟ فنخشى ألاَّ يكون فيهنَّ خير، فنزلت؛ جبراً لخاطرهنَّ[1].

قوله: (﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾) إنما عطف وصفهما بالإيمان على وصفهما بالإسلام وإن كانا متَّحدَيْنِ شرعاً؛ نظراً إلى أنهما مختلفان مفهوماً؛ إذ الإسلام: التَّلفظ بالشهادتين بشَرط تصديق القلب بما جاء به النبي ﷺ، والإيمان: الإذعان القلبي بشَرط النطق باللسان، ويكفي في العطف أدنى تغاير.

قوله: (﴿وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾) حذف المفعول؛ لدلالة ما قبله عليه، والتقدير: والحافظات فروجهنَّ.

قوله: (﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾) أي: بأيِّ ذكرٍ كان؛ من تسبيح أو تهليل أو تَحميد أو صلاة

(١) رواه الإمام النسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٠٤) بنحوه.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ....

(٣٦) ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن تَكُونَ﴾ - بِالتَّاء والياءِ - ﴿لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ أي: الاختيارُ ....

حاشية الصاوي

على النبي ﷺ، والكثرة مختلفة باختلاف الأشخاص، فالكثرة في حقِّ العامَّة أقلُّها ثلاث مئة، وفي حق المريدين اثنا عشر ألفاً، وفي حقِّ العارفين عدمُ خُطور الغير على قلوبهم، ومنه قول العارف ابن الفارض[1]: [الطويل]

وَلَوْ خَطَرَتْ لِي فِي سِوَاكَ إِرادَةٌ عَلَى خاطِرِي يَوْماً حَكَمْتُ بِرِدَّتِي

قوله: (﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾) أي: لا ينبغي ولا يَصلح ولا يليق، وهذا اللفظ يستعمل تارة في الحظر والمنع كما هنا، وتارة في الامتناع عقلاً كما في قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠]، وتارة في الامتناع شرعاً كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١].

قوله: (﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾) ذكر اسم الله؛ للتعظيم، وإشارةً إلى أن قضاء رسول الله هو قضاء الله؛ لِكونه لا يَنطق عن الهوى.

و(إذا): يصح أن تكون ظرفاً معمولاً لما تعلق به خبر (كان)، والتقدير: وما كان مستقرًّا لمؤمن ولا مؤمنة وقت قضاء الله ورسوله أمراً كون الخيرة لهم، ويصح أن تكون شرطية، وجوابها محذوف دلَّ عليه ما قبله.

قوله: (﴿أَن تَكُونَ﴾) اسم (كان) مؤخر، والجارُّ والمجرور خبرٌ مقدَّم.

قوله: (**بالتاء والياء**) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، فالتاء ظاهرة، والياء نظراً إلى أن ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾ مجازيُّ التأنيث، أو للفصل بين العامِلِ والمعمول[2].

قوله: (﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾) بفتح الياء، وقرئ شذوذاً بإسكانها، ومَعناهما واحد، وهو الاختيار[3].

قوله: (**أي: الاختيار**) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾ مصدر.

---

(١) البيت من تائيَّته المشهورة، انظر «ديوانه» (ص٥٢).

(٢) قرأ الكوفيون وهشام بالياء من أسفل، والباقون بالتاء من فوق مراعاة للفظها. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٢٤).

(٣) وبها قرأ عيسى بن سليمان. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٢٤).

مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ....

﴿مِنْ أَمْرِهِمْۗ﴾ خِلافَ أمرِ الله ورَسُولِه، نَزَلت في عبدِ الله بن جَحش وأُختِه زَينبَ، خَطَبَها النَّبيُّ لِزيدِ بن حارِثة فكَرِها ذلك حِينَ عَلِما لِظَنِّهما قبلُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ خَطَبَها لِنَفسِه، ثُمَّ رَضِيَا لِلآيةِ، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾: بَيِّناً، فزوَّجها النَّبيُّ ﷺ لِزَيدٍ، ثُمَّ وقَع بَصَرُه علَيها بعدَ حِين فوَقَع في نَفسِه حُبُّها، وفي نَفس زيد كَراهَتُها، ثُمَّ قال لِلنَّبيِّ ﷺ:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِنْ أَمْرِهِمْۗ﴾) حال من ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾.

قوله: (وأخته زينب) أي: بِنت جحش، وأمهما أُميمة بنت عبد المطلب، عمة رسول الله ﷺ.

قوله: (خطبها النبي وعنى لزيد) أي: بعد أن كان زوَّجه أوَّلاً أمَّ أيمن بركة الحبشية بنت ثعلبة بن حصن، كانت لعبد الله أبي النبي ﷺ، فأعتَقها، وقيل: أعتقها النبي ﷺ، وعاشت بعده ﷺ خمسة أشهر، وقيل: سنة، ووَلدت لزيد أسامة، وكانت ولادته بعد البعثة بثلاث سنين، وقيل: بخمس.

قوله: (فكرها ذلك) أي: كون الخطبة لزيد، وقالت لرسول الله ﷺ: أنا بنتُ عمَّتك، فلا أرضاه لنفسي، وكانت بيضاء جميلة، وزَيد أسود[1].

قوله: (ثم رَضيا للآية) أي: حين نزَلت الآية توبيخاً لهما.

قوله: (﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾... إلخ) هذا من تَمام ما نزل في شأنهما، فكان المناسب للمفسِّر تأخير ذكر سبب النُّزول عن هذه الآية.

قوله: (﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾) أي: أخطأ طريق الصواب.

قوله: (فزوَّجها النبي لزيد) أي: وأعطاها رسول الله عشرة دنانير، وستين درهماً، وخماراً ودرعاً ومِلحفة، وخمسين مدًّا من طعام، وثلاثين صاعاً من تمر.

قوله: (ثم وقع بصره عليها) هذا بناء على أن معنى قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ

---

(١) روى الإمام الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٩) عن سيدتنا زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت: خطبني عِدَّة من قريش، فأرسلت أختي حَمنة إلى رسول الله ﷺ أستشيره، فقال لها رسول الله ﷺ: «أين هي ممن يُعلمها كتاب ربها وسنة نبيها؟» قالت: ومَن هو يا رسول الله؟ قال: «زيد بن حارثة؟» قال: فغضبت حمنة غضباً شديداً، وقالت: يا رسول الله، أتزوج بنت عَمَّتك مَولاك؟ قالت: جاءتني فأعلمتني، فغضبت أشدَّ من غضبها، وقلت أشد من قولها، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ﴾، قالت: فأرسلت إلى رسول الله ﷺ، وقلتُ: إني أستَغفر الله وأُطيع الله ورسوله، افعل ما رأيتَ، فزوجني زيداً.

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ....

أُريدُ فِراقَها، فقال: «أَمسِك عليكَ زَوجَك» كما قال تعالى:

﴿٣٧﴾ ﴿وَإِذْ﴾ - مَنصوبٌ بـ(اذكُر) - ﴿تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالإعتاق، وهو زيدُ بن حارثةَ، كان مِن سَبيِ الجاهِليَّة اشتَراهُ رَسول الله ﷺ قبلَ البَعثةِ وأعتَقَه وتبَنَّاه: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في أمرِ طَلاقِها، ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾: مُظهِرُه مِن مَحبَّتِها وأنْ لو فارقَها زيدٌ ....

حاشية الصاوي

﴿مُبْدِيهِ﴾ هو حبُّها الذي درج عليه المفسِّر تبعاً لغيره، وهذا التفسير غير لائق بمنصب النُّبوَّة، لا سيَّما بجنابه الشريف، وأيضاً: يبعد أن النبي يَخفى عليه حالها مع كونها بنت عمَّته وفي حجره.

قوله: (فقال: أمسك عليك زوجك) أي: لا تفارقها.

قوله: (منصوب بـ«اذكر») أي: فهو معمول لمحذوف.

قوله: (اشتراه رسول الله) فيه تسمُّحٌ، بل الذي في السِّير: أن خديجة اشترته بأربع مئة درهم، ثم وهبته لرسول الله، وهذا الشراء صُوري، وإلاَّ.. فهو كان حرًّا؛ لأنه لم يكن الرق بالسَّبي مشروعاً؛ لكونهم أهل فترة، وهم ناجُون، ليس فيهم حربي، والعلماء عرَّفوا الرقَّ بأنه عجز حكمي سببه الكفر.

روي: أن عمَّه لقيه يوماً بمكة، فعرفه وضمَّه إلى صَدره وقال له: لِمَن أنت؟ قال: لمحمد بن عبد الله، فأتَوه وقالوا: هذا ابننا فرُدَّه علينا، فقال: «اعرضُوا عليه؛ فإن اختاركم.. فخُذوه»، فبعث إلى زيد وخيَّره، فقال: يا رسول الله؛ ما أختار عليك أحداً، فجذبه عمُّه وقال: يا زيد؛ اخترتَ العبودية على أبيك وعمِّك؟! قال: نعم، هي أحب إليَّ من أن أكون عندكم، فتبنَّاه رسول الله ﷺ[1].

قوله: (من مَحبتها) بيان لما أبداه، وهذا القول مردودٌ؛ لما تقدَّم أنه يُنزَّه عنه رسول الله ﷺ، والصواب أن يقول: إنَّ الذي أخفاه في نفسه هو ما أخبره الله به من أنها ستصير إحدى زوجاته بعد طلاق زيد لها؛ لما روي عن علي بن الحسين رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ كان قد أوحى الله إليه أنَّ زيداً

---

(١) روى الخبر بتمامه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣١).

﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ ....

تَزوَّجتَها، ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أن يَقُولُوا: تزوَّج زوجةَ ابنِه، ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ في كُلِّ شيءٍ، وتَزوَّجها ولا عليك مِن قَولِ الناس، ثُمَّ طلَّقها زيد وانقضَت عِدَّتُها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾: حاجةً ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ فدخَل عليها النَّبيُّ ﷺ بِغَير إذنٍ، ......

حاشية الصاوي

يطلِّق زينب، وأنه يتزوَّجها بتزويج الله إياها، فلمَّا شكى زيد للنبي خلق زينب وأنها لا تُطيعه وأعلمه بأنه يريد طلاقها.. قال له رسول الله على جِهة الأدب والوصية: «**اتق الله في قولك، وأمسِك عليك زوجك**»[1]، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، وخشي رسول الله أن يَلحقه قول الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو متبنِّيه، فعاتبه الله على الكتم لأجلِ هذا العذر.

والحكمة في تزوُّج رسول الله بزينب: إبطال حكم التَّبنِّي، والتفرقة بين ولد الصلب وولد التَّبنِّي من حيث إن ولد الصلب يَحرم التزوُّج بزوجته، وولد التَّبنِّي لا يحرم.

قوله: (وتزوَّجْها) هكذا في بعض النسخ بصيغة الأمر، وفي نسخة: (ويزوجكها) فعل مضارع.

قوله: (﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾) أي: بأن لم يبقَ له أربٌ، وطلَّقها، وانقضت عِدَّتها، وفي ذكر اسمه صريحاً دون غيره من الصحابة جبرٌ وتأنيسٌ له وعوضٌ من الفخر بأُبوَّة محمد ﷺ، فكان اسمه قرآناً يتلى في الدنيا والآخرة على ألسِنة البشر والملائكة، وزاد في الآية أن قال: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: بالإيمان، فدلَّ على أنه مِن أهل الجنة، فعلم ذلك قبل مَوته، فهذه فضيلةٌ أخرى.

قوله: (فدخل عليها النبيُّ ﷺ بغير إذن) أي: ولا عَقد ولا صداق، وهذا من خُصوصيَّاته التي لم يشاركه فيها أحدٌ بالإجماع، وكان تزوُّجه بها سنة خمسٍ من الهجرة، وقيل: سنة ثلاث، وهي أول من مات بعده من زوجاته، ماتت بعده بعشر سنين، ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة، وكانت تفتخر على أزواج النبي وتقول: (زوَّجكنَّ أهاليكنَّ، وزوَّجني الله من فوق سبع سماوات)[2]، وكانت

---

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٤٦٦)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ١٨٦)، ونقل الثعلبي في «الكشف والبيان» (٤/ ٣٤٩) عن القاضي عياض قال: (وتأويل علي بن الحسين أحسن التأويلات وأصحُّها، وهو قول ابن عطاء، وصحَّحه واستحسنه). انتهى.

(٢) رواه البخاري (٧٤٢٠) عن سيدنا أنس ﷺ.

لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ....

وأشبَعَ المُسلِمِين خُبزاً ولَحماً، ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: مَقضِيُّهُ ﴿مَفْعُولًا﴾.

﴿٣٨﴾ ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ﴾: أحَلَّ ﴿ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي: كسُنَّةِ الله، فنُصِبَ بِنَزعِ الخافِض، ﴿فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ﴾ مِن الأنبياء أن لا حَرَجَ علَيهِم في ذلك تَوسِعةً لَهُم في النِّكاح، ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: فِعلُه ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾: مَقضِيًّا.

حاشية الصاوي

تقول للنبي: (جدِّي وجدك واحد، وليس من نسائك من هي كذلك غيري، وقد أنكحنيك الله، والسفير في ذلك جبريل)[1].

قوله: (وأشبع المسلمين خبزاً ولحماً) أي: فذبح شاة وأطعم الناس خبزاً ولحماً حتى تركُوه، ولم يولم النبي على أحدٍ من نسائه كما أولَم على زينب.

قوله: (﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾... إلخ) أي: فهو دليلٌ على أنَّ هذا الأمر ليس مخصوصاً به ﷺ.

قوله: (﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾) أي: موجوداً لا محالة.

قوله: (﴿مِنْ حَرَجٍ﴾) أي: إثم.

قوله: (فنصب بنزع الخافض) ويصح نصبه على المصدرية[2]، وفي هذه الآية ردٌّ على اليهود؛ حيث عابوا على النبي ﷺ كثرةَ النساء.

قوله: (توسعة لهم في النكاح) أي: فقد كان لِداوود مئة امرأة، ولسليمان ولده سبع مئة امرأة، وثلاث مئة سُرِّيَّة.

قوله: (﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾) هو من التأكيد كـ: (ظلٌّ ظليل) و(ليلٌ أليل).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٧٦) من مُرسل الشعبي.

(٢) وهو مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة؛ أي: سنَّ الله ذلك سُنة. انظر «الدر المصون» (٩/ ٧١٥).

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ﴾ ....

﴿٣٩﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ـ نعت لـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قبلَه ـ ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فلا يَخشَونَ مَقالةَ النَّاس فِيما أحلَّ الله لَهُم، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾: حافِظاً لِأعمالِ خَلقِه ومُحاسِبَهُم.

﴿٤٠﴾ ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ فليسَ أبا زَيد أي: والِدَه، فلا يَحرُم علَيهِ التَّزوُّج بِزَوجَتِه زَينبَ، ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ فلا يكونُ لَه ابنٌ رَجُلٌ بعدَه يَكُون نَبِيًّا، ـ وفي قِراءة بِفَتحِ التَّاء كآلَةِ الخَتمِ ـ أي: بِه خُتِمُوا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾) أي: أبوَّة حقيقية؛ فلا يُنافي أنه أبوهم من حيث إنه شفيقٌ عليهم، وناصحٌ لهم، يجب عليهم تعظيمه وتَوقيره.

قوله: (﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾) العامَّة على تخفيف ﴿لَٰكِن﴾، ونصب ﴿رَّسُولَ﴾ على أنه خبر لـ(كان) المحذوفة، وقرئ شذوذاً بتشديد (لكن)، ورسول: اسمها، وخبرها محذوف تقديره: أب من غير وراثة؛ إذ لم يعش له ولد ذكر، وقرئ أيضاً بتخفيفها ورفع (رسول) على الابتداء، والخبر مقدَّر؛ أي: هو، أو بالعكس، ووجهُ الاستدراك: رفع ما يتوهم من نَفي الأبوة عنه أن حقَّه ليس أكيداً، فأفاد أن حقَّه آكدُ من حق الأب الحقيقي بوَصف الرسالة[1].

قوله: (**فلا يكون له ابنٌ رجلٌ بعده يكون نبيًّا**) النفي في الحقيقة متوجِّه للوصف؛ أي: كون ابنه رجلاً، وكونه نبيًّا بعده، وإلا.. فقد كان له من الذكور أولاد ثلاث: إبراهيم والقاسم والطيِّب، ولكنهم ماتوا قبل البُلوغ، فلم يَبلغوا مبلغ الرجال، فكونه خاتم النبيين يَلزم منه عدم وجود ولد بالغ له.

وأورد عليه: بمنع الملازمة؛ إذ كثير مِن الأنبياء وُجد لهم أولاد بالغون وليسوا بأنبياء، وأُجيب: بأن الملازمة ليست عقليَّة، بل على مقتضى الحكمة الإلهيَّة، وهي أنَّ الله أكرم بعض الرسل بجعل أولادهم أنبياء كالخليل، ونبيُّنا أكرمهم وأفضَلهم؛ فلو عاش أولاده.. اقتضى تشريفُ الله له جعلَهُم أنبياء؛ لجمعه المزايا المتفرِّقة في غيره، فتدبَّر.

---

(١) قرأ أبو عمرو في رواية بتشديد (لكنَّ)، وقرأ زيد بن علي وابن أبي عبلة بتخفيفها ورفع (رسول) على الابتداء. انظر «الدر المصون» (٩/١٢٨).

وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ....

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ مِنهُ بِأن لا نَبيَّ بعدَه، وإذا نَزَلَ السَّيِّدُ عِيسى يَحكم بِشَرِيعتِه.

(﴿٤١﴾ - ﴿٤٣﴾) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: أوَّلَ النَّهار وآخِرَه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وإذا نزل السيد عيسى... إلخ) جوابٌ عمَّا يقال: كيف قال تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وعيسى يَنزل بعده وهو نبيٌّ؟

ولا يرد على هذا وَضع الجزية، وعدم قبول غير الإسلام ونحو ذلك مما جاء في الأحاديث مما يُخالف شرعنا؛ لأن ذلك شرع نبيِّنا عند نُزول عيسى عليه الصلاة والسلام.

قوله: (﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾) في هذه إشارةٌ إلى تَشريف المؤمنين عموماً، حيث ناداهم وأَمرهم بذكره وتسبيحه، وصلى عليهم هو وملائكته، وأفاض عليهم الأنوار، وحيَّاهم.

والمقصود من ذكر العباد ربَّهم: كونُ الله يذكرهم قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وليس المقصودُ انتفاعَهُ تعالى بذلك، تنزَّه الله عن أن يصلَ له من عباده نفعٌ أو ضرٌّ، قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾، فذِكْرُنا لأنفسنا؛ لأنه لا غِنى لنا عن ربِّنا طرفة عين، وإذا كان كذلك.. فلا تَليق الغفلة عنه أبداً، بل المطلوب ذكرُهُ دائماً وأبداً.

واعلم: أنَّ الله تعالى لم يَفرض فريضةً على عبادة إلا جعل لها حدًّا معلوماً، وعذَرَ أهلَهَا في حال العذر غير الذكر؛ فلم يجعل له حدًّا، ولم يَعذر أحداً في تركه إلا من كان مغلوباً على عقله؛ ولذا أمرهم به في جميع الأحوال، قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]؛ ففيه إشارةٌ إلى أنَّ الذكر أمرُهُ عظيمٌ، وفضلُه جسيمٌ.

قوله: (﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾) خصَّ التسبيح بالذكر وإن كان داخلاً فيه؛ لكونه أعلى مراتبه، وحكمة تخصيص التسبيح بهذين الوقتين: لكونهما أشرفَ الأوقات بسبب تنزُّل الملائكة فيهما.

هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ....

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ أي: يرحمكم ﴿وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾ أي: يستغفرون لكم؛ ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾: ليديم إخراجه إيَّاكم ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ أي: الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: الإيمان، ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾) استئناف في معنى التعليل للأمر بالذكر والتسبيح(١).

قوله: (﴿وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾) عطف على الضمير المستتر في ﴿يُصَلِّى﴾، والفاصل موجود(٢).

قوله: (أي: يستغفرون لكم) أي: يطلبون لكم من الله المغفرة، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ...﴾ [غافر: ٧] الآيات.

قوله: (ليديم إخراجه إياكم) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ إخراجه إيَّانا من الظلمات حاصلٌ بمجرد الإيمان. وإيضاحُ الجواب: أن المراد دَوام هذا الإخراج؛ لأنَّ الغفلة عن الخالق إذا دامت.. ربما أخرجت العبد من النور، والعياذُ بالله.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾) جمع الأول؛ لِتَعدد أنواع الكفر، وأفرد الثاني؛ لأنَّ الإيمان شيءٌ واحدٌ، لا تعدُّد فيه؛ فمَن ادَّعى الإيمان وأثبت التعدد والمخالفة.. فهو ضالٌّ مضلٌّ خارجٌ عن السنة والجماعة.

قوله: (﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾) أي: يقبل القليل من أعمالهم، ويَعفو عن الكثير من ذنوبهم؛ حيث أخلصوا في إيمانهم.

---

(١) لأنَّ صلاتَهُ تعالى عليهم مع عدمِ استحقاقِهم لها وغناهُ عن العالمينَ ممَّا يُوجبُ عليهم المُداومةَ على ما يستوجبُه تعالى عليهم من ذكرِه تعالى وتسبيحِه. «فتوحات» (٣/ ٤٦٦).

(٢) لكن لا على أن يراد بالصلاة الرحمة أولاً، والاستغفار ثانياً؛ فإن استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له، بل على أن يراد بهما معنى مجازي عامٌّ، يكون كلا المعنيين فرداً حقيقيًّا له، وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح أمرهم؛ فإن كلًّا من الرحمة والاستغفار فردٌ حقيقي له، أو الترحم والانعطاف المعنوي المأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصُّوري الذي هو الركوع والسجود، ولا ريب في أن استغفار الملائكة ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم، وأما أن ذلك سبب للرحمة؛ لكونهم مُجابي الدعوة كما قيل.. فاعتباره ينزع إلى الجمع بين المعنيَين المتغايرين، فتدبر. انظر «إرشاد العقل السليم» (٧/ ١٠٧).

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ ....

﴿٤٤﴾ ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ مِنهُ تَعالى ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ بِلِسانِ المَلائكةِ، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ هو الجنَّة.

(﴿٤٥﴾ - ﴿٤٦﴾) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ على مَن أُرسِلتَ إلَيهِم، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ مَن صَدَّقَك بِالجنَّةِ، ﴿وَنَذِيرًا﴾: مُنذِراً مَن كَذَّبك بِالنَّارِ، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾: إلى طاعَتِه ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ منه تعالى) أي: التَّحيَّة الصادرة منه تعالى زيادة في الاعتناء بهم، وتعظيماً لقدرهم.

قوله: (﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ﴾) اختلف في وقت اللُّقيِّ؛ فقيل: عند الموت، وقيل: عند الخروج من القبور، وقيل: عند دخول الجنة.

قوله: (بلسان الملائكة) أي: لما ورد: «**إذا جاء مَلك الموت يقبض روح المؤمن يقول له: ربك يُقرئك السلام**»[1]، وفي الحقيقة هم يَسمعون السلام من الله، ومن الملائكة، ومن الخَلق غيرهم، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٥-٢٦].

قوله: (هو الجنة) أي: وما فيها من النعيم المقيم.

قوله: (على من أرسلْتَ إليهم) أي: لتتعرَّف أحوالهم، وتكون مشاهداً لما صدر منهم من الأعمال الحسَنة والقبيحة، فالأعمال تُعرض عليه حيًّا وميتاً، ويصح أن يكون المراد: شاهداً يوم القيامة للمؤمنين، وعلى الكافرين، فهو مَقبول الدعوى، لا يحتاج في دعواه إلى شهادة أحد، فيشهد للأنبياء بالتبليغ، وعلى الأُمم إمَّا بالتصديق أو التكذيب.

---

(١) روى ابن الأعرابي في «معجمه» (٢٢٨٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود مرسلاً قال: (إذا أراد الله قبض روح المؤمن أوحى إلى مَلك الموت أن أقرئه مني السلام).

وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ....

بِأمرِه، ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ أي: مِثلَه في الاهتِداء بِه.

(﴿٤٧﴾ - ﴿٤٨﴾) ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ هو الجنَّة، ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فِيما يُخالِف شَرِيعَتَك، ﴿وَدَعْ﴾: اترُك ﴿أَذَىٰهُمْ﴾ لا تُجازِهِم علَيه إلى أن تُؤمَرَ فِيهِم بِأمرٍ، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فهو كافِيك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بأمره) دفع بذلك ما يقال: إنَّ الإذن حاصل بقوله: ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾، فأجاب: بأنَّ المراد بالإذن: الأمر.

والحكمةُ في الإذن: تسهيل الأمر وتيسيره؛ لأنَّ الدخول في الشيء من غير إذن متعذِّرٌ، فإذا حصل الإذن.. سهل وتيسَّر، ومن هنا أخذ الأشياخ استعمالَ الإجازة للمريدين، فمَن أجازه أشياخه بشيءٍ من العلم والإرشاد.. فقد سهلت له الطريق وتيسَّرت، ومَن لم تحصل له الإجازة وتصدَّر بنفسه.. فقد عطَّل نفسه وغيره، وانسدَّت عليه الطُّرق.

قوله: (﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾) يحتمل أنَّ المراد بالسراج: الشمس وهو ظاهر، ويحتمل أن المراد به: المصباح، وحينئذٍ فيقال: إنما شُبِّه بالسراج ولم يُشَبَّه بالشمس مع أنَّ نورها أتمُّ؛ لأنَّ السراج يَسهل اقتباس الأنوار منه، وهو ﷺ تقتبس منه الأنوار الحسيَّة والمعنويَّة.

قوله: (﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾) أي: حيث كنت متَّصفاً بالصفات الخمسة.. فبشِّر المؤمنين.

قوله: (﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾) أي: لا تُدَارِ الكفار، ولا تليِّنْ لهم جانبك في أمر الدين، بل اثبت على ما أوحي إليك وبلِّغه، ولا تكتم منه شيئاً.

قوله: (﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾) إمَّا من إضافة المصدر لفاعله؛ أي: أذيَّتهم إياك؛ فلا تُقاتلهم جزاء على ما صدر منهم، أو لمفعوله؛ أي: اترك أذيَّتك لهم في نظير كفرهم، واصفح عنهم، واصبر، ولا تعاجلهم بالعقوبة. وهذا مَنسوخٌ بآية القتال.

قوله: (﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾) أي: ثِقْ به في أمُورك واعتمد عليه.. يكْفِكَ أمور الدين والدنيا.

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ ....

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ مُفوَّضاً إلَيه.

﴿٤٩﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ ـ وفي قِراءة: (تُماسُّوهُنَّ) ـ أي: تُجامِعُوهُنَّ، ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ تُحصُونَها بِالأقراءِ وغَيرِها، ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أعطُوهُنَّ ما يَستَمتِعنَ بِه أي: إن لَم يُسَمَّ لَهُنَّ أصدِقةٌ، وإلَّا فلَهُنَّ نِصفُ المُسمَّى فقَط، قاله ابن عبَّاس، وعلَيهِ الشَّافِعيُّ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾) الباء: زائدة في الفاعل؛ أي: إنَّ الله تعالى كافٍ من توكَّل عليه أمورَ الدنيا والآخرة، وفي الآية إشارةٌ إلى أنَّ التوكل أمرُهُ عظيمٌ، فإذا عجز الإنسان عن أمرٍ.. فعليه بالتوكل على الله، والتفويض إليه؛ فإنَّ الله يكفيه ما أهمَّه من أمور الدنيا والآخرة.

قوله: (﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾) المراد بالنكاح: العقد؛ بدليل قوله: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾، وذكر المؤمنات خَرَج مَخرج الغالب؛ إذ الكتابيات كذلك، وإنما خصَّ المؤمنات بالذكر؛ إشارةً إلى أنَّ الأَولى للمؤمن أن ينكح المؤمنات، وأمَّا نكاح الكتابيات.. فمكروه، أو خلافُ الأولى.

قوله: (﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾) أي: ولو طال زمن العقد.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهما سبعيَّتان[1].

قوله: (أي: تُجامعوهنَّ) تفسيرٌ لكلٍّ من القراءتَين.

قوله: (﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾) إمَّا من العدد، أومن الاعتداد، أي: تَحسبونها، أو تَستوفون عددها؛ من قولهم: عدَّ الدراهم فاعتدَّها؛ أي: استَوفى عددها.

قوله: (وعليه الشافعي) أي: ومالك، فالمطلَّقة قبل الدخول إن سُمِّي لها صداقٌ.. فلا متعة لها، ولا عدَّة عليها، وإن لم يسمَّ لها صداقٌ؛ بأن نكحت تفويضاً.. فلا عِدَّة عليها، ولها المتعة إمَّا وجوباً كما هو عند الشافعي، أو ندباً كما هو عند مالك[2].

(١) قرأ الأخوان وخلف بضم التاء وألف بعد الميم فيصير مدًّا لازماً، والباقون بفتح التاء ولا ألفَ بعد الميم. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٥٦).

(٢) انظر «تحفة المحتاج» (٧/ ٤١٥)، و«المدونة» (٢/ ٢٣٢).

وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ....

﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: خَلُّوا سَبِيلَهُنَّ مِن غيرِ إضرارٍ.

﴿٥٠﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾: مُهُورَهُنَّ ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ مِن الكُفَّار بِالسَّبيِ كصَفِيَّة ....

حاشية الصاوي

قوله: (خلّوا سبيلهنَّ) أي: اتركوهنَّ.

قوله: (من غير إضرار) أي: بأن تمسكوهنَّ تعنتاً حتى يَفتدينَ منكم، أو تؤذوهنَّ وتتكلموا في أعراضِهنَّ.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ﴾... إلخ) اختلف المفسرون في المراد بهذه الآية؛ فقيل: المعنى: إن الله أحلَّ له أن يتزوّج بكل امرأة دفع مَهرها... إلى آخره، فعلى هذا تكون هذه الآية ناسخة للتحريم الكائن بعد التخيير المدلول عليه بقوله: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾، فهذه الآية وإن كانت مُتقدِّمة في التلاوة فهي متأخِّرة في النزول على الآية المنسوخة بها؛ كآية الوفاة في (البقرة).

وقيل: المراد: أحلَلنا لك أزواجك الكائنات عندك؛ لأنهنَّ اخترنك على الدنيا، ويؤيِّده قول ابن عباس: كان رسول الله يتزوَّج من أيِّ النساء شاء، وكان يَشقُّ على نسائه، فلمَّا نزلت هذه الآية وحرم عليه بها النساء إلا من سمِّي.. سُرَّ نساؤه بذلك[1]. والقول الأول أصح.

قوله: (﴿ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾) بيان لما كان يَفعله من مكارم الأخلاق، وإلا.. فالله أحلَّ له أن يتزوَّج بلا مهر.

قوله: (﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾) بيان لـ﴿مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾، وهذا القيد خَرَج مخرجَ الغالب، بل الملك بالشراء كذلك.

قوله: (كصفيَّة) هي بنت حيي بن أخطب، من نسل هارون أخي موسى، وتقدَّم أنها كانت من سبي خيبرَ، أذن النبي ﷺ لدِحية الكلبي في أخذ جارية، فأخذها، فقيل للنبي ﷺ: أعطيتَه سيدة

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٨٨).

وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ....

وجُوَيرِيَةَ، ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ .....

حاشية الصاوي

بني قريظة والنضير وهي لا تَصلح إلا لك؟ فخشي عليهم الفتنة، فأعطاه غيرها، ثم أعتقها وتزوَّجها، وبنى بها وهو راجع إلى المدينة[1].

وفي رواية: (أنه ﷺ قال لها: «هل لك فيَّ؟»، قالَت: نعم يا رسول الله؛ إني كنت أتمنَّى ذلك في الشرك، وكان بعينِها خضرة، فسألها عنها فقالت: إنها كانت نائمة ورأس زوجها مَلكهم في حجرها، فرأت قمراً وقع في حجرها، فلما استيقظ.. أخبَرته، فلطَمها وقال: تتمنَّين ملك يثرِب؟!)[2] ماتت في رمضان سنة خمسين، ودُفنت في البقيع.

قوله: (وجويرية) أي: وهي بنت الحارث الخزاعيَّة، وكانت وقَعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، فكاتبها، فجاءت تسأل النبي ﷺ وعرَّفته بنفسها، فقال: «هل لكِ إلى ما هو خير من ذلك؛ أُؤدي عنك كتابتك وأتزوَّجك؟» قالت: نعم، فسَمع الناس بذلك، فأعتَقوا ما بأيديهم من قومها، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ، قالت عائشة: فما رأينا امرأة كانت أعظمَ في قومها بركة منها، أُعتق بسببها مئة أهل بيت من بني المصطلق[3]. وقسَم لها النبي ﷺ، وكانت بنت عشرين سنة، وتوفيت سنة خمسين.

قوله: (﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ﴾) أي: نساء قريش المنسوبات لأبيك، وقوله: ﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ﴾ أي: نساء بني زهرةَ المنسوبات لأمك. وحكمة إفراد العمِّ والخال دون العمَّة

---

(١) روى البخاري في حديث فتح خيبر (٣٧١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: (فجاء دِحية الكلبي رضي الله عنه، فقال: يا نبي الله؛ أعطني جاريةً من السبي، قال: «اذهب فخُذ جارية»، فأخذ صفية بنت حيي، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله؛ أعطيتَ دحية صفية بنت حيي، سيدة قريظة والنضير، لا تَصلح إلا لك؟! قال: «ادعُوه بها»، فجاء بها، فلما نظر إليها النبي ﷺ.. قال: «خُذ جارية من السبي غيرها»، قال: فأعتقها النبي ﷺ وتزوَّجها، فقال له ثابت: يا أبا حمزة، ما أصدَقها؟ قال: نفسها، أعتقها وتزوجها، حتى إذا كان بالطريق.. جهَّزتها له أُم سليم، فأهدتها له من الليل، فأصبح النبيُّ ﷺ عروساً).

(٢) رواها ابن حبان في «صحيحه» (٥١٩٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه أبو داوود (٣٩٣١) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً ....

بِخِلافِ مَن لَم يُهاجِرنَ، ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً ....

حاشية الصاوي

والخالة: أن العمَّ والخال يَعمَّان إذا أضيفا؛ لكونهما مفردين خاليَين من تاء الوحدة، والعمة والخالة لا يعمَّان؛ لوجود التاء[1].

قوله: (بخلاف مَن لم يهاجرن) أي: فلا يَحللن له، وهذا الحكم كان قبل الفتح حين كانت الهجرة شرطاً في الإسلام، فلمَّا نُسِخَ حكم الهجرة.. نُسِخَ هذا الحكم.

قوله: (﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً﴾) معطوف على مفعول ﴿أَحۡلَلۡنَا﴾ أي: وأمَّا غير المؤمنة.. فلا تحلُّ له، وظاهر الآية: أنَّ النكاح ينعقد في حقِّه ﷺ بالهبة، وحينئذٍ: فيكون من خصوصيَّاته[2].

والنساء اللاتي وهَبن أنفسهن أربع: ميمونة بنت الحارث، وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية، وأم شريك بنت جابر، وخَولة بنت حكيم.

واعلم: أنه يحرم على النبي تزوُّج الحرة الكتابيَّة؛ لما في الحديث: «**سألتُ ربي ألاَّ أزوِّج إلا من كان معي في الجنة، فأعطاني**»[3]، ولقوله تعالى: ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ ولا يَليق أن تكون المشركة أمَّ المؤمنين، ويحرم عليه أيضاً نكاح الأمَة ولو مسلمة؛ لأنَّ نكاحها مشروط بأمرين: خوف العنَت، وعدم وجود مهر الحرة، وكلا الأمرين مَفقود منه ﷺ، وأما تسرِّيه بالأمَة الكتابية.. ففيه خلاف.

---

(١) قد سئل كثيرٌ عن حكمة إفراد العمّ والخال دون العمة والخالة، حتى إنَّ السبكيَّ رحمه الله صنف جزءاً فيه سماه: «بذل الهمة في إفراد العم وجمع العمَّة»، وقد رأيت لهم فيه كلمات ضعيفة كقول الرازي: إنَّ العمَّ والخال على زنة المصدر، وقيل: إنه يعمّ إذا أضيف، والعمة والخالة لا تعمُّ؛ لتاء الوحدة، وهي إن لم تَمنعه حقيقة تأباه ظاهراً، ولا يأباه قوله في سورة (النور): ﴿أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ﴾؛ لأنه على لأصل.
وأحسن منه ما قيل: إنَّ أعمامه ﷺ العباس وحمزة رضي الله عنهما وأبو طالب، وبنات العباس كنَّ ذات أزواج لا يَليق ذكرهن، وحمزة رضي الله عنه أخوه من الرضاع لا تحل له بَناته، وأبو طالب ابنته أمُّ هانئ لم تكن مهاجرة. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٧/ ١٧٨).

(٢) وذهب آخرون: إلى أنه لا ينعقد إلا بِلفظ الإنكاح أو التزويج؛ كما في حقِّ سائر الأُمة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾، وكان اختصاصه في ترك المهر لا في لفظ النكاح. انظر «تفسير الخازن» (٣/ ٤٣١).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٤٨) عن سيدنا عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه بلفظ: «سألتُ ربي عز وجل ألَّا أُزوِّجَ أحداً من أمتي، ولا أتزوَّج إلا كان معي في الجنة، فأعطاني».

إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ

إن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ يَطلُبَ نِكاحها بِغَيرِ صَداقٍ، ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ النِّكاح بِلَفظِ الهِبة مِن غَير صَداقٍ، ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: المُؤمِنين ﴿فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ مِن الأحكام بِأن لا يَزِيدُوا على أربَعِ نِسوةٍ، ولا يَتزوَّجُوا إلَّا بِوَلِيٍّ وشُهُود ومَهرٍ، ﴿وَ﴾ في ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ مِن الإماء بِشِراءٍ وغَيرِه بِأن تَكُونَ الأَمة مِمَّن تَحِلُّ لِمالِكِها كالكِتابِيَّةِ، بِخِلافِ المَجُوسيَّة والوَثَنِيَّة، وأن تُستَبرَأَ قبلَ الوَطء؛ ﴿لِكَيْلَا﴾ ـ مُتعلِّق بِما قبلَ ذلك ـ ﴿يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾: ضِيقٌ في النِّكاح، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾) أظهر في محل الإضمار؛ تشريفاً لهذا الوصف، وإظهاراً لعظمة قدره عنده.

قوله: (﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾) هذا الشرط قيدٌ في الشرط الأول؛ فإنَّ هبتها نفسَها لا توجب حِلَّها إلا إذا أراد نكاحها؛ بأن يحصل منه القبول بعد الهبة، أو يسألَها في ذلك قبل الهبة فتدبَّر.

قوله: (﴿خَالِصَةً﴾) مصدر معمول لمحذوف؛ أي: خلصت لك خالصة، ومجيء المصدر على هذا الوزن كثير؛ ك: العاقبة، والعافية، والكاذبة.

قوله: (من غير صداق) أي: ومن غير وليٍّ وشهود.

قوله: (وغيره) أي: كهبة.

قوله: (بخلاف المجوسية... إلخ) أي: فلا تحل لمالكها إلا إذا استسلمها، وذلك كجواري السودان والحبشة والمغرب؛ لأنهنَّ يُجبرن على الإسلام؛ ولذا لا يجوز للكفار شراؤهنَّ كما هو مقرَّر في الفقه.

قوله: (وأن تستبرأ قبل الوطء) أي: كتابيَّة كانت أو مجوسيَّة.

قوله: (متعلق بما قبل ذلك) أي: وهو قوله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ﴾، والمعنى: أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة؛ لئلا يكون عليك ضيق.

وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ....

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ فِيما يَعسُرُ التَّحرُّزُ عنهُ، ﴿رَّحِيمًا﴾ بالتَّوسِعةِ في ذلك.

﴿٥١﴾ ﴿تُرْجِى﴾ - بِالهمزةِ والياء بَدَلَه -: تُؤَخِّر ﴿مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ أي: أزواجِك عن نَوبَتِها، ﴿وَتُـْٔوِىٓ﴾: تَضُمُّ ﴿إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ مِنهُنَّ فتَأتِيها، ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾: طَلَبتَ ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ مِن القِسمةِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في طَلَبِها وضَمِّها إلَيك، خُيِّرَ في ذلك ....

حاشية الصاوي

قوله: (لما يعسر التحرُّز عنه) أي: لقولهم: إذا ضاق الأمر.. اتَّسع.

قوله: (﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾... إلخ) اتفق المفسرُون على أن المقصود من هذه الآية: التوسعةُ على رسول الله ﷺ في معاشرته لنسائه، واختلفوا في تأويلها، وأصح ما قيل فيها: التوسعة على رسول الله ﷺ في ترك القَسْمِ، فكان لا يجب عليه القَسْم بين زوجاته؛ لما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنتُ أغار على النبي ﷺ على اللاتي وهبن أنفسهنَّ لرسول الله ﷺ، وأقول: أَوَتهب المرأة نفسها لرجل؟ فلما أنزل الله: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ قالت: قلتُ: والله ما أرى ربك إلا يُسارع في هواك)[1].

وقيل: إنَّ ذلك في الواهبات أنفسهنَّ، وحينئذٍ: فيكون المعنى: تأخذ من شئت منهنَّ، وتترك من شئت.

وقيل: إنَّ ذلك في الطلاق، فالمعنى: لك طلاقُ من شئت منهنَّ، وإمساك من شئت. وعلى كلِّ حالٍ: فالآية معناها: التوسعة عليه في أمر النساء.

قوله: (والياء بدله) أي: بدل الهمزة، وحينئذٍ: فهو مرفوع بضمة مُقدرة على الياء، منع من ظهورها الثقل.

قوله: (عن نوبتها) أي: من القسم.

قوله: (﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾... إلخ) أي: التي طلبت ردَّها إلى فِراشك بعد أن عزلتها وأسقطتها من القسمة، فلا جناح عليك.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٨٨).

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾ ....

بعدَ أن كان القَسْمُ واجِباً علَيهِ، ﴿ذَٰلِكَ﴾ التَّخيِيرُ ﴿أَدْنَىٰٓ﴾: أقربُ إلى ﴿أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ﴾ ما ذُكِرَ المُخَيَّرَ فِيه ﴿كُلُّهُنَّ﴾ - تأكِيد لِلفاعِلِ في (يَرضَينَ) -، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ مِن أمرِ النِّساء والمَيلِ إلى بَعضِهِنَّ، وإنَّما خَيَّرناك فِيهِنَّ تَيسِيراً علَيك في كُلِّ ما أَرَدتَ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بِخَلقِه، ﴿حَلِيمًا﴾ عن عِقابِهم.

حاشية الصاوي

قوله: (بعد أن كان القسم واجباً عليه) هذا أحد قولين، وقيل: كان مخيَّراً من أول الأمر ولم يكن واجباً عليه ابتداءً.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾) هذا إشارةٌ إلى حكمة تخييره في القَسْم وعدمِ وجوبه عليه، والمعنى: لم يجب عليه القَسْم بين نسائه مع أنه عدل؛ لأنَّ التخيير أقربُ إلى سكون أعينهنَّ وعدمِ حزنهنَّ، وأقربُ إلى رضائهنَّ بما حصل لهنَّ؛ لأنهنَّ إذا عَلِمن أن الله لم يوجب على النبي شيئاً من القَسْم وحصل منه القَسْم.. سُرِرْنَ بذلك وقنِعْنَ به.

قوله: (تأكيد للفاعل) أي: فهو بالرفع، وهذه قراءة العامَّة، وقرئ شذوذاً بالنصب توكيداً للمفعول[1].

قوله: (﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾) خطابٌ للنبي على جهة التعظيم، ويحتمل أن يُرَادَ العموم.

قوله: (والمَيل إلى بعضهنَّ) أي: بالطبع، فكان يميل إلى بعضهنَّ أكثر من بعض، وكان يقول: «اللهم؛ إنَّ هذا حظي فيما أملك؛ فلا تؤاخذني فيما لا أملك»[2].

واتفق العلماء على أنه ﷺ كان يعدل بينهنَّ في القسمة حتى مات غير سودة رضي الله عنها؛ فإنها وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها.

قوله: (﴿حَلِيمًا﴾ عن عقابهم) أي: يَعلم العيب ويستره، فينبغي للإنسان ألَّا يفرِّط في حقوقه؛

---

(١) وهي قراءة أبي إياس بن عائذ. انظر «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها» (٢/ ١٨٢).

(٢) رواه أبو داوود (٢١٣٤)، والترمذي (١١٤٠)، والنسائي في «المجتبى» (٧/ ٦)، وابن ماجه (١٩٧١) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها، وفيها: (فلا تلمني) بدل (لا تؤاخذني).

لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ....

(٥٢) ﴿لَّا يَحِلُّ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ بعد التِّسعِ التي اختَرنَك، ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ﴾ ـ بِتَركِ إحدَى التَّاءَينِ في الأصل ـ ﴿بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ بِأن تُطَلِّقَهُنَّ أو بَعضَهنَّ وتَنكِح بَدَل مِن طَلَّقت ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ مِن الإماء، فتَحِلُّ لَك، وقد مَلَكَ ﷺ بعدَهُنَّ مارِيَةَ ....

حاشية الصاوي

لأنَّ انتقام الحليم وغضبَهُ أمرٌ عظيم؛ لما في الحديث: «اتقوا غيظ الحليم»[1]، ففي الآية ترغيب وترهيب.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (بعد التسع) أي: بعد اجتماعهنَّ في عصمتك، فهنَّ بمنزلة الأربع لآحاد الأمة، فقد قصر الله نبيَّه عليهنَّ جزاءً لهنَّ على اختيارهنَّ الله ورسوله، وهنَّ التسع اللاتي توفي عنهنَّ، وهنَّ: عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحَفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وصفية بنت حيي، وميمونة بنت الحارث، وزينب بنت جحش، وجُوَيرية بنت الحارث المصطلقية. وقيل: المراد: بعد التخيير.

قوله: (﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾) البدل في الجاهلية: أن يقول الرجل للرجل: تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك، والمراد هنا: نهيُهُ عن المفارقة والإبدال بأيِّ وجهٍ.

قوله: (﴿مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾) (مِن): زائدة في المفعول.

قوله: (﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾) حال من فاعل ﴿تَبَدَّلَ﴾.

قوله: (﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾) استثناء متصل من ﴿ٱلنِّسَآءُ﴾؛ لأنه يتناول الأزواج والإماء، وقيل: منقطع لإخراجه من الأزواج.

قوله: (وقد ملك بعدهنَّ مارية) أي: القبطيَّة، أهداها له المقوقسُ ملك القبط، وهم أهل مصر والإسكندرية، وذلك: أنه ﷺ بعث له حاطب بن أبي بلتعة بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام صُورته:

---

(١) لم أَجِده، وفي «كشف الخفاء» (١/ ١٦٦): («أعوذ بالله من غضب الحليم» ليس بحديث كما زعمه بعضهم).

(٢) قرأ أبو عمرو بالتاء الفوقية، والباقون بالياء التحتية. انظر «السراج المنير» (٣/ ٢٦٤).

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ ....

ووَلَدَت لَهُ إبراهِيم وماتَ في حَياتِه، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾: حَفِيظاً.

حاشية الصاوي

«**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القِبط: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلِم تسلم، وأسلم يُؤتك الله أجرك مرتين؛ فإن توليتَ.. فإنما عليك إثم القبط، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...﴾** [آل عمران: ٦٤] الآية»، فلما جاء حاطب بالكتاب إلى المقوقس.. وجَده في الإسكندرية، فدفعه إليه، فقرأه، ثم جعله في حُقٍّ من عاج، وختَم عليه، ودفعه إلى جارية، ثم كتب جوابَه في كتاب صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط: سلام عليك، أما بعد: فقد قرأتُ كتابك، وفهمت ما ذكرتَ به وما تدعو إليه، وعلمت أن نبيًّا قد بقي، وما كنتُ أظن إلا أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك - أي: فإنه قد دفع له مئة دينار وخمسة أثواب - وبعثتُ لك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم - أي: وهما مارية وسيرين - وعشرين ثوباً من قباطي مصر، وطيباً وعوداً ونَدًّا ومسكاً مع ألف مثقال من الذهب، ومع قدح من قوارير، وبَغلة للركوب).

وأهدى إليه جارية أخرى زيادة على الجاريتين، وخصيًّا يقال له: مابور، والبغلة هي دلدل، وكانت شهباء، وفرساً - وهو اللزاز؛ فإنه سأل حاطباً ما الذي يحبُّ صاحبك من الخيل؟ فقال له: الأشقر، وقد تركت عنده فرساً يقال لها: المرتجز، فانتخب له فرساً من خيل مصر الموصوفة، فأسرج وألجم، وهو فرسه الميمون، وأهدى إليه عسلاً من عسل بِنْهَا - قرية من قرى مصر - فأُعجب به ﷺ وقال: «**إن كان هذا عسلكم.. فهذا أحلَى**»، ثم دعا فيه بالبركة[1].

قوله: (ووَلدت له إبراهيم) أي: في ذي الحجة سنة ثمان، وعاش سبعين يوماً، وقيل: سنة وعشرة أشهر[2]، وقوله: (ومات في حياته) أي: ولم يُصلِّ عليه بنفسه، بل أمرهم فصلُّوا عليه[3].

---

(١) انظر خبر كتابه ﷺ للمُقوقس ملك القِبط وهدايا المقوقس له في «السيرة الحلبية» (٣/ ٣٥٢).

(٢) كما نقَله العلامة ابن حجر الهيتمي في «المنح المكية شرح الهمزية» (ص٦١٧).

(٣) كما في رواية أبي داوود (٣١٨٧) عن سيدتنا عائشة، قالت: «مات إبراهيم ابن النبي ﷺ، وهو ابن ثمانية عشر شهراً فلم يُصل عليه رسول الله ﷺ»، ونقَل العلامة الصالحي الشامي في «سُبل الهدى والرشاد» (١١/ ٢٤) روايات صلاته ﷺ على ابنه سيدنا إبراهيم، ثم قال: (وهذه الطرق يُقوي بعضها بعضاً).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ

(٥٣) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ في الدُّخُول بالدُّعاءِ ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ﴾، فتَدخُلُوا ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ﴾: مُنتَظِرِينَ ﴿إِنَىٰهُ﴾: نُضجَه، مَصدَر (أَنى يَأني)، . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾ . . . إلخ) هذه الآية نزلت في شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله ﷺ.

عن أنس بن مالك قال: (كنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، وكان أول ما أُنزل في بناء رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش، حين أصبح النبي ﷺ بها عروساً، فدعا القوم، فأصابوا من الطعام، ثم خرجوا وبقي رهطٌ عند النبي ﷺ، فأطالوا المكث، فقام رسول الله ﷺ، فخرج وخرجتُ معه؛ لكي يخرجوا، فمشى النبي ﷺ ومشيتُ حتى جاء عتبة حجرة عائشة، ثم ظنَّ أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعتُ معه، حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يَقوموا، فرجع النبي ﷺ ورجعت حتى إذا بلغ حجرة عائشة، وظنَّ أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعتُ معه فإذا هم قد خرجوا، فضرب النبي ﷺ بيني وبينه الستر، وأنزل الحجاب)[1].

قوله: (﴿إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾) أي: إلا بسبب الإذن لكم.

قوله: (﴿إِلَىٰ طَعَامٍ﴾) متعلق بـ﴿يُؤْذَنَ﴾؛ لتضمينه معنى (يدعى) كما قدَّره المفسِّر.

قوله: (فتدخلوا ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾) هذا التقدير غير مناسب؛ لأنه يقتضي أنَّ الدخول مع الإذن لا يجوز معه انتظار نضجِ الطعام مع أنه يجوز، فالمناسب حذف هذا التقدير؛ إذ هذه الآية نزلت في قوم كانوا يَدخلون من غير إذن، وينتظرون نضج الطعام، فنَهاهم الله عن كلٍّ من الأمرين.

والحاصل: أنَّ أسباب النزول في هذه الآيات تعدَّدت، منها: أن قوماً كانوا يدخلون بيوتَ النبي بغير دعوى وينتظرون نضج الطعام.

ومنها: أن قوماً كانوا يدخلون بإذن ويتخلَّفون بعدما طَعموا مستأنسين لحديث.

ومنها: مؤاكلة الأجانب مع رسول الله بحُضور زوجاته. فنزلت آية الحجاب، ونهي عن ذلك كلِّه، وهذه آيات الحجاب لخصوص أمهات المؤمنين، وأما لِعموم الأمة. . فقد تقدَّمت في سورة (النور)، تأمَّل.

قوله: (مصدر: أنى يأني) أي: من باب (رَمى)، وقياس مصدره: (أَنْيٌ) لكنه لم يُسمع، وإنما المسموع (إِنىً) بالكسر والقصر.

---

(١) رواه البخاري (٥١٦٦).

وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ....

﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا﴾ تَمكُثُوا ﴿مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ مِن بَعضِكُم لِبَعضٍ، ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ المُكثَ ﴿كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾ أن يُخرِجَكُم، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أن يُخرِجَكُم، أي: لا يَترُكُ بَيانَه، ـ وقُرِئ: (يَستَحِي) بِياءٍ واحِدة ـ، ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ أي: أزواجَ النَّبيِّ ﷺ ﴿مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾: سِترٍ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ﴾) أي: أكلتُم الطعام.

قوله: (﴿فَٱنتَشِرُوا۟﴾) أي: اذهبوا حيث شِئتم في الحال، ولا تمكثوا بعد الأكل والشرب.

قوله: (﴿وَلَا﴾ تمكثوا ﴿مُسْتَـْٔنِسِينَ﴾) أشار بذلك إلى أن ﴿مُسْتَـْٔنِسِينَ﴾ حال من محذوف، وذلك المحذوف معطوف على (انتشروا)[1].

قوله: (﴿كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾) أي: لتَضييقه عليه.

قوله: (﴿فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾) أي: من إخراجكم.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾) المراد بـ(الحق): إخراجكم من منزله، وأطلق الاستحياء في حقِّ الله وأُرِيدَ لازمه، وهو ترك البيان.

قوله: (**بياء واحدة**) أي: قراءة شاذَّة[2].

قوله: (﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾) روي: أنَّ عمر قال: يا رسول الله؛ يَدخل عليك البرُّ والفاجر؛ فلو أمرْتَ أمَّهات المؤمنين بالحجاب، فنزَلت[3].

(١) ويجوز أن يكون معطوفاً على حال مقدرة؛ أي: لا تدخلوا هاجمين ولا مُستأنسين، وأن يكون مجروراً عطفاً على (ناظرين) أي: غيرَ ناظرين وغير مستأنسين. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٤٠).

(٢) هي رواية عن ابن كثير، وهي لغة تميم، يقولون: استَحى يَستحي، مثل: استقى يستقي. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٤٠).

(٣) رواه البخاري (٤٧٩٠) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ ....

﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ مِنَ الخَوَاطِرِ المُرِيبَةِ، ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ بِشَيْءٍ، ﴿وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ﴾ ....

حاشية الصاوي

وروي: أنَّ رسول الله ﷺ كان يأكل ومعه بعض أصحابه، فأصابت يدُ رجلٍ منهم يدَ عائشة وهي تأكل معهم، فكره النبي ذلك، فنزلت هذه الآية[١].

قوله: (﴿ذَٰلِكُمْ﴾) أي: ما ذُكر من عدم الدخول بغير إذن، وعدمِ الاستئناس للحديث، وسؤال المتاع من وراء الحجاب.

قوله: (من الخواطر المريبة) أي: أنقى وأبعد لدفع الريبة والتهمة، وهو يدلُّ على أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يثقَ بنفسه في الخلوة مع مَنْ لا تحلُّ له؛ فإنَّ مجانبة ذلك أحسنُ لحاله، وأحصنُ لنفسه.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾) أي: ما صحَّ وما استقام لكم، وقوله: ﴿أَن تُؤْذُوا﴾ هو اسم ﴿كَانَ﴾، و﴿لَكُمْ﴾ خبرها، و﴿أَن تَنكِحُوا﴾ عطف على اسم ﴿كَانَ﴾. نزلت هذه الآية في رجل من الصحابة يقال له: طلحة بن عُبيد الله، قال في سرِّه: إذا قبض رسول الله ﷺ.. نكحت عائشة، ثمَّ ندم هذا الرجل، ومشى إلى مكة على رِجليه، وحمل على عشرة أفراس في سبيل الله، وأعتق رقيقاً، فكفَّر الله عنه[٢].

قوله: (﴿مِن بَعْدِهِ﴾) أي: بعد وفاته، أو فِراقه ولو قبل الدخول بها؛ لأنَّ كلَّ مَنْ عقد عليها رسول الله ﷺ يتأبَّد تحريمها على أُمَّته، وأمَّا إماؤه.. فلا يَحرمْنَ على غيره إلا بمسِّه لهنَّ.

---

(١) نقله ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٧٩) عن مجاهد.

(٢) كذا نقل القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٢٨) عن مقاتل بن سليمان ومعمر، ونقل العلامة ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (٢٢/ ٩٣) قولَ ابن عطية: (هذا عندي لا يصح على طلحة، والله عاصِمه من ذلك)، ثم قال: (وأقول: لا شكَّ أنه من موضوعات الذين يَطعنون في طلحة بن عبيد الله، وهذه الأخبار واهية الأسانيد، ودلائل الوضع واضحة؛ فإنَّ طلحة إن كان قال ذلك بلسانه.. لم يكن ليخفى على الناس؛ فكيف يتفرد بروايته من انفرد؟! وإن كان خطر ذلك في نفسه ولم يَتكلم به.. فمَن ذا الذي اطلع على ما في قلبه؟! وليس بمتعين أن يكون لنزول هذه الآية سبب؛ فإن كان لها سبب.. فلا شك أنه قولُ بعض المنافقين؛ لما يؤذن به قوله تعالى عقب هذه الآيات: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ...﴾ الآية).

أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ ....

أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ذنباً ﴿عَظِيمًا﴾.

﴿٥٤﴾ ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ مِن نِكاحِهِنَّ بعدَه، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ فيُجازِيكُم عليه.

﴿٥٥﴾ ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ أي: المُؤمِناتِ، ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ﴾ مِن الإماءِ والعَبِيد أن يَروهُنَّ ويُكلِّمُوهُنَّ مِن غَير حِجابٍ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾) أي: ما ذُكِرَ من إيذائه ونكاحِ أزواجه من بعده.

قوله: (﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا﴾) أي: تظهروه على ألسنتكم، وقوله: ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أي: في صدوركم، وقوله: (فيُجازيكم عليه) جواب الشرط، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ تعليلٌ للجواب، وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

قوله: (﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ﴾... إلخ) هذا في المعنى مستثنى من قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا...﴾ الآية.

روي: أنه لما نزلت آية الحجاب.. قال آباؤهنَّ وأبناؤهنَّ: يا رسول الله؛ أَوَنكلمهنَّ أيضاً من وراء حجاب؟ فنزلت هذه الآية، وقوله: (﴿فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ﴾) أي: أصولهنَّ وإن عَلَوْنَ[1]، وقوله (﴿وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ﴾) المراد: فروعهنَّ وإن سَفلوا.

قوله: (﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾) الإضافة من حيث المشاركة في الوصف وهو الإسلام، فقول المفسِّر: (أي: المؤمنات) تفسيرٌ للمضاف، ومَفهومه: أنَّ النساء الكافرات لا يجوز لهنَّ النظر لأزواج النبي وهو كذلك، ولا مفهوم لأزواج النبي، بل جميع النساء المسلمات كذلك؛ فلا يحلُّ للمسلمة أن تبدي شيئاً منها للكافرة؛ لئلا تَصفها لزوجها الكافر.

(١) كذا في الأصول، ولعل الصواب: (علوا).

وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ ....

﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ﴾ فِيما أُمِرتُنَّ بِهِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾ لا يَخفَى علَيهِ شيء.

﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ مُحمَّد ﷺ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ﴾) عطف على محذوف، والتقدير: امتثِلن ما أُمِرْتنَّ به واتقين الله.

وحكمة تخصيص الحجاب هنا بأمهات المؤمنين وإن تقدَّم في سورة (النور) عموماً: دفعُ توهُّم أنَّ أزواج النبي كالأمهات من كلِّ وجهٍ، فأفاد هنا أنهنَّ كالأمهات في التعظيم والتوقير، لا في الخلوة والنظر؛ فإنهنَّ كالأجانب، بل هنَّ أشدُّ، فذكر لهنَّ حجاباً مخصوصاً؛ فلا يقال: إنه مكرَّر مع ما تقدَّم في (النور).

قوله: (لا يخفى عليه شيء) أي: من الطاعات والمعاصي الظاهرة والخفيَّة.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾... إلخ) هذه الآية فيها أعظمُ دليلٍ على أنه ﷺ مَهبطُ الرحمات، وأفضلُ الخَلق على الإطلاق؛ إذ الصلاة من الله على نبيِّه: رحمته المقرونة بالتعظيم، ومِن الله على غير النبي: مطلق الرحمة؛ لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، فانظر الفرق بين الصلاتين، والفضلَ بين المقامين.

قوله: (﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾) بالنصب معطوف على اسم (إن)، وقوله: ﴿يُصَلُّونَ﴾ خبرٌ عن الملائكة، وخبر لفظ الجلالة محذوفٌ تقديره: إنَّ الله يُصلي، وملائكته يصلون، وهذا هو الأتمُّ؛ لتغاير الصلاتين[1].

والمراد بالملائكة: جميعهم، والصلاة من الملائكة: الدعاء للنبي بما يَليق به، وهو الرحمة المقرونة بالتعظيم، وحينئذٍ: فقد وَسعت رحمة النبي كل شيء تبعاً لرحمة الله، فصار بذلك مَهبط الرحمات ومنبع التَّجلِّيات.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾) أي: ادعوا له بما يَليق به، وحكمة صلاة الملائكة والمؤمنين على النبي: تشريفُهم بذلك؛ حيث اقتدَوا بالله في مطلق الصلاة، وإظهارُ تعظيمه ﷺ، ومكافأةٌ لبعض حقوقه على الخلق؛ لأنه الواسطة العظمى في كلِّ نعمةٍ وصلت لهم، وحقٍّ

(١) أي: من جعل (يصلون) خبراً عن اسم الجلالة والملائكة.

وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ....

﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي: قُولُوا: اللَّهُمَّ صلِّ على مُحمَّد وسَلِّم.

حاشية الصاوي

على مَنْ وصل له نعمةٌ من شخص أن يُكافئه، فصلاة جميع الخلق عليه مكافأة لبَعض ما يجب عليهم من حقوقه.

إن قلتَ: إنَّ صلاتهم طلبٌ من الله أن يصلي عليه، وهو مُصلٍّ عليه مطلقاً؛ طلبوا أو لا.

أجيب: بأنَّ الخلق لما كانوا عاجزين عن مكافأته ﷺ.. طلبوا من القادر المالك أن يكافئه، ولا شكَّ أن الصلاة الواصِلة للنبي من الله لا تقف عند حدٍّ، فكلما طُلِبَتْ من الله.. زادت على نبيِّه، فهي دائمةٌ بدوام الله.

قوله: (﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾) إن قلتَ: خصَّ السلام بالمؤمنين دون الله والملائكة.

أجيب: بأنَّ هذه الآية لما ذكرت عَقب ذكر ما يؤذي النبي، والأذيَّة إنما هي من البشر.. فناسب التخصيص بهم؛ لأنَّ في السلام سلامةً من الآفات. وأكَّد السلام دون الصلاة؛ لأنها لما أُسنِدَتْ لله وملائكته.. كانت غنيَّةً عن التأكيد.

واعلم: أن العلماء اتَّفقوا على وجوب الصلاة والسلام على النبي ﷺ، ثمَّ اختَلفوا في تعيين الواجب؛ فعند مالك: تجب الصلاة والسلام في العُمر مرة، وعند الشافعي تجب في التشهد الأخير من كل فرض، وعند غيرهما: تَجب في كل مجلس مرَّة، وقيل: تجب عند ذكره، وقيل: يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد[١].

وبالجملة: فالصلاة على النبي أمرُها عظيمٌ، وفَضلها جسيمٌ، وهي من أفضل الطاعات، وأجلِّ القربات، حتى قال بعض العارفين: إنها توصل إلى الله تعالى من غير شيخ؛ لأنَّ الشيخ والسَّند فيها صاحبُها؛ لأنها تُعْرَض عليه، ويُصلِّي على المصلي، بخلاف غيرها من الأذكار؛ فلا بدَّ فيها من الشيخ العارف، وإلَّا.. دخلها الشيطان، ولم يَنتفع صاحبها بها.

قوله: (**أي: قولوا: اللهم؛ صلِّ على محمد وسلم**) أي: اجمعوا بين الصلاة والسلام، وصِيَغ الصلاة على النبي ﷺ كثيرةٌ لا تحصى، وأفضلها: ما ذُكِرَ فيه لفظ الآل والصحب؛ فمن تمسَّك بأيِّ صيغة منها.. حصَل له الخير العظيم.

---

(١) انظر «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» (١/ ١٤)، و«الأم» (١/ ١٤٠)، و«حاشية ابن عابدين» (١/ ٥١٦).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ ....

﴿٥٧﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وهُم الكُفَّار يَصِفُونَ الله بِما هو مُنَزَّه عنهُ مِن الوَلَد والشَّرِيكِ، ويُكَذِّبُونَ رَسُولَه، ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: أبعَدَهُم، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾: ذَا إهانةٍ وهو النَّار.

﴿٥٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾: يَرمُونَهُم بِغَيرِ ما عَمِلُوا، ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا﴾: تَحمَّلُوا كَذِباً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: بَيِّناً.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾) الإيذاء في حقِّ الله معناه: تعدِّي حدوده[1]، وفي حقِّ الرسول ظاهرٌ.

قوله: (وهم الكفار) أي: اليهود والنصارى والمشركون.

قوله: (﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا﴾) أي: بِحَجْبِهم عن التوحيد والطاعة، وقوله: (﴿وَالْآخِرَةِ﴾) أي: بتخليدهم في العذاب الدائم.

قوله: (أبعدهم) أي: عن رحمته.

قوله: (ذا إهانة) أي: هَوان واستخفاف.

قوله: (﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ﴾... إلخ) قيل: نزلت في علي بن أبي طالب، كانوا يؤذونه ويُسمعونه، وقيل: نزلت في شأن عائشة رضي الله عنها، وقيل: نزلت في شأن المنافقين الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يَطلبون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهنَّ؛ فإن سكتت المرأة.. اتبعوها، وإن زَجرتهم.. انتهوا عنها[2].

وفي هذه الآية زجرٌ لمن يسيء الظنَّ بالمؤمنين والمؤمنات، ويتكلَّم فيهم من غير عِلم، وهي بمعنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

---

(١) وقالت فرقة: ذلك على حذف مضاف، تقديره: يؤذون أولياء الله. «تفسير القرطبي» (١٤/ ٢٣٨).

(٢) انظر الأقوال الثلاثة في «زاد المسير» (٣/ ٤٨٣).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ ....

﴿٥٩﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾: جمع (جِلباب) وهي المُلاءة الَّتي تَشتَمِل بِها المَرأةُ، أي: يُرخِينَ بَعضَها على الوُجُوه إذا خَرَجنَ لِحاجَتِهِنَّ إلَّا عَيناً واحِدة، ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ﴾: أقرَبُ إلى ﴿أَن يُعۡرَفۡنَ﴾ بِأنَّهُنَّ حَرائِر، ﴿فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ بِالتَّعَرُّضِ لَهُنَّ بِخِلافِ الإماء، فلا يُغَطِّينَ وُجُوهَهُنَّ، فكان المُنافِقُون يَتعرَّضُون لَهُنَّ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا﴾ لِما سَلَفَ مِنهُنَّ مِن تَركِ السَّترِ، ﴿رَّحِيمٗا﴾ بِهِنَّ إذ سَتَرَهُنَّ.

﴿٦٠﴾ ﴿لَّئِن﴾ - لام قَسَم - ﴿لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ عن نِفاقِهِم ﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾... إلخ) سبب نزولها: أنَّ المنافقين كانوا يتعرَّضون للنساء بالأذية يُريدون منهنَّ الزنا، ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء، ولكن كانوا لا يَعرفون الحرَّة من الأمة؛ لأنَّ زيَّ الكل واحد، تخرج الحرة والأَمَة في درع وخمار، فشكَون ذلك لأزواجهنَّ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت[1].

قوله: (﴿يُدۡنِينَ﴾) أي: يُرخِين ويغطِّين.

قوله: (التي تَشتمل بها) أي: تتغطَّى وتسْتَتِرُ بها المرأة من فوق الدرع والخمار.

قوله: (فلا يغطين وجوههنَّ) أي: فكنَّ لا يغطِّين وجوههنَّ. وهذا فيما مضى، وأمَّا الآن.. فالواجب على الحُرة والأمة الستر بثياب غير مزيَّنة خوفَ الفتنة.

قوله: (لما سلف منهنَّ من ترك الستر) ورد: أنَّ عمر بن الخطاب مرَّ بجارية متقنِّعةٍ، فعلاها بالدِّرَّة وقال لها: أتتشبَّهين بالحرائر يا لَكَاع؟ ألقي القِناع[2].

قوله: (﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾) أي: كعبد الله بن أبيٍّ وأصحابه.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾) أي: فجورٌ، وهم الزُّناة، وهم من جملة المنافقين.

---

(١) انظر «تفسير الطبري» (٢٠/٣٢٦).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٣/٤٣٧)، ولَكَاع: كلمة تقال لمن يستحقر به مثل العبد والأمة والخامل والقليل العقل؛ مثل قولك: يا خسيس.

وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ ....

بِالزنى، ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ المُؤمِنِين بِقَولِهِم: قد أتاكُم العَدُوُّ وسَراياكُم قُتِلُوا أو هُزِمُوا، ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: لَنُسَلِّطَنَّك علَيهِم، ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾: يُساكِنُونك ﴿فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثُمَّ يَخرُجُون.

﴿٦١﴾ ﴿مَّلْعُونِينَ﴾: مُبعَدِينَ عن الرَّحمةِ ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟﴾: وُجِدُوا ﴿أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ أي: الحُكمُ فِيهِم هذا على جِهة الأمر بِه.

﴿٦٢﴾ ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي: سَنَّ الله ذلك ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ مِن الأُمَم الماضِيةِ في مُنافِقِيهِم المُرجِفِينَ المُؤمِنِين، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾) أي: بالكذب، وذلك: أنَّ ناساً منهم كانوا إذا خرجت سراياه ﷺ. . يوقعون في الناس أنهم قد قُتلوا وهزموا، ويقولون: قد أتاكم العدو.

قوله: (لنسلطنَّك عليهم) أي: فتُخرجهم من مجلسك وتقتلهم، وقد فعل لهم ﷺ ذلك؛ فإنه لما نزلت سورة (براءة). . جمعهم وصَعد على المنبر فقال النبي ﷺ: «**يا فلان قُم فاخرج؛ فإنك منافق، ويا فلان قم**»[1]، فقام إخوانهم من المسلمين وتَولَّوا إخراجهم من المسجد.

قوله: (﴿مَّلْعُونِينَ﴾) حال من محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (ثم يخرجون)[2].

قوله: (**أي: الحكم فيهم هذا**) أي: الأخذ والقتل.

قوله: (**على جهة الأمر به**) أي: إنَّ الآية خبرٌ بمعنى الأمر.

قوله: (**أي: سنَّ الله ذلك**) أشار بذلك إلى أن ﴿سُنَّةَ﴾ مصدر مؤكِّد، وفيه تَسليةٌ للنبي؛ أي: فلا تحزن على وجود المنافقين في قَومك؛ فإنه سنَّة قديمة؛ كما كان في قوم موسى منهم موسى السامري وأتباعه، وقارُون وأتباعه.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ ٢٤١) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ويجوز أن يكون منصوباً بـ(أخذوا) الذي هو جواب الشرط، وهذا عند الكسائي والفراء؛ فإنهما يجيزان تقديم معمول الجواب على أداة الشرط نحو: خيراً إن تأتني تُصب. وقد منع الزمخشري ذلك فقال: ولا يصح أن ينتصب بـ(أخذوا)؛ لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها. وهذا منه مشي على الجادة. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٤٣).

وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٦٢﴾ يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ....

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ مِنهُ.

﴿٦٣﴾ ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ﴾ أهلُ مكَّة ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾ متَى تَكُون؟ ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ﴾: يُعلِمُك بِها أي: أنتَ لا تَعلَمُها، ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ﴾: تُوجَد ﴿قَرِيبًا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾) أي: تغييراً ونسخاً؛ لكونها بُنِيَت على أساس متين، فليست مثل الأحكام التي تتبدَّل وتُنْسَخُ.

قوله: (﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ﴾) أي: على سَبيل الاستهزاء والسخرية؛ لأنهم ينكرونها.

واعلم: أنَّ السائلَ للنبي عن الساعة أهلُ مكة واليهود، فسؤالُ أهل مكة استهزاءٌ، وسؤال اليهود امتِحان؛ لأنَّ الله أخفى علمها في التوراة؛ فإن أجابهم بالتعيين.. ثبت عندهم كذبُه، وإن أجابهم بقوله: علمها عند ربي مثلاً.. ثبتت نبوَّته وصدقه؛ فقول المفسِّر: (أي: أهل مكة) أي: واليهود.

قوله: (﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾) أي: عن أصل ثبوتها، وعن وقت قيامها.

قوله: (﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾) أي: لم يُطْلِع عليها أحداً، وهذا إنما هو وقت السؤال، وإلا.. فلم يخرج نبيُّنا ﷺ من الدنيا حتى أطلَعه الله على جميع المغيَّبات، ومن جملتها الساعة، لكن أُمِرَ بكتم ذلك[1].

قوله: (﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾) (ما): استفهامية مبتدأ، وجملة ﴿يُدۡرِيكَ﴾: خبره، والاستفهام إنكاريٌّ.

قوله: (﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾) ﴿لَعَلَّ﴾: حرف ترجٍّ ونصب، و﴿ٱلسَّاعَةَ﴾: اسمها، وجملة ﴿تَكُونُ﴾ خبرها، و﴿قَرِيبًا﴾: حال، و﴿تَكُونُ﴾: تامة؛ ولذا فسَّرها بـ(توجد)[2]، والمعنى: قُل: أترجَّي وجود الساعة عن قريب؟ فكلٌّ منهما جملة مستقلة؛ لما ورد: «أن الدنيا سبعة آلاف سنة، بُعث رسول الله في الألف السابع»[3]، فلم يبقَ من الدنيا إلا القليل.

---

(١) وهو الذي نقله الإمام اللقاني في «هداية المريد لجوهرة التوحيد» (٢/ ٩٧٥) عن جمعٍ.

(٢) الظاهر أن (قريباً) خبر كان على حذف موصوف؛ أي: شيئاً قريباً، وقيل: التقدير: قيام الساعة، فروعيت الساعة في تأنيث (تكون)، وروعي المضاف المحذوف في تذكير (قريباً)، وقيل: (قريباً) كثر استعماله استعمال الظروف، فهو هنا ظرف في موضع الخبر. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٤٣).

(٣) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٣٦) بلفظ: «الدنيا سبعة آلاف سنة، أنا في آخرها ألفاً»، وروى الحاكم =

إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا ....

(﴿٦٤﴾ - ﴿٦٦﴾) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أبعدهم، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾: ناراً شديدة يدخلونها، ﴿خَٰلِدِينَ﴾: مُقدَّراً خُلُودُهُم ﴿فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظهُم عنها، ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفعُها عنهُم، ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَا﴾ ـ لِلتَّنبيه ـ ﴿لَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾.

﴿٦٧﴾ ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: الأتباع مِنهُم: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أبعدهم) أي: عن رحمته.

قوله: (مقدَّراً خلودهم) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال مقدَّرة.

قوله: (﴿فِيهَآ﴾) أي: في السَّعير، وأنَّثه مراعاةً لمعناه.

قوله: (﴿أَبَدًا﴾) تأكيد لما استفيد من قوله: ﴿خَٰلِدِينَ﴾.

قوله: (﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ﴾) إمَّا ظرف لـ﴿خَٰلِدِينَ﴾، أو لـ﴿يَقُولُونَ﴾ مُقدَّم عليه، والمعنى: تصرف من جهة إلى جهة كاللحم يُشوى بالنار.

قوله: (﴿يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ﴾) كلامٌ مستأنفٌ واقعٌ في جواب سؤال مقدَّر، كأنه قيل: ماذا صَنعوا عند ذلك؟ فقيل: يقولون متحسِّرين على ما فاتهم: يا ليتنا... إلخ.

قوله: (﴿وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾) بألف بعد اللام ودونها هنا وفي قوله: ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾، قراءتان سبعيَّتان، وتقدَّم التَّنبيه على ذلك[1].

قوله: (﴿سَادَتَنَا﴾) جمع إما لـ(سيِّد)، أو لـ(سائد) على غير قياس.

= في «المستدرك» (٢/٥٩٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم رسول الله ﷺ المدينة واليهودُ تقول: إنما هذه الدنيا سبعة آلاف سنة».

(١) قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بإثبات ألف لام (الرسول) في قوله: ﴿وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾، ولام (السبيل) في قوله: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ وصلاً ووقفاً موافقة للرسم؛ لأنهن رُسمن في المصحف كذلك، وقرأ أبو عمرو وحمزة بحذفها في الحالين؛ لأنها لا أصل لها، والباقون بإثباتها وقفاً وحذفها وصلاً. انظر «الدر المصون» (٩/٩٨).

وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ....

ـ وفي قِراءة: (ساداتِنا) جَمع الجَمع ـ ﴿وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾: طَرِيقَ الهُدَى.

﴿٦٨﴾ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: مِثْلَي عَذابِنا، ﴿وَٱلْعَنْهُمْ﴾: عَذِّبْهُم ﴿لَعْنًا كَثِيرًا﴾ عَدَدُه، ـ وفي قِراءة بِالمُوحَّدة ـ أي: عَظيماً.

﴿٦٩﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟﴾ مَع نَبِيِّكُم ﴿كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ بِقَولِهِم مَثلاً: ما يَمنَعهُ أن يَغتَسِل مَعنا إلَّا أنَّهُ آدَرُ، ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟﴾ بِأن وضَعَ ثَوبه على حَجر لِيَغتَسِل، ففَرَّ

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (جمع الجمع) أي: جمع تصحيح بالألف والتاء لـ: (سادة) الذي مفرده إمَّا (سيِّد)، أو (سائد).

قوله: (أي: مِثْلَيْ عذابنا) أي: لأنَّهم ضلُّوا وأضلُّوا.

قوله: (وفي قراءة بالموحدة) أي: وهما سبعيَّتان[2].

قوله: (ما يمنعه أن يغتسل معنا... إلخ) أي: لما روي: (أنَّ بني إسرائيل كانوا يغتسلون عُراة ينظر بعضهم إلى سوءة بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، فذهب يوماً يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففرَّ الحجر بثوبه، فجعل موسى عليه السلام يغدُو إثره يقول: «ثوبي حجرُ، ثوبي حجرُ» حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سَوءة موسى، فقالوا: والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر حتى نظروا إليه، فأخذ ثوبَه، فاستتر به وصفق بالحجر ضرباً. قال أبو هريرة: والله إنَّ به ندباً ـ أي: أثراً ـ ستة أو سبعة من ضرب موسى)[3].

قوله: (﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ﴾) أي: أظهر براءته لهم.

---

(١) قرأ ابن عامر في آخرين بالجمع بالألف والتاء، والباقون: «سادتنا» على أنه جمع تكسير غير مجموع بألف وتاء. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٤٤).

(٢) قرأ عاصم بالباء الموحدة؛ أي: لعناً هو أشد اللعن وأعظمه، والباقون بالثاء المثلثة؛ أي: كثير العدد. انظر «السراج المنير» (٣/ ٢٧٣).

(٣) رواه البخاري (٢٧٨).

وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ....

الحَجرُ بِه حتَّى وقَف بين مَلأ مِن بَني إسرائِيل، فأدرَكَهُ مُوسى، فأخَذَ ثَوبه فاستَتَرَ بِه، فرَأوهُ ولا أُدرةَ بِه، وهي نَفخةٌ في الخُصية، ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ ذَا جاهٍ. ومِمَّا أُوذِيَ به نَبِيُّنا ﷺ أنَّهُ قَسَم قَسماً فقال رَجُل: هَذه قِسمةٌ ما أُرِيد بِها وجهُ الله تَعالى، فغَضِبَ النَّبِيُّ مِن ذلك وقال: «يَرحَم الله مُوسى، لَقد أُوذِيَ بِأكثَرَ مِن هذا فصَبَر». رَواه البُخاريُّ.

(﴿٧٠﴾ - ﴿٧١﴾) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾: صَواباً، ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾: يَتقبَّلها، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: نالَ غايةَ مَطلُوبه.

﴿٧٢﴾ ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾: الصَّلَواتِ وغَيرَها مِمَّا في فِعلها ....

حاشية الصاوي

قوله: (وهي نفخة في الخصية) أي: بسبب انصباب مادّة أو ريح غليظ فيها.

قوله: (﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾) المراد: عنديَّة مكانة وقَدر، لا مكان.

قوله: (فغضب النّبيّ من ذلك) أي: وقال كما في رواية: «**إن لم أعدِل من يعدل؟ خسرت وندمت إن لم أعدِل**»[1].

قوله: (﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾) المراد: قولاً فيه رضا الله؛ بأن يكون ممَّا يعني الإنسان، فدخل في ذلك جميع الطاعات القوليَّة، وهذا التفسير أتمُّ من غيره.

قوله: (يتقبلها) أي: يُثيبكم عليها.

قوله: (﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾) أي: يَمحوها من الصحف، أو يسترها عن الملائكة.

قوله: (﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾) اختلف في المراد بالأمانة: فأحسن ما قيل فيها: التكاليف الشرعيَّة، وقيل: إنها قَواعد الدين الخمس، وقيل: هي الودائع، وقيل: الفرج، وقيل غير ذلك.

---

(١) رواه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري ﷺ، وفيهما: (قد خبت وخسرتُ إن لم أكن أعدل).

عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ....

مِن الثَّواب وتَركِها مِن العِقاب ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ بِأن خَلَقَ فِيها فهماً ونُطقاً، ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾: خِفنَ ﴿مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾: آدمُ بعدَ عَرضِها علَيهِ، ....

حاشية الصاوي

روي: أنَّ الله قال للسماوات والأرض والجِبال: «أتحمِلن هذه الأمانة بما فيها؟» قُلن: وما فيها؟ قال: «إن أحسنتُنَّ.. جوزيتنَّ، وإن عصيتنَّ.. عُوقبتنَّ»، قلن: لا يا رب، نحن مُسخَّرات لأمرك، لا نريد ثواباً ولا عقاباً، وقلن ذلك؛ خوفاً وخشية وتعظيماً لدين الله؛ لئلا يَقمن بها، لا معصية ولا مخالفة لأمره، وكان العرض عليهنَّ تخييراً لا إلزاماً، ولو ألزمهنَّ.. لم يمتنعن من حملها[1].

قوله: (من الثواب) بيان لـ(ما) أي: عرضناها مع الثواب والعقاب على السماوات... إلخ.

قوله: (بأن خلق فيها فهماً) أي: حتى عَقلت الخطاب، وقوله: (ونطقاً) أي: حتى ردَّت الجواب.

قوله: (﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾) أي: استصغاراً وخوفاً من عدم الوفاء بها، فليس إباؤهنَّ كإباء إبليس من السجود لآدم؛ لأنَّ السجود كان فرضاً، والأمانة كانت عرضاً، وإباؤه استكبار، وإباؤهنَّ استصغار.

قوله: (﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾) أي: خِفْنَ من عدم القيام بها، وعدم أدائها.

قوله: (﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾) عطف على محذوف، تقديره: فعَرضناها على الإنسان فحملها.

قوله: (بعد عرضها عليه) روي: أنَّ الله عزَّ وجلَّ قال لآدم: «إني عرضتُ الأمانة على السماوات والأرض والجبال، فلم تُطقها، فهل أنت آخذها بما فيها؟» قال: يا ربِّ؛ وما فيها؟ قال: «إن أحسنتَ.. جوزيت، وإن أسأت.. عوقبت»، فحمَلها آدم فقال: بين أذني وعاتقي، قال الله تعالى: «أمَّا إذا تحمَّلت.. فسأعينك، وأجعل لِبصرك حجاباً؛ فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحلُّ.. فأرْخِ عليه حجابه، وأجعل للسانك لَحيين وغلافاً؛ فإذا خَشيت.. فأغلق عليه، وأجعل لفرجك لباساً؛ فلا تَكشفه على ما حرمتُ عليك». قال مجاهد: فما كان بين أن تحمَّلها وبين أن أخرج من الجنة إلا مقدار ما بين الظهر إلى العصر[2].

---

(١) رواه البغوي في «تفسيره» (٦/ ٣٨٠).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٦/ ٣٨١)، و«الخازن» (٣/ ٤٣٩).

إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لِنفسِه بِما حَمَلَهُ، ﴿جَهُولًا﴾ بِه.

﴿٧٣﴾ ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ﴾ - اللَّام مُتعلِّقة بِـ﴿عَرَضْنَا﴾ المُتَرتِّب علَيهِ حَملُ آدمَ - ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾: المُضَيِّعِين الأمانةَ، ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: المُؤدِّين الأمانةَ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لِلمُؤمِنين، ﴿رَّحِيمًا﴾ بِهِم.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه) أي: حيث حمَّلها ما لا تُطيقه، وقوله: (﴿جَهُولًا﴾ به) أي: بما حمله، وقيل: جهولاً بقدر ربِّه؛ لأنه لا يَعلم قدرَهُ غيرُهُ، وهذا يناسب تفسير (الإنسان) بـ: آدم، وعَود الضمير عليه وإن أريد بالضمير ما يشمله وأولاده، ويكون في الكلام استخدام؛ فيقال في الأنبياء والصالحين منهم كذلك، وفي غيرهم الظلم والجهل من حيث خِيانتُهُ في الأمانة ومجاوزتُهُ حدَّ الشرع.

قوله: (﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾) اللام: للعاقبة والصيرورة على حدِّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قوله: (﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لِلمؤمنين) أي: حيث عفا عمَّا سلف منهم.

قوله: (﴿رَّحِيمًا﴾ بهم) أي: حيث أثابهم وأكرَمهم بأنواع الكرامات.

وحكمة إخبار الأمَّة بما حصل من تحمُّل آدم الأمانة: لِيَكونوا على أهبة، ويعرفوا أنهم متحمِّلون أمراً عظيماً، لم تقدر على حمله الأرض والسماوات والجبال، وقيل في حقِّ المعصوم: إنه كان ظلوماً جهولاً.

✿ ✿ ✿

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ....



مَكِّيَّة إِلَّا ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ...﴾ الآيَةَ فمَدنيَّة، وهي أربَعٌ أو خمسٌ وخمسونَ آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حَمِدَ تَعالى نَفسه بِذلك، والمُراد بِهِ الثَّناء بِمَضمُونِه مِن ثُبُوت الحَمد وهو الوَصف بِالجَمِيلِ لِله تَعالى، ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ سَبَإٍ

بالصرف وتركه؛ كما سيأتي، سمِّيت بذلك؛ لذكر قصة سبأ فيها، من باب: تسمية الشيء باسمِ بعضه.

قوله: (حَمِدَ تعالى) من باب (فَهِمَ).

قوله: (المراد[1] به) بالجرِّ، نعتٌ لاسم الإشارة.

قوله: (الثناء بمضمونه) أي: إنشاء الثناء بمضمونه، وهو الوصف بالجميل، وليس المراد إنشاء المضمون؛ لأنَّ اتصافه بالجميل أزليٌّ ثابتٌ له سبحانه وتعالى، وإنما تعبَّدنا الله تعالى بتجديد حمدٍ موافقٍ للحمد الأزلي، وهذا يؤيِّد قول بعض العلماء: إن (أل) في (الحمد) عهديَّة[2]؛ فإن الله لما علم عجزَ خلقه عن كُنْهِ حمده.. حمِدَ نفسه بنفسه أزلاً، وأمرهم أن يحمدوه بحمدٍ موافقٍ لحمده،

(١) كذا في نسخة المصنف على الإتباع، وفي نسخ الجلال: (والمراد به الثناء... إلخ).

(٢) باعتبار أن الحمد صادر مِن كلام العباد، أما إن كان الحمد صادراً منه تعالى فـ (أل) إمَّا للاستغراق، أو للجنس، ولا يصح أن تكون عهديَّة؛ لأنه لم يكن ثمَّ شيءٌ معهودٌ غير الحاصل بهذه الجملة؛ كما سيأتي للمصنف رحمه الله في أول سورة (فاطر).

ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ ....

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مُلكاً وخَلقاً، ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ كالدُّنيا يَحمَدُهُ أولياؤُهُ إذا دَخلُوا الجنَّةَ، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في فِعلِه، ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بِخَلقِه.

﴿٢﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾: يَدخُل ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كماءٍ وغيرِه، ....

حاشية الصاوي

فتحصَّل أن الوصف بالجميل ثابتٌ لله أزلاً، وإنشاء الثناء به حادِث، فقول الله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ اللفظ والتلفظ حادثان دالّان على معنى قديم، وهو اتصاف الله بالجميل.

إن قلتَ: الحمد مدحٌ، ومدحُ النفس مذمومٌ بين الخلق، فما وجه ذلك؟

أجيب: بأنَّ أوصاف الربِّ لا تقاس على أوصاف العبيد، ألا ترى الاتصاف بالعظمة والكبرياء؛ فإنها نقصٌ في الخلق، كمالٌ في الخالق، وبهذا انهدم قول المعتزلة: إنَّ كلَّ ما حسَّنه العقل يوصف به الربُّ، وكل ما قبَّحه العقل ينزَّه عنه، وبنَوا على ذلك أموراً فاسدة؛ منها: وُجوب الصلاح والأصلح، وغير ذلك.

قوله: (ملكاً وخلقاً) أي: إنَّ كل ما في السماوات وما في الأرض مملوكٌ ومخلوق له سبحانه وتعالى.

قوله: (﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾) أي: في نظير النِّعم التي تُعطى لأهل الإيمان، فالحمد في الآخرة مخصوصٌ بمن آمَن، وأما الكفار.. فليسوا من أهله.

قوله: (كالدنيا) أشار بذلك إلى أنَّ في الآية اكتفاءً.

قوله: (يحمده أولياؤه) المراد بهم: المؤمنون.

قوله: (إذا دخلوا الجنة) أي: فيقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤].

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾) أي: فلا اعتراضَ عليه في فعلٍ من الأفعال.

قوله: (﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾) تفصيلٌ لبعض مَعلوماته التي تعلَّق بها مصالح الدين والدنيا.

قوله: (كماءٍ وغيره) أي: كالكنوز والأموات.

وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَآ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ....

﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كنَباتٍ وغَيرِه، ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ مِن رِزقٍ وغَيرِه، ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾: يَصعَدُ ﴿فِيهَا﴾ مِن عَمَلٍ وغَيرِه، ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾ بِأوليائِهِ، ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ لَهُم.

٣ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾: القِيامةُ، ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ ـ بِالجَرِّ صِفة والرَّفع خَبَر مُبتَدأ، و(عَلَّام) بِالجَرِّ ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (كنبات وغيره) أي: كالكنوز والأموات إذا أُخرجت من القبور.

قوله: (من رزق وغيره) أي: كالبركات والملائكة والصواعق.

قوله: (﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾) ضمَّن العروج معنى الاستقرار فعدَّاه بـ(في) دون (إلى).

قوله: (من عمل وغيره) أي: كالملائكة، فهو سبحانه وتعالى محيطٌ بجميع ذلك.

قوله: (﴿ٱلْغَفُورُ﴾ لهم) أي: إذا عصَوْه أو فرَّطوا في بعض حُقوقه، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ رحمة الله وغفرانه مختصَّان بمن يدخل الجنة، وهذا في الآخرة، وأما في الدنيا.. فرَحمته وسعت كلَّ شيء.

قوله: (﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾) أراد الكفارُ بضمير التَّكلم جميعَ الخلق، لا خُصوص أنفسهم، وأرادوا أيضاً بنفي إتيانها نفيَ وجودها، لا عدمَ حضورها مع كونها موجودةً في نفس الأمر.

قوله: (﴿قُلْ بَلَىٰ﴾) ردٌّ لكلامهم؛ لأنَّ كلامهم نفي، فأُجيب بالنفي[1]، ونفي النفي إثباتٌ.

قوله: (﴿وَرَبِّى﴾) أتى بالقسم تأكيداً لِلرد، وقوله: (﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾) تقوية للتأكيد، والحكمة في وصفه تعالى بهذا الوصف: الاهتمام بشأن المقسم عليه.

قوله: (بالجر... إلخ) أي: فالقراءات الثلاث سبعيَّات: وَجهان في صيغة اسم الفاعل، ووجه واحد في صيغة المبالغة[2].

---

(١) على معنى: أن ليس الأمر إلا إتيانها، وقوله تعالى: ﴿وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ تأكيدٌ له على أتم الوجوه وأكمله. انظر «إرشاد العقل السليم» (٧/ ١٢١).

(٢) قرأ الأخوان: (علام) على صيغة المبالغة وخفضه نعتاً لـ(ربي)، أو بدلاً منه، وهو قليل لكونه مشتقاً، ونافع وابن عامر: (عالم) بالرفع على: هو عالم، أو على أنه مبتدأ وخبره: (لا يعزب)، والباقون: (عالم) الخفض على ما تقدَّم. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٤٨).

لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ ....

﴿لَا يَعْزُبُ﴾: يَغِيب ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ﴾: وزنُ ﴿ذَرَّةٍ﴾: أصغرِ نملةٍ ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: بيِّن هو اللَّوح المَحفُوظ.

﴿٤﴾ ﴿لِّيَجْزِيَ﴾ فِيها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: حَسَنٌ في الجنَّة.

﴿٥﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَا يَعْزُبُ﴾) بضم الزاي في قراءة الجمهور، وكسرِها في قراءة الكسائي[1].

قوله: (﴿وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾) قرأ العامَّة بضم الراء في (أصغر) و(أكبر) على أنه مبتدأ، وخبره قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾، وقرئ بفتح الراء على أن (لا) نافية للجنس، و(أصغر): اسمها، وقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ خبرها، والمعنى على كلٍّ من القراءتين واحد، وهو أنَّ كلَّ ما كان وما يكون وما هو كائنٌ من سائرِ المخلوقات ثابتٌ في اللوح المحفوظ ومُبيَّن به، زيادة على تَعلق علم الله به، وإثباتها في اللوح لا لاحتياج؛ تنزَّه الله عنه.

إن قلتَ: أيُّ حاجة إلى ذكر الأكبَر بعد الأصغر؛ إذ هو مفهوم بالأولى؟

أجيب: بأنه لرفع توهُّم أنَّ إثبات الأصغر خَوفُ توهُّمِ النسيان، وأما الأكبر.. فلا ينسى؛ فلا حاجة إلى إثباته، فأفاد: أنَّ كلاً مرسومٌ في اللوح المحفوظ لا لاحتياجٍ.

قوله: (﴿لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾... إلخ) عِلة لقوله: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾، كأنه قال: لتأتينَّكم لأجل جزاء المؤمنين والكافرين، واللام: للعاقبة والصيرورة.

قوله: (حَسَنٌ في الجنَّة) أي: محمود العاقبة، وأعظمُهُ رؤيةُ الله تعالى.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ﴾) عطف على قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، وما بينهما اعتراضٌ سيق لبيان جزاء المؤمنين، وهذا أحسن من جعله مبتدأً خبره: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ...﴾ إلخ.

---

(١) انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٥٨).

فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ۝٥ وَيَرَى ....

فِيٓ﴾ إبطالِ ﴿ءَايَٰتِنَا﴾: القُرآنِ ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ - وفي قِراءة هُنا وفِيما يَأْتِي: ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ - أي: مُقَدِّرِينَ عَجزَنا أو مُسابِقِين لَنا، فيَفُوتُونا لِظَنِّهم أن لا بَعثَ ولا عِقابَ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ﴾: سيِّئِ العَذابِ، ﴿أَلِيمٞ﴾: مُؤلِم - بِالجَرِّ والرَّفع، صِفة لِـ﴿رِّجۡزٍ﴾ أو ﴿عَذَابٞ﴾ -.

٦ ﴿وَيَرَى﴾: يَعلَم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فِيٓ﴾ إبطال ﴿ءَايَٰتِنَا﴾) أي: بِالطعن فيها، ونسبتها إلى الأكاذيب.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (أي: مقدِّرين عجزنا... إلخ) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب، والمعنى: مؤمِّلين أنهم يُعجزون رسولنا بسبب سَعيهم في إبطال القرآن.

قوله: (أو مسابقين لنا) أي: مُغالبين لنا بسبب طعنهم في القرآن، ظانِّين أنَّ مغالبتهم تمنع عنهم العذاب، وذلك أنَّ القرآن يُثبت البعث والعذاب لمن كفر، فيطعنون فيه ويريدون إبطاله؛ لظنِّهم أنَّ ذلك الإبطال يَنفعهم، فيَفروا[2] من البعث والعذاب؛ لاعتقادهم بطلانه.

قوله: (لظنهم أن لا بعث... إلخ) عِلة لقوله: ﴿سَعَوۡ﴾.

قوله: (بالجر والرفع) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[3].

قوله: (﴿وَيَرَى﴾) إما بالرفع بضمَّة مقدَّرة على الاستئناف، أو بالنصب على أنه مَعطوف على (يجزي)، فقول المفسِّر: (يعلم) يصح قراءته بالوجهَين، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: فاعل، و﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ﴾: مفعول أول، و﴿هُوَ﴾: ضمير فصل، و﴿ٱلۡحَقَّ﴾: مفعولٌ ثان، وقوله: ﴿وَيَهۡدِيٓ﴾: إما عطف على (الحق) من باب: عطفِ الفعل على الاسم الخالص، كأنه قيل: ويرى الذين أوتُوا العلم الذي أُنزل إليك من ربك الحق وهادياً، أو مستأنف، أو حال بتقدير: وهو يَهدي.

---

(١) قرأ المكي والبصري بحذف الألف بعد العين مع تشديد الجيم، والباقون بإثبات الألف وتخفيف الجيم. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٥٨).

(٢) كذا في الأصول بحذف النون، وهي لغة معروفة.

(٣) قرأ ابن كثير وحفص ويعقوب برفع الميم، والباقون بخفضها. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٥٨).

ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ....

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: مُؤمِنُو أهلِ الكِتاب كعَبدِ الله بن سَلَّام وأصحابِه ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: القُرآنَ ﴿هُوَ﴾ - فصلٌ - ﴿ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾: طَريق ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ أي: اللهِ، أي: ذِي العِزَّة المَحمُود.

﴿٧﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: قالَ بَعضُهم على جِهة التَّعجُّب لِبَعضٍ: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ هو مُحمَّد ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾: يُخبِرُكُم أنَّكُم ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾: قُطِّعتُم ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ بِمَعنى تَمزِيق ....

حاشية الصاوي

قوله: (مؤمنو أهل الكتاب) هذا أحدُ أقوال، وقيل: المراد بهم: أصحاب رسول الله ﷺ، وقيل: جميع المسلمين.

قوله: (﴿ٱلْعَزِيزِ﴾) أي: عديم النظير والشَّبيه والمثيل، أو مِن: (عزَّ) بمعنى: قهر وغلب.

قوله: (﴿ٱلْحَمِيدِ﴾) فعيل بمعنى: مفعول؛ أي: محمُود في ذاته وصفاته وأفعاله.

قوله: (هو محمد) نكَّروه تجاهلاً وسُخرية؛ فإنهم لم يعرفوا منه إلا أنه رجل، مع أنه عندهم أشهر من الشمس في رابعة النهار.

قوله: (﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾) يتعيَّن أنَّ عامل الظرف محذوف، تقديره: تُبعثون وتحشرون إذا مُزقتم. . . إلخ، يدل عليه قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، ولا يصح أن يكون عامِله ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾؛ لأن الإخبار لم يقع في ذلك الوقت، ولا قوله: ﴿مُزِّقْتُمْ﴾؛ لأنه مضاف إليه، والمضاف إليه لا يَعمل في المضاف، ولا ﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ لأنَّ ما بعد (إنَّ) لا يعمل فيما قبلها[1]، وعبارة المفسِّر غير وافية بالمراد؛ فلو قال: يخبركم أنكم تُبعثون إذا مزقتم. . لوفى بالمقصود.

قوله: (بمعنى: تمزيق) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿مُمَزَّقٍ﴾ اسم مصدر؛ لأنَّ كلَّ ما زاد على الثلاث يجيء اسم مصدره وزَمانه ومكانه على زنة اسم المفعول.

---

(١) ومن توسَّع في الظرف أجازه. هذا إذا جعلنا (إذا) ظرفاً محضاً، فإن جعلناه شرطاً. . كان جوابها مقدراً؛ أي: تبعثون، وهو العامل في (إذا) عند جمهور النحاة. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٥٤).

إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم ....

﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؟

﴿٨﴾ ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ - بِفَتحِ الهمزة لِلاستِفهام واستُغنِيَ بِها عن همزةِ الوصل - ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ في ذلك، ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾: جُنُون تَخيَّلَ به ذلك؟ قال تَعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ المُشتَمِلةِ على البَعث والعذابِ ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾ فيها ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ عن الحقِّ في الدُّنيا.

﴿٩﴾ ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟﴾: يَنظُرُوا ﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم﴾: ما فوقَهم وما تَحتَهم

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾) أي: تنشؤون خلقاً جديداً بعد تمزيق أجسامكم.

قوله: (﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾) يحتمل أن يكون من تمامِ قول الكافرين: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ...﴾ إلخ، ويحتمل أن يكون من كلامِ السامع جواباً للقائل.

قوله: (واستغنى بها) أي: بهمزة الاستفهام؛ لأنها كافية في التوصل للنطق بالساكن.

قوله: (في ذلك) أي: الإخبار بالبعث.

قوله: (جنون) أي: خبَل في عقله.

قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أنَّ هذا إنشاء كلام من الله ردًّا عليهم، وما تقدَّم وإن كان كلامه إلا أنه حكايةٌ عنهم.

قوله: (﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾) أي: في الآخرة، وذكره إشارةً إلى أنه متحتِّم الوقوع، فنزَّل المتوقَّع منزلة الواقع، وقدَّمه على (الضلال) وإن كان الضلال حاصلاً لهم بالفعل؛ لأنَّ التَّسلية بحصول العذاب لهم أتمُّ من الإخبار بِكونهم في الضلال.

قوله: (﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أعمُوا فلم يروا... إلخ؟.

قوله: (﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾) المراد به: ما يُنظر له من غير التفات، وقوله: ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ المراد به: ما ينظر له بالتفات، فالمراد جميع الجهات.

مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٩﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ ....

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا﴾ ـ بِسُكُونِ السِّين وفَتحِها ـ: قِطْعةً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾ ـ وفي قِراءة في الأفعال الثَّلاثة بالياء ـ، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المَرئيِّ ﴿لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾: راجع إلى رَبِّه تَدُلُّ على قُدرةِ الله على البَعث وما يَشاءُ.

﴿١٠﴾ ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ﴾: نُبُوَّة وكِتاباً، وقُلنا: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾) بيان لـ(ما)، والمعنى: أفلم يتفكروا في أحوال السماء والأرض فيستدلوا على باهِر قدرته تعالى؟ وقد علَّمنا الله كيفية النظر بقوله: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ...﴾ [ق: ٦] الآية.

قوله: (﴿إِن نَّشَأۡ﴾) هذا تحذيرٌ للكفار، كأنه قيل: لم يبقَ من أسباب وقوع العذاب بكم إلا تعلق مشيئتنا به.

قوله: (﴿نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾) أي: كما خسَفناها بقارون.

قوله: (﴿أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا﴾) أي: كما أسقطناها على أصحاب الأيكة.

قوله: (بسكون السين وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]، وكلٌّ منهما جمع (كسفة)، فقول المفسِّر: (قطعة)، المناسب: (قطعاً).

قوله: (**في الأفعال الثلاثة**) أي: نشاء، ونَخسف، ونسقط[2].

قوله: (﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ **المرئيِّ**) أي: من السماء والأرض.

قوله: (﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا﴾) اللام: مُوطئة لقسم محذوف تقديره: وعزَّتنا وجلالنا[3].

قوله: (وكتاباً) أي: وهو الزبور.

قوله: (وقلنا) قدَّره؛ إشارة إلى أن قوله: ﴿يَٰجِبَالُ﴾ مقول لقول محذوف معطوف على قوله: ﴿ءَاتَيۡنَا﴾، فهو زيادة على الفضل.

---

(١) قرأ حفص بفتح السين، والباقون بسكونها. انظر «السراج المنير» (٣/ ٢٨١).

(٢) قرأ الأخوان: (يشأ، يخسف، يسقط)، بالياء في الثلاثة، والباقون بنون العظمة فيها. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٥٨).

(٣) اللام واقعة في جواب قَسَم محذوف كما قدَّره المفسِّر رحمه الله.

يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ....

﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى﴾: رَجِّعِي ﴿مَعَهُۥ﴾ بِالتَّسبِيحِ، ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ ـ بِالنَّصبِ عَطفاً على مَحَلِّ (الجِبال) ـ أي: ودَعوناها تُسَبِّح مَعهُ، ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ فكان في يَدِه كالعَجِين.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَوِّبِى﴾) بفتح الهمزة وتشديد الواو، أمرٌ من التأويب، وهو الترجيع، وهو قراءة العامَّة، وقرئ شذوذاً: (أُوْبي) بضمِّ الهمزة وسكون الواو، أمرٌ من: آب بمعنى: رجع[١]؛ أي: ارجعي وعُودي معه في التسبيح كلَّما سبَّح، فكان داوود إذا سبَّح.. أجابته الجبال، وعطفت عليه الطير من فوقه، وقيل: كان إذا أدركه فتورٌ.. أسمعه الله تسبيح الجبال، فيَنشط له.

قوله: (عطفاً على محلِّ «الجبال») أي: لأن محلَّه نصب؛ لكونه منادى مفرداً، أو مفعولاً معه[٢]، وقرئ بالرفع عطف على لفظ (الجبال) تشبيهاً للحركة البنائيَّة بالحركة الإعرابيَّة[٣]، قال ابن مالك[٤]: [الرجز]

وإنْ يَكُنْ مَصحوبَ (أل) ما نُسِقَا ... فَفيهِ وَجْهانِ ورَفْعٌ يُنْتَقى

قوله: (﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾) سبب ذلك: أنَّ الله تعالى أرسل له ملكاً في صورة رجل، فسأله داوود عن حال نَفسه، فقال له: ما تقول في داوود؟ فقال: نِعْمَ هو، لولا خصلة فيه، فقال داوود: ما هي؟ قال: إنه يأكل ويُطعم عياله من بيت المال، فسأل داوود ربَّه أن يسبِّب له سبباً يستغني به عن بيت المال، فألان الله له الحديد، وعلَّمه صَنعة الدروع، فهو أول من اتخذها، وكانت قبل ذلك صفائح. قيل: كان يعمل كلَّ يوم درعاً ويبيعها بأربعة آلاف درهم، ويُنفق ويتصدق منها؛ فلِذا قال ﷺ: **«كان داوود لا يأكل إلا من عمل يَدِه»**[٥].

قوله: (فكان في يده كالعجين) أي: من غير نارٍ ولا آلةٍ.

---

(١) وبها قرأ ابن عباس والحسن وقتادة وابن أبي إسحاق. انظر «الدر المصون» (٩/١٥٩).

(٢) قاله الزجاج، ورد عليه: بأن قبله لفظة (معه)، ولا يقتضي العامل أكثر من مفعول معه واحد، إلا بالبدل أو العطف، لا يقال: جاء زيد مع بكر مع عمرو. انظر «الدر المصون» (٩/١٥٩).

(٣) قرأ السلمي والأعرج ويعقوب وأبو نوفل وأبو يحيى وعاصم في رواية: (والطيرُ) بالرفع. انظر «الدر المصون» (٩/١٦٠).

(٤) «الخلاصة»، (فصل: تابع المنادى)، (ص٥٠).

(٥) رواه البخاري (٢٠٧٣) عن سيدنا أبي هريرة ﷺ، وانظر سبب النزول في «تفسير الخازن» (٣/٤٤٢).

أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ ....

﴿١١﴾ وقُلنا: ﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ﴾ مِنهُ ﴿سَٰبِغَٰتٖ﴾: دُرُوعاً كوامِلَ يَجُرُّها لابِسها على الأرضِ، ﴿وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِ﴾ أي: نَسجِ الدُّرُوع قِيل لِصانِعِها: سَرَّاد أي: اجعَلهُ بِحيثُ تَتَناسَب حَلَقُه، ﴿وَٱعۡمَلُواْ﴾ أي: آل داوُد مَعَه ﴿صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ فأُجازِيكم بِهِ.

﴿١٢﴾ ﴿وَ﴾ سخَّرنا ﴿لِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ - وقِراءة الرَّفع بِتَقدِيرِ (تَسخِير) - ....

حاشية الصاوي

قوله: (دروعاً كوامل) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿سَٰبِغَٰتٖ﴾ صفة لموصوف محذوف.

قوله: (﴿وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِ﴾) اختلف في معنى الآية؛ فقيل: اجعَله على سبيل الحاجة، ولا تنهمك فيه، بل اشتغل بعبادة ربِّك، وقيل: قدِّر المسامير في حِلَقِ الدروع، لا غِلاظاً ولا دقاقاً، وردَّ ذلك: بأنه لم يكن في حِلَقِها مسامير؛ لعدم الحاجة إليها بسبب إلانة الحديد، وحينئذٍ: فالأظهر: ما قاله المفسِّر من أن السَّرد: الدروع، والتقدير: اجعل كلَّ حَلْقةٍ مساويةً لأختها، ضيِّقة لا ينفذ منها السهم، في الغِلظ؛ لا تقبل الكسر، ولا تثقل حاملها، والكل نِسبة واحدة.

قوله: (بحيث تتناسب حلقه) بفتحتين، أو بكسر ففتح، جمع (حَلْقةٍ) بفتح فسكون، أو بفتحتين[1].

قوله: (أي: آل داوود) تفسير للواو في ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾.

قوله: (﴿صَٰلِحًاۖ﴾) أي: عملاً صالحاً، ولا تتَّكلوا على عزِّ أبيكم وجاهِه.

قوله: (فأجازيكم عليه) أي: إن خيراً.. فخيرٌ، وإن شرًّا.. فشرٌّ.

قوله: (﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾) الجارُّ والمجرور متعلق بمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (سخرنا)، بدليل التصريح به في قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ﴾ [ص: ٣٦].

قوله: (بتقدير: تسخير) أي: فالجارُّ والمجرور: خبرٌ مقدَّم، و(الريح): مبتدأ مؤخَّر، على حذف مضاف، والأصل: وتسخير الريح كائن لِسليمان، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مُقامه[2].

---

(١) وحكى يونس عن أبي عمرو بن العلاء (حَلَقَة) في الواحد بالتحريك، والجمع: حلق وحَلقات، وقال ثعلب: كلهم يُجيزه على ضعفه، قال أبو يوسف: سمعت أبا عمرو الشيبانيَّ يقول: ليس في الكلام (حَلَقَةٌ) بالتحريك إلَّا في قولهم: هؤلاء قومٌ حَلَقَةٌ، للذين يَحْلِقونَ الشَّعَرَ: جمعُ حالق. «الصحاح» للجوهري، مادة: (ح ل ق).

(٢) العامة على النصب، وأبو بكر بالرفع على الابتداء، والخبر في الجار قبله، أو محذوف، وجوَّز أبو البقاء أن يكون فاعلاً، يعني بالجار، وليس بِقَوي؛ لعدم اعتماده. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٦٠).

﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ ....

﴿غُدُوُّهَا﴾: مَسِيرُها مِن الغُدوة بِمَعنى الصَّباح إلى الزَّوال ﴿شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا﴾: سَيرُها مِن الزَّوال إلى الغُرُوب ﴿شَهْرٌ﴾ أي: مَسِيرَته، ﴿وَأَسَلْنَا﴾: أَذَبْنا ﴿لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ أي: النُّحاسِ، فأُجرِيَت ثَلاثةَ أيَّام بِلَيالِيهِنَّ كجَرْيِ الماء، وعَمَلُ النَّاس إلى اليَوم مِمَّا أُعطِيَ سُليمانُ، ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ﴾: بِأمرِ ﴿رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ﴾: يَعدِلْ ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ لَهُ بِطاعَتِه ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: النَّارِ في الآخِرة، وقِيل: في الدُّنيا، بأن يَضرِبَهُ مَلَك بِسَوطٍ مِنها ضَربةً تُحرِّقُهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾) مبتدأ وخبر، والمعنى: سيرها من الغَداة إلى الزوال شهر للسائر المجدِّ، ومن الزوال للغروب مسيرة شهر. عن الحسن: كان سليمان يغدو من دمشق فيقيل بإصطخر، وبينهما مسيرة شهر، ثم يَروح من إصطخر فيبيت ببابل، وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع، وتقدَّم: أنَّ الريح كانت تحمل البساط بجُيوشه لأيِّ جهةٍ توجَّه إليها، فالعاصف تقلع البساط، والرُّخاء تسيِّره[1].

قوله: (﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾) أي: جعلنا النحاسَ في معدنه جارياً كالعين النابعة من الأرض، وكانت تلك العين باليمن.

قوله: (فأجريت ثلاثة أيام) قيل: مرة واحدة، وقيل: كان يسيل في كل شهر ثلاثة أيام.

قوله: (وعمل الناس... إلخ) مبتدأٌ خبرُه قوله: (مما أعطي سليمان) أي: صنعُ الناس النحاسَ وإذابتُهُ بالنار من آثار كرامة سليمان؛ لأنه قبل ذلك لم يكن يَلين بنارٍ ولا غيرها.

قوله: (﴿مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾) يصح أن يكون مبتدأ، خبره: الجارُّ والمجرور قبله، ويصح أن يكون مفعولاً لمحذوف تقديره: وسخَّرنا من الجنِّ مَنْ يعمل، و(مَنْ) على كلِّ حالٍ واقعةٌ على فريق.

قوله: (بطاعته) أي: بطاعة سليمان.

قوله: (بأن يضربه ملك... إلخ) أي: فقد وكَّل الله ملكاً بالجنِّ المسخَّرين لسليمان، وجعل في يَده سوطاً من نار، فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان.. ضرَبه بذلك السوط ضربةً أحرقته.

---

(١) انظر الأقوال في سورة (الأنبياء)، (٤/ ٣٥١-٣٥٢).

يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ

﴿١٣﴾ ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾: أبنيةٍ مُرتَفِعة يُصعَد إلَيها بِدَرَجٍ، ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾: جَمع (تِمثالٍ) وهو كُلُّ شَيء مَثَّلته بِشيءٍ، أي: صُوَر مِن نُحاس وزُجاج ورُخام، ولَم يَكُن اتِّخاذُ الصُّوَر حَراماً في شَرِيعَتِه، ﴿وَجِفَانٍ﴾: جَمع جَفنةٍ ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ي جَمع (جابِيَة)، وهي حَوض كَبِير، يَجتَمِع على الجَفنةِ ألفُ رَجُل يَأكُلُون مِنها، ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾: ثابِتات لَها قَوائِم لا تَتحرَّكُ عن أماكِنِها، تُتَّخَذ من الجِبال بِاليَمن يُصعَد إلَيها بِالسَّلالِم، وقُلنا: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟﴾ يا ﴿ءَالَ دَاوُۥدَ﴾ بِطاعةِ الله ....

حاشية الصاوي

قوله: (أبنية مرتفعة) أي: مساجد أو غيرها، وسمِّيت بذلك؛ لأنَّ صاحبها يُحارب فيها غيره لحمايتها، وقيل: المراد بالمحاريب: خصوص المساجد، والأقرَب: ما قاله المفسِّر، وليس المراد بها: الطاقات التي تَقف فيها الأئمة في المساجد؛ إذ هي حادثة في المساجد بعد زمن النبي ﷺ، وسمِّيت بالمحاريب؛ تشبيهاً لها بالأبنية المرتفعة؛ لأنها رفيعة القدر؛ ولذا خصُّوها بالأئمة.

قوله: (﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾) قال بعضهم: إنها صورٌ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام والعلماء، كانت تصوَّر في المساجد؛ ليراها الناس فيَزدادوا عبادة واجتهاداً، يدلُّ على هذا قوله ﷺ: **«إنَّ أولئك كان إذا مات فيهم الرجل الصالح.. بنَوا على قبره مسجداً، وصوَّروا فيه تلك الصورة»**[1] أي: ليَذكروا عبادتهم فيجتهدوا في العبادة.

قوله: (ولم يكن اتخاذ الصور حراماً... إلخ) جوابٌ عما يقال: إنَّ اتخاذ الصور حرام، فكيف يَليق اتخاذها من سليمان؟

واعلم: أنَّ اتخاذ الصور أوَّلاً كان لمقصدٍ حسنٍ، فلمَّا ساء المقصد بسبب اتخاذها آلهةً تعبد من دُون الله.. حرَّم الله اتخاذها على العباد.

قوله: (وهي حوض كبير) أي: وسمِّي جابيةً؛ لأنَّ الماء يُجبى فيه أي: يُجمع.

قوله: (﴿ءَالَ دَاوُۥدَ﴾) المراد: سليمان وأهل بيته.

---

(١) رواه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ....

﴿شُكْرًا﴾ لَهُ على ما آتاكُم، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾: العامِلُ بِطاعَتِي شُكراً لِنِعمَتي.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿شُكْرًا﴾) مفعول لأجله؛ أي: اعمَلوا لأجل الشكر لله على ما أعطاكم من تلك النِّعم العظيمة التي لا تضاهى، وهذا أعظم المقاصد، وهو العمل لأجل شكر الله على نِعَمه، فالواجب على العباد خدمة الله وطاعته لذاتِهِ وسابقِ نعمه عليهم؛ حيث أوجدهم من العدم، وجعل لهم السمع والبصر والأفئدة والعافية وغير ذلك من أنواع النِّعم التي لا تحصى.

قوله: (﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾) أي: لكون هذا القصد عزيزاً لم يوفَّق له إلا القليل من الناس، وغالب الناس عبادتهم وطاعتهم إمَّا لأجل طلب الدنيا، أو خوفاً من النار، وطمعاً في الجنة.

فائدة: من جملة عمل الجن لسليمان بيتُ المقدس، وذلك: أنَّ داوود ابتدأ بِناءه في موضع فسطاط موسى الذي كان ينزل فيها، فرَفعه قدر قامة، فأوحى الله إليه: لم يكن تمامه على يديك، بل على يدِ ابن لك اسمه سليمان، فلما قضي على داوود، واستخلف سليمان، وأحبَّ إتمامه.. جمع الجنَّ والشياطين، وقسَم عليهم الأعمال، فأرسل بعضهم في تحصيل الرخام، وبعضهم في تحصيل البلور من مَعادنه، وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح، فلمَّا فرغ منها.. ابتدأ في بناء المسجد، فوجَّه الشياطين فرقاً؛ منهم من يستخرج الجواهر والياقوت والدُّرَّ الصافي من أماكنها، ومنهم مَن يأتيه بالمسك والطيب والعنبر من أماكنه، فأُتِيَ من ذلك بشيءٍ كثيرٍ، ثمَّ أحضر الصنَّاع لنحت تلك الأحجار، وإصلاح تلك الجواهر، وثقب تلك اليواقيت واللآلئ، فبَناه بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر، وجعل عُمُدَهُ من البلور الصافي، وسَقَفَهُ بأنواع الجواهر، وبَسط أرضه بالعنبر، فلم يكن على وجه الأرض يومئذٍ بيتٌ أبهى ولا أنور منه، فكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر، فلم يَزل على هذا البناء حتى غزاه بخت نصَّر[1]، فخرَّب المدينة وهَدمه وأخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر، وحمَله إلى ملكه بالعراق حين بَطرت بنو إسرائيل النعم، وقتلوا زكريا ويحيى[2].

---

(١) بخت نصَّر: يجوز كتابة اسمه موصولاً ومفصولاً كما جرى عليه المخطوط، قيل: بخت بمعنى: ابن، ونصَّر: اسمُ صنم وجد مطروحاً عنده، فنُسِب إليه.

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٦/ ٣٩٠).

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ ....

﴿١٤﴾ ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾: على سُليمانَ ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ أي: ماتَ ومَكَثَ قائِماً على عَصاهُ

حاشية الصاوي

وكان ابتداءُ بناء بيت المقدس في السنة الرابعة من ملك سليمان، وكان عُمره سبعاً وستين سنة، وملك وهو ابن سبع عشرة، وكان مُلكه خمسين سنة، وقرَّب بعد فراغه منه اثني عشر ألف ثور، ومئة وعشرين ألف شاة، واتخذ اليوم الذي فَرغ فيه من بنائه عيداً، وقام على الصخرة رافعاً يديه إلى الله تعالى بالدعاء، وقال: اللهم؛ أنتَ وهبت لي هذا السلطان، وقوَّيتني على بناء هذا المسجد، اللهمَّ؛ فأوزعني شكرك على ما أنعمتَ عليَّ، وتوفَّني على ملَّتك، ولا تُزغ قلبي بعد إذ هديتني، اللهمَّ؛ إني أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال: لا يدخله مذنبٌ دخل للتوبة إلا غفرت له وتبت عليه، ولا خائفٌ إلا أمَّنته، ولا سقيمٌ إلا شفيته، ولا فقيرٌ إلا أغنيته، والخامسة: ألَّا تصرف نظرك عمَّن دخل حتى يَخرج منه إلا مَنْ أراد إلحاداً أو ظلماً يا ربَّ العالمين.

وروي: (أنَّ سليمان لما بنى بيت المقدس.. سأل الله تعالى خلالًا ثلاثاً: حكماً يُصادف حكمه فأُوتيه، وسأل الله ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده فأوتيه، وسأل الله حين فرغ من بنائه ألَّا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه إلا خرج من خَطيئته كيوم ولدته أمُّه)[1].

إذا علمتَ ذلك.. فبيت المقدس تمَّ بناؤه وهو حيٌّ، وهو الصحيح.

قوله: (﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾... إلخ) روي: أنَّ سليمان كان يتجرَّد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين، والشهر والشهرين، فيَدخل فيه ومعه طعامه وشرابه، فلمَّا أعلمه الله بوقت موته.. قال: اللهم؛ أَخفِ على الجنِّ موتي حتى تعلم الإنس أنَّ الجنَّ لا يعلمون الغيب، وكانت الجنُّ تخبر الإنس أنهم يَعلمون من الغيب أشياء، وأنهم يعلمون ما في غدٍ، ثم لبس كفنَه وتحنَّط، ودخل المحراب وقام يصلي، واتكأ على عصاه على كرسيه، فمات، فكان الجنُّ يَنظرون إليه ويحسبون أنه حيٌّ، ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس؛ لِتَكرُّره منه قبل ذلك[2].

فالحكمة في إخفاء موته: ظهور أنَّ الجنَّ لا يَعلمون الغيب، لا تتميم بناء بيت المقدس كما قيل؛ فإنَّ الصحيح أنه تمَّ قبل موته بالزمن الطويل.

---

(١) رواه النسائي في «المجتبى» (٢/ ٣٤) عن سيدنا عمرو بن العاص ﷺ.

(٢) انظر «الدر المنثور» (٦/ ٦٨٢)، و«تفسير الخازن» (٣/ ٤٤٤).

مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ ....

حَولاً مَيِّتاً، والجِنُّ تَعمَل تِلكَ الأعمالَ الشَّاقَّة على عادَتها لا تَشعُر بِمَوتِه، حتَّى أكَلَت الأَرَضةُ عَصاهُ فخرَّ مَيِّتاً، ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ مَصدَر أُرِضَت الخَشَبةُ بِالبناء لِلمَفعولِ: أكَلَتها الأَرَضةُ، ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ - بِالهَمزِ وتَركه بِألِفٍ -: عَصاهُ لِأنَّها يُنسَأ: يُطرَد ويُزجَر بِها، ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ مَيتاً ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾: انكشَف لَهُم ﴿أَن﴾ - مُخفَّفة - أي: أنَّهُم ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ﴾ ومِنهُ ما غاب عنهُم مِن مَوت سُليمانَ ﴿مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾: العَمَل الشَّاقِّ لَهُم لِظَنِّهِم حَياتَه خِلاف ظَنِّهِم عِلم الغَيب، وعُلِمَ كَونُه سَنةً بِحِساب ما أكَلَتهُ الأَرَضة مِن العَصا بعدَ مَوته يَوماً ولَيلةً مَثلاً.

﴿١٥﴾ ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (حتى أكلت الأرضة عصاه) فلمَّا أكلَتها.. أحبَّها الجنُّ وشكروا لها، فهم يأتونها بالماء والطين في خُروق الخشب، وقالوا لها: لو كنتِ تأكلين الطعام والشراب.. لأتيناك بهما.

قوله: (مصدر: أُرِضَت الخشبة) أي: أُكِلَتْ، فمعنى ﴿دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾: دابة الأكل، وهذا أحد وجهين، والوجه الآخر: أنَّ المراد بالأرض المعروفةُ، ونُسِبَت لها؛ لخروجها منها.

قوله: (بالهمز) أي: الساكن أو المفتوح، فتكون القراءات ثلاثاً سبعيَّات[1].

قوله: (الشاقِّ لهم) اللام: بمعنى: على، وفي نسخة: (له) أي: لسليمان.

قوله: (لظنِّهم حياته) علة لقوله: ﴿مَا لَبِثُوا۟﴾.

قوله: (وعلم كونه... إلخ) إمَّا بالبناء للمفعول، أو مصدر مبتدأ، خبره قوله: (بحساب... إلخ)، فتحصَّل: أنَّ الجنَّ أرادوا أن يَعرفوا وقت موته، فوَضعوا الأرضة على العصا، فأكلت في يوم وليلة مقداراً، فحسبُوا على ذلك، فوجدوه قد مات من منذ سنة.

قوله: (﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾) اللام: مُوطئة لقسم محذوف؛ أي: والله لقد كان... إلخ[2]، و﴿لِسَبَإٍ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم، و﴿ءَايَةٌ﴾: اسمها مؤخَّر، و﴿فِى مَسْكَنِهِمْ﴾: حال.

---

(١) قرأ بهمزة ساكنة ابن ذكوان، وبألف مَحضة نافع وأبو عمرو، وبهمزة مفتوحة الباقون. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٦٣).

(٢) اللام واقعة في جواب قسم محذوف كما قدَّره المفسِّر رحمه الله.

فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ ....

ـ بِالصَّرفِ وعَدَمه ـ: قَبِيلة سُمِّيَت باسمِ جَدٍّ لَهم مِن العرَب ﴿فِي مَسَٰكِنِهِمْ﴾ بِاليَمَنِ ﴿ءَايَةٌ﴾ دالَّةٌ على قُدرةِ الله تَعالى، ﴿جَنَّتَانِ﴾ ـ بَدَل ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالصرف وعدمه) أي: وفي عَدم الصرف قراءتان: فتح الهمزة، وسكونها، فالقراءات ثلاث[1].

قوله: (سمِّيت باسم جدٍّ لهم) أي: وهو سبأ بن يشجب ـ بجيم مضمومة ـ بن يَعرب بن قحطان.

روي: أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله؛ وما سبأ أرض أو امرأة؟ قال: «ليست بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل وَلد عشراً من العرب فتيامن منهم ستة ـ أي: سَكنوا اليمن ـ وتشاءم منهم أربعة ـ أي: سكنوا الشام ـ فأمَّا الذين تشاءموا: فلخم، وجذام، وغسان، وعاملة، وأما الذين تيامَنوا: فالأزد، والأشعريون، وحِمْيَرٌ، وكندة، ومذحج، وأنمار»، فقال رجل: يا رسول الله؛ وما أنمار؟ قال: «الذين منهم خَثعمُ وبَجِيلَة»[2].

والمقصود من تلك القصة: اتعاظ هذه الأمَّة المحمدية؛ ليَعتبروا ويشكروا نعمة الله عليهم، وألَّا يحلَّ بهم ما حلَّ بمن قبلهم.

قوله: (﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾) بالجمع كـ(مساجد)، والإفرادِ؛ إمَّا بكسر الكاف، أو فتحها، ففيه ثلاث قراءات سبعيَّات[3].

قوله: (باليمن) أي: وكان بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام.

قوله: (دالَّة على قدرة الله) أي: فإذا تأمَّل العاقل فيها.. استدلَّ على باهر قُدرته، وأنه الخالق لجميع المخلوقات.

قوله: (بدل) أي: من ﴿ءَايَةٌ﴾ التي هي اسم ﴿كَانَ﴾، وصحَّ إبدال المثنى من المفرد؛

---

(١) قرأ البزي وأبو عمرو بفتح الهمزة من غير تنوين، وقنبل بإسكانها، والباقون بكسرها منوَّنة. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٦٠).

(٢) رواه الترمذي (٣٢٢٢) عن سيدنا فَروة بن مسيك المرادي ﷺ.

(٣) قرأ حمزة وحفص: (مسكنهم) بفتح الكاف مفرداً، والكسائي كذلك إلا أنه كسر الكاف، والباقون: (مَساكنهم) جمعاً. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٦٩).

عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا

﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ عن يَمِين وادِيهم وشِمالِه، وقِيل لَهم: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ على ما رَزَقَكُم مِن النِّعمة في أرضِ سَبَأ، ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ ليسَ فِيها سِباخ ولا بَعُوضة ولا ذُبابة ولا بُرغُوث ولا عَقرَب ولا حَيَّةٌ، ويَمُرُّ الغَرِيب فِيها وفي ثِيابِه قُمَّل فيَمُوت لِطِيبِ هَوائِها، ﴿وَ﴾ اللهُ ﴿رَبٌّ غَفُورٌ﴾.

﴿١٦﴾ ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن شُكرِه وكَفَرُوا، ....

حاشية الصاوي

لأنه في قُوة المتعدد، وذلك أنَّ الجنتين لما كانتا متماثلتَين، وكانت كلُّ واحدة دالَّةً على قدرة الله من غير انضمام غيرها لها.. صحَّ جعلهما آيةً واحدةً؛ نَظير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠][(١)].

قوله: (عن يمين واديهم وشماله) هذا أحد قولين، وقيل: عن يمين الذاهب وشماله.

قوله: (وقيل لهم) أي: على لسان أنبيائهم؛ لأنه بعث لهم ثلاثة عشر نبيًّا، فدعوهم إلى الله، وذكَّروهم بنعمه، وهذا الأمر للإذن والإباحة.

قوله: (﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾) أي: اصرفوا نعمَهُ في مصارفها.

قوله: (أرض سبأ... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ خبرٌ لمحذوف، فهو كلامٌ مستأنفٌ.

قوله: (ليس بها سباخ) جمع سَبخة، وهي: الأرض ذات الملح.

قوله: (ولا بعوضة) البعوض: البَق، وقوله: (ولا برغوث) بضمِّ الباء.

قوله: (فيموت) أي: القمل، ومثله: باقي الهوامِّ.

قوله: (﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾) أي: يستر ذنوبكم.

قوله: (﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن شُكره) أي: عن أمره واتِّباع رسله؛ لما روي: أنه أرسل لهم ثلاثة عشر نبيًّا، فدعوهم إلى الله، وذكَّروهم بنعمه، وأنذروهم عقابه، فكذَّبوهم وقالوا: ما نعرف لله علينا نعمة، فقولوا له: فليحبس عنَّا هذه النِّعم إن استطاع[(٢)]. وكان لهم رئيسٌ يلقب بالحمار، كان له ولدٌ

---

(١) واعتمد أبو حيان كون (جنتان) خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هي جَنتان؛ أي: بُستانان. «فتوحات» (٣/ ٤٩١).

(٢) انظر «تفسير الطبري» (٢٢/ ٧٩).

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ ....

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾: جمع (عَرِمة) وهو ما يُمسِك الماء مِن بِناءٍ وغَيرِه إلى وقت حاجَتِه، أي: سَيل وادِيهم المَمسُوك بِما ذُكِر، فأغرَقَ جَنَّتَيهِم وأموالَهُم، ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ﴾: تَثنِية (ذَوات) مُفرَد على الأصلِ، ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾: مُرٌّ بَشِع ....

حاشية الصاوي

فمات، فرفع رأسه إلى السماء فبزق وكفر، فلا يمرُّ بأرضه أحدٌ إلا دعاه للكفر، فإن أجابه، وإلّا.. قتله[١].

قوله: (وهو ما يمسك الماء من بناءٍ وغيره) أي: فكان واديهم أرضاً مُتسعة بين جبال شامخة، فبَنَتْ بلقيس سدًّا حول ذلك الوادي بالصخر والقار، وجعلَتْ له أبواباً ثلاثة، بعضها فوق بعض، وصار ماء السيول يَتساقط من الجبال خلف السَّدِّ من كلِّ جهة، فكانوا يسقون من الأعلى، ثمَّ من الأوسط، ثمَّ من الأدنى على حسب علو الماء وهبوطه؛ فالعرم هو هذا السَّدُّ.

وقيل: العرم: اسمٌ للفأر الذي نقب السَّد؛ لما ورد: أنهم كانوا يزعمون أنهم يَجدون في كهانتهم أنه يخرِّب سدَّهم فأرةٌ، فلم يتركوا فرجة بين صخرتين إلا ربطوا إلى جانبها هرَّة، فلمَّا جاء ما أراده الله بهم.. أقبلت فأرةٌ حمراء إلى بعض تلك الهرر، فساورتها حتى استأخرت عن الجحر، ثم وثَبت فدخلت في الفرجة التي عندها، ونقبت السَّدَّ حتى أوهَنته للسيل وهم لا يدرون، فلمَّا جاء السيل.. دخل تلك الفرجة حتى بلغ السَّد، وفاض الماء على أموالهم فأغرقها، ودفن بيوتهم[٢].

قوله: (﴿جَنَّتَيْنِ﴾) تسميتهما بذلك تهكُّمٌ بهم؛ لمشاكلة الأول.

قوله: (مفرد على الأصل) أي: لأنَّ أصلها: ذَوَيَة، تحركت الياء وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً، فصار: ذوات، ثم حُذفت الواو تخفيفاً، ففي تثنيته وجهان: اعتبار الأصل، واعتبار العارض؛ فالأول: ذواتان، والثاني: ذاتان.

قوله: (مرٌّ بَشِعٍ) قيل: هو شجر الأراك، وقيل: كلُّ شجر له شوكٌ.

---

(١) ولهذا يقال في المثل: أكفَرُ من حِمار. انظر «البحر المحيط» (٧/ ٢٥٨).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٦/ ٣٩٤)، وساوَرتها: واثبتها وقاتلتها، ومنه الحديث: «فكِدت أُساوره في الصلاة» أي: أواثبه وأُقاتله.

وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ....

ـ بإضافةِ ﴿أُكُلٍ﴾ بِمَعنَى مَأكُول وتَركِها ـ، ويُعطَف علَيهِ: ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ التَّبديلُ ﴿جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾: بِكُفرِهِم، ﴿وَهَلْ يُجَٰزَىٰٓ إِلَّا ٱلْكَفُورُ﴾ ـ بالياءِ، وبِالنُّون مَع كَسر الزَّاي ونَصبِ ﴿ٱلْكَفُورَ﴾ ـ أي: ما يُناقَش إلَّا هو.

﴿١٨﴾ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: بينَ سَبَأ وهُم بِاليَمنِ ﴿وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بِالماء

حاشية الصاوي

قوله: (بإضافة ﴿أُكُلٍ﴾) أي: بضمِّ الكاف لا غير، وقوله: (وتركها) أي: بضمِّ الكاف وسكونها، فالقراءات ثلاث سبعيَّات(١).

قوله: (ويعطف عليه) أي: على (أكل).

قوله: (﴿مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾) الصحيح: أن السِّدر ـ وهو النبق ـ نوعان: نوع يؤكل ثمره، وينتفع بورقه، ونوع له ثمر غضٌّ لا يؤكل أصلاً، ولا ينتفع بورقه، وهو المسمَّى بالضَّال، وهو المراد هنا.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) مفعول ثان لـ(جزينا) مقدَّم عليه.

قوله: (بكفرهم) أشار بذلك إلى أن (ما) مصدريَّة.

قوله: (بالياء والنون) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان(٢).

قوله: (أي: ما يناقش إلا هو) أشار بذلك إلى أنَّ الحصر منصبٌّ على المناقشة والتدقيق في الحساب والمؤاخذة بكلِّ الذنوب، وإلَّا.. فمُطلق المجازاة تكون للمؤمن والكافر، لكن المؤمن يعامل بالفضل، والكافر يعامل بالعدل.

قوله: (﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾) عطف على ما تقدَّم، عطف قصة على قصة.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير بإسكان الكاف وتنوين اللام، وأبو عمرو ويعقوب بضم الكاف وتركِ التنوين، والباقون بضم الكاف وتنوين اللام. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٦٠).

(٢) قرأ الأخوان وحَفص (نجازي) بنون العظمة وكسر الزاي؛ أي: نحن، (إلا الكفور) مفعول به، والباقون بضم الياء وفتح الزاي مبنيًّا لِلمفعول، (إلا الكفور) رفع على ما لم يُسمَّ فاعله، ومسلم بن جندب: (يُجزى) مبنيًّا للمفعول، (إلا الكفورُ) رفع على ما تقدم، وقرئ: (يَجزي) مبنيًّا للفاعل وهو الله تعالى، (الكفورَ) نصباً على المفعول به. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٧٤).

قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ ....

والشَّجَر وهي قُرَى الشَّام التِي يَسِيرُونَ إلَيها لِلتِّجارةِ، ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾: مُتَواصِلةً مِن اليَمَن إلى الشَّام، ﴿وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ﴾ بِحيثُ يَقِيلُون في واحِدة ويَبِيتُون في أُخرَى إلى انتِهاء سَفَرِهم، ولا يَحتاجُونَ فِيهِ إلى حَملِ زاد وماءٍ، أي: وقُلنا: ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ لا تَخافُونَ في لَيل ولا في نَهارٍ.

﴿١٩﴾ ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ﴾ - وفي قِراءة: ﴿بَعِّدۡ﴾ - ﴿بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ إلى الشَّام: اجعَلها مَفاوِزَ؛ لِيَتطاوَلُوا على الفُقَراء بِرُكُوبِ الرَّواحِل وحَملِ الزَّاد والماءِ، فبَطِرُوا النِّعمةَ، ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بِالكُفرِ، ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ﴾ لِمَن بَعدَهم في ذلك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾) قيل: كانت قراهم أربعة آلاف وسبع مئة قريةٍ متصلةٍ من سبأ إلى الشام.

قوله: (﴿وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ﴾) أي: جعلنا السَّير بين قراهم وبين القرى المباركة سيراً مقدَّراً من منزل إلى منزل، ومن قرية إلى قرية.

قوله: (ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء) أي: فكانوا يسيرون غير جائعين ولا ظامئين ولا خائفين مسيرة أربعة أشهر، في أماكن لا يحرك بعضهم بعضاً، ولو لقي الرجل قاتل أبيه لا يُحركه.

قوله: (﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾) أي: لما بَطروا وطغَوْا وكرهوا الراحة.. تمنَّوا طول السفر والتَّعب في المعايش؛ نظير قول بني إسرائيل: ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ...﴾ [البقرة: ٦١] الآية، وكتمنِّي أهل مكة العذاب بقولهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ...﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية.

قوله: (مَفاوز) جمع مَفازة، وهو الموضع المهلك، مأخوذ من: فوَّز بالتشديد: إذا مات، وقيل: من: فاز: إذا نجا وسَلم، سمِّي بذلك تفاؤلاً بالسَّلامة.

قوله: (﴿أَحَادِيثَ﴾) أي: يُتَحدَّثُ بأخبارهم.

وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ....

﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾: فرَّقناهُم في البِلاد كُلَّ التَّفرِيق، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المَذكُور ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾: عِبراً ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾ عن المَعاصِي، ﴿شَكُورٖ﴾ على النِّعَم.

﴿٢٠﴾ ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ﴾ - بِالتَّخفِيف والتَّشدِيد - ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكُفَّار مِنهُم سَبَأ ﴿إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ أنَّهُم بِإغوائِه يَتَّبِعُونَه، ﴿فَٱتَّبَعُوهُ﴾ فصَدَقَ - بِالتَّخفِيفِ - في ظَنِّه أو صَدَّقَ - بِالتَّشدِيدِ - ظَنَّه أي: وجَدَهُ صادِقاً، ﴿إِلَّا﴾ بِمَعنى (لَكِن) ﴿فَرِيقٗا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ - (مِن): لِلبَيانِ - أي: هُم المُؤمِنُون لَم يَتَّبِعُوه.

حاشية الصاوي

قوله: (فرَّقناهم في البلاد) أي: لِضيق عيشهم وخراب أماكنهم، وهي سنَّةٌ باقيةٌ في كلِّ مَنْ بطر النعمة وظَلم، فقد أفادنا الله في تلك الآيات أنه أصابهم بنعمتين، وابتلاهم بنقمتَين.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[١].

قوله: (﴿ظَنَّهُۥ﴾) أي: وسبب ظنِّه: إما رؤيته انهماكهم في الشهوات، أو قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾، أو وسوسته لآدم في الجنة، فأخرج منها، فظنَّ ضعف أولاده بالنسبة له وإن كان لم تؤثر وَسوسته لآدم[٢].

قوله: (فصدق - بالتخفيف - في ظنِّه) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿ظَنَّهُۥ﴾ على قراءة التخفيف منصوب على نزع الخافض، والمعنى: صار فيما ظنَّه أولاً من إغوائهم على يَقين، وقوله: (أو «صدَّق» بالتشديد... إلخ) أي: فـ(ظنَّه) مفعول لـ(صدَّق)، والمعنى: حقَّق ظنَّه، ووجده صادقاً.

قوله: (بمعنى «لكن») أشار بذلك إلى أنَّ الاستثناء منقطع، وحمَله على ذلك تفسيره الضمير بالكفار[٣]، ويصح أن يكون متصلاً؛ لأنَّ بعض المؤمنين يُذنب ويتَّبع إبليس في بعض المعاصي، ويكون قوله: ﴿إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ المراد بهم: مَنْ لم يتَّبعه أصلاً، والأقرب: الأول؛ لأنَّ المعصومين استثناهم من حين طرده بقوله: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

---

(١) قرأه الكوفيون بتشديد الدال بعد الصاد، والباقون بالتخفيف. انظر «السراج المنير» (٣/ ٢٩٤).

(٢) أو ظن فيهم ظنًّا حيث قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾، فصدق ظنَّه وحقَّقه بفعله ذلك بهم واتِّباعهم إياه. انظر «معالم التنزيل» (٦/ ٣٩٧).

(٣) أي: في قوله: (عليهم) فسَّر الضمير بالكفار؛ فلا يتناول المؤمنين. «فتوحات» (٣/ ٤٩٥).

وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ ....

﴿٢١﴾ ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾: تَسليط ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ عِلمَ ظُهور ﴿مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ فنُجازي كُلًّا مِنهُما، ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾: رَقيبٌ.

﴿٢٢﴾ ﴿قُلِ﴾ يا مُحمَّد لِكُفَّار مكَّة: ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أي: زَعَمتُمُوهُم آلِهةً ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيره لِيَنفَعُوكُم بِزَعمِكُم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (تسليط منا) أي: فالشيطان سببٌ في الإغواء، لا خالق الإغواء، فمن أراد الله حِفْظَهُ.. منع الشيطان عنه، ومَن أراد الله إغواءه.. سلَّط الشيطان عليه، والكلُّ فعل الله تعالى[1].

قوله: (علم ظهور) أي: فالمعنى: ليَظهر متعلَّق علمنا؛ فاللام: للعاقبة، لا للتعليل، ومعنى الآية: ما كان له عليهم إيجاد إضلال، بل خالق الهدى والضلال هو نحن، وإنما سَبقت حكمتنا بتسليطه؛ ليتميَّز بين عبادنا مَنْ خلقنا فيه الكفر، ومَنْ خلقنا فيه الإيمان، فاتِّباعه وعدمه علامةٌ على ما تعلَّق به علمه تعالى، فتدبَّر.

قوله: (رقيب) أي: فهو تعالى قادرٌ على منع إبليس منهم، عالمٌ بما سيقع.

قوله: (﴿قُلِ ٱدْعُوا۟﴾) بكسر اللام على أصل التخلص، وبالضَّمِّ إتْباعاً، قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (أي: زعمتموهم آلهةً) أي: فالمفعولان محذوفان؛ الأول: لِطوله بصلته، والثاني: لقيام صفته ـ أعني: قوله: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ـ مَقامه.

قوله: (لينفعوكم) متعلق بـ﴿ٱدْعُوا۟﴾ أي: ادعوهم ليكشفوا عنكم الضرَّ الذي نزل بكم في سِني الجوع، ويجلبوا لكم سعة العيش.

---

(١) وعبارة البيضاوي: (تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء)، وكأنه نظر إلى الذي هو وَصف الشيطان، وهو التسلط بالإغواء وإن كان ناشئاً عن التسليط، وفيه رعايةُ الأليَق في عدم إسناد الأمور القبيحة ولو بالنسبة إلينا إليه تعالى؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ حيث لم يَقُل: وإذا أمرضني... إلخ، ونحو ذلك كثير. «فتوحات» (٣/ ٤٩٠).

(٢) كسر اللام وصلاً عاصم وحمزة ويعقوب، وضمَّها غيرهم كذلك. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٦٠).

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ ....

قال تعالى فيهم: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ﴾: وزنَ ﴿ذَرَّةٍ﴾ مِن خير أو شرٍّ ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾: شركةٍ، ﴿وَمَا لَهُۥ﴾ تعالى ﴿مِنْهُم﴾ مِن الآلهةِ ﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾: مُعِين.

﴿٢٣﴾ ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾ تعالى رَدًّا لِقولِهم: إنَّ آلِهتَهم تَشفَع عِندَه، ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ﴾ ـ بِفَتح الهمزة وضَمِّها ـ ﴿لَهُۥ﴾ فِيها ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾) أي: لا يملكون أمراً من الأمور في العالم، وذكر (السماوات والأرض) لِلتعميم عرفاً.

قوله: (معين) أي: على خلق شيء، بل الله تعالى المنفرد بالإيجاد والإعدام.

قوله: (﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾) أي: إنَّ الشفاعة لا تكون من هؤلاء المعبودين من دون الله؛ من الملائكة والأنبياء والأصنام إلا أن يأذن الله للملائكة والأنبياء في الشفاعة لغير الكفار، وأما الكفار.. فلا شفاعةَ فيهم؛ لقوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢-٢٣].

قوله: (ردًّا لقولهم... إلخ) أي: حيث قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وأيضاً: إن الشفاعة لا تكون ولا تجعل إلا بالإذن والرضا، وهم قد ارتكبوا ما يقتضي الغضب وهو الكفر، فكيف يطلبون الشفاعة بالكفر المقتضي للغضب وعدم الإذن في الشفاعة؟! إنَّ هذا الزعم باطِل.

قوله: (﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾) يصح وقوع (مَن) على الشافعين، والمعنى: إلا لشافعٍ أُذِنَ له في الشفاعة، ويصح وقوعها على المشفوع لهم، والمعنى: لا تنفع الشفاعة إلا لمشفوعٍ أذن أن يُشْفَعَ له؛ فاللام على كل حال متعلِّقة بـ﴿أَذِنَ﴾، والضمير عائد على الموصول، وفيه الوجهان.

قوله: (بفتح الهمزة) أي: والضمير عائد على الله تعالى لِذكره أولاً، وقوله: (وضمِّها) أي: بالبناء للمفعول، والآذن هو الله تعالى، والقراءتان سبعيَّتان[1].

(١) قرأ أبو عمرو والأخوان وخلف بضم الهمزة، والباقون بفتحها. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٦٠).

حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ ....

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ﴾ ـ بِالبِناءِ لِلفاعِلِ والمَفعُول ـ ﴿عَن قُلُوبِهِمۡ﴾: كَشَفَ عنها الفَزَعَ بِالإذنِ فِيها ﴿قَالُواْ﴾: قال بَعضُهم لِبَعضٍ استِبشاراً: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ﴾ فِيها؟ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ﴾) غاية في محذوف تقديره: يتربَّصون ويتوقفون مدةً من الزمان فزِعِين حتى إذا فزع. . . إلخ، والتضعيف للسلب كالهمزة؛ كما أشار له بقوله: (كشف عنها الفزع)، والمعنى: حتى إذا أُزيل الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها ربُّ العزَّة في الإذن بالشفاعة. . سأل بعضهم بعضاً.

قوله: (بالبناء للفاعل) أي: والفاعل ضمير يعود على الله، وقوله: (والمفعول) أي: والجارُّ والمجرور نائب الفاعل، والقراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (استبشاراً) أي: لِزوال الكرب والحزن عن القلوب، واختلف هل هذا الأمر في الآخرة أو الدنيا؟ فقيل: في الآخرة، ويُؤيِّده ما في (النبأ): ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا﴾ [النبأ: ٣٨]، وعلى هذا: فيكون في الكلام حذفٌ، والتقدير: لا تَنفع الشفاعة عنده يوم القيامة إلا لمن أذن له، ففزع ما ورد على القلوب من المهابة، حتى إذا ذهب الفزع عن قلوبهم. . سأل بعضهم بعضاً.

وقيل: في الدنيا، ويُؤيِّده ما ورد عن النبي ﷺ: «**إنَّ الله تعالى إذا أراد أن يوحي بأمر وتكلَّم بالوحي. . أخذت السماوات والأرض منه رجفةً أو رعدةً شديدةً؛ خوفاً من الله تعالى، فإذا سمع أهل السماوات ذلك. . صعقوا وخرُّوا لله سجَّداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله تعالى ويَقول له من وحيه ما أراد، ثم يمرُّ جبريل بالملائكة، كلما مرَّ بسماء. . سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، قال: فيقول كلُّهم كما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي حيث أمر الله تعالى**»[2].

وعن ابن عباس قال: (كان لكلِّ قبيلة من الجن مقعدٌ من السماء يستمعون منه الوحي، وكان

---

(١) قرأ ابن عامر: (فزَّع) مبنيًّا لِلفاعل، وقرأ الباقون مبنيًّا لِلمفعول. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٨٠).

(٢) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٣٥) عن سيدنا النواس بن سمعان رضي الله عنه، وبنَحوه عند ابن حبان في «صحيحه» (٣٧) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه.

قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ....

﴿قَالُواْ﴾: القَول ﴿ٱلْحَقَّ﴾ أي: قد أذِنَ فِيها ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ فوقَ خَلقه بِالقَهرِ ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: العَظيمُ.

﴿٢٤﴾ ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ المَطَرَ ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ النَّباتَ؟ ....

حاشية الصاوي

إذا نزل الوحي.. سُمِعَ له صوت كإمرار السلسلة على الصفوان، فلا ينزل على أهل سماء إلا صعقوا، فإذا فزع عن قلوبهم.. قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير، ثم يقول يكون في هذا العام كذا ويكون كذا، فتسمعه الجنُّ، فيُخبرون الكهنة، والكهنة يخبرون الناس فيجدونه كذلك، فلمَّا بعث الله سيدنا محمداً ﷺ.. دُحروا ومنعوا بالشهب، فقالت العرب حين لم تخبرهم الجنُّ بذلك: هلك من في السماء، فجعل صاحب الإبل يَنحر كلَّ يوم بعيراً، وصاحب البقر ينحر كلَّ يوم بقرة، وصاحب الغنم يذبح كلَّ يوم شاة حتى أسرعوا في أموالهم، فقالت ثقيف - وكانت أعقل العرب -: أيها الناس؛ أمسِكوا على أموالكم فإنه لم يمُت من في السماء، أما ترَون معالمكم من النجوم كما هي، والشمس والقمر، والليل والنهار؟ فقال إبليس: لقد حدث في الأرض اليوم حدث، فأتوني من كل تربة أرض، فأتوه بها، فلمَّا شمَّ تربة مَكة.. قال: من ههنا جاء الحدث، فأنصَتوا، فإذا رسول الله ﷺ قد بعث)[1].

فتحصَّل: أنَّ الفزع على القول بأنه في الآخرة يكون من جميع الخَلق، وعلى القول بأنه في الدنيا يكون من الملائكة خاصة، والآية محتملة للأمرَين، والعموم أولى؛ لأنَّ الكفار زعموا أنَّ آلهتهم تنفعهم في الدنيا والآخرة، فردَّ الله عليهم بهذه الآية الشاملة للأمرين، فتدبَّر.

قوله: (القولَ ﴿ٱلْحَقَّ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿ٱلْحَقَّ﴾ صفة لمصدر محذوف، مقول القول.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾) هذا من تمام كلام الشفعاء اعتِرافاً بعظمة الله وكبريائه.

قوله: (﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم﴾... إلخ) هذا السؤال تبكيت للمشركين، وإشارةٌ إلى أنَّ آلهتهم لا تملك لهم ضرًّا ولا نفعاً، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٤٠).

قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ..

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ إن لَم يَقُولُوهُ لا جَوابَ غَيره، ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ أي: أحَدَ الفَرِيقَينِ ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بيِّن، في الإبهام تَلَطُّف بِهِم داعٍ إلى الإيمانِ إذا وُفِّقُوا لَه.

(﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾) ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾: أذنبنا، ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لأنَّا بَرِيئُون مِنكُم، ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يومَ القِيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾: يَحكُم ﴿بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ فيُدخِل المُحِقِّينَ الجَنَّة والمُبطِلِينَ النَّار، ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾: الحاكِمُ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِما يَحكُم بِه.

﴿٢٧﴾ ﴿قُلْ أَرُونِىَ﴾: أَعلِمُوني ﴿ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ في العِبادةِ ﴿كَلَّا﴾: رَدع لَهُم عن اعتِقاد شَرِيك لَه، ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالِبُ على أمرِه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تَدبِيره لِخَلقِه، فلا يَكُون لَهُ شَرِيك في مُلكِه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾) غايَر بين الحرفين؛ إشارةً إلى أنَّ المؤمنين مستعلون على الهدى؛ كراكب الجواد يسير به حيث شاء، والكفار محبُوسون في الضلال؛ كالمنغمس في الظلمات الذي لا يُبصر شيئاً.

قوله: (في الإبهام) خبرٌ مقدَّم، و(تلطُّفٌ): مبتدأ مؤخر، و(داعٍ): صفة لـ(تلطُّف).

قوله: (﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾... إلخ) فيه تلطُّفٌ بهم وتواضعٌ؛ حيث أسند الإجرام لأنفسهم، والعمل لِلمخاطبين.

قوله: (يوم القيامة) أي: في الموقِف.

قوله: (أعلِموني) أشار بذلك إلى أنَّ (أرى) علميَّة، فتتعدَّى إلى ثلاثة مفاعيل: أولها: ياء المتكلم، وثانيها: الموصول، وثالثها: (شركاء)، ويصح أن تكون بصريَّة فتتعدَّى إلى مفعولين: الأول: ياء المتكلم، والثاني: الموصول، و(شركاءَ): حال من عائد الموصول، والقصد من ذلك: تبكيتُهُم، وإظهارُ خطئهم بعد إقامة الحجة عليهم.

قوله: (﴿بَلْ هُوَ﴾) الضمير إمَّا عائد على الله، أو ضمير الشأن، وما بَعده مبتدأ وخبر، والجملة خبر.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾

﴿٢٨﴾ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ﴾ - حال مِن (النَّاس) قُدِّمَ لِلاهتِمام - ﴿لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا﴾: مُبَشِّراً لِلمُؤمِنِين بِالجنَّةِ، ﴿وَنَذِيرٗا﴾: مُنذِراً لِلكافِرِين بِالعذابِ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: كُفَّار مكَّة ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَّا كَآفَّةٗ﴾) الحصر إضافيٌّ، جيء به للردِّ على المشركين الذين يَعتقدون أنَّ رسالته غير عامَّة لجميع بني آدم.

قوله: (حال من «الناس») تبع فيه ابنَ عطيَّة، واعترضه الزمخشري: بأنَّ تقدُّم الحال على صاحبها المجرور خطأٌ، بمنزلة تقدُّم المجرور على الجارِّ[1]، ورُدَّ: بأنَّ الصحيح جواز تقديم الحال على صاحبها المجرور وما يتعلَّق به، وإذا جاز تقديمها على صاحبها وعامِلها.. فتقديمُهَا على صاحبها وحده أجوَزُ؛ لتقدُّم عاملها، وهو (أرسلنا)، وهذا أحدُ أوجهٍ في الآية، ويصحُّ جعل (كافة) حالاً من الكاف في (أرسلناك)، والتاء للمبالغة كهي في: علَّامة وراوِيَة، والمعنى: إلا جامعاً للناس في التبليغ، لا يخرج عن تبليغك أحدٌ؛ فـ: ﴿كَآفَّةٗ﴾: اسم فاعل من: (كفَّ) بمعنى: جمع، أو مصدر كالعاقبة والعافية؛ إمَّا مُبالغة، أو على حذف مضاف؛ أي: ذا كافة للناس، أو صفة لمصدر محذوف تقديره: إلا إرسالةً كافَّةً[2]؛ أي: محيطة بهم وشاملة لهم، فلا يَخرج منها أحد، والأوجه الثلاثة على أنه حال من الكاف، وهي متقاربة.

فتحصَّل: أنَّ هذه الآية دلَّت على أنه مرسلٌ لجميع الإنس بشيراً ونذيراً، وأمَّا إرساله لغيرهم.. فمأخوذٌ من آيات أُخَر منها: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، لكن إرسالُهُ للإنس والجنِّ إرسالُ تكليفٍ، وللملائكة؛ قيل: إرسالُ تكليفٍ، وقيل: تشريف، وللحيوانات الغير العاقلة والجمادات إرسالُ تشريفٍ.

قوله: (﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك) أي: ما ذكر من عُموم رسالته، وكونه بشيراً ونذيراً.

---

(١) انظر «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٢٠)، و«الكشاف» (٣/ ٥٩٢).

(٢) ووهَّم ابن هشام من أعربها صفة لمصدر محذوف؛ لإخراجه عمَّا التزم فيه من الحالية؛ فإن العرب لم تستعمل قطُّ (كافة) إلا حالاً. انظر «مغني اللبيب» (ص٧٣٣).

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ ....

(٢٩ - ٣٠) ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بِالعَذابِ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فِيه؟ ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ علَيهِ، وهو يَوم القِيامة.

٣١ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مِن أهلِ مكَّةَ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: تَقَدَّمَهُ كالتَّوراةِ والإنجِيل الدَّالِّينِ على البَعث لإنكارِهم لَه، قال تَعالى فِيهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا مُحمَّد ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيَقُولُونَ﴾) أي: على سبيل الاستهزاء والسخرية.

قوله: (﴿إِن كُنتُمْ﴾) الخطاب للنبي والمؤمنين.

قوله: (﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ﴾) أي: إن أردتم التأخُّر، وقوله (﴿وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾) أي: إن أردتم التقدمَ والاستعجال كما هو مطلوبكم.

إن قلت: إن الجواب ليس مطابقاً للسؤال؛ لأنَّ السؤال عن طلب تعيين الوقت، والجواب يقتضي أنهم منكرُون للوقت من أصله.

وأجيب: بأنَّ الجواب مُطابق بالنظر لحالهم لا لسؤالهم؛ لأنَّ سؤالهم وإن كان على صورة الاستفهام عن الوقت إلا أنَّ مرادهم الإنكارُ والتعنُّتُ، والجواب المطابق أن يكون بالتهديد على تَعنُّتهم.

قوله: (﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ﴾... إلخ) سبب ذلك: أنَّ أهل الكتاب قالوا لهم: إنَّ صفة محمد في كتبنا، فلمَّا سألوهم ووافق ما قال أهل الكتاب.. قال المشركون: لن نُؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يدَيه.

قوله: (الدَّالَّيْنِ على البعث) أي: وعلى صفة محمد ﷺ؛ فإنهم يكفرون بها أيضاً.

قوله: (قال تعالى فيهم) أي: في بيان أحوالهم في الآخرة.

قوله: (﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾) مفعول (ترى) وجواب (لو) محذوفان، والتقدير: ولو ترى حال الظالمين وقت وقوفهم عند ربهم حال كونهم يرجع بعضُهم إلى بعضِ القول.. لرأيتَ أمراً فظيعاً.

إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ....

﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكافرون ﴿مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾: الأتباعُ ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾: الرُّؤساءِ: ﴿لَوۡلَآ أَنتُمۡ﴾ صَدَدتُمونا عن الإيمانِ ﴿لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ﴾ بِالنَّبِيِّ.

﴿٣٢﴾ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ﴾؟ لا، ﴿بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ﴾ في أنفسِكم.

﴿٣٣﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: مَكرٌ فِيهِما

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾) (إذ): ظرف لـ﴿تَرَىٰٓ﴾ بمعنى: وقت.

قوله: (﴿مَوۡقُوفُونَ﴾) أي: محبوسُون في الموقف للحساب.

قوله: (﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾) العِنديَّة للمكانة والعظمة، لا المكان.

قوله: (﴿يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ﴾) حال من ضمير ﴿مَوۡقُوفُونَ﴾، و﴿ٱلۡقَوۡلَ﴾: منصوب بـ﴿يَرۡجِعُ﴾.

قوله: (﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾) تفسير لقوله: ﴿يَرۡجِعُ﴾، فالجملة لا محلَّ لها من الإعراب.

قوله: (﴿لَوۡلَآ أَنتُمۡ﴾) ما بعد ﴿لَوۡلَآ﴾ مبتدأ، خبره محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (صددتمونا... إلخ)، وقوله: (﴿لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ﴾) جواب ﴿لَوۡلَآ﴾.

قوله: (﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾) أي: جواباً للمستضعفين.

قوله: (﴿أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ﴾) أي: منعناكم.

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاري.

قوله: (﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾) ترك العطف فيما سبق؛ لأنه مرَّ أوَّلاً كلامهم، فأتى بالجواب مستأنفاً من غير عاطف، ثمَّ أتى بكلامٍ آخرَ للمستضعفين معطوفاً على كلامهم الأول.

قوله: (﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾) ردٌّ وإبطال لكلام المستكبرين، و﴿مَكۡرُ﴾: فاعل بفعل

إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا ....

مِنكُم بِنا، ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾: شُركاءَ، ﴿وَأَسَرُّوا۟﴾ أي: الفَريقانِ ﴿ٱلنَّدَامَةَ﴾ على تَركِ الإيمان بِه ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ أي: أخفاها كُلٌّ عن رَفِيقِه مَخافَةَ التَّعيير، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في النَّار، ﴿هَلْ﴾: ما ﴿يُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جَزاء ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ في الدُّنيا.

(﴿٣٤﴾ - ﴿٣٦﴾) ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾: رُؤَساؤُها المُتنَعِّمُونَ: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا﴾ مِمَّن آمَنَ، ....

حاشية الصاوي

محذوف؛ أي: صدُّنا مكركم بِنا في الليل والنهار، فحذف المضاف إليه، وأقيم الظرف مُقامه على الاتِّساع، والإسناد مجازيٌّ.

قوله: (﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ﴾) ظرف للمكر؛ أي: مَكركم وقت أمركم لنا... إلخ.

قوله: (﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ﴾) جملة حاليَّة، أو مستأنفة.

قوله: (أي: أخفاها كلٌّ عن رفيقه) أي: فكلٌّ أخفى النَّدم على فِعله في الدنيا من الكفر والمعاصي مخافةَ أن يُعيِّره الآخر.

قوله: (﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) أي: زيادةً على تعذيبهم بالنار.

قوله: (﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا﴾... إلخ) هذا تسليةٌ له ﷺ.

قوله: (﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾) حال من ﴿قَرْيَةٍ﴾ وإن كانت نكرةً؛ لِوُقوعها في سياق النفي فتعمُّ، فقد وجد المسوِّغ.

قوله: (﴿بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾) متعلق بـ﴿كَـٰفِرُونَ﴾، قدِّم للاهتمامِ ورعايةً للفواصل.

قوله: (﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا﴾) أي: فلو لم يكن راضياً بما نحن عليه.. لما أعطانا الأموال والأولاد في الدنيا، وإذا كان كذلك.. فلا يُعذِّبنا في الآخرة.

وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا ....

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾: يُوَسِّعهُ ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ امتِحاناً، ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضيِّقهُ لِمَن يَشاء ابتِلاءً، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كُفَّار مكَّة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿٣٧﴾ ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ﴾: قُربَى أي: تَقريباً، ﴿إِلَّا﴾ لَكِن ﴿مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: جَزاء الحَسَنة ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾) أي: لأنه لما أكرمنا في الدنيا.. فلا يُهيننا في الآخرة على فرض وجودها.

قوله: (﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾... إلخ) أي: فبسطُ الرزق وضيقه ليس دليلاً على رضا الله؛ فقد يبسط الرزق للكافر، ويُضيِّقه على المؤمن الخالص، وقد يكون بالعكس، وإنما هو تابعٌ للقسمة الأزليَّة، قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢].

قوله: (﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك) أي: فيظنُّون أنَّ بسط الرزق وتَضييقه تابعٌ لرضا الله وغضبِهِ.

قوله: (﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ﴾... إلخ) كلام مستأنفٌ، سِيق لتقرير ما سبق وتحقيقه.

قوله: (﴿بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ﴾) صفة للأموال والأولاد؛ لأنَّ جمع التكسير للعاقل وغير العاقل يعامل معاملة المؤنثة الواحدة، ويصح أن تكون (التي) صفة لموصوف محذوف، تقديره: بالأحوال التي.

قوله: (قربى) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿زُلْفَىٰ﴾ مصدر من معنى الفعل.

قوله: (لكن ﴿مَنْ آمَنَ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ الاستثناء منقطعٌ، وحمله على ذلك جعلُ الخطاب للكفار، ويَصح أن يكون متَّصلاً والخطاب الأول عامٌّ، كأنَّه قيل: وما الأموال والأولاد تقرِّب أحداً إلا المؤمن الصالح الذي أنفَق أمواله في سبيل الله، وعلَّم أولاده الخير وربَّاهم على الصلاح فأولئك... إلخ.

قوله: (﴿فَأُولَٰئِكَ﴾) مبتدأ، و﴿لَهُمْ﴾: خبر مقدَّم، و﴿جَزَاءُ﴾: مبتدأ مؤخَّر، والجملة خبر ﴿أُولَٰئِكَ﴾، وهو استِئنافٌ لبيان جزاء أعمالهم.

قوله: (﴿جَزَاءُ الضِّعْفِ﴾) من إضافة الموصوف لِصفته؛ أي: الجزاء المضاعف.

وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥۖ ....

مَثلاً بِعَشرٍ فأكثَرَ، ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ مِن الجنَّة ﴿ءَامِنُونَ﴾ مِن المَوت وغيرِه، - وفي قِراءة: (الغُرفة) بِمَعنى الجَمع -.

﴿٣٨﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾: القُرآنِ بالإبطالِ ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ لَنا: مُقَدِّرين عَجزَنا وأنَّهم يَفُوتُونَنا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

﴿٣٩﴾ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾: يُوسِّعُهُ ﴿لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ امتِحاناً، ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضَيِّقُهُ ﴿لَهُۥ﴾ بعدَ البَسط أو لِمَن يَشاءُ ابتِلاءً، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ في الخَير ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (مثلاً) أي: أو الحسنة بسبعين أو بسبع مئة أو أكثر.

قوله: (وغيره) أي: من سائر المكاره، فلا يَفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (مقدِّرين عجزنا) أي: مُعتقدين أننا عاجزون فلا نقدر عليهم.

قوله: (﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾... إلخ) اختُلف في هذه الآية فقيل: مكرَّرة مع التي قبلها للتأكيد، وقيل: مغايرة لها؛ فالأُولى محمولة على أشخاص متعددين، وهذه محمولةٌ على شخص واحد باعتبار وقتين، فوقتُ البسط غيرُ وقت القبض، وهو الاحتمال الأول في المفسِّر، أو الأولى محمولةٌ على الكفار، وهذه في حقِّ المؤمنين، وكلٌّ صحيح.

قوله: (ابتلاء) علة لقوله: ﴿وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾ أي: يُخْتَبَرُ هل يصبر أو لا.

قوله: (﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ﴾) أي: على أنفسكم وعِيالكم، أو تصدَّقتم به.

قوله: (﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾) أي: بالمال، أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد، أو بالثواب في الآخرة،

---

(١) قرأ حمزة: (الغرفة) بالتوحيد على إرادة الجنس، ولِعدم اللبس؛ لأنه معلوم أن لكل أحد غرفة تخصُّه. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٩٥).

وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ ....

وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ يُقالُ: كُلُّ إنسان يَرزُق عائِلَتَه أي: مِن رِزقِ الله.

﴿٤٠﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: المُشرِكِين، ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ﴾ ـ بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وإبدالِ الأُولى ياءً، وإسقاطِها ـ ....

حاشية الصاوي

وفي الحديث: «ما مِن يوم يصبح العباد فيه إلَّا وملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهمَّ أعطِ منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهمَّ أعطِ مُمسكاً تَلفاً»[1]، ويؤيد هذا الحديث قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ...﴾ [الليل: ٥] الآيات.

وأتى بهذه الآية عقب التي قبلها؛ إشارةً إلى أن الإنفاق لا يُضيِّق الرزق، بل ربما كان سبباً في توسعته، فالحيلة في توسعة الرزق الإنفاقُ في وجوه الخير، والثقةُ بالله، والتوكُّل عليه.

قوله: (﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾) أي: أحسنُهم وأجلُّهم؛ لِكونه خالق السبب والمسبَّب.

قوله: (يقال: كلُّ إنسان... إلخ) أي: لغةً، ودفع بذلك ما قيل: إنَّ الرازق في الحقيقة واحد وهو الله، فأجاب: بأنَّ الجمع باعتبار الصورة، فالله خالق الرِّزق، والعبيد متسبِّبون فيه.

إن قلت: أيُّ مشاركة بين المفضَّل والمفضَّل عليه؟

أجيب: بأنَّ الرزاق يُطلق على الموصل للرزق، والخالق له، والربُّ يوصف بالأمرين، والعبد يوصف بالإيصال فقط، فخيريَّة الله من حيث إنه خالق ومُوصل، فعُلِمَ أنَّ العبد يقال له: رازق بهذا، ولا يقال له: رزَّاق؛ لأنه من الأسماء المختصَّة به تعالى.

قوله: (يرزق عائلته) أي: عِياله، وعيال الرجل: مَن يَعولهم، واحده: عيِّل ك: جيِّد.

قوله: (وإبدال الأولى ياء) هذا سبق قَلم من المفسِّر؛ إذ لم يقرأ بهذه أحدٌ من القرَّاء، وأمَّا تحقيقهما وإسقاط الأولى.. فقراءتان سبعيَّتان، وبقي ثلاث قراءات سبعيَّات: تحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وعكسُه، وإبدال الثانية ياء ساكنة ممدوحة مع تحقيق الأُولى، فتكون الجملة خمساً[2].

---

(١) رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠) عن سيدنا أبي هريرة ﷺ.

(٢) قرأ قالون والبزي بتسهيل الأُولى مع المد والقصر، وأبو عمرو بإسقاطها مع القصر والمد، وورش وقنبل وأبو جعفر ورويس بتسهيل الثانية، ولورش وقنبل إبدال الثانية حرف مدٍّ مع الإشباع، والباقون بالتحقيق فيهما. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٦١).

كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ....

﴿كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾؟

﴿٤١﴾ ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ﴾ تَنزِيهاً لَك عن الشَّرِيك، ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي: لا مُوالاةَ بَيننا وبَينَهم مِن جِهَتِنا، ﴿بَلْ﴾ ـ لِلانتِقالِ ـ ﴿كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾: الشَّياطِينَ، أي: يُطِيعُونَهم في عِبادَتِهم إيَّانا، ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾: مُصدِّقُون فِيما يَقُولُون لَهُم.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾) خطاب للملائكة، وتقريع للكفار، وذلك كقوله تعالى لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] مع كون الله عالماً بأنَّ الملائكة وعيسى بَريئون من ذلك.

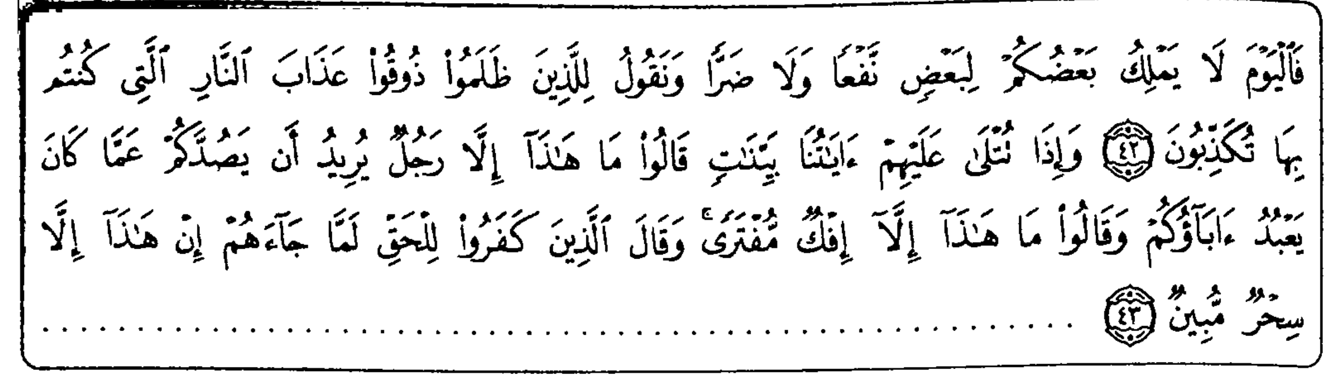
قوله: (﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾) أي: أنت الذي نُواليك ونتقرَّب إليك بالعبادة، فلم يكن لنا دخلٌ في عبادتهم لنا.

قوله: (أي: يُطيعونهم) أي: فالمراد بعبادة الجنِّ: طاعتُهم فيما يُوسوسون لهم، وقيل: كانوا يتمثَّلون لهم ويخيِّلون إليهم أنهم الملائكة؛ كما وقع لجماعة من خُزاعة كانوا يعبدون الجنَّ، ويزعمون أنَّ الجنَّ تتراءى لهم، وأنهم ملائكة، وأنهم بنات الله.

قوله: (﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾) إن قلتَ: حيث أثبت أوَّلاً أنهم يعبدون الجنَّ لزم منه أنَّ جميعهم مؤمنون بهم، فكيف قال: (أكثرهم)؟

أجيب: بأنَّ قول الملائكة: (أكثرهم) من باب الاحتياط؛ تحرُّزاً عن ادِّعاء الإحاطة بهم، كأنهم قالوا: إنَّ الذين رأيناهم واطَّلعنا على أحوالهم كانوا يعبدون الجنَّ، ولعلَّ في الموجود مَنْ لم يطَّلع عليه من الكفار.

وأجيب أيضاً: بأن العبادة عملٌ ظاهرٌ، والإيمان عمل باطن، والظاهر عنوان الباطن غالباً، فقالوا: (بل كانوا يعبدون الجنَّ)؛ لاطِّلاعهم على أعمالهم، وقالوا: (أكثرهم بهم مؤمنون)؛ لعدم اطِّلاعهم على ما في القلوب.



فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾

﴿٤٢﴾ قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أي: بَعضُ المَعبُودِينَ لِبَعضِ العابِدِين ﴿نَّفْعًا﴾: شَفاعةً ﴿وَلَا ضَرًّا﴾: تعذِيباً، ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: كفرُوا: ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿٤٣﴾ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾: القُرآنُ ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: واضِحاتٍ بِلِسانِ نَبِيِّنا مُحمَّد ﷺ ﴿قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ مِن الأصنام، ﴿وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ﴾ أي: القُرآنُ ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾: كَذِبٌ ﴿مُّفْتَرًى﴾ على اللهِ، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ﴾: القُرآنِ ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: بيِّن.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: بعض المعبودين) أي: وهم الملائكة، وقوله: (لبعض العابدين) أي: وهم الكُفار.

قوله: (﴿وَنَقُولُ﴾) عطف على ﴿لَا يَمْلِكُ﴾.

قوله: (﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾) أي: دلائل توحيدنا.

قوله: (﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾) أي: كذبٌ غيرُ مطابق للواقع، ومع كونه كذلك هو مفترى؛ أي: مختلقٌ من حيث نسبتُهُ إلى الله، فقوله: ﴿مُّفْتَرًى﴾ تأسيسٌ لا تأكيد.

قوله: (﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) التصريح بالفاعل إنكارٌ عظيمٌ، وتعجيبٌ بليغٌ[1].

(١) يعني: أنه لما ذكر قوله: (قالوا) في جواب قوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾.. كان الظاهر أن يذكر مَقُول الكفرة؛ بأن يعطف بعضه على بعض؛ بأن يقال: قالوا كذا وكذا، من غير أن يُعادَ فعل القول مع كل مَقول، وقد أعيد ذلك حيث قيل: قالوا كذا وكذا، ثم قيل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بإعادة الفعل مرة ثالثة، والتصريح بفاعله، والمقام مقام الإضمار كما في الأولين. نقله العلامة الجمل في «فتوحاته» (٣/٥٠٣) عن «حواشي زاده».

وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ ....

﴿٤٤﴾ قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ فمِن أينَ كَذَّبُوك؟

﴿٤٥﴾ ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟﴾ أي: هؤلاءِ ﴿مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ مِن القُوَّة وطُولِ العُمُر وكَثرةِ المالِ، ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ﴾ إليهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري عليهِم العُقُوبةَ والإهلاكَ، أي: هو واقِع مَوقِعَه.

﴿٤٦﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ﴾ هي ....

حاشية الصاوي

قوله: (قال تعالى) أي: ردًّا عليهم.

قوله: (﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ﴾) أي: فالمعنى: لا عُذر لهم في عدم تصديقك، بخلاف أهل الكتاب؛ فإنَّ لهم كتاباً وديناً، ويحتجون بأنَّ نبيَّهم حذَّرهم من ترك دينه وإن كان عذراً باطلاً وحجَّة واهية.

قوله: (﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾) أي: نبيٌّ يخوِّفهم ويحذِّرهم من عقاب الله.

قوله: (﴿مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾) قيل: المعشار: لُغة في العُشْر، وقيل: المِعْشَار هو: عُشْر العَشِير، والعَشِير هو: عُشْر العُشْر، فيكون جزءاً من ألف، وهو الأظهَر؛ لأنَّ المراد به المبالغة في التقليل.

قوله: (من القوة... إلخ) أي: ومع ذلك فلم يَنفعهم شيءٌ من ذلك في دفع الهلاك عنهم.

قوله: (﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ﴾) عطف على قوله: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ عطف مسبَّبٍ على سبب.

قوله: (﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾) عطفٌ على محذوف، تقديره: فحين كذَّبوا رسلي جاءهم إنكاري بالتدمير، فكيف كان نكيري لهم؟

قوله: (واقع موقعه) أي: فهو في غاية العدل، وعدم الجور والظلم.

قوله: (﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم﴾) أي: آمرُكم وأُوصيكم، وقوله: (﴿بِوَٰحِدَةٍ ۖ﴾) صفة لموصوف محذوف، تقديره: بخصلة واحدة.

أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ....

﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ أي: لِأجلِه ﴿مَثْنَىٰ﴾ أي: اثنَينِ اثنَينِ، ﴿وَفُرَٰدَىٰ﴾: واحِداً واحِداً، ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ فتعلَمُوا ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ مُحمَّد ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾: جُنُونٍ، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ﴾ أي: قبلَ ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ في الآخِرةِ إن عَصَيتُمُوه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَن تَقُومُواْ﴾) (أنْ) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر، خبر لمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (هي)، وليس المرادُ بالقيام حقيقتَهُ، وهو الانتصاب على القدمَين، بل المراد: صرفُ الهمَّة، والاشتغالُ والتفكُّرُ في أمر محمدٍ وما جاء به؛ لأنَّ أوَّل واجب على المكلَّف النَّظرُ المؤدِّي للمعرفة.

قوله: (﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾) حالان من فاعل ﴿تَقُومُواْ﴾، وإنما أمرَهم بذلك؛ لأنَّ الجماعة ربما يكون في اجتماعها تشويشُ الخاطر، ومنعُ التَّفكُّر بسبب الأغراض والتعصُّب، وأمَّا الاثنان فيتفكَّران ويَعْرِضُ كلُّ واحد منهما على صاحبه ما استفاده بفكرته، وأما الواحد فيُفكر في نفسه ويقول: هل رأينا من هذا الرجل جنوناً أو جرَّبنا عليه كذباً قط؟! وقد علمتم أنَّ محمداً ما به جنونٌ، بل عَلمتموه أرجحَ قريش عقلاً، وأوزنهم حلماً، وأحدَّهم ذهناً، وأرضاهم رأياً، وأصدقهم قولاً، وأزكاهم نفساً، وإذا عَلمتم ذلك.. كفاكم أن تطلبوا منه آية على صدقه، وإذا جاء بها.. تبيَّن أنه صادقٌ فيما جاء به، وإذا كان كذلك.. فالواجب اتِّباعُهُ وتصديقُهُ.

قوله: (فتعلموا) أشار بذلك إلى أنَّ نتيجة الفكر العلمُ، ومَعمول التفكر محذوف، والتقدير: فتتفكروا في أحوال محمد، فينتج لَكم العلم بأن ما بصاحبكم جنونٌ ولا نقصٌ.

قوله: (﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾) أضافه لهم؛ إشارةً إلى أنه كان مشهوراً بينهم، وحاله معروف عندهم، فكانوا يَدعونه بالصادق الأمين، فإذا تفكَّروا وقاسُوا حاله بعد النُّبوَّة على حاله قبلها.. فيُفيدهم العلم بكمال أوصافه.

قوله: (﴿إِنْ هُوَ﴾) أي: المحدَّث عنه، وهو محمد ﷺ.

قوله: (﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾) أي: هو مُقدمة عذاب لكم في الدنيا والآخرة إن لم تؤمنوا وتصدِّقوه فيما جاء به، فيُخبركم به قبل وقوعه.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ ....

﴿٤٧﴾ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَا سَأَلْتُكُم﴾ على الإنذارِ والتَّبليغ ﴿مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي: لا أسألُكُم عليهِ أجراً، ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾: ما ثوابِي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: مُطلِّعٌ يَعلَم صِدقِي.

(﴿٤٨﴾ - ﴿٤٩﴾) ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾: يُلقِيهِ إلى أنبيائِه، ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾: ما غابَ عن خَلقِه في السَّماواتِ والأرضِ، ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: الإسلامُ، ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ﴾: الكُفرُ ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: لَم يَبقَ لَه أثرٌ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾) يحتمل أنَّ (ما): شرطية مفعول لـ﴿سَأَلْتُكُم﴾، و﴿مِّنْ أَجْرٍ﴾: بيان لـ(ما)، وقوله: ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ جواب الشرط، ويحتمل أنها موصولة مبتدأ، وقوله: ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ خبرها، وقُرن الخبر بالفاء؛ لما في الموصول من العموم، وعلى كلٍّ: فيحتمل أنَّ المعنى: لم أسألكم أجراً ألبتةَ، فيكون كقولك لمن لم يُعطك شيئاً أصلاً: إن أعطيتني شيئاً فخُذه، ويؤيِّده قوله: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢]، وقول المفسِّر: (أي: لا أسألكم عليه أجراً)، ويحتمل أنَّ المعنى: لم أسألكم شيئاً يعود نفعه عليَّ، فهو كقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، وقوله: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٥٧].

قوله: (﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي﴾) أي: مالكي وسيِّدي.

قوله: (﴿يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾) مفعول ﴿يَقْذِفُ﴾ محذوفٌ، تقديره: يقذف الباطل بالحق، ويؤيِّده قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ [الأنبياء: ١٨] أي: ندفع الباطل بالحقِّ ونَصرفه به، ويصح أن تكون الباء للملابسة، والمفعول محذوف أيضاً، والتقدير: يقذف الوحي إلى أنبيائه ملتبساً بالحق، أو ضمَّن ﴿يَقْذِفُ﴾ معنى: يَقضي ويحكم، والأقرب: الأول؛ لأنَّ خير ما فسَّرته بالوارد.

قوله: (﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾) خبر ثانٍ لـ(إنَّ)، أو خبر مبتدأ محذوف.

قوله: (ما غاب عن خلقه) أي: فتَسميته غيباً بالنسبة للخلق، وإلَّا.. فالكلُّ شهادةٌ عنده تعالى.

قوله: (﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾) أفاد بذلك أنَّ الوعد مُنجز ومتحقِّق بالفعل، فليس مجرَّد وعدٍ.

قوله: (﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾) أي: لم يبقَ له بداية ولا إعادة؛ أي: نهاية، فهو كناية عن ذهابه بالمرَّة، وهذا بمعنى قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١].

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿٥٠﴾ ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ عن الحقِّ ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ أي: إثمُ ضَلالِي علَيها، ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ مِن القُرآنِ والحِكمةِ، ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ لِلدُّعاء ﴿قَرِيبٌ﴾.

حاشية الصاوي

إن قلتَ: إنَّ السورة مكيَّة والكفر في ذلك الوقت كان له شوكة قويَّة، والإسلام كان ضعيفاً، فكيف قال: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ...﴾ إلخ؟

أجيب: بأنه لتحقُّق وقوعه نزَّله منزلة الواقع، فعبَّر عنه بالماضي؛ كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١].

قوله: (﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾) سبب نزولها: أنَّ الكفار قالوا للنبي ﷺ: تركت دين آبائك فضللتَ[١].

والمعنى: قل لهم يا محمد: إن حَصل لي ضلال كما زعمتم.. فإنَّ وبال ضلالي على نفسي، لا يضرُّ غيري.

وقراءة العامَّة بفتح اللام من باب: (ضرب)، وقرئ شذوذاً بكسر اللام من باب: (عَلم)[٢].

قوله: (﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ﴾... إلخ) أي: لأنَّ الاهتداء لا يكون إلا بهدايته وتوفيقه.

قوله: (﴿فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾) أي: بسبب إيحاء ربي إليَّ، أو بسبب الذي يوحيه إليَّ، فـ(ما): مصدرية، أو موصولة، والمعنى: فهُداي بفضل الله تعالى، فحاصل المعنى المراد: أنه إن كان بي ضلال.. فمن نفسي لنفسي، وإن كان بي هدىً.. فمن فضل الله بالوحي إليَّ، على حدِّ قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

قوله: (﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾) أي: يسمع كلَّ ما خفي وما ظهر، وقوله: ﴿قَرِيبٌ﴾ أي: قُرب مكانة، لا مكان.

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١٤/ ٣١٣).

(٢) العامة على فتح لامه في الماضي، وكسرها في المضارع، ولكن ينقل إلى الساكن قبلها، والحسن وابن وثاب بالعكس، وهي لغة تميم. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٠٢).

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ ....

﴿٥١﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا مُحمَّد ﴿إِذْ فَزِعُوا۟﴾ عِند البَعث لَرَأيتَ أمراً عَظِيماً، ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ لَهُم مِنَّا أي: لا يَفُوتُونَنا، ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي: القُبُور.

﴿٥٢﴾ ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: بِمُحمَّدٍ أو القُرآنِ، ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ - بِواوٍ وبِالهَمزةِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ﴾) يحتمل أنَّ مفعول (ترى) محذوف، تقديره: ولو ترى حالَهم وقت فزعهم، ويحتمل أنَّ (إذ) مفعول (ترى) أي: ولو ترى وقت فزعهم، وإسناد الرؤية للوقت مجازٌ، وحقُّه أن يسند لهم، وقوله: (عند البعث) أحد أقوال في وقت الفزع، وقيل: في الدنيا يوم بدر حين ضُرِبت أعناقهم بسيوف الملائكة، فلم يَستطيعوا الفرار إلى التوبة.

وقيل: نزلت في ثمانين ألفاً، يأتون في آخر الزمان، يَغزون الكعبة؛ ليخربوها، فلمَّا يدخلون البيداء.. يخسف بهم، فهو الأخذ من مكان قريب[1].

قوله: (لرأيت أمراً عظيماً) أشار بذلك إلى أنَّ جواب (لو) محذوف.

قوله: (﴿فَلَا فَوْتَ﴾) أي: لا مخلص ولا مَهرب.

قوله: (أي: القبور) أي: وهي قريبة من مساكنهم في الدنيا، أو المعنى: قبضت أرواحهم في أماكنها، فلم يُمكنهم الفرار، وقيل: أخذوا من مكان قريب، وهي القبور لجهنم، فيخرجون من قبورهم لها.

قوله: (﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾) أي: قالوا ذلك وقتَ حصول الفزع، وهو وقت نزول العذاب بهم.

قوله: (﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ﴾) أي: كيف يمكنهم الخلاص والظفر بمطلوبهم وهم في الآخرة مع أنَّ ذلك لا يَحصل ولا يكون إلا في الدنيا وهي بعيدة من الآخِرة؟! فالماضي بعيدٌ؛ إذ لا يعود، والمستقبل قريب؛ لأنه آتٍ، وكلُّ آتٍ قريبٌ.

قوله: (﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾) أي: الرجوع إلى الدنيا للإيمان وقَبول التوبة.

---

(١) روى البخاري (٢١١٨) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «يَغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض.. يُخسف بأولهم وآخرهم»، قالت: قلتُ: يا رسول الله؛ كيف يُخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: «يُخسف بأوَّلهم وآخرهم، ثم يُبعَثون على نياتهم».

مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ....

بَدَلَها ـ أي: تَناوُل الإيمانِ ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ عن مَحَلِّه؛ إذ هُم في الآخِرة ومَحَلُّه الدُّنيا.

﴿٥٣﴾ ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ في الدُّنيا، ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾: يَرمُون ﴿بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: بِما غابَ عِلمُه عنهُم غَيبةً بَعِيدة، حيثُ قالُوا في النَّبيِّ: ساحِر شاعِر كاهِنٌ، وفي القُرآن: سِحر، شِعر، كَهانة.

﴿٥٤﴾ ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ مِن الإيمانِ، أي: قَبُولِه، ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾: أشباهِهِم في الكُفر ﴿مِّن قَبْلُ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالواو وبالهمزة) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟﴾... إلخ) الجملة حاليَّة؛ أي: يستبعد تناولهم الإيمان في الآخرة والحالُ أنهم كفروا في الدنيا.

قوله: (﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾) أي: يتكلَّمون في الرسول بالمطاعِن والنقص من جانبٍ بعيدٍ من أمره، وهو الشُّبَه التي اقترحوها في جانب الرسول، ويتكلَّمون في العذاب، ويَحلفون على نفيه من جانب بعيد عنهم، من حيث إنهم لم يَعلموا ذلك، فالمكان البعيد هو: ظَنُّهم الفاسد، فهو بعيدٌ عن رُتبة العلم.

قوله: (غيبة بعيدة) أي: عن الصدق.

قوله: (﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ﴾) أي: في الآخرة.

قوله: (أي: قبوله) أي: بحيث يخلصهم في الآخرة.

قوله: (﴿بِأَشْيَاعِهِم﴾) جمع شِيَعٍ، وشيع: جمع شِيعة، فالأشياع: جمع الجمع، وهم قوم الرجل وأنصاره وأتباعه، والمراد بهم هنا: أشباههم في الكفر كما قال المفسِّر.

قوله: (﴿مِّن قَبْلُ﴾) صفة للأشياع.

---

(١) قرأ أبو عمرو وأبو بكر وحمزة والكسائي بعد الألف بهمزة مضمومة، والباقون بعد الألف بواو مضمومة. انظر «السراج المنير» (٣/٣٠٩).

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾

أي: قَبلَهم، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ﴾: مُوقِع في الرِّيبة لَهُم فِيما آمَنُوا بِه الآنَ ولَم يَعتَدُّوا بِدَلائِلِه في الدُّنيا.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (أي: قبلهم) أي: الذين كانوا سابقين عليهم في الزمان، لا في العذاب؛ فإنَّ زمن عذابهم في القيامة متَّحد.

قوله: (مُوقعٍ في الريبة لهم) أي: فهو مِن: أرابه: إذا أوقعه في الريبة، وهي الشكُّ، فهو كقولهم: عجبٌ عجيبٌ، وشعر شاعر، من باب التأكيد.

قوله: (ولم يعتدُّوا بدلائله) حال من الواو في (آمنوا) أي: آمنوا به في الآخرة والحال أنهم لم يعتدوا في الدنيا بدلائله.

✿ ✿ ✿

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ....



مَكِّيَّة، وهي خمسٌ أو ستٌّ وأربعونَ آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حَمِدَ تَعالى نَفسَه بِذلك كما بُيِّنَ في أوَّل سُورة (سَبأ)، ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خالِقِهما على غَير مِثالٍ سَبَقَ، ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ فَاطِر

(مكيَّة) أي: وتسمَّى سورة الملائكة أيضاً.

قوله: (حَمِدَ تعالى نفسَهُ) أي: تعظيماً لنفسه، وتعليماً لخلقه كيفيَّة الثناء عليه، فـ(أل) في (الحمد) الصادر منه تعالى يحتمل أن تكون لِلاستغراق، أو للجنس، ولا يصحُّ أن تكون عهديَّة؛ لأنه لم يكن ثَمَّ شيءٌ معهودٌ غير الحاصل بهذه الجملة، وأمَّا في كلام العباد.. فالأولى أن تكون عهديَّة، والمعهود هو الحمد الصادر منه تعالى لنفسه.

قوله: (كما بُيِّن في أول سورة «سبأ») أي: حيث قال هناك: (حمد تعالى نفسه بذلك المراد به: الثناء بمضمونه من ثُبوت الحمد، وهو الوصف بالجميل).

واعلم: أنَّ السور المفتَتحة بالحمد أربع: (الأنعام)، و(الكهف)، و(سبأ)، و(فاطر)، وحكمة افتتاحها بذلك: أنَّ فيها تفصيلَ النِّعم الدينيَّة والدنيويَّة التي احتوت عليها (الفاتحة).

قوله: (على غيرِ مثالٍ سبق) أي: وإن كان لهما مادَّة، وهو النور المحمَّدي، فالمنفيُّ المثال السابق فقط.

جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ ....

﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى الأنبياء ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾ في المَلائِكة

حاشية الصاوي

قوله: (﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾) نعت ثانٍ للفظ الجلالة، و﴿جَاعِلُ﴾ وإن كان بمعنى المضي إلا أنه للاستمرار، فباعتبار دلالته على المضي تكون إضافته محضةً، فيصلح لوصف المعرفة به، وباعتبار دلالته على الحال والاستقبال يَصلح للعمل في ﴿رُسُلًا﴾.

قوله: (إلى الأنبياء) أي: بالوحي، وحينئذٍ: فيراد بعض الملائكة لا كلُّهم، وعبارة البيضاوي أوضح من هذه وأولى ونصُّها: (﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ وسائط بين الله تعالى وبين أنبيائه والصالحين من عباده، يُبلِّغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤية الصالحة، أو بينه وبين خلقه، يوصلون إليهم آثار صنعه)[(١)].

قوله: (﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ﴾) يصح أن يكون صفة لـ﴿رُسُلًا﴾، وهو وإن كان صحيحاً من جهة التلفظ؛ لِتوافقهما تنكيراً إلا أنه يوهم أنَّ الأجنحة لخصوص الرسل مع أنها لكلِّ الملائكة، فالأحسن جعله صفةً أو حالاً من ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ نظراً لـ(أل) الجنسيَّة.

قوله: (﴿مَّثْنَىٰ﴾): بدل من ﴿أَجْنِحَةٖ﴾ مجرور بفتحة مقدَّرة نيابة عن الكسرة المقدرة؛ لأنه اسم لا ينصرف، والمانع له من الصرف الوصفية والعدل؛ لكونه معدولاً عن اثنين اثنين.

قوله: (﴿وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾) إن قلتَ: في أيِّ محلٍّ يكون الجناح الثالث لذي الثلاثة؟ قلتُ: لعلَّه يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدُّهما بالقوة.

قوله: (﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾) جملةٌ مستأنفةٌ، سيقت لبيان باهر قدرته تعالى.

قوله: (في الملائكة) أي: في صورهم؛ فقد قال الزمخشري: (رأيت في بعض الكتب: أنَّ صنفاً من الملائكة لهم ستة أجنحة: فجناحان يَلفون بهما أجسادهم، وجناحان للطيران يطيرون بهما في الأمر من أمور الله، وجناحان على وجوههم حياءً من الله تعالى، وفي الحديث: «رأيت جبريل عند سدرة المنتهى وله ست مئة جناح، يتناثر من رأسه الدُّرُّ والياقوت»[(٢)]، وروي: أنه سأل جبريل

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٤/ ٢٥٣).

(٢) لفظه للإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٤٠٧) عن سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ، وأصلُه في «البخاري» (٣٢٣٢)، و«مسلم» (١٧٤) بدون قوله: (يتناثر من رأسه الدُّرُّ والياقوت).

مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ۝١ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٖ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ

وغيرِها ﴿مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾.

﴿٢﴾ ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٖ﴾ كرزقٍ ومَطَر ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ﴾ مِن ذلك

حاشية الصاوي

أن يتراءى له في صُورته، فقال: إنك لن تُطيق ذلك، فقال: «إني أحب أن تَفعل»، فخرج رسول الله ﷺ في ليلة مُقمرة، فأتاه جبريل في صورته، فغشي على رسول الله ﷺ، ثمّ أفاق وجبريل عليه السلام مُسْنِدُهُ، وإحدى يدَيه على صدره، والأخرى بين كتفيه، فقال: «سبحان الله! ما كنت أرى شيئاً من الخَلق هكذا»، فقال جبريل: فكيف لو رأيتَ إسرافيل له اثنا عشر ألف جناح: جناح منها بالمشرق، وجناح بالمغرب، وإنَّ العرش على كاهله، وإنه ليتضاءل الأحايين ـ أي: يتصاغر الأزمان ـ لعظمة الله حتى يعودَ مثل الوَصَعِ»، وهو العصفور الصغير)[1].

قوله: (وغيرها) أي: من جميع الخلق؛ كطول القامة، واعتدال الصورة، وتمام الأعضاء، وقوَّة البطش، وحسن الصَّوت والشَّعَر والخطّ وغير ذلك من الكمالات التي أعطاها الله لِخلقه.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾) كالتعليل لما قبله.

قوله: (﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ﴾) ﴿مَّا﴾: إمَّا شرطية، و﴿يَفْتَحِ﴾: فعل الشرط، وقوله: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ﴾ جواب الشرط، أو موصولة مبتدأ، و﴿يَفْتَحِ﴾: صِلتها، وقوله: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ﴾ خبر المبتدأ، وقرن بالفاء؛ لما في المبتدأ من العموم، وقوله: ﴿مِن رَّحْمَةٖ﴾ بيان لـ(ما).

قوله: (كرزق) أي: دنيويٍّ أو أخرويٍّ، وعبَّر في جانب الرحمة بالفتح؛ إشارةً إلى أنها شيءٌ عزيزٌ نفيسٌ، شأنه أن يُوضع في خزائن، وأتى بها منكَّرة؛ لتعمَّ كلَّ رحمةٍ دنيويَّةٍ أو أُخرويَّةٍ.

قوله: (﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ﴾) أُنِّث مراعاةً لمعنى (ما)، وهو الرحمة.

قوله: (﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾) يصح أن يبقى على عمومه؛ فالتذكير في قوله: (له) ظاهرٌ، ويصح أن يكون قد حذف من الثاني؛ لدلالة الأول عليه، والتذكير مراعاةً للفظ (ما)، وقد أشار المفسِّر لهذا الثاني بقوله: (من ذلك) يعني: الرحمة.

---

(١) «الكشاف» (٥/ ١٣٦)، والحديثُ أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٢١). من طريق ابن شهاب مرسلاً.

فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ....

﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بعدَ إمساكِه، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالِبُ على أمرِه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في فِعلِه.

﴿٣﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهل مكَّة ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بِإسكانِكُم الحَرَمَ ومَنعِ الغاراتِ عنكُم، ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ﴾ - ﴿مِنْ﴾ زائِدة و﴿خَٰلِقٍ﴾ مُبتَدأ - ﴿غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ - بِالرَّفعِ والجَرِّ نَعت لِـ﴿خَٰلِقٍ﴾ لَفظاً ومَحلًّا، وخبرُ المُبتدأ -: ﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المَطرَ ﴿وَ﴾ مِن ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ النَّباتَ؟ - والاستِفهامُ لِلتَّقرِيرِ - ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: أهل مكة) تفسير لـ(الناس) باعتبار سبب النزول، وإلَّا.. فالعبرة بعموم اللفظ.

قوله: (﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾) أي: اشكُروه على تلك النِّعم التي أسداها إليكم.

قوله: (بإسكانكم... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ النعمة بمعنى: الإنعام، ويصح أن تكون بمعنى: المنعَم به.

قوله: (و﴿خَٰلِقٍ﴾: مبتدأ) أي: مرفوع بضمة مقدَّرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحلِّ بحركة حرف الجرِّ الزائد.

قوله: (بالجر والرفع) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]، وقوله: (لفظاً ومحلًّا) لفٌّ ونشرٌ مرتَّبٌ، وفي بعض النسخ: بتقديم الرفع؛ فيكون لفًّا ونشراً مشوشاً، وقرئ شذوذاً بالنصب على الاستثناء[2].

قوله: (والاستفهام للتقرير) أي: والتوبيخ.

---

(١) قرأ الأخوان (غير) بالجر نعتاً لـ(خالق) على اللفظ. و(من خالق) مبتدأ مزاد فيه (من)، وفي خبره قولان، أحدهما: هو الجملة من قوله: (يرزقكم)، والثاني: أنه محذوف تقديره: لكم ونحوه، وقرأ الباقون بالرفع، وفيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه خبر المبتدأ، والثاني: أنه صفة لـ(خالق) على الموضع، والخبر: إما محذوف، وإما (يرزقكم)، والثالث: أنه مرفوع باسم الفاعل على جهة الفاعلية؛ لأن اسم الفاعل قد اعتمَد على أداة الاستفهام، إلا أن الشيخ توقَّف في مثل هذا؛ من حيث إن اسم الفاعل وإن اعتمَد إلا أنه لم تحفظ فيه زيادة (من)، قال: «فيحتاج مثله إلى سماع». انظر «الدر المصون» (٩/ ٢١٢).

(٢) وبها قرأ الفضل بن إبراهيم النحوي. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢١٢).

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ۝٣ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ ....﴾

أي: لا خالِقَ رازِق غَيرُه، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾: مِن أينَ تُصرَفُونَ عن تَوحِيدِه مَع إقرارِكُم بِأَنَّهُ الخالِقُ الرَّازِق؟

﴿٤﴾ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يا مُحمَّد في مَجِيئِك بِالتَّوحِيدِ والبَعثِ والحِساب والعِقابِ، ﴿فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ﴾ في ذلك، فاصبِرْ كما صَبَرُوا، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ في الآخِرة؛ فيُجازِي المُكَذِّبين ويَنصُرُ المُرسَلِين.

﴿٥﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بِالبَعثِ وغَيرِه ....

حاشية الصاوي

قوله[1]: (أي: لا خالقَ رازق غيره) هذا حلُّ معنىً لا حلُّ إعراب، وإلَّا.. لقال: لا خالقَ غيرَهُ رازقٌ لكم.

قوله: (﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾) كلامٌ مستأنَفٌ؛ لتقرير النفيِ المتقدِّم.

قوله: (﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾) مِن: الأفك بالفتح، وهو الصَّرف، وبابه: (ضرب)، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾ [الأحقاف: ٢٢]، وأما الإفك بالكسر.. فهو الكذب.

قوله: (من أين تصرفون عن توحيده) أي: كيف تَعبدون غيره مع أنه ليس في ذلك الغير وصفٌ يقتضي عبادته من دون الله؟!

قوله: (﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾) أي: يَدوموا على تكذيبك، وهذا تسليةٌ له ﷺ.

قوله: (فاصبر كما صبروا) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ جواب الشرط محذوف، والمعنى: فتأسَّ بمن قبلَك، ولا تحزَن.

قوله: (فيُجازي المكذبين) أي: بإدخالهم النار، وقوله: (وينصر المرسلين) أي: بقَبول شفاعتهم وإدخالهم دار الكرامة.

قوله: (وغيره) أي: كالحساب والعقاب.

---

(١) وفي نسخة: (لا خالق ولا رازق غيره). «فتوحات» (٣/ ٥١١).

حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ۝٧ ....

﴿حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ عن الإيمانِ بذلك، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ﴾ في حِلمِه وإمهالِه ﴿ٱلۡغَرُورُ﴾: الشَّيطانُ.

٦ ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ بطاعةِ الله ولا تُطِيعُوه، ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ﴾: أتباعَه في الكُفر ﴿لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾: النَّار الشَّدِيدةِ.

٧ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ﴾ هـذا بَيانُ ما لِمُوافِقِي الشَّيطان وما لِمُخالِفِيه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾) المراد: نهيهُم عن الاغترار بها، والمعنى: فلا تغترُّوا بالدنيا فيذهِلَكُم التَّمتُّع بها عن طلب الآخرة والسعي لها.

قوله: (في حِلمه) أي: بِسببه، والمعنى: لا تجعلوا حِلمه وإمهاله سبباً في اتِّباعكم الشيطان.

قوله: (﴿ٱلۡغَرُورُ﴾) هو بالفتح في قراءة العامَّة كـ: (الصَّبور) و(الشَّكور)، وقرئ شذوذاً بضمِّها؛ إما جمع كـ: (قاعد وقعُود)، أو مصدر كـ: (الجُلوس)[1].

قوله: (﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ﴾) أي: عظيمٌ؛ فإنَّ عداوته قديمةٌ مؤسَّسةٌ من عهد آدم.

قوله: (﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾) أي: فكونوا منه على حذر في جميع أحوالكم، ولا تأمَنوا له في السرِّ والعلانية، ولا تقبلوا منه صرفاً ولا عدلاً، قال البوصيري[2]: [البسيط]

وخالِفِ النَّفْسَ والشَّيْطانَ واعْصِهِمَا ... وإنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصحَ فاتَّهِمِ

ولا تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْماً ولا حَكَماً ... فأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ والحَكَمِ

قوله: (﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ﴾... إلخ) بيانٌ لوجه عَداوته، وتحذيرٌ من طاعته.

قوله: (هذا) أي: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ إلى آخره، والمعنى: مَنْ كفر من أوَّل الزمان إلى آخِره.. فله العذاب الشديد، ومَنْ آمن من أوَّل الزمان إلى آخِره.. فلَه المغفرة والأجر الكبير.

---

(١) وبها قرأ أبو السمال وأبو حيوة. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢١٣).

(٢) في قصيدته «الكواكب الدرية في مَدح خير البرية».

أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ....

﴿٨﴾ ونَزَل في أبي جَهل وغَيرِه: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ بِالتَّموِيهِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (ونزل في أبي جهل وغيره) أي: من مُشركي مكة كالعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وعقبة بن أبي معيط وأضرابهم، ويؤيِّد هذا القول آيات منها: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، ومنها: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [آل عمران: ١٧٦]، ومنها: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ [الكهف: ٦]، وغير ذلك، ففي هذه الآيات تسليةٌ له ﷺ على كُفر قومه.

وقيل: هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يُحرِّفون تأويل الكتاب والسنة، ويستحلُّون بذلك دماء المسلمين وأموالهم؛ كما هو مُشاهدٌ في نظائرهم، وهم فِرقةٌ بأرض الحجاز يقال لهم: الوهَّابية، يَحسبون أنهم على شيء، ألا إنهم هم الكاذبون، استَحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، أولئك حزبُ الشيطان، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسِرون، نسأل الله الكريم أن يقطعَ دابِرَهم[١].

وقيل: نزلت في اليهود والنصارى، وقيل: نزَلت في الشيطان؛ حيث زُيِّن له أنه العابد التقيُّ، وآدم العاصي، فخالف ربَّه؛ لاعتقاده أنه على شيء[٢].

قوله: (﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾) أي: زيَّن له الشيطان ونفسُهُ الأمَّارةُ عملَهُ السَّيئَ، فهو من إضافة الصفة للموصوف.

قوله: (بِالتمويه) أي: التَّحسين ظاهراً؛ بأن غلب وَهمه على عقله، فرأى الحقَّ باطلاً، والباطلَ حقًّا، وأمَّا مَنْ هداه الله.. فقد رأى الحقَّ حقًّا فاتَّبعه، ورأى الباطل باطلاً فاجتَنبه.

---

(١) وقد حُرفت هذه العبارة في كثير من الطبعات الحديثة لهذا الكتاب؛ فلم يذكر فيها: (وهم فرقة بأرض الحجاز يقال لهم: الوهابية)، مع العِلم بوجودها في النسخ الخطية والطبَعات القديمة المُعتمَدة، وغابت مع الأسَف الأمانة العِلمية عند هؤلاء المُحرِّفين، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم.
ومِمَّن وصفهم بهذا الوصف أيضاً العلَّامة المحقق ابن عابِدين في «حاشيته» إذ قال في باب البُغاة (٤/ ٢٦٢): (كما وقع في زماننا في أتباع عبد الوهاب الذين خرجُوا من نَجد، وتغلَّبوا على الحرمين، وكانوا يَنتحلون مذهب الحنابلة، لكنهم اعتقدوا أنَّهم هم المسلمون وأنَّ مَن خالف اعتقادهم مشركون، واستَباحوا بذلك قتل أهل السنة وقتلَ عُلمائهم، حتى كسر الله تعالى شَوكتهم وخرَّب بِلادهم، وظَفر بهم عساكر المسلمين عام ثلاث وثلاثين ومائتَين وألف).

(٢) انظر «زاد المسير» (٣/ ٥٠٦).

فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ....

﴿فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ (مَن) مُبتَدأ خَبرُه (كَمَن هَداهُ اللهُ؟ لا)، دلَّ علَيهِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾: على المُزَيَّنِ لَهُم ﴿حَسَرَٰتٍ﴾ بِاغتِمامِك أن لا يُؤمِنُوا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فيُجازِيهِم علَيهِ.

﴿٩﴾ ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ - وفي قِراءةٍ: (الرِّيح) - ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ المُضارِع لِحكايةِ الحال الماضِيَة ....

حاشية الصاوي

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ.

قوله: (دلَّ عليه) أي: على تقدير الخبر، والمعنى: حذف الخبر؛ لدلالة قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ...﴾ إلخ عليه، وفي هذه الآية ردٌّ على المعتزلة الذين يَزعمون أنَّ العبد يخلق أفعال نفسه؛ فلو كان كذلك.. ما أسند الإضلال والهدى لله تعالى.

قوله: (﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾) عامَّة القُراء على فتح التاء والهاء، ورفع (نفس) على الفاعلية، ويكون المعنى: لا تتعاطى أسباب ذلك[1]، وقُرئ شذوذاً بضم التاء وكسر الهاء، و﴿نَفْسَكَ﴾: مفعول به، ويكون المعنى: لا تُهلكها على عدم إيمانهم[2].

قوله: (﴿حَسَرَٰتٍ﴾) مفعول لأجله[3]، جمع حَسرة، وهي: شدَّة التلهُّف على الشيء الفائت.

قوله: (فيجازيهم عليه) أي: إن خيراً فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ.

قوله: (وفي قراءة: «الريح») أي: وهي سبعيَّة أيضاً[4].

قوله: (لحكاية الحال الماضية) أي: استحضاراً لِتلك الصورة العجيبة التي تدلُّ على كمال قدرته تعالى.

---

(١) كذا في الأصل؛ بإثبات الألف وهي على حدِّ قراءة قنبل: (من يتقي ويصبرْ) بالجزم وإثبات الياء؛ إما أن الجزم بحذف الحرف، والياء إشباع، أو أن علامة الجزم سكون مُقدر على الحرف، وهي لغة في المعتل الآخر، وفي (ط٢): (ولا تتعاط) وهي ظاهرة.

(٢) وبها قرأ أبو جعفر وقتادة والأشهب. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢١٤).

(٣) أو في موضع الحال على المبالغة، كأن كلها صارت حسَرات لِفَرط التحسر. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢١٥).

(٤) قرأ المكي والأخوان وخلف بالإفراد، وغيرهم بالجمع. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٦١).

فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ....

أي: تُزعِجهُ، ﴿فَسُقۡنَٰهُ﴾ - فيه التِفاتٌ عن الغَيبة - ﴿إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾ - بالتَّشدِيد والتَّخفِيف -: لا نَبات بِها، ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ مِن البَلَد ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ يُبسِها، أي: أنبتنا بِهِ الزَّرع والكَلأ، ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ أي: البَعث والإحياءُ.

﴿١٠﴾ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ أي: في الدُّنيا والآخِرة، فلا تُنالُ مِنهُ

حاشية الصاوي

قوله: (أي: تُزعجه) أي: تحرِّكه وتُثيره.

قوله: (فيه التفاتٌ عن الغيبة) أي: الكائنة في قوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ﴾.

قوله: (﴿إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾) البلد: يذكَّر ويؤنَّث، يُطلق على القطعة من الأرض، عامرةً أو خاليةً.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (لا نبات بها) أي: فالمراد بالموت: عَدم النبات والمرعى، وبالحياة: وجودهما.

قوله: (من البلد) (مِن): بيانية.

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾) أي: كمثل إحياء الأرض بالنبات إحياءُ الأموات، ووَجه الشَّبه: أنَّ الأرض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها.. كذلك الأعضاء تقبل الحياة اللائقة بها؛ فإنَّ البلد الميت تُساق إليها المياه فتحيا بها، والأجساد تُساق إليها الأرواح فتَحيا بها.

قوله: (﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾) (مَن): شرطيَّة مبتدأ، وجوابها محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (فليطعه)، وقوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ﴾ تعليلٌ للجواب.

واختلف في هذه الآية؛ فقيل: المراد: مَن كان يريد أن يسأل عن العزَّة لمن هي؟ فقُل له: لله العزة جميعاً.

وقيل: المراد: من أراد العزَّة لنفسه.. فليَطلبها من الله؛ فإنَّ العزَّة له، لا لغيره، وطلبها يكون بطاعته والالتجاء إليه والوقوف على بابه؛ لما ورد في الحديث: «مَن أراد عزَّ الدارين.. فليُطع

---

(١) قرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي بتشديد الياء، والباقون بالتخفيف. انظر «السراج المنير» (٣/ ٣١٤).

إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ....

إلَّا بطاعَتِهِ فليُطِعهُ، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يَعلَمهُ وهو (لا إلَه إلَّا الله) ونَحوُها، ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾: يَقبَلهُ، ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾ المَكَراتِ ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بِالنَّبيِّ في دار النَّدْوةِ مِن تَقييده أو قَتلِه أو إخراجِه ....

حاشية الصاوي

العزيز»[1]، ومن طلب العزَّة من غيره تعالى.. كُسِيَ من وصفه، وهو الذُّلُّ؛ لأنَّ وصف العبد الذلُّ، ووصف الله العزُّ، فمن التجأ إلى الله.. كساه الله من وَصفه، ومن التجأ للعبد.. كساه الله من وصف ذلك العبد؛ لِما ورد: «من استعزَّ بقوم.. أورَثه الله ذلَّهم»[2]، وقال الشاعر: [الكامل]

وإذا تَذلَّلتِ الرِّقابُ تَواضُعاً ... مِنَّا إليكَ فعِزُّها في ذلِّها[3]

قوله: (يعلمه) أشار بذلك إلى أنَّ في الكلام مجازاً؛ فالصعود مجازٌ عن العِلم كما يقال: ارتفع الأمر إلى القاضي؛ يعني: عَلِمه، وعبَّر عنه بالصعود؛ إشارةً لقبوله؛ لأنَّ موضع الثواب فوق، وموضع العذاب أسفَل. وقيل: المعنى: يصعد إلى سمائه، وقيل: يحمل الكتاب الذي يكتب فيه طاعة العبد إلى السماء.

قوله: (ونحوها) أي: من الأذكار والتَّسبيح وقراءة القرآن.

قوله: (﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ﴾) أي: كالصلاة والصوم وغير ذلك من الطاعات.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾) بيانٌ لحال الكلم الخَبيث والعمل السيئ بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح.

قوله: (المكَرَاتِ) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ صفة لموصوف محذوف، مفعول مطلق لـ﴿يَمْكُرُونَ﴾؛ لأنَّ (مكر) لازم لا يَنصب المفعول[4]. والمكر: الحِيلة والخديعة.

قوله: (في دار الندوة) أي: وهي التي بناها قُصي بن كلاب للتَّحدُّث.

---

(١) رواه الديلمي في «الفردوس» (٨١٠٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) روى أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٧٤)، والشهاب القضاعي في «مسنده» (٣٥٠) عن سيدنا عمر بن الخطاب: أن رسول الله ﷺ قال: «مَن اعتزَّ بالعبيد.. أذلَّه الله».

(٣) البيت لأبي إسحاق الصابئ كما عزاه الثعالبي في «المنتحل» (ص٣٥).

(٤) ويجوز أن يكون (يمكرون) مضمَّناً معنى (يكسبون)، فينتصب (السيئات) مفعولاً به. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢١٨).

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ ....

كما ذُكر في (الأنفال) ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾: يَهلَك.

۝١١ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بِخَلقِ أبِيكُم آدمَ مِنهُ، ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: مَنِيٍّ بِخَلقِ ذُرِّيَّتِه مِنها، ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾: ذُكُوراً وإناثاً، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ حال أي: مَعلُومة لَه، ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ أي: ما يُزادُ في عُمُر طَوِيل العُمُر ....

حاشية الصاوي

قوله: (كما ذكر في «الأنفال») أي: في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ الآيات وقد فصِّلت هناك[1].

قوله: (﴿وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ﴾) أتى باسم الإشارة البعيد؛ إشارةً لبعدهم عن الرحمة، واشتِهارهم بالبغي والفساد.

قوله: (﴿هُوَ يَبُورُ﴾) ﴿هُوَ﴾: مبتدأ ثان، و﴿يَبُورُ﴾: خبره، والجملة خبر الأول، ويَصح أن يكون ضميرَ فصلٍ لا محلَّ له من الإعراب، وقولهم: (إنَّ الفصل لا يقع قبل الخبر إذا كان فعلاً) مردودٌ بجواز ذلك[2].

قوله: (بخلق أبيكم آدم منه) ويصحُّ أن يراد: خلقكم مِن تراب؛ بواسطة أنَّ النطفة من الغذاء، وهو من التراب.

قوله: (﴿أَزْوَاجًا﴾) أي: أصنافاً.

قوله: (﴿مِنْ أُنثَىٰ﴾) (مِن): زائدة في الفاعل.

قوله: (حال) أي: من ﴿أُنثَىٰ﴾.

قوله: (﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾) بفتح الميم في قراءة العامَّة، قال ابن عباس: (ما يعمر من معمَّر إلا كتب عُمُره؛ كم هو سنة، وكم هو شهراً، وكم هو يوماً، وكم هو ساعة، ثم يكتب في كتاب

---

(١) انظر تفسيرها (٣/ ٢٥-٢٦).

(٢) عند الإمام الجرجاني؛ إذ ألحق المضارع بالاسم؛ لتشابههما، وجعل منه: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾، وتبع الجرجانيَّ أبو البقاء، فأجاز الفصل في: ﴿وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾، وابن الخباز، وهو قولُ السهيلي؛ قاله في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝٤٤ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾. انظر «مغني اللبيب» (ص٦٤٢).

وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ....

﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ أي: ذلك المُعَمَّر أو مُعَمَّر آخَرَ، ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ هو اللَّوحُ المَحفوظُ، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾: هَيِّن.

﴿١٢﴾ ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾: شَدِيدُ العُذُوبة، ﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾: شُربُه، ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: شَدِيدُ المُلُوحة، ....

حاشية الصاوي

آخر: نقص مِن عمُره يوم، نقص شهر، نقص سنة، حتى يستوفي أجله؛ فما مضى من أجله.. فهو النقصان، وما يستقبله فهو الذي يعمِّره)[١]، وهذا هو الأحسَن.

وقيل: إنَّ الله كتب عمُر الإنسان مئة سنة إن أطاع، وتسعين إن عصى، فأيُّهما بلغ فهو كتاب، وهذا مثل قوله عليه السلام: «مَن أحبَّ أن يُبْسَطَ له في رزقه ويُنْسَأَ له في أثرِه ـ أي: يؤخَّر في عمُره ـ فليَصِلْ رَحِمَهُ»[٢] أي: إنه يكتب في اللوح المحفوظ: عمُر فلان كذا سنة، فإن وَصل رحمه.. زِيدَ في عمره كذا سنة، فبيَّن ذلك في موضع آخر من اللوح المحفوظ أنه سيَصل رحمه، فمن اطَّلع على الأول دون الثاني.. ظنَّ أنه زيادة أو نقصان.

قوله: (أو معمَّر آخر) أي: على حدِّ: عندي درهمٌ ونصفُهُ[٣]؛ أي: فالمعنى: ما يزاد في عُمُر شخص؛ بأن يكون أجلُه طويلاً، ولا يُنْقَصُ من عُمُر آخر؛ بأن يكون عمره قصيراً إلا في كتاب.

قوله: (﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾) أي: كتابةَ الأعمار والآجال.

قوله: (﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾) أي: سهل غير متعذر.

قوله: (﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ﴾) هذا مثل لِلمؤمن والكافر، وقوله: (**شديد العذوبة**) أي: يَكسرُ وَهَجَ العطش، وقوله: (﴿سَآئِغٌ﴾) أي: يسهل الحرارة.

قوله: (**شربه**) إنما فسَّر الشَّراب بالشُّرب؛ لأنَّ الشَّراب هو المشروب؛ فيَلزم إضافة الشيء لنفسه.

قوله: (﴿أُجَاجٌ﴾) أي: يُحرق الحلق بملوحته.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٣٣).

(٢) رواه البخاري (٥٩٨٦)، ومُسلم (٢٥٥٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أي: نصف درهم آخر.

وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ....

﴿وَمِن كُلٍّ﴾ مِنهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السَّمَكُ، ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾ مِن المِلحِ - وقِيل: مِنهُما - ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي اللُّؤلُؤ والمَرجانُ، ﴿وَتَرَى﴾: تُبصِر ﴿الْفُلْكَ﴾: السُّفُنَ ﴿فِيهِ﴾: في كُلٍّ مِنهُما ﴿مَوَاخِرَ﴾: تَمخُرُ الماءَ أي: تَشُقُّهُ بِجَريها فِيهِ مُقبِلةً ومُدبِرة بِرِيحٍ واحِدةٍ، ﴿لِتَبْتَغُوا﴾: تَطلُبُوا ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ تعالى بِالتِّجارةِ، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ اللهَ على ذلك.

﴿١٣﴾ ﴿يُولِجُ﴾: يُدخِلُ الله ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ فيَزِيد، ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ﴾: يُدخِلُهُ ﴿فِي اللَّيْلِ﴾ فيَزِيدُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ﴾... إلخ) يحتمل أنه استطرادٌ لبيان صفة البحرين وما فيهما من المنافع، والمثَلُ قد تمَّ بما قبله، وهو الأظهر، وقيل: هو من تمام التمثيل؛ يعني: أنهما وإن اشتركا في بعض الأوصاف.. لا يَستويان في جميعها؛ كالبحرين فإنهما وإن اشتركا في بعض المنافع.. لا يستويان في جميعها.

قوله: (هو السمك) المراد به: حيواناتُ البحر كلُّها، فيَجوز أكلها.

قوله: (وقيل: منهما) أي: ووَجهه: أنَّ في البحر المالح عيوناً عذبةً تمتزج بالملح، فيخرج اللؤلؤ منهما عند الامتزاج.

قوله: (والمرجان) هو عُروق حمرٌ، تطلع من البحر كأصابع الكف، وقيل: هو صِغار اللؤلؤ.

قوله: (﴿لِتَبْتَغُوا﴾) متعلق بـ﴿مَوَاخِرَ﴾.

قوله: (بالتجارة) أي: وغيرها كالغَزو والحج.

قوله: (على ذلك) أي: على ما أسداه إليكم من تلك النِّعم.

قوله: (﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾) أي: فيُطوِّل النهار حتى يصير من طلوع الشمس لغروبها أربع عشرة ساعة كأيام الصيف، وقوله: ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ أي: فيطوِّل الليل حتى يكون من الغروب للطلوع أربع عشرة ساعة كأيام الشتاء، فالدائر بين الليل والنهار أربع ساعات؛ تارةً تكون في الليل، وتارةً تكون في النهار.

وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾ مِنهُما ﴿يَجْرِى﴾ في فَلَكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: يَوم القِيامة، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تَعبُدُون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أي: غَيره وهُم الأصنامُ ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾: لِفافةِ النَّواةِ.

﴿١٤﴾ ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟﴾ فرضاً ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾: ما أجابُوكُم، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾: بِإشراكِكُم إيَّاهُم مع الله، أي: يَتبرَّؤُون مِنكُم ومِن عِبادتِكُم إيَّاهُم، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾ بِأحوالِ الدَّارَين ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ عالِم وهو اللهُ تَعالى.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾) معطوف على ﴿يُولِجُ﴾، وعبَّر بالمضارع في جانب الليل والنهار؛ لأنَّ إيلاج أحدهما في الآخر يتجدَّد كلَّ عام، وأمَّا الشمس والقمر.. فتسخيرهما من يوم خلقهما الله، فلا تجدد فيه، وإنما التجدد في آثارهما؛ فلِذا عبَّر في جانبهما بالماضي.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾... إلخ) هذا من جملة الأدلة على انفراده تعالى بالألوهيَّة.

قوله: (لفافة النَّواة) بكسر اللام، وهي: القشرة الرقيقة الملتفَّة على النَّواة.

واعلم: أن في النَّواة أربعةَ أشياء يُضْرَبُ بها المثل في القلَّة: الفَتِيل وهو: ما شقَّ النواة، والقِطْمِير وهو: اللِّفافة، والنَّقير وهو: ما في ظهرها، والثُّفْروق وهو: ما بين القمع والنواة.

قوله: (ما أجابوكم) أي: بجلب نفعٍ، ولا دفع ضرٍّ.

قوله: (بإشراككم إياهم) أشار بذلك إلى أنَّ المصدر مضافٌ للفاعل.

قوله: (أي: يتبرَّؤون منكم) أي: بقولهم: (ما كانوا إيانا يعبدون).

قوله: (﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾) أي: لا يخبرك أحدٌ مثلي؛ لأني عالمٌ بالأشياء، وغيري لا يعلمها، وهذا الخطاب يحتمل أن يكون عامًّا غير مختصٍّ بأحد، ويحتمل أن يكون خطاباً له ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ ....

(﴿١٥﴾ - ﴿١٧﴾) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بِكُلِّ حالٍ، ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن خَلقِه، ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: المَحمُودُ في صُنعِه بِهم، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بَدَلَكُم، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: شَدِيدٍ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾) إنما خاطب الناس بذلك وإن كان كلُّ ما سِوى الله فقيراً؛ لأنَّ الناس هم الذين يدَّعون الغنى ويَنسبونه لأنفسهم، والمعنى: يا أيُّها الناس؛ أنتم أشدُّ الخلق افتقاراً واحتياجاً إلى الله في أنفسكم وعِيالكم وأموالكم، وفيما يَعرض لكم من سائر الأمور؛ فلا غنى لكم عنه طرفة عيْنٍ ولا أقلَّ من ذلك، ومن هنا قول الصدِّيق ﷺ: (مَن عرف نفسه.. عرف ربَّه)[1] أي: من عرف نفسه بالفقر والذلِّ والعجز والمسكنة.. عرف ربَّه بالغنى والعزِّ والقدرة والكمال.

قوله: (بكل حال) أي: في حالة الفقر والغنى، والضعف والقوة، والذلِّ والعزِّ؛ فالعبد مفتقرٌ لربِّه في أيِّ حالة كان بها ذلك العبد.

قوله: (﴿ٱلْحَمِيدُ﴾) إنما ذكره بعد (الغني)؛ لدفع توهُّم أنَّ غناه تعالى تارةً ينفع، وتارةً لا، فأفاد أنه كما أنَّه غنيٌّ.. هو مُنعمٌ جوادٌ محمودٌ على إنعامه؛ لكونه يُعطي النَّوال قبل السؤال للبرِّ والفاجر.

قوله: (﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾) هذا بيان لِغناه المطلقِ؛ يعني: أنَّ إذهابكم ليس متوقِّفاً على شيءٍ إلا على مشيئته؛ فإبقاؤكم من مَحض فضله.

قوله: (﴿بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾) أي: بعالمٍ آخرَ غير ما تَعرفونه.

قوله: (شديد) أي: متعذِّرٍ أو متعسِّرٍ.

---

(١) قال الزركشي في «الأحاديث المشتهرة» (ص١٢٩): ذكر ابن السمعاني أنه من كلام يحيى بن معاذ الرازي، وللإمام السيوطي فيه تأليف لطيف سمَّاه: «القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرَف ربه».

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ

﴿١٨﴾ ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ نَفسٌ ﴿وَازِرَةٌ﴾ آثِمةٌ ـ أي: لا تَحمِل ـ ﴿وِزْرَ﴾ نَفسٍ ﴿أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ﴾ نَفسٌ ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ بِالوِزر ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ مِنهُ أحَداً لِيَحمِلَ بعضَه ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ المَدعُوُّ ﴿ذَا قُرْبَىٰٓ﴾: قَرابةٍ، كالأبِ والابنِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَازِرَةٌ﴾) فاعل ﴿تَزِرُ﴾، وهو صفة لموصوف محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (نفس)، والمعنى: لا تحمل نفسٌ وازرةٌ وِزْرَ نفسٍ أخرى، وأمَّا غيرُ الوازرة.. فتَحمل وزرَ الوازرة؛ بمعنى: تشفع لها في غفرانه، لا بمعنى أنه يَنتقل من الوازرة لغيرها.

إن قلتَ: ما الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ...﴾ [العنكبوت: ١٣] الآية[1]؟

أجيب: بأنَّ تلك محمولة على مَنْ ضلَّ وتسبَّب في الضلال لغيره، فعليه وزرُ ضلالِهِ ووزرُ تسبُّبِهِ؛ لأنَّ تسبُّبَهُ من فِعله، فلم يحمل إلا أثقالَ نفسه، فرجع الأمر إلى أنَّ الإنسان لا يحمل وزر غيره أصلاً، بل كلُّ نفسٍ بما كَسَبت رهينةٌ.

قوله: (﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾) أي: وإن تدع نفسٌ مثقلةٌ بالذنوب نفساً إلى حِمْلها، وهو بالكسر: ما يُحمَلُ على ظهرٍ أو رأسٍ، وبالفتح: ما كان في البَطن، أو على رأس شجرة.

قوله: (﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾) العامَّة على قراءة (يحمل) مبنيًّا للمفعول، و(شيء): نائب الفاعل، وقرئ شذوذاً: (تَحمل) بفتح التاء وكسر الميم، مسنَداً إلى ضمير النفس المحذوفة، و(شيئاً): مفعول (تَحمل)[2].

قوله: (﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾) العامَّة على قراءة ﴿ذَا﴾ بالنصب خبر ﴿كَانَ﴾، واسمها ضمير يعود على المدعوِّ؛ كما قدَّره المفسِّر، وقرئ شذوذاً بالرفع على أن (كان) تامَّة، والمعنى: وإن تَدع نفسٌ مذنبةٌ نفساً أخرى إلى حمل شيء من ذَنبها لا يحمل منه شيء ولو كانت تلك النفس الأخرى قَريبة للداعية كابنها وأبيها؛ لِما ورد: «يَلْقَى الأبُ والأمُّ الابنَ، فيَقولان له: يا بنيَّ؛ احمل عنَّا بعض ذُنوبنا، فيقول: لا أستَطيع، حسبي ما عليَّ»[3].

(١) تمامها: ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾، ففيها أنهم يَحملون أوزاراً غيرَ أوزارهم.

(٢) وبها قرأ أبو السمال وطلحة، وتروى عن الكسائي. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٢٢).

(٣) نقله العلامة الخازن في «تفسيره» (٣/ ٤٥٥) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾ ....

وعَدَمُ الحَمل في الشَّقَّينِ حُكمٌ مِن الله، ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ أي: يَخافُونَهُ وما رَأوهُ لِأنَّهم المُنتَفِعُون بالإنذارِ، ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾: أدامُوها، ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾: تَطهَّر مِن الشِّرك وغَيرِه ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ﴾: فصَلاحُه مُختَصٌّ بِه، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (في الشقَّين) أي: الحملِ القهريِّ والاختياريِّ[1].

قوله: (حكم من الله تعالى) أي: وهو لا يَخلو عن حكمةٍ عظيمةٍ.

قوله: (﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم﴾) ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر، والمعنى: أنَّ إنذارك مقصورٌ على الذين يَخشون ربهم، وقوله: ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ حال من فاعل ﴿يَخۡشَوۡنَ﴾ أي: يَخشون حال كونهم غائبين عنه، فالغَيْبَةُ وصفُ العبيد، لا وصفُ الرَّبِّ؛ فإنَّ وصفَ الرَّبِّ القربُ، قال تعالى: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، ووصف العبيد الغيبةُ والحجاب؛ فالعبيد محجوبون عن ربِّهم بصفات جلاله. ويصح أن يكون حالاً من المفعول؛ أي: يخشونه والحال أنه غائبٌ عنهم؛ أي: محتجبٌ بجلاله؛ فلا يرَونه، وإلى هذا أشار المفسِّر بقوله: (وما رأوه)، فعدم رؤية الله تعالى إنما هو مِنْ تحجُّبه بصفات الجلال، فإذا تجلَّى بالجمال.. رأته الأبصار، وذلك يحصُل في الآخرة لأهل الإيمان، وقد حصل في الدنيا لسيِّد الخلق على الإطلاق، وقد يتجلَّى بالجمال للقلوب في الدنيا فتراه، وهي الجنَّةُ المعجَّلةُ لأهل الله المقرَّبين.

قوله: (لأنهم المنتفعون بالإنذار) جوابٌ عمَّا يقال: كيف قَصر الإنذار على أهل الخشية مع أنه لجميع المكلفين؟ فأجاب: بأنَّ وجهَ قصرِهِ عليهم انتفاعُهُم به، فكأنَّه قال: إنما ينفع إنذارُك أهلَ الخشية.

قوله: (أداموها) أي: واظَبوا عليها بأركانها وشروطها وأدائها، وفي نسخة: (أدَّوْها).

قوله: (وغيره) أي: كالمعاصي.

قوله: (فصلاحه مختصٌّ به) أي: فهو قاصرٌ عليه لا يتعدَّاه.

---

(١) القهريّ: المذكور بقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ...﴾ إلخ، والاختياري: المذكور بقوله: ﴿وَإِن تَدۡعُ...﴾ إلخ؛ فالأول نفيٌ للحمل إجباراً، والثاني نفي للحمل اختياراً. «فتوحات» (٣/٥٢٧).

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ....

المَرجع فيَجزِي بِالعَملِ في الآخِرة.

(﴿١٩﴾ - ﴿٢٢﴾) ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: الكافِرُ والمُؤمِن، ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ﴾: الكُفرُ ﴿وَلَا ٱلنُّورُ﴾: الإيمانُ، ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾: الجنَّةُ والنَّار، ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾: المُؤمِنُون ولا الكُفَّار، ـ وزِيادةُ (لا) في الثَّلاثة تَأكِيد ـ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ هِدايَته فيُجِيبهُ بِالإيمان، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ أي: الكُفَّار، شَبَّهَهُم بِالموتَى، فيُجِيبُون.

حاشية الصاوي

قوله: (فيجزي بالعمل في الآخرة) أي: الخيرِ والشَّرِّ.

قوله: (﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾) هذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر، وأفاد أوَّلاً الفرق بين ذاتَيْهما، وثانياً بين وصفَيْهما، وثالثاً بين دارَيْهما في الآخرة، وأمَّا قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ﴾.. فهو مثلٌ آخرُ على أبلَغ وجهٍ؛ لأنَّ الأعمى ربَّما يكون فيه بعضُ نفعٍ، بخلاف الميت.

قوله: (﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾) جمع (الظلمات) باعتبار أنواع الكفر، فله أنواعٌ كثيرةٌ، بخلاف الإيمان فهو نوعٌ واحدٌ.

قوله: (﴿وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾) هي: الريح الحارَّة، خلاف السَّموم، فالحَرور تكون بالنهار، والسَّموم بالليل، وقيل: الحرور والسَّموم بالليل والنهار.

قوله: (وزيادة «لا» في الثلاثة) أي: في الجمل الثلاث التي أوَّلها: ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾، وثانيها: ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾، وثالثها: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾، وإنما زيدت؛ للتأكيد في الجميع؛ لأنَّ نفي المساواة مَعلومٌ من (ما) النافية.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾) مِن هنا إلى قوله: ﴿نَكِيرِ﴾ تسليةٌ له ﷺ.

قوله: (شبَّههم بالموتى) أي: في عدم التَّأثُّر بدعوته.

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝٢٣ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝٢٤ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۝٢٥﴾ ....

(٢٣ - ٢٤) ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾: مُنذِرٌ لَهُم، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: بالهُدَى ﴿بَشِيرًا﴾ مَن أجاب إليه، ﴿وَنَذِيرًا﴾ مَن لَم يُجِب إليه، ﴿وَإِن﴾: ما ﴿مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا﴾: سَلَف ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾: نَبيٌّ يُنذِرُها.

٢٥ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ أي: أهلُ مكَّة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المُعجزاتِ ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾ كصُحُفِ إبراهيمَ، ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ هو التَّوراةُ والإنجيل، فاصبِر كما صَبَرُوا.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾) أي: فليس عليك إلا التَّبليغ، والهدى بيَد الله يؤتيه مَنْ يشاء.

قوله: (﴿بِالْحَقِّ﴾) حال من الكاف؛ بدليل قول المفسِّر: (بالهدى)، كأنه قال: أرسلناك حال كونك هادياً.

قوله: (﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾) أي: تَعلمها، وقوله: (نبيٌّ ينذرها) أي: يخوِّفها من عقاب الله، وتنقضي شريعتُهُ بموته، فما بين الرَّسولين من أهل الفترة، وهم ناجون من أهل الجنة وإن غيَّروا وبدَّلوا وعبدوا غير الله، بنصِّ قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وأمَّا ما ورد من تعذيب بعض أهل الفَترة كعمرو بن لحي، وامرئ القيس، وحاتمِ طيئ.. فقيل: إنَّ ذلك لحكمةٍ يعلمها الله، لا لكفرهم، والتَّحقيق: أنه خبرُ آحادٍ، وهو لا يعارض النصَّ القطعيَّ، وتقدَّم الكلام في ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1].

قوله: (﴿وَبِالزُّبُرِ﴾) اسمٌ لكلِّ ما يُكتَبُ.

قوله: (كصحف إبراهيم) أي: وهي ثلاثون، وكصحف موسى قبل التوراة، وهي عشرة، وكصحف شيث، وهي ستون، فجملةُ الصحف مئةٌ تُضَمُّ لها الكتب الأربعة، فجملةُ الكتب السماوية مئةٌ وأربعةٌ.

قوله: (فاصبر كما صبروا) قدَّره؛ إشارةً إلى أن جواب الشرط محذوف.

---

(١) انظر سورة (الإسراء) (٤/ ٣٣).

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ ....

﴿٢٦﴾ ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بتكذيبهم، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك؟ أي: هو واقعٌ موقِعه.

﴿٢٧﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا﴾ - فيه التفاتٌ عن الغيبة - ﴿بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ كأخضرَ وأحمرَ وأصفرَ وغيرِها، ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ﴾: جمع (جُدَّة): طَريق في الجبَل وغيره، ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ وصُفر، ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ بالشِّدَّةِ والضَّعف، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: هو واقع موقعه) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام تقريريٌّ.

قوله: (﴿أَلَمْ تَرَ﴾) خطابٌ لكلِّ من يأتي منه الرُّؤية، وهو كلامٌ مستأنفٌ سِيق لبيان باهر قدرته تعالى، وكمال حكمته.

قوله: (فيه التفات) أي: وحكمته: أنَّ المنَّة في الإخراج أبلغُ من إنزال الماء، ولما في الإخراج من الصنع البديع الدَّالِّ على كمال القدرة الإلهيَّة.

قوله: (﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾) أي: في أصل اللون كالأخضر والأصفر والأحمر، وفي شدَّة اللون الواحد وضعفِهِ.

قوله: (﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ﴾) قرأ العامَّة بضمِّ الجيم وفتح الدال، جمع جُدَّةٍ، وهي: الطريق، وقرئ شذوذاً بضمِّ الجيم والدال، جمع جديدة، وبفتحهما[1].

قوله: (﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾) ﴿مُّخْتَلِفٌ﴾: صفة لـ﴿جُدَدٌ﴾، و﴿أَلْوَٰنُهَا﴾: فاعل به، أو ﴿مُّخْتَلِفٌ﴾: خبرٌ مقدَّم، و﴿أَلْوَٰنُهَا﴾: مبتدأ مؤخَّر، والجملة صفة لـ﴿جُدَدٌ﴾[2].

---

(١) قرأ الزهري: (جُدُد) بضم الجيم والدال، وعنه أيضاً: (جَدَد) بفتحهما، وقد ردَّ أبو حاتم هذه القراءة من حيث الأثر والمعنى، وقد صحَّحهما غيره. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٢٧).

(٢) ولم يجوِّزه السمين الحلبي رحمه الله؛ إذ كان يجب أن يقال: (مختلفة) لتحمُّلها ضمير المبتدأ. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٢٧).

وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ....

﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ - عَطف على ﴿جُدَدٌ﴾ - أي: صُخُور شَدِيدة السَّواد، يُقال كثِيراً: أسوَدُ غرِبيب، وقَليلاً: غِربيبٌ أسوَدُ.

﴿٢٨﴾ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ كاختِلافِ الثِّمار والجِبال، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ بِخِلافِ الجُهَّال، ككُفَّارِ مكَّةَ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في مُلكِه، ﴿غَفُورٌ﴾ لِذُنُوبِ عِبادِه المُؤمِنِين.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾) الغِرْبِيبُ تأكيدٌ للأسود، كالقاني تأكيدٌ للأحمر، وإنَّما قدَّمه عليه؛ للمبالغة[1].

قوله: (**يقال كثيراً**) أي: بتقديم الموصوف على الصفة، وهذا هو الأصل، وقوله: (**وقليلاً**) أي: بتقديم الصفة على الموصوف، وهذا خِلاف الأصل، ويرتكب للمبالغة.

قوله: (﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾) خبر مقدَّم، وقوله: ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ صفة لموصوف محذوف هو المبتدأ؛ أي: صنفٌ مختلفٌ ألوانُه من الناس، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ صفة لمصدر محذوف؛ أي: اختلافاً كذلك.

قوله: (﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾) أي: إنَّ خشية الله شرطُهَا العلمُ والمعرفةُ به، فمن اشتدَّت معرفته لربِّهِ.. كان أخشاهُم له؛ ولذا ورد في الحديث: «**إني أخشاكم لله وأتقاكم له**»[2]، وقرئ شذوذاً برفع الجلالة ونصب (العلماء)[3]، والمعنى: إنَّما يعظِّمُ اللهُ من العبادِ العلماءَ، وإنَّما كان كذلك؛ لكونهم أعرفَ النَّاس بربِّهم وأتقاهم له، فالواجبُ على النَّاس تعظيمُهُمْ واحترامُهُمْ اقتداءً بالله تعالى؛ فإنَّ الله أخبر أنَّه يُعظِّمهم ويُجلُّهم.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾) تعليلٌ لوجوب الخشية، كأنه قيل: يجب على كلِّ إنسانٍ أن يخشى الله تعالى؛ لأنَّه عزيزٌ قاهرٌ لما سواه، غفورٌ للمذنبين.

---

(١) حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار؛ يعني: فيكون الأصل: وسودٌ غرابيبُ سودٌ. انظر «الكشاف» (٥/ ١٥٣).

(٢) رواه البخاري (٥٠٦٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) وبها قرأ عمر بن عبد العزيز وأبو حنيفة ـ فيما نقل الزمخشري ـ وأبو حيوة. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٣١).

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ....

﴿٢٩﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ﴾: يقرؤون ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أداموها ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾ زكاةً وغيرها، ﴿يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾: تهلَك.

﴿٣٠﴾ ﴿لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ﴾: ثوابَ أعمالِهم المَذكورةِ، ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ﴾ لِذُنوبِهم، ﴿شَكُورٞ﴾ لِطاعَتِهم.

﴿٣١﴾ ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾: تَقدَّمهُ مِن الكُتُب، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾) أي: يَقرؤونه على طهارةٍ أو لا، عن ظهر قلبٍ أو في المصحف، وفضلُ الله واسعٌ.

قوله: (زكاةٍ أو غيْرِها) لفٌّ ونشرٌ مشوَّش، وهو تحضيضٌ على الإنفاق كيفما تيسَّر.

قوله: (﴿يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ﴾) خبر (إنَّ) أي: يرجون ثواب تجارة[١].

قوله: (﴿لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ﴾) اللام: للعاقبة والصيرورة.

قوله: (﴿شَكُورٞ﴾) أي: يُثيبهم على طاعاتهم.

قوله: (﴿مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾) (مِنْ): لبيان الجنس، أو لِلتبعيض.

قوله: (﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾) ﴿هُوَ﴾: إمَّا ضمير فصل، أو مبتدأ، و﴿ٱلۡحَقُّ﴾: خبرٌ، والجملة خبر ﴿ٱلَّذِيٓ﴾، و﴿مُصَدِّقٗا﴾: حال مؤكِّدة[٢].

---

(١) وإن شئت جعلت ﴿يَرۡجُونَ﴾ في موضع الحال على: وأنفقوا راجين ليوفيهم؛ أي: فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله لهذا الغرض، وخبر (إن) قوله: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ على معنى: غفور لهم شكور لأعمالهم. والشكر مجازٌ عن الإثابة. انظر «الكشاف» (٥/ ١٥٥).

(٢) أي: لأنَّ الحقَّ لا ينفكُّ عن هذا التَّصديق.

ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ....

عالِمٍ بِالبَواطِنِ والظَّواهِرِ.

(٣٢) ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾: أعطينا ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القُرآنَ ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهُم أُمَّتُكَ؛ ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بِالتَّقصِيرِ في العَمَلِ بِهِ، ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ يَعمَلُ بِهِ أغلَبَ

حاشية الصاوي

قوله: (عالم بالبواطن والظواهر) لفٌّ ونشرٌ مرتَّبٌ.

قوله: (﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾) أتى بـ(ثم)؛ إشارةً لبعد رتبتهم عن رُتبة غيرهم من الأمَّة.

قوله: (أعطينا) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالتوريث: الإعطاءُ، ووجه تسميته ميراثاً: أنَّ الميراث يحصل للوارث بلا تعبٍ ولا نَصَبٍ، وكذلك إعطاء الكتاب حاصلٌ بلا تعبٍ ولا نصبٍ.

قوله: (﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾) بيان للمصطَفَيْنَ.

قوله: (وهم أُمَّتك) أي: أمَّةُ الإجابة، سواء حفظوه كلاً أو بعضاً أو لا، وإلَّا.. فليس المرادُ بإعطاء الكتاب حفظَهُ، بل الاهتداء بهديِه والاقتداء به.

قوله: (﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾... إلخ) أي: مَنْ غلبت سيِّئاتُهُ على حسناته، والمقتصد: مَنْ غلبت حسناتُهُ على سيئاته، والسَّابق: مَنْ لا تقع منه سيِّئة أصلاً؛ ولِذا ورد في الحديث في تفسير هذه الآية: «سابِقُنا سابقٌ، ومُقتصدُنا ناجٍ، وظالمنا مغفورٌ له»[1].

وقيل: الظالم هو: راجح السيئات، والمقتصد هو: الذي تَساوت سيِّئاته وحسناته، والسَّابق هو: الذي رجَحت حسناته.

وقيل: الظالم هو: الذي ظاهِرُهُ خيرٌ من باطنه، والمقتصد: مَنْ تساوى ظاهِره وباطنه، والسابق: مَنْ باطنُهُ خيرٌ من ظاهره.

وقدَّم الظالم على مَن بعده؛ ليقوى رجاؤه في ربِّه، ولئلَّا يُعْجَبَ الطائعُ بعمله فيهلكَ، وهذا على حدِّ ما قيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢][2].

---

(١) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٦١) عن سيدنا عمر رضي الله عنه مرفوعاً، قال: وروي من وجه آخر موقوفاً.

(٢) أي: قدَّمَ التوابين لئلا يَقنطوا، وأخَّرَ المتطهِّرين لئلا يعجبوا وإن كانوا أعلى منهم.

وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ....

الأوقاتِ، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ يَضُمُّ إلى العِلم التَّعليمَ والإرشادَ إلى العَمل ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بإرادتِه، ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إيراثُهم الكتابَ ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

﴿٣٣﴾ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ أي: إقامةٍ ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ الثَّلاثةُ، ـ بِالبناء لِلفاعل والمفعولِ، خَبر ﴿جَنَّاتُ﴾ المُبتَدأ ـ، ﴿يُحَلَّوْنَ﴾ ـ خَبرٌ ثانٍ ـ ﴿فِيهَا مِنْ﴾: بَعض ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ مُرصَّعٍ بِالذَّهب، ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

(﴿٣٤﴾ - ﴿٣٥﴾) ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ جَمِيعَه، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ لِلذُّنوبِ ﴿شَكُورٌ﴾ لِلطَّاعة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾) متعلق بقوله: ﴿سَابِقٌ﴾، وإنَّما خصَّ مع أنَّ الكلَّ بإذن الله؛ تنبيهاً على عزَّة هذه المرتبة، فأُضِيفت لله.

قوله: (﴿يَدْخُلُونَهَا﴾... إلخ) أتى بضمير جَماعة الذكور في تلك الآيات؛ تغليباً للمذكَّر على المؤنث، وإلَّا.. فلا خُصوصية للذكور.

قوله: (بالبناء للفاعل وللمفعول) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (مُرصَّع في الذهب) تقدَّم أنه أحد قولَين، وقيل: إنهم يُحَلَّوْن فيها أسورةً من ذهب، وأسورةً من فضَّة، وأسورةً من لؤلؤ[2].

قوله: (﴿وَقَالُوا﴾) عبَّر بالماضي؛ لِتَحقُّق وقوعه.

قوله: (جميعَهُ) أي: كخوف الأمراض والفَقر والموت، وزوال النِّعم، وغير ذلك من آفات الدنيا وهُمومها.

---

(١) قرأ أبو عمرو بضم الياء وفتح الخاء، والباقون بفتح الياء وضم الخاء. انظر «السراج المنير» (٣/ ٣٢٩).

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ في سورة (الحج) (٤/ ٣٨٨).

ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ ....

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ أي: الإقامةِ ﴿مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾: تَعَبٌ، ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: إعياءٌ مِن التَّعب لِعَدمِ التَّكليف فِيها، وذَكر الثَّاني التَّابع لِلأوَّل لِلتَّصريح بِنَفيه.

﴿٣٦﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بِالمَوتِ ﴿فَيَمُوتُوا۟﴾: يَستَريحُوا،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا﴾) أي: أدخَلنا وأسكننا.

قوله: (﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾) مفعول ثان لـ﴿أَحَلَّنَا﴾، والمراد بها: الجنَّة التي تقدَّم ذِكرها.

قوله: (﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾) حالٌ من ضمير ﴿أَحَلَّنَا﴾ البارز.

قوله: (تعب) أي: فلا نومَ في الجنة؛ لعدم التَّعب بها.

قوله: (إعياءٌ من التَّعب) أي: فإذا اشتهى الشَّخص من أهل الجنة أن يَسير وينظر ويتمتَّع بجميع ما أعطاه الله من الحُور والغرف والقصور في أقلِّ زمنٍ.. فَعَلَ، ولا يحصل له إعياءٌ ولا مَشقَّة.

وبالجملة: فأحوال الجنَّة لا تُقاس على أحوال الدنيا، وهذه الآية فيها أعظم بشرى لهذه الأمة المحمَّدية.

قوله: (وذكر الثاني) جوابٌ عمَّا يقال: ما الفائدة في نفي اللُّغوب مع أنَّ انتفاءه يُعلم من انتفاء النصب؛ لأنَّ انتفاءَ السَّببِ يستلزم انتفاءَ المسبَّب؟!

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾... إلخ) هذا مقابِل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ﴾، على حكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه؛ إذا ذَكر أوصاف المؤمنين.. أعقبه بذكر أوصاف الكفار.

قوله: (﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾) أي: لا يُحكم عليهم بالموت، وقوله: (﴿فَيَمُوتُوا۟﴾) مسبَّب عن قوله: ﴿لَا يُقْضَىٰ﴾، وهو منفيٌّ أيضاً؛ لأنَّه يلزم من انتفاءِ السَّبب انتفاءُ المسبَّب.

إن قلت: إنَّ في هذه الآية دليلاً على أنَّ أهل النَّار لا يموتون، وفي آية أخرى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤]، فيقتضي أنَّ أهل النَّار لهم حالةٌ بين الحالتين مع أنه لا واسِطة.

أجيب: بأنَّ المعنى: لا يموتون فيَستريحون من العذاب، ولا يَحيَوْن حياةً طيِّبةً.

وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ....

﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ﴾ طَرفة عَين، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما جَزيناهُم ﴿يُجْزَىٰ كُلُّ كَفُورٍ﴾: كافِرٍ ـ بِالياء، والنُّون المَفتُوحة مع كسرِ الزَّاي ونَصبِ ﴿كُلَّ﴾ ـ.

﴿٣٧﴾ ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾: يَستَغِيثُون بِشِدَّةٍ وعَوِيل، يَقُولُون: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ﴾) أي: بحيث ينقطع عنهم زمناً ما، وبهذا اندفع ما قيل: إنَّ بعض أهل النار يخفَّف عنه كأبي طالب وأبي لهب؛ لما ورد: «**أنَّ رسول الله تشفَّع في أبي طالب، فنُقِل في ضَحْضاحٍ من نار، يَنتعل بنعلين يَغلي منهما دماغُهُ**»[(١)].

ووَرد: «**أنَّ أبا لهبٍ يُسْقَى في نقرة إبهامه ماءً كل ليلة اثنين؛ لعِتْقِهِ جاريتَهُ ثويبةَ حين بَشَّرته بولادته ﷺ**»[(٢)]، فتحصَّل: أن المراد بعدم التَّخفيف: عدمُ انقطاعه عنهم وإن كان يَحصل لبعضهم بعضُ تخفيفٍ فيه.

قوله: (بالياء) أي: المضمومة مع فتحِ الزاي ورفعِ (كلُّ)، وقوله: (والنون المفتوحة) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[(٣)].

قوله: (﴿يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾) أي: يصيحون.

قوله: (وعويل) العويل: رفعُ الصَّوت بالبكاء.

قوله: (يقولون) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا...﴾ إلخ مقولٌ لقولٍ محذوفٍ معطوفٍ على قوله: ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، و(ضحضاح): بفتح الضادين المعجمتين وحاءين مُهملتين أولاهما: أصله ما رقَّ من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين، فاستُعير للنار.

(٢) رواه البخاري (٥١٠١) من حديث عروة بن الزبير رحمه الله تعالى.

(٣) قرأ أبو عمرو بالياء التحتية المضمومة، وفتح الزاي، والباقون بالنون المفتوحة، وكسر الزاي وياء ساكنة مَدِّية بعدها. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٦٣).

(٤) عبارة السمين في «الدر المصون» (٩/ ٢٣٥): (وذلك القول إن شئت قدَّرته فعلاً مفسِّراً لـ ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ أي: يقولون في صراخهم: ربنا أخرجنا، وإن شئت قدَّرته حالاً من فاعل ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ أي: قائلين ربنا)، وليس في السياق ما يُصحح العطف.

رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ....

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا﴾ منها ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ﴾، فيُقالُ لَهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا﴾: وَقتاً ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ﴾: الرَّسُولُ فما أجبتُم؟ ﴿فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافِرين ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ يَدفعُ العَذاب عنهُم.

حاشية الصاوي

قوله: (منها) قدَّره هنا؛ لدلالة الآية الأخرى عليه[1].

قوله: (﴿صَٰلِحًا﴾) صفة لموصوف محذوف، تقديره: عملاً صالحاً.

قوله: (فيقال لهم) أي: على سبيل التَّوبيخ والتَّبكيت.

قوله: (﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾) الهمزة داخلة على محذوف، تقديره: أتَعتذرون وتقولون: ربنا أخرجنا... إلخ ولم نؤخِّركم ونمهلكم ونُعطكم عمراً يتمكن فيه مريد التَّذكُّر من التذكر والتفكر؟!

قوله: (﴿مَّا يَتَذَكَّرُ﴾) (ما): نكرة موصوفة؛ بمعنى: وَقت؛ ولذا قدَّره المفسِّر.

قوله: (﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾) عطف على معنى الجملة الاستفهاميَّة، كأنه قال: قرُّوا بأننا عمَّرناكم وجاءكم النَّذير[2].

قوله: (الرسول) أي: أيَّ رسول كان؛ لأنَّ هذا الكلام مع عموم الكفار من أوَّل الزمان لآخره[3].

قوله: (﴿فَذُوقُوا۟﴾) مرتَّب على محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (فما أجبتم)، فاندفع ما يقال: إن ظاهر الآية ربَّما يوهم أنَّ إذاقتَهُمُ العذاب مرتَّبةٌ على مجيء الرسول مع أنه ليس كذلك.

قوله: (﴿مِن نَّصِيرٍ﴾) ﴿مِن﴾: زائدة، و﴿نَصِيرٍ﴾: مبتدأٌ، خبرُهُ الجارُّ والمجرور قبله.

---

(١) أي: في سورة (المؤمنون): ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾.

(٢) فالعطف في الحقيقة على الخبر لا الإنشاء. «فتوحات» (٣/ ٥٢٢) عن شيخه العلامة عطية الأجهوري، ومثله قوله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾ ثم قال: ﴿وَلَبِثْتَ﴾، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ ثم قال ﴿وَوَضَعْنَا﴾؛ إذ هما في معنى: ربَّيناك، وشرَحنا. وانظر «الدر المصون» (٩/ ٢٣٧).

(٣) وجاءكم النذير: اختلف فيه، فقيل: القرآن، وقيل: الرسول، وقيل: الشيب، وقيل: النذير: الحمى، وقيل: موت الأهل والأقارب، وقيل: كمال العقل. انظر «تفسير القرطبي» (١٤/ ٣٥٣).

إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٣٩﴾ ....

﴿٣٨﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بِما في القُلُوب، فعِلمُه بِغَيرِه أَولى بِالنَّظرِ إلى حالِ النَّاس.

﴿٣٩﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾: جَمع (خَلِيفة) أي: يَخلُف بَعضُكُم بَعضاً، ﴿فَمَن كَفَرَ﴾ مِنكُم ﴿فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ﴾ أي: وَبالُ كُفرِه، ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ﴾: غَضباً، ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا﴾ لِلآخِرة.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾) أي: ما غاب عنَّا فيهما.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾) تعليلٌ لما قبله، كأنه قيل: إذا عَلم ما خفي في الصدور.. كان أعلمَ بغيرها من بابٍ أولى، وقوله: (بالنظر إلى حال الناس) جوابٌ عمَّا يقال: عِلم الله لا تفاوت فيه، بل جميعُ الأشياء مستويةٌ في عِلمه، لا فرق بين ما خفي منها على الخلق وما ظهر لهم.

فأجاب بما ذكر؛ أي: إنَّ الأولويَّة من حيثُ عادةُ الناس الجاريةُ أنَّ مَنْ عَلم الخفيَّ يعلمُ الظَّاهر بالأولى.

قوله: (﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾) أي: رعاةً مسؤولين عن رَعاياكم؛ من أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وخدَمكم، فكلُّ إنسانٍ خليفةٌ في الأرض، وهو راعٍ، وكلُّ راعٍ مسؤولٌ عن رعيَّته.

قوله: (جمع خَليفة) كذا في بعض النسخ بالتاء، وفي بعض النسخ بلا تاء، والأولى أَوْلى؛ لأنَّ (خليف) جمعه (خُلفاء)، وأمَّا خليفة.. فجمعه: خَلائف.

قوله: (أي: وبال كفره) أي: فلا يضرُّ إلا نفسَهُ.

قوله: (﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾... إلخ) بيان لوبال كفرهم وعاقبته.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾ ....

﴿٤٠﴾ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبُدُون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره وهُم الأصنامُ الَّذين زَعمتُم أنَّهُم شُركاءُ الله تَعالى، ﴿أَرُونِى﴾: أخبِرُونِي ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾: شَركةٌ مَع الله ﴿فِى﴾ خلقِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ﴾: حُجَّة ﴿مِّنْهُ﴾ بِأنَّ لَهُم مَعِي شَركةً؟ لا شَيءَ مِن ذلك، ﴿بَلْ إِن﴾: ما ﴿يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكافِرُون ﴿بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾... إلخ) (رأى): بصريَّة تتعدَّى لمفعول واحد إن كانَت بلا همز، وبالهمز كما هنا تتعدَّى لمفعولين الأول: قوله: ﴿شُرَكَآءَكُمُ﴾، والثاني: قوله: ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ على سبيل التنازع؛ لأنَّ كلًّا من ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ و﴿أَرُونِى﴾ طالبٌ ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ على أنه مفعول له.

قوله: (﴿شُرَكَآءَكُمُ﴾) أضافهم لهم مِنْ حيثُ إنَّهم جعلوهم شركاءَ، أو من حيثُ إنَّهم شركوهم في أموالهم؛ فإنهم كانوا يُعيِّنون شيئاً من أموالهم لآلهتهم، وينفقونه على خِدمتها، ويذبحون عندها.

قوله: (﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾) أي: أيَّ شيء خَلقوه من الأمور التي في الأرض؛ كالحيوانات والنباتات والأشجار وغير ذلك؟

قوله: (﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾) (أم): في الموضعين منقطعةٌ تفسَّر بـ(بل) والهمزة.

قوله: (﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾) أي: الشركاءَ.

قوله: (﴿عَلَىٰ بَيِّنَتٍ﴾) بالإفراد والجمع، قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (لا شيء من ذلك) جواب الاستفهام في الجُمَل الثلاث، وهو إنكاريٌّ.

قوله: (﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾) لما ذكرَ نفيَ الحججِ.. أضرب عنه بذكر الأمر الحاملِ للرؤساء على الشِّرك وإضلال الأتْباع، وهو قولهم لهم: إنَّهم شفعاءُ عند الله.

قوله: (﴿بَعْضُهُم﴾) بدل من ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

---

(١) قرأ أبو عمرو وحمزة وابن كثير وحفص بالإفراد، والباقون بالجمع. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٣٩).

إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا ....

باطِلاً بِقولِهِم: الأصنامُ تَشفَع لَهم.

﴿٤١﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ أي: يَمنَعهُما مِن الزَّوال، ﴿وَلَئِن﴾ ـ لامُ قسَم ـ ﴿زَالَتَآ إِنْ﴾: ما ﴿أَمْسَكَهُمَا﴾: يُمسِكهُما ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ﴾ أي: سِواهُ، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ في تَأخِير عِقاب الكُفَّار.

﴿٤٢﴾ ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: كُفَّار مكَّة ....

حاشية الصاوي

قوله: (بقولهم) أي: الرُّؤساءِ للأتْبَاع.

قوله: (أي: يمنعهما من الزوال) أشار بذلك إلى أنَّ الإمساك بمعنى: المنع، وقوله: (﴿أَن تَزُولَاۚ﴾) ﴿أَن﴾ وما دخلت عليه: في تأويل مصدر، مفعول ثانٍ على إسقاط (مِن)[1].

قوله: (﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾) اجتمع قسمٌ وشرطٌ؛ فقوله: ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ جوابُ الأول، وحُذِفَ جوابُ الثاني على القاعدة المعروفة.

قوله: (﴿مِنْ أَحَدٍ﴾) (مِن): زائدة في الفاعل، وقوله: (﴿مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ﴾) (مِنْ): ابتدائيَّة، والتقدير: ما أمسَكهما أحدٌ مُبْتَدَأً وناشئاً من غيره.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾) تعليل لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: فإمساكهما حاصلٌ بحلمه وغفرانه، وإلَّا.. فكانتا جديرتين بأن تزولا؛ كما قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ...﴾ [مريم: ٩٠] الآية، فحِلمُ الله من أكبر النِّعم على العباد؛ إذ لولاه لما بقي شيءٌ من العالم، فقولُ العامَّة: (حلم الله يُفتت الكبود).. إساءةُ أدبٍ[2].

قوله: (أي: كفار مكة) أي: قبل أن يبعث الله محمَّداً ﷺ، حين بلغهم أنَّ أهل الكتاب كذَّبوا

---

(١) وجوَّزوا فيه أن يكون مفعولاً من أجله؛ أي: كراهة أن تزولَا، وقيل: لئلا تزولا، ويجوز أن يكون بدلَ اشتمال؛ أي: يمنع زوالهما. «فتوحات» (٣/ ٥٢٤) عن العلامة الكرخي.

(٢) ذكر المصنف هذا القول في آخر تفسير سورة (الإسراء) فقال: (ومِن أقبح ما تقول العامة: حلم ربنا يُفتت الكبود؛ إذ معناه اعتراضٌ على سَعة حلمه، ولا يدرون أنه لولا حِلمه علينا.. لخسف بنا، فسَعة حلمه من أجلِّ النعم علينا، قال العارف: الحمد لله على حِلمه بعد علمه، وعلى عَفوِه بعد قدرته).

بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ....

﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾: غايةَ اجتِهادِهم فِيها، ﴿لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: رَسُولٌ ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ اليَهُودِ والنَّصارَى وغَيرِهم، أي: أيٍّ واحِدة مِنها لِما رَأوا مِن تكذِيب بَعضِهم بَعضاً؛ إذ قالَت اليَهُود: لَيست النَّصارَى على شَيء، وقالَت النَّصارَى: لَيسَت اليَهُودُ على شيء، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: مُحمَّد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ مَجِيئُه ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾: تَباعُداً عن الهُدَى.

﴿٤٣﴾ ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عن الإيمانِ ـ مَفعُول لَه ـ ﴿وَمَكْرَ﴾ العمَلِ ....

حاشية الصاوي

رسلهم، فلعنوا مَنْ كذَّب نبيَّه منهم، وأقسَموا بالله تعالى: لئن جاءهم نبيٌّ ينذرهم.. ليكوننَّ أهدى من إحدى الأمم[1].

قوله: (﴿جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾) الجَهْدُ بالفتح: بلوغ الغاية في الاجتهاد، وأما بالضمِّ.. فهو الطاقة، وإنما كان الحلف بالله غاية أيْمانهم؛ لأنَّهم كانوا يَحلفون بآبائهم وأصنامهم، فإذا أرادوا التَّأكيد والتَّشديد.. حلفوا بالله.

قوله: (﴿لَّيَكُونُنَّ﴾) هذا حكايةٌ لكلامهم بالمعنى، وإلَّا.. فلَفظه: لنكونن... إلخ.

قوله: (﴿مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾) المراد: من إحدى الإِحَدِ الدَّائر[2]، فالمعنى: من كلِّ الأمم، فقولُ المفسِّر: (أي: أيَّ واحدة منها) الأوضحُ أن يقول: (أي: كل واحدة منها).

قوله: (﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾) جواب (لما)، وفيه إشعارٌ بأنَّ فيهم أصلَ النُّفور؛ لكونهم جاهليَّة، لم يأتهم نذيرٌ من عهد إسماعيل.

قوله: (مفعول له) أي: لأجل الاستكبار، ويصح أن تكون بدلاً من ﴿نُفُورًا﴾، أو حالاً من ضمير ﴿زَادَهُمْ﴾ أي: حال كونهم مُستكبرين.

---

(١) انظر «زاد المسير» (٣/ ٥١٥).

(٢) قولهم: (إحدى الإِحَدِ) جرى مَجرى المثل في استعظام الأمر في الشر أو الخير، وقرينة إرادة الاستعظام إضافة (إحدى) إلى اسمٍ من لَفظها؛ فيكون المعنى: من الأمة التي يقال فيها: هي إحدَى الأُمم؛ تفضيلاً لها. وانظر كلام العلامة ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (٢٢/ ٣٣٢).

ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ....

﴿ٱلسَّيِّيِٕۚ﴾ مِن الشِّرك وغَيرِه، ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾: يُحِيط ﴿ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ﴾ وهو الماكِرُ، ووَصفُ المَكر بِالسَّيِّئ أصلٌ، وإضافَته إلَيهِ قبلُ استِعمالٌ آخَر قُدِّر فِيه مُضاف حَذراً مِن الإضافةِ إلى الصِّفة، ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾: يَنتظِرُون ﴿إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ﴾: سُنَّة الله فِيهِم مِن تَعذِيبِهم بِتَكذِيبِهم رُسُلَهم، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ أي: لا يُبَدَّل بِالعَذابِ غَيرُه ولا يُحوَّلُ إلى غيرِ مُستَحِقِّه.

حاشية الصاوي

قوله: (ووصف المكر بالسيئ) أي: في قوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ﴾، وقوله: **(أصل)** أي: جاء على الأصل من استعمال الصفة تابعة للموصوف.

قوله: (وإضافته إليه قبلُ) أي: في قوله: ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ﴾.

قوله: (استعمال آخر) أي: جاء على خلاف الأصل؛ حيثُ أضيف فيه الموصوف للصفة.

قوله: (قدِّر فيه مضاف) أي: مضاف إليه، وقوله: (حذراً من الإضافة إلى الصفة) أي: من إضافة (المكر) الذي هو الموصوف إلى (السيئ) الذي هو الصفة، فيجعل (المكر) مضافاً لمحذوف، و(السيئ) صفة لذلك المحذوف[1]، وتلك الإضافةُ من إضافة العامِّ للخاصِّ؛ لأنَّ المكر يشمل الاعتقادَ والعملَ، فإضافتُهُ للعمل تخصيصٌ له.

قوله: (﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ﴾) أي: فلا ينتظرون إلَّا تعذيبَهُم كمَنْ قبلهم.

قوله: (سنَّة الله فيهم) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ﴾ مصدرٌ مضافٌ لمفعوله، وسيأتي إضافته لفاعله في قوله: ﴿لِسُنَّتِ ٱللَّهِ﴾.

قوله: (﴿فَلَن تَجِدَ﴾) الفاء: للتعليل، كأنه قيل: لا ينتظرون إلا تعذيبهم كمَنْ قبلهم؛ لأنَّك أيها العاقل لا تَجد. . . إلخ.

قوله: (أي: لا يبدَّل بالعذاب غيره، ولا يحوَّل إلى غير مستحقِّه) أشار بذلك إلى أن المراد بالتبديل: تغيير العذاب بغيره، والتحويل: نَقله لغير مستحقِّه، وجمع بينهما للتهديد والتقريع.

---

(١) وهو مذهب البَصريين؛ أي: العمل السيئ. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٤١).

أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ....

﴿٤٤﴾ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فأهلَكَهُم الله بِتكذِيبِهم رُسُلَهم، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ﴾: يَسبِقَهُ ويَفُوتَه ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا﴾ أي: بالأشياءِ كُلِّها، ﴿قَدِيرًا﴾ عليها.

﴿٤٥﴾ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ﴾ مِن المَعاصِي ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ أي: الأرضِ ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: نَسَمة تَدِبُّ عليها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والتقدير: أتركوا السفر ولم يَسيروا؟ وهو استشهادٌ على أنَّ سنَّة الله لا تبديل لها ولا تحويل، والاستفهامُ إنكاريٌّ بمعنى النَّفي، ونفيُ النَّفيِ إثباتٌ، والمعنى: بل سارُوا في الأرض، ومرُّوا على ديار قوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب وغيرهم، فنظروا آثار ديارهم.

قوله: (﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾) أي: على أيِّ حالةٍ كانت؛ ليعلموا أنَّهم ما أُخِذُوا إلا بتكذيب رسلهم، فيخافوا أن يُفْعَل بهم مثل ذلك.

قوله: (﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾) أي: أطول أعماراً، والجملة حاليَّة أو معطوفة على قوله: ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ﴾... إلخ) تقرير لما فُهِمَ من استئصال الأُمم السابقة.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾) تعليلٌ لما قبله.

قوله: (﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾) الباء: سببيَّة، و(ما): مصدريَّة، أو موصولة؛ أي: بسبب كسبهم، أو الذي كسَبوه.

قوله: (من المعاصي) بيان لـ(ما).

قوله: (﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾) أي: من جميع ما دبَّ على وجهها من الحيوانات العاقلة وغيرها، وذلك بأن يُمْسِكَ عنها ماء السماء مثلاً، فينقطع عنهم النبات، فيموتون جوعاً؛ فالظالمُ لظلمه، وغيرُ الظالم بشُؤْمِ الظالم.

﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ فيُجازِيهم على أعمالِهم بإثابةِ المُؤمِنين وعِقابِ الكافِرين.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

وعبَّر بالظَّهر؛ تشبيهاً للأرض بالدابة من حيثُ التَّمكُّنُ عليها، ويعبَّر تارة بِوجه الأرض من حيثُ إنَّ ظاهرها كالوجه للحيوان، وغيره كالبطن، وهو الباطن منها، فتحصَّل أنه يقالُ لما عليه الخلق من الأرض: وجهُ الأرضِ وظهرُها، فهو من قَبيل إطلاق الضِّدَّين على شيءٍ واحد.

قوله: (نسمة) من التَّنسُّم، وهو: التنفس؛ أي: ذي روحٍ.

قوله: (فيجازيهم بأعمالهم) أشار بذلك إلى أنَّ جوابَ الشرط محذوفٌ، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ تعليلٌ له.

✿ ✿ ✿



مَكيَّة، أو إلَّا قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ...﴾ الآية، أو مدنيَّة، ثِنتانِ وثَمانونَ آية.

حاشية الصاوي

سُورَةُ يسٓ

(مكيَّة) أي: كلُّها، وقوله: (أو إلَّا قولَهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾... إلخ) قولٌ ثانٍ، وقوله: (أو مدنيَّة) أي: كلُّها، وهو قولٌ ثالثٌ.

ووَرد في فضل سورة (يس) أحاديثُ كثيرةٌ منها: قوله ﷺ: «اقرَؤوا (يس) على موتاكم»[1].

ومنها: «ما من ميِّتٍ يُقْرَأُ عليه (يس) إلا هوَّن الله عليه»[2].

ومنها: «من قرأ (يس) في ليلةٍ ابتغاءَ وجهِ الله.. غفَر الله له في تلك الليلة»[3].

ومنها: «إنَّ لكلِّ شيءٍ قلباً، وقلبُ القرآن (يس)، ومَن قرأ (يس) كتب الله له بها قراءة القرآن عشر مرات»[4].

ومنها: «إنَّ في القرآن سورةً تشفع لقارئها، وتغفر لمستَمِعها، ألا وهي سورة (يس)، تدعى في التوراة: المُعِمَّةَ»، قيل: يا رسول الله؛ وما المُعِمَّةُ؟ قال: «تَعمُّ صاحبها بخير الدنيا، وتدفع عنه أهوال الآخرة، وتدعى أيضاً: الدَّافعة والقاضية»، قيل: يا رسول الله؛ وكيف ذلك؟ قال: «تدفع عن صاحبها كلَّ سوءٍ، وتقضي له كلَّ حاجة»[5].

---

(١) رواه أبو داوود (٣١٢١)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٩١٣)، وابن ماجه (١٤٤٨) عن سيدنا مَعقل بن يسار رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو حفص ابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (٢٥٠) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٥٧٤) من حديث جندب رضي الله عنه.

(٤) رواه الترمذي (٢٨٨٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٣٧) من حديث سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

. . . .

حاشية الصاوي

ومنها: «مَنْ قرأ (يس) حين يصبح. . أُعْطِيَ يُسْرَ يومه حتَّى يمسي، ومَنْ قرأها في صَدر لَيْلِهِ. . أُعْطِيَ يُسْرَ ليلته حتَّى يصبح»[١].

ومنها: عن أبي جعفر: مَن وجد في قلبه قسوةً. . فليكتب سورة (يس) في جامٍ - أي: إناء - بزعفران ثمَّ يشربه.

ومنها: «من قرأ سورة (يس) ليلة الجمعة. . أصبح مغفوراً له»[٢].

ومنها «من دخل المقبرة فقرأ سورة (يس). . خُفِّفَ العذاب عن أهلها ذلك اليوم، وكان له بعدد مَنْ فيها حسَنات».

ومنها: عن يحيى بن أبي كثير: بلغني أنَّ مَنْ قرأ سورة (يس) ليلاً. . لم يَزل في فرحٍ حتى يصبح، ومن قرأها حين يُصبح. . لم يزل في فرح حتى يمسي، وقد حدَّثني بها مَنْ جرَّبها.

ومنها: «إنَّ لكلِّ شيءٍ قلباً، وقلب القرآن (يس)؛ مَن قرأها يريد بها وجه الله. . غفر الله له، وأعطي من الأجر كأنَّما قرأ القرآن عشر مرَّات، وأيُّما مسلمٍ قُرِئَ عنده إذا نزل به ملك الموت سورة (يس). . نزل بكلِّ حرفٍ منها عشرة أملاكٍ يَقومون بين يديه صفوفاً، يصلُّون عليه، ويستغفرون له، ويَشهدون غسله، ويتَّبعون جنازته، ويُصلون عليه، ويشهدون دفنه، وأيُّما مسلمٍ قرأ سورة (يس) وهو في سكرات الموت. . لم يَقبض ملكُ الموت روحَهُ حتَّى يجيئه رضوانٌ بشربةٍ من الجنَّة، فيَشربها وهو على فراشه، فيقبض روحَهُ وهو ريَّان، ويمكث في قبره وهو ريَّان، ولا يحتاج إلى حَوضٍ من حياض الأنبياء حتَّى يدخل الجنة وهو ريَّان»[٣].

ومنها: «يس لما قُرِئت له»[٤].

وحكمةُ اختيار الصالحين في استعمالها التكرارَ كأربعٍ أو سبعٍ أو أحد وأربعين أو غير ذلك:

---

(١) رواه الدارمي في «سننه» (٣٤٦٢) من حديث سيدنا ابن عباس ﵄، وفي (ط٢): (ليلته) بدل (ليله).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٤٨) عن سيدنا أبي هريرة ﵁، بلفظ: «من قرأ ليلة الجمعة (حم الدخان) و(يس). . أصبح مغفوراً له».

(٣) رواه الشهاب القضاعي في «مسنده» (٢/ ١٣٠) عن سيدنا أبيِّ بن كعب ﵁، وفيه: (كأنما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة) بدل (كأنَّما قرأ القرآن عشر مرات).

(٤) قال الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة» (٧٤١): (لا أصل له بهذا اللفظ).

﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ ....

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿يسٓ﴾ الله أعلم بِمُرادِه بِه.

(٢) - (٤) ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾: المُحكَم بِعَجِيبِ النَّظم وبَدِيعِ المَعانِي، ﴿إِنَّكَ﴾ يا مُحمَّدُ ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ﴾ - مُتعلِّق بِما قبلَه - ....

حاشية الصاوي

شدَّةُ الحجاب والغَفلة على القلب، فبالتكرار تَصفو مرآته، وترقُّ طبيعته وإن كان الفضلُ المذكو لا يتوقف على تكرارٍ كما يَشهد له هذه الأحاديث.

قوله: (﴿يسٓ﴾) القُراء السبعة على تسكين النون بإدغامها في الواو بعدها، أو بإظهارها، وقرئ شذوذاً بضمِّ النون، أو فتحها، أو كسرها؛ فالأول: خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هذه، ومُنِعَ من الصرف للعلمية والتأنيث، والثاني: إما على البناء على الفتح تخفيفاً كـ: أين وكيف، أو مَفعول به لفعل محذوف تقديره: اتْلُ، أو مجرور بحرف قسم محذوف وهو ممنوعٌ من الصرف، والثالث: مبني على الكسر على أصل التخلص من التقاء الساكنين[1].

قوله: (الله أعلم بمراده) هذا أحدُ أقوالٍ في تفسير الحروف المقطَّعة كـ: (حم)، و(طس)، وتقدَّم: أنَّ هذا القول أسلَم، وقيل: معناه: يا إنسان، وأصله: يا أُنَيسين فاقتصر على شطره؛ لكثرة النداء به، وقيل: هو اسمٌ لرسول الله ﷺ، وقيل: اسمٌ للقرآن.

قوله: (﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾) كلامٌ مستأنفٌ لا محلَّ له من الإعراب، وهو قَسمٌ، وجوابه قوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

قوله: (المحكم) أي: المتقَنِ الذي هو في أعلى طبقات البلاغة.

قوله: (متعلق بما قبله) أي: بـ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، ويصح أن يكون خبراً ثانياً، كأنه قيل: إنَّك لمن المرسلين، إنَّك على صِراط مستقيم.

---

(١) أظهر النون عند الواو بعدها ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص وقالون وورش بخلاف عنه، وأدغمهما الباقون، وقرأ عيسى وابن أبي إسحاق بفتح النون، وقرأ الكلبي بضم النون، وقرأ ابن أبي إسحاق أيضاً وأبو السمال بكسر النون. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٤٤).

صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ ....

﴿صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ أي: طَريقِ الأنبياء قبلَك التَّوحِيد والهُدَى، والتَّأكيدُ بِالقسَمِ وغَيره رَدٌّ لِقَول الكُفَّار لَه: لَستَ مُرسَلاً.

(٥ - ٦) ﴿تَنزِيلُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ في مُلكِه، ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بِخَلقِه، ـ خَبَر مُبتدأ مُقدَّر أي: القُرآنُ ـ ﴿لِتُنذِرَ﴾ بِه ﴿قَوۡمٗا﴾ ـ مُتعلِّق بِـ﴿تَنزِيلَ﴾ ـ ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾ أي: لَم يُنذَرُوا في زَمَن الفَترةِ، ﴿فَهُمۡ﴾ أي: القَومُ ﴿غَٰفِلُونَ﴾ عن الإيمانِ والرُّشدِ.

٧ ﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ﴾: وجَب ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: طريق الأنبياء قبلك) أي: وقَولهم: إنَّ شرع رسول الله ﷺ ناسخٌ لجميع الشرائع.. فهو باعتبار الفروع، وأما الأصول.. فالكلُّ مُستوُون فيها، ولا يتعلق بها نسخ، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا...﴾ [الشورى: ١٣] الآية، وقال تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

قوله: (وغيره) أي: إنَّ، واللامِ، والجملةِ الاسميَّةِ.

قوله: (خبر مبتدأ مقدَّر) هذا أحد وجهين في الآية، والآخر النصب على أنه مفعول لمحذوف؛ أي: امْدَحْ، أو مفعول مطلق لـ(نزَّل)، والقراءتان سبعيَّتان(١).

قوله: (﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا﴾) أي: العربَ وغيرَهُم.

قوله: (في زمن الفترة) هو بالنسبة للعرب: ما بين إسماعيل ومُحمد عليهما الصلاة والسلام، وبالنسبة لغيرهم: ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

قوله: (﴿فَهُمۡ غَٰفِلُونَ﴾) مرتَّب على نفي الإنذار، وقوله: (أي: القوم) تفسيرٌ للضمير، ويصح أن يكون الضمير راجعاً للفريقَين: هم، وآباؤهم.

قوله: (﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ﴾) أي: وهو قوله: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بالرفع، والباقون بالنصب، وقرأ أبو حيوة واليزيدي وأبو جعفر وشيبة بالجر على النعت للقرآن، أو البدل منه. انظر «الدر المصون» (٩/٢٤٦).

عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا ....

﴿عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ﴾ بِالعذابِ، ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ أي: الأكثرُ.

﴿٨﴾ ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا﴾ بِأن تُضَمَّ إليها الأيدي؛ لِأنَّ الغُلَّ يَجمَعُ اليَدَ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ﴾) أي: أكثر المكلَّفين في كل زمنٍ، فالأقلُّ متحتِّمٌ إيمانه، والأكثرُ متحتِّمٌ كفره، وتقدَّم لنا في سورة (الأنعام): أنَّ الأقلَّ واحدٌ من ألف[1].

قوله: (﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾) تفريعٌ على ما قبله، وأشار بذلك إلى أنَّ الإيمان والكفر بتقدير الله، فمَنْ طبَعَهُ على أحدهما.. فلا يستطيع التَّحوُّل عنه، وإنما الأمر بالإيمان باعتبار التَّكليف الظَّاهريِّ، والنَّوع الاختياريِّ، ومن هنا قول بعض العارفين: [البسيط]

الـكُـلُّ تَـقْـدِيـرُ مَـوْلانـا وَتَـأْسِـيـسُـه ... فَاشْكُرْ لِمَنْ قَدْ وَجَبْ حَمْدُه وَتَقْدِيسُه

وَقُـلْ لِـقَـلْـبِـكَ إذا كَـثُـرَتْ وَسـاوِيـسُـه ... إِبْلِيسُ لَمَّا غَوَى مَنْ كانَ إِبْلِيسُه[2]

قوله: (﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا﴾) قيل: نزلت في أبي جهل بن هشام وصاحبَيه المخزوميين، وذلك: أن أبا جهل حلف لئن رأى محمداً يصلي ليرضخنَّ رأسه بحَجر، فلما رآه ذهب فرفع حجراً ليَرميه، فلمَّا أومأ إليه.. رجعت يداه إلى عنقه، والتصق الحجر بيَديه، فلما عاد إلى أصحابه.. أخبرهم بما رأى، فقال الرجل الثاني وهو الوليد بن المغيرة: أنا أرضخ رأسه، فأتاه وهو يصلي على حالته ليرميه بالحجر، فأعمى الله بصره، فجعل يسمع صوته ولا يراه، فرجع إلى أصحابه فلم يرَهم حتى نادوه، فقال الثالث: والله لأشدخنَّ رأسه، ثمَّ أخذ الحجر وانطلق، فرَجع القهقرى ينكص على عقبيه حتى خرَّ على قفاه مغشيًّا عليه، فقيل له: ما شأنك؟ قال: شأني عظيم، رأيت الرجل، فلمَّا دنَوتُ منه.. فإذا فحلٌ يخطر بذَنَبِهِ، ما رأيت قطُّ فحلاً أعظم منه، حال بَيني وبينه، فواللات والعزى لو دنوتُ منه لأكلني، فأنزل الله تلك الآية[3].

---

(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾. وانظر (٢/٣٤٩).

(٢) قوله: (إذا كثرت) كذا في (أ)، وفي (ط٢): (إذا زادت) ولو قال: (إذ زادت) لاستقام الوزن، ولا يخفى تسكين المتحرك للضرورة الشعرية.

(٣) انظر «زاد المسير» (٣/٥١٨)، و«الشفا» للقاضي عياض (١/٣٥١).

فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ....

إلى العُنُق، ﴿فَهِىَ﴾ أي: الأيدِي مَجمُوعةٌ ﴿إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ جَمعُ (ذَقَن) وهي مُجتَمَع اللَّحيَينِ، ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾: رافِعُون رُؤوسَهم لا يَستطِيعُون خَفضَها، وهذا تَمثِيل. والمُرادُ أنَّهُم لا يُذعِنُون لِلإيمانِ ولا يَخفِضُون رُؤوسَهُم لَه.

﴿٩﴾ ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ ـ بِفتحِ السِّين وضَمِّها في المَوضِعَين ـ ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ....

حاشية الصاوي

وفيها إشارةٌ إلى ما يحصل لهم في نار جَهنم من السلاسل والأغلال وعمى أبصارهم، وفيها أيضاً: استعارة تمثيلية؛ حيث شبَّه حالهم في امتِناعهم من الهدى والإيمان بحال مَنْ غُلَّتْ يده في عُنقه، وعمي بصره؛ بجامع أنَّ كلاً ممنوعٌ من الوصول إلى المقصود، فتحصَّل أن الآية دالَّةٌ على الأمور الثلاثة: سبب النزول، وما يَحصل لهم في الآخرة، وتمثيل لمنعهم من الهدى.

قوله: **(بأن تضمَّ إليها الأيدي)** جعل المفسِّر هذا توطئةً لإرجاع الضمير للأيدي في قوله: ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾، كأنَّه قال: الأيدِي وإن لم يتقدَّم لها ذكرٌ صراحة فهي مذكورةٌ ضمناً في قوله: (الأغلال)؛ لأنَّ الغُلَّ يدلُّ عليها.

قوله: **(مجموعة)** قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ متعلق بمحذوف، ولو قدَّره (مرفوعة). . لكان أظهَر، وذلك أنَّ اليد تُرْفَعُ تحت الذَّقَنِ ويُلْبَسُ الغُلُّ في العنق بضمِّ اليد إليه تحت الذَّقن، فحينئذٍ لا يستطيعون خفضَ رأسٍ ولا التفاتاً.

قوله: **(وهذا تمثيل)** أي: استعارةٌ تمثيليَّةٌ للمعنى المذكور، وفيه إشارةٌ إلى سبب النزول، وإلى ما يحصل لهم في الآخرة كما علمتَ.

قوله: **(بضمِّ السِّين وفتحها)** أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: **(﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾)** هو بالغين المعجمة في قراءة العامَّة؛ أي: غطَّينا أبصارهم، وقرئ شذوذاً

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص بفتح السين في الموضعَين، وهو لغة فيه، والباقون بالضم. انظر «السراج المنير» (٣/٣٣٩).

وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ ......

تَمثِيل أيضاً لِسَدِّ طُرُق الإيمانِ علَيهِم.

(﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾) ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ ـ بِتَحقِيق الهمزَتَينِ، وإبدالِ الثَّانية أَلِفاً وتَسهِيلِها، وإدخالِ أَلِف بينَ المُسهَّلة والأُخرَى وترِكِه ـ ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ يَنفَع إنذارُك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾: القُرآنَ ....

حاشية الصاوي

بالعين المهملة من: العَشَى، وهو: عدم الإبصار ليلاً، والمعنى: أضعَفنا أبصارهم عن الهدى كعين الأعشى[1].

قوله: (تمثيل) أي: استعارةٌ تمثيليَّةٌ؛ حيث شبَّه حالهم في سدِّ طرق الإيمان عليهم ومَنعِهم منه بحال مَنْ سُدَّتْ عليه الطرق وأُخِذَ بصره؛ بجامع أنَّ كلاً لا يهتدي لمقصوده.

قوله: (﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾... إلخ) هذا نتيجةُ ما قبله، وقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بيان للاستواء، والمعنى: إنذارك وعدمه سواءٌ في عدم إيمانهم، وهو تسليةٌ له ﷺ، وكشفٌ لحقيقةِ أمرهم وعاقبتِهَا.

قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي: مع إدخال ألف بينهما وتركه، فالقراءات خمسٌ لا أربع كما توهمه عبارته، فالتخفيف فيه قراءتان، والتسهيل كذلك، والإبدال فيه قراءة واحدة، وهي سبعيَّات[2].

قوله: (ينفع إنذارك) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ ظاهر الآية يقتضي أنَّ رسالته ﷺ غيرُ عامَّة، بل هي لقوم مخصوصِين، وهم ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾، ويخالف قوله سابقاً: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا...﴾ إلخ، فأجاب المفسِّر عن ذلك: بأنَّ محطَّ الحصر الإنذارُ النافعُ؛ فلا يُنافي وجود غيره لمن لم ينتفع به.

---

(١) وبها قرأ ابن عباس وعمر بن عبد العزيز والحسن وابن يعمر وأبو رجاء في آخرين. انظر «الدر المصون» (٩/٢٤٩).

(٢) قرأ قالون وأبو عمرو وأبو جعفر بتسهيل الهمزة الثانية بينها وبين الألف مع إدخال ألفٍ بينهما، وقرأ ابن كثير ورويس بتسهيل الثانية من غير إدخال، ولورش وجهان: الأول مثل المكي ورويس، والثاني إبدالها ألفاً، وحينئذ يلتقي ساكنان هذه الألف والنون التي بعدها فيمد مدًّا مُشبعاً بقدر ثلاث ألفات، ولهشام وجهان كذلك، وهما التحقيق والتسهيل مع الإدخال في كل منهما، وقرأ الباقون بالتحقيق بدون إدخال. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٠).

وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ....

﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾: خافَهُ ولَم يَرَهُ، ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ هو الجنَّة.

﴿١٢﴾ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لِلبَعثِ ﴿وَنَكْتُبُ﴾ في اللَّوح المَحفُوظ ﴿مَا قَدَّمُوا۟﴾ في حَياتِهم مِن خَير وشَرٍّ لِيُجازَوا علَيهِ، ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾: ما استُنَّ به بعدَهُم، ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ - نَصبُهُ بِفعلٍ يُفسِّرهُ - ﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾: ضَبَطناهُ ﴿فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: كِتابٍ بَيِّن هو اللَّوحُ المَحفُوظ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِٱلْغَيْبِ﴾) يصح أن يكون حالاً من الفاعل أو المفعول، وتقدَّم نظيره.

قوله: (﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾... إلخ) تفريعٌ على ما قبله؛ إشارة لِبَيان عاقبة أمرهم.

قوله: (﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾) أي: نَبعثهم في الآخرة للمُجازاة على أعمالهم.

قوله: (﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾) إن قلتَ: إن الكتابة متقدِّمة قبل الإحياء؛ إذ هي في الدنيا، والإحياء يكون في الآخرة.

أجيب: بأنه قدَّم الإحياء اعتناءً بشأنه؛ إذ لولاه لما ظهرت ثمرة الكتابة.

قوله: (في اللوح المحفوظ) المناسب أن يقول: (في صحف الملائكة)؛ لأنَّ الكتابة التي تكون في حياة العباد إنما هي في صُحف الملائكة، وأمَّا اللوح فقد كُتِبَ فيه ذلك قبل وجود الخلق.

قوله: (ما اسْتُنَّ به بعدهم) أي: من خيرٍ؛ كعِلمٍ علَّموه، أو كتابٍ صنَّفوه، أو نخلٍ غرَسوه، أو وقفٍ حبسوه أو غير ذلك، أو شرٍّ؛ كمكس رتَّبوه، أو ضلالة أحدثوها أو غير ذلك؛ لما في الحديث: «مَنْ سنَّ سنَّة حسنة فعُمِلَ بها من بعده.. كان له أجرُها ومثلُ أجر مَنْ عمل بها من غير أن يَنْقُصَ من أجورهم شيءٌ، ومَنْ سنَّ في الإسلام سنَّة سيئة.. كان عليه وِزرُها ووزرُ مَنْ عمل بها بعده من غير أن ينقص من وزرهم شيء»[١].

قوله: (نصبه بفعل يفسره... إلخ) أي: فهو من باب الاشتغال.

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٠٧) عن سيدنا أبي جحيفة ﷺ.

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ ....

(١٣) ﴿وَٱضْرِبْ﴾: اجعل ﴿لَهُم مَّثَلًا﴾ ـ مفعول أوَّل ـ ﴿أَصْحَٰبَ﴾ ـ مفعول ثانٍ ـ ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾: أنطاكِيَة ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾) هذا خطابٌ للنبي ﷺ أن يَضرب لقومه مثلاً لعلهم يتَّعظون فيؤمنون.

قوله: (﴿أَصْحَٰبَ﴾ مفعول ثانٍ) الأوضَح أن يجعله مفعولاً أول.

قوله: (أنطاكية) بالفتح والكسر، وسكون النون، وكسر الكاف، وتخفيف الياء المفتوحة، وهي مدينةٌ بأرض الروم، ذاتُ سُور عظيم من صخر، وهي بين خمسة جبال، دورها اثنا عشر ميلاً.

وحاصل تلك القصة: أنَّ عيسى عليه السلام بعث رسولين من الحواريِّين إلى أهل أنطاكية، اسم أحدهما صادق، والثاني مصدوق، فلمَّا قرُبا من المدينة.. رأيا شيخاً يرعى غنيماتٍ له، وهو حبيب النجار صاحب (يس)، فسلَّما عليه، فقال الشيخ لهما: من أنتما؟ فقالا: رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكُم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، فقال: أمعكما آية؟ قالا: نعم نَشفي المريض، ونبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، وذلك كرامة لهما، ومعجزة لنبيِّهما؛ لأنه لما أرسلهما أيَّدهما بمعجِزَته، قال الشيخ: إنَّ لي ابناً مريضاً منذ سنين، قالا: فانطلق بِنا ننظر حاله، فأتى بهما، فمسحا ابنه، فقام في الوقت بإذن الله تعالى صحيحاً، ففَشا الخبر في المدينة، وشفى الله على أيديهما كثيراً من المرضى، وكان لهم ملكٌ يعبد الأصنام اسمه أنطيخا، فدعا بهما وقال: مَن أنتما؟ قالا: رسولا عيسى عليه السلام، قال: وفيمَ جئتما؟ قالا: ندعُوك من عبادة مَنْ لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة مَنْ يسمع ويبصر، فقال: وهل لنا إلهٌ دون آلهتنا؟ قالا: نعم، الذي أوجَدك وآلهتك، قال لهما: قُوما حتى أنظر في أمركما، فتبعهما الناس، فأخذوهما وجلَدوا كلَّ واحد منهما مئة جلدة، ووضعوهما في السجن.

فلمَّا كُذِّبا وضُرِبا.. بعث عيسى عليه السلام رأسَ الحواريين شمعون الصفيَّ على أثرهما ليُبصرهما، فدخل شمعون البلد متنكِّراً، فجعل يُعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به، فرفعوا خبره إلى الملك، فدعاه وأنس به وأكرَمه ورضي عشرته، فقال للملك ذات يوم: بلغني أنك حبستَ رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك؛ فهل كلَّمتهما وسمعتَ قولهما؟ فقال: حالَ الغضب بيني وبين ذلك، قال: فإني أرى أيُّها الملك أن تدعُوَهما حتى تطَّلع على ما عندهما، فدعاهما الملك، فقال شمعون: مَن أرسلكما إلى ههنا؟ قالا: الله الذي خلق كلَّ شيء وليس له

إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ ....

﴿إِذْ جَآءَهَا﴾ إلى آخِره بَدَلُ اشتِمال مِن ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أي: رُسُلُ عِيسى.

حاشية الصاوي

شريك، فقال شمعون: فصِفَاهُ وأوْجِزا، قالا: إنه يفعل ما يشاء، ويَحكم ما يريد، فقال شمعون: وما آيتكما؟ قالا: ما تتمنَّاه، فأمر الملك حتى جاؤُوا بغلام مطموس العينين، وموضع عينَيه كالجبهة، فما زالا يدعوان ربَّهما حتى انشقَّ موضع البصر، فأخذا بندقتين من طين، فوَضعاهما في حدقتيه، فصارتا مقلتين يبصر بهما، فتعجَّب الملك، فقال شمعون للملك: إن أنتَ سألت آلهتك حتى يضعوا مثل هذا.. كان لك الشرف ولآلهتك، فقال له الملك: ليس لي عنك سرٌّ مكتوم؛ فإنَّ إلهنا الذي نَعبده لا يسمع ولا يبصر، ولا يضرُّ ولا ينفع.

وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويُصلي ويتضرع حتى ظنُّوا أنه من ملَّتهم، فقال الملك للرسولين: إن قَدَرَ إلهكما الذي تَعبدانه على إحياء ميِّت.. آمنَّا به وبكما، قالا: إلهنا قادرٌ على كلِّ شيء، فقال الملك: إنَّ ههنا ميتاً قد مات منذ سبعة أيام، وهو ابن دهقان، وأنا أخَّرته، فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائباً، وقد تغيَّر، فجعلا يدعوان ربَّهما علانية وشمعون يدعو ربَّه سرًّا، فقام الميت وقال: إني ميِّت منذ سبعة أيام، وكنت مشركاً، فأدخلتُ في سبعة أودية من النار، وأنا أحذركم ما أنتُم عليه، فآمنوا بالله، ثمَّ قال: فتحت أبواب السماء، فنظرت شابًّا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة: شمعون وهذَين، وأشار بيده إلى صاحبَيه، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن عيسى روح الله وكلمته، فعجب الملك من ذلك، فلَما علم شمعون أن قوله قد أثَّر في الملك.. أخبره بالحال، وأنه رسول عيسى، ودعاه، فآمن الملك، وآمَن معه قومٌ، وكفر آخرون. وقيل: بل كفر الملك، وأجمع على قتل الرسل هو وقومُه، فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة، فجاء يسعى إليهم ويذكِّرهم ويَدعوهم إلى طاعة المرسلين[1].

قوله: (إلى آخره) أي: آخر القصة، وهو قوله: ﴿إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

قوله: (﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾) جمع باعتبار الثالث.

قوله: (أي: رسل عيسى) هذا هو المشهور، وقيل: إنهم رسلٌ من الله من غير واسطة عيسى، أرسلوا إلى أصحاب هذه القرية.

(١) انظر القصة كاملة في «تفسير الخازن» (٤/ ٤٠٥).

إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ....

(﴿١٤﴾ - ﴿١٧﴾) ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ إلى آخِره بَدَل مِن ﴿إِذْ﴾ الأُولى إلى آخِرِه، ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ - بالتَّخفيفِ والتَّشدِيد -: قَوَّينا الاثنَينِ ﴿بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ جارٍ مَجرَى القَسَم، وزِيد التَّأكِيد بِه وبِاللَّام على ما قبلَه لِزيادة الإنكار في ﴿إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: التَّبلِيغُ المُبِين الظَّاهِر بِالأدِلَّة الواضِحة، وهي إبراءُ الأكمَه والأبرَص والمَرِيضِ، وإحياءُ المَيِّت.

﴿١٨﴾ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا﴾: تَشاءَمنا ﴿بِكُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بدل من ﴿إِذْ﴾ الأولى) أي: بدل مفصَّل من مجمل.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾) أكَّدوا كلامهم بـ(إنَّ)؛ لتقدم الإنكار بتكذيب الاثنين، وتكذيبُهما تكذيبٌ للثالث؛ لاتحاد مَقالتهم.

قوله: (﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾) أي: فلا مَزِيَّة لكم علينا.

قوله: (جارٍ مجرى القسم) أي: فيؤكَّد به كالقسم، ويجاب بما يجاب به القسم[2].

قوله: (لزيادة الإنكار) أي: حيث تعدَّد ثلاث مرَّات.

قوله: (وهي إبراء الأكمه) أي: الأعمى.

قوله: (﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾) التَّطيُّر: التفاؤل، سمِّي بذلك؛ لأنهم كانوا يَتفاءلون بالطير إذا أرادوا سفراً أو غيره، فإن ذهب مَيمنةً.. قالوا: خيرٌ، وإن ذهب ميسرةً.. قالوا: شرٌّ.

---

(١) قرأ شعبة بتخفيف الزاي الأولى، والباقون بتشديدها. انظر «السراج المنير» (٣/٣٤١).

(٢) وذلك لإفادتها التحقيق، كقول الشاعر:

ولَقد عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ مَنِيَّتي ... إنَّ المَنايا لا تَطِيشُ سِهامُها

لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ ....

لِانقِطاعِ المَطَرِ عنَّا بِسَبَبِكُم، ﴿لَئِن﴾ - لامُ قَسَم - ﴿لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ بِالحِجارةِ، ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِم.

﴿١٩﴾ ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم﴾: شُؤمُكُم ﴿مَّعَكُمْ﴾ بِكُفرِكُم، ﴿أَئِن﴾ - هَمزةُ استِفهام دَخَلت على (إنْ) الشَّرطِيَّة، وفي همزَتِها التَّحقِيق والتَّسهِيلُ وإدخالُ ألِف بينَها بِوَجهَيها وبينَ الأُخرى - ﴿ذُكِّرْتُم﴾ وُعِظتُم وخُوِّفتُم، وجَواب الشَّرط محذُوف أي: تَطَيَّرتُم وكَفرتُم، وهو مَحَلُّ الاستِفهام، والمُرادُ بِه التَّوبِيخُ، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (لانقطاع المطر عنَّا بسببكم) قيل: حُبِسَ عنهم المطر ثلاث سنين، فقالوا: هذا بِشُؤمكم.

قوله: (لام قسم) أي: وقد حَنثوا فيه؛ لأنَّ الله أهلكهم قبل أن يفعلوا بهم ما حلفوا عليه.

قوله: (بكفركم) الباء: سببيَّة؛ أي: طائرُكم حاصلٌ معكم بسبب كُفركم وعنادكم.

قوله: (وإدخال ألف) أي: وتركه، فالقراءات أربع سبعيَّات[1].

قوله: (وجواب الشرط محذوف) أي: على القاعدة، وهي أنه إذا اجتمع استفهام وشرط.. أُتي بجواب الاستفهام، وحُذف جواب الشرط، وهو مذهب سيبويه، وعند يونس بالعكس[2].

قوله: (وهو محل الاستفهام) أي: هو المستفهَمُ عنه، والمعنى: لا ينبغي ولا يَلِيق بكم التَّطاير والكفر حيث وُعِظْتُم، بل آمِنُوا وانقادُوا.

قوله: (﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾) إضرابٌ عمَّا تقتضيه الشرطيَّة من كون التذكير سبباً للشؤم؛ أي: ليس الأمر كذلك، بل أنتم قومٌ عادتُكم الإسرافُ في العصيان، فشؤمكم لذلك.

---

(١) قرأ أبو جعفر بفتح الهمزة الثانية وتَسهيلها، وإدخال ألف بينها وبين الأولى على أصله، والباقون بكسرها، وكلٌّ على أصله في التسهيل وغيره؛ فقالُون وأبو عمرو بالتسهيل مع الإدخال، وورش والمكي ورويس بالتسهيل من غير إدخال، وهشام بالتحقيق مع الإدخال وتركه، والباقون بالتحقيق من غير إدخال. انظر «البدور الزاهرة» (٢٦٥).

(٢) فالتقدير عند سيبويه: (أئن ذكرتم تتطيرون)، وعند يونس: (تطَّيروا) مجزوماً. «فتوحات» (٣/ ٥٣٣) عن العلامة الكرخي.

وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ ....

مُتجاوِزُون الحَدَّ بِشِركِكُم.

(﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾) ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ هو حَبِيبُ النَّجّار، كان قد آمن بِالرُّسُلِ، ومَنزِلُه بِأقصَى البَلد، ﴿يَسْعَىٰ﴾ يَشتَدُّ عَدواً لَما سَمع بِتَكذيبِ القَوم الرُّسُلَ، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟﴾ ـ تأكِيد لِلأوَّل ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (متجاوزون الحدَّ بشرككم) رجموا حبيباً النجار، وأهلكهم الله كما يأتي.

قوله: (﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾) هي أنطاكية المعبَّر عنها أولاً بـ(القرية)، وعبَّر عنها بـ(المدينة) إشارةً إلى عِظَمها وكبرها.

قوله: (هو حبيب النجار) أي: ابن إسرائيل، كان يصنع لهم الأصنام، وهو ممَّن آمن بالنبي ﷺ قبل وجوده؛ كما آمن به تبَّع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما.

وفي الحقيقة: كلُّ نبيٍّ آمن بالنبي ﷺ قبل ظهوره بمصداق قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ...﴾ [آل عمران: ٨١] الآية، وهذا من خصوصيَّاته ﷺ، وأمَّا غيره من الأنبياء.. فلم يُؤمن به أحدٌ إلا بعد ظهوره.

قوله: (كان قد آمن بالرسل) أي: رسلِ عيسى، وسببُ إيمانه: ما تقدَّم من شفاء ولده المريض، وقيل: إنه هو كان مجذوماً، وعبد الأصنام سبعين سنة؛ لكشف ضرِّه فلم يُكشف، فلما دعاه الرسل إلى عبادة الله.. قال لهم: هل من آية؟ قالوا له: ندعو ربَّنا القادر يُفرِّج عنك ما بك، فقال: إنَّ هذا عجيب! قد عبدتُ هذه الأصنام سبعين سنة فلم تَستطع تفريجه، فهل يستطيع ربكم تفريجه في غَداة واحدة؟! قالوا: نعم، ربُّنا على كل شيء قدير، فدعوا ربَّهم، فكشف ما به، فآمَنَ.

قوله: (يشتد عَدْواً) أي: يُسرع في مِشْيَته؛ حرصاً على نصح قومه والدَّفعِ عن الرسل.

قوله: (تأكيد للأول) أي: تأكيد لفظيٌّ، فلفظ ﴿ٱتَّبِعُوا۟﴾ الثاني تأكيدٌ للفظ ﴿ٱتَّبِعُوا۟﴾ الأول؛ من توكيد الفعل بالفعل.

مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ....

﴿مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾ على رِسالَتِه، ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾، فقِيل لَه: أنتَ على دِينِهم، فقال:

﴿٢٢﴾ ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾: خَلَقنِي، أي: لا مانِعَ لِي مِن عِبادَتِه المَوجُودِ مُقتَضِيها وأنتُم كذلك، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعدَ المَوت فيُجازِيكُم بِكُفرِكُم.

(﴿٢٣﴾ - ﴿٢٥﴾) ﴿ءَأَتَّخِذُ﴾ - في الهَمزَتين مِنهُ ما تَقدَّم في ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾، وهو استِفهامٌ بِمَعنى النَّفي - ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: غَيره ﴿ءَالِهَةً﴾: أصناماً ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾) بدل من ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[1]، والمعنى: اتَّبِعُوا الصادقين المخلصين الذين لم يُريدوا منكم العرَضَ الفانيَ؛ إذ لو كانوا غير مخلصين.. لَطلبوا منكم المال، ونازعوكم على الرئاسة.

قوله: (﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾) الجملة حاليَّة، وهو تعريضٌ لهم بالاتِّباع؛ أي: فاهتدوا أنتم تبعاً لهم.

قوله: (**أنت على دينهم؟**) فيه حذف همزة الاستفهام.

قوله: (﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾) تلطُّفٌ في إرشادِهم، وفيه نوعُ تقريعٍ على ترك عبادة خالقهم، والأحسَن: أنَّ في الآية احتباكاً؛ حيث حذف من الأول نظير ما أثبته في الآخر، والأصل: وما لي لا أعبد الذي فطَرني وفطركم، وإليه ترجعون وأرجع.

قوله: (**الموجود مقتضيها**) أي: وهو كونُ الله فطرَهُ وخلقَهُ.

قوله: (**في الهمزتين منه ما تقدَّم**) أي: من القراءات الأربع، وتقدَّم أنها خمسة: التحقيق، وتسهيل الثانية بألف، ودونها، وإبدال الثانية ألفاً، وهي سبعيَّات[2].

قوله: (**وهو استفهام بمعنى النفي**) أي: وهو إنكاريٌّ.

قوله: (﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾) يصح أن يكون مفعولاً ثانياً مقدَّماً لـ(اتخذوا)[3] على أنها متعدِّيَةٌ لاثنين،

---

(١) والجمهور لا يُعربون ما صُرِّح فيه بالعامل الرافع والناصب بدلاً، بل يجعلون ذلك مخصوصاً بحرف الجر، وإذا كان الرافع والناصب.. سمَّوا ذلك بالتابع لا بالبدل. انظر «البحر المحيط» (٧/ ٣١٥)، وكأنه يريد التوكيد اللفظي بالنسبة إلى العامل، ومرَّ مثله في سورة (الشعراء) عند قوله تعالى: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ﴾.

(٢) تقدَّمت (٥/ ٤٤٣).

(٣) كذا في الأصول، والصواب مراعاةً لِسياق الآية: (لـ«أأتخذ»).

إِنْ يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ ....

﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ﴾ التي زَعَمتُمُوها ﴿شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ ـ صِفة ﴿ءَالِهَةً﴾ ـ، ﴿إِنِّيٓ إِذًا﴾ أي: إن عَبدتُ غيرَ الله ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بيِّن. ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ أي: اسمَعُوا قولِي، فرَجَمُوه فماتَ.

حاشية الصاوي

و﴿ءَالِهَةً﴾: مفعول أول مؤخَّر، ويصح أن يكون حالاً من ﴿ءَالِهَةً﴾، أو متعلِّقاً بـ(اتخذوا) على أنها متعديةٌ لواحد.

قوله: (﴿لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ﴾) أي: لا تَنْفَعْني شفاعتُهُم، فهو من: الغَنَاء ـ بالفتح ـ وهو النفع، ومنه قول البوصيري[1]: [الخفيف]

قُـلْـنَ: مَـا لِـلْـيَـتِـيـمِ عـنَّـا غَـنَـاءُ

قوله: (صفة ﴿ءَالِهَةً﴾) أي: جملة (إن يردن الرحمن... إلخ)، فهي في محل نصب، والأوضح أن تكون مستأنفةً سيقت لتعليل النفي المذكور؛ لأنَّ جعلها صفةً يوهم أنَّ هناك آلهةً ليست كذلك.

قوله: (إن عبدتُ غيرَ الله) أشار بذلك إلى أنَّ التنوين عوضٌ عن جملةٍ.

قوله: (﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2]) أي: لثبوت الأدلَّة على بُطلان ذلك.

قوله: (﴿فَٱسْمَعُونِ﴾) بكسر النون في قراءة العامَّة، وهي نون الوقاية، حُذفت بعدها ياء الإضافة، وقرئ شذوذاً بفتحها، ولا وجه له في العربية؛ لأنَّ فعل الأمر يُبنى على حذف النون[3].

قوله: (أي: اسمعوا قولي) أي: ما قُلته لكم، وهو ﴿ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ...﴾ إلخ.

قوله: (فرجموه فمات) أي: وهو يقول: اللهمَّ اِهْدِ قومي، وقيل: حرَّقوه وجعلوه في سور المدينة، وقبرُهُ في سور أنطاكيَة، وقيل: نشَروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه؛ فوالله ما خرجت روحه إلا في الجنة، وفي رواية: أنهم قتلُوا معه الرسل الثلاثة، ووضعوهم في بئر وهي الرَّس.

---

(١) في «همزيته»، وصدره كما في «المنح المكية» (ص١٣٦):

إذ أبَـتْـهُ لِـيُـتْـمِـهِ مُـرْضِـعَـاتٌ

(٢) كذا في الأصول، وسياق الآية: ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

(٣) وبها قرأ عصمة عن عاصم، وليست هذه إلا غلطاً على عاصم؛ إذ لا وجهَ. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٥٦).

قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ ....

(﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾) ﴿قِيلَ﴾ له عِند مَوتِه: ﴿ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ وقِيل: دخَلها حَيًّا، ﴿قَالَ يَا﴾ - حرفُ تَنبيه - ﴿لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾: بِغُفرانِه، ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿وَمَآ﴾ - نافِية - ﴿أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ أي: حَبِيب ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ بعدَ مَوتِه ﴿مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: مَلائِكة لِإهلاكِهِم، ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ مَلائِكةً لِإهلاكِ أحدٍ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قِيلَ﴾ له عند موته) هذا أحد أقوالٍ ثلاثٍ، اقتصر المفسِّر على اثنين منهما، والثالث: أنَّ هذا القولَ كنايةٌ عن البشرى بأنه يدخل الجنة.

قوله: (وقيل: دخلها حيًّا) أي: فحين همُّوا بقتله رفعه الله من بَينهم وأدخله الجنة حيًّا؛ إكراماً له، كما وقع لعيسى أنه رفع إلى السماء.

قوله: (﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي﴾) أي: وهم الذين نصَحهم أوَّلاً، فقد نصحهم حيًّا وميتاً.

قوله: (بغفرانه) أشار بذلك إلى أن (ما) مصدريَّةٌ، ويصح أن تكون موصولةً والعائد محذوف؛ أي: بالذي غفَره لي، ويصح أن تكون استفهاميَّةً؛ أي: بأيِّ شيء غفر لي؟ أي: بأمرٍ عظيمٍ، وهو توحيدي وصَدْعي بالحق.

قوله: (﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾... إلخ) أي: هذا تحقيرٌ لهم، وتصغيرٌ لشأنهم، والمعنى: لم نحتج في إهلاكهم إلى إرسال جُنود من الملائكة، بل نهلكهم بصيحة واحدة مثلاً، وقوله: (﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾) أي: لم يَكن شأننا وعادتنا إرسالَ جنودٍ لإهلاك أحدٍ من الأُمم قبلهم، بل إذا أردنا إهلاكاً عامًّا.. يكون بغير الملائكة بصيحةٍ أو رجفةٍ أو غير ذلك.

إن قلت: إن الملائكة قد نزَلت من السماء يوم بدر مع النبي ﷺ وأصحابه.

أُجيب: بأنَّ إنزالهم تكرمةٌ للنبيِّ وأصحابه، لا لإهلاكٍ عامٍّ، وقيل: نزول الملائكة والاستنصار بهم من خُصوصيَّاته ﷺ.

قوله: (بعد موته) أي: أو بعد رفعه حيًّا على القول الآخر.

قوله: (لإهلاك أحد) أي: مِن الأُمَم السابقة.

إن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ ....

﴿٢٩﴾ ﴿إِن﴾: ما ﴿كَانَتْ﴾ عُقُوبَتُهم ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ صاحَ بِهِم جِبريلُ، ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾: ساكِنُون مَيِّتُون.

﴿٣٠﴾ ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ هؤلاءِ ونَحوِهم مِمَّن كذَّبُوا الرُّسُلَ فأُهلِكُوا، وهي شِدَّة التَّألُّم، ونِداؤُها مَجاز، أي: هذا أوانُكِ فاحضُري، ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ مَسُوقٌ لِبَيانِ سَبَبِها لِاشتِمالِه على استِهزائِهم المُؤدِّي إلى إهلاكِهم المُسَبَّبِ عنهُ الحَسرةُ.

﴿٣١﴾ ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ أي: أهلُ مكَّة القائِلُون لِلنَّبيِّ: لَستَ مُرسَلاً. ـ والاستِفهامُ لِلتَّقرِير ـ أي: عَلِمُوا ﴿كَمْ﴾ ـ خبريَّة بِمَعنى كثيراً، ....

حاشية الصاوي

قوله: (صاح بهم جبريل) أي: صاح عليهم.

قوله: (ميِّتون) أي: فشُبِّهوا بالنار الخامدة؛ لانقطاع النفع في كلٍّ.

قوله: (﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾) يحتمل أن يكون من كلام الله، أو الملائكة، أو المؤمنين، والمرادُ بالعباد: جميعُ الكفار، فـ(أل) للجنس، وقيل: المرادُ بالعباد: نفسُ الرسل، و(على) بمعنى (من)، والقائل ذلك الكفار، والتقدير: يا حَسرة علينا من مخالفة العباد، والأوجهُ: الأولُ الذي مشى عليه المفسِّر.

قوله: (﴿إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾) الجملة حالية من مفعول ﴿يَأْتِيهِم﴾.

قوله: (مسوقٌ... إلخ) أي: فهو استئنافٌ واقعٌ في جواب سؤال مُقدَّر، كأنه قيل: وما وجه التَّحسُّر عليهم؟ فقيل: ﴿مَا يَأْتِيهِم... إلخ﴾.

قوله: (لبيان سببها) أي: بواسطة؛ فإنَّ الاستهزاء سببٌ لإهلاكهم، وهو سببٌ للحسرة.

قوله: (لاشتماله) أي: دَلالته.

قوله: (﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾... إلخ) (رأى): علميَّة، و﴿كَمْ﴾: خَبرية مفعول لـ﴿أَهْلَكْنَا﴾ مقدَّم، و﴿قَبْلَهُم﴾: ظرف لـ﴿أَهْلَكْنَا﴾، و﴿مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾: بيان لـ﴿كَمْ﴾.

قوله: (والاستفهام للتقرير) أي: وهو حملُ المخاطب على الإقرار بما بعد النفي.

أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن ....

مَعمُولة لِما بعدَها، مُعلِّقة لِما قبلَها عن العمَل ـ، والمَعنَى: أَنَّا ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾ كَثيراً ﴿مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾: الأُمَم، ﴿أَنَّهُمْ﴾ أي: المُهلَكِين ﴿إِلَيْهِمْ﴾ أي: المُكذِّبين ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ أفَلا يَعتَبِرُون بِهِم؟ ـ و(أَنَّهُم. . .) إلخ بَدلٌ مِمَّا قبلَه بِرِعايةِ المَعنى المَذكورِ ـ.

﴿٣٢﴾ ﴿وَإِن﴾ ـ نافِية أو مُخفَّفة ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (معمولة لما بعدها) أي: وليست معمولة لـ﴿يَرَوْا﴾؛ لأنَّ (كم) الخبرية لها الصدارة، فلا يعمل ما قبلها فيها.

قوله: (معلِّقةٌ ما قبلها عن العمل) إن قلتَ: إنَّ (كم) الخبرية لا تُعلِّق، وإنما التعليق للاستفهاميَّة، قال ابن مالك[1]: [الرجز]

وَإِنْ وَلَا لَامُ ابْتِدَاءٍ أَوْ قَسَمْ ... كَذَا وَالاسْتِفْهَامُ ذَا لَهُ انْحَتَمْ

أُجيب: بأنَّ الخبرية أُجريت مجرى الاستفهاميَّة في التعليق.

قوله: (والمعنى: أنَّا أهلكنا) أي: قد عَلموا ذلك.

قوله: (بدلٌ مما قبله) أي: بدل اشتمال؛ لأنَّ إهلاكهم مشتملٌ ومستلزمٌ لعدم رجوعهم، أو بدل كلٍّ من كلٍّ بناء على تنزيل التلازم مَنزلة التماثل، كأنَّ إهلاكَهُم عدمُ رجوعهم[2].

قوله: (برعاية المعنى المذكور) أي: وهو قوله: أنّا ﴿أَهْلَكْنَا. . .﴾ إلخ، والمعنى: قد علموا إهلاكَ كثيرٍ من القُرون السابقة المشتملَ على عدم عَوْدِهم إلى هؤلاء الباقين ـ وهم أهل مكة ـ فيَنبغي أن يعتبروا بهم.

قوله: (نافية) أي: و(لَمَّا) بالتشديد بمعنى (إلا)، وقوله: (أو مخفَّفة) أي: مهملة، و(لمَا) بالتخفيف، واللام: فارقة.

قوله: (و «ما» زائدة) للتأكيد، فقد أغنَتْ عن الحصر المستفاد من قراءة التشديد، فتحصَّل أنَّ مَنْ شدَّد (لما) جعلها بمعنى (إلا)، و(إن) نافية، وهذا باتفاق البصريين والكوفيين، ومَنْ خفَّف (لما)

---

(١) «الخلاصة»، باب: (ظن وأخواتها).

(٢) وقد ذكر العلامة السمين الحلبي في إعرابها أوجهاً ستة، وفصَّل أقوال النحاة فيها في «الدر المصون» (٩/ ٢٦٠-٢٦٥).

كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ ....

﴿كُلٌّ﴾ أي: كُلُّ الخَلائِق ـ مُبتدأ ـ ﴿لَّمَّا﴾ ـ بِالتَّشديدِ بِمعنَى (إلَّا)، أو بِالتَّخفيفِ فاللَّام فارِقةٌ و(ما) مَزيدة ـ ﴿جَمِيعٌ﴾ ـ خَبرُ المُبتدأ ـ أي: مَجمُوعُون، ﴿لَّدَيْنَا﴾: عِندَنا في المَوقِف بعدَ بَعثِهم، ﴿مُحْضَرُونَ﴾ لِلحِسابِ، ـ خَبرٌ ثانٍ ـ.

﴿٣٣﴾ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾ على البَعث ـ خَبر مُقدَّم ـ ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ ـ بِالتَّخفيفِ والتَّشدِيد ـ ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ بِالماءِ ـ مُبتدأ ـ ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ كالحِنطةِ ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾.

﴿٣٤﴾ ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ﴾: بَساتِينَ ....

حاشية الصاوي

فالبصريون على أن (إن) مخففة، واللام: فارقة، و(ما): زائدة، وجوَّز الكوفيون جعل (لما) بمعنى (إلا)، و(إن) نافية، والقراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (أي: كل الخلائق) أشار بذلك إلى أنَّ التنوين عوضٌ عن المضاف إليه.

قوله: (أي: مجموعون) دفع بذلك ما يتوهَّم من ذكر (كلٌّ) الاستغناء بها عن (الجميع)، فأجاب: بأنَّ (كل) أُشير بها لاستغراق الأفراد، و(جميع) أشير بها لاجتماع الكلِّ في مكانٍ واحدٍ للحشر.

قوله: (﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾) أي: علامةٌ ظاهرة ودالَّة على الإحياء بعد الموت.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (مبتدأ) أخَّره بعد قوله: ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾؛ إشارةً إلى أنه صفة لـ﴿ٱلْأَرْضُ﴾[3]، والصفةُ مع الموصوفِ كالشَّيء الواحِدِ.

قوله: (﴿وَجَعَلْنَا﴾) عطف على ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾.

---

(١) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بتشديد الميم، والباقون بالتخفيف. انظر «السراج المنير» (٣/٣٤٨).

(٢) شدَّد الياء المدنيان، وخففها غيرهما. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٦٦).

(٣) وإنما صحَّ وصفها وإن كانت معرفة بـ (أل)؛ لأنه تعريفٌ بـ (أل) الجنسية، فهي في قُوة النكرة؛ كقوله:

ولقد أمُرُّ على اللئيم يَسُبُّني

لأنه لم يقصد لئيماً بعَينه. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٦٦).

مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ....

﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾ أي: بَعضها.

﴿٣٥﴾ ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ - بِفَتحتَين وبِضَمَّتَين - أي: ثَمَرِ المَذكُور مِن النَّخِيل وغَيرِه، ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: لَم تَعمَل الثَّمرَ، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ أنعُمَه تَعالى علَيهِم؟

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِّن نَّخِيلٍ﴾) هو والنخل بمعنى واحد، لكن النَّخل: اسم جمع، واحده: نخلة، يؤنَّث عند أهل الحجاز، ويذكَّر عند تميم ونَجد، والنخيل: مؤنثة بلا خلاف. إذا علمتَ ذلك.. فقول المفسِّر فيما يأتي: (من النخيل وغيره) ليس بجيد، بل المناسب (وغيرها).

قوله: (﴿وَفَجَّرْنَا﴾) بالتشديد في قراءة العامَّة، وقرئ شذوذاً بالتخفيف[1].

قوله: (أي: بعضها) أشار بذلك إلى أنَّ (مِن) تبعيضيَّة، ويصح أن تكون زائدة.

قوله: (بفتحتين وبضمَّتين) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (أي: ثمر المذكور) دفع بذلك ما يقال: إنَّ الضمير عائد على شيئَين، فحقُّه التثنية، فأجاب: بأنه أفرد باعتبار ما ذُكِرَ.

قوله: (أي: لم تعمل الثَّمرَ) أشار بذلك إلى أنَّ (ما) نافيةٌ، والمعنى: أنه ليس لهم إيجادُ شيءٍ، بل الفاعل والمنبِتُ هو الله تعالى؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾، ويصح أن تكون مَوصولة؛ أي: ومن الذي عملته أيديكم، أو نكرة موصوفة، أو مصدريَّة؛ أي: ومِن عمل أيديهم، وإثبات العمل للأيدي مِنْ حيثُ الكسبُ.

قوله: (﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والتقدير: أيتنعَّمون بهذه النعم فلا يشكرونها؟ أي: بحيث لا يَصرفونها في مصارفها.

قوله: (أنْعُمَهُ) جمع نعمةٍ بالكسر، ونعماءَ بالمدِّ والفتح.

---

(١) وبها قرأ جناح بن حبيش. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٦٧).

(٢) قرأ حمزة والكسائي برفع الثاء والميم، وهي لغة فيه، أو جمع ثمار، والباقون بفتحهما. انظر «السراج المنير» (٣/ ٣٤٩).

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿٣٦﴾ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾: الأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ مِن الحُبُوب وغَيرِها، ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ مِن الذُّكور والإناثِ، ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ مِن المَخلُوقاتِ العَجِيبة الغَرِيبةِ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾) أي: تنزَّه في ذاته وصفاته وأفعاله عمَّا لا يَليق به.

قوله: (الأصناف ﴿كُلَّهَا﴾) أي: فكلُّ زوجٍ صنفٌ؛ لأنَّه مختَلف في الألوان والطعوم والأشكال، والصِّغر والكِبَرِ، فاختلافها هو ازدواجها.

قوله: (﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾) بيانٌ لـ﴿ٱلْأَزْوَٰجَ﴾، وكذا ما بعده، فتحصَّل أنَّ هذه الأمور الثلاثة لا يخرج عنها شيءٌ من أصناف المخلوقات.

قوله: (الغريبة) أي: كالتي في السماوات، والتي تحت الأرضين، وكل ما لم يكن مشاهداً لنا عادةً.

قوله: (﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾) ذكر الله تعالى في هذه الآيات ما يتضمَّن عِلم الميقات الذي يجب معرفتُهُ، وقد ذكر أستاذنا الشيخ الدردير ﷺ مقدِّمةً لطيفةً في هذا الشَّأن، كافيةً مَنِ اقتصر عليها فيما فرض الله تعالى، وحاصِلها بحروفها:

فائدة:

أسماء الشهور القبطيَّة: توت، بابه، هاتور، كيهك، طوبه، أمشير، برمهات، برمودة، بشنس، بؤنه، أبيب، مسرى[1].

أسماء البروج: ميزان، عقرب، قوس، جدي، دلو، حوت، حمل، ثور، جوزاء، سرطان، أسد، سنبلة، ولا يدخل توت الذي هو أول السنة القبطية إلا بعد خمسة أيام أو ستة بعد مسرى، وتسمَّى أيام النسيء.

---

(١) أسماء الشهور في السنة القبطية، وأول شهورهم: توت، وهو أيلول بالسريانية، والثاني: بابه، وهو تشرين الأول، والثالث: هاتور، وهو تشرين الثاني، والرابع: كيهك، وهو كانون الأول، والخامس: طوبه، وهو كانون الآخر، والسادس: أمشير، وهو شباط، والسابع: برمهات، وهو آذار، والثامن: برمودة، وهو نيسان، والتاسع: بشنس، وهو أيار، والعاشر: بؤنه، وهو حزيران، والحادي عشر: أبيب، وهو تموز، والثاني عشر: مسري، وهو آب. انظر «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١/ ٣٨).

. . . .

حاشية الصاوي

وفصول السنة أربعة: فصل الخريف، وفصل الشتاء، وفصل الربيع، وفصل الصيف، وأوَّلُ فصل الخريف انتقالُ الشمس إلى برج الميزان، وذلك في نصف (توت)، وفي تلك الليلة يستوي الليل والنهار، ثمّ كلَّ ليلة يزيد الليل نصف درجة، ثلاثين ليلة بخمس عشر درجة إلى نصف (بابه)، تنتقل الشمس إلى برج العقرب، فيزيد الليل كلَّ ليلة ثلث درجة إلى نصف (هاتور)، تنتقل الشمس إلى برج القوس، فيزيد الليل كلَّ ليلة سدس درجة بخمس درج، فقد تمَّت زيادة الليل ثلاثين درجة بعد الاعتدال بساعتين، فيصير الليل من غروب الشمس إلى طلوعها أربع عشرة ساعة، فيصلَّى الفجرُ على اثنتي عشرة ساعة وستِّ درج، ومن طلوعه إلى الشمس أربع وعشرون درجة، وذلك في آخر يوم من فصل الخريف، منتصف (كيهك).

ثمّ تنتقل الشمس إلى برج الجدي، وهو أول فصل الشتاء، فيأخذُ الليلُ في النقص، والنهارُ في الزيادة، فيزيد النهارُ كلَّ يوم سدسَ درجة، ثلاثين يوماً بخمس درج إلى نصف (طوبه)، فتنتقل الشمس إلى برج الدلو، فيزيد النهارُ كلَّ يوم ثلث درجة بعشرة إلى نصف (أمشير)، فتنتقل إلى برج الحوت، فتسمِّيها العامَّة بالشمس الصغيرة، فيزيد النهار كلَّ يوم نصف درجة بخمس عشرة درجةً إلى نصف (برمهات)، فتنتقل الشمس إلى برج الحمل، ويسمِّيها العامة بالشمس الكبيرة، وهو أول فصل الربيع، وفيه الاعتدال الربيعي، يستوي الليل في تلك الليلة والنهار، ويزيد النهار كلَّ يوم نصف درجة كما في برج الحوت الذي قبله إلى منتصف (برمودة)، فتنتقل الشمس إلى برج الثور، فيزيد النهار كلَّ يوم ثلثَ درجةٍ بعشرة إلى منتصف (بشنس)، فتنتقل الشمس للجوزاء، ويزيد النهار كلَّ يوم سدسَ درجةٍ بخمسة إلى نصف (بؤنه)، فتنتقل إلى برج السرطان، وهو أول فصل الصيف، وبه ينتهي طول النهار، فيكون النهار من طلوع الشمس إلى غروبها أربع عشرة ساعة، وينتهي قصر الليل، فيكون من الغروب إلى طلوع الشمس عشرة، وحصة المغرب للعشاء اثنتان وعشرون درجة، ومن المغرب للفجر ثمان ساعات وخمس درج، ومنه للشمس خمس وعشرون درجة، ثمّ ينقص النهار، ويأخذ الليل في الزيادة، فيزيد الليل كلَّ ليلة سدس درجة إلى خامس عشر (أبيب)، فتنتقل الشمس إلى برج الأسد، فيزيد كلَّ يوم ثلث درجة إلى نصف (مسرى)، فتنتقل إلى السنبلة، فيزيد النهار[1] كل يوم نصف درجة إلى نصف (توت) أول السنة.

---

(١) في هامش (أ): (لعلها: الليل).

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ....

﴿٣٧﴾ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾ على القُدرةِ العَظِيمةِ ﴿ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ﴾: نَفصِلُ ﴿مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾: داخِلُون في الظَّلامِ.

حاشية الصاوي

فقد علمت أن الدرج التي يأخذها النهار من الليل، والليل من النهار ستون درجة بأربع ساعات، وأن الاعتدال يكون في السنة مرتين: مرة في نصف (توت) الذي هو أول السنة القبطيَّة، وهو أول فصل الخريف، والمرة الثانية في نصف (برمهات) أول فصل الربيع، وأنَّ مبدأ زيادة النهار مِنَ الفصل الذي قبله، وهو فصل الشتاء؛ ثلاثين يوماً بالأسداس، ثمّ ثلاثين بالأثلاث، ثمّ ثلاثين بالأنصاف لأول فصل الربيع، فيحصل الاعتدال، ثم ثلاثين بالأنصاف أيضاً إلى نصف (برمودة) ودخول الشمس في الثور، فمدَّةُ زيادة الأنصاف ستون، من نصف (أمشير) ودخول الشمس في الحوت إلى نصف (برمودة)، ثمَّ ثلاثين بالأثلاث إلى نصف (بشنس) ودخول الشمس في الجوزاء، ثمَّ ثلاثين بالأسداس إلى نصف (بؤنه) ودخول الشمس في السرطان، فيأخذ الليل في الزيادة بالأسداس ثلاثين ليلة إلى نصف (أبيب) ودخولها في الأسد، ثمَّ ثلاثين بالأثلاث إلى نصف (مسرى)، ثمَّ بالأنصاف إلى نصف (توت)، ثمَّ بالأنصاف أيضاً إلى نصف (بابه)، ثمَّ بالأثلاث إلى نصف (هاتور)، ثمَّ بالأسداس إلى نصف (كيهك)، ثمَّ يعدو النهار على الليل، فسبحان الله المقدِّر للأمور، القادر على كلِّ شيءٍ، العليم الحكيم. انتهى.

قوله: (﴿وَءَايَةٌ﴾) خبرٌ مقدَّم، و﴿ٱلَّيۡلُ﴾: مبتدأ مؤخَّر، كما تقدَّم نظيره.

قوله: (﴿نَسۡلَخُ﴾. . . إلخ) بيان لكيفيَّة كونه آيةً.

قوله: (نفصل منه النهار) أي: نُزيله عنه؛ لكونه كالسَّاتر له، فإذا زال السَّاتر. . ظهر الأصل، فالليلُ أصلٌ متقدِّم في الوجود، والنهارُ طارئٌ عليه؛ بدليل قوله: ﴿فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾، وهذا لا ينافي ما يأتي في قوله: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾؛ لأنَّ معناه: لا يأتي الليل قبل وقته المقدَّرِ له؛ بأن يأتي في وقت الظهر مثلاً، وهذا غير ما هنا، فتحصَّل أنَّ معنى السلخ: الفصل والإزالة، وليس المراد به الكشفَ، وإلا. . لقال: فإذا هم مُبصرون؛ لأنه يصير المعنى: وآيةٌ لهم الليلُ نكشف ونظهر منه النهار.

قوله: (داخلون في الظلام) أي: فيقال: أظلَم القوم: إذا دخلوا في الظلام، وأصبَحوا: إذا دخلوا في الصباح.

﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾ ....

٣٨ ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي﴾ إلى آخِرِه مِن جُملة الآيةِ لَهُم، أو آيةٌ أُخرَى والقَمَرُ كذلك ﴿لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ أي: إلَيهِ لا تَتجاوَزُهُ، ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: جَريُها ﴿تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ في مُلكِه، ﴿ٱلۡعَلِيمِ﴾ بِخَلقِه.

حاشية الصاوي

قوله: (من جملة الآية) أي فهو عطف مُفردات على قوله: ﴿ٱلۡأَرۡضُ﴾، وقوله: (أو آية أخرى) أي: فيكون عطفَ جملٍ.

قوله: (﴿لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾) أي: مكانٍ تستقرُّ فيه، وهو مكانها تحت العرش، فتَسجد فيه كلَّ ليلةٍ عند غروبها، فتستمرُّ ساجدةً فيه طول الليل، فعند ظهور النهار يؤذن لها في أن تطلع من مطلعها، فإذا كان آخِر الزمان.. لا يؤذن لها في الطلوع من المشرق، بل يقال لها: ارجِعي من حيث جئت، فتطلع من المغرب، وهذا هو الصحيح عند أهل السنَّة، ويؤيِّده قوله ﷺ لأبي ذرٍّ حين غربت الشمس: «**أتَدري أين ذهبت الشمس؟**» قال: الله ورسوله أعلَم، قال: «**فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن، فيؤذن لها، ويوشك أن تسجدَ فلا يقبلَ منها، وتستأذنَ فلا يُؤْذَنَ لها، فيقال لها: ارجِعي من حيث جئتِ، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾**»[1].

---

(١) رواه البخاري (٣١٩٩) واللفظ له، ومسلم (١٥٩)، وللعلامة العيني في «عُمدة القاري» (١٥/ ١١٩) كلام ومناقشة عند شرحه للحديث: (فإن قلت: ما المراد بالسجود إذ لا جبهة لها، والانقياد حاصل دائماً؟ قلتُ: الغرض تشبيهها بالساجد عند الغروب. فإن قلتَ: يرى أنها تغيب في الأرض، وقد أخبر الله تعالى أنها تغرب في عين حمئة، فأين هي من العرش؟ قلتُ: الأرضون السبع في ضرب المثال كقطب الرحى، والعرش لعظم ذاته كالرحى، فأينما سجدت الشمس سجدت تحت العرش، وذلك مُستقرُّها. فإن قلتَ: أصحاب الهيئة قالوا: الشمس مُرصعة في الفلك فإنه يقتضي أن الذي يسير هو الفلك، وظاهر الحديث أنها هي التي تسير وتجري؟ قلتُ: أما أولاً.. فلا اعتبار لقول أهل الهيئة عند مُصادمة كلام الرسول ﷺ، وكلام الرسول ﷺ هو الحق لا مِرية فيه، وكلامهم حَدس وتخمين، ولا مانع في قدرة الله تعالى أن تخرج الشمس من مجراها وتذهب إلى تحت العرش فتسجد ثم ترجع. فإن قلتَ: قال الله تعالى: ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ أي: يَدورون، قلتُ: دوران الشمس في فلكها لا يستلزم منع سجودها في أيِّ موضع أراده الله تعالى، وقال بعضهم: يحتمل أن يكون المراد بالسجود: مَن هو موكَّل بها من الملائكة. قلتُ: هذا الاحتمال غير ناشئ عن دليل فلا يُعتبر به، وهو أيضاً مخالف لظاهر الحديث، وعدولٌ عن حقيقته، وقيل: المراد من قوله: «تحت العرش» أي: تحت القهر والسلطان. قلت: لماذا الهروبُ من ظاهر الكلام وحقيقته؟ على أنا نقول: =

وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ....

(٣٩) ﴿وَٱلْقَمَرَ﴾ - بِالرَّفعِ والنَّصب، وهو مَنصُوب بِفِعلٍ يُفسِّرُهُ ما بعدَه - ﴿قَدَّرْنَٰهُ﴾ مِن حيثُ سَيرُهُ ﴿مَنَازِلَ﴾: ثَمانِيةَ وعِشرِينَ مَنزلاً في ثَمانٍ وعِشرينَ لَيلةً مِن كُلِّ شَهر، ويَستَتِرُ

حاشية الصاوي

وقيل: إنَّ الشمس في الليل تسير وتُشرقُ على عالمٍ آخر من أهل الأرض وإن كنَّا لا نَعرفه، وهذا قول الحكماء، ويُؤيِّده ما قاله الفقهاء: أنَّ الأوقات الخمسة تختلف باختلاف الجهات والنواحي، فقد يكون المغرب عندنا عصراً عند آخرين، وقد يكون الليل عندهم ساعة فقط، واختلف في العشاء حينئذٍ، فقالت الحنفية بسقوطها، وقالت الشافعية ووافقتهم المالكية: يُقدر لهم بأقرب البلاد إليهم، ويصلُّونها ولو بعد طلوع الشمس عندهم، وتسمَّى أداءً، ولا حُرمة عليهم في ذلك، وعلى ما قالته الحكماء فاختُلف في مستقرِّ الشمس، فقيل: هو انقضاء الدنيا وقيام الساعة، وقيل: مستقرُّها هو سيرها في منازلها حتى تنتهي إلى مُستقرِّها التي لا تجاوزه، ثمَّ ترجع إلى أول منازلها، وقيل: مُستقرُّها نهايةُ ارتفاعها في السماء في الصيف، ونهاية هُبوطها في الشتاء.

قوله: (﴿وَٱلْقَمَرَ﴾) اختلف فيه؛ هل لكلِّ شهرٍ قمرٌ جديد أو هو قمرٌ واحدٌ لكلِّ شهر؟ فقال الرملي من أئمة الشافعية: إنَّ لكلِّ شهر قمراً جديداً[١]، ولكن المتبادر من كلام الحكماء ومن غالب الأحاديث: أنه متَّحدٌ.

قوله: (بالرفع) أي: على أنه مبتدأٌ، خبره ﴿قَدَّرْنَٰهُ﴾.

قوله: (والنصب يفسره ما بعده) أي: فهو من باب الاشتغال[٢].

قوله: (من حيث سيره) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مَنَازِلَ﴾ ظرف لِقوله: ﴿قَدَّرْنَٰهُ﴾، والتقدير: قدَّرنا سيره في منازل، ويصحُّ جعله حالاً على حذف مضاف، والتقدير: ذا منازل[٣].

= السماوات والأرضون وغيرهما من جميع العالم تحت العرش، فإذا سجدت الشمس في أيِّ موضعٍ قدَّره الله تعالى يَصح أن يقال: سجدت تحت العرش، وقال ابن العربي: وقد أنكر قوم سجود الشمس وهو صحيح ممكِنٌ. قلتُ: هؤلاء قوم من الملاحدة؛ لأنهم أنكروا ما أخبر به النبي ﷺ وثبت عنه بوجه صحيح، ولا مانعَ من قدرة الله تعالى أن يمكِّن كل شيء من الحيوان والجمادات أن يَسجد له).

(١) انظر «حاشية البجيرمي على الخطيب» (٢/ ٤٥٦).

(٢) وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو برفعه، والباقون بنصبه. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٧٠).

(٣) ويصح جعله مفعولاً ثانياً؛ لأن (قدرنا) بمعنى: صيرنا. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٧٠).

حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ....

لَيلتَينِ إن كان الشَّهر ثَلاثِين يَوماً، ولَيلةً إن كان تِسعةً وعِشرِين يَوماً، ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ في آخِرِ مَنازِلِه في رَأيِ العَين ﴿كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ أي: كعُودِ الشَّمارِيخ إذا عَتَقَ، فإنَّهُ يَرِقُّ ويَتقوَّس ويَصفَرُّ.

﴿٤٠﴾ ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي﴾: يَسهُلُ ويَصِحُّ ﴿لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ فتجتَمِع مَعهُ في اللَّيل، ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾، فلا يَأتِي قبلَ انقِضائِه، ﴿وَكُلّٞ﴾ - تَنوِينُه عِوضٌ عن المُضاف إلَيه - مِن الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم ﴿فِي فَلَكٖ﴾ مُستَدِيرٍ ﴿يَسۡبَحُونَ﴾: يَسِيرُون، نُزِّلُوا مَنزِلَةَ العُقَلاء.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: كعود الشماريخ) جمع شِمْرَاخٍ، وهو عيدان العُنقود الذي عليه الرُّطَبُ.

قوله: (إذا عتق) من باب: (ظَرُفَ) و(قَعَدَ).

قوله: (فإنه يدِقُّ ويتقوَّس ويصغر) أي: فوجه الشبه مركَّبٌ من ثلاثة أشياء.

قوله: (﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾) أي: بحيث تأتي في وسط الليل؛ لأنَّ ذلك يخلُّ بتلوين النبات، ونفعِ الحيوان، ويُفسد النظام، ولم يقل سبحانه وتعالى: ولا القمر يدرك الشمس؛ لأنَّ سير القمر أسرعُ؛ لأنه يقطع الفلك في شهر، والشمس لا تقطع فلكها إلا في سنة، فالشمس قطعاً لا تدرك القمر، والقمر قد يُدرك الشمس في سيرها، ولكن لا سَلطنة له.

قوله: (﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾) أي: لا يأتي الليل في أثناء النهار قبل أن ينقضي؛ كأن يأتي في وقتِ الظهر مثلاً.

قوله: (﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾) قال ابن عباس: يَدُورون في فَلْكَةٍ كفَلْكَة المغزل[1].

قوله: (والنجوم) أي: المدلول عليها بذكر الشمس والقمر.

قوله: (نزلوا منزلة العقلاء) أي: حيث عبَّر عنهم بضمير جمع المذكور، والذي سوَّغ ذلك وصفُهُم بالسباحة التي هي من أوصاف العقلاء.

---

(١) انظر «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٧)، وفلكة المغزل: خشَبة مستديرة في أعلاها مسمار مثني يدخل فيه الغزل ويدار لينفتلَ الغزل.

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ ......

﴿٤١﴾ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ﴾ على قُدرَتِنا ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ـ وفي قِراءةٍ: (ذُرِّيَّاتهم) ـ أي: آباءَهُم الأُصُول ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾ أي: سَفِينةِ نُوح ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾: المَملُوءِ.

﴿٤٢﴾ ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي: مِثل فُلكِ نُوح وهو ما عَمِلُوهُ على شَكلِه مِن السُّفُن الصِّغار والكِبار بِتَعلِيمِ الله تَعالى، ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ فِيه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ﴾) خبرٌ مقدَّم، و﴿أَنَّا حَمَلْنَا﴾: في تأويل مصدر مبتدأ مؤخَّر؛ أي: حَمْلُنا ذريَّتَهُمْ في الفلك آيةٌ دالَّةٌ على باهر قدرتنا.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (أي: آباءهم الأصول) أشار بذلك إلى أنَّ لفظ (الذرية) كما يطلق على الفروع يُطلق على الأصول؛ لأنه من: الذَّرء وهو الخلق، فاندفع ما يقال: إنَّ الذي حمل في سفينة نوح أُصول أهل مكة لا فروعهم، وهذا أوضح ما قُرِّرت به هذه الآية.

قوله: (المَملوء) أي: لأنَّ نوحاً جعله ثلاث طبقات: السفلى وضع فيها السباع والهوامَّ، والوسطى وضع فيها الدواب والأنعام، والعُليا وضع فيها الآدميين والطير.

قوله: (﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ﴾) هذا امتنانٌ آخرُ مترتِّب على ما قبله، والمعنى: جعلنا سفينةَ نوحٍ آيةً عظيمةً على قدرتنا، ونعمةً للخلق، وعلَّمناهم صنعة السفينة، فعملوا سفناً كباراً وصغاراً؛ لينتفعوا بها.

قوله: (﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾) (مِن): إما زائدة أو تبعيضيَّة، وعلى كلٍّ: فمَدخولها حال من قوله: ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾.

قوله: (وهو ما عملوه) هذا أحد أقوال ثلاثة في تفسير المثل، والثاني: أنه خُصوص الإبل، والثالث: أنه مطلق الدوابِّ التي تُركب.

قوله: (بتعليم الله) دفع بهذا ما يقال: عادة الله تعالى إضافة صفة العَبيد[2] لأنفسهم وإن كان هو الخالق لها حقيقة، فلمَ أضافها لنفسه؟ فأجابَ: بأنَّ التعليم والهداية لما كانتا منه أضاف الخلق له؛ لأنَّ سفينة نوح التي هي أصل السفن كانت بمحض تعليم الله وإلهامِه له.

---

(١) قرأ المدنيان والشامي ويعقوب بألف بعد الياء مع كسر التاء، والباقون بحذف الألف مع نصب التاء. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٦٦).

(٢) كذا في الأصول، ولعلها: (صنعة)، وأورد العلامة الجمل السؤال في «الفتوحات» (٣/ ٥٤٢): (كيف أسند خلق السفن لهم مع أنها من مَصنوعاتهم، والعادة أن مصنوع العبد يُنسب له لا لله وإن كان بخلقه حقيقة؟).

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾ ....

(﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾) ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ مَع إيجادِ السُّفُن، ﴿فَلَا صَرِيخَ﴾: مُغِيثَ ﴿لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾: يُنجَون ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: لا يُنجِّيهِم إلَّا رَحمَتُنا لَهُم وتَمتِيعُنا إيَّاهُم بِلَذَّاتِهِم إلى انقِضاء آجالِهِم.

(﴿٤٥﴾ - ﴿٤٦﴾) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ مِن عذابِ الدُّنيا كغَيرِكُم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ مِن عذابِ الآخِرة، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، أعرَضُوا، ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (مع إيجاد السفن) أي: ومع ركوبهم لها.

قوله: (﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾) الصريخ بمعنى: الصارخ، يطلق على المستغيث، فهو من تسمية الأضداد، والمراد الثاني.

قوله: (﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا﴾) ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، و﴿رَحْمَةً﴾: مفعول لأجله، وهو استثناء مُفرغ من عموم الأحوال، والمعنى: لا نُنجيهم لشيء من الأشياء إلا لأجل رحمتنا بهم وتمتيعهم الأمدَ الذي سبق في علمنا.

قوله: (كغيركم) أي: وهم المؤمنون.

قوله: (من عذاب الآخرة) أشار بذلك إلى أنَّ لفظ (الخلف) كما يُطلق على ما مضى يُطلق على ما يأتي، فهو من تسمية الأضداد، وسمَّى ما يأتي خلفاً؛ لِغَيبته عنا.

قوله: (أعرضوا) قدَّره إشارةً إلى أنَّ جواب الشرط محذوف دلَّ عليه قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿مِّنْ آيَةٍ﴾) (مِن): زائدة، وقوله: ﴿مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ (مِن): تبعيضيَّة.

قوله: (﴿إِلَّا كَانُوا﴾... إلخ) الجملة حاليَّة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ ....

﴿٤٧﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ أي: قال فُقَراءُ الصَّحابةِ ﴿لَهُمْ أَنفِقُوا۟﴾ علَينا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ مِن الأموالِ، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ استِهزاءً بِهِم: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ في مُعتَقَدِكُم هذا، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ﴾ في قَولِكُم لَنا ذلك مَع مُعتَقَدِكُم هذا ﴿إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّن، ولِلتَّصريحِ بِكُفرِهِم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟﴾. . . إلخ) أشار بذلك إلى أنهم كما تركوا حُقوق الخالق. . تركوا حقوق الخلق، وهذه الآية نزلت حكاية عن بعض جبابرة مكة؛ كالعاص بن وائل السهمي وغيره، كان إذا سأله المسكين. . قال له: اذهب إلى ربِّك، فهو أولى مني بك، قد منَعك الله أفأُطعمك أنا؟[١]

وقد تمسَّك بهذا بعضُ بُخلاء المسلمين؛ حيث يقولون: لا نعطي مَنْ حرمه الله، ولم يعلموا أنَّ الفقراء يَحملون زاد الأغنياء للآخرة، ولولا الفقراء. . ما انتفع الغني بغِناه.

قوله: (﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) أي: بالصانع؛ أي: يُنكرون وجوده، وهم فرقة من جبابرة مكة.

قوله: (﴿مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾) مفعول ﴿أَنُطْعِمُ﴾، وقولُه: ﴿أَطْعَمَهُۥٓ﴾ جواب (لو).

قوله: (في معتقدكم) أي: أيها الفقراء المؤمنون، لا في مُعتقد الكفار الأغنياء؛ فإنهم ينكرون الصانعَ كما علمت.

قوله: (في قولكم لنا) أشار بذلك إلى أنَّ هذا من كلام الكفار للمؤمنين، ويؤيِّده ما روي: أنَّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يُطعم مساكين المسلمين، فلَقِيه أبو جهل فقال: يا أبا بكر؛ أتزعم أنَّ الله قادرٌ على إطعام هؤلاء؟ قال: نَعم، قال: فما بالُه لم يطعمهم؟ قال: ابتلى قوماً بالفقر، وقوماً بالغنى، وأمر الفقراء بالصبر، والأغنياء بالإعطاء، فقال أبو جهل: والله يا أبا بكر إن أنتَ إلا في ضلال، أتزعم أنَّ الله قادر على إطعام هؤلاء ولا يُطعمهم ثمَّ تُطعمهم أنت؟ وقيل: إنه من كلام المؤمنين للكفار، وقيل: من كلام الله تعالى ردًّا عليهم[٢].

---

(١) انظر «زاد المسير» (٣/ ٥٢٦).

(٢) ذكر الخبر والأقوال الثلاثة القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٣٧).

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ ....

مَوقِعٌ عَظيم.

(﴿٤٨﴾ - ﴿٤٩﴾) ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بِالبَعث ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فِيه؟ قال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ أي: يَنتظِرُون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ وهي نَفخةُ إسرافِيلَ الأُولى، ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ ـ بِالتَّشدِيد، أصلُه: يَختَصِمُون، نُقِلت حركةُ التَّاء إلى الخاءِ، وأُدغِمت في الصَّاد ـ أي: وهُم في غَفلةٍ عنها بِتَخاصُمٍ وتَبايُعٍ وأكلٍ وشُربٍ وغيرِ ذلك، وفي قِراءة: (يَخصِمُون) كـ(يَضرِبُون) ....

حاشية الصاوي

قوله: (موقع عظيم) أي: وهو التبكيت والتقبيح عليهم.

قوله: (﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾) رجوع للكلام مع الكفار المعترفين بوُجوده تعالى.

قوله: (أي: ما يَنتظرون) هذا مجاراة لأول كلامهم؛ لأنَّ شأن مَنْ يسأل عن الشيء أن يكون معترفاً بوجوده، وإلَّا.. فهم جازمُون بعدمها.

قوله: (الأولى) وهي التي يموت عندها مَنْ كان موجوداً على وجه الأرض.

قوله: (نقلت حركة التاء إلى الخاء) أي: بتمامها أو بَعضها، فهما قراءتان.

قوله: (وأدغمت) أي: بعد قلبها صاداً، أو حذفت همزة الوصل للاستغناء عنها بتحريك الخاء، وقوله: (وفي قراءة... إلخ) تلخَّص من كلامه: أنَّ القراءاتِ هنا ثلاث، وبقي رابعة وهي فتح الياء وكسر الخاء وكسر الصاد المشددة، وعلى هَذه القراءة: فحركة الخاء ليست حركة نقل، وإنما هي لما حذفت حركة التاء صارت ساكنةً، فالتقت ساكنة مع الخاء فحُركت الخاء بالكسر على أصل التخلص من التقاء الساكنين، وكلُّ تلك القراءات سبعيَّةٌ[1].

قوله: (أي: وهم في غفلة عنها) أشار بهذا إلى أنَّ المرادَ من الاختصام لازمُهُ، وهو الغفلة التي ينشأ عنها الاختصام وغيره، وفي الحديث: «**لَتَقومنَّ الساعة وقد نشر الرجلان ثوباً بينهما**

(١) قرأ حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد، وأبو عمرو وقالون بإخفاء فتحة الخاء وتشديد الصاد، ونافع وابن كثير وهشام كذلك، إلا أنهم بإخلاصِ فتحة الخاء، والباقون بكسر الخاء وتشديد الصاد. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٧٣).

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ....

أي: يَخصِمُ بَعضُهم بَعضاً.

﴿٥٠﴾ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي: أن يُوصُوا، ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ مِن أسواقِهِم وأشغالِهِم، بَل يَمُوتُون فيها.

﴿٥١﴾ ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ - هو قَرنٌ - النَّفخةُ الثَّانيةُ لِلبَعثِ، وبينَ النَّفختَينِ أربَعُون سنةً، ﴿فَإِذَا هُم﴾ أي: المَقبُورُون ﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾: القُبُورِ ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾: يَخرُجُون بِسُرعة.

حاشية الصاوي

فلا يتبايَعانه ولا يَطويانه، ولَتقومنَّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبنِ لِقْحَتِهِ فلا يَطْعَمُهُ، ولَتَقومنَّ الساعة وهو يَلِيطُ حوضه فلا يسقي فيه، ولتَقومنَّ الساعة وقد رفع أُكْلَتَهُ إلى فيه فلا يَطْعَمُهَا» أخرجه البخاري[1].

قوله: (أي: يخصم بعضهم بعضاً) بيانٌ لحاصل المعنى، والمفعول محذوفٌ على القراءة الأخيرة.

قوله: (أي: أن يوصوا) أي: على أولادهم وأموالهم.

قوله: (﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾) معطوف على ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾.

قوله: (وبين النفختين أربعون سنة) هذا هو الصحيح، وقيل: أربعون يوماً، وقيل غير ذلك.

قوله: (أي: المقبورون) أي: مَنْ شأنه أن يُقبر، وقبرُ كلِّ ميِّت بحسَبه، فيشمل مَنْ أكلَته السباع ونحوه.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾) جمع جدَث كـ: فرَس وأفراس، وقرئ شذوذاً: (الأجداف) بالفاء، وهي لغة في (الأجداث)[2].

قوله: (يخرجون بسرعة) أي: يُسرعون في مشيهم قهراً لا اختياراً.

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٥٠٦) من حديث سيدنا أبي هريرة ﷺ، وقوله: (يليط) بفتح الياء وضمها: يطين ويصلح. وانظر «إرشاد الساري» (٩/ ٢٩٤).

(٢) نقل العلامة الزبيدي عن الفراء: أن العرب تعقب بين الفاء والثاء في اللغة، فيقولون: جدف وجدث، وثوم وفوم، وثم وفم. انظر «تاج العروس»، مادة: (ج د ف).

قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ....

﴿٥٢﴾ ﴿قَالُواْ﴾ أي: الكُفَّار مِنهُم: ﴿يَا﴾ - لِلتَّنبيهِ - ﴿وَيْلَنَا﴾: هَلاكَنا، - وهو مَصدرٌ لا فِعلَ لَه مِن لَفظِه - ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ﴾ لِأَنَّهُم كانُوا بينَ النَّفختَينِ نائِمِين لَم يُعذَّبُوا، ﴿هَٰذَا﴾ أي: البَعثُ ﴿مَا﴾ أي: الذي ﴿وَعَدَ﴾ بِه ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ﴾ فِيه ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾،

حاشية الصاوي

قوله: (أي: الكفار) أي: لا كلُّ الخلائق؛ إذ المؤمنون يَفرحون بالقيامة؛ لِيَذهبوا للنعيم الدائم، ورؤيةِ وجه الله الكريم.

قوله: (للتنبيه) دفع بذلك ما يقال: إنَّ النداء مختصٌّ بالعقلاء؛ فكيف يُنادَى الويل وهو لا يعقل؟ فأجابَ: بأن (يا) للتنبيه، والمعنى: تنبَّهوا؛ فإنَّ الويل قد حضر.

قوله: (﴿وَيْلَنَا﴾) قرأ العامَّة بإضافته إلى ضمير المتكلم ومعه غيره دون تأنيث، وقرئ شذوذاً (يا وَيلتنا) بتاء التأنيث، و(يا ويلتى) بإبدال التاء ألفاً، وعلى قراءة الإفراد يكون حكايةً عن مقالة كلِّ واحد[1].

قوله: (لا فعل له من لفظه) أي: بل من مَعناه، وهو: هلك.

قوله: (﴿مَنۢ بَعَثَنَا﴾) قراءة العامَّة بفتح ميم (مَن) على أنها استفهاميةٌ مبتدأٌ، وجملة ﴿بَعَثَنَا﴾ خبره، وقرئ شذوذاً بكسر الميم على أنها حرف جرٍّ، و(بَعثِنا) مصدر مجرور بـ(من)، والجارُّ والمجرور متعلق بـ(ويلنا)[2]، وقوله: (﴿مِن مَّرْقَدِنَاۜ﴾) مُتعلق بالبعث.

والمرقد: يصح أن يكون مصدراً أو اسمَ مكانٍ؛ أي: مِن رُقادنا، أو من مكان رُقادنا.

قوله: (لأنهم كانوا بين النفختين نائمين) أي: حين يرفع الله عنهم العذاب، فيَرقدون قبيل النفخة الثانية، فيذوقون طعم النوم، فإذا بُعِثُوا وعايَنوا أهوال يوم القيامة.. دَعَوْا بالويل.

قوله: (﴿مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾... إلخ) مفعولُ (وعد) و(صدق) محذوفٌ، والتقدير: ما وعَدنا به الرحمن وصدَقونا فيه المرسلون[3].

---

(١) نقل العلامة السمين في «الدر المصون» (٩/ ٢٧٥) القراءتين عن ابن أبي ليلى.

(٢) وبها قرأ ابن عباس والضحاك وأبو نهيك. «المصدر السابق».

(٣) كذا في الأصول، على لغة: (يتعاقبون فيكم ملائكة).

إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ

أَقَرُّوا حِين لا يَنفَعُهُم الإقرارُ، وقِيل: يُقالُ لَهُم ذلك.

(﴿٥٣﴾ - ﴿٥٤﴾) ﴿إِن﴾: ما ﴿كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا﴾: عِندنا ﴿مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاءَ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٥٥﴾ ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ﴾ ـ بِسُكُونِ الغَين وضَمِّها ـ عمَّا فِيه أهلُ النَّار مِمَّا يَتلذَّذُون بِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أقروا... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ هذه الجملة من كلام الكفار، فهي في محل نصب مقول القول، كأنهم لما سألوا فلم يجابوا.. أجابوا أنفسهم.

قوله: (وقيل: يقال لهم ذلك) أي: من جانب المؤمنين، أو الملائكة، أو الله تعالى، وإنما عدلوا عن جواب سؤالهم؛ لأنَّ الباعث لهم معلوم، وإنما المهمُّ لهم السؤال عن البعث.

قوله: (﴿إِن كَانَتْ﴾) أي: النفخة الثانية.

قوله: (﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾) أي: وهي قول إسرافيل: أيتُها العظام النخرة، والأوصال المتقطّعة، والعظام المتفرِّقة، والشُّعور المتمزِّقة؛ إنَّ الله يأمركنَّ أن تجتمعنَ لفصل القضاء.

قوله: (﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾) أي: مجموعون في موقف الحساب.

قوله: (﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾) هذا حكايةٌ عمَّا يقال لهم حين يرون العذاب.

قوله: (﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾... إلخ) جرَت عادة الله سبحانه وتعالى في كتابه إذا ذكر أحوال أهل النار.. أَتْبَعَهُ بذكر أحوال أهل الجنة.

قوله: (﴿فِى شُغُلٍ﴾) أبهمه ونكَّره؛ إشارةً إلى تعظيمه ورِفعة شأنه، والمراد به: ما هم فيه من أنواع الملاذِّ التي تُلهيهم عمَّا عداها بالكليَّة؛ كالتفكُّه بالأكل والشرب، والسماع وضرب الأوتار، والتزاور، وأعظمُ ذلك سماعُ كلام الله تعالى ورؤيةُ ذاته.

قوله: (بسكون الغين وضمِّها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

(١) قرأ ابن عامر والكوفيون بضم الغين، والباقون بالإسكان. انظر «السراج المنير» (٣/ ٣٥٦).

فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ ....

كافتِضاضِ الأبكارِ، لا شُغل يَتعبُون فِيه؛ لِأنَّ الجنَّة لا نَصَبَ فِيها، ﴿فَٰكِهُونَ﴾: ناعِمُون - خَبر ثانٍ لـ﴿إِنَّ﴾، والأوَّل: ﴿فِى شُغُلٍ﴾ -.

(﴿٥٦﴾ - ﴿٥٨﴾) ﴿هُمْ﴾ - مُبتدأ - ﴿وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ﴾: جَمع ظُلَّة أو ظِلٌّ، خَبَر أي: لا تُصِيبهُم الشَّمسُ ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: جَمع (أرِيكةٍ)، وهو السَّرير في الحَجلةِ أو الفُرُش فِيها ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾ خَبر ثانٍ مُتعلَّق ﴿عَلَى﴾، ....

حاشية الصاوي

قوله: (كافتضاض الأبكار) أي: لما روي: «**أنَّ أهل الجنة كلَّما أرادوا القرب من نسائهم.. وجدوهنَّ أبكاراً، فيفتضوهنَّ من غير قذَر ولا ألم**»[1].

قوله: (﴿فَٰكِهُونَ﴾) مِن: الفَكَاهة بفتح الفاء، وهي: التَّنعم والتَّلذذ.

قوله: (﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ﴾) هذا بيانٌ لِكيفيَّة شغلهم وتفكُّهِهِم.

قوله: (جمع ظُلة) أي: ك: قِباب جمع قُبَّة وزناً ومعنىً.

قوله: (أو ظِل) أي: ك: شِعاب جمع شِعب.

قوله: (أي: لا تصيبهم الشمس) أي: لعدم وجودها.

قوله: (في الحجلة) بفتحتين، أو بسكون الجيم مع ضمِّ الحاء أو كسرها، وهي قبة تعلَّق على السرير، وتُزيَّن به العروس.

قوله: (أو الفرش فيها) أي: في الحجلة، فالأريكة فيها قولان: قيل: هي السرير الكائن في الحجلة، أو الفرش الكائن فيها.

قوله: (متعلَّق ﴿عَلَى﴾) أي: قوله ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾، فتحصل: أنَّ ﴿هُمْ﴾ مبتدأٌ، و(أزواجُهم): عطف عليه، و﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾: خبر أول، و﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾: خبر ثان، و﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: متعلِّق بـ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾ قدِّم عليه رعايةً للفاصلة.

قوله: (﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾) أي: من كلِّ نوعٍ من أنواع الفواكه، لا مقطوعٍ ولا ممنوعٍ، قال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢-٣٣].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٢٤٩)، وأبو نعيم في «صفة أهل الجنة» (٣٦٥) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ....

﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم﴾ فِيها ﴿مَّا يَدَّعُونَ﴾: يتمنَّونَ، ﴿سَلَٰمٌ﴾ - مُبتَدأ - ﴿قَوْلًا﴾ أي: بِالقَولِ - خَبَره - ﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ بِهِم، أي: يَقُول لَهُم: سَلامٌ عَلَيكم.

﴿٥٩﴾ ﴿وَ﴾ يقُول: ﴿ٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: انفَرِدُوا عن المُؤمِنِين عِند اختِلاطِهم بِهِم.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾) أصله: يَدْتَعِيون بوزن (يفتعلون) استثقلت الضمة على الياء، فنقلت إلى ما قبلها، فالتقى ساكنان، حذفت الياء لالتقائهما، ثمَّ أبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال، والمعنى: يُعطى أهل الجنة جميع ما يتمنَّونه ويشتهونه حالاً من غير بطءٍ.

قوله: (﴿سَلَٰمٌ﴾ مبتدأ... إلخ) هذا أحسن الأعاريب، وقيل: إنه بدل من قوله: ﴿مَّا يَدَّعُونَ﴾، أو صفة لـ(ما)، أو خبرٌ لمبتدأ محذوف.

قوله: (أي: بالقول) أشار بذلك إلى أن (قولاً) منصوب بنزع الخافض، ويَصح أن يكون مصدراً مؤكِّداً لمضمون الجملة، وهو مع عامله مُعترض بين المبتدأ والخبر.

قوله: (أي: يقول لهم: سلام عليكم) أشار بذلك إلى أن الجملة معمولة لمحذوف، والمعنى: أنَّ الله تعالى يتجلى لأهل الجنة ويقرأ لهم السلام؛ لما في الحديث: «**بينَما أهل الجنة في نعيمٍ إذ سطع لهم نورٌ، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الربُّ عزَّ وجلَّ قد أشرف عليهم من فَوقهم: السلام عليكم يا أهل الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، فينظرُ إليهم وينظرون إليه، فلا يَلتفتون إلى شيءٍ من النَّعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم، فيبقى نُوره وبركته عليهم في ديارهم**»(١).

قوله: (﴿وَ﴾ يقول: ﴿امْتازُوا﴾... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ هذه الجملة معمولةٌ لمحذوفٍ أيضاً.

قوله: (عند اختِلاطهم بهم) أي: حين يُسار بهم إلى الجنة؛ لما ورد في الحديث ما معناه: «**إذا كان يوم القيامة يُنادي منادٍ: كلُّ أمة تتبع معبودها، فتبقى هذه الأمة وفيها منافقوها يقولون:**

---

(١) رواه ابن ماجه (١٨٤) عن سيدنا جابر بن عبد الله ﷺ.

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا ....

(﴿٦٠﴾ - ﴿٦١﴾) ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾: آمُرْكُم ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ على لِسانِ رُسُلِي ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾: لا تُطِيعُوه، ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: بَيِّن العَداوةِ، ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى﴾: وَحِّدُوني وأَطِيعُوني، ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ﴾: طَرِيق ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾.

﴿٦٢﴾ ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جُبُلًّا﴾: خَلقاً، جَمع (جَبِيل) كـ(قَدِيم)، - وفي قِراءة بِضَمِّ الباء

حاشية الصاوي

لا نذهب حتى ننظر مَعبودنا، فيظهر لهم عن يمين العرش ملكٌ؛ لو وُضِعَتِ البحارُ السبع وجميعُ الخلائق ومثلُهم معهم في نقرة إبهامه.. لَوسعهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لست ربَّنا، ثمَّ يتجلى الله تعالى لهم، فيَخرون سجداً، فيريد المنافقون أن يسجدوا، فيصير ظهرهم طبقاً، فلا يَستطيعون السجود، فعند ذلك يقال: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩]»[1].

قوله: (﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾) الاستفهام للتوبيخ والتقريع، والمراد بالعهد: ما كلَّفهم الله به على ألسنة رُسله من الأوامر والنَّواهي.

قوله: (آمركم) أي: وأنهاكم؛ ففيه اكتفاء.

قوله: (﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾) (أن): تفسيريَّة؛ لتقدُّم جملة فيها معنى القول دُون حروفه، و(لا): ناهية، والفعل مجزوم بها.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾) تعليلٌ لوجوب الانتهاء.

قوله: (﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ﴾) تأكيدٌ للتَّعليل.

قوله: (﴿جُبْلًا﴾) بضمِّ الجيم، وسكون الباء، وتخفيف اللام.

قوله: (وفي قراءة بضمِّ الباء) أي: مع ضمِّ الجيم، وبقي قراءة ثالثة سبعيَّة أيضاً، وهي بكسر الجيم والباء وتشديد اللام كـ: (سِجِلّ)[2].

---

(١) رواه بنحوه البغوي في «شرح السنة» (٣٣٤٦)، وأصله عند البخاري (٦٥٧٣)، (٧٤٣٩)، وليس فيهما ذكر الملك وصِفته.

(٢) قرأ نافع وعاصم بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وأبو عمرو وابن عامر بضمة وسكون، والباقون بضمتين، واللام مخفَّفة في كِلتيهما. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٨٢).

كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ....

ـ ﴿كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ﴾ عَداوَتَه وإضلالَه أو ما حَلَّ بِهِم مِن العذاب فتُؤمِنُون. ويُقالُ لَهُم في الآخِرة:

(٦٣ - ٦٥) ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ بِها، ﴿ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ أي: الكُفَّار لِقَولِهِم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم﴾ وغَيرُها ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ فكُلُّ عُضو يَنطِقُ بِما صَدر مِنه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ﴾) هذا خطابٌ لهم وهم على شَفير جهنم، والمقصودُ منه: زيادةُ التبكيت والتقريع.

قوله: (﴿ٱصۡلَوۡهَا﴾) أي: ذُوقوا حرارتها.

قوله: (﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾) أي: بسبب كفركم.

قوله: (﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾) أي: ختماً يمنعها عن الكلام النافع؛ فلا ينافي قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ﴾ [النور: ٤]، وهذا مرتبط بقوله: ﴿ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ﴾. روي: **«أنهم حين يقال لهم ذلك.. يَجحدون ما صدر عنهم في الدنيا، ويتخاصمون، فتَشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم، فيَحلفون أنهم ما كانوا مشركين، ويقولون: لا نجيز علينا شاهداً إلا من أنفسنا، فيَختم على أفواههم ويقال لأركانهم: انطِقوا، فتنطق بما صدر منهم»**[1].

وحكمةُ إسناد الختم لنفسه والشهادة للأيدي والأرجل: دفعُ توهم أنَّ نطقها جبراً، والمجبور غير مقبول الشهادة، فأفادك أنَّ نُطقها اختياري.

---

(١) روى مسلم (٢٩٦٩) عن سيدنا أنس ﷺ في حديث مخاطبة العبد ربَّه، يقول: «يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطِقي، قال: فتَنطق بأعماله، قال: ثم يخلَّى بينه وبين الكلام، قال فيقول: بعداً لكنَّ وسحقاً، فعَنكنَّ كنت أناضل».

وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ....

(﴿٦٦﴾ - ﴿٦٧﴾) ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾: لَأعمَيْناها طَمساً، ﴿فَٱسْتَبَقُواْ﴾: ابتَدَرُوا ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾: الطَّريقَ ذاهِبين كعادَتِهم، ﴿فَأَنَّىٰ﴾: فكيفَ ﴿يُبْصِرُونَ﴾ حِينَئذٍ؟ أي: لا يُبصِرُون، ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ قِردةً وخنازيرَ أو حِجارةً ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ ـ وفي قِراءة: (مَكاناتِهم) جمع (مَكانة) بِمَعنَى مَكان ـ أي: في مَنازِلِهم، ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: لَم يَقدِرُوا على ذَهابٍ ولا مَجِيء.

﴿٦٨﴾ ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ﴾ بِإطالةِ أجلِه ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ ـ وفي قِراءة بِالتَّشدِيدِ مِن التَّنكِيس ـ ﴿فِى ٱلْخَلْقِ﴾ أي: خَلقِه، فيَكُون بعدَ قُوَّته وشَبابِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾... إلخ) مفعولُ المشيئة محذوفٌ؛ أي: لو نشاء طَمْسَها لفعلنا، وقوله: ﴿فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾ أي: أرادوا أن يستبقوا الطريق المحسوس ذاهبين في حوائجهم، وهو عطف على قوله: ﴿لَطَمَسْنَا﴾، وقوله: ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ استفهام إنكاري مرتَّبٌ على ما قبله؛ أي: فلا يُبصرونه.

قوله: (﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾... إلخ) يقال فيها ما قيل فيما قبلها، والمسخُ: تغييرُ الصور، و(على) بمعنى (في)، والمقصودُ من هاتين الآيتين: تسليتُهُ ﷺ، وتوبيخُ الكفار، وإعلامُهُم بأنَّ الله قادرٌ على إذهاب ما بِهم من النعم في الدنيا، وأنهم مُستحقون ذلك لولا حلمه تعالى، فهاتان الآيتان بمعنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ...﴾ [الأنعام: ٤٦] الآية.

قوله: (﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ﴾) أي: مَنْ يكون في سابق علمنا طويلَ العمرِ.

قوله: (وفي قراءة بالتشديد) أي: وهما قراءتان سبعيَّتان[1]، ومعناهما واحد، والمعنى: نقلبه فلا يزال يتزايدُ ضعفُهُ وتنقص قواهُ، عكسَ ما كان عليه أوَّل أمرِهِ.

قوله: (أي: خَلقه) أي: خلقِ جسدِهِ وقُواه.

---

(١) قرأ عاصم وحمزة بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة، والباقون بفتح الأولى وتسكين الثانية وضم الكاف خفيفة. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٨٤).

أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ ....

ضَعيفاً وهَرِماً، ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أنَّ القادِرَ على ذلك المَعلُوم عِندَهم قادِر على البَعث فيُؤمِنُون. ـ وفي قِراءة بالتَّاء ـ.

﴿٦٩﴾ ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ أي: النَّبيَّ ﴿ٱلشِّعْرَ﴾ رَدٌّ لِقَولِهِم: إنَّ ما أتَى بِه مِن القُرآن شِعرٌ. ﴿وَمَا يَنۢبَغِى﴾: يَسهُلُ ﴿لَهُۥٓ﴾ الشِّعرُ، ﴿إِنْ هُوَ﴾: ليسَ الذِي أتَى بِه ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عِظةٌ ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾: مُظهِرٌ لِلأحكامِ وغيرِها.

حاشية الصاوي

قوله: (ضعيفاً) مقابل (قوّته)، وقوله: (وهرماً) مقابل (وشبابه)، فهو لفٌّ ونشرٌ مرتَّب، وهذا في غير الأنبياء عليهم السلام، وأمَّا هم.. فلا يَعتريهم الضعف في العقل والبدن وإن طال عمرهم جدًّا، واستعاذتُهُ ﷺ من الردِّ لأرذل العمر.. تعليمٌ لأمَّته[1]، ويُلحَقُ بالأنبياء الأولياءُ والعلماءُ العاملون؛ فلا يَهرمون ولا يضعفون بطول العمر، بل يكونون على أحسَنِ ما كانوا عليه.

قوله: (﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والتقدير: أتركوا التفكرَ فلا يَعقلون؟

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[2].

قوله: (﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾) وهذا تنزيهٌ من الله تعالى لنبيِّه ﷺ عن التُّهم فيما أوحاه الله إليه؛ إذ لو كان للعقل فيه بعضُ اتهامٍ.. لبَطل الاحتجاجُ به.

قوله: (ردٌّ لقولهم: إنَّ ما أتى به من القرآن شعرٌ) أي: وحينئذٍ فيَصير المعنى: ليس القرآن بشعرٍ؛ لأنَّ الشعر كلامٌ مزخرف مَوزون مقفًّى قصداً، مبنيٌّ على خيالات وأوهام واهية، وأين ذلك من القرآن العزيز الذي تنزَّه عن مماثلة كلام البشر؟!

قوله: (﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾) أي: لا يصح ولا يَليق منه؛ لأنَّ الشعر شأنُهُ الأكاذيبُ، وهي عليه مستحيلةٌ؛ ولذا قيل: أعذبه أكذبُه، فتحصَّل: أنَّ النبيَّ لا ينبغي له الشعر ولا يَليق منه.

إن قلت: إنه تمثَّل بقول ابن رواحة: [الطويل]

---

(١) رواه البخاري (٣٥٦٥) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص في الكلمات اللاتي كان يَتعوَّذ ﷺ بهنَّ دبر الصلاة: «اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجُبن، وأعوذ بك أن أردَّ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا - يعني فتنة الدجال - وأعوذ بك من عذاب القبر».

(٢) قرأ نافع وابن ذكوان: (تعقلون) بالخطاب، والباقون بالغيبة. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٨٤).

لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا ....

﴿٧٠﴾ ﴿لِّيُنذِرَ﴾ ـ بالياء والتَّاءِ ـ بِه ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾: يَعقِل ما يُخاطَب بِه، وهُم المُؤمِنُون، ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ بالعَذابِ ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وهُم كالمَيِّتِين لا يَعقِلُون ما يُخاطَبُون بِه.

(﴿٧١﴾ - ﴿٧٣﴾) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يَعلَمُوا ـ والاستِفهام لِلتَّقرِيرِ، والواوُ الدَّاخِلة علَيها لِلعَطف ـ ....

حاشية الصاوي

سَتُبْدِي لَكَ الأيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً ... وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ[1]

وأنشأ من نَفسه قوله: [مجزوء الرجز]

أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ ... أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ[2]

وقوله: [الرجز]

هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ ... وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ[3]

قلتُ: أحسَن ما أجيب به: أنَّ إنشاده بيت ابن رواحة وإنشاءه البيتين المتقدِّمين لم يكن عن قصدٍ، وإنما وافق وَزن الشعر كما في بعض الآيات القرآنية، فليس كلُّ مَنْ قال قولاً موزوناً لا يقصدُ به الشعرَ شاعراً، وإنما وافق وزن الشعر.

قوله: (﴿لِّيُنذِرَ﴾) متعلِّقٌ بمحذوفٍ دلَّ عليه ما قبله.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[4].

قوله: (وهم المؤمنون) أي: وخصُّوا بالذكر؛ لأنهم هم المنتَفعون به.

قوله: (كالميتين) أخذ هذا من المقابلة في قوله: ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾.

قوله: (والاستفهام للتقرير) أي: وهو حملُ المخاطب على الإقرار بالحكم.

قوله: (والواو الداخلة عليها للعطف) هذه العبارة تحتمل التقريرَين السابقين في نظير هذه الآية،

(١) رواه الترمذي (٢٨٤٨) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها، والبيت لطرفة بن العبد في «ديوانه» (ص٢٩)، وكذلك النسبة إليه في بعض روايات الحديث.

(٢) رواه البخاري (٢٨٧٤)، ومسلم (١٧٧٦) عن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري (٢٨٠٢)، ومسلم (١٧٩٦) عن سيدنا جندب بن سفيان رضي الله عنه.

(٤) قرأ نافع وابن عامر بالتاء الفوقية على الخطاب، والباقون بالياء التحتية على الغيبة. انظر «السراج المنير» (٣/ ٣٦٣).

أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ....

﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم﴾ في جُملةِ النَّاس ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ أي: عَمِلناهُ بِلا شَرِيكٍ ولا مُعِين ﴿أَنْعَـٰمًا﴾ هي الإبِلُ والبَقَر والغَنَم، ﴿فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾: ضابِطُون، ﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا﴾: سَخَّرناها ﴿لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾: مَركُوبُهم، ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ﴾ كأصوافِها وأوبارِها وأَشعارِها، ﴿وَمَشَارِبُ﴾ مِن لَبَنها جمع (مَشرَب) بِمَعنى شُربٍ أو مَوضِعه، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ المُنعِمَ علَيهِم بِها فيُؤمِنُون؟ أي: ما فعَلُوا ذلك.

حاشية الصاوي

وهما: أنَّ الهمزة إمَّا مقدَّمةٌ من تأخير؛ لأنَّ لها الصدارةَ، والواو عاطفة على قوله فيما تقدم: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾، أو داخلةٌ على محذوف، والواو عاطفةٌ عليه، والتقدير: ألم يتفكروا ولم يرَوا؟

قوله: (﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم﴾) اللام: للحكمة[1]؛ أي: حكمةُ خَلقنا ذلك انتفاعُهُم.

قوله: (في جملة الناس) أشار بذلك إلى أنَّ هذه النِّعم ليست مقصورةً عليهم، بل لهم ولِغيرهم.

قوله: (﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾) هذا كنايةٌ عن الحَصر فيه سبحانه وتعالى، وهذا كقول الإنسان: كتبت بيَدي مثلاً؛ بمعنى: أني انفردت به ولم يشاركني فيه غيري، فهو كنايةٌ عرفيَّةٌ.

قوله: (﴿أَنْعَـٰمًا﴾) خصَّها بالذكر؛ لأنَّ منافعها أكثرُ من غيرها.

قوله: (ضابطون) أي: قاهرون مذلِّلون، والأحسن: أن يفسِّر قوله: ﴿مَـٰلِكُونَ﴾ بالملك الشرعيِّ؛ أي: يتصرَّفون فيها بسائر وجوه التصرفات الشرعيَّة؛ ليكون قوله: ﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ﴾ تأسيساً لنعمة أخرى، لا تتميماً لما قبله.

قوله: (كأصوافها) أي: وجُلودها ونسلها وغير ذلك.

قوله: (أو موضعه) أي: وهو الضروع.

قوله: (أي: ما فعلُوا ذلك) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ، وأنَّ قوله: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟...﴾ إلخ عطفٌ على محذوف.

---

(١) كالتي في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾.

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ ...

﴿٧٤﴾ ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿ءَالِهَةً﴾: أصناماً يعبدونها، ﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنعُون مِن عذاب الله تعالى بِشفاعةِ آلِهَتِهم بِزَعمِهِم.

﴿٧٥﴾ ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: آلِهتُهم، نُزِّلُوا منزلةَ العُقلاء ﴿نَصْرَهُمْ وَهُمْ﴾ أي: آلِهتُهُم مِن الأصنامِ ﴿لَهُمْ جُندٌ﴾ بِزَعمِهِم نَصرَهُم ﴿مُّحْضَرُونَ﴾ في النَّارِ مَعَهُم.

﴿٧٦﴾ ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ لَك: لَستَ مُرسَلاً وغَيرَ ذلك، ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ مِن ذلك وغَيرِه، فنُجازِيهم علَيهِ.

﴿٧٧﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: يَعلَم ....

حاشية الصاوي

قوله: (يَعبدونها) تفسيرٌ للاتخاذ.

قوله: (﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾) الجملة حاليَّة، والمعنى: حال كونهم راجين النصرة منهم.

قوله: (نُزِّلوا منزلة العقلاء) أي: لمشاكلة عبَّادهم، فعبَّر عنهم بصيغة جمع الذكور.

قوله: (﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ﴾... إلخ) (هم): مبتدأ، و﴿جُندٌ﴾: خبرٌ أول، و﴿لَهُمْ﴾: متعلِّق بـ﴿جُندٌ﴾، و﴿مُّحْضَرُونَ﴾: خبرٌ ثانٍ.

قوله: (أي: آلهتهم من الأصنام) هذا أحدُ وجهين، والآخر أنه عائد على الكفار، والمعنى: يقومون بمصالحها، فهم لها بمنزلة الجُند، وهي لا تستطيع أن تَنصرهم.

قوله: (﴿مُّحْضَرُونَ﴾ في النار) أي: ليعذَّبوا بهم.

قوله: (﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾) هذا تسليةٌ له ﷺ، والمعنى: لا تَحزن من قولهم، بل اتركه ولا تَلتفت له.

قوله: (﴿إِنَّا نَعْلَمُ﴾... إلخ) تعليلٌ للنهي قبله.

قوله: (فنجازيهم عليه) أي: على ما صدر منهم سرًّا وعلانية، خيراً أو شرًّا.

قوله: (﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾) في الهمزة التقديران السابقان، وهما كونها مقدَّمةً من تأخير، أو عاطفةً على محذوف، والتقدير: أعميَ ولم يرَ؟

أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ....

وهو العاصِي بنُ وائِل ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾: مَنِيٍّ إلى أن صَيَّرناهُ شَدِيداً قَوِيًّا، ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾: شَدِيدُ الخُصُومة لَنا ﴿مُّبِينٌ﴾: بيِّنها في نَفيِ البَعث.

﴿٧٨﴾ ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ في ذلكَ ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ مِن المَنِيِّ وهو أغرَبُ مِن مَثَلِه، ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي: باليةٌ، ولَم يَقُل: بِالتَّاء لِأَنَّهُ اسم لا صِفةٌ، ورُوِي أنَّهُ أخَذَ

حاشية الصاوي

قوله: (وهو العاص بن وائل) وقيل: نزلت في أبيِّ بن خلف الجمحي، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قوله: (﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾) أي: قَذِرةٍ خسيسةٍ، والمقصودُ: التَّعجُّبُ من جهله حيث تصدَّى لمخاصمة العزيز الجبار ولم يتفكَّر في بَدء خلقه، وأنَّه من نطفة.

قوله: (﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾) عطفٌ على جملة النفي[1].

قوله: (في نفي البعث) متعلق بـ﴿خَصِيمٌ﴾.

قوله: (﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾) أي: أورَد كلاماً عجيباً في الغرابة كالمثل؛ حيث قاس قدرتنا على قدرة الخَلق.

قوله: (﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾) أي: ذهَل عنه، وهذا عطفٌ على (ضرب) داخلٌ في حيِّز الإنكار، وإضافة (خلق) للضمير من إضافة المصدَر لمفعوله؛ أي: خلق الله إياه.

قوله: (﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ﴾... إلخ) بيان لِضَرب المثل.

قوله: (ولم يقل بالتاء... إلخ) أشار بذلك إلى سؤال حاصلُهُ: أنَّ (فَعيلاً) بمعنى (فاعلاً) يفرَّق فيه بين المذكر والمؤنث بالتاء، فكان مقتضى القاعدة أن يقال: رَميمة، فأجاب المفسِّر: بأنَّ محل ذلك إذا لم تغلب عليه الاسميَّة، فإذا صار اسماً بالغلبة لِمَا بلي من العظام.. فلا تَلحقه التاء في مؤنثه.

---

(١) داخلٌ في حيِّز الإنكار والتعجيب، كأنه قيل: أولم يرَ أنا خَلقناه من أخسِّ الأشياء وأمهنها، ففاجأ خُصومتنا في أمر يشهد بصحته وتحققه مبدأ فطرته شهادة بينة؟! انظر «تفسير أبي السعود» (٧/ ١٨٠).

قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ....

عَظماً رَمِيماً ففتَّتَهُ وقال لِلنَّبيِّ ﷺ: أتَرَى يُحيِي اللهُ هَذا بعدَ ما بَلِيَ ورَمَّ؟ فقال ﷺ: «نَعم، ويُدخِلُك النارَ».

﴿٧٩﴾ ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ﴾: مَخلُوقٍ ﴿عَلِيمٌ﴾ مُجمَلاً ومُفصَّلاً؛ قبلَ خَلقِه وبعدَ خَلقِه.

﴿٨٠﴾ ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم﴾ في جُملة النَّاس ﴿مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ﴾: المَرْخِ والعَفارِ، أو كُلِّ شَجَرٍ إلَّا العُنَّابَ ﴿نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ﴾: تَقدَحُون، وهذا دالٌّ على القُدرةِ

حاشية الصاوي

قوله: (فقال ﷺ: «نعم ويُدخلك النار»[1]) أخذ من هذا أنه مقطوعٌ بكفره وخُلوده في النار، وزيادة ذلك في الجواب؛ لأنه متعنِّتٌ لا مستفهمٌ، وجزاءُ المتعنِّت المنكِرِ أن يجاب بما يَكره، وبضدِّ ما يترقَّب، ويسمَّى عند علماء البلاغة الأسلوب الحكيم.

قوله: (﴿ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ﴾) أي: أوجَدها من العدم.

قوله: (﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾) أي: بكيفيَّة خلقها، وبأجزاءِ الأشخاص تفصيلاً.

قوله: (﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم﴾... إلخ) بدلٌ من الموصول قبله.

قوله: (في جملة الناس) أشارَ بذلك إلى أنه ليس مخصوصاً بالكفار، بل لجميع الخلق.

قوله: (المرخ) بفتح الميم وسكون الراء وبالخاء المعجمة: شجر سريع القدح، وقوله: (والعَفَار) بفتح العين المهملة بعدها فاءٌ مفتوحةٌ فألفٌ فراءٌ، وكيفيَّة إيقاد النار منهما: أن يجعل العَفار كالزند يضرب به على المرخ، وقيل: يؤخذ منهما غصنان خضراوان، ويُسحق المرخ على العفار، فتخرج منهما النار بإذن الله تعالى.

قوله: (أو كل شجر) أي: وقد شُوهد في بعضه كالبرسيم؛ إذا وُضِعَ بعضُهُ على بعض وهو أخضر مدَّة.. فإنه يُحرق نفسه وما حوله.

قوله: (إلا العناب) أي: ولِذلك تؤخذ منه مَطارق القصَّارين.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٥٥).

أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ ....

على البَعث؛ فإنَّهُ جَمَعَ فِيه بَين الماء والنَّار والخَشَب، فلا الماءُ يُطفِئُ النار ولا النارُ تُحرِقُ الخشَب.

﴿٨١﴾ ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ مَع عِظَمِهما ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ أي: الأناسِيّ في الصِّغَر؟ ﴿بَلَىٰ﴾ أي: هو قادِرٌ على ذلك، أجابَ نَفسَه، ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾: الكَثيرُ الخَلقِ، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِكُلِّ شَيء.

﴿٨٢﴾ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ﴾: شَأنُه ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ أي: خَلقَ شَيءٍ ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يَكُونُ، ـ وفي قِراءة بِالنَّصبِ عَطفاً على ﴿يَقُولَ﴾ ـ.

﴿٨٣﴾ ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ﴾: مُلكُ، زِيدَت الواو والتَّاء لِلمُبالَغة، أي: القُدرةُ

حاشية الصاوي

قوله: (والخشب) بفتحتين، أو ضمَّتين، أو ضمٌّ فسكون.

قوله: (﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، تقديره: أليس الذي أنشأها أوَّل مرَّة، وليس الذي جَعل لكم من الشجر الأخضر ناراً، وليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر؟!

قوله: (أي: الأناسي) تفسيرٌ للضمير.

قوله: (﴿بَلَىٰ﴾) جواب تقرير النفي، وهو صادرٌ منه تعالى؛ إشارةً إلى تَعيينه، قالُوه أو لا.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾) عطفٌ على مقدَّر، تقديره: بلى هو قادرٌ وهو الخلَّاق العليم.

قوله: (﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن﴾) في الكلام استعارة تمثيليَّة، وتقريرها أن يقالَ: شبَّه سرعةَ تأثير قدرته ونفاذها فيما يُريده بأمرِ المطاعِ للمطيع في حصول المأمور به من غير امتناعٍ ولا توقُّفٍ، وحينئذٍ: فمعنى ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن﴾: أن تتعلَّق به قدرتُهُ تعلُّقاً تنجيزيًّا.

قوله: (﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى﴾... إلخ) أي: تَنزيهه عمَّا لا يَليق به.

﴿كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٨٣﴾

على ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: تُرَدُّون في الآخِرة.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾) قرأ العامَّة ببنائه للمفعول، وقرئ شذوذاً ببنائه للفاعل[1].

تتمة:

تقدَّم في فضل (يس) أنها قلبُ القرآن، ووَجه ذلك: أنها اشتملت على الوحدانيَّة والرسالة والحشر، والإيمانُ بذلك متعلِّقٌ بالقلب؛ فلذلك سمِّيت قلباً، ومن هنا أُمِرَ بقراءتها عند المحتَضَر وعلى الميت[2]؛ لكون القلب قد أقبل على الله تعالى ورجع عمَّا سِواه، فيُقْرَأ عنده ما يزداد به قوَّةً ويقيناً.

✿ ✿ ✿

(١) وبها قرأ زيد بن علي؛ كما في «الدر المصون» (٩/ ٢٨٧).

(٢) كما روى أبو داوود (٣١٢١) وغيره عن سيدنا معقل بن يسار قال: قال النبي ﷺ: «اقرؤوا يس على مَوتاكم».

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١﴾ ....



مَكيَّة، مائةٌ واثنَتانِ وثمانُون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾: المَلائكةُ تَصُفُّ نُفُوسها ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

(مكيَّة) أي: بالإجماع، وسمِّيت بِاسم أوَّل كلمةٍ منها، من باب: تسمية الشيء باسمِ بعضه، على حكم عادته سبحانه وتعالى في كِتابه.

قوله: (﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾... إلخ) الواو: حرف قسم وجرٌّ، و(الصافات): مقسَمٌ به مجرور، وما بعده عطفٌ عليه، وقوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٌ﴾: جوابُ القسم، وهو المقسم عليه، والمعنى: وحقِّ الصافَّات وحقِّ الزاجرات وحقِّ التاليات، وإنما خصَّ ما ذكر؛ لِعِظم قَدرها عنده، ولا يُعكِّر عليه ما ورد من النهي عن الحلف بغير الله[1]؛ لأنَّ النهي للمخلوق؛ حذراً من تعظيم غير الله، وأما هو سبحانه وتعالى.. فيُقسم ببعض مخلوقاته للتعظيم؛ كقوله: ﴿وَٱلشَّمۡسِ﴾، ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾، ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ وغير ذلك.

قوله: (الملائكة تصف نفوسها... إلخ) أشار بذلك إلى أن المفعولَ محذوف.

إن قلتَ: إن التاء في (الصافات) وما بعدها للتأنيث، والملائكة مُنزَّهون عن الاتصاف بالأنوثة كالذكورة.

أجيبَ: بأنها للتأنيث اللفظي، والمنزَّهون عنه التأنيثُ المعنويُّ.

---

(١) فيما رواه البخاري (٦١٠٨) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إن الله ينهاكم أن تَحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليَحلف بالله، وإلا.. فليَصمت».

فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ ....

في العِبادةِ أو أجنِحَتَها في الهَواء، تَنتَظِر ما تُؤمَرُ به، ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾: المَلائكةُ تَزجُرُ السَّحاب أي: تَسُوقُه، ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ﴾ أي: قُرَّاء القُرآنِ يَتلُونَه، ﴿ذِكْرًا﴾ ـ مَصدَر مِن مَعنى (التَّاليات) ـ.

(﴿٤﴾ - ﴿٥﴾) ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ﴾ يا أهلَ مكَّةَ ﴿لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ ....

حاشية الصاوي

وقوله: (الملائكة) هو أحد أقوال في تفسير (الصافات)، وقيل: المرادُ: المجاهِدون، أو المصلُّون، أو الطَّيرُ تصفُّ أجنِحَتها.

قوله: (في العبادة) أي: في مَقاماتها المعلومة.

قوله: (أو أجنحتها في الهواء) أي: ومعنى صفِّها: بسطُها.

قوله: (تنتظر ما تؤمر به) أي: من صعودٍ وهبوطٍ.

قوله: (﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾) الفاء: للترتيب باعتبار الوجود الخارجي؛ لأنَّ مبدأ الصلاة الاصطفاف، ثمَّ يَعقبه زجر النفس، ثمَّ يعقبه التلاوة، وهكذا، ويحتمل أنها للترتيب في المزايا، ثمَّ هو إمَّا باعتبار الترقي؛ فالصافَّات ذواتُ فضل، فالزاجرات أفضل، فالتاليات أكثر فضلاً، أو باعتبار التدلِّي؛ فالصافَّات أعلى، ثمَّ الزاجرات، ثمَّ التاليات، وكلٌّ صحيحٌ.

قوله: (الملائكة) تزجر السحاب، وقيل: المرادُ بهم: العلماءُ تزجرُ العصاةَ.

قوله: (مصدر من معنى «التاليات») ويصح أن يكون مفعولاً لـ(التاليات)، والمرادُ بالذكر: القرآنُ وغيره من تَسبيحٍ وتحميدٍ، والمراد بهم هنا: كلُّ ذاكرٍ من ملائكة وغيرهم.

قوله: (﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾) إن قلتَ: ما حكمة ذكر القسم هنا؛ لأنه إن كان المقصودُ المؤمنين.. فلا حاجةَ له؛ لأنهم مصدِّقون ولو من غير قَسم، وإن كان المقصودُ الكفارَ.. فلا حاجة أيضاً؛ لأنهم غيرُ مصدِّقين على كلِّ حالٍ؟

أجيبَ: بأنَّ المقصودَ منه تأكيدُ الأدلة التي تقدَّم تَفصيلها في سورة (يس)؛ ليزدادَ الذين آمنوا إيماناً، ويزداد الكافرُ طرداً وبعداً.

قوله: (﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) إما بدلٌ من ﴿وَٰحِدٌ﴾، أو خبرٌ ثانٍ، أو خبرٌ لمحذوف.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا﴾ ....

أي: والمغارِبِ لِلشَّمس، لَها كُلَّ يَوم مَشرِقٌ ومَغرِب.

(٦ - ٧) ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةِ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ أي: بِضَوئِها أو بِها، ـ والإضافة لِلبَيانِ، كَقِراءةِ تَنوين (زِينة) المُبَيَّنة بِـ﴿ٱلْكَوَاكِبِ﴾ ـ ﴿وَحِفْظًا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: والمغارب) أشار بذلك إلى أنَّ في الآية اكتفاءً، على حدِّ: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، وإنما اقتصر على المشارق؛ لأنَّ نَفعَه أعمُّ من الغروب.

إن قلتَ: إنه تعالى جمع المشارق هنا وحذف مُقابله، وجمعهما في (سأل)، وثنَّاهم في (الرحمن)، وأفردهما في (المزمل)، فما وجهُ الجمع بين هذه الآيات؟

أجيبَ: بأنَّ الجمع باعتبار مشرقِ كلِّ يومٍ ومغربه؛ لأنَّ الشمس لها في السنة ثلاث مئة وستون مشرقاً، وثلاث مئة وستون مغرباً؛ فتُشرق كلَّ يومٍ من مشرق منها، وتغرب كلَّ يوم في مُقابله من تلك المغارب، والتثنية باعتبار مَشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغربَيهما، والإفراد باعتبار مشرق كلِّ سنة ومغربها، وخصَّ الجمع بهذه السورة؛ لِمناسبة جموع أوَّلها.

قوله: (﴿ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾) أي: القربى من الأرض.

قوله: (﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾) اختلف العلماء: هل الكواكب في سماء الدنيا أو ثَوابتُ في العرش وضوؤها يَصل لسماء الدنيا؛ لأنَّ السماوات شفَّافةٌ لا تحجب ما وراءها؟

قوله: (بضوئها) أي: نُورها، ولولاه لكانت السماءُ شديدةَ الظلمة عند غُروب الشمس، وقوله: (أو بها) أي: إنَّ ذاتَ الكواكب زينةٌ لسماء الدنيا؛ فإنَّ الإنسان إذا نظر في الليلة المظلمة إلى السماء، ورأى هذه الكواكب مُشرقةً على سطح أزرق.. وجدها في غاية الزينة.

قوله: (المبيَّنة بالكواكب) أي: فعلى قراءة التنوين مع جرِّ (الكواكب) تكون (الكواكب) عطفاً عليها، وبقي قراءة ثالثة سبعيَّة، وهي تنوين (زِينة) ونصب (الكواكب) على أنه مفعول لمحذوفٍ، تقديره: أعني الكواكب[1].

---

(١) وللعلامة السمين الحلبي توجيهات أخرى للقراءات الثلاث، ذكرها في «الدر المصون» (٩/ ٢٩٢)، فقال: قرأ أبو بكر بتنوين (زينة) ونصب (الكواكب)، وفيه وجهان: أحدهما: أن تكون (الزينة) مصدراً، وفاعله محذوف، تقديره: بأن زين الله الكواكب، في كونها مُضيئة حسنة في أنفسها، والثاني: أن الزينة اسم لما يزان به، فتكون (الكواكب) على هذا منصوبة بإضمار (أعني)، أو تكون بدلاً من (سماء الدنيا) بدل اشتمال؛ أي: كواكبها، أو من محل (بزينة). =

مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ ....

ـ مَنصُوب بِفعلٍ مُقدَّر ـ أي: حَفِظناها بِالشُّهُب ﴿مِّن كُلِّ﴾ ـ مُتعلِّق بِالمُقدَّرِ ـ ﴿شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾: عاتٍ خارجٍ عن الطَّاعةِ.

(﴿٨﴾ - ﴿٩﴾) ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ أي: الشَّياطِين ـ مُستَأنَف ـ وسَماعُهم هو في المَعنَى المَحفُوظ عنهُ ﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: المَلائكةِ في السَّماء، ـ وعُدِّيَ السَّماع بِـ(إلى) لِتَضمُّنِه مَعنى الإصغاءِ، وفي قِراءة بِتَشدِيدِ المِيم والسِّين، أصلُه: يَتَسمَّعُون، أُدغِمَت التَّاء في السِّين ـ ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ أي: الشَّياطِينُ بِالشُّهُبِ ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ مِن آفاقِ السَّماء، ﴿دُحُورًا﴾: مَصدَر (دَحَرَهُ) أي: طَرَدَهُ وأبعَدَه، ـ وهو مَفعُول لَه ـ ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخِرةِ ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾: دائِم.

حاشية الصاوي

قوله: (بفعل مقدَّر) أي: معطوف على (زينَّا).

قوله: (﴿مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾) أي: وكانوا لا يُحجبون عن السماوات، وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيُلقونها على الكهنة، فلمَّا ولد عيسى عليه الصلاة والسلام.. مُنِعُوا من ثلاث سماوات، فلمَّا ولد محمد عليه الصلاة والسلام.. مُنِعُوا من السماوات كلِّها، فما منهم أحدٌ يُريد استراق السمع إلَّا رُمِيَ بشهابٍ ـ وهو الشّعلة من النار ـ فلا يخطئه أبداً؛ فمنهم مَنْ يقتله، ومنهم مَنْ يُحرق وجهه، ومنهم مَنْ يَخْبِلُهُ فيصير غُولاً يضلُّ الناس في البَراري.

قوله: (مستأنف) أي: لبيانِ حالهم بعد حفظ السماء منهم وما يَعتريهم من العذاب.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (أدغمت التاء في السين) بعد قلبها سيناً وإسكانها.

قوله: (من آفاق السماء) أي: نواحِيها وجهاتِها.

= وحمزة وحفص كذلك، إلا أنهما خَفضا (الكواكب) على أن يراد بـ(زينة): ما يُزان به، و(الكواكب) بدلٌ أو بيانٌ للزينة. والباقون بإضافة (زينة) إلى (الكواكب). اهـ

(١) قرأ الأخوان وحفص بتشديد السين والميم، والباقون بالتخفيف فيهما. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٩٣).

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ١٠﴾ ....

١٠ ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ ـ مَصدَر أي: المَرَّة، والاستِثناء مِن ضَمِير ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾ ـ أي: لا يَسمَع إلَّا الشَّيطان الذِي سَمِعَ الكلِمةَ مِن المَلائكة فأخَذَها بِسُرعةٍ، ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ﴾: كَوكَب مُضِيءٌ ﴿ثَاقِبٌ﴾: يَثقُبهُ أو يُحرِقهُ أو يَخبِلُه.

حاشية الصاوي

قوله: (والاستثناء من ضمير ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾) أي: و(مَنْ) في محل رفع بدل من الواو، أو في محل نصب على الاستثناء، والاستِثناء على كلٍّ متصلٌ، ويجوز أن تكون (مَنْ) شرطيَّةً، وجوابها: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾، أو موصولةً مبتدأً وخبرُها: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾، وهو استثناء مُنقطع كقوله تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ [الغاشية: ٢٢-٢٣].

قوله: (﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾) إن قلتَ: تقدَّم أنَّ الكواكب ثابتةٌ في السماء أو في العرش زينةً، ومقتضى كونها رجوماً للشياطين أنها تنفصل وتَزول، فكيف الجمع بين ذلك؟

أجيبَ: بأنه ليس المرادُ: أنَّ الشياطين يُرجَمُون بذات الكواكب، بل تنفصل منها شهبٌ تنزل على الشياطين والكواكبُ باقيةٌ بحالها.

إن قلتَ: إنَّ الشياطين خُلقوا من النار، فكيف يحترقون؟

أجيبَ: بأنَّ الأقوى يُحرق الأضعف كالحديد يَقطع بعضه.

إن قلتَ: إذا كان الشيطان يعلم أنه لا يَصل لمقصوده، بل يُصاب؛ فكيف يعود مرَّة أخرى؟

أجيبَ: بأنه يَرجو وصوله لمقصوده وسلامته؛ كراكب البحر فإنه يشاهد الغرق المرة بعد المرة، ويعود طمعاً في السلامة.

قوله: (يثقبه) أي: بحيث يموت مِن ثقبه، وقوله: (أو يحرقه) أي: ويموت أيضاً، و(أو) في كلام المفسِّر للتنويع، وهو لا ينافي وصف الشهاب بالثاقب؛ لأنَّ معنى الثاقب: المضيء؛ أي: الذي يثقب الظلام، خلافاً لما يُوهمه المفسِّر.

قوله: (أو يَخْبِلُهُ) الخبل بسكون الباء وفتحها: الجنون والبله، ويطلق أيضاً على مَنْ فسدت أعضاؤه.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ﴾

﴿١١﴾ ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾: استخبِر كُفَّار مَكَّة تَقرِيراً أو تَوبِيخاً: ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ مِن المَلائكةِ والسَّماوات والأرضِينَ وما فِيهِما، وفي الإتيان بِـ(مَن) تَغليبُ العُقَلاء، ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم﴾ أي: أصلَهُم آدمَ ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾: لازِم يَلصَق بِاليَدِ، المَعنى: أنَّ خَلقَهُم ضَعِيف فلا يَتَكبَّرُوا بِإنكارِ النَّبيِّ والقُرآن المُؤدِّي إلى هَلاكِهم اليَسِير.

﴿١٢﴾ ﴿بَلْ﴾ - لِلانتِقالِ مِن غَرَض إلى آخَرَ، وهو الإخبارُ بِحالِهِ وحالِهِم - ﴿عَجِبْتَ﴾ - بِفَتحِ التَّاء خِطاباً لِلنَّبيِّ ﷺ - أي: مِن تَكذِيبِهم إيَّاك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾... إلخ) المقصودُ من هذا الكلام: الردُّ على منكري البعث؛ حيث ادَّعوا أنه مستحيلٌ، وحاصل الردِّ أن يقال لهم: إنَّ استحالته التي تدَّعونها؛ إمَّا لعدمِ المادَّةِ، وهو مردودٌ بأنَّ غاية الأمر تصير الأجزاء تراباً، وهو قادرٌ على أن يُنزل عليه ماءً فيصير طيناً، وقد خلق أباكم آدمَ من طينٍ، أو لعدم القدرةِ وهو مردودٌ بأنَّ القادر على هَذه الأشياء العِظامِ من السماوات والأرض وغيرهما قادرٌ على إعادتهم ثانياً، وقدرتُهُ ذاتيَّةٌ لا تتغيَّر، فهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا...﴾ [النازعات: ٢٧] إلخ.

قوله: (﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾) أي: أقوى خِلقة، أو أصعب أو أشقُّ إيجاداً.

قوله: (﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾) قرأ العامَّة بتشديد الميم، وقرئ شذوذاً بتخفيفها(١)، وهو استفهامٌ ثانٍ، و(مَنْ): مبتدأٌ، خبره محذوفٌ دلَّ عليه ما قبله؛ أي: أشدُّ خلقاً.

قوله: (﴿لَّازِبٍ﴾) من باب: (دخَل)، وقوله: (يلصق باليد) أي: إنه لِضعفه لا قِوَامَ له بنفسه.

قوله: (المعنى: أنَّ خلقهم... إلخ) التفت المفسِّر إلى أنه توبيخٌ لهم على التكبر والعناد الذي منه إنكارُ البعثِ.

قوله: (﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾) إضرابٌ عن الأمر بالاستِفتاء، كأنه قال: لا تستفتهم فإنهم جاهِلون معاندون، ولا مَنفعة في استفتائهم، بل انظر إلى حالك وحالهم، والمقصودُ منه: تسليتُهُ ﷺ.

قوله: (بفتح التاء) أي: وبضمِّها، قراءتان سبعيَّتان، وعلى الضمِّ فالمتعجِّبُ اللهُ تعالى، ومعناه

(١) وبالتخفيف قرأ الأعمش. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٩٥).

وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ ....

﴿وَ﴾ هُم ﴿يَسْخَرُونَ﴾ مِن تَعجُّبِك.

(﴿١٣﴾ - ﴿١٧﴾) ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾: وُعِظُوا بِالقُرآنِ ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾: لا يَتَّعِظُون، ﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً﴾ كانشِقاقِ القَمَر ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾: يَستَهزِئُونَ بِها، ﴿وَقَالُوٓا﴾ فِيها: ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّن. وقالُوا مُنكِرِين لِلبَعث: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ ـ في الهَمزَتَينِ في المَوضِعَينِ التَّحقِيق وتَسهِيلُ الثَّانية، وإدخالُ أَلِف بَينَهما على الوَجهَين ـ ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ ـ بِسُكُونِ الواو عَطفاً بِـ(أو)، ....

حاشية الصاوي

في حقِّه: الغضبُ والمؤاخذةُ؛ على حدِّ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ والمعنى: يُجازيهم على تكذيبهم إياك، وقد يطلق التعجبُ في حقِّ الله تعالى على الرضا والمحبة؛ كما في الحديث: «عَجب ربُّك من شابٍّ ليس له صَبوةٌ»[1].

قوله: (﴿وَ﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ﴾ من تعجُّبك) أي: أو مِن تعجُّبي؛ أي: غضبي عليهم، ومجازاتي لهم على كفرهم.

قوله: (لا يتَّعظون) أي: لِقيام الغفلة بهم.

قوله: (﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾... إلخ) أصلُ الكلام: أنبعث إذا مِتنا وكنا تراباً وعظاماً؟ فقدَّموا الظرف وكرَّروا الهمزة، وأخَّروا العامل، وعدلوا به إلى الجملة الاسمية لِقَصد الدوام والاستمرار؛ إشعاراً بأنهم مبالغون في الإنكار.

قوله: (وإدخال ألف بينهما) أي: وتركه، فالقراءات أربع في كلِّ موضعٍ، وبقي قراءتان سبعيَّتان أيضاً: الأولى بألفين، والثانية بواحدة، والعكس، وبسطُ تلك القراءات يُعلم من كتبها[2].

---

(١) رواه أبو حفص ابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (٢٣١) عن سيدنا عقبة بن عامر ﷺ.

(٢) قرأ قالون وأبو جعفر وأبو عمرو بالتسهيل والإدخال، وورش والمكي ورويس بالتسهيل من غير إدخال، وهشام بالتحقيق مع الإدخال وتركه، والباقون بالتحقيق بلا إدخال. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٦٩).

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ١٨﴾ ....

وبِفَتحِها والهمزةُ لِلاستِفهامِ والعَطفُ بِالواوِ، والمَعطُوفُ علَيهِ مَحَلُّ (إنَّ) واسمِها، أو الضَّمِير في ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾، والفاصِل همزةُ الاستِفهام ـ.

(١٨ ـ ١٩) ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ تُبعَثُون، ﴿وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴾: صاغِرُون، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وبفتحها) أي: والقراءتان سبعيَّتان هنا وفي (الواقعة)، وتقدَّم في (الأعراف) ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ [الأعراف: ٩٨][(١)].

قوله: (للاستفهام) أي: الإنكاريِّ.

قوله: (أو الضمير في ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾) أي: على القراءة الثانية، فيكون (مبعوثون) عاملاً فيه أيضاً.

إن قُلتَ: إنَّ ما بعد همزة الاستفهام لا يعمل فيه ما قبلها، فكان الأولى أن يُجعَل مبتدأً خبرُهُ محذوفٌ، تقديره: أو آباؤنا يُبعثون؟

أجيبَ: بأنها مؤكِّدة للأولى، لا مقصودةٌ بالاستقلال، فالعبرة بتقديم المؤكَّد لا المؤكِّد[(٢)].

قوله: (والفاصل) أي: بين المعطوف عليه وهو ضمير الرفع المستتر، وبين المعطوف وهو (آباؤنا)، فتحصَّل أنه على قراءة سكون الواو يتعيَّن العطف على محل (إن) واسمها لا غير، وعلى قراءةِ فتحها: يجوز هذا الوجه، ويَجوز كونه معطوفاً على الضمير المستتر في ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾، ويكفي الفصل بهمزة الاستفهام، على حدِّ قول ابن مالك: (أو فاصلٍ ما)[(٣)].

قوله: (﴿وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴾) الجملة حاليَّة، والعامل فيها معنى (نعم)، كأنه قيل: تُبعثون والحال أنكم صاغِرُون؛ لخروجهم من قبورهم حاملين أوزارَهُم على ظهورهم.

---

(١) قرأ ابن عامر وقالون بسكون الواو على أنها (أو) العاطفة المقتضية للشك، والباقون بفتحها على أنها همزة استفهام دخلت على واو العطف. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٩٦).

(٢) فالمؤكِّد: هو الهمزة الثانية (أو آباؤنا)، والمؤكَّد هو الهمزة الأولى (أئنا)، والعبرةُ بصدارة المؤكَّد، فصحَّ عمل ما قبل المؤكِّد فيما بعده. وانظر «الفتوحات» (٣/ ٥١٠).

(٣) جزء من بيتين في جواز العطف على ضمير الرفع المتصل، قال في «خلاصته»:

وإنْ علـى ضميـر رفـعٍ مُتصـل ... عَطفتَ فافصِل بالضمير المنفَصِل

أو فاصلٍ مَّا وبِلا فصلٍ يَرِد ... في النَّظم فاشياً وضَعفَه اعتَقِد

فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ....

﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ ـ ضَمِير مُبهَم يُفسِّرهُ ـ ﴿زَجْرَةٌ﴾ أي: صَيحةٌ ﴿وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ﴾ أي: الخَلائِقُ أحياءٌ ﴿يَنظُرُونَ﴾ ما يُفعَلُ بِهم.

(﴿٢٠﴾ ـ ﴿٢٣﴾) ﴿وَقَالُوا﴾ أي: الكُفارُ: ﴿يَا﴾ ـ لِلتَّنبيه ـ ﴿وَيْلَنَا﴾: هَلاكَنا ـ وهو مَصدرٌ لا فِعلَ لَه مِن لَفظِه ـ، وتَقول لَهُم المَلائكةُ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾: أي: الحِساب والجَزاءِ، ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ بينَ الخَلائقِ، ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾، ويُقالُ لِلمَلائكةِ: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفُسَهم بِالشِّركِ ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾: قُرَناءَهُم من الشَّياطِين ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غَيره مِن الأوثانِ، ﴿فَاهْدُوهُمْ﴾: دُلُّوهُم وسُوقُوهُم ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ الْجَحِيمِ﴾: طَريقِ النار.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ﴾... إلخ) هذه الجملة جوابُ شرطٍ مقدَّر، أو تعليلٌ لنهي مقدَّر، تقديره: إذا كان الأمر كذلك فإنما هي... إلخ، أو لا تستصعِبُوه فإنما هي... إلخ.

قوله: (أي: صيحة ﴿وَٰحِدَةٌ﴾) أي: وهي النفخة الثانية.

قوله: (﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾) أي: ينتظرون.

قوله: (لا فعل له من لفظه) أي: بل معناه، وهو هلَك.

قوله: (وتقول لهم الملائكة) أشار بذلك إلى أنَّ الوقف تمَّ عند قوله: ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾، وما بعده كلامٌ مستقلٌّ، هذا أحدُ احتمالاتٍ، ويحتمل أنه من كلام بَعضهم لبعض، ويحتمل أنه من كلام الله تعالى تبكيتاً لهم، ويحتمل أنه من كلام المؤمنين لهم.

قوله: (﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾) أي: مِن مقامهم إلى الموقف، أو من الموقف إلى النار.

قوله: (قرناءهم من الشياطين) هذا أحد أقوال، وقيل: المراد بـ(أزواجهم): نساؤهم اللاتي على دينهم، وقيل: أشباههم وأخلَّاؤهم من الإنس؛ لأنَّ زوجَ الشيء يُطلَقُ على مُقارِبه ومجانسه، فيقال لمجموع فردتَي الخف: زوجٌ، ولإحداهما: زوجٌ.

قوله: (من الأوثان) أي: كالأصنام والشمس والقمر.

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۝٢٦ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٢٧ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۝٢٨﴾ ....

(٢٤ - ٢٦) ﴿وَقِفُوهُمْ﴾: احبِسُوهُم عِندَ الصِّراط، ﴿إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ عن جَمِيعِ أقوالِهِم وأفعالِهِم، ويُقال لَهُم تَوبيخاً: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾: لا يَنصُرُ بَعضكُم بَعضاً كحالِكُم في الدُّنيا؟ ويُقالُ لَهُم: ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾: مُنقادُون أذِلَّاء.

(٢٧ - ٢٨) ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾: يَتَـلاومُـون ويَتـخاصمُـون، ﴿قَالُوا﴾ أي: الأتباعُ مِنهُم لِلمَتبُوعِين: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾: عن الجِهة الَّتِي كُنَّا نَأمَنُكُم

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾) بكسر الهمزة في قراءة العامَّة على الاستئناف، وفيه معنى التعليل، وقرئ بفتحها على حذف لام العِلة، والمعنى: قِفُوهم لأجل سؤال الله إياهم.

قوله: (عن جميع أقوالهم وأفعالهم) أي: لما في الحديث: «لا تزول قدمُ ابنِ آدمَ يوم القيامةِ حتى يُسْأَلَ عن أربعٍ؛ عن شبابه فيما أبلاهُ، وعن عُمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»[1].

قوله: (ويقال لهم) أي: والقائل خزَنة جهنم.

قوله: (كحالكم في الدنيا) تشبيهٌ في المنفي.

قوله: (ويقال عنهم) أي: في شأنهم على سبيل التوبيخ.

قوله: (﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾) أي: بعضُ الكفار يوم القيامة، وهذا بمعنى ما تقدَّم في سورة (سبأ) في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ [سبأ: ٣١][2].

قوله: (يَتلاومون ويتخاصمون) أي: يَلوم بعضهم بعضاً، ويخاصم بعضهم بعضاً؛ كما قال تعالى في شأنهم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، بخلاف تَساؤل المؤمنين في الجنة، فهو شكرٌ وتحدُّثٌ بنِعَم الله عليهم.

قوله: (﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾) يُطلق على الحَلف، والجارحة المعلومة، والقُوة، والدين، والخير،

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٢) انظر (٥/ ٣٨٨-٣٨٩).

﴿قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾﴾ ....

مِنها لِحَلِفِكُم أنَّكُم على الحَقِّ، فصَدَّقناكُم واتَّبعناكُم، المَعنَى: إنَّكُم أضلَلتُمونا.

(٢٩ - ٣٠) ﴿قَالُوا﴾ أي: المُتَّبَعُون لَهُم: ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، وإنَّما يَصدُق الإضلالُ مِنَّا أن لَو كُنتُم مُؤمِنِين فرَجعتُم عن الإيمانِ إلَينا، ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾: قُوَّةٍ وقُدرةٍ تَقهَرُكُم على مُتابَعتِنا، ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾: ضالِّينَ مِثلَنا.

(٣١ - ٣٢) ﴿فَحَقَّ﴾: وجَبَ ﴿عَلَيْنَا﴾ جَمِيعاً ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾ بِالعَذابِ أي: قَولُه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، ﴿إِنَّا﴾ جَمِيعاً ﴿لَذَائِقُونَ﴾ العَذابَ بِذلك القَول، ونَشأ عنهُ قَولُهم: ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾ المُعلَّلُ بِقَولِهم: ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾.

حاشية الصاوي

والآيةُ محتملةٌ لتلك المعاني، والمفسِّرُ اختار الأول، وعليه: فـ(عن) بمعنى (من)، والمعنى: كنتم تأتُوننا من الجهة التي كنَّا نأمنكم منها، فتلك الجهة مصوَّرةٌ بحَلفكم أنكم على الحق... إلخ.

قوله: (المعنى: إنكم أضللتمونا) هذا المعنى هو المراد على جميع الاحتمالات، لا على ما قاله المفسِّر فقط.

قوله: (﴿قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾... إلخ) أجابُوا بأجوبة خمسة، آخرُهَا: ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾، والمعنى: إنكم لم تتَّصفوا بالإيمان في حالٍ من الأحوال.

قوله: (أن لو كنتم مؤمنين) أي: أن لو اتَّصفتم بالإيمان.

قوله: (فرجعتم عن الإيمان إلينا) أي: بإضلالنا وإغوائنا، كأنهم قالُوا لهم: إنَّ مَنْ آمن لا يُطيعنا؛ لثبات الإيمان في قلوبهم، فلو حصل منكم الإيمانُ.. لما أطعتُمونا.

قوله: (﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾) أي: وعيدُهُ، ومقول القول محذوفٌ، قدَّره بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾) إخبارٌ منهم عن جميع الرؤساء والأتباع بإذاقة العذاب.

قوله: (﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾) أي: تسبَّبنا لكم في الغواية من غير إكراهٍ؛ فلا ينافي ما قبله.

قوله: (﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾) أي: فأَحببنا لكم ما قام بأنفسنا؛ لأنَّ من كان متَّصفاً بصفة شنيعة يحبُّ أن يتَّصف بها غيره؛ لتهونَ المصيبةُ عليه.

فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ ....

(٣٣ - ٣٦) قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾: يومَ القيامةِ ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: لِاشتراكِهِم في الغِوايةِ. ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾: كما نَفعَل بِهؤلاءِ ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ غيرِ هؤُلاءِ، أي: نُعذِّبهُم التَّابعَ مِنهُم والمَتبُوع. ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: هَؤلاءِ بِقَرينةِ ما بعدَه ﴿كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا﴾ - في هَمزَتيهِ ما تَقدَّم - ﴿لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ أي: لأجلِ قولِ مُحمد؟

(٣٧ - ٣٩) قال تعالى: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الجائين بِه، وهو أنْ لا إلَه

حاشية الصاوي

قوله: (يوم القيامة) أي: حين التحاوُر والتخاصم.

قوله: (كما نفعله بهؤلاء) أي: عبَدة الأصنام، وقوله: (غير هؤلاء) أي: كالنصارى واليهود.

قوله: (﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾... إلخ) أي: عبَدة الأصنام.

وسبب ذلك: أن النبي ﷺ دخل على أبي طالب عند مَوته وقريشٌ مجتمعون عنده، فقال: «قولوا: لا إله إلا الله.. تملكُوا بها العربَ، وتَدِينُ لكم بها العجم»، فأبَوا وأنفوا من ذلك، وقالوا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا...﴾ [الصافات: ٣٦] إلخ[١].

قوله: (في همزتيه ما تقدَّم) أي: من التَّحقيق فيهما، وتسهيل الثانية بألفٍ ودونها، فالقراءاتُ أربعٌ[٢].

قوله: (﴿لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا﴾) من إضافة اسم الفاعل لمفعوله؛ أي: لتاركون آلهتَنا، والمعنى: لَتاركون عبادتها.

قوله: (﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾... إلخ) ردٌّ عليهم: بأنَّ ما جاء به من التوحيد حقٌّ مُوافقٌ فيه المرسلين قبله.

---

(١) الخبر عند القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٧٦)، وابن إسحاق في «المغازي والسير» (ص٢٣٦).

(٢) تقدم قريباً (٥/ ٤٨٩).

إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ ....

إلَّا الله، ﴿إِنَّكُمْ﴾ - فيه التفاتٌ - ﴿لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

(﴿٤٠﴾ - ﴿٤٧﴾) ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المُؤمنين - استثناء مُنقطِعٌ - أي: ذكر جَزاؤهم في قَوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ﴾ في الجنَّة ﴿رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ بُكرةً وعَشِيًّا؛ ﴿فَوَٰكِهُ﴾ - بَدَل أو بَيانٌ لِلرِّزق - وهو ما يُؤكَل تَلَذُّذاً لا لِحِفظِ صِحَّة؛ لِأنَّ أهلَ الجنَّة مُستَغنُونَ عن حِفظِها بِخَلقِ أجسامِهم لِلأبدِ، ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ بِثَواب الله سُبحانَه وتَعالى، ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾﴾ ...

حاشية الصاوي

قوله: (فيه التفات) أي: من الغيبة إلى الخطاب؛ زيادةً في التقبيح عليهم.

قوله: (﴿إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾) أي: فالشرُّ يكون جزاؤه بقَدْرِهِ، بخلاف الخير؛ فجزاؤه بأضعافٍ مضاعفةٍ.

قوله: (استثناء مُنقطع) أي: من الواو في ﴿تُجْزَوْنَ﴾.

قوله: (﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾) أي: عبادُ الله المخلصين[1].

قوله: (إلى آخره) أي: وهو قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾.

قوله: (﴿لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾) أي: أوقاتُهُ وصفاتُهُ؛ فلا ينافي آية ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ فالمرادُ: غيرُ مَعلوم المقدار.

قوله: (بدل) أي: كلٌّ من كلٍّ؛ لأنَّ جميع ما يؤكل في الجنة إنما هو على سَبيل التَّفكُّه والتَّلذُّذ؛ فلا فرقَ بين الرزق والفواكه.

قوله: (لا لحفظ صحة) المناسب أن يقول: (لا لحفظ بُنيةٍ).

قوله: (بخلق أجسادهم للأبد) أي: فهم يَدُومون بدوام الله، لا يَفنَون أبداً.

قوله: (﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾) أي: معظَّمون مُبجَّلون بالتحيةِ والكلامِ اللَّيِّن.

قوله: (﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾) إمَّا متعلِّقٌ بـ﴿مُّكْرَمُونَ﴾، أو خبرٌ ثانٍ، أو حالٌ.

---

(١) حلُّ معنًى لا حلُّ إعراب، وإلا.. لقال: (المخلصون).

عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ﴿٤٥﴾ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوۡلٞ

﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ لا يَرَى بَعضُهم قَفَا بعضٍ، ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم﴾ على كُلٍّ مِنهُم ﴿بِكَأۡسٖ﴾ هو الإناءُ بِشَرابِه، ﴿مِّن مَّعِينِۭ﴾ مِن خَمر يَجرِي على وجهِ الأرضِ كأنهارِ الماء، ﴿بَيۡضَآءَ﴾ أشَدَّ بَياضاً مِن اللَّبَن، ﴿لَذَّةٖ﴾: لَذِيذةٍ ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾، بِخِلافِ خَمرِ الدُّنيا فإنَّها كرِيهةٌ عِند الشُّرب، ﴿لَا فِيهَا غَوۡلٞ﴾: ما يَغتالُ عُقُولَهم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عَلَىٰ سُرُرٖ﴾) قال ابن عباس: على سُررٍ مكلَّلة بالدُّرِّ والياقوت والزبرجد، والسرير: ما بين صنعاء إلى الجابية، وما بين عدن إلى إيلياء[1].

قوله: (﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾) أي: تواصلاً وتحاباً، وقيل: الأسرَّة تدور كيف شاؤوا؛ فلا يَرى أحدٌ قفا أحدٍ.

قوله: (﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم﴾) أي: والطَّائفُ الولدانُ كما في آية: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ﴾ [الواقعة: ١٧-١٨].

قوله: (هو الإناء بشرابه) أي: فإن لم يَكن فيه شرابٌ.. فإنه يسمَّى قَدحاً، ويطلق الكأس على الخمر نفسه، من باب: تسميةِ الشيء باسم محلِّه.

قوله: (﴿مِّن مَّعِينِۭ﴾) أي: ظاهرٍ لِلعيون، أو خارجٍ من العيون، فعلى الأول: اسم مفعول كـ: (مبيع)، وعلى الثاني: اسم فاعل من: (عان) بمعنى: (نبَع)، وُصِفَ به خمرُ الجنة؛ لأنه يجري كالماء النابع.

قوله: (﴿بَيۡضَآءَ﴾) إمَّا صفة لـ(كأس) أو لِلخمر.

قوله: (﴿لَذَّةٖ﴾) إمَّا صفة مشبهة كـ: (صَعب) و(سَهْل)، فتكون مشتقةً، فالوصف بها ظاهرٌ، أو مصدرٌ فالوصف بها مبالغة، أو على حذف مضاف؛ أي: ذاتِ لذَّةٍ.

قوله: (ما يغتال عقولهم) أي: يُفسدها، وقيل: الغول: صُداع في الرأس، وعليه: فيكون ما بعده تأسيساً.

(١) انظر «زاد المسير» (٢/٥٣٦).

وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ ....

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ ـ بِفَتحِ الزَّاي وكَسرِها، مِن (نُزِفَ الشَّارِبُ، وأنزَفَ) ـ أي: يَسكَرُون، بِخِلافِ خَمرِ الدُّنيا.

(﴿٤٨﴾ - ﴿٤٩﴾) ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: حابِساتُ الأعيُنِ على أزواجِهِنَّ لا يَنظُرنَ إلى غَيرِهِم لِحُسنِهِم عِندَهُنَّ، ﴿عِينٌ﴾: ضِخامُ الأعيُنِ حِسانُها، ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ في اللَّون ﴿بَيْضٌ﴾ لِلنَّعامِ ﴿مَّكْنُونٌ﴾: مَستُورٌ بِرِيشِه لا يَصِل إلَيهِ غُبارٌ، ولَونُه ـ وهو البَياضُ في صُفرةٍ ـ أحسَنُ ألوانِ النِّساء.

(﴿٥٠﴾ - ﴿٥٣﴾) ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾: بَعضُ أهلِ الجنَّة ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ عمَّا مَرَّ بِهِم في الدُّنيا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾) (عن): سببيَّة؛ أي: ولا هم يُنزفون بسببها.

قوله: (بفتح الزاي) أي: مع ضمِّ الياء، فهو مبني للمفعول، وقوله: (وكسرها) أي: مع ضمِّ الياء أيضاً، فهو مبني للفاعل، قراءتان سبعيَّتان، وقرئ شذوذاً بالفتح والكسر، وبالفتح والضمِّ[1].

قوله: (من: نزف الشارب... إلخ) أي: فهو مأخوذ من الثلاثي أو الرباعي، والقِراءتان السبعيَّتان على مقتضى أخذِه من الرباعي، فتدبَّر[2].

قوله: (﴿عِينٌ﴾) جمع عَيْناء، وهي الواسعة العين اتساعاً غيرَ مُفرط، بل مع الحسن والجمال.

قوله: (﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾) شُبِّهن هنا ببَيْض النَّعام، وفي سورة (الواقعة) كاللؤلؤ المكنون لِصفائه وكَوْنِ بياضه مشوباً ببعض صُفرةٍ مع لمعان؛ لأنَّ هذه الأوصاف جمال أهل الجنة.

قوله: (عمَّا مرَّ بهم في الدنيا) أي: مِن الفضائل والمعارف، وما عَمِلوه في الدنيا.

قوله: (﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾) أي: من أهل الجنة لإخوانه في الجنة، وهذا مِن جملة ما يتحدَّثون به.

---

(١) قرأ الأخوان بضم الياء وكسر الزاي، والباقون بضم الياء وفتح الزاي، وابن أبي إسحاق بالفتح والكسر، وطلحة بالفتح والضم. انظر «الدر المصون» (٩/ ٣٠٥).

(٢) عبارة الجمل عن شيخه العلامة الأجهوري: (وقوله: «نزف الشارب» بالبناء للمفعول راجعٌ للأول، وقوله: «وأنزف» راجع للثاني). «فتوحات» (٣/ ٥٦٨).

قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ ....

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾: صاحبٌ يُنكِرُ البَعث، ﴿يَقُولُ﴾ لي تَبكِيتاً: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ بِالبَعثِ؟ ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا﴾ - في الهَمزتَينِ في الثَّلاثة مَواضِع ما تَقدَّم - ﴿لَمَدِينُونَ﴾: مَجزِيُّون ومُحاسَبُون؟ أنكرَ ذلك أيضاً.

(﴿٥٤﴾ - ﴿٥٧﴾) ﴿قَالَ﴾ ذلك القائِلُ لإخوانِه: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ مَعِي إلى النَّار لِنَنظُرَ حالَه؟ فيَقُولُون: لا، ﴿فَٱطَّلَعَ﴾ ذلك القائِلُ مِن بَعض كُوَى الجنَّة ﴿فَرَءَاهُ﴾ أي: رَأى قَرِينَه ﴿فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾: في وسَط النَّار، ﴿قَالَ﴾ لَهُ تَشمِيتاً: ﴿تَٱللَّهِ إِن﴾ - مُخفَّفة مِن الثَّقيلةِ - ﴿كِدتَّ﴾: قارَبتَ ﴿لَتُرْدِينِ﴾: لَتُهلِكُني بإغوائِك، ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ أي: إنعامُه علَيَّ بالإيمانِ ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ مَعَك في النَّار. ويَقُول أهلُ الجنَّة:

حاشية الصاوي

قوله: (تبكيتاً) أي: توبيخاً على عدم إنكار البعث.

قوله: (ما تقدَّم) أي: من القراءات الأربع، وهي تحقيقُ الهمزتين وتسهيل الثانية بإدخال ألف وتركه[1].

قوله: (مجزيُّون) أي: فهو من الدَّيْن بمعنى: الجزاء.

قوله: (أنكر ذلك) أي: الجزاء والحساب، وقوله: (أيضاً) أي: كما أنكر البعث.

قوله: (لإخوانه) أي: من أهل الجنة.

قوله: (من بعض كُوَى الجنة) بضم الكاف مع القصر، وبكسرها مع القصر والمد، جمع (كَوَّة) بفتح الكاف وضمِّها؛ أي: طبقاتها.

قوله: (تشميتاً) أي: فرحاً بمصيبته؛ لأنَّ الله نزع رَحمة الكفار من قُلوب المؤمنين.

قوله: (مخففة من الثقيلة) أي: واللام فارقة، ويصح أن تكون نافية واللام بمعنى (إلا)، وعلى كلٍّ فهي جواب القسم.

---

(١) انظر (٥/٤٨٩).

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ ....

(﴿٥٨﴾ - ﴿٥٩﴾) ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ﴾ التي في الدُّنيا، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ هو استِفهام تَلَذُّذ وتَحدُّث بِنعمةِ الله تَعالى، مِن تَأبيد الحَياة وعَدَم التَّعذيبِ.

(﴿٦٠﴾ - ﴿٦١﴾) ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ذكَرتُ لأهلِ الجنَّة ﴿لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ قِيل: يُقال لَهُم ذلك، وقِيل: هُم يَقُولُونَه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، تقديره: أنحن مخلَّدون مُنعَّمون فما نحن بميِّتين... إلخ؟.

قوله: (﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ﴾) ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، و﴿مَوْتَتَنَا﴾: مَنصوب على المصدر، والعامل فيه قوله: (مَيتين)، ويكون استثناء مفرغاً، وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦].

قوله: (هو استفهام تلذذ) أي: فهو من كلام بَعضهم لبعض، وقيل: من كلام المؤمنين للملائكة حين يُذبح الموت ويقال: «يا أهل الجنة؛ خُلودٌ بلا موت، ويا أهل النار؛ خلودٌ بلا موت»[(١)].

قوله: (من تأبيد الحياة... إلخ) لفٌّ ونشرٌ مرتَّبٌ.

قوله: (الذي ذُكِرَ لأهل الجنة) أي: من قوله: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾) أي: لا للحظوظ الدنيويَّة الفانية التي تَزول ولا تبقى.

قوله: (﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾) أي: ليَجتهد المجتهدون في الأعمال الصالحة؛ فإنَّ جزاءها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ، فإذا كان كذلك.. فلو أفنى الإنسان عُمره في خدمة ربِّه ولم يَشتغل بشيء سواها.. لكان ذلك قليلاً بالنسبة لما يَلقاه من النعيم الدائم، جعلنا الله من أهله بمنِّه وكرمه.

قوله: (قيل: يقال لهم ذلك) أي: ما ذكر من الجملتين من قِبَلِ الله تعالى، وقوله: (وقيل: هم يقولونه) أي: يقولُ بعضهم لبعض، ويُبْعِدُ كلًّا من الاحتمالين قولُهُ: ﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾؛ فإنَّ العمل والترغيب فيه إنما يكون في الدنيا، فالأولى أنه جملةٌ مستأنفةٌ من كلام الله تعالى؛ ترغيباً للمكلَّفين

---

(١) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري ﷺ.

أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ ....

﴿٦٢﴾ ﴿أَذَٰلِكَ﴾ المَذكُور لَهُم ﴿خَيۡرٞ نُّزُلًا﴾ وهو ما يُعَدُّ لِلنَّازِل مِن ضَيف وغَيرِه، ﴿أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ المُعَدَّة لِأهلِ النَّار، وهي مِن أخبَث الشَّجَر المُرِّ بِتِهامة، يُنبِتُها الله في الجَحِيم كما سيَأتي.

(﴿٦٣﴾ - ﴿٦٥﴾) ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا﴾ بِذَلك ﴿فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الكافِرِين مِن أهلِ مكَّةَ؛ إذ قالُوا: النَّار تُحرِقُ الشَّجَر فكيفَ تُنبِتُهُ؟ ....

حاشية الصاوي

في عمل الصالحات.

قوله: (﴿أَذَٰلِكَ﴾) معمول لمحذوف تقديره: قُل يا محمد لقومك على سَبيل التوبيخ والتبكيت: أذلك خيرٌ... إلخ؟.

قوله: (المذكور لهم) أي: لأهل الجنة مِن قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿نُّزُلًا﴾) تمييز لـ﴿خَيۡرٞ﴾، وقوله: (﴿أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾) ﴿أَمۡ﴾: حرفُ عطف، ﴿شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾: مَعطوف على اسم الإشارة، وهو مبتدأ حُذِفَ خبرُهُ لدلالة ما قبله عليه، والتقدير: أم شجرة الزقوم خيرٌ نزلاً؟ والتعبيرُ بـ(خير) و(نزلاً) تهكُّمٌ بهم، ولِلمشاكلة.

قوله: (من ضيف وغيره) الضَّيف: مَنْ يأتي بدعوة، وغيره: مَنْ يأتي زائراً للمحبة والأُلفة، وربما كان أعزَّ من الضَّيف.

قوله: (﴿أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾) من التزقم، وهو: البَلع بشدة وإكراهٍ لِلأشياء الكريهة، سمِّيت بذلك؛ لأنَّ أهل النار يُكْرَهُون على الأكل منها، وهي شجرةٌ مَسمومةٌ متى مسَّتْ جسد أحدٍ.. تَورَّم فمات، وهي خبيثةٌ مُرَّةٌ كريهة الطَّعم.

قوله: (وهي من أخبث الشجر) أي: وهي صغيرةُ الورق مُنتِنةٌ.

قوله: (﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا﴾ بذلك) أي: بسبب إخبار الله تعالى بذلك.

قوله: (﴿فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ﴾) أي: امتحاناً واختباراً؛ هل يُصدِّقون أم لا؟

قوله: (إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تُنبِتُهُ؟!) أي: ولم يَعلموا أنَّ القادر لا يُعجزه شيءٌ.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ۝٦٥ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ۝٦٧ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ۝٦٨﴾ ....

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي: قَعرِ جهنَّم، وأغصانُها ترتَفِع إلى دَرَكاتِها، ﴿طَلْعُهَا﴾ المُشبَّهُ بِطَلعِ النَّخل ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾: الحَيَّاتِ القَبِيحة المَنظَر.

(۝٦٦ - ۝٦٨) ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي: الكُفَّار ﴿لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾ مَع قُبحِها لِشِدَّة جُوعِهم، ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي: ماءٍ حارٍّ يَشرَبُونهُ فيَختَلِط بِالمَأكُولِ مِنها، فيَصِير شَوباً له، ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾) أي: تَنبت في أسفلها.

قوله: (إلى دركاتها) أي: منازلها، وذلك نظير شَجرة طوبى لأهل الجنة؛ فإنَّ أصلها في علِّيين، وما من بيتٍ في الجنة إلا وفيه غصنٌ منها.

قوله: (﴿طَلْعُهَا﴾) الطلعُ في الأصل: اسمٌ لثمر النخل أوَّلَ بُروزه، فتسميتُهُ طلعاً تهكُّمٌ بهم.

قوله: (أي: الحيَّاتِ القبيحةِ المنظر) أي: ووجه الشَّبه: الشناعةُ والسَّمُّ في كلٍّ، وما مشى عليه المفسِّرُ أحدُ أقوال ثلاثة، وقيل: شبَّه طلعُها برؤوس الشياطين، ووجهُ الشَّبه: القباحة ونُفور النفس من كلٍّ، لكن يرد عليه: أنه تشبيهٌ بغير معلوم للمخاطبين، وأجيبَ: بأنَّ الشيطان وإن كان غيرَ معلومٍ في الخارج فهو معروفٌ في الأذهان والخيالات؛ كالغول فإنه مرسومٌ في خيال كلِّ أحدٍ بصورة قبيحةٍ، وقيل: الشياطين شجرٌ في البادية معروفٌ للمخاطبين.

قوله: (لشدة جُوعهم) أي: ولِقهرهم على الأكل منها زيادةً في عذابهم.

قوله: (﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾) أي: على ما يأكلون منها إذا شبعوا وغلبهم العطش.

قوله: (﴿لَشَوْبًا﴾) بفتح الشين هي قراءة العامَّة، مصدرٌ على أصله، وقرئ شذوذاً بضمِّ الشين، اسم بمعنى: المشوب[1].

---

(١) وبها قرأ شيبان النحوي كما في «المحتسب» لابن جني (٢/ ٢٢٠).

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ ۝٦٩ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ۝٧٠ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٧١ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۝٧٢﴾ ....

يُفِيد أنَّهُم يَخرُجُون مِنها لِشُربِ الحَمِيم، وأنَّه خارِجَها.

(٦٩ - ٧١) ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا﴾: وَجَـــدُوا ﴿ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ ۝٦٩ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾: يُزعَجُون إلى اتِّباعِهم فيُسرِعُون إلَيه، ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ مِن الأُمَم الماضِيَة.

(٧٢ - ٧٤) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾ مِن الرُّسُل مُخَوِّفِين، ....

حاشية الصاوي

قوله: (يفيد أنهم يخرجون منها) هذا أحدُ قولين[1]، والآخر وهو قول الجمهور: أنهم لا يخرجون أصلاً؛ لِقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧]، وحينئذٍ فالمعنى: أنه ينوِّع عذابُهُم وهم في النار؛ فتارةً يكون عذابهم بأكل الزقوم، وتارةً بأكل الحميم، وتارةً بالزمهرير وغير ذلك من أنواع العذاب، فإذا كانوا مشغولين بأكل الزقوم وفَرغوا منه.. يردُّوا إلى الاشتغال بعذابٍ غيره والحال أنهم في النار لا يخرجون منها.

ويمكن التوفيق بين القولين: بأن يُحملَ القولُ بأنه خارجها على أنه في محل خارج عن المحل الذي يعذَّبون فيه، وليس المراد: أنه خارجُ النَّار بالكليَّة؛ لِمُعارضته صريحَ النص، فيخرجون إلى ذلك المحل للأكل والشرب ثمّ يُرَدُّون إلى محل العذاب الذي كانوا فيه أوَّلاً.

قوله: (﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَاءَهُمْ﴾) هذا تعليلٌ لاستحقاقهم العذاب، والمعنى: أنَّ سبب استحقاقهم للعذاب تقليدُ آبائهم في الضلال من غير شيءٍ يتمسَّكون به سوى التقليد.

قوله: (﴿يُهْرَعُونَ﴾)[2] أي: من غير تأمُّلٍ ولا تدبُّرٍ.

قوله: (﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾... إلخ) اللام فيه وفيما بعده: مُوطئة لقسم محذوف[3]، وكلٌّ من الجملتين سِيق لتسليته ﷺ.

---

(١) وقد تبع فيه الجلال السيوطي في تفسير سورة (الأنعام) شيخَه الجلال المحليَّ هنا؛ كما نبَّه المصنف (٢/٤٥٦)، وتقدم مُوافقته في «الدر المنثور» للجمهور.

(٢) والإهراع: الإسراع الشديد كأنهم يزعجون ويحثون حثًّا على الإسراع على آثارهم، وذلك الإهراع والإتْباع في الدنيا، فتعلم منه أن عبارة المفسِّر، وهي قوله: (يزعجون... إلخ) فيها نوعُ قلب. «فتوحات» (٣/٥٦٨).

(٣) اللام واقعة في جواب قَسم محذوف، وانظر ما تقدم عن اللام الموطئة (١/٢٢٨).

فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ الكافِرين، أي: عاقِبَتُهم العذابُ، ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المُؤمِنِين؛ فإنَّهم نَجَوا مِن العَذاب لِإخلاصِهِم في العِبادةِ، أو لِأنَّ الله أخلَصَهُم لَها على قِراءةِ فَتح اللَّام.

(٧٥ - ٧٧) ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾ بِقولِه: رَبِّ إني مَغلوبٌ فانتَصِرْ، ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ له نَحنُ، أي: دَعانا على قَومِه فأهلَكناهُم بِالغَرق، ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: الغَرَقِ، ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ فالنَّاسُ كُلُّهم مِن نَسلِه علَيهِ السَّلام، وكان

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَانظُرْ﴾) خطاب للنبي، أو لكلِّ مَنْ يتأتَّى منه النظر.

قوله: (﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾) استثناءٌ منقطعٌ؛ لأنَّ ما قبله وعيدٌ وهم لم يَدخلوا فيه.

قوله: (لإخلاصهم في العبادة) أي: على قراءة كسر اللام.

قوله: (على قراءة فتح اللام) أي: والقراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾) شروعٌ في تفصيل ما أجمله في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾، وقد ذكر في هذه السورة سبعَ قصص: قصة نوح، وقصة إبراهيم، وقصة الذبيح، وقصة موسى وهارون، وقصة إلياس، وقصة لوط، وقصة يونس، وذلك تسليةً له ﷺ، وتحذيراً لمن كفر من أُمَّته.

قوله: (رَبِّ إني مَغلوبٌ) أي: مقهورٌ، وقوله: (فانتَصِرْ) أي: انتقم منهم.

قوله: (﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾) الواو: للتعظيم، وقوله: (نحن) هو المخصوص بالمدح.

قوله: (﴿وَأَهْلَهُ﴾) أي: مَنْ آمن به، ومنهم زوجتُهُ المؤمنةُ وأولادُهُ الثلاثة وزوجاتُهُم[2].

قوله: (فالناس كلُّهم من نسلِهِ) هذا هو المعتمَد، وقيل: كان لغير ولد نوح أيضاً نسلٌ.

---

(١) قرأ بفتح اللام المدنيان والكوفيون، وبكسرها غيرهم. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٦٩).

(٢) وفي «القرطبي»: (وأهله) يعني: أهل دينه، وهم مَن آمن معه، وكانوا ثمانين على ما تقدم، وما ذكره المصنف منقول عن الشيخ الأجهوري. انظر «الفتوحات» (٣/ ٥٦٨).

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ۝٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٠﴾ ......

لَهُ ثَلاثةُ أولادٍ: سام وهو أبُو العَرَب وفارِس والرُّوم، وحام وهو أبُو السُّودانِ، ويافِث وهو أبُو التُّركِ والخَزر ويَأجُوج ومَأجُوج وما هُنالِك.

(﴿٧٨﴾ - ﴿٨٢﴾) ﴿وَتَرَكْنَا﴾: أبقَينا ﴿عَلَيْهِ﴾ ثَناءً حَسَناً ﴿فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ مِن الأنبياءِ والأُمَم إلى يَوم القِيامةِ، ﴿سَلَٰمٌ﴾ مِنَّا ﴿عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾: كما جزَيناهُ ﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٠﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (سام... إلخ) الثلاثة بمنع الصرف؛ للعَلَمية والعجمة، و(فارسَ) كذلك للعلمية والتأنيث؛ لأنه علمٌ على قبيلة.

قوله: (والخَزَر) بفتح الخاء والزاي بعدهما راءٌ مهملةٌ، هكذا في النسخ الصحيحة وهو الصواب، وفي بعض النسخ: (والخزرج)، وهو تحريف فاحش؛ لأنَّ الخزرج من جملة العرب، والخَزَرُ: صنفٌ من الترك صغار الأعين، يعرفون الآن بالططر.

قوله: (وما هنالك)[1] أي: وهم قومٌ عند يأجوج ومأجوج إذا طَلعت عليهم الشمس دَخلوا في أسراب لهم تحت الأرض، فإذا زالت عنهم خرجوا إلى مَعايشهم وحُروثهم، وقيل: هم قوم عراة يفرش بعضهم إحدى أذنيه، ويَلتحف بالأخرى.

قوله: (ثناءً حسناً) قدَّره؛ إشارةً إلى أن مفعول (تركنا) محذوف، وقوله: (﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾) كلامٌ مستقلٌّ، إنشاءُ ثناءٍ من الله تعالى على نوح، فالأول ثناء الخلق، والثاني ثناء الخالق، وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال: «مَن قال حين يمسي: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.. لم تَلدغه عقرب»[2].

قوله: (﴿فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) متعلِّق بما تعلَّق به الجارُّ قبله، والمراد بـ(العالمين): الملائكة والثقلان.

قوله: (﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾) تعليلٌ لما فُعِلَ بنوح من الكرامة في إجابة دعائه، وإبقاء ذرِّيته وذكرِه الجميل، وتسليمِ الله عليه في العالمين؛ أي: فهذا الجزاء سنَّتُنا في كلِّ من اتَّصف بالإحسان كنوح.

---

(١) نقل العلامة الجَمل عن العلامة القاري أنهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾. «فتوحات» (٣/ ٥٦٨).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٢٥٦) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه.

إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ

إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ كُفَّارَ قومِه.

﴿٨٣﴾ ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي: مِمَّن تابَعَهُ في أصلِ الدِّين ﴿لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ وإن طالَ الزَّمانُ بَينَهما، وهو ألفانِ وستُّمائةٍ وأربَعُون سَنةً، وكان بَينهما هودٌ وصالِح.

(﴿٨٤﴾ - ﴿٨٧﴾) ﴿إِذْ جَآءَ﴾ أي: تابَعَهُ وقتَ مَجيئِه ﴿رَبَّهُۥ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾) عِلة لكونه محسناً، وفيه إجلالٌ لشأن الإيمان، وإظهارٌ لفضله، وترغيبٌ في تَحصيله والثبات عليه والازدياد منه.

قوله: (﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾) معطوف على ﴿نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ فالترتيبُ حقيقيٌّ؛ لأنَّ نجاتهم بركوب السفينة حصَلت قبل غرق الباقين، فتدبَّر.

قوله: (﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾... إلخ) عطف على قوله: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ عطف قصة على قصة.

قوله: (أي: ممن تبعه... إلخ) أي: فالشيعةُ: الأتباعُ والحزبُ.

قوله: (في أصل الدِّين) أي: وإن اختلفت فُروع شرائعهما، فالاتباعُ في أصول الدين وهو التوحيد، لا في الفروع كالصلاة مثلاً.

قوله: (وإن طال الزمن) الجملة حاليَّة، والمعنى: أنه مِن أتباعه وعلى ملَّته والحالُ أنَّ الزمان طال بينهما، فطولُ المدَّة لم تُنسِه العهد.

قوله: (وهو ألفان... إلخ) هذا أحد قولين، والآخر: أنَّ بينهما ألف سنة ومئة واثنتان وأربعون سنةً[1].

قوله: (وكان بينهما هود وصالح) أي: وكان قبل نوح ثلاثة: إدريس، وشيث، وآدم، فجملةُ مَنْ قبل إبراهيم من الأنبياء ستَّةٌ.

قوله: (﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ﴾... إلخ) معنى مجيئه: توجُّهُه بقلبه مخلصاً لربِّه، وفي الكلام استعارةٌ تبعيَّةٌ تقديرها أن تقول: شبَّه إقباله على ربِّه مخلصاً له قلبَهُ بمجيئه بتحفةٍ جميلةٍ، والجامعُ بينهما: طلبُ الفوز بالرضا، واشتق من المجيء (جاء) بمعنى: أقبل بقلبه.

قوله: (أي: تابعه وقت مجيئه) أشار بذلك إلى أن الظرف متعلِّقٌ بمحذوفٍ دلَّ عليه قوله:

(١) كذا في (أ) بالرفع على أن اسم (أنَّ) ضمير الشأن، وخبرها الجملة بعدها، وفي (ط٢) بالنصب وهي ظاهرة.

بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ ....

﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ مِن الشَّكِّ وغَيرِه، ﴿إِذْ قَالَ﴾ في هذِه الحالةِ المُستَمِرَّة لَه ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ مُوَبِّخاً: ﴿مَاذَا﴾: ما الَّذي ﴿تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا﴾ - في هَمزتَيهِ ما تَقدَّم - ﴿ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾؟ - و(إفكاً) مَفعُول لَه، و﴿ءَالِهَةً﴾ مَفعُول بِه لـ﴿تُرِيدُونَ﴾ -، والإفكُ: أسوَأ الكَذِب، أي: أتَعبُدُونَ غَيرَ الله؟ ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ....

حاشية الصاوي

﴿شِيعَتِهِۦ﴾، ويصح جعله متعلِّقاً بـ﴿شِيعَتِهِۦ﴾؛ لما فيها من مَعنى المشايعة[١]، لكن فيه أنه يلزم عليه الفصلُ بينه وبين معموله بأجنبيٍّ، وهو قوله: ﴿لَإِبْرَٰهِيمَ﴾، وأيضاً: يلزم عليه عمل ما قبل اللام الابتدائية فيما بعدها، وأجيبَ: بأنه يتوسع في الظروف ما لا يتوسع في غيرها[٢].

قوله: (من الشك وغيره) أي: من الآفات والعلائق التي تشغل القلب عن شهود الربِّ تعالى.

قوله: (﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾) تقدَّم الخلافُ في كونِه أباه حقيقةً، أو عمَّه وإنما عبَّر بالأب لأنَّ العمَّ أبٌ[٣]، والمراد بـ(قومه): النمروذُ وجماعتُه.

قوله: (في همزتيه ما تقدَّم) أي: وهو تحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بألف بينهما وتركها[٤].

قوله: (و«إفكاً» مفعول له) أي: وقدِّم على المفعول به؛ لأجل التقبيح عليهم بِأنهم على إفكٍ وباطلٍ[٥].

قوله: (أي: أتعبدون غير الله؟) كان عليه أن يزيد قوله: (لأجل الإفك)؛ ليوفي بالمفعول لأجله.

---

(١) في (أ): المشابهة، والمثبت من (ط٢).

(٢) وبأنه يجوز أن يكون المراد: تعلُّقَ معنًى، وكثيراً ما يَجري ذلك في كلامهم، ويكون التعلق اللفظي بـ(شيعته) المقدَّرِ بعد اسم (إنَّ) على الاستئناف، كأنه سُئل: متى شايعه؟ فقيل: شايعه إذ جاء ربَّه... إلخ. «فتوحات» (٣/ ٥٦٩) نقلاً عن العلامة الكرخي.

(٣) انظر (٢/ ٣٩٥).

(٤) انظر (٥/ ٤٨٩).

(٥) ويجوز أن يكون (إفكاً) مفعولاً به، وآلهةً: بدل منه على أنها إفكٌ في نفسها للمبالغة، أو المراد بها عبادتها بحذف المضاف، أو حالاً بمعنى: آفكين. انظر «تفسير البيضاوي» (٥/ ١٣).

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ ......

إذ عَبَدتُم غَيرَه أنَّهُ يَترُكُكُم بِلا عِقابٍ؟ لا، وكانُوا نَجَّامِين فخَرَجُوا إلى عِيد لَهُم وتَرَكُوا طَعامَهُم عِندَ أصنامِهِم، زَعَمُوا التَّبَرُّك علَيهِ، فإذا رَجَعُوا أكَلُوهُ، وقالُوا لِلسَّيِّدِ إبراهِيم: اخرُج مَعَنا.

(﴿٨٨﴾ - ﴿٩٣﴾) ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾ إيهاماً لَهُم أنَّهُ يَعتَمِد علَيها لِيَعتَمِدُوه، ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾: عَلِيلٌ، أي: سَأسقَمُ، ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ إلى عِيدِهِم ﴿مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ﴾: مالَ في خُفيَةٍ ﴿إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ وهي الأصنامُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (إذ عبدتم غيره) أي: وقتَ عبادتِكُم غيرَهُ.

قوله: (أنه يترككم بلا عقاب) معمول للظنِّ، والمعنى: أيُّ سَببٍ حملكم على ظنِّكم أنه تعالى يترككم بلا عقابٍ حين عَبدتُّم غيره؟ وأشار بقوله: (لا) إلى أنَّ الاستفهام إنكاري بمعنى النفي؛ أي: ليس لكم سببٌ ولا عذرٌ يَحملكم على الظنِّ المذكورِ، وإذا انتفى السبب انتفى المسبَّب بالأولى.

قوله: (وكانوا نجّامين) ذكر هذا توطئةً لقوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾.

قوله: (فخرجوا إلى عيد لهم) أي: وكانوا في قرية بين البصرة والكوفة يقال لها: هرمز.

قوله: (زعموا التبرك عليه) أي: أنها تنزل عليه البركة.

قوله: (﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾) أي: في عِلم النجوم متفكّراً في أمرٍ يعذرونه بسببه فيَتركونه[1].

قوله: (أي: سأسقم) جوابٌ عمَّا يقال: كيف قال: إني سقيمٌ والحال أنه لم يكن سقيماً؟ وأجيب أيضاً: بأنَّ المعنى: سقيمُ القلبِ من عبادتكم ما لا يضرُّ ولا ينفعُ، وقد أشار بقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ إلى سقمٍ مخصوصٍ وهو الطاعون، وكان الطاعونُ أغلبَ الأسقام عليهم، وكانوا يَخافون منه العدوى، فتفرَّقوا عن إبراهيم خوفاً منها، فهربوا إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام.

قوله: (وهي الأصنام) أي: وكانت اثنين وسبعين صنماً، بعضُها من حجر، وبعضها من خشب، وبعضها من ذهب، وبعضها من فضة، وبعضها من نحاس، وبعضها من حديد، وبعضها من رصاص، وكان كبيرُها من ذهبٍ ومكلَّلاً بالجواهر، وكان في عينَيه ياقوتتان تتَّقدان نوراً.

---

(١) وقالوا: علم النجوم كان حقًّا ثم نسخ الاشتغال بمعرفته، ونقل العلامة الجمل في «فتوحاته» (٣/ ٥٧٠) أقوالاً في وقت نسخه وسببه.

فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ....

وعِندَها الطَّعامُ، ﴿فَقَالَ﴾ استِهزاءً: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟ فلَم يَنطِقُوا، فقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾؟ فلَم يُجَب، ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ بالقُوَّة، فكَسَرَها، فبَلَغ قَومَه مِمَّن رَآهُ.

(﴿٩٤﴾ - ﴿٩٦﴾) ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ أي: يُسرِعُون المَشيَ، فقالُوا لَه: نَحنُ نَعبُدُها وأنتَ تَكسِرُها؟! ﴿قَالَ﴾ لَهُم مُوَبِّخاً: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ مِن الحِجارةِ وغَيرِها أصناماً ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ مِن نَحتِكُم ومَنحُوتِكُم؟! فاعبُدُوهُ وحدَه، و(ما) مَصدرِيَّة، وقِيل: مَوصُولة، وقِيل: مَوصُوفة.

حاشية الصاوي

قوله: (وعندها الطعام) الجملة حاليَّة.

قوله: (فقال استهزاءً بهم) إن قلتَ: أيُّ فائدة في خطاب ما لا يعقل؟

أجيبَ: بأنه لعلَّ عنده مَنْ يسمع كلامَه من خَدَمَتِهَا أو غيرهم.

قوله: (﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾) أي: مال في خفيةٍ، من قولهم: راغ الثعلبُ روَغَاناً: تردَّدَ وأخذ الشيء خُفيةً.

قوله: (بالقوة) أي: القدرة.

قوله: (﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ﴾) مرتَّبٌ على محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (فبلغ قومه... إلخ).

قوله: (﴿يَزِفُّونَ﴾) بكسر الزاي مع فتح الياء وضمِّها، قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (فقالوا: نحن نعبدها... إلخ) أي: بعد أن سَألوه وأجابهم، فلمَّا تحققوا أنه هو الذي كسرها.. قالوا: نحن نعبدها... إلخ، وقد تقدَّم بسط ذلك في (الأنبياء)[2].

قوله: (موبخاً) أي: على ما وقع منهم؛ حيث يأتون للخشب مثلاً فيَصنعون منه صورةً ويتَّخذونها إلهاً مع أنها قبل ذلك لم تكن معبودةً لهم، ولا تَضرُّ ولا تنفع.

قوله: (و«ما»: مصدرية... إلخ) ذكر فيها ثلاثة أوجه، وبقي اثنان: كونها استفهاميَّةً، والمعنى: وأيَّ شيء تعملونه؟ وكونها نافيةً، والمعنى: ليس العمل في الحقيقة لكم، وإنما هو لله تعالى.

---

(١) قرأ حمزة: «يزفون» بضم الياء، من: (أزف) أي: دخل في الزفيف وهو الإسراع، وباقي السبعة بفتح الياء، من: (زفَّ الظليم) أي: عدا بسرعة، وأصل الزفيف للنعام. انظر «الدر المصون» (٩/ ٣٢٠).

(٢) انظر (٤/٣٣٨-٣٤٠).

قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ....

(﴿٩٧﴾ - ﴿٩٨﴾) ﴿قَالُوا﴾ بينهم: ﴿ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ فاملؤوه حطباً وأضرموه بالنَّار، فإذا التهب ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾: النَّار الشَّديدة، ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ بإلقائه في النَّار لتُهلِكَهُ، ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾: المَقهورين، فخرَجَ مِن النَّار سالِماً.

(﴿٩٩﴾ - ﴿١٠٠﴾) ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾: مُهاجر إليهِ من دارِ الكُفر، ﴿سَيَهْدِينِ﴾ إلى حَيثُ أمَرَني رَبِّي بالمَصيرِ إليهِ، وهو الشَّام، فلَمَّا وصَلَ إلى الأرض المُقدَّسة قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ ولَداً ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٠٠﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بُنْيَانًا﴾) قيل: بنَوا له حائطاً من الحجر، طوله في السماء ثلاثون ذراعاً، وعرضه عِشرون ذراعاً، وملؤوه من الحطب، وأوقدوا عليه النار، ثمّ تحيَّروا في كيفية رَميه، فعلَّمهم إبليس المنجنيق، فصنعوه ووضعُوه فيه ورمَوه فيها، فصارت عليه برداً وسلاماً.

قوله: (فأضْرِمُوا فيه النَّار) أي: أوْقِدُوهَا.

قوله: (النَّارِ الشَّديدةِ) أي: فكلُّ نارٍ بعضُها فوق بعضٍ تسمَّى جحيماً، من: الجَحْمَةِ، وهي شدَّةُ التأجُّج.

قوله: (المقهورين) أي: بإبطال كيدِهم؛ حيث جُعِلَتْ عليه برداً وسلاماً.

قوله: (﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ﴾... إلخ) عطف على محذوف، قدَّره بقوله: (فخرج... إلخ)، والمعنى: أنه لما خرج من النار سالماً ولم يَهتد من قومه أحدٌ.. هاجر هو ولوطٌ ابنُ أخيه وسارة زوجته إلى أرض الشام، وهو أوَّل مَن هاجر من الخَلق في طاعة الله، وقوله: (﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾) أي: إلى عبادة ربي وطاعته.

قوله: (﴿سَيَهْدِينِ﴾) أي: إلى ما فيه صلاحُ ديني وبلوغُ مطالبي.

قوله: (إلى حيث أمرني ربي) أي: إلى مكان أمَرني... إلخ، وهذا متعلق بكلٍّ من (ذاهِب) و(يَهدِين).

قوله: (فلمَّا وصل إلى الأرض المقدسة) قدَّره؛ توطئةً لقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي...﴾ إلخ.

قوله: (﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾) أي: بعض الصالحين، يكونُ خليفةً لي ويرثُ حالي.

فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ ....

﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ أي: ذِي حِلمٍ كَثِير.

﴿١٠٢﴾ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ أي: أن يَسعَى مَعَهُ ويُعِينَهُ، قِيل: بَلَغَ سَبع سِنِينَ، وقِيل: ثَلاثَ عَشرةَ سَنةً، ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾ أي: رَأيتُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَبَشَّرْنَٰهُ﴾) مرتَّبٌ على محذوف، تقديره: فاستَجبنا له فبشَّرناه، وتلك البشارة على لسان الملائكة الذين جاؤوا له في صورة أضياف، فبشَّروه بالغلام، ثمَّ انتَقلوا من قريته - وهي فلسطين - إلى قرية لوط - وهي سَذُوم - لإهلاك قومه؛ كما تقدَّم ذلك في سورة (هود)، ويأتي في (الذاريات)[١].

قوله: (﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾) أشار المفسِّر إلى أنَّ قوله: (معه) ظرفٌ متعلِّق بالسَّعي، وفيه: أنه يلزم عليه تقدُّمُ صلة المصدر المؤوَّل من (أنْ) والفعل عليه، وهو لا يجوز، وأجيبَ: بأنه يُغتفر في الظروف ما لا يُغتفر في غيرها، ويصحُّ جعلُهُ متعلِّقاً بمحذوفٍ على سبيل البيان؛ كأنَّ قائلاً قال: مع مَنْ بلغ السعي؟ فقيل: بلَغ معه، ولا يصح جعله متعلِّقاً بـ(بلغ)، ولا حالاً من ضميره؛ لأنه يوهم اقترانهما في بُلوغ السَّعي؛ لأنَّ المصاحبة تقتضي المشاركة، مع أنَّ المقصود وصفُ الصغير بذلك فقط.

قوله: (﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ﴾) جواب (لما)، والحكمةُ في ذلك: أنَّ إبراهيم اتخذه الله تعالى خليلاً، والخلة هي: صَفاء المودَّة، ومن شأنها عدمُ مشاركةِ الغيرِ مع الخليل، وكان قد سأل ربَّه الولدَ، فلمَّا وهبَهُ له تعلَّقت شعبةٌ من قلبه بمحبَّته، فجاءت غيرةُ الخُلَّة تنزعها من قلب الخليل، فأُمِرَ بذبح المحبوب؛ لتظهر صَفاء الخلَّة وعدم المشاركة فيها؛ حيث امتثل أمر ربِّه وقدَّم محبَّته على مَحبَّة ولده[٢].

قوله: (أي: رأيت) أشار بذلك إلى أنَّ الرؤيا وقَعت بالفعل؛ لما روي: أنه رأى ليلة التروية أنَّ قائلاً يقول له: إنَّ الله يأمُرك بذبح ابنك، فلمَّا أصبح فكَّر في نفسه أنَّه من الله[٣]، فلمَّا أمسى رأى

---

(١) انظر (٦/ ٤١٩).

(٢) فلمَّا قدم على ذبحه وكانت محبةُ الله أعظمَ عنده من محبَّة الولد.. خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة، فلم يبق في الذبح مصلحة؛ إذ كانت المصلحة إنما هي في العزم وتوطين النفس، وقد حصل المقصود، فنسخ الأمر، وفدي الذبيح، وصدَّق الخليل الرؤيا. انظر «المواهب اللدنيَّة» (١/ ٦٩).

(٣) أي: أو من الشيطان هذا الحلم؟ كما نقل الخبرَ العلامة الجمل في «فتوحاته» (٣/ ٥٧٤) عن شيخه العلامة الأجهوري، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٨).

فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ ....

﴿فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ ورُؤيا الأنبياء حَقٌّ وأفعالُهُم بِأمرِ الله تَعالى، ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ مِن الرَّأي، شاوَرَهُ لِيَأنَس بِالذَّبحِ ويَنقادَ لِلأمرِ بِه، ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ﴾ - التَّاء عِوَض عن ياءِ الإضافةِ - ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ﴾ بِه، ....

حاشية الصاوي

مِثل ذلك في الليلة الثانية، ثمَّ رأى مثله في الليلة الثالثة، فهمَّ بنَحره، فقال له: يا بني. . . إلخ؛ ولذلك سمِّيت الأيام الثلاثة بالتروية وعرَفة والنحر؛ لأنَّه في اليوم الأول تروَّى[1]، وفي الثاني عَرَفَ، وفي الثالث نَحَرَ.

قوله: (﴿أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾) أي: أفعل الذبح، أو أؤمر به، احتمالان، ويُشير للأوَّل قوله: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ﴾، وللثاني قوله: ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ﴾.

قوله: (﴿مَاذَا تَرَىٰۚ﴾) يصحُّ أن تكون (ماذا) مركبةً، وحينئذٍ: فهي منصوبة بـ(ترى)، وما بعدها في محل نصب بـ(انظر)؛ لأنها معلَّقة له، ويصح أن تكون (ما) استفهامية، و(ذا) مَوصولة، فتكون (ماذا) مبتدأ وخبراً، وقوله: (ترى) بفتحتين من: الرأي، وفي قراءة سبعيَّة (تُرِيْ) بالضمِّ والكسر، والمفعولان مَحذوفان؛ أي: تُريني إيَّاه من صبرك واحتمالك، وقرئ شذوذاً بضمٍّ ففتحٍ؛ أي: ما يُخيَّل لك[2].

قوله: (شاوره؛ ليأنس. . . إلخ) أي: ويَعلمَ صبْرَهُ وعزيمته على طاعة الله.

قوله: (﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ﴾) أي: بفتح التاء وكسرها، قراءتان سبعيَّتان[3].

قوله: (التاء عوضٌ عن ياء الإضافة) أي: فهي في محل جرٍّ كما كانت الياءُ في محلِّ جرٍّ.

قوله: (﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ﴾) قال ابنُ إسحاق وغيره: لما أُمِرَ إبراهيم بذلك قال لابنه: يا بنيَّ؛ خُذ

---

(١) في «المختار»: (رَوَّى فِي الأَمْرِ تَرْوِيَةً: نظر فيه وفكَّر).

(٢) قرأ الأخوان حمزة والكسائي: (تُرِيْ) بالضم والكسر، وقرأ الأعمش والضحاك: (تُرَى) بالضم والفتح. انظر «الدر المصون» (٩/ ٣٢٢).

(٣) فتح التاء ابن عامر وأبو جعفر، وكسرها غيرهما، ووقف بالهاء المكي والشامي وأبو جعفر ويعقوب، وبالتاء غيرهم. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٧٠).

سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ ....

﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على ذلك.

(﴿١٠٣﴾ - ﴿١٠٦﴾) ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾: خَضَعا وانقادَا لِأمرِ الله تَعالى ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾: صَرَعَهُ علَيهِ، ولِكُلِّ إنسان جَبِينانِ بَينَهما الجَبهة، وكانَ ذلك ....

حاشية الصاوي

هذا الحبل والمُدية وانطلق بنا إلى هذا الشِّعب لِنَحتطب، فلمَّا خلا بابنه في الشِّعب.. أخبره بما أمر الله به، فقال: يا أبتِ؛ افعل ما تُؤمر[١].

قوله: (﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾) أتى بها؛ تبرُّكاً وإشارةً إلى أنه لا حولَ عن المعصية إلا بعصمة الله، ولا قوَّةَ على الطاعة إلا بمَعونة الله.

قوله: (﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾) أي: الوالدُ والولدُ.

قوله: (﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾) أي: صَرعه ورماه على شقِّه فوق التَّلِّ الذي هو المكانُ المرتفعُ، قال ابن عباس: لما فَعل ذلك قال الابن: يا أبت؛ اشدُد رِباطي كي لا أضطرِب، واكفف ثِيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيءٌ فيَنقص أجري وتراه أمي فتَحزن، واستحدَّ شفرتك، وأسرع بها على حلقي؛ ليكونَ أهونَ عليَّ، وإذا أتيتَ أُمي فاقرأ عليها السلام مني، وإن رأيتَ أن تردَّ قميصي عليها فافعَل؛ فإنه عسى أن يكون أسلى لها عنِّي، فقال إبراهيم: نِعْمَ العونُ أنتَ يا بنيَّ على أمر الله، ففَعل إبراهيم ما أمره به ابنه، ثمَّ أقبل عليه وهو يَبكي والابن يبكي، فلمَّا وضع السكين على حَلقه.. لم تؤثر شيئاً، فاشتدها بالحَجر مرتين أو ثلاثاً، كلَّ ذلك لا تستطيع أن تقطعَ شيئاً، فمُنِعَتْ بقُدرة الله تعالى[٢].

وقيل: ضرب الله صفيحةً من نُحاس على حلقه، والأول أبلَغ في القدرة الإلهيَّة، وهو منع الحديد عن اللَّحم، فعند ذلك قال الابن: يا أبت كُبَّني لوجهي على جبيني؛ فإنك إذا نظرتَ في وجهي رحمتني، فأدركتك رأفةٌ تحول بَينك وبين أمر الله، وأنا أنظر إلى الشفرة فأجزعُ منها، ففعل ذلك إبراهيم، ثمَّ وضع السكين على قَفاه، فانقلبت، فنُودي: يا إبراهيم؛ قد صدقتَ الرؤيا... إلخ[٣].

---

(١) رواه عنه الفاكهي في «أخبار مكة» (٥/ ٧٥).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٧/ ٤٨).

(٣) انظر «تفسير الخازن» (٤/ ٢٣).

وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ ....

بمِنًى، وأمَرَّ السِّكِّين على حَلقِه فلَم تَعمَل شَيئاً بِمانِعٍ مِن القُدرةِ الإلهيَّة، ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ بما أتَيت به مِمَّا أمكَنَك مِن أمرِ الذَّبح، أي: يَكفِيكَ ذلك، فجُملةُ (نادَيناهُ) جَواب (لَمَّا) بِزيادةِ الواو، ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كَما جزَيناكَ ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لِأنفُسِهِم بامتِثالِ الأمرِ بإفراجِ الشِّدَّة عنهُم، ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذَّبحَ المَأمُور بِه ﴿لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: الاختِبارُ الظَّاهِر.

(﴿١٠٧﴾ - ﴿١١١﴾) ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾ أي: المَأمُور بِذَبحِه وهو إسماعِيلُ أو إسحاقُ؛ قَولانِ

حاشية الصاوي

قوله: (بمنًى) يذكَّرُ ويؤنَّثُ، ويُصرَفُ ويمنعُ من الصرف باعتبار المكان والبُقعة.

قوله: (وأمرَّ السِّكينَ) هذا أحد قولين مشهورين، وهو ما تقدَّم عن ابن عباس، والآخر أنه لم يمرَّ السكينَ، بل لما أضجَعه وأراد أن يمرَّ السكين.. جاءه النداء، وبالأول استَدلَّ أهل السنَّة على أنَّ الأمورَ العاديَّةَ لا تؤثِّرُ شيئاً لا بنَفسها ولا بقوةٍ أودعها الله فيها، وإنما المؤثر هو الله تعالى، فتَخلَّف القطعُ في ولد إبراهيم، وتخلَّفَ الإحراقُ في إبراهيم.

قوله: (فجملة «ناديناه» جواب «لما»... إلخ) هذا أحدُ أوجه ثلاثة، والثاني: أنه محذوفٌ، تقديره: ظهر صبرهما، أو أجزَلنا لهما الأجر[1]، والثالث: أنَّ قوله: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ بزيادة الواو.

قوله: (بإفراج الشدة) المناسب أن يقول: (بتفريج الشدة) أو (بِفَرَجِهَا)؛ لأنَّ الفعل (فرج) بالتخفيف والتشديد، فمصدَرُهُ إمَّا التَّفريجُ أو الفَرَجُ.

قوله: (﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾) عطفٌ على قوله: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾.

قوله: (قولان) أي: وهما مبنيَّان على قولين آخرين؛ هل إسماعيل أكبَر أو إسحاق؟ فمَن قال بالأول.. قال: إنَّ الذبيح إسماعيل، ومن قال بالثاني.. قال: إنَّ الذبيح إسحاق.

واعلم: أنَّ كلًّا من القولين قال به جماعةٌ من الصحابة والتابعين، لكنِ القولُ بأنَّ الذبيح إسحاقُ.. أقوى في النقل عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، حتى قال سَعيد بن جبير: أُرِيَ إبراهيمُ ذَبْحَ إسحاق

---

(١) أو التقدير: قَبِلْنَا منه، (وناديناه) معطوف عليه. انظر «تفسير النسفي» (٣/ ١١٩).

بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا ....

﴿بِذِبْحٍ﴾: بِكَبشٍ ﴿عَظِيمٍ﴾ مِن الجَنَّة، وهو الَّذي قَرَّبَهُ هابيل، جاء بِه جِبريل علَيهِ السَّلام فذَبحَهُ السَّيدُ إبراهيمُ مُكبِّراً، ﴿وَتَرَكْنَا﴾: أبقينا ﴿عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ثَناءً حَسَناً، ﴿سَلَامٌ﴾ مِنَّا ﴿عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ﴾: كما جزيناهُ ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسِهم، ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

(﴿١١٢﴾ - ﴿١١٣﴾) ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ استُدِلَّ بِذلك على أنَّ الذَّبيح غيرُه، ﴿نَبِيًّا﴾ ـ حال مُقَدَّرة ـ أي: يُوجَد مُقَدَّراً نُبوَّتُه ....

حاشية الصاوي

في المنام، فسار به مَسيرة شهر في غَداة واحدة حتى أتى به المنحر بمنى، فلمَّا صرف الله عنه الذبح.. أمره أن يذبحَ به الكبش، فذبحه وسار إلى الشام مسيرة شَهر في رَوحة واحدة، وطويت له الأودية والجبال. وبقي قولٌ ثالثٌ وهو الوقفُ عن الجزم بأحد القولين، وتفويضُ عِلمِ ذلك إلى الله تعالى.

قوله: (كبش ﴿عَظِيمٍ﴾) وقيل: إنه كان تيساً جبليًّا أُهْبِطَ عليه من ثَبِير.

قوله: (وهو الذي قرَّبه هابيل) أي: ووصفَهُ بالعِظَم؛ لكونه تُقُبِّلَ مرَّتين.

قوله: (فذبحه السيد إبراهيم) أي: وبقي قَرناه معلَّقين على الكعبة إلى أن احتَرق البيت في زمن ابن الزبير(١)، وما بقي من الكبش أكلَته السِّباعُ والطيورُ؛ لأنَّ النَّار لا تؤثِّر فيما هو من الجنَّة.

قوله: (مكبِّراً) روي: أنه لما ذبَحه قال جبريل: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، فقال الذبيح: لا إله إلا الله والله أكبر، فقال إبراهيم: الله وأكبر ولله الحمد، فصار سنَّةً(٢).

قوله: (استدل بذلك... إلخ) أي: وهو مذهب الشافعي، وقال مالك وأبو حنيفة: لا دليل فيها؛ لأنَّ إسحاق وقَعت البشارة به مرَّتين: مرة بوجوده، ومرة بنبوَّته، فمعنى قوله: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا﴾: بشَّرناه بنبوَّة إسحاق بعد البشارة بوُجوده(٣).

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٥١).

(٢) انظر «تفسير أبي السعود» (٧/ ٢٠١).

(٣) في «البحر» (٢/ ١٧٨): أن الحنفيَّة مائلون إلى الأولى ـ أي: الطائفة الأولى القائلة بأن الذبيح إسماعيل ـ ورجَّحه الإمام أبو الليث السمرقندي في «البستان» بأنه أشبه بالكتاب والسنة. وانظر «حاشية ابن عابدين» (٢/ ١٧٨).

مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ ....

﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ بِتكثيرِ ذُرِّيَّتِه، ﴿وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ ولَدِه بِجَعلِنا أكثَرَ الأنبياء مِن نَسلِه، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾: مُؤمِن ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾: كافِرٌ ﴿مُبِينٌ﴾: بَيِّن الكُفر.

(﴿١١٤﴾ - ﴿١١٩﴾) ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ بِالنُّبُوَّةِ، ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ بَنِي إسرائِيلَ ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: استِعبادِ فِرعون إيَّاهُم، ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ على القِبطِ ﴿فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾: البَلِيغَ البَيان فِيما أتَى بِه مِن الحُدُود

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾) إما صفة لـ﴿نَبِيًّا﴾ أو حال من ضَميره.

قوله: (﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا﴾) خبرٌ مقدَّمٌ، وقوله: ﴿مُحْسِنٌ...﴾ إلخ: مبتدأٌ مؤخَّرٌ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ النَّسبَ لا مَدخل له في الهدى ولا في الضلال.

قوله: (﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾) معطوفٌ على ما قبله عطفَ قِصة على قصة، واللام: موطئة لقسم محذوف[1]، تَقديره: وعِزتنا وجلالنا لقد أنعمنا... إلخ، وتحدُّثُ الله بالامتنان على عباده من عظيم الشرف لهم، وقَوله: (بالنبوة) أي: المصاحبة للرسالة؛ لأنهما كانا رَسولين، فلا مفهوم للنبوَّة، بل أعطاهما الله تعالى نِعَماً جمَّةً دينيَّة ودنيويَّة، وإنما خصَّها؛ لأنها أشرفُ النِّعم.

قوله: (بني إسرائيل) أي: أولادَ يعقوبَ.

قوله: (أي: استعبادِ فرعونَ إيَّاهم) وسبب استيلائه عليهم: أنَّ أصولهم قدموا مصر مع أبيهم يَعقوب ليوسف حين كان ملكاً، فاستمرُّوا بها، فلمَّا ظهر فرعون وتكبَّر.. استعبد ذرِّيَّتهم وجعلهم خدَماً للقِبط.

قوله: (﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾) الضميرُ عائدٌ على موسى وهارون وقومهما.

قوله: (﴿فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾) يصح أن يكون ﴿هُمُ﴾ ضميرَ فصلٍ، أو بدلاً من الواو في (كانُوا)، والأولُ أظهرُ.

---

(١) بل هي لام جواب قسم محذوف، وتقدَّمت الإشارة لهذا مَرات في هذا الكتاب.

وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ....

والأحكامِ وغيرِها، وهو التَّوراةُ، ﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ﴾: الطَّريقَ ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا﴾: أبقينا ﴿عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ ثناء حَسَناً.

(﴿١٢٠﴾ - ﴿١٢٢﴾) ﴿سَلَٰمٌ﴾ مِنَّا ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزَيناهُما ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

(﴿١٢٣﴾ - ﴿١٢٦﴾) ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾ ـ بِالهمزةِ أوَّله وتركِها ـ ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ قيل: هو ابنُ أخِي هارُونَ أخِي مُوسى، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وغيرهما) أي: كالقصص والمواعظ.

قوله: (﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾) أي: وصَّلناهما للدِّين الحقِّ.

قوله: (﴿سَلَٰمٌ﴾) مبتدأٌ خبرُهُ محذوفٌ، قدَّره بقوله: (منَّا)، وقوله: ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ متعلِّق بـ(سلامٌ)، والمسوِّغ للابتداء بالنكرة قَصدُ التعظيم، وعملُها في الجارِّ والمجرور بعدها.

قوله: (كما جزيناهما) أي: بما تقدَّم من الإنجاءِ والنصرِ وإيتاءِ الكتاب وإبقاءِ الثَّناء.

قوله: (﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾) في مِثل هذه الآيات ترغيبٌ للمؤمنين، وإشعارٌ بأنَّ كلَّ مؤمنٍ قابلٌ لكلِّ خيرٍ، وصالحٌ له.

قوله: (﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾) أي: الكامِلين في الإيمان، البالغين الغايةَ فيه.

قوله: (﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾) معطوفٌ على ما قبله عطفَ قصَّة على قصَّة.

قوله: (بالهمز أوله وتركه) أي: بناءً على أنها همزةُ قطعٍ أو وصلٍ، قراءتان سبعيَّتان[1]، وسبب جواز الأمرَين: أنه اسمٌ أعجمي استعملته العرب، فلم تضبط فيه همزة قطع ولا وصل.

قوله: (﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾) خبرُ (إنَّ).

قوله: (قيل: هو ابن أخي هارون... إلخ) الصحيح: أنه من ذُرية هارون؛ لقول محمد بن إسحاق: هو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران، وإلياسُ ابنُ عمِّ اليسع.

---

(١) العامة على همزة مكسورة، همزة قطع، وابن ذكوان بوصلها. انظر «الدر المصون» (٩/ ٣٢٦).

وقِيل غَيرُه، أُرسِلَ إلى قَوم بِبَعلَبَكَّ ونَواحِيها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وقيل: غيره) من جملة ذلك أنه قيل: هو إدريس، وقيل: هو اليَسَع.

قوله: (أرسل إلى قوم ببعلبك) حاصلُ قصَّته كما قال محمد بن إسحاق وعلماء السِّير والأخبار: لما قَبض الله حزقيل النبيَّ عليه السلام.. عظُمَتِ الأحداثُ في بني إسرائيل، وظهر فيهم الفسادُ والشِّركُ، ونصبوا الأصنام وعبَدوها من دون الله عزَّ وجلَّ، فبعث الله إليهم إلياس نبيًّا، وكانت الأنبياءُ يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام في بني إسرائيل بتَجديد ما نَسُوا من أحكام التوراة، وكان يوشع لما فتح الشَّام قسَمها على بني إسرائيل، وإنَّ سبطاً منهم حصل في قِسمته بعلبك ونواحيها، وهم الذين بُعِثَ إليهم إلياس، وعليهم يومئذ ملكٌ اسمُهُ أرحبُ، وكان قد أضلَّ قومهم وجبرَهم على عبادة الأصنام، وكان له صنمٌ من ذهب طولُهُ عشرون ذراعاً، وله أربعة وُجوه، وكان اسمه بعلاً، وكانوا قد فُتِنُوا به وعظَّموه وجعلوا له أربع مئة سادِن، وجعلوهم أبناءه، فكان الشيطان يَدخل في جوف بعل ويتكلَّمُ بشريعة الضلالة، والسَّدَنة يحفظونها عنه ويبلِّغون الناس، وهم أهل بَعلبك، وكان إلياس يدعوهم إلى عبادة الله عزَّ وجلَّ، وهم لا يَسمعون له ولا يؤمنون به، إلا ما كان من أمر الملك فإنه آمَن به وصدَّقه، فكان إلياس يقوم بأمرِه ويسدِّده ويُرشده.

ثمَّ إنَّ الملك ارتدَّ واشتدَّ غضبُه على إلياس، وقال: يا إلياس ما أرى ما تدعُونا إليه إلَّا باطلاً، وهمَّ بتعذيب إلياس وقَتلِهِ، فلمَّا أحسَّ إلياس بالشرِّ.. رفَضه وخرج عنه هارباً، ورجع الملك إلى عبادة بعلٍ، ولحق إلياسُ بشواهق الجبال، فكان يَأوي إلى الشِّعاب والكهوف، فبقي سبع سنين على ذلك خائفاً مُستخفياً، يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر، وهُم في طلبه قد وَضعوا عليه العيون، والله يستره منهم، فلمَّا طال الأمر على إلياس وسئم الكُمُونَ في الجبال وطال عِصيان قومه وضاق بذلك ذرعاً.. دعا ربَّه عزَّ وجلَّ أن يُريحه منهم، فقيل: انظر يوم كذا وكذا، فاخرج إلى موضِع كذا، فما جاءك من شيء.. فاركبْهُ ولا تهَبْهُ، فخرج إلياس ومعه اليسع حتى إذا كان بالموضع الذي أُمِرَ به إذ أقبل فرسٌ من نارٍ، وقيل: لونُه كالنار حتى وقف بين يدَي إلياس، فوثب عليه، فانطلق به الفرس، فناداه اليسع: يا إلياس؛ ما تأمرني، فقَذف إليه إلياس بكسائه من الجو الأعلى، فكان ذلك علامةَ استخلافِهِ إيَّاه على بني إسرائيل، وكان ذلك آخِر العهد به، ورفع الله إلياس من بين أظهرهم، وقطع عنه لَذة المطعم والمشرب، وكساه الريش، فصار إنسيًّا ملكيًّا، أرضيًّا سماويًّا، ونبَّأ الله تعالى اليسع وبعَثه رسولاً إلى بني إسرائيل وأوحى الله إليه وأيَّده، فآمَنت به بنو إسرائيل، وكانوا يُعظِّمونه، وحكمُ الله تعالى فيهم قائمٌ إلى أن فارقهم اليسع[١].

(١) انظر الخبر بتمامه عند الخازن في «تفسيره» (٤/ ٢٦).

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ....

﴿إِذْ﴾ - مَنصُوب بِـ(اذكُر) مُقدَّراً - ﴿قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ اللهَ؟ ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ اسم صَنَم لَهُم مِن ذَهَب وبِه سُمِّيَ البَلَد أيضاً مُضافاً إلى (بَكّ)، أي: أتَعبُدُونَه ....

حاشية الصاوي

وقد أعطى الله إلياس معجزاتٍ جمَّةً منها: تَسخير الجبال له والأُسود وغيرهما، وأعطاه الله قوَّة سبعين نبيًّا، وكان على صفة موسى في الغضَب والقوة، روي: أنَّ إلياس والخضر يَصومان رمضان كلَّ عام ببيت المقدس ويفترقانِ عن أربع كلمات: باسم الله ما شاء الله لا يَسوق الخير إلا الله، باسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، باسم الله ما شاء الله ما كان من نِعمة فمن الله، باسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله[(١)]. وقيل في الرِّواية غير ذلك.

وإلياسُ موكَّلٌ بالفيافي والقفار، والخضرُ موكَّلٌ بالبحار، ولا يَموتان إلا في آخر الزمان حين يُرفع القرآن.

وعن أنس قال: غزَونا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كان عند فجِّ النَّاقة فسمعت صوتاً يقول: اللهمَّ؛ اجعلني من أمَّة محمَّد المرحومةِ المغفورِ لها المستجابِ لها، فقال النبي ﷺ: **«يا أنسُ؛ انظر ما هذا الصوت»**، فدَخلت الجبل فإذا رجلٌ عليه ثِيابٌ بيضٌ، أبيضُ الرأس واللحية، طولُهُ أكثرُ من ثلاث مئة ذراع، فلمَّا رآني قال: أنتَ صاحب رسول الله ﷺ؟ فقُلتُ: نعم، قال: فارجع إليه فأقرئه السَّلام وقل له: هذا أخُوك إلياس يريد أن يَلقاك، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فجاء يمشي وأنا معه، حتى إذا كنا قَريباً منه تقدَّم النبيُّ ﷺ، وتأخَّرتُ أنا، فتحدَّثا طويلاً، فنَزل عليهما من السماء شيءٌ يشبه السُّفرة، ودعَواني فأكلت معهما، وإذا فيها كمأةٌ ورمَّان وحوتٌ وكرسفٌ، فلمَّا أكلتُ قُمتُ فتنحَّيتُ، فجاءت سحابة فحمَلته وأنا أنظر إلى بياض ثيابه فيها تهوي قبل السماء. انتهى[(٢)].

قوله: (﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله) أي: تَمتثلون أوامِره، وتجتنبون نواهيَهُ.

قوله: (وبه سمِّي البلد) أي: ثانياً، وأمَّا أوَّلاً.. فاسمها (بك) فقط، فلما عُبِدَ بعل.. سمِّيت: بَعلبك.

قوله: (**مضافاً إلى «بك»**) أي: مضموماً إليه، وإلَّا.. فالتركيبُ مزجيٌّ لا إضافيٌّ.

---

(١) «تفسير القرطبي» (١١/ ٤٣).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (١٠٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٤٢١)، وفيهما وفي «فتوحات» العلامة الجمل (٣/ ٥٧٩): (كرفسٌ) بدل (كرسفٌ).

وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾

﴿وَتَذَرُونَ﴾: تَترُكُون ﴿أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ فلا تَعبُدُونَه؟ ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ - بِرَفعِ الثَّلاثة على إضمار (هو)، وبِنَصبها على البَدَل مِن ﴿أَحْسَنَ﴾ -.

(﴿١٢٧﴾ - ﴿١٣٢﴾) ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ في النَّار، ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المُؤمِنِينَ مِنهُم؛ فإنَّهُم نَجَوا مِنها، ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ ثَناء حَسَناً، ﴿سَلَٰمٌ﴾ مِنَّا ﴿عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ قِيل: هو إلياس المُتقَدِّم ذِكرُه، وقِيل: هو ومَن آمَنَ مَعَهُ، فجُمِعُوا مَعَهُ تَغلِيباً، كقَولِهِم لِلمُهلَّبِ وقَومِه: المُهَلَّبُونَ، وعلى قِراءة: (آل ياسِين) بِالمَدِّ أي: أهلِه المُراد بِه إلياسُ أيضاً، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَتَذَرُونَ﴾) عطف على (تدعون) فهو داخلٌ في حيِّز الإنكار.

قوله: (﴿أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾) أي: المصوِّرين؛ لأنه سبحانه وتعالى يُصوِّر الصورة ويلبسها الروح، وغيرُهُ يصوِّر من غير روح.

قوله: (برفع الثلاثة) أي: والقراءتان سبعيَّتان[(١)].

قوله: (فإنهم نجوا منها) أشار بذلك إلى أنَّ الاستثناء من الواو في ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾، كأنه قال: فكذَّبوه فإنهم لمحضرون إلا الذين تابوا من تكذيبهم وأخلَصوا فإنهم غيرُ محضرين.

قوله: (قيل: هو إلياس المتقدم) أي: وعليه فهو مفردٌ مجرورٌ بالفتحة؛ للعَلمية والعجمة، وهي لغةٌ ثانية فيه.

قوله: (وقيل: هو... إلخ) أي: وعليه فهو مجرور بالياء؛ لكونه جمعَ مذكرٍ سالماً.

قوله: (المراد به: إلياس أيضاً) فأطلق الآل وأراد به ما يَشمله وقومَهُ المؤمنين به، فتحصَّل أنَّ في الآية ثلاثَ عباراتٍ[(٢)]: إلياس في أوَّلها، وإلياسين، وآل ياسين في آخرها، وكلُّها سبعيَّة[(٣)].

---

(١) قرأ الأخوان وحفص بنصب الثلاثة، والباقون بالرفع. انظر «الدر المصون» (٩/ ٣٢٧).

(٢) أي: في التعبير عن إلياس عليه السلام؛ فكلٌّ من إلياسين، وآل المضاف إلى ياسين المرادُ به: إلياس؛ فقد عبَّر عنه في الآية بثلاث عبارات. «فتوحات» (٣/ ٥٨٠).

(٣) قرأ نافع وابن عامر: (على آل ياسين) بإضافة (آل) بمعنى: أهل إلى (ياسين)، والباقون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة بـ(ياسين)، كأنه جمع (إلياس) جمع سلامة. انظر «الدر المصون» (٩/ ٣٢٨).

إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ ....

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهُ ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

(﴿١٣٣﴾ - ﴿١٣٨﴾) ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، اذكُر ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ أي: الباقِينَ في العَذاب، ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾: أهلَكنا ﴿الْآخَرِينَ﴾: كُفَّارَ قَومه، ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم﴾: على آثارِهم ومَنازِلِهم في أسفارِكُم ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ أي: وقتَ الصَّباح، يَعني بِالنَّهارِ، ﴿وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يا أهلَ مكَّةَ ما حَلَّ بِهم فتَعتبِرُون بِهِ؟

(﴿١٣٩﴾ - ﴿١٤١﴾) ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾) عطفٌ على ما قبله أيضاً عطف قصَّةٍ على قصَّةٍ.

قوله: (اذكر ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ﴾... إلخ) قدَّر المفسِّر (اذكر)؛ إشارةً إلى أن الظرف متعلِّقٌ بمحذوف، ولم يجعله متعلِّقاً بقوله: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾؛ لأنه يُوهم أنه قبل النجاة لم يكن رسولاً مع أنه رسولٌ قبل النجاة وبعدها.

قوله: (﴿وَأَهْلَهُ﴾) المراد بهم: بِنتاه.

قوله: (﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾) هي امرأته.

قوله: (أي: وقت الصباح) بيانٌ لمعناه في الأصل، وقوله: (يعني بالنهار) بيانٌ للمراد منه، وقوله: (﴿وَبِاللَّيْلِ﴾) عطف على ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ وهو حالٌ أخرى.

قوله: (﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أتُشاهدون ذلك فلا تعقلون؟!

قوله: (﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾) هو ابن متَّى، وهو ابن العجوز التي نزل عليها إلياس فاستَخفى عندها من قومه ستة أشهر ويونسُ صبيٌّ يرضع، وكانت أمُّ يونس تَخدمه بنفسها وتؤانسه، ولا تدَّخر عنه كرامةً تقدر عليها، ثمَّ إنَّ إلياس أُذِنَ له في السياحة فلَحق بالجبال، ومات يونس ابن المرأة، فخرجت في أثر إلياس تَطوف وراءه في الجبال حتى وجدته، فسألته أن يدعوَ الله لها لعلَّه

إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ ....

﴿إِذْ أَبَقَ﴾: هَرَبَ ﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾: السَّفِينةِ المَملُوءة حِين غاضَبَ قَومَه لَمَّا لَم يَنزِل بِهِم العَذابُ الذي وعَدَهُم بِه، فرَكِبَ السَّفِينةَ فوَقَفَت في لُجَّة البَحر، فقال المَلَّاحُون: هُنا عَبدٌ أبَقَ مِن سَيِّدِه تُظهِرُه القُرعة، ﴿فَسَاهَمَ﴾: قارَعَ أهلَ السَّفِينة ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾: المَغلُوبِين بِالقُرعةِ، فألقَوهُ في البَحر.

حاشية الصاوي

يحيي لها ولدَهَا، فجاء إلياس إلى الصبي بعد أربعة عشر يوماً مضَت من موته، فتوضأ وصلَّى ودعا، فأحيا الله يونسَ بن متَّى بدعوة إلياس عليهما السلام، وأرسل الله يونس إلى أهل نينوى من أرض الموصل وكانوا يعبدون الأصنام.

قوله: (﴿إِذْ أَبَقَ﴾) ظرفٌ لمحذوف تقديرُهُ: (اذكر) كما تقدَّم نظيره، وقوله: (أبق) بابه: (فتح)، والإباق في الأصل: الهروب من السيِّد، وإطلاقُهُ على هروب يونسَ استعارةٌ تصريحيَّةٌ، فشبَّه خروجه بغير إذن ربِّه بإباق العبد من سيِّده.

قوله: (حين غاضب قومه) المفاعلة على بابها؛ لأنهم غاضَبوه بعدمِ الانقيادِ والإيمانِ به، وهو غضب عليهم.

قوله: (فركب السفينة) أي: باجتهادٍ منه؛ لظنِّه أنَّه إن بقي بينهم قتلوه؛ لأنهم كانوا يقتلون كلَّ مَنْ ظهر عليه كذبٌ، فركوبُ السفينة ليس معصيةً لربِّه؛ لا صغيرةً ولا كبيرةً، ومؤاخذتُهُ بحبسه في بطن الحوت على مخالفة الأَوْلَى[1]؛ فإنَّ الأَوْلَى له انتظارُ الإذنِ من الله تعالى، هذا هو الصواب في تحقيق المقام، وهناك أقوالٌ أخرُ، اعتقادُهَا يضرُّ في العقيدة، والعياذُ بالله تعالى.

قوله: (فوقفت) أي: من غير سبب، وقوله: (في لجة البحر) المراد به: بَحر الدجلة.

قوله: (فقال الملاحون... إلخ) أي: وكان من عادتهم أنَّ السفينة إذا كان فيها آبقٌ أو مذنبٌ.. لم تَسِرْ.

قوله: (قارع أهل السفينة) أي: غالبهم، قيل: مرَّةً واحدةً، وقيل: ثلاثاً.

قوله: (فألقَوْهُ في البحر) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ مرتَّبٌ على محذوف.

---

(١) في (ط٢): (على مخالفته الأَوْلَى).

﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾ ....

(١٤٢ - ١٤٤) ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾: ابتلَعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: آتٍ بما يُلامُ عليهِ مِن ذَهابِه إلى البَحر ورُكُوبِه السَّفِينةَ بِلا إذنٍ مِن ربِّه، ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾: الذَّاكِرِينَ بِقَولِه كَثِيراً في بَطن الحُوت: لا إلَه إلَّا أنتَ سُبحانك إنِّي كُنتُ مِن الظَّالِمِين، ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: لَصارَ بَطنُ الحُوت قَبراً لَهُ إلى يَومِ القِيامة.

(١٤٥ - ١٤٦) ﴿فَنَبَذْنَٰهُ﴾ أي: ألقيناهُ مِن بَطنِ الحُوت ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ بِوَجهِ الأرض، أي: بِالسَّاحِلِ مِن يَومِه أو بعدَ ثَلاثة أو سَبعةِ أيَّام، أو عِشرِينَ أو أربَعِين يَوماً، ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾: عَلِيل كالفَرخِ المُمَّعِط، ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ وهي القَرْعُ تُظِلُّهُ بِساقٍ على خِلاف العادةِ في القَرع مُعجِزةً لَه، وكانَت تَأتِيه وَعِلةٌ صَباحاً ومَساء يَشرَب مِن لَبَنِها حتَّى قَوِيَ.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: آتٍ بما يُلامُ عليه) أي: والمعنى: وهو مُليمٌ نفسَهُ.

قوله: (بقوله كثيراً) استُفيدت الكثرة من جعله من المسبِّحين.

قوله: (قبراً له) أي: بأن يموت فيبقى في بَطنه ميتاً، وقيل: بأن يبقى على حياته.

قوله: (﴿فَنَبَذْنَٰهُ﴾) أي: أمرنا الحوت بنَبْذِهِ، فنبَذَهُ.

قوله: (﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾) أي: الأرضِ المتَّسعةِ التي لا نبات بها.

قوله: (من يومه) أي: فالتقمه ضحىً ونبَذه عشية. وما ذكره المفسِّرُ خمسةُ أقوال؛ الأول: للشعبي، والثاني: لِمقاتل، والثالث: لعطاء، والرابع: للضحاك، والخامس: للسُّدي.

قوله: (المُمَّعِط) بضمِّ الميم الأولى، وتشديد الثانية مفتوحةً، بعدها عين مهملة، بعدها طاء مهملة أيضاً؛ أي: المنتُوفِ شعَرُهُ.

قوله: (وهو القرع) خصَّ بذلك؛ لأنه باردُ الظِّل، ليِّن الملمس، كبير الورق، لا يَعلوه الذباب. وما ذكره المفسِّرُ أحدُ أقوالٍ في تفسير اليَقطين، وقيل: كانت شجرة التين، وقيل: شجرة الموز؛ تغطَّى بورقه، واستظلَّ بأغصانه، وأفطر على ثماره.

قوله: (وَعَلَةٌ) إمَّا بفتح الواو والعين، أو بكسر الواو وسكون العين، هي: الغزالة.

وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ ....

(١٤٧ - ١٤٨) ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ﴾ بعدَ ذلك كقَبلِهِ إلى قَوم بِنِينَوَى مِن أرضِ المَوصِل ﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ﴾: بَل ﴿يَزِيدُونَ﴾ عِشرين أو ثَلاثِين أو سَبعِين ألفاً، ﴿فَـَٔامَنُوا۟﴾ عِند مُعايَنةِ العَذاب المَوعُودِين بِه، ﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ﴾ أي: أبقَيناهُم مُمَتَّعِين بِما لَهم ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ تَنقَضِي آجالُهم فِيه.

(١٤٩ - ١٥٠) ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾: استَخبِر كُفَّارَ مكَّة ....

حاشية الصاوي

قوله: (كقبله) جوابٌ عمَّا يوهم أنه قبل خروجه لم يكن مُرْسَلاً.

قوله: (بنينوى) بكسرِ النون الأولى وياءٍ ساكنةٍ ونونٍ مضمومةٍ وألفٍ مقصورةٍ بعد الواو.

قوله: (﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾) جعل المفسِّر (أو) للإضراب بمعنى (بل)، ويصح أن تكون للشك بالنسبة للمخاطَبين؛ أي: إنَّ الرائي يشكُّ عند رؤيتهم، أو للإبهام بمعنى: أنَّ الله أبهم أمرهم، أو الإباحة أو التخيير بمعنى: أن الناظر يُباح له أو يخيَّر بين أن يُحزرهم بكذا أو كذا.

قوله: (عند معاينة العذاب) أي: عند حُضور أماراته؛ ولِذا نفعهم إيمانهم، وأمَّا مثل فرعون.. فلم يُؤمن إلا بعد حصول العذاب بالفعل، وأيضاً: قوم يونس أخلَصوا في إيمانهم، وفرعون لم يُخلص، وإنما إيمانه عند الغرغرة؛ لدفع الشِّدَّة، ولو رُدُّوا لعادُوا.

قوله: (بما لهم) بفتح اللام؛ أي: بالذي ثبت لهم من النِّعم، وتقدَّم بسطُ قصة يونس في سورة (يونس)، فراجعها إن شئتَ[1].

قوله: (﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾) الفاءُ واقعةٌ في جواب شرط مقدَّر، تقديره: إذا علمت ما تقدَّم للأمم من شركهم ومخالفتهم لأنبيائهم.. فاستفتِهم؛ أي: اطلب من أهل مكة الخبر؛ لأجل توبيخهم وإقامة الحجة عليهم[2].

---

(١) انظر (٣/٢٤٨-٢٥٠).

(٢) ويجوز أن يكون معطوفاً على مِثله، في أول السورة؛ أي: على ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾؛ أمر رسوله أولاً باستفتاء قريش عن وجه إنكارهم البعث، وساق الكلام في تقريره جارًّا لِما يلائمه من القصص، موصولاً بعضها ببعض، ثم أمر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلُوا لله البنات ولأنفسهم البَنين في قولهم: الملائكة بنات الله. انظر «تفسير البيضاوي» (٥/١٩).

أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ....

توبيخاً لَهُم: ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ﴾ بزَعمِهم أنَّ المَلائِكةَ بَناتُ الله ﴿وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ فيختصُّون بِالأسنَى؟ ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾ خَلْقَنا فيقُولُون ذلك؟

(﴿١٥١﴾ - ﴿١٥٥﴾) ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾: كَذِبِهم ﴿لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ بِقَولِهِم: المَلائِكةُ بَنات الله، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ فِيه، ﴿أَصْطَفَى﴾ ـ بِفَتحِ الهَمزة لِلاستِفهامِ واستُغنِيَ بِها عن هَمزةِ الوَصل فحُذِفَت ـ أي: أَختارَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (توبيخاً لهم) أي: فليس الاستفتاء على سبيل الاستعلام والإفادة، بل هو على سبيل التقريع والتوبيخ لهم.

قوله: (﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾) أي: ألهذه القسمةِ الجائرةِ وجهٌ؟ فإنهم كفروا من وجهَين: الأول: نسبة الولد لله سبحانه وتعالى من حيث هو، الثاني: كونه خصوص الأنثى؛ فإنهم لا يَرضون بنسبتها لأنفسهم، بل إمَّا أن يمسكوها على الهوان أو يدفنوها حيَّة؛ فكيف يرضونها لله عزَّ وجلَّ ويختصُّون بالبنين؟!

قوله: (فيختصون بالأسنى) أي: الأشرف وهو الذكور، وفي نسخة: (بالأبناء).

قوله: (﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا﴾) (أم): منقطعةٌ تفسَّر بـ(بل) والهمزة، فهو إضرابٌ عمَّا زعموا، وردٌّ عليهم، وهذا بمعنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ...﴾ [الزخرف: ١٩] الآية.

قوله: (﴿وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾) الجملة حاليَّة؛ أي: والحال أنهم مُعاينون لخلقهم.

قوله: (﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾) استئنافٌ لبيان إبطال ما هم عليه، كأنه قيل: ليس لهم مستندٌ إلا الكذب الصريح، والافتراء القبيح.

قوله: (﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ فيه) أي: في قولهم: الملائكة بنات الله.

قوله: (واستغني بها) أي: بهمزة الاستفهام في التوصُّل للنطق بالساكن، والاستفهامُ للتَّوبيخ والتَّقريع.

ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ....

﴿ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هَذا الحُكمَ الفاسِد؟! ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ـ بإدغامِ التَّاء في الذَّال ـ أنَّهُ سُبحانه وتَعالى مُنَزَّه عن الوَلَد؟

(﴿١٥٦﴾ - ﴿١٥٧﴾) ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ﴾: حُجَّةٌ واضِحة أنَّ لله ولداً؟ ﴿فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ﴾ التَّوراةِ فأَرُوني ذلك فِيه ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في قَولِكُم ذلك.

﴿١٥٨﴾ ﴿وَجَعَلُوا﴾ أي: المُشرِكُونَ ﴿بَيْنَهُ﴾ تَعالى ﴿وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ أي: المَلائكةِ لِاجتِنانِهِم عن الأبصارِ ﴿نَسَبًا﴾ بِقَولِهِم: إنَّها بَناتُ الله، ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ أي: قائِلِي ذلك ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ لِلنَّارِ يُعَذَّبُون فِيها.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾) أي: أيُّ شيءٍ ثبت واستقرَّ لكم من حُكمكم بهذا الحكم الجائر؛ حيث تثبتون أخسَّ الجنسين في زعمكم لله سبحانه وتعالى؟

قوله: (بإدغام التاء في الذال) أو بتاء واحدة من غير إدغام، قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ﴾) انتقالٌ من توبيخهم إلى إلزامِهم الحجة بما لا وجود له، ولا يقدرون على إثباته.

قوله: (التوراة) الصوابُ إسقاطُه[2]؛ لأنَّ الخطاب مع المشركين، والتوراةُ ليست لهم.

قوله: (﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ﴾) التفاتٌ من الخطاب للغيبة؛ إشارةً إلى أنهم بَعيدون من رحمة الله، وليسوا أهلاً لخطابه.

قوله: (لاجتِنانهم عن الأبصار) أي: استتارهم عنها.

قوله: (﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ﴾... إلخ) هذا زيادةٌ في تبكيتهم وتكذيبهم، كأنه قيل: هؤلاء الملائكة الذين عظَّمتموهم وجعلتموهم بنات الله.. أعلمُ بحالكم وما يؤول إليه أمركم، ويحكمون بتعذيبكم على سبيل التَّأبيد.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص بتخفيف الذال، والباقون بالتشديد. انظر «السراج المنير» (٣/ ٣٩٦).

(٢) في بعض النسخ إسقاط (التوراة)، وهي واضحة. «فتوحات» (٣/ ٥٨٤) نقلاً عن شيخه العلامة الأجهوري.

سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ ....

(١٥٩ - ١٦٠) ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تَنزِيهاً لَه ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بِأنَّ لله وَلداً، ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المُؤمِنِينَ ـ استِثناءٌ مُنقَطِع ـ، أي: فإنَّهُم يُنَزِّهُون اللهَ تَعالى عَمَّا يَصِفُه هَؤلاء.

(١٦١ - ١٦٣) ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ مِن الأصنامِ ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على مَعبُودِكُم، ـ و﴿عَلَيْهِ﴾ مُتعلِّق بِقَولِه ـ: ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ أي: أحَداً، ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ في عِلمِ الله تَعالى.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾... إلخ) هذا من كلام الملائكة، تنزيهٌ لله تعالى عمَّا وصفه به المشركون بعد تكذيبهم لهم، فكأنه قيل: ولقد علمت الملائكة أنَّ المشركين لمعذَّبون بقولهم ذلك وقالوا: سبحان الله عمَّا يَصفون به، لكن عباد الله المخلصين الذين نحن مِن جملتهم برآء من هذا الوصف، وقوله: (﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾) تعليلٌ وتحقيقٌ لبراءة المخلصِين ببيان عجزهم عن إغوائهم.

قوله: (استثناء منقطع) أي: من الواو في ﴿يَصِفُونَ﴾، وهو في قوة الاستدراك، رفع به ما يتوهم ثبوتُهُ أو نفيُهُ، كأنَّه قال: تنزَّه الله عن وصف الكفار له تعالى، وأمَّا وصف المؤمنين المخلصِين له.. لا يتنزَّه عنه؛ لأنهم لا يَصفونه تعالى إلا بالكمالات.

قوله: (أي: على معبودكم) أشار بذلك إلى أنَّ الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ عائدٌ على (ما)، وعلى هذا: فالواو للمعيَّة، و(ما): مفعولٌ معه سادَّة مسدَّ خبر (إن)[(١)].

قوله: (﴿بِفَٰتِنِينَ﴾) مفعولُهُ محذوفٌ، قدَّره المفسِّرُ بقوله: (أحداً)، والمعنى: إنكم مع مَعبودكم لستُم بمفسدين أحداً إلا مَنْ سبقت له الشقاوة في عِلم الله.

قوله: (﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾) استثناءٌ من المفعول الذي قدَّره المفسِّر، و(صال): مرفوع بضمة مُقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، فهو معتل كـ: (قاض).

---

(١) وعلى هذا: فيحسن السكوت على ﴿تَعْبُدُونَ﴾؛ كما يحسن في قولك: (إن كل رجل وضيعته)، وحكى الكسائي: إنَّ كل ثوب وثَمنه، والمعنى: إنكم مع مَعبوديكم مقترنون؛ كما يقدر ذلك في: (كل رجل وضيعته مقترنان). انظر «الدر المصون» (٩/ ٣٣٥).

وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ ....

(١٦٤ - ١٦٦) قال جِبريلُ لِلنَّبيِّ ﷺ: ﴿وَمَا مِنَّآ﴾ مَعشَرَ المَلائكة أحَدٌ ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾ في السَّماوات يَعبُدُ الله فِيهِ لا يَتجاوَزُه. ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ أقدامَنا في الصَّلاةِ، ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ﴾: المُنَزِّهُون الله عَمَّا لا يَلِيقُ بِه.

(١٦٧ - ١٧٠) ﴿وَإِن﴾ ـ مُخفَّفة مِن الثَّقِيلة ـ ﴿كَانُواْ﴾ أي: كُفَّار مكَّة ﴿لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا﴾: كِتاباً ﴿مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: مِن كُتُب الأُمَمِ الماضِيَة ....

حاشية الصاوي

قوله: (في علم الله تعالى) أي: مَنْ عَلِمَ الله أنَّه من أهل الجحيم.. فإنه يميل إلى الكفر وأهله.

قوله: (﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾) هذا حكايةٌ عن اعتراف الملائكة بالعبودية ردًّا على عَبَدتِهِم، والمعنى: ليس منَّا أحدٌ إلا له مقامٌ معلومٌ في المعرفة والعبادة وامتثال ما يَأمرنا الله تعالى به، قال ابن عباس: ما في السماوات موضعُ شبرٍ إلا وعليه ملكٌ يصلي ويسبِّح[1].

قيل: إنَّ هذه الثلاث آيات نزلت ورسول الله ﷺ عند سِدرة المنتهى، فتأخَّر جبريل، فقال النبي ﷺ: «أهنا تُفارقني؟» فقال جبريل: ما أستطيع أن أتقدَّم عن مكاني هذا، وأنزل الله تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ...﴾ الآيات[2]، وفي الحديث: «ما في السماء موضعُ قدمٍ إلا عليه ملكٌ ساجدٌ أو قائمٌ»[3].

قوله: (أحد) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ في الآية حذفَ الموصوفِ وإبقاءَ صفته، وهو مبتدأ والخبر جملة قوله: ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾، والتقديرُ: ما أحدٌ منَّا إلا له مقامٌ معلومٌ.

قوله: (أقدامنا في الصلاة) أشار بذلك إلى أنَّ المفعولَ محذوفٌ.

قوله: (مخففة من الثقيلة) أي: واللام فارقة، والمعنى: أنَّ قريشاً كانت تَقول قبل بعثة

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٧/ ٦٣)، وروى الترمذي (٢٣١٢) عن سيدنا أبي ذرٍّ ﷺ مرفوعاً: «أطَّت السماء، وحق لها أن تئطَّ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله».

(٢) نقله القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ١٣٧) عن مقاتل.

(٣) رواه بهذا السياق أبو الشيخ في «العظمة» (٥٠٨)، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٥٣) عن سيدتنا عائشة ﵂.

لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ....

﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ العِبادةَ لَه، قال تَعالى: ﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: بِالكِتابِ الَّذِي جاءَهُم وهو القُرآنُ الأشرَفُ مِن تِلكَ الكُتُب، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقِبَةَ كُفرِهِم.

(﴿١٧١﴾ - ﴿١٧٣﴾) ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ بِالنَّصرِ ﴿لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وهي ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١]، أو هي قَولُه: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ [الصافات: ١٧٢]، ﴿وَإِنَّ جُندَنَا﴾ أي: المُؤمِنِينَ ﴿لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ الكُفَّارَ بِالحُجَّةِ والنُّصرةِ عَلَيهِم في الدُّنيا، وإن لَم يَنتَصِر بَعضٌ مِنهُم في الدُّنيا فَفِي الآخِرَةِ.

حاشية الصاوي

النبي ﷺ: لو أنَّ لنا كتاباً مثلَ كتاب الأوَّلين.. لأخلَصنا العبادة لله تعالى، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ...﴾ الآية.

قوله: (﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾) الفاء: للفصيحة مرتَّب على ما قبله.

قوله: (﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾) أي: في الدنيا والآخرة، والتعبيرُ بـ(سوف) تهديدٌ لهم؛ كقَولك لمن تريد ضَرْبَهُ مثلاً: سوف ترى ما تُوعد به، وأنت شارعٌ فيه، فـ(سوف) للوعيد لا للتَّبعيد.

قوله: (﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾... إلخ) هذا تسليةٌ له ﷺ، وإنما صدَّر هذه الجُملة بالقسم؛ لتأكيد الاعتناء بتحقيق مَضمونها.

قوله: (﴿كَلِمَتُنَا﴾ بالنصر) إنما سُمِّيَ الوعدُ بالنصر كلمةً مع أنه كلماتٌ؛ لكون معنى الكلِّ واحداً.

قوله: (وهي: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾) أي: فيكون قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ جملةً مستأنفةً، وقوله: (أو هي قوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾... إلخ) وعليه: فيكون بدلاً من (كلمتنا)، أو تفسيراً لها.

قوله: (﴿وَإِنَّ جُندَنَا﴾) الجُند في الأصل: الأنصار والإخوان، والمرادُ منه: أنصارُ دين الله وهم المؤمنون كما قال المفسِّر.

قوله: (وإن لم ينتصر بعضهم... إلخ) دفع بهذا ما يقال: قد شُوهدت غلبةُ الكفار على المؤمنين في بعض الأزمان! فأجابَ: بأنَّ النصر إمَّا في الآخرة للجميع، أو في الدنيا للبعض، فالمؤمنون مَنصورون على كل حالٍ.

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ ....

(١٧٤ - ١٧٥) ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرِضْ عن كُفَّار مكَّةَ ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ تُؤمَر فِيه بِقِتالِهِم، ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ إذا نَزَلَ بِهِم العَذابُ ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ عاقِبَةَ كُفرِهِم.

(١٧٦ - ١٧٧) فقالُوا استِهزاءً: متَى نُزُولُ هذَا العَذابِ؟ قال تَعالى تَهدِيداً لَهُم: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾: بِفِنائِهِم، قال الفَرَّاء: العَرَب تَكتَفِي بِذِكرِ السَّاحة عن القَوم، ﴿فَسَاءَ﴾: بِئسَ صَباحاً ﴿صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾ ....

حاشية الصاوي

وأُجيبَ أيضاً: بأنَّ الأنبياءَ المأذونَ لهم في القتال لا بدَّ لهم من النَّصر في الدنيا، ولا تقعُ لهم هزيمةٌ أبداً، وإنما إن وقع للكفار بعضُ غلبةٍ كما في أُحُدٍ.. فهو لحِكَم عظيمة، ولا تبيت على المؤمنين، بل ينتصرون عليهم بصريح قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ [الأنفال: ٣٦] الآية، وأمَّا غيرهم.. فتارةً ينصرون في الدنيا، وتارةً لا، وإنما يُنصرون في الآخرة.

قوله: (تؤمر فيه بقتالهم) أي: فكان أوَّلاً مأموراً بالتبليغ والصبر، ثمَّ لما كان في السنة الثانية من الهجرة.. أُمِرَ ﷺ بالجهاد، وغزَواته سبع وعشرون غزوةً، قاتل في ثمانٍ منها بنفسه: بدر، وأحد، والمصطلق، والخندق، وقريظة، وخيبر، وحُنَيْن، والطَّائف.

قوله: (﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ إذا نزل بهم العذاب) أي: من القتل والأسر، والمرادُ بالأمر: الدَّلالةُ على أنَّ ذلك قريبٌ، كأنَّه واقعٌ مشاهَدٌ.

قوله: (عاقبة كفرهم) أي: من نُزول العذاب بساحتهم.

قوله: (تكتفي بذكر الساحة) أي: تستغني على سبيل الكناية، فالمعنى: فإذا نزل بهم العذاب، فشبَّه العذابَ بجيشٍ هجم عليهم فأناخ بفنائهم بَغتةً وهم في ديارهم؛ ففي ضمير العذاب استعارةٌ بالكناية، والنزولُ تخييلٌ.

قوله: (بئس صباحاً) أشار بهذا إلى أنَّ الفاعل ضميرٌ، والتميز محذوفٌ، والمذكورُ مخصوصٌ، والأوضَح ما قاله غيره من أنَّ المذكور هو الفاعل، والمخصوص محذوفٌ، وعليه فالتقدير: بئس صباح المنذرين صباحهم.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

ـ فِيهِ إقامةُ الظَّاهِرِ مُقامَ المُضمَرِ ـ.

(١٧٨ - ١٧٩) ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ كُرِّرَ تأكيداً لِتَهديدِهم وتَسلِيةً لَهُ ﷺ.

(١٨٠ - ١٨٢) ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾: الغَلَبةِ ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأنَّ لَه ولَداً، ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ المُبَلِّغِينَ عن الله التَّوحِيدَ والشَّرائعَ، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نَصرِهم وهَلاكِ الكافِرِين.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (فيه إقامة الظاهر مقام المضمر) أي: في التعبير بـ﴿الْمُنذَرِينَ﴾، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: صباحهم.

قوله: (﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾... إلخ) الغرضُ من هذا: تَعليم المؤمنين أن يقولوه ولا يَغْفُلوا عنه؛ لما روي عن عليٍّ كرَّم الله وجهه قال: (مَنْ أحبَّ أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة.. فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ...﴾ إلخ)[١]، وعن أبي سعيد الخُدري قال: سمعت رسول الله ﷺ غيرَ مرَّة ولا مرتَين يقول في آخر صلاته، أو حين ينصرف: «سبحان ربك ربِّ العزة عما يَصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين»[٢].

قوله: (﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾) أضيف الرَّبُّ إلى العزَّة؛ لاختصاصه، كأنه قيل: ذي العزة، وقيل: المرادُ: العزَّةُ المخلوقةُ الكائنةُ بين خَلقه، ويترتَّب على كلٍّ من القولين مسألة اليمين؛ فعلى الأوَّل: ينعقد بها اليمين؛ لأنَّها من صفات الله، وعلى الثاني: لا يَنعقد؛ لأنَّها من صفات المخلوق.

قوله: (﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾) تعميمٌ للرسل بالتسليم بعد تَخصيص بعضهم.

✿ ✿ ✿

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٢٣)، وبنحوه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣١٩٦).

(٢) رواه البيهقي في «الدعوات الكبير» (١٢٨).

﴿صٓ﴾ ....



مَكِّيَّة، ستٌّ أو ثمانٍ وثمانُون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١) ﴿صٓ﴾ الله أعلَم بِمُرادِه بِه، ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ صٓ

أي: ويقال لها: سورة داوود.

قوله: (مكيَّة) أي: كلُّها.

قوله: (أو ثمانٌ) أو: لحكاية الخلاف.

قوله: (الله أعلَم بمراده به) تقدَّم غير مرَّة أنَّ هذا القولَ أسلَمُ؛ لأنَّ تفويضَ الأمرِ المتشابهِ لعلم الله تعالى هو غايةُ الأدبِ.

واعلَم: أنَّ في لفظ ﴿صٓ﴾ قراءاتٍ خمسةً: السَّبعة على السكون لا غير، والباقي شاذٌّ، وهو الضم والفتح من غير تنوين، والكسر بتنوين وبدونه؛ فالضمُّ على أنه خبر لمحذوف على أنه اسم للسورة؛ أي: هذه ص، ومُنِعَ من الصرف للعلمية والتأنيث، والفتحُ إمَّا على أنه مفعولٌ لمحذوف تقديره: اقرأ ونحوه، أو مبنيٌّ على الفتح كـ: أينَ وكيفَ، والأوَّلُ أقربُ، والكسرُ بغير تنوين لِلتخلص من التقاء الساكنين، وبالتنوين مجرورٌ بحرف قسم محذوف، وصُرِفَ بالنظر إلى اللفظ[1].

---

(١) قرأ أبيٌّ والحسن وابن أبي إسحاقَ وابن أبي عبلة وأبو السمال بكسر الدال من غير تنوين، وقرأ ابن أبي إسحاق كذلك إلا أنه نوَّنه، وعن الحسن أيضاً وابن السميفع وهارون الأعور: (صادُ) بالضم من غير تنوين، وقرأ عيسى وأبو عمرو في رواية محبوب: (صادَ) بالفتح من غير تنوين، ولم أحفَظ التنوين مع الفتح والضم. انظر «الدر المصون» (٩/ ٣٤٤).

وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ أي: البَيانِ أو الشَّرَف، ـ وجَوابُ هذا القَسَم مَحذُوف ـ أي: ما الأمرُ كَما قال كُفَّار مكَّةَ مِن تَعَدُّدِ الآلِهة.

﴿٢﴾ ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مِن أهلِ مكَّةَ ﴿فِى عِزَّةٍ﴾: حَمِيَّة وتَكَبُّرٍ عن الإيمانِ، ﴿وَشِقَاقٍ﴾: خِلافٍ وعَداوةٍ لِلنَّبيِّ ﷺ.

﴿٣﴾ ﴿كَمْ﴾ أي: كَثِيراً ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أُمَّة مِن الأُمَمِ الماضِية، ﴿فَنَادَوا۟﴾ حِينَ نُزُولِ العَذاب بِهِم: ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: البيان) أي: لما يحتاج إليه في أمر الدين، وقوله: (أو الشرف) أي: إنَّ مَنْ آمن به كان شريفاً في الدنيا والآخِرة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي: شَرفكم، وأيضاً: القرآنُ شريفٌ في ذاته من حيثُ اشتمالُهُ على المواعظ والأحكام وغيرها، فهو شريفٌ في نفسه، مشرِّفٌ لغيره.

وقيل: المرادُ بالذكر: ذكرُ أسماء الله تعالى وتَمجيده، وقيل: المرادُ به: الموعظةُ، وقيل غير ذلك.

قوله: (وجواب هذا القسم محذوفٌ... إلخ) هذا أحد أقوال، وهو أحسَنها، وقيل: تقديره: إنك لمن المرسلين؛ كما في (يس)، وقيل: هو قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾، وفيه حذفُ اللام، والأصل: لكم أهلكنا، وإنما حُذفت لطول الكلام؛ نظير حذفها في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ بعد قوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ﴾، وقيل غير ذلك[1].

قوله: (﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) إضرابٌ وانتقالٌ من قصَّةٍ إلى قصَّةٍ.

قوله: (من أهل مكة) خصَّهم بالذكر؛ لأنهم سببُ النزول، وإلَّا.. فالمرادُ: كلُّ كافرٍ.

قوله: (أي: كثيراً) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿كَمْ﴾ خبريَّةٌ بمعنى: كثيراً، مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾، و﴿مِّن قَرْنٍ﴾: تمييزٌ لها.

(١) وقد نقل العلامة السمين الحلبي هذه الأقوال وغيرها في «الدر المصون» (٩/ ٣٤٥).

وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ ....

﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ أي: ليسَ الحِينُ حِينَ فِرارٍ، ـ والتَّاء زائِدة، والجُملةُ حالٌ مِن فاعِل (نادَوا) ـ أي: استَغاثُوا والحالُ أنْ لا مَهرَبَ ولا مَنجَى، وما اعتَبَرَ بِهِم كُفَّارُ مكَّةَ.

﴿٤﴾ ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾: رَسُولٌ مِن أنفُسِهم يُنذِرُهُم ويُخَوِّفُهُم النَّار بَعد البَعثِ، وهو النَّبيُّ ﷺ، ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَاتَ حِينَ﴾) اختَلفت المصاحف في رسم التاء؛ فبعضُهم رسمها مفصولةً، وبَعضهم رسمها متصلةً بـ(حين)، وينبني على هذا الاختلافِ الوقفُ؛ فبَعضهم يقف على التاء، وبعضهم على (لا)، ومَن يقف على التاء اختلفوا؛ فجُمهور السبعة يقفون على التاء المجرورة اتِّباعاً لمرسوم الخط الشريف، والأقلُّ منهم يقف بالهاء، وهذا الوقف للاختبار، لا أنَّه من جملة الأوقاف الجائزة[١].

قوله: (﴿مَنَاصٍ﴾) المناصُ يطلق على: المنجى والمفرِّ والتقدُّم والتأخُّر، وكلٌّ هنا يناسب المقام.

قوله: (أي: ليس الحين... إلخ) أشار بذلك إلى مذهب الخليل وسيبويه في (لات) من حيث إنها تعمل عمل (ليس)، وأنَّ اسمها محذوفٌ، وهو وخبرُها لفظُ الحين[٢]، وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله[٣]: [الرجز]

وَمَا لِلَاتَ فِي سِوَى حِينٍ عَمَلْ ... وَحَذْفُ ذِي الرَّفْعِ فَشَا وَالعَكْسُ قَلْ

قوله: (والتاء زائدة) أي: لتأكيد النفي.

قوله: (من فاعل «نادوا») أي: وهو الواو.

قوله: (وما اعتبر) معطوف على ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

قوله: (﴿وَعَجِبُوٓاْ﴾... إلخ) أي: جعَلوا مجيءَ رسولٍ من جنسهم أمراً خارجاً عن طوق العقل فيتعجب منه.

قوله: (من أنفسهم) أي: من جِنسهم.

---

(١) وبالهاء وقف الكسائي وحدَه من السبعة، وهو مذهب المبرد في الوقف. انظر «الدر المصون» (٣/٣٤٩).

(٢) انظر «الكتاب» لسيبويه (١/٥٧).

(٣) «الخلاصة»، باب (ما ولا ولات وإن المشبهات بليس).

هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ ....

- فِيه وَضعُ الظاهِر مَوضِعَ المُضمَر - ﴿هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾.

﴿٥﴾ ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾ حَيثُ قال لَهُم: قُولُوا: لا إلَه إلَّا الله، أي: كَيفَ يَسَعُ الخَلقَ كُلَّهم إلَهٌ واحِد؟ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ أي: عَجِيب.

﴿٦﴾ ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ﴾ مِن مَجلِسِ اجتِماعِهِم عِند أَبِي طالِب وسَماعِهِم فِيهِ مِن النَّبِيِّ ﷺ: قُولُوا: لا إلَه إلَّا الله، ....

حاشية الصاوي

قوله: (فيه وضع الظاهر... إلخ) أي: زيادةً في التقبيح عليهم، وإشعاراً بأنَّ كفرهم جسَّرهم على هذا القول.

قوله: (﴿سَٰحِرٞ﴾) أي: فيما يُظْهِرُه من الخوارق، (﴿كَذَّابٌ﴾) أي: فيما يُسْنِدُهُ إلى الله من الإرسال والإنزال.

قوله: (﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ﴾... إلخ) الاستفهام تعجبيٌّ؛ أي: كيف يَعلم الجميع ويقدر على التصرف فيهم إله واحد؟! وسببُ هذا التعجبِ: قياسُهُم القديمَ على الحادث، ولم يعلموا أنه واحدٌ لا من قلَّةٍ، بل وَحدتُهُ وحدةُ تعزُّزٍ وانفرادٍ، تنزَّه الله عن مماثَلة الحوادث له.

قوله: (عجيب) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿عُجَابٞ﴾ مبالغة في (عجيب).

قوله: (عند أبي طالب) روي: أنه لما أسلَم عمرُ.. شقَّ ذلك على قريش، فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم، فأتَوا أبا طالبٍ فقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا وقد عَلِمْتَ ما فعل هؤلاء السفهاء، وجِئناك لتقضيَ بيننا وبين ابن أخيك، فأحضَرَهُ وقال له: يا ابن أخي؛ هؤلاء قومُك يسألونك السَّواءَ والإنصافَ، فلا تمل كلَّ الميل على قَومك، فقال النبي ﷺ: **«ماذا تسألونني؟»** فقالوا: ارْفُضْنَا وارْفُضْ ذكر آلهتنا وندَعَكَ وإلهك، فقال **«أرأيتم إن أعطيتُكم ما سألتم أمُعطيَّ أنتم كلمةً واحدةً تملكون بها رِقاب العرب، وتَدينُ لكم العجم؟»**، فقالوا: نعم وعَشر أمثالها، فقال: **«قولوا: لا إله إلا الله»**، فقاموا وانطلقوا قائلين: امشُوا واصبروا على آلهتكم[1].

(١) الخبر بطوله عند ابن إسحاق في «السير والمغازي» (ص٢٣٦).

أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ....

﴿أَنِ ٱمْشُواْ﴾ أي: يَقُول بَعضُهم لِبَعضٍ: امشُوا ﴿وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾: اثبُتُوا على عِبادَتِها، ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المَذكورَ مِن التَّوحيدِ ﴿لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ مِنَّا.

(﴿٧﴾ - ﴿٨﴾) ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: مِلَّة عِيسى، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾: كَذِبٌ، ﴿أَءُنزِلَ﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزتَينِ وتَسهِيل الثَّانيةِ وإدخالِ ألِف بَينَهما على الوَجهَينِ وتَركِه - ﴿عَلَيْهِ﴾: على مُحمَّد ﴿ٱلذِّكْرُ﴾: القُرآنُ ﴿مِنۢ بَيْنِنَا﴾ وليسَ بِأكبَرِنا ولا أشرَفِنا، أي: لم يُنزَل عليه، قال تَعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ وَحيِي أي: القُرآن

حاشية الصاوي

قوله: (أي: يقول بعضهم... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ (أن) تفسيريَّةٌ، وضابطُها موجودٌ، وهو تقدُّم جملةٍ فيها معنى القول دُون حروفه[1].

قوله: (﴿وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾) أي: استَمِرُّوا على عبادتها.

قوله: (﴿إِنَّ هَٰذَآ﴾) تعليل للأمر بالصبر.

قوله: (﴿يُرَادُ﴾ منَّا) أي: يُقْصَدُ منَّا تَنفيذه؛ فلا انفكاك لنا عنه[2].

قوله: (﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾... إلخ) أي: وإنما سمعنا فيها التَّثليثَ.

قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي: فالقراءاتُ أربعٌ سبعيَّات[3].

قوله: (أي: لم ينزل عليه) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهامَ إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ﴾) إضرابٌ عن مقدَّر، تقديرُهُ: إنكارهم للذكر ليس عن عِلمٍ، بل هم في شكٍّ منه.

---

(١) لأنَّ المنطلقين عن مجلس التَّقاول لا بدَّ لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم، فكان انطلاقهم مضمَّناً معنى القول. انظر «الكشاف» (٥/ ٢٤٤).

(٢) لَشَيْءٌ يُرادُ من جهته عليه الصلاة والسلام إمضاؤه وتنفيذه لا محالة، من غير صارفٍ يلويه، ولا عاطف يثنيه، لا قولٌ يقال من طرف اللسان. «فتوحات» (٣/ ٥٩١).

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية كالواو، وأدخل بينهما ألفاً قالون، وأبو عمرو بخلاف عن ورش وابن كثير بغير إدخال، وعن هشام فيها ثلاثة أوجه: تحقيق الهمزتين، وإدخال ألف بينهما، وتحقيقهما من غير إدخال ألف بينهما. انظر «السراج المنير» (٣/ ٤٠١).

﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُواْ فِي ٱلْأَسْبَٰبِ ۝١٠﴾ ....

حيثُ كذَّبُوا الجائيَ بِه، ﴿بَل لَّمَّا﴾: لَم ﴿يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾، ولَو ذاقُوهُ لَصدَّقُوا النَّبيَّ ﷺ فِيما جاء بِه، ولا يَنفَعهُم التَّصدِيقُ حِينَئذٍ.

(﴿٩﴾ - ﴿١٠﴾) ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ﴾: الغالِب ﴿ٱلْوَهَّابِ﴾ مِن النُّبُوَّة وغَيرِها فيُعطُونَها مَن شاؤُوا، ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إن زَعَمُوا ذلكَ، ﴿فَلْيَرْتَقُواْ فِي ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ المُوصِّلةِ إلى السَّماء، فيَأتُوا بِالوَحيِ فيَخُصُّوا بِه مَن شاؤُوا، و(أم) في المَوضِعَينِ بِمعنَى هَمزةِ الإنكارِ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾) إضرابٌ انتقاليٌّ لبيان سبب الشَّكِّ، والمعنى: سببُهُ أنهم لم يَذوقوا العذاب إلى الآن، ولو ذاقُوه.. لأيقَنوا بالقرآن وآمنوا به.

قوله: (لم يذوقوا) أشار بذلك إلى أنَّ (لما) بمعنى (لم)، فالمعنى: لم يَذوقوه إلى الآن وذوقهم له متوقَّعٌ، فإذا ذاقوه.. زال عنهم الشَّكُّ وصدَّقوا، وتصديقُهُمْ حينئذٍ لا يَنفعهم.

قوله: (حينئذٍ) أي: حين ذاقُوه.

قوله: (﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾) المعنى: أنَّ النُّبوَّةَ عطيَّةٌ من الله، يتفضَّل بها على من يشاء من عباده؛ فلا مانعَ له.

قوله: (الغالب) أي: الذي لا يغلبه شيءٌ، بل هو الغالب لكلِّ شيءٍ.

قوله: (﴿ٱلْوَهَّابِ﴾) أي: الذي يهبُ ما يشاء لمن يشاء.

قوله: (﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) المعنى: ليس لهم تصرُّفٌ في العالم الذي هو من جملة خزائن رحمته، فمِن أين لهم التصرُّف فيها؟

قوله: (﴿فَلْيَرْتَقُواْ فِي ٱلْأَسْبَٰبِ﴾) الفاء واقعة في جواب شرط مقدَّر، قدَّره بقوله: (إن زعموا ذلك) أي: المذكورَ من العنديَّة والملكيَّة، والمعنى: فليَصعدوا في المعاريج التي يتوصَّل بها إلى العرش حتى يستووا عليه، ويدبِّروا أمر العالم، وينزلوا الوحيَ على مَنْ يختارون.

قوله: (بمعنى همزة الإنكار) أي: وبعضهم قدَّرها بـ(بل) والهمزة.

جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾

﴿١١﴾ ﴿جُندٞ مَّا﴾ أي: هُم جُندٌ حَقير ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: في تكذِيبِهم لَك ﴿مَهۡزُومٞ﴾ ـ صِفة ﴿جُندٞ﴾ ـ ﴿مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ ـ صِفة ﴿جُندٞ﴾ أيضاً ـ أي: كالأجنادِ مِن جِنس الأحزابِ المُتحزِّبينَ على الأنبياء قبلَك، وأُولئِكَ قد قُهِرُوا وأُهلِكُوا، فكذا نُهلِكُ هؤُلاء.

(﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾) ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾ ـ تأنِيثُ قَوم بِاعتِبار المعنَى ـ، ﴿وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ﴾ كان يَتِدُ لِكُلِّ مَن يَغضَب علَيهِ أربعةَ أوتادٍ، يَشُدُّ إلَيها يَدَيهِ ورِجلَيهِ ويُعَذِّبُه، ......

حاشية الصاوي

قوله: (أي: هم جند) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿جُندٞ﴾ خبرٌ لمحذوف، والتنوين للتقليل والتحقير، و(ما): لتأكيد القلَّة.

قوله: (﴿هُنَالِكَ﴾) ظرفٌ لـ﴿جُندٞ﴾ أو لـ﴿مَهۡزُومٞ﴾.

قوله: (﴿مَهۡزُومٞ﴾) أي: مَقهور ومغلوب، والمعنى: إنَّ قريشاً جندٌ حقيرٌ قليلٌ من الكفار المتحزِّبين على الرسل، مهزومٌ مكسورٌ عن قريب؛ فلا تكترث بهم، وتسلَّ عنهم.

قوله: (صفة ﴿جُندٞ﴾ أيضاً) أي: فقد وصف ﴿جُندٞ﴾ بصفات ثلاث: الأولى: ﴿مَّا﴾، والثانية: ﴿مَهۡزُومٞ﴾، والثالثة: ﴿مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾.

قوله: (وأولئك) أي: الأحزاب.

قوله: (﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾... إلخ) استئنافٌ مقدَّر لمضمون ما قبله ببيان تفاصيل الأحزاب.

قوله: (باعتبار المعنى) أي: وهو أنهم أمة.

قوله: (كان يَتِدُ) من باب: (وعد) أي: يدقُّ ويغرزُ، و(الأَوْتَاد) جمع (وَتِد) بفتح الواو وكسر التاء على الأفصح.

قوله: (يشدُّ إليها يديه... إلخ) أي: ويُضجعه مستلقياً على ظهره.

قوله: (ويعذبه) قيل: يتركه حتى يموت، وقيل: يُرسل عليه العقاربَ والحيَّاتِ.

وقيل: معنى ﴿ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ﴾: ذو الملك الثابت، أو ذو الجموع الكثيرة[1]، وفي الأوتاد استعارةٌ بليغةٌ؛ حيث شبَّه الملك ببيت الشعر، وهو لا يَثبت إلا بالأوتاد.

---

(١) سُمُّوا بذلك؛ لأنَّ بعضهم يشدُّ بعضاً؛ كالوَتِدِ يشدُّ البناء. «تفسير البيضاوي» (٥/ ٢٥).

وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ ....

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ أي: الغَيضةِ، وهُم قومُ شُعَيب عليه السلامُ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾.

﴿١٤﴾ ﴿إِن﴾: ما ﴿كُلٌّ﴾ مِن الأحزابِ ﴿إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ لِأَنَّهُم إذا كَذَّبُوا واحِداً مِنهُم فقَد كَذَّبُوا جَمِيعَهُم؛ لِأَنَّ دَعوَتَهم واحِدةٌ، وهي دَعوةُ التَّوحيدِ، ﴿فَحَقَّ﴾: وَجَبَ ﴿عِقَابِ﴾.

﴿١٥﴾ ﴿وَمَا يَنظُرُ﴾: يَنتَظِر ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: كُفَّار مكَّةَ ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ هي نَفخةُ القِيامة تُحِلُّ بِهِم العَذابَ، ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ ـ بِفَتحِ الفاء وضَمِّها ـ: رُجُوع.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: الغيضةِ) أي: الأشجارِ الملتفَّةِ المجتمعةِ، وتقدَّم أنهم أُهلكوا بالظلة[1].

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾) بدل من الطوائف المذكورة، وقوله: (﴿إِن كُلٌّ﴾... إلخ) استئنافٌ جيء به تقريراً لتكذيبهم، وبياناً لكيفيَّته، وتمهيداً لما يتبعه، و(إن): نافيةٌ لا عمل لها؛ لانتقاض النفي بـ(إلا)[2].

قوله: (لأنهم... إلخ) جوابٌ عن سؤال: كيف يقال: إنَّ كلاً كذَّب الرسل مع أنَّ كلَّ أمَّةٍ كذَّبت رسولاً واحداً؟

قوله: (﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾) شروعٌ في بيانِ عقاب كُفَّار مكة إثرَ بيانِ عقاب إخوانهم الأحزاب.

قوله: (هي نفخة القيامة) أي: الثانيةُ.

قوله: (﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾) الجملة في محل نصب صفة لـ﴿صَيْحَةً﴾، و﴿مِن﴾: مزيدة في المبتدأ.

قوله: (بفتح الفاء وضمِّها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان بمعنى واحد[3]، وهو الزمان الذي بين

---

(١) أي: وهي سحابة أظلَّتهم بعد حرٍّ شديد أصابهم، فأمطرَت عليهم ناراً، فاحترقوا؛ كما مرَّ في تفسير سورة (الشعراء)، وانظر (٥/ ٤٧).

(٢) فإنَّ انتقاضه مع الأصل ـ وهي (ما) ـ مبطلٌ، فكيف بفرعها؟ «الدر المصون» (٩/ ٣٦٣).

(٣) قرأ حمزة والكسائي: (فواق) بضم الفاء، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٩/ ٣٦٣).

وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ

﴿١٦﴾ ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ لَمَّا نَزل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ... إلخ﴾ [الحاقة: ١٩]: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أي: كِتابَ أعمالِنا ﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ قالُوا ذلك استِهزاءً.

﴿١٧﴾ قال تَعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ أي: القُوَّةِ في العِبادةِ؛ كان يَصُوم يَوماً ويُفطِرُ يوماً، ....

حاشية الصاوي

حَلْبَتَي الحالب ورَضْعَتَي الرَّاضع، والمعنى: ما لها من توقُّفٍ قَدْرَ فواق ناقةٍ، وقال ابن عباس: ما لها من رجوعٍ؛ من: (أفاق المريضُ): إذا رجع إلى صحَّته، وقد مَشى عليه المفسِّر، وكلٌّ صحيحٌ[1].

قوله: (لما نزل ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ﴾... إلخ) أي: الذي في سورة (الحاقة).

قوله: (﴿قِطَّنَا﴾) أي: نَصيبنا وحظَّنا، وأصلُهُ: من: (قَطَّ الشَّيءَ) أي: قطَعَهُ.

قوله: (أي: كتاب أعمالنا) سمِّي قطًّا؛ لأنه مقطوطٌ؛ أي: مَقطوعٌ؛ لأنَّ صحيفة الأعمال قطعةُ ورقٍ مقطوعةٌ من غيرها.

قوله: (﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾) أي: في الدنيا.

قوله: (﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾) فيه تهديدٌ للكفار، وتسليةٌ لرسول الله ﷺ.

قوله: (﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾... إلخ) المقصود من ذكر تلك القصص: إظهارُ فضلِ المتقدِّمين، وتسليتُهُ ﷺ على أذى قَومه، فيَقتدي بمن قبله؛ لكونه سيِّدَ الجميع، فهو أولى بالصبر. والإضافةُ في ﴿عَبْدَنَآ﴾ لتشريف المضاف.

قوله: (﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾) مصدر مفرد بوزن: (البيع)، من: آد يَئِيد: إذا قَوِيَ واشتدَّ، وليس جمْعَ (يدٍ).

قوله: (كان يصوم يوماً ويفطر يوماً) أي: وهو جهادٌ للنَّفس، دليلٌ على قوَّة داوود؛ لأنَّ النفس كالطفل، فإذا فطَمها عن شهوتها بالصوم يوماً.. أطلقها في اليوم الثاني، ثم يعود لِفطمها، ولا شكَّ أنه جهادٌ عظيمٌ.

(١) خبر ابن عباس رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٦١)، وفي «صحاح» الجوهري، مادة (ف وق): (الفُواقُ والفَواقُ: ما بين الحلبتَين من الوقت؛ لأنها تحلب ثم تترك سُويعة يرضعها الفصيل لتدُرَّ ثم تحلب، يقال: ما أقام عنده إلا فواقاً).

إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ ....

ويَقُومُ نِصفَ اللَّيل ويَنامُ ثُلُثَه ويَقُوم سُدُسَه، ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: رَجَّاعٌ إلى مَرضاةِ الله.

(﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾) ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾ بِتَسبِيحِه ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾: وقتَ صَلاةِ العِشاء، ﴿وَٱلْإِشْرَاقِ﴾: وقتَ صَلاةِ الضُّحى، وهو أن تُشرِقَ الشَّمس ....

حاشية الصاوي

قوله: (ويقوم نصف الليل... إلخ) هكذا في بعض النسخ موافقةً لما في «القرطبي» و«البيضاوي» و«أبي السعود»[1]، وفي بعض النسخ: (كان ينام نصف الليل، ويقوم ثُلثه، وينام سدسه)، وهو الموافق لما في «الصحيحين» من قوله عليه الصلاة والسلام: **«إنَّ أحبَّ الصيام إلى الله صيامُ داوود، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داوود؛ كان يَصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان ينام نصف الليل، ويقوم ثُلثه، وينام سدسه»**[2]، ولما في «الجامع الصغير» من قوله عليه الصلاة والسلام: **«أحبُّ الصيام إلى الله صيام داوود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داوودَ كان ينام نصف الليل، ويَقوم ثلثه، وينام سُدسه»**[3]، ولعلَّهُ كان أحياناً هكذا وأحياناً هكذا.

قوله: (﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾) تعليلٌ لكونه ذا قوَّةٍ في الدين.

قوله: (إلى مرضاة الله) المرضاة بمعنى: الرضا.

قوله: (﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ﴾) تعليلٌ آخرُ لقوَّته في الدين.

قوله: (﴿يُسَبِّحْنَ﴾) أي: بلِسان المقال[4]، ويَسِرن معه في السياحة، والجملة حاليَّة من مفعول ﴿سَخَّرْنَا﴾.

قوله: (وقت صلاة العشاء) ظاهره: أنَّ المرادَ بها العشاءُ الأخيرةُ، والذي يفهم من كلام غيره: أنها المغرب؛ حيث قال: (فكان داوود يسبح إثر صلاته عند طلوع الشمس وعند غُروبها)[5].

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١٥/١٥٨)، و«تفسير البيضاوي» (٥/٢٦)، و«تفسير أبي السعود» (٧/٢١٩).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٤٢٠)، و«صحيح مسلم» (١١٥٩) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) الجامع الصغير للسيوطي (١٧٠) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٤) أي: يقدِّسن الله عزَّ وجلَّ بصوت يتمثل له، أو بخلق الله تعالى فيها الكلام، أو بلسان الحال. انظر «تفسير أبي السعود» (٧/٢١٩).

(٥) انظر «تفسير القرطبي» (١٥/١٥٩).

وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ ....

ويَتَناهَى ضَوؤُها، ﴿وَ﴾ سَخَّرنا ﴿ٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ﴾: مَجمُوعةً إلَيهِ تُسَبِّحُ مَعَه، ﴿كُلّٞ﴾ مِن الجِبالِ والطَّير ﴿لَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾: رَجَّاعٌ إلى طاعَتِه بِالتَّسبِيح.

٢٠ ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ﴾: قَوَّيناهُ بِالحَرَسِ والجُنُودِ، وكان يَحرُسُ مِحرابَه في كُلِّ لَيلة ثَلاثُون ألفَ رَجُل، ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾: النُّبُوَّةَ والإصابةَ في الأُمُور، ....

حاشية الصاوي

قوله: (ويتناهى ضَوؤها) أي: وهو ربع النَّهار.

قوله: (﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ﴾) بالنصب في قراءة العامَّة، معطوفة على (الجبال)[1]، وقرئ شذوذاً بالرفع مبتدأً وخبرٌ[2].

قوله: (﴿كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾) أشار المفسِّر إلى أنَّ الضمير في (له) عائدٌ على داوود، وحينئذٍ فالمعنى: كلٌّ من الجبال والطير مُطيعٌ لداوود في تسبيحه؛ إن رفع رفعوا، وإن خفض خفضوا، وهو أحد قولين، والآخر: أنه عائدٌ على الله تعالى، والمعنى: كلٌّ من داوود والجبال والطير مطيعٌ لله تعالى.

قوله: (بالحرس) بفتحتين: اسم جمع كـ: (خَدَمٍ)، أو بضمِّ الحاء وفتح الراء المشدَّدة: جمع حارس[3].

قوله: (ثلاثون ألف رجل) في رواية ابن عباس: (ستٌّ وثلاثون ألفاً)[4].

قوله: (النُّبوَّة والإصابة في الأمور) هذا أحدُ أقوالٍ في تفسير (الحكمة)، وقيل: هي العِلم بكتاب الله تعالى، وقيل: العلم والفِقه، وقيل: السُّنَّة.

---

(١) أي: و(محشورة) معطوفة على الحال قبلها، فيكون قد عطف مفعولاً على مفعول، وحالاً على حال؛ كقولك: ضربت زيداً مكتوفاً وعمراً مطلقاً. وأتى بالحال اسماً؛ لأنه لم يقصد أن الفعل وقع شيئاً فشيئاً؛ لأنَّ حشرها دُفعة واحدة أدلُّ على القدرة. انظر «الدر المصون» (٩/ ٣٦٥).

(٢) وبها قرأ ابن أبي عبلة والجحدري. المرجع السابق.

(٣) أي: وبعد الراء ألفٌ، والحُرَّاسُ، الواحد: حَرَسيٌّ، لأنَّه قد صار اسم جنس فنسب إليه. ولا تقل: (حارس) إلا أن تذهب به إلى معنى الحراسة دون الجنس. «الصحاح»، مادة (ح ر س).

(٤) رواها البغوي في «تفسيره» (٧/ ٧٦).

وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ ....

﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾: البَيانَ الشافيَ في كُلِّ قَصدٍ.

﴿٢١﴾ ﴿وَهَلْ﴾ مَعنى الاستِفهام هُنا التَّعجِيبُ والتَّشوِيق إلى استِماعِ ما بَعدَه، ﴿أَتَىٰكَ﴾ يا مُحمَّد ﴿نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾: مِحرابَ داوُدَ، أي: مَسجِدَه حَيثُ مُنِعُوا الدُّخُولَ علَيهِ مِن الباب لِشَغلِهِ بِالعِبادةِ، أي: خَبَرُهم وقِصَّتُهم.

﴿٢٢﴾ ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ﴾ نَحنُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (البيان الشافي) أي: الإظهارَ المنبِّه للمخاطب من غير التباسٍ، وهو أحدُ أقوال في تفسير (فصل الخطاب)، وقيل: الفصل في القضاء، وقيل: هو (البيِّنةُ على المدَّعي واليمين على مَنْ أنكر)، وقيل: هو (أمَّا بعدُ)، وقيل غير ذلك[1].

قوله: (التعجيب) أي: حمل المخاطب على التعجب، أو إيقاعه في العجب.

قوله: (إلى استماع ما بعده) أي: لِكونه أمراً غريباً؛ كقولك لجليسك: هل تَعلم ما وقع اليوم؟ تريدُ أن يستمع لكلامك، ثمَّ تذكر له ما وَقع.

قوله: (﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟﴾) ظرفٌ لمضافٍ محذوفٍ، تقديره: نبأ تخاصم الخصم، ولا يصح أن يكون ظرفاً لـ(أتاك)؛ لأنَّ إتيانَ النَّبأ كائنٌ في عهد رسول الله، لا في عهد داوود، ولا لـ(نبأ)؛ لأنَّ النبأ واقعٌ في عهد داوود؛ فلا يصحُّ إتيانُهُ رسولَ الله ﷺ[2].

قوله: (أي: مسجده) أي: الذي كان يَدخله للاشتغال بالعبادة والطاعة.

قوله: (حيث مُنِعُوا الدخول عليه من الباب) أي: لكونهم أَتَوْهُ في اليوم الذي كان يشتغل فيه بالعبادة، فمَنعهم الحرس الدخول عليه من الباب.

قوله: (﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾) أي: لأنهم نَزلوا من أعلى، على خلاف العادة، والحرس حوله.

قوله: (﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾) جوابُ سؤالٍ مقدَّر، كأنه قيل: ماذا قالُوا لما شاهدوا فزعَه؟ فقال: قالوا: لا تخف.

---

(١) نقل الأقوالَ فيه وفي (الحكمة) وعزاها لأصحابها القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٦٥).

(٢) ويجوز أن ينتصب بالخصم؛ لما فيه من معنى الفعل. انظر «الكشاف» (٥/ ٢٥٤).

خَصْمَانِ ....

﴿خَصْمَانِ﴾ قِيل: فَرِيقانِ لِيُطابِق ما قبلَه مِن ضَمِير الجَمع، وقِيل: اثنانِ، والضَّمِيرُ بِمَعناهُما، والخَصم يُطلَقُ على الواحِد وأكثَرَ، وهُما مَلَكانِ جاءَا في صُورةِ خَصمَينِ وقَعَ لَهُما ما ذُكِر على سَبِيل الفَرض؛ لِتَنبِيهِ داوُدَ عليهِ السَّلام على ما وقَع مِنهُ، وكان لَه تِسعٌ وتِسعُونَ امرَأةً، وطَلَبَ امرَأةَ شَخص ليسَ لَهُ غَيرُها وتَزوَّجها ودَخَل بِها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (قيل: فريقان) هذا مبنيٌّ على أنَّ الداخل عليه كان أزْيَدَ من اثنين، فكان المتخاصمَيْنِ والشَّاهدَيْنِ والمزكِّيَيْنِ.

قوله: (وقيل اثنان) أي: شَخصان، وهو مبنيٌّ على أنَّ الداخل المتداعيان فقط.

قوله: (والخصم يطلق... إلخ) أي: لأنه في الأصل مصدر.

قوله: (وهما مَلَكان) قيل: هما جبريل وميكائيل.

قوله: (على سبيل العرض) بالعين المهملة؛ أي: التعريض، وهو جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ الملائكة معصومون؛ فكيف يُتصور منهم البغي أو الكذب؟ فأجابَ: بأنَّ هذا على سبيل التعريض للمخاطب، فلا بغيَ فيه ولا كذب.

قوله: (لتنبيه داوود) أي: إيقاظه على ما صدر منه.

قوله: (وكان له تسعٌ... إلخ) بيانٌ لما وقع منه.

قوله: (وطلب امرأة شخص) وهو وَزيره أُورِيَا بن حنان؛ لسرٍّ عظيمٍ، وهو كما قيل: إنها أُمُّ سليمان عليه السلام.

قوله: (وتزوَّجها ودخل بها) مشى المفسِّر على أنَّ داوود سأل أُورِيَا طلاقَ زوجتِهِ، ثمَّ بعد وفاء عدَّتها تزوَّجها داوودُ ودخل بها، وهو أحدُ أقوالٍ ثلاثة، والثاني: أنَّ داوود لما تعلَّق قلبُهُ بها.. أمر أورِيَا لِيَذهب للجهاد ليقتل، فيتزوَّجها، ففعل، فلمَّا قُتِلَ في الجهاد.. تزوَّجها داوود[1].

(١) وهذا لا يَليق من المتَّسمين بالصلاح من أفناء ـ أي: جماعات ـ المسلمين فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء، وقال عليٌّ رضي الله عنه: مَنْ حدَّثكم بحديث داوود عليه السلام على ما يَرويه القُصَّاص.. جلدته مئةً وستين، وهو حدُّ الفرية على الأنبياء. ورُوي أنه حُدِّثَ بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجلٌ من أهل الحق، فكذَّب المحدِّثَ وقال: إن كانت القصة على ما في كتاب الله.. فما ينبغي أن يُلْتَمَسَ خلافُهَا، وأعظم بأن يقال غير ذلك، وإن كانت على ما ذكرت =

بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى

﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾: تـجـرْ، ﴿وَٱهْدِنَآ﴾: أرشـدنـا ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾: وسَطِ الطَّريق الصَّوابِ.

﴿٢٣﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ أي: على دِينِي ....

حاشية الصاوي

والثالث: أنَّ أُوريَا لم يكن متزوِّجاً بها، وإنما خطَبها فقط، فخطبها داوود على خطبته وتزوَّجها، وكان ذلك كلُّه جائزاً في شرعه، وإنما عاتبه الله؛ لِرفعة قدره، وللسَّيِّد أن يعاقب عبده على ما يقع منه وإن كان جائزاً، من باب: حسناتُ الأبرارِ سيِّئاتُ المقرَّبين.

قوله: (﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾) العامَّةُ على ضمِّ التاء، من: (أشطط): إذا تجاوز الحدَّ، وقرئ شذوذاً (تَشْطُطْ) بفتح التاء وضمِّ الطاء، و(تُشِطَّ) من: (أشطَّ) رباعيًّا إلا أنه أدغم، و(تُشَطِّطْ) من: (شَطَّطَ)، و(تُشاطِطْ)[1].

قوله: (﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾... إلخ) مرتَّبٌ على مقدَّر، تقديره: فقال لهما داوود: تكلَّما، فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى...﴾ إلخ.

قوله: (أي: على ديني) أي: فليس المرادُ أخوَّةَ النَّسب؛ لأنَّ الملائكة لا يَلِدون، ولا يوصفون بذكورةٍ ولا أنوثةٍ.

= وكفَّ الله عنها ستراً على نبيِّه.. فما يَنبغي إظهارها عليه، فقال عمرُ: لسماعي هذا الكلامَ أحبُّ إليَّ ممَّا طلعت عليه الشمس. انظر «تفسير النسفي» (٣/ ١٣٩).

وقد أطال الإمام الرازي رحمه الله تعالى في «تفسيره» (٢٦/ ٣٨٠) بذكر الوجوه التي تدل على أنَّ القصة التي ذكرُوها فاسدةٌ باطلةٌ، ثم أورد اعتراضاً وأجاب عنه، فقال: (فإن قال قائل: إنَّ كثيراً من أكابر المحدثين والمفسرِين ذكروا هذه القصة؛ فكيف الحال فيها؟ فالجواب الحقيقي: أنه لما وقع التعارضُ بين الدلائل القاطِعة وبين خبر واحد من أخبار الآحاد.. كان الرجوع إلى الدلائل القاطعة أولى، وأيضاً: فالأصلُ براءةُ الذمة، وأيضاً: فلمَّا تعارض دليل التحريم والتحليل.. كان جانب التحريم أولى، وأيضاً: طريقة الاحتياط توجب ترجيح قولنا، وأيضاً: فنحن نَعلم بالضرورة أن بتقدير وقوع هذه الواقعة لا يقول الله لنا يوم القيامة: لِمَ لَمْ تسعَوا في تشهير هذه الواقعة؟ وأما بتقدير كونها باطلة فإنَّ علينا في ذكرها أعظم العقاب).

(١) قرأ أبو رجاء وابنُ أبي عبلة: (تَشْطُط)، وقرأ قتادة: (تُشِطَّ)، وعنه أيضاً: (تُشَطِّطْ)، وقرأ زرُّ بن حبيش: (تُشاطِطْ). انظر «الدر المصون» (٩/ ٣٦٩).

لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ ....

﴿لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ﴾ يُعبَّر بِها عن المَرأةِ، ﴿وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ أي: اجعَلْنِي كافِلَها، ﴿وَعَزَّنِي﴾: غَلَبَنِي ﴿فِي ٱلۡخِطَابِ﴾ أي: الجِدالِ، وأقَرَّهُ الآخَرُ على ذلك.

﴿٢٤﴾ ﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ﴾ لِيَضُمَّها ﴿إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ﴾: الشُّرَكاءِ ﴿لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ﴾ - (ما) لِتَأكيدِ القِلَّة -، فقال المَلَكانِ صاعِدَينِ في صُورَتَيهِما إلى السَّماء: قضَى الرجلُ على نَفسِه، فتَنبَّه داودُ، قال تَعالى: ﴿وَظَنَّ﴾ أي: أيقَنَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (يعبَّر بها عن المرأة) أي: يكنَّى بها عن المرأة؛ لسكونها وعَجزها، وقد يكنَّى عنها بالبقرة والنَّاقة.

قوله: (أي: اجعلني كافلها) هذا هو معناه الأصلي، والمراد هنا: ملِّكنيها وانزل لي عنها.

قوله: (﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾) أي: فهو أفصح منِّي في الكلام، فالغلبة له عليَّ؛ لضعفي.

قوله: (وأقرَّه الآخر) أي: المدَّعى عليه، وهو جوابٌ عمَّا يقال: كيف حكم داوود ولم يسمع شيئاً من المدَّعى عليه؟ فأجيبَ: بأنه سمع منه الإقرار والاعتراف.

قوله: (﴿بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ﴾) من إضافة المصدر لمفعوله، والفاعل محذوف؛ أي: بأن سألك نعجتك.

قوله: (لتضمَّها) أشار بذلك إلى أنه ضمَّن السؤال معنى الإضافةِ والضَّمِّ.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ﴾ الشركاء) أي: الذين خَلطوا أموالهم، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ داوود سايَر ظاهرَ دعواهم.

قوله: (﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) استثناءٌ متَّصلٌ.

قوله: (فتنبَّه داوود) أي: علم أنهما يُريدانِهِ بهذا التعريض.

دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ....

﴿دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾: أوقَعناهُ في فِتنةٍ ـ أي: بَلِيَّة ـ بِمَحبَّتِه تِلكَ المَرأة، ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أي: ساجِداً ﴿وَأَنَابَ﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ أي: زِيادةَ خَيرٍ في الدُّنيا، ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: مَرجِعٍ في الآخِرة.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾) (ما): زائدة، والمعنى: وظنَّ داوود أنا فتَنَّاه فتنبَّه ولاحظ. والظنُّ هنا بمعنى: اليقين؛ كما أشار له المفسِّر.

قوله: (﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾) أي: طلَب منه المغفرة، وتقدَّم أنه ليس بذنب، وإنما هو من باب: حسناتُ الأبرارِ سيِّئاتُ المقرَّبين.

قوله: (أي: ساجداً) عبَّر بالركوع عنه؛ لأنَّ كلاً منهما فيه انحناءٌ.

قوله: (﴿وَأَنَابَ﴾) أي: رَجع إلى مولاه، قال المفسِّرون: سجد داوود أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجةٍ، أو لوقت صلاة مكتوبة، ثم يعود ساجداً إلى تمام الأربعين يوماً، لا يأكل ولا يشرب، وهو يَبكي حتى نبت العشب حول رأسه، وهو يُنادي ربَّه عزَّ وجلَّ ويسأله التوبة، وكان من دعائه في سجوده: سبحان الملك الأعظَم الذي يبتلي الخلق بما يشاء، سبحان خالق النور، سبحان الحائل بين القلوب، سبحان خالق النور.

إلهي؛ خلَّيت بيني وبين عدوي إبليس فلم أقُم لفتنته إذ نزلت بي، سبحان خالق النور.

إلهي؛ أنت خلقتني وكان في سابق عِلمك ما أنا إليه صائرٌ، سبحان خالق النور.

إلهي؛ الويل لداوود إذا كُشِفَ عنه الغطاء فيقال: هذا داوود الخاطئ، سبحان خالقِ النور.

إلهي؛ بأيِّ عينٍ أنظرُ إليك يوم القيامة، وإنما يَنظر الظالمون من طَرْفٍ خفيٍّ؟ سبحان خالق النور.

إلهي؛ بأيِّ قدَمٍ أُقدِّمُ أمامك يوم القيامة يوم تزلُّ أقدامُ الخاطئين؟ سبحان خالق النور.

إلهي؛ مِنْ أين يَطلب العبدُ المغفرةَ إلا مِنْ عند سيِّده؟ سبحان خالق النور.

إلهي؛ أنا لا أطيقُ حرَّ شمسك؛ فكيف أطيقُ حرَّ نارك؟! سبحان خالق النور.

. . . .

حاشية الصاوي

إلهي؛ أنا لا أُطيقُ صوتَ رعدك؛ فكيف أُطيقُ صوتَ جهنَّم؟! سبحان خالق النور.

إلهي؛ الويلُ لداوود من الذَّنبِ العظيمِ الذي أصابَه، سبحان خالق النور.

إلهي؛ كيف يَستتر الخاطئون بخطاياهم دونك وأنت تُشاهدهم حيث كانوا؟ سبحان خالق النور.

إلهي؛ قد تعلمُ سرِّي وعلانيتي فاقْبَلْ مَعذرتي، سبحان خالق النور.

إلهي؛ اغفر لي ذنوبي، ولا تُباعدني من رحمتك لهَوَاني، سبحان خالق النور.

إلهي؛ أعوذ بوجهك الكريم من ذنوبي التي أَوْبَقَتْني، سُبحان خالق النور.

إلهي؛ فَرَرْتُ إليك بذنوبي، واعتَرفْتُ بخطيئتي؛ فلا تجعلني من القانطين، ولا تُخزني يوم الدين، سبحان خالق النور[١].

قيل: مكث داوود أربعين يوماً لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دُموع عينيه، حتى غطَّى رأسه، فنودي: يا داوود؛ أجائعٌ أنت فتُطعم؟ أظمآنُ أنت فتسقى؟ أمظلومٌ أنت فتنصر؟ فأُجِيبَ في غير ما طلب، ولم يُجبه في ذكر خطيئته بشيءٍ، فحزن حتى هاج ما حوله من العشب، فاحترق من حرارة جَوفه، ثم أنزل الله تعالى له المغفرة والتوبة بقوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢٥][٢].

وقد وَرد: أنه لما قَبِلَ اللهُ توبتَهُ.. بكى على خَطيئته ثلاثين سنة لا يَرقأ دمعه ليلاً ولا نهاراً، فكان سنُّه إذ ذاك سبعين سنةً، فَقَسَّمَ الدَّهْرَ على أربعة أيام: يومٌ للقضاء، ويومٌ لنسائه، ويومٌ يسبِّح في الجبال والفَيافي والسياحة[٣]، ويومٌ يخلو في دارٍ له فيها أربعةُ آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان ينوح معهم على نفسه، فإذا كان يوم سياحته.. خرج إلى الفَيافي، ويرفع صوته بالبكاء، فتبكي معه الأشجار والرمال والطيور والوحوش حتى يَسيلَ من دموعهم مثلُ الأنهار، ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته بالبكاء، فتبكي معه دوابُّ البحر وطيرُ الماء، فإذا كان يوم نَوْحِهِ على نفسه.. نادى مُناديه: إنَّ اليومَ يومُ نَوْحِ داوود على نفسه؛ فليَحضرْهُ مَنْ يساعدُهُ، ويدخلُ الدار

---

(١) «تفسير البغوي» (٧/ ٨٣).

(٢) «تفسير الطبري» (٢١/ ١٨٧).

(٣) كذا في الأصول، وفي «فتوحات» العلامة الجمل (٣/ ٥٩٩): (والسواحل)، وهي كذلك عند البغوي في «تفسيره» (٧/ ٨٤)، فالخبر بِطُوله مرويٌّ عنده عن وهب منبه، وهو من الإسرائيليَّات كما لا يخفى.

يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ ....

(٢٦) ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تُدَبِّرُ أمرَ النَّاس، ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي: هَوَى النَّفسِ ....

حاشية الصاوي

التي فيها المحاريب، فيبسطُ فيها ثلاثة فرش من مُسُوحٍ حَشْوُها ليفٌ، فيجلس عليها، ويجيء أربعة آلاف راهب فيجلسون في تلك المحاريب، ثم يرفع داوود عليه السلام صوته بالبكاء والرهبان معه، فلا يزال يبكي حتى يغرق الفرش من دموعه، ويقع داوود فيها مثل الفرخ يَضطرب، فيجيء ابنه سليمان فيَحمله.

وقد ورد أيضاً: أنه لما تاب الله على داوود.. قال: يا ربِّ؛ غفرتَ لي، فكيف لي ألَّا أنسى خطيئتي فأستغفرَ منها وللخطَّائين إلى يوم القيامة؟ فوَسَمَ اللهُ خطيئتَهُ في يَده اليمنى، فما رفع فيها طعاماً ولا شراباً إلا بكى إذا رآها، وما قام خطيباً في الناس إلَّا وبسط راحته فاستَقبل بها الناس؛ ليرَوا وَسْمَ خطيئتِهِ، وكان يبدأ إذا دعا واستغفر للخطَّائين قبل نفسِه، وكان قبل الخطيئة يقوم نصف الليل، ويصوم نصف الدهر، فلمَّا كان من خطيئته ما كان.. صام الدهر كلَّه، وكان إذا ذكر عقاب الله تعالى.. انخلعَتْ أوصالُهُ، وإذا ذكر رحمة الله.. تراجعَتْ. انتهى ملخَّصاً[1].

قوله: (﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾) يحتمل أنه كلامٌ مستأنفٌ بيانٌ للزلفى في قوله: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾، ويحتمل أنه مَقولٌ لقولٍ محذوفٍ معطوفٍ على قوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ﴾ كأنه قيل: فغفرنا له وقلنا: يا داوود... إلخ، وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّ خلافتَهُ التي كانت قبل الفِتنة باقيةٌ مستمرَّةٌ بعد التوبة.

قوله: (تدبِّرُ أمرَ النَّاس) أي: لِكونك ملكاً وسلطاناً عليهم، فقد جُمِعَ لداوود بين النُّبوَّةِ والسلطنةِ، وكان فِيمَنْ قبله النُّبوَّةُ مع شخصٍ، والسلطنةُ مع آخرَ، فيحكمُ السلطان بما يَأمره به النبيُّ.

قوله: (﴿بِٱلْحَقِّ﴾) أي: العدلِ؛ لأنَّ الأحكامَ إذا كانت موافقةً لما أمر الله به.. صلحت الخلق، واستقامَ نِظامهم، بخلاف ما إذا كانت موافقةً لهوى النفس؛ فإنَّ ذلك يُؤدِّي إلى فساد النظام، ووقوع الهرج والمرج المؤدِّي للهلاك، وهو معنى قولهم: العدلُ إن دام عمَّر، والظلمُ إن دام دَمَّر.

قوله: (﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾) المقصودُ من نَهيِهِ: إعلامُ أُمَّتِهِ بأنه معصومٌ، ولِتَتَّبعَهُ فيما أمر به؛ لأنه إذا كان هذا الخطاب للمَعصوم.. فغيره أولى.

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٤/ ٣٨)، وفيه وفي (ط٢): (الخاطئين) بدل (الخطائين).

فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ....

﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: عنِ الدَّلائِلِ الدَّالَّةِ على توحِيدِه، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: عن الإيمانِ باللهِ ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ﴾: بِنِسيانِهِم ﴿يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ المُرَتَّب علَيهِ تَركُهُم الإيمانَ، ولَو أيقَنُوا بِيَومِ الحِساب لآمَنُوا في الدُّنيا.

﴿٢٧﴾ ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ﴾ أي: عَبَثاً، ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: خَلْقُ ما ذُكِر لا لِشيءٍ ﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ مِن أهلِ مكَّةَ، ﴿فَوَيۡلٞ﴾: وادٍ ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾) بالنصب في جواب النَّهي، وهو أولى من جعله مجزوماً عطفاً على النهي وفُتِحَ للتخلص من التقاء الساكنين.

قوله: (أي: عن الدلائل الدَّالَّةِ على توحيده) إنما فسَّر السبيل بذلك وإن كان شاملاً لفروعِ الدين الموصلةِ إلى الله تعالى؛ ليوافق قوله: ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ...﴾ إلخ.

قوله: (بنسيانهم) أشار بذلك إلى أنَّ (ما) مصدرية، والباء سببيَّة، وقوله: ﴿يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ إمَّا ظرف لقوله: ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ﴾، أو مفعول لـ﴿نَسُواْ﴾.

قوله: (المرتَّبِ عليه... إلخ) أي: فالسبب الحقيقي في حُصول العذاب لهم هو تركُ الإيمان، ونسيانُ يوم الحساب سببٌ في ترك الإيمان، فاكتفى بذكر السَّبب.

قوله: (﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ﴾... إلخ) استئنافٌ لتقرير ما قبله من البعث والحساب.

قوله: (﴿بَٰطِلٗاۚ﴾) نعتٌ لمصدر محذوف؛ أي: خلقاً باطلاً، أو حالٌ من ضمير الخلق.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾) أي: مظنونُهُم.

قوله: (﴿فَوَيۡلٞ﴾) وهو في الأصل معناه: الهلاك؛ أي: هلاكٌ ودمارٌ للذين كفروا، وعبَّر بالظاهر؛ تقبيحاً عليهم، وإشارة إلى أنَّ ظنَّهم إنما نَشأ من أجل كفرهم.

قوله: (﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾... إلخ) ﴿أَمۡ﴾: منقطعة تفسَّر بـ(بل) والهمزة،

أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ....

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾؟ نَزَل لمَّا قال كُفَّار مكَّة لِلمُؤمِنِين: إنَّا نُعطَى في الآخِرة مِثلَ ما تُعطَونَ، و(أم) بِمَعنَى همزةِ الإنكارِ.

﴿٢٩﴾ ﴿كِتَٰبٌ﴾ ـ خَبر مُبتدأ مَحذُوف ـ أي: هَذا، ﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾ ـ أصلُه: يَتدبَّرُوا، أُدغِمَت التَّاء في الدال ـ ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾: يَنظُرُوا في مَعانِيها فيُؤمِنُوا، ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾: يَتَّعِظ ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أصحابُ العُقُول.

﴿٣٠﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾ ابنَهُ، ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ أي: سُلَيمانُ ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: رَجَّاعٌ في التَّسبِيح والذِّكر في جَمِيع الأوقاتِ.

حاشية الصاوي

وهو إضرابٌ انتقاليٌّ من أمرِ البعث والحساب إلى بيان عدم استواء المؤمنين والكافرين في العواقب، وهو نظير قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾ [الجاثية: ٢١] الآية.

قوله: (﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾... إلخ) تنويعٌ آخرُ في الإضراب، والمعنى واحد.

قوله: (بمَعنى همزة الإنكار) أي: مع (بل) التي للإضراب.

قوله: (خبر مبتدأ محذوف) أي: و﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: صفة ﴿كِتَٰبٌ﴾، و﴿مُبَارَكٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف، أو خبرٌ ثانٍ، لا صفة ثانية لـ﴿كِتَٰبٌ﴾؛ لأنه يَلزم عليه الوصف بالجملة قبل الوصف بالمفرد، وفيه خلافٌ.

قوله: (ينظروا في مَعانيها) أي: يتأمَّلوا فيها فيَزدادوا معرفة ونوراً على حسب مشاربهم؛ فإنَّ التالين للقرآن على مراتبَ، فالعامَّةُ يَقرؤونه مرتَّلاً مجوَّداً مراعىً بعضُ مَعانيه على حسب الطاقة، والخاصَّةُ يقرؤونه ملاحِظين أنهم في حضرة الله تعالى يقرؤون كلامه عليه، وخاصَّةُ الخاصَّةِ يقرؤونه فانين عن أنفسهم، مشاهدين أنَّ لسانهم ترجمانٌ عن الله تعالى، رضي الله عنهم وعنَّا بهم.

قوله: (﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾) خصَّهم بالذكر؛ لأنهم المنتفِعون بالتَّذكُّر.

قوله: (﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ﴾) أي: من المرأة التي أخذها من أوريا، وكان سنُّه إذ ذاك سبعين سنةً.

قوله: (أي: سليمان) تفسيرٌ للمخصوص بالمدح.

إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ ....

﴿٣١﴾ ﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ﴾ هو ما بعدَ الزَّوال ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾: الخَيلُ، جَمعُ (صافِنة) وهي القائِمةُ على ثَلاث وإقامة الأُخرَى على طَرَف الحافِر، وهو مِن (صَفَنَ يَصفِن صُفُوناً)، ﴿ٱلۡجِيَادُ﴾: جَمع (جَوادٍ)، وهو السَّابِق، المَعنَى: أنَّها إذا استُوقِفَت سَكَنَت، وإن رَكَضَت سَبَقَت، وكانَت ألفَ فرَس عُرِضَت علَيهِ بَعد أن صلَّى الظُّهرَ لِإرادَتِه الجِهادَ علَيها العَدُوَّ، فعِند بُلُوغ العَرض مِنها تِسعَمِائة غَرَبَت الشَّمس ولَم يَكُن صَلَّى العَصر، فاغتَمَّ.

﴿٣٢﴾ ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ﴾ أي: أَرَدتُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ﴾) ظرفٌ لمحذوف، تقديره: اذكر يا محمد لقومك وقت أن عرض... إلخ، والمعنى: اذكر القصة الواقعة في ذلك الوقت.

قوله: (ما بعد الزوال) أي: إلى الغروب.

قوله: (وهي القائمة) أي: الواقفة على ثلاث قوائم.

قوله: (على طرف الحافر) أي: من رجلٍ أو يدٍ.

قوله: (وهو من: «صفن») أي: مأخوذ منه، والصافنُ من الآدميين: الذي يصفُّ قدمَيه ويقرن بينهما، وجمعه: صُفُون.

قوله: (جمع جواد) وقيل: جمع جِيْدٍ، يطلق على كلٍّ من الذكر والأنثى، مأخوذ من الجَوْد، أو الجِيْدِ، وهو العنق، والمعنى: طويلة العنق لِفَراهتها[1].

قوله: (المعنى) أي: معنى ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ﴾.

قوله: (وكانت ألف فرس) روي: أنه غزا أهلَ دمشقَ ونَصِيبينَ، وأصاب منهم ألف فرس، وقيل: أصابها أبُوه من العمالقة، فوضع يده عليها لبيت المال، وقيل: خرجت له من البحر ولها أجنحة[2].

قوله: (لإرادة الجهاد) أي: ليَختبرها.

قوله: (﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ﴾... إلخ) أي: على وجه الاعتذار عمَّا صدر منه، وندماً عليه، وضمَّن ﴿أَحۡبَبۡتُ﴾ معنى (آثرت) فعدَّاه بـ(عن).

---

(١) دابة فارهة؛ أي: نشيطة حادَّة قوية، وقد فرهت فراهة وفراهية. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ٤٤١).

(٢) انظر الأقوال في «تفسير البغوي» (٧/ ٨٨).

حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ....

﴿حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: الخَيل ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ أي: صَلاةِ العَصر، ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾ أي: الشَّمسُ ﴿بِٱلْحِجَابِ﴾ أي: استتَرَت بما يَحجُبُها عن الأبصارِ.

﴿٣٣﴾ ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ﴾ أي: الخَيلَ المَعرُوضة، فرَدُّوها، ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا﴾ بالسَّيفِ ﴿بِٱلسُّوقِ﴾: جَمعِ (ساقٍ) ﴿وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ أي: ذَبَحها وقَطع أرجُلَها تَقرُّباً إلى الله تَعالى حيثُ اشتَغلَ بِها عن الصَّلاة، وتَصدَّقَ بِلَحمِها، فعَوَّضَهُ الله خَيراً مِنها وأسرَعَ، وهي الرِّيح تَجرِي بِأمرِه كيفَ شاء.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: الخيل) إنما سمَّاها خيراً؛ لتعلُّق الخير بها؛ لما في الحديث: **«الخيرُ معقودٌ بنواصي الخيل إلى يوم القيامة»**[1].

قوله: (﴿بِٱلْحِجَابِ﴾) أي: وهو جبل دون جبل (ق) بمَسيرة سنة، تغرب من ورائه[2].

قوله: (﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ﴾) الخطاب لأتباعه المتولِّين أمرَ الخيل، والضمير عائدٌ على التي شَغلته، وهي التسع مئة، وأما المئة الأخرى.. فلم يَذبحها، وما في أيدي الناس من الخيل الجِيَادِ فمن نسل تلك المئة.

قوله: (أي: ذبحها وقطع أرجلها بالسيف) أي: وكان مباحاً له؛ ولذا لم يعنِّفه الله عليه[3]، وهذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين، وقيل: الضميرُ في قوله: ﴿رُدُّوهَا﴾ عائدٌ على الشمس، والخطاب للملائكة الموكَّلين بها، فردُّوها، فصلَّى العصر في وقتها.

وقال الفخر الرازي: (معنى قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾: أنه يمسحها حقيقةً بيده؛ ليختبر عيوبَها وأمراضها؛ لكونه كان أعلمَ بأحوال الخيل، وإشارةً إلى أنه بلغ من التواضع إلى أنه يُباشر الأمور بنفسه، ولم يَحصل منه ذبحٌ ولا عقرٌ، ولم تُفَوَّتْ عليه صلاةٌ.

ومعنى: ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ أي: لأجل طاعة ربي، لا لهوى نفسي، ومعنى:

---

(١) رواه البخاري (٣٦٤٣) واللفظ له، ومسلم (١٨٧٣) عن سيدنا عُروة البارقي ﷺ.

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٤/ ٤٠).

(٣) في (ط٢): (لم يعاتبه).

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَنَ ....

٣٤ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَنَ﴾: ابتَلَيناهُ بِسَلبِ مُلكِه، ....

حاشية الصاوي

﴿تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ أي: الخيل غابَت عن بصره حين أمر بإجرائها؛ ليَختبرها للغزو، فقال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾، فردُّوها، فصار يمسح في أعناقها وسوقها؛ كما تقدم، وليس في الآية ما يدلُّ على ثبوت ذبح ولا عقر ولا فواتِ صلاة). اهـ بالمعنى[1].

قوله: (﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَنَ﴾... إلخ) أجمل المفسِّر في القصة، وحاصلُ تفصيلها على ما رواه وهب بن مُنبه قال: سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها: صيدون، وبها مَلِكٌ عظيمُ الشَّأن، ولم يكن للناس إليه سبيلٌ؛ لمكانه في البحر، وكان الله تعالى قد آتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنِع عليه شيءٌ في برٍّ ولا بحرٍ، وإنما يركب إليه الريح، فخرج إلى تلك المدينة تَحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بجنوده من الجن والإنس، فقتل مَلكها، وسبى ما فيها، وأصاب فيما أصاب بنتاً لذلك الملك يقال لها: جرادة، لم يُرَ مثلُهَا حسناً وجمالاً، فاصطَفاها لنفسه، ودعاها إلى الإسلام، فأسلمت على جفاءٍ منها وقِلة فقه، وأحبَّها حبًّا لم يحبَّ مثلَهُ أحداً من نسائه، وكانت على مَنزلتها عنده، ولا يذهب حزنها، ولا يَرقأ دمعها، فشقَّ ذلك على سليمان، فقال لها: ويحكِ، ما هذا الحزن الذي لا يذهب، والدمع الذي لا يَرقأ؟ قالت: إن أبي أذكره وأذكر مُلكه وما كان فيه وما أصابه، فيحزنني ذلك، فقال سليمان: فقد أبدَلك الله به ملكاً هو أعظم من ذلك، قالت: إنَّ ذلك كذلك، ولكنني إذا ذكرتُه أصابني ما ترى من الحزن؛ فلو أنَّك أمرت الشياطين فصَوَّروا لي صورته في داري التي أنا فيها، أراها بكرةً وعشيَّةً.. لرَجوت أن يُذْهِبَ ذلك حزني، وأن يُسلِّي عني بعضَ ما أجد في نفسي، فأمر سليمان الشياطين فقال: مثِّلوا لها صورةَ أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً، فمثَّلوه لها حتى نظَرت إلى أبيها بعينه إلا أنه لا رُوح فيه، فعمدت إليه حين صنَعوه، فألبسته ثياباً مثل ثيابه التي كان يلبسها، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها.. تغدُو إليه في ولائدها؛ أي: جواريها، فتَسجد له ويسجدن له؛ كما كانت تصنع في ملكه؛ أي: أبِيها، وتروح في كل عشية بمثل ذلك، وسليمان لا يَعلم بشيء من ذلك أربعين صباحاً.

وبلغ ذلك إلى آصف بن برخيا وكان صديقاً له، وكان لا يُرَدُّ عن أبواب سليمان، أيَّةَ ساعةٍ أراد

(١) «تفسير الرازي» (٢٦/ ٣٩٢).

. . . .

حاشية الصاوي

دُخول شيءٍ من بيوته. . دخل، سواء كان سليمان حاضراً أو غائباً، فأتاه فقال: يا نبيَّ الله؛ إنَّ غير الله يُعْبَدُ في دارك منذ أربعين صباحاً في هوَى امرأة، فقال سليمان: في داري! قال: في دارك، قال: فإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم رَجع سليمان إلى داره، فكسر ذلك الصنم، وعاتب تلك المرأة ووَلائدها، ثم أمر بثياب الظهيرة، فأتي بها، وهي ثياب لا يَغزلها إلا الأبكار، ولا ينسجها إلا الأبكار، ولا يَغسلها إلا الأبكار، لم تمسَّها يدُ امرأة قد رأت الدم، فلبسها ثم خرج إلى فَلاة من الأرض وحده، وأمر برماد ففُرِشَ له، ثم أقبل تائباً إلى الله تعالى، حتى جَلس على ذلك الرماد وتمعَّك به في ثيابه تذللاً إلى الله تعالى وتَضرعاً إليه، يبكي ويدعو ويستغفر ممَّا كان في داره، فلم يَزل كذلك يومه حتى أمسى.

ثم رجع إلى داره وكانت له أمُّ ولدٍ يقال لها: الأمينة، كان إذا دَخل الخلاء أو أراد إصابة امرأة من نسائه. . وضع خاتمه عندها حتى يَتطهَّر، وكان لا يمسُّ خاتمه إلا وهو طاهر، وكان ملكه في خاتمه، فوَضعه يوماً عندها، ثم دخل مذهبه، فأتاها شيطان اسمه صخر المارد ابن عمير في صُورة سليمان، لا تنكر منه شيئاً، فقال: هات خاتمي يا أمينة، فناوَلته إيَّاه، فجعله في يَده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان، وعكَفت عليه الطير والوحش والجنُّ والإنس، وخرج سليمان فأتى الأمينة وقد تغيَّرت حالته وهيئته عند كلِّ مَنْ رآه، فقال: يا أَمينة؛ خاتمي، قالت: مَن أنت؟ قال: سليمان بن داوود، فقالت: كذبتَ، قد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالسٌ على سرير ملكه، فعرف سليمان أنَّ خطيئته أدركَته، فخرج وجعل يَقف على الدار من دُور بني إسرائيل ويقول: أنا سليمان بن داوود، فيَحثون عليه التراب ويقولون: انظروا إلى هذا المجنون يَزعم أنه سليمان، فلما رأى سليمان ذلك. . عمَد إلى البحر، فكان ينقل الحيتان لأصحاب السوق ويُعطُونه كلَّ يوم سمكتين، فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغِفة، ويشوي الأخرى فيَأكلها، فمكث على ذلك أربعين صباحاً عِدَّةَ ما كان يُعْبَدُ الوثن في داره.

ثم إنَّ آصف وعظماء بني إسرائيل أنكروا حُكم عدوِّ الله الشيطان في تلك المدة، فقال آصف: يا مَعشر بني إسرائيل؛ هل رأيتُم من اختلاف حكم ابن داوود ما رأيتُم؟ فقالوا: نعم، فلمَّا مضى أربعون صباحاً. . طار الشيطان عن مجلسه، ثم مرَّ بالبحر فقَذف الخاتم فيه، فأخذته سمكة، فأخذها بعض الصيادين وقد حمَل له سليمان صيد يومه، فلمَّا أمسى أعطاه سمكتَيه، فباع سليمان إحداهما

وذلك لِتَزوُّجِهِ بِامرأةٍ هَواها وكانَت تَعبُد الصَّنَم في دارِه مِن غَير عِلمِه، وكان مُلكُه في خاتَمه، فنَزَعهُ مرَّة عِند إرادةِ الخَلاء، ووَضَعهُ عِند امرَأتِه المُسَمَّاة بِالأمِينة على عادَتِه،

حاشية الصاوي

بأرغفة، وبقَر بطن الأخرى ليشوِيَهَا، فاستقبله خاتمه في جَوفها، فأخذه وجعله في يَدِه وخرَّ لله ساجداً، وعكفت عليه الطير والجنُّ، وأقبل الناس عليه، وعرَف أنَّ الذي دخل عليه من أجل ما حدث في داره، فرجع إلى مُلكه وأظهر التوبة من ذنبه، وأمر الشياطين أن يأتُوه بصخر المارد، فأتي به، فأَدخله في جوف صخرة وسدَّ عليه بأخرى، ثمَّ أوثَقها بالحديد والرصاص، ثمَّ أمر به فقُذِف في البحر، فهو باقٍ فيها إلى النفخة. وسيأتي ردُّ تلك القصة، وأنَّها من مَوضوعات الأخباريِّين.

قوله: (لتزويجه بامرأة) أي: واسمها جرادة.

قوله: (هواها) قياسه: هَوِيها بمعنى: أحبَّها، من باب: (صَدِيَ)، وأمَّا (هوَى) كـ(رمى) فهو بمعنى: سقط، وفي نسخة: (يَهواها)، وهي ظاهرة.

قوله: (وكانت تعبد الأصنام) أي: وهو صورة أبيها، ومدَّةُ ذلك أربعون يوماً.

قوله: (وكان ملكه في خاتمه) أي: كان ملكه مرتَّباً على لبسه إيَّاه، فإذا لبسه سُخِّرت له الريح والجنُّ والشياطين وغيرها، وإذا نزَعه.. زال عنه ذلك، وكان خاتمه من الجَنة، وهو من جملة الأشياء التي نزل بها آدم من الجنة، وقد نظَمها بعضهم بقوله: [الطويل]

وَآدَمُ مَعْهُ أُنْزِلَ العُودُ وَالعَصَا ... لِمُوسَى مِنَ الآسِ النَّبَاتِ المُكَرَّمِ
وَأَوْرَاقُ تِينٍ وَاليَمِينُ بِمَكَّةٍ ... وَخَتْمُ سُلَيْمَانَ النَّبِيِّ المُعَظَّمِ[1]

وقوله: (العود) المراد به: عُود البخور، وقوله: (واليمين بمكة) المراد به: الحجر الأسود، ووَرد في الحديث: «إنَّ نقش خاتم سليمان لا إله إلا الله محمد رسول الله»[2].

قوله: (ووَضعه عند امرأته) في عبارة غيره: (أم ولده المسماة بالأمينة)[3].

---

(١) حكاهما الشيخ عطيَّة الأجهوري في «الكوكبين النيرين» مخطوط، وفيه: (إنزال) بدل (أنزل)، وأوراق التين هي التي استتر بها سيدنا آدم وزَوجه لما بدت لهما سوآتهما، وانظر «حاشية البجيرمي على الخطيب» (٢/ ٤٣٨).

(٢) رواه أبو بكر الخلال في «السنة» (٢٠١) من حديث سيدنا جابر بن عبد الله ﷺ موقوفاً، ورفعه تمام بن محمد في «الفوائد» (٦٦٨).

(٣) انظر «تفسير البغوي» (٧/ ٩١).

وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ....

فجاءَها جِنِّي في صُورة سُلَيمان فأخَذَه مِنها، ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ هو ذلك الجِنِّيُّ وهو صَخر أو غَيرُه، جَلَسَ على كُرسِيِّ سُليمانَ، وعَكَفَت علَيهِ الطَّير وغَيرُها، فخَرَج سُلَيمانُ في غَير هَيئَتِه فرَآهُ على كُرسِيِّه وقال لِلنَّاسِ: أنا سُليمانُ فأنكَرُوهُ، ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾: رَجَعَ سُليمانُ إلى مُلكِه بَعد أيَّام؛ بِأن وصَلَ إلى الخاتَم فلَبِسَهُ وجَلَسَ على كُرسِيِّه.

حاشية الصاوي

قوله: **(هو ذلك الجني)** أي: وسمِّي جسداً؛ لأنه ليس فيه رُوح سليمان وإن كان فيه روحه هو؛ لأنَّ الجسد هو الجسم الذي لا روح فيه.

قوله: **(وهو صخر)** أي: ابن عمير المارد.

قوله: **(في غير هيئته)** أي: المعتادة التي كانوا يَعرفونه بها.

قوله: **(رجع سليمان إلى ملكه)** هذا التفسير مبنيٌّ على أن قوله: ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ مرتبطٌ بقوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾، وقال غيره: إنه مُرتبط بقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ﴾، ومعنى إنابته: رجوعُهُ إلى الله تعالى وتوبتُهُ.

قوله: **(بعد أيام)** أي: أربعين.

قال القاضي عياض وغيره من المحققين: لا يَصح ما نقله الأخباريون من تشبُّه الشيطان بسليمان، وتسلُّطِهِ على ملكه، وتصرُّفِهِ في أُمَّته بالجور في حكمه، وإنَّ الشياطين لا يَتسلطون على مثل هذا، وقد عصم الله تعالى الأنبياء من مثل هذا.

والذي ذهب إليه المحققون: أنَّ سبب فِتنته ما أخرجاه في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال سُليمان: لأَطوفنَّ الليلة على تسعين امرأةً ـ وفي رواية: على مئة امرأة ـ كلُّهنَّ يأتي بفارس يُجاهد في سبيل الله تعالى، فقال له صاحبه: قُل: إن شاء الله، فلم يقُل: إن شاء الله، فطاف عليهنَّ جميعاً، فلم تحمل منهنَّ إلا امرأةٌ واحدةٌ، جاءت بشقِّ رجلٍ، وايمُ الله الذي نفسي بيده، لو قال: إن شاء الله.. لجاهَدوا في سبيل الله فرساناً أجمَعون»**[1].

قال العلماء: والشقُّ هو: الجسد الذي أُلقي على كرسيِّه، وفِتنتُهُ من نسيان المشيئة، فامتُحِنَ بهذا، فتاب ورجع[2].

---

(١) رواه البخاري (٦٦٣٩)، ومُسلم (١٦٥٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، ورواية: (مئة امرأة) عند البخاري (٥٢٤٢).

(٢) انظر «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢/١٦٧)، و«تفسير الخازن» (٤/٤٣).

قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً ....

﴿٣٥﴾ ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي﴾: لا يكُون ﴿لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ أي: سِوايَ، نحوُ: ﴿فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ﴾ [الجاثية: ٢٣] أي: سوَى الله، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾.

(﴿٣٦﴾ - ﴿٣٨﴾) ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً﴾: ....

حاشية الصاوي

وقيل: إنَّ المراد بالجسد الذي ألقي على كرسيِّه: أنه وُلِدَ له ولدٌ، فاجتَمعت الشياطين وقال بعضهم لبعضٍ: إن عاش له ولدٌ.. لم نَنفكَّ من البلاء، فسَبيلنا أن نقتل ولده أو نَخْبِلَهُ، فعلم بذلك سليمان، فأمر السَّحاب فحمَله، وكان يُربِّيه في السحاب خوفاً من الشياطين، فبينما هو مشتغلٌ في بعض مهمَّاته.. إذ أُلْقِيَ ذلك الولدُ ميتاً على كُرسيِّه، فعاتبه الله على خَوفه من الشياطين؛ حيث لم يتوكَّل عليه في ذلك، فتنبَّه واستغفر ربَّه(١).

إذا علمتَ ذلك.. فالمناسب أن يقتصر على ما في «الصحيحين» ويُترك تلك القصَّة البشعة.

قوله: (﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾) إنما قال ذلك؛ تواضعاً وإظهاراً لِلخُضوع للمولى عزَّ وجلَّ، وإلَّا.. فهو لم يحصل منه ذنبٌ، وإنما هو من باب: حسناتُ الأبرار سيِّئاتُ المقرَّبين.

قوله: (﴿وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا﴾... إلخ) قدَّم طلب المغفرة؛ اهتماماً بأمر الدين.

قوله: (﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾) أي: ليكون معجزةً لي، فليس طلبُهُ للمفاخَرة بأمور الدنيا، وإنما كان هو من بيت النُّبوَّة والملك، وكان في زمن الجبَّارين وتَفاخرهم بالملك، فطلب ما يكون معجزةً لقومه، ومعجزةُ كلِّ نبيٍّ ما اشتهر في عصره.

قوله: (﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾) تعليلٌ للدعاء بالمغفرة والهبة.

قوله: (﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾) أي: أعَدنا له تسخير الريح بعد ما كان قد ذهب مع زوال ملكه، وهذا على ما مشى عليه المفسِّر، وعلى ما مشى عليه المحققون فيقال: أَدَمْنَا تسخيرَهَا.

قوله: (﴿تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ﴾) بيانٌ لتسخيرها له.

قوله: (﴿رُخَآءً﴾) حال من ﴿ٱلرِّيحَ﴾.

(١) ذكر هذا القول ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٥٧٤) عن الشعبي.

حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ....

لَيِّنةً ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: أرادَ، ﴿وَالشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ يَبني الأبنيَةَ العَجيبةَ، ﴿وَغَوَّاصٍ﴾ في البَحرِ يَستَخرِجُ اللُّؤلُؤَ، ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ مِنهُم ﴿مُقَرَّنِينَ﴾: مَشدُودِينَ ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾: القُيُودِ تَجمَع أيدِيَهُم إلى أعناقِهم.

(﴿٣٩﴾ - ﴿٤٠﴾) وقُلنا لَه: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَامْنُنْ﴾: أَعطِ مِنهُ مَن شِئتَ، ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ عن الإعطاءِ ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: لا حِسابَ علَيكَ في ذلكَ، ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ تَقدَّمَ مِثلُه.

حاشية الصاوي

قوله: (لينةً) أي: غيرَ عاصفةٍ، وهذا في أثناء سيرها، وأمَّا في أوَّله فهي عاصفةٌ، فكانت العاصف تَقلع البساط، والرُّخاء تُسيِّره.

قوله: (﴿بِأَمْرِهِ﴾) أي: إيَّاها، فالمصدرُ مضافٌ لفاعله.

قوله: (﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾) بدل من (الشياطين).

قوله: (﴿وَءَاخَرِينَ﴾) عطف على ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾، وذلك أنَّ سليمان قَسم الشياطين إلى عَمَلَةٍ استخدمهم في الأعمال الشَّاقَّة من البناء والغَوص ونحو ذلك، وإلى مقرَّنين في السلاسل كالمرَدَةِ والعُتَاةِ.

قوله: (القيود) من المعلوم أنَّ القيد يكون في الرِّجل فلا يَلتئم مع قوله: (بجمع أيديهم... إلخ)؛ فلو فسَّر الأصفاد بالأغلال.. لكان أولى؛ لأنها تطلق عليها كما تُطلق على القيود.

قوله: (وقلنا له: ﴿هَٰذَا﴾) أي: هذا الملك عطاؤنا.

قوله: (﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾) فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه متعلِّقٌ بـ﴿عَطَآؤُنَا﴾ أي: أعطيناك بغير حساب وبغير حَصر، الثاني: أنه حالٌ من ﴿عَطَآؤُنَا﴾ أي: في حال كون عطائنا غيرَ محاسب عليه، والثالث: أنه متعلِّق بـ(امنن أو أمسِك)، والمعنى: أعط مَنْ شئتَ، وامنَع مَنْ شئتَ، لا حساب عليك في عطاءٍ ولا منعٍ.

قال الحسن: ما أنعم الله نعمةً على أحدٍ إلا عليه فيها تَبِعَةٌ إلا سليمانَ؛ فإنه إن أعطى أُجِرَ، وإن لم يعطِ لم يكن عليه تَبِعَةٌ.

قوله: (﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾) أي: زيادةَ خيرٍ في الدُّنيا والآخرةِ.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ ....

﴿٤١﴾ ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى﴾ أي: بِـأنِّـي ﴿مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ﴾: ضُـرٌّ ﴿وَعَذَابٍ﴾: أَلَم، ونَسَبَ ذلك إلى الشَّيطانِ وإن كانَت الأشياءُ كُلُّها مِن الله تَأَدُّباً مَعهُ تَعالى.

﴿٤٢﴾ وقِيل لَه: ﴿ٱرْكُضْ﴾: اضرِبْ ﴿بِرِجْلِكَ﴾ الأرضَ، فضَرَبَ فنَبَعَت عَينُ ماء فقِيل: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ﴾: ماءٌ تَغتَسِل بِه، ﴿بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾: تَشرَب مِنهُ، فاغتَسَلَ وشَرِبَ، فذَهَبَ عنهُ كُلُّ داء كان بِباطِنِه وظاهِرِه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾) عطفٌ على قوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ عطف قصَّة على قصة، وليس معطوفاً على قصة سليمان؛ لأنه لكمال الاتصال بينه وبين أبيه لم يصدِّر في قصته بقوله: (واذكر عبدنا سليمان) مثلاً، بل كأنهما قصةٌ واحدةٌ.

وتقدَّم في (الأنبياء) أنَّ أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وقيل: إنه ابن عيصو بن إسحاق، وقيل: هو ابن موص بن رعبل بن عيص بن إسحاق وتقدَّمت قِصته في (الأنبياء)[1].

قوله: (﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾) بدلٌ من ﴿عَبْدَنَآ﴾[2]، أو عطفُ بيانٍ له.

قوله: (﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾) أي: حين ابتُلي بفقد ماله وولده، وتمزيقِ جسده، وهجر جميع الناس له إلا زوجته، وكانت مُدَّةُ بلائه ثلاثَ سنين، وقيل: سبعاً، وقيل: عشراً، وقيل: ثماني عشرة.

قوله: (﴿بِنُصْبٍ﴾) بضمٍّ فسكونٍ: التعب والمشقة، وقوله: ﴿وَعَذَابٍ﴾ عطف سبب على مسبَّب.

قوله: (تأدُّباً معه تعالى) أي: لأنَّ الشيطان هو السبب في ذلك؛ لأنه نَفَخ في أنفه، فمرض جسده ظاهراً وباطناً إلا قلبَهُ ولسانَهُ.

قوله: (وقيل له) أي: حينَ رجا وقتَ شفائِهِ.

قوله: (فنبعت عينُ ماءٍ) ظاهره: أنها عينٌ واحدةٌ، وهو أحد قولين، وقيل: كانتا عينَين بأرض

---

(١) انظر (٤/٣٥٣-٣٥٥).

(٢) أي: بدل اشتمال.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾

﴿٤٣﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ أي: أحيَا الله لَهُ مَن ماتَ مِن أولادِهِ ورزَقَهُ مِثلَهم، ﴿رَحْمَةً﴾: نِعمةً ﴿مِّنَّا وَذِكْرَىٰ﴾: عِظةً ﴿لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: لِأصحابِ العُقُول.

﴿٤٤﴾ ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ هو حُزمةٌ مِن حَشِيشٍ أو قُضبانٍ ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾ زَوجَتَك، وكان قَد حَلَف لَيَضرِبَنَّها مِائة ضَربة لِإبطائِها علَيهِ يوماً، ....

حاشية الصاوي

الشَّام في أرض الجابية، فاغتسل من إحداهما فأذهب الله تعالى ظاهرَ دائِهِ، وشرب من الأخرى فأذهب الله باطنَ دائِهِ، وكانت إحدى العينين حارَّةً، والأخرى باردةً، فاغتسل من الحارَّة، وشَرب من الأخرى[1].

قوله: (﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾) عطفٌ على محذوفٍ، قدَّره المفسِّر بقوله: (فاغْتَسَلَ... إلخ).

قوله: (مَن مات من أولاده) أي: وكانوا ثلاثة ذكور، وثلاثَ إناث، وقيل: كلُّ صنفٍ سبعٌ.

قوله: (ورزَقه مثلهم) أي: من زوجته، وزِيدَ في شبابها، واسمُهَا؛ قيل: رحمة بنت أفرائيم بن يوسف، وقيل: ليا بنت يعقوب.

قوله: (﴿رَحْمَةً﴾... إلخ) مفعول لأجله؛ أي: لأجل رَحمتنا إيَّاه، وليتذكَّر بحاله أولو الألباب.

قوله: (﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾) عطفٌ على محذوفٍ[2]، قدَّره المفسِّر بعدُ بقوله: (وكان قد حلف... إلخ).

قوله: (هو حُزمة) أي: ملء الكفِّ.

قوله: (لإبطائها عليه يوماً) واختُلِفَ في سبب بطئِهَا المتسبِّب عنه حلفُهُ؛ فقيل: إن الشيطان تمثَّل في طريقها في صورة حكيم يُداوي المرضى، فمرَّت عليه، فوجدت الناس منكبِّين عليه، فقالت له: عندي مريضٌ، فقال: أُداويه على أنه إذا برئ قال: أنت شفيتَني، لا أريد جزاءً سِواه، قالت: نعم، فأشارت على أيوب بذلك، فحَلف ليضربنَّها وقال: ويحكِ، ذلك الشيطان.

---

(١) نقل البغوي في «تفسيره» (٧/ ٩٦) أنهما عينان وأنه مشى بينهما أربعين خطوة.

(٢) عبارة أبي السعود في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩): (وخذ بيدك ضغثاً: معطوف على «اركض»، أو على «وهبنا» بتقدير: «قلنا» أي: وقلنا: خذ بيدك... إلخ، والأول أقربُ لفظاً، وهذا أنسب معنى؛ فإنَّ الحاجة إلى هذا الأمر لا تمسُّ إلا بعد الصحة).

وَلَا تَحْنَثْۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ....

﴿وَلَا تَحْنَثْۗ﴾ بِتَركِ ضَربِها، فأخَذَ مِائةَ عُود مِن الإذخِر أو غَيرِه فضَرَبَها بِهِ ضَربة واحِدةً، ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ﴾ أيُّوبُ ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾: رَجَّاعٌ إلى الله تَعالى.

﴿٤٥﴾ ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي﴾: أصحابَ القُوى في العِبادةِ، ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾: البَصائِرِ في الدِّين، ـ وفي قِراءة: ﴿عَبْدَنَا﴾، و﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ بيان لَه، وما بَعدَهُ عَطفٌ على ﴿عَبْدَنَا﴾ ـ.

حاشية الصاوي

وقيل: إنها باعت ذاوئبها برغيفَين حين لم تجد شيئاً تحمله إلى أيوب، وكان أيوب يتعلَّق بها إذا أراد القيام، فلهذا حَلف ليضربنَّها، وقيل غير ذلك[1].

قوله: (﴿وَلَا تَحْنَثْۗ﴾) أي: لا تقعْ في يمينِكَ بحيثُ تلزمُك كفَّارتُهُ، وهذا الحكم من خصوصيَّات أيوب؛ رفقاً بزوجته، وأمَّا في شرعنا.. فلا يَبَرُّ إلا بضرب المئة، وضربُهُ بأعوادٍ مجتمعةٍ لا يعدُّ واحدةً منها إلا إذا حصل منه ألمُ الضربة المنفردة[2].

قوله: (﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرٗاۚ﴾) أي: عَلِمناه، والمعنى: أظهَرنا صبره للناس[3].

قوله: (أيوب) تفسيرٌ للمخصوص بالمدح.

قوله: (﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾... إلخ) أي: اذكر صبرَهُم على ما امتُحِنُوا به.

قوله: (﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي﴾) العامَّة على ثبوت الياء، وهو جمعُ يدٍ، يكنَّى بذلك عن الأعمال؛ لأنَّ أكثر الأعمال إنما يُزاوَلُ بها، وقيل: المراد بالأيدِي: النِّعم، وفسَّرها المفسِّر بالقوَّة في العبادة، وكلُّها معانٍ متقاربةٌ، وقرئ شذوذاً بحذف الياء تخفيفاً[4].

---

(١) انظر الأقوال في «تفسير القرطبي» (١٥/ ٢١٣)، الذوائب: جمع ذؤابة، وهي الشعر المضفور من شعر الرأس، والأولى تَنزيه مقام النبوة عن مثل هذه الأخبار.

(٢) وهذا على مذهبه رحمه الله تعالى، خلافاً لِلحنفية والشافعية؛ فضربُهُ بأعوادٍ مجتمعة معتبرٌ بشروط مبسوطة في كتب الفقه. انظر تفصيل المسألة في «المدونة» (١/ ٦١٠)، و«حاشية ابن عابدين» (٣/ ٨٣٦)، و«تحفة المحتاج» (١٠/ ٥٤).

(٣) وليس في شكواه إلى الله تعالى إخلال بذلك؛ فإنه لا يسمَّى جزعاً كتَمني العافية وطلب الشفاء، والشكاية المذمومة إنما هي إذا كانت لِلمَخلوقين. «فتوحات» (٣/ ٦٠٨).

(٤) وبها قرأ عبد الله والحسن وعيسى والأعمش. انظر «الدر المصون» (٩/ ٣٨٢).

إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ....

(٤٦ - ٤٧) ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾ هي ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ الآخِرةِ، أي: ذِكرها والعَمَل لَها، ـ وفي قِراءة بِالإضافةِ وهي لِلبَيان ـ ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾: المُختارِينَ، ﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾: جمعُ (خَيِّر) بِالتَّشديد.

(٤٨) ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾ هو نَبِيٌّ، ـ واللَّام زائِدة ـ ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ اختُلِفَ في نُبُوَّتِه؛ قِيل: كَفَلَ مئةَ نَبيٍّ فَرُّوا إِلَيهِ مِن القَتل، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم﴾) تعليلٌ لما وُصِفُوا به من شرفِ العبوديَّة وعُلُوِّ الرتبة بالعلم والعمل.

قوله: (﴿بِخَالِصَةٍ﴾) صفةٌ لموصوف محذوف، تقديره: بخصلةٍ خالصةٍ.

قوله: (هي ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾) جعلها المفسِّر خبراً لمحذوف.

قوله: (وفي قراءة... إلخ) مقابلٌ لما قدَّره المفسِّر، وهما قراءتان سبعيَّتان؛ فعلى القراءة الأولى: يكون (ذكرى) مرفوعاً على إضمار مبتدأ، وعلى الثاني[١]: يكون مجروراً بالإضافة، وعلامةُ جرِّه كسرةٌ مقدَّرة على الألف المحذوفة، والإضافة بيانيَّة كما قال المفسِّر[٢].

قوله: (﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ﴾) فصل ذكرَهُ عن ذكر أبيه وأخيه؛ للإشعار بعَرَاقَتِهِ في الصبر الذي هو المقصودُ بذكر مناقبهم.

قوله: (﴿وَٱلْيَسَعَ﴾) هو ابن أخطوب بن العجوز، استخلفه إلياس على بني إسرائيل، ثمَّ نبَّأه الله عليهم كما تقدَّم[٣].

قوله: (اختلف في نبوَّته) روى الحاكم عن وهب: أنَّ الله بعث بعد أيوب ابنه بشراً، وسمَّاه ذا الكفل، فهو بشر بن أيوب[٤]. اختُلف في نبوَّته ولقبه، والصحيح: أنه نبيٌّ، وسمِّي ذا الكفل إمَّا

(١) كذا في الأصول، ولعل الأولى: (وعلى الثانية) أي: القراءة الثانية.

(٢) قرأ نافع وهشام بالإضافة، وقرأ الباقون بالتنوين وعدم الإضافة، ولكلا القراءتين توجيهاتٌ عند النحاة غير ما ذكر المفسِّر، انظرها في «الدر المصون» (٩/ ٣٨٣).

(٣) انظر (٥/ ٥١٧).

(٤) «المستدرك» (٢/ ٥٨١).

وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ ....

﴿وَكُلٌّ﴾ أي: كُلُّهم ﴿مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾.

(﴿٤٩﴾ - ﴿٥٢﴾) ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ لَهُم بِالثَّناءِ الجَمِيل هُنا، ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الشَّامِلِين لَهُم ﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: مَرجِع في الآخِرة، ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ ـ بَدَل أو عَطف بَيان لِـ(حُسن مَآب) ـ، ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ مِنها، ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ على الأرائِك، ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: حابِساتُ العَين على أزواجِهِنَّ، ﴿أَتْرَابٌ﴾: أسنانُهُنَّ واحِدة، وهُنَّ بَنات ثَلاثٍ وثَلاثِين سَنةً، جَمع تِرْب.

حاشية الصاوي

لما قاله المفسِّر، أو لأنَّه تكفَّل بصيام النهار وقيام الليل، وأن يَقضي بين الناس ولا يغضب، فوفى بما التزم، وتقدَّمت قصَّته في (الأنبياء)[1].

قوله: (أي: كلُّهم) أي: المتقدِّمين من داوود إلى هنا.

قوله: (﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾) جملة من مبتدأ وخبر، قُصِدَ بها الفصلُ بين ما قبلها وما بعدها، فهي للانتقال من غرضٍ إلى آخرَ، ففيها تخلُّصٌ من قصَّة إلى قصَّة، وكذا يقال في قوله: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾... إلخ) شروعٌ في بيان أجرِهم الجزيل بعد ذكرهم الجميل.

قوله: (الشامِلين لهم) أي: فـ(المتقين) يَشملهم وغيرهم.

قوله: (﴿مُّفَتَّحَةً﴾) حال من ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾، والعامل فيها ما في (المتقين) من معنى الفعل، و﴿ٱلْأَبْوَٰبُ﴾: مرفوعة باسم المفعول، و(أل) عوضٌ عن الضمير[2].

قوله: (﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾) حال من الهاء في ﴿لَّهُمُ﴾، والاقتصار على دُعاء الفاكهة؛ للإيذان بأنَّ مَطاعمهم لمحض التَّفكُّه والتلذذ، دون التغذي؛ لأنه لا جوع فيها.

قوله: (حابِسات الأعين) أي: لا يَنظرن إلى غيرهم نظرَ شهوةٍ وميلٍ.

قوله: (أسنانهنَّ واحدةٌ) أي: فقد استوينَ في السِّنِّ والجمال، وقيل: معنى ﴿أَتْرَابٌ﴾: مُتَوَاخِيَاتٌ لا يتباغضن ولا يَتغايرن ولا يتحاسَدن، وكلٌّ صحيحٌ.

(١) انظر (٤/ ٣٥٦).

(٢) أي: والأصل: أبوابها، ثم حذف الضمير وعوِّض عنه (أل)، وهو رأي الكوفيين، ومشى عليه المفسِّر، وأما على رأي البصريين.. فالرابط ضميرٌ مقدَّر، والتقدير: مفتحةً الأبواب منها. انظر «مغني اللبيب» (ص٦٥٩).

هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ ....

(﴿٥٣﴾ - ﴿٥٤﴾) ﴿هَٰذَا﴾ المَذكورُ ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ - بِالغَيبةِ وبِالخِطابِ التِفاتاً - ﴿لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: لِأجلِه. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ أي: انقِطاعٍ، والجُملةُ حالٌ مِن (رِزْقُنا)، أو خَبَر ثانٍ لِـ﴿إِنَّ﴾، أي: دائِماً أو دائِم.

(﴿٥٥﴾ - ﴿٥٨﴾) ﴿هَٰذَا﴾ المذكورُ لِلمُؤمِنين، ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ - مُستأنَفٌ - ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾: يَدخُلُونها ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: الفِراشُ، ﴿هَٰذَا﴾ أي: العَذابُ المَفهُوم مِمَّا بعدَه ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (لأجله) أي: لأجل وقوعه فيه، فوقوعُهُ وإنجازُهُ فيه علَّةٌ للوعد به في الدنيا.

قوله: (﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا﴾) من كلام الله تعالى، والمعنى: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: ما ذكر من بيان الجنات وأوصافها ﴿لَرِزْقُنَا﴾ أي: لهو الرزقُ الذي نتفضَّلُ به على عبادنا، ﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ أي: انقطاع أبداً.

قوله: (أي: دائماً... إلخ) لفٌّ ونشرٌ مرتَّبٌ.

قوله: (﴿هَٰذَا﴾) مبتدأٌ حُذِفَ خبره، قدَّره بقوله: (المذكور)[1]، وهو تخلُّصٌ من مآل المتقين لمآل المجرمين، فهو بمنزلة (أمَّا بعد).

قوله: (﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾) أي: للكافرين.

قوله: (﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾) مقابلُ قولِهِ في حقِّ المتقين: ﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

قوله: (﴿يَصْلَوْنَهَا﴾) أي: يُكْوَوْنَ بها على سبيل التَّأبيد، وهو لازمٌ للدُّخول.

قوله: (الفراش) أي: الغطاءُ والوِطاءُ.

قوله: (﴿هَٰذَا﴾) مبتدأ، و﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ﴾: خبرٌ، و﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾: صفة أولى لـ(آخرُ)، و﴿أَزْوَٰجٌ﴾: صفة ثانية له، وقوله: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ جملةٌ مُعترضةٌ بين المبتدأ والخبر، وهذا أحسنُ ما يقال.

---

(١) ويصح عكسه؛ أي: الأمرُ هذا، وكلاهما من فصل الخطاب. «فتوحات» (٣/ ٦١٠).

وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ ....

أي: ماء حارٌّ مُحرِقٌ، ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ ـ بالتَّخفيفِ والتَّشديد ـ: ما يَسِيل مِن صَدِيد أهل النَّار، ﴿وَأُخَرُ﴾ ـ بالجَمعِ والإفرادِ ـ ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ أي: مِثل المَذكُور مِن الحَمِيم والغَسَّاق ﴿أَزْوَٰجٌ﴾: أصنافٌ، أي: عَذابُهم مِن أنواعٍ مُختَلِفة.

(﴿٥٩﴾ - ﴿٦١﴾) وَيُقالُ لَهُم عِند دُخُولِهم النَّارَ بِأتباعِهِم: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ﴾: جَمعٌ ﴿مُّقْتَحِمٌ﴾: داخِلٌ ﴿مَّعَكُمْ﴾ النَّارَ بِشِدَّةٍ، فيَقُول المُتَّبَعُون: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ أي: لا سَعة علَيهِم ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (محرقٌ) أي: للأمعاء؛ لقوله في الآية الأخرى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (أي: مثل المذكور) أي: في كونه حارًّا يُقطِّعُ الأمعاء.

قوله: (من أنواع مختلفة) أي: كالحيَّات والعقارب والضَّرْب بالمطارق والزَّمهرير وغير ذلك من أنواع العذاب، أجارنا الله منه.

قوله: (ويقال لهم) أي: مِن خزَنة النار.

قوله: (﴿مُّقْتَحِمٌ﴾) الاقتحامُ: الإلقاءُ في الشَّيء بشدَّة؛ فإنهم يُضرَبُون بمقامعَ من حديدٍ حتَّى يقتحموها بأنفسهم؛ خوفاً من تلك المقامع.

قوله: (فيقول المتَّبَعُونَ) أي: جواباً للخزَنة، كأنهم يقولون: أنُحْسَدُ على كثرة أتباعنا مع كوننا وإيَّاهم في النار؟!

قوله: (﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾) مفعولٌ لفعل محذوف، تقديرُهُ: لا أتيتم مرحباً؛ أي: مكاناً واسعاً[2].

قوله: (﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾) هو من كلام الرؤساء؛ أي: إنهم صالُو النار كما صلَيناها.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص بتشديد السين، والباقون بالتخفيف. انظر «السراج المنير» (٣/ ٤٢٤).

(٢) وفي الجملة المنفيَّة وجهان، أحدهما: أنها مستأنفة سيقت للدعاء عليهم، وقوله: (بهم) بيان للمَدْعوِّ عليه، والثاني: أنها حالية، وقد يُعترض عليه: بأنه دعاء، والدعاء طلب، والطلب لا يقع حالاً، والجواب: أنه على إضمار القول؛ أي: مقولاً لهم: لا مرحباً. «الدر المصون» (٩/ ٣٩٢).

﴿قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾

﴿قَالُوا۟﴾ أي: الأتباعُ: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ أي: الكُفرَ ﴿لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ لَنا ولَكُم النَّار، ﴿قَالُوا۟﴾ أيضاً: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي: مِثلَ عَذابِه على كُفرِه ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾.

(﴿٦٢﴾ - ﴿٦٣﴾) ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: كُفَّارُ مكَّةَ وهُم في النَّار: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم﴾ في الدُّنيا ﴿مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سُخْرِيًّا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: الأتْباعُ) أي: جواباً للرؤساء.

قوله: (﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾) أي: أنتم أحقُّ بما قُلتم لنا، فدَأْبُهم أنه كلَّما دخلت أُمَّةٌ لعنت أختها.

قوله: (﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾) أي: دلَلتمونا عليه بتزيينِ الأعمال السيئة لنا، وإغوائِنا عليها.

قوله: (النار) هذا هو المخصوص بالذَّمِّ.

قوله: (﴿قَالُوا۟﴾ أيضاً) أشار بذلك إلى أنَّ هذا من كلام الأتْباع.

قوله: (أي: مثل عذابه على كفره) أي: وهو عذاب الدَّلالة على الكفر؛ فإنَّ الدَّالَّ على الشرِّ كفاعله.

قوله: (أي: كفار مكة) أي: كأبي جهل وأميَّة بن خَلف وغيرهما.

قوله: (وهم في النار) جملة حاليَّة.

قوله: (﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾) أي: أيُّ شيء ثبت لنا لا نبصر رجالاً... إلخ؟.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾) إنمَّا سمَّوهم أشراراً؛ لأنهم خالَفوا دينهم.

قوله: (﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ﴾) إمَّا بوصل الهمزة مكسورةً، أو قطعها مفتوحةً، قراءتان سبعيَّتان، فعلى الأولى: تكون الجملة صفة لـ(رجال) أي: رجالاً موصوفين بكوننا عدَدناهم من الأشرار، وبكوننا نَسخر بهم في الدنيا، وعلى الثانية: فالجملةُ استفهاميَّةٌ حُذِفَت همزةُ الوصل استغناءً بهمزة الاستفهام عنها، والمعنى: ما لنا لا نرى رجالاً مَوصوفين بكوننا عدَدناهم من الأشرار، أتخذناهم سخريًّا فهم مَفقودون من النار أم زالت عنهم الأبصار؟ أي: هم معنا في النار لكن زاغَت أبصارنا عنهم فلم نرَهم[1].

---

(١) قرأ البصريان وخلف والأخوان بوصل الهمزة؛ فيُسقطونها في الدرج ويبتدئون بها مكسورة، والباقون بهمزة قطع مفتوحة وصلاً وابتداءً. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٧٤).

أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ ....

ـ بِضَمِّ السِّين وكَسرها ـ: كُنَّا نَسخَر بِهِم في الدُّنيا، والياء لِلنَّسَب، أي: أَمَفقُودُونَ هُم؟ ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾: مالَت ﴿عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ فلَم نَرَهُم؟ وهُم فُقَراءُ المُسلِمِين كعَمَّارٍ وبِلال وصُهَيبٍ وسَلمانَ.

﴿٦٤﴾ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ﴾: واجِبٌ وُقُوعه، وهو ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ كما تَقدَّم.

(﴿٦٥﴾ - ﴿٦٦﴾) ﴿قُلْ﴾ يا مُحمَّد لِكُفَّارِ مكَّة: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ مُخَوِّفٌ بِالنَّار، ﴿وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ لِخَلقِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بضمِّ السين وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (أي: كنا نسخر بهم) راجع لقراءة الوصل.

قوله: (والياء للنسب) أي: على كلٍّ من القراءتين.

قوله: (﴿أَمْ زَاغَتْ﴾) على قراءة الوصل تكون (أم) بمعنى (بل)، وعلى قراءة القطع تكون معادلةً للهمزة.

قوله: (وهم فقراء المسلمين) تفسير لقوله: ﴿رِجَالًا﴾.

قوله: (وسلمان) المناسب إسقاطه؛ لأنَّ الكلام في أهل مكة، وهو إنما أسلَم في المدينة.

قوله: (﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾) أي: المحكيَّ عنهم من أقوالهم وأحوالهم.

قوله: (وهو ﴿تَخَاصُمُ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿تَخَاصُمُ﴾ خبرٌ لمحذوف[2]، والجملةُ بيانٌ لاسم الإشارة.

قوله: (﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾) أي: لا ساحرٌ ولا شاعرٌ ولا كاهنٌ، واقتصر على الإنذار؛ لأنَّ كلامه مع الكفار، وهم إنما يُناسبهم الإنذارُ فقط وإن كان مبشِّراً أيضاً.

قوله: (﴿ٱلْوَٰحِدُ﴾) أي: المعدوم المَثيل في ذاته وصفاته وأفعاله، وقد ذكر أوصافاً خمسةً، كلٌّ منها يدلُّ على انفراده تعالى بالألوهيَّة.

---

(١) قرأ نافع وحمزة والكسائي بضمِّ السين، والباقون بكسرها. انظر «السراج المنير» (٣/ ٤٢٥).

(٢) وهو أحد أوجه ستة في إعرابه مرفوعاً، وقرأ ابن أبي عبلة (تخاصم) بالنصب مضافاً لـ (أهل) على أنه بدل من (ذلك). انظر «الدر المصون» (٩/ ٣٩٥).

رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ ....

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ﴾: الغالِبُ على أمرِه، ﴿ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ لِأوليائِه.

(٦٧ - ٦٨) ﴿قُلۡ﴾ لَهم: ﴿هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ﴾ أي: القُرآن الذي أنبأتُكم بِه وجِئتُكم فِيهِ بِما لا يُعلَم إلّا بِوَحيٍ، وهو قَولُه:

(٦٩ - ٧٠) ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ﴾ أي: المَلائكةِ ﴿إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ في شَأنِ آدَمَ حين قال تَعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ... إلخ﴾ [البقرة: ٣٠]. ﴿إِن﴾: ما ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠﴾ أي: أنِّي ﴿نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ الإنذارِ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾) أي: مالكُها.

قوله: (﴿قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ﴾) كرَّر الأمر؛ إشارةً إلى الاهتمام به.

قوله: (**أي: القرآنُ**) تفسيرٌ لـ(هو).

قوله: (**بما لا يُعْلَمُ**) أي: من القصص والأخبار وغيرهما.

قوله: (**وهو**) أي: ما لا يُعلم إلا بوحي، وفيه: أنَّ ما لا يُعْلَمُ إلا بوحي هو قوله: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ...﴾ إلخ، لا قوله: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ...﴾ إلخ إلا أن يقالَ: إنه ذُكِرَ توطئةً وتمهيداً لما لا يُعلم إلا بالوحي.

قوله: (**أي: الملائكة**) أي: وإبليس.

قوله: (﴿إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾) منصوبٌ إمَّا بـ(علمٍ) أو بمحذوفٍ، والتقدير: ما كان لي من علمٍ بالملأ الأعلى وقتَ اختصامهم، أو ما كان لي من عِلمٍ بكلام الملأ الأعلى وقتَ اختصامهم.

قوله: (﴿إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾) (إلا): أداةُ حصرٍ، و(أنَّ) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر نائب فاعل ﴿يُوحَىٰٓ﴾، والتقدير: ما يوحى إليَّ إلا كوني نذيراً مبيناً، والحصر فيه وفي قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞ﴾ إضافيٌّ، والمعنى: لا ساحرٌ ولا كذَّابٌ كما زعمتُم.

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ....

(﴿٧١﴾ - ﴿٧٢﴾) اذكُـر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ هـو آدمُ، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾: أتممتُه ﴿وَنَفَخْتُ﴾: أجريتُ ﴿فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ فصارَ حَيًّا، وإضافةُ الرُّوحِ إليه تَشريفٌ لِآدمَ، والرُّوح جِسم لَطِيف يَحيا بِه الإنسانُ بِنُفُوذِه فِيه، ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ سُجُودَ تَحِيَّة بِالانحِناء.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾) ظرفٌ معمولٌ لمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (اذكر)، ويصح أن يكون بدلاً من قوله: ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ إن حُمِلَ الاختصامُ على ما حصَل في شأن آدم فقط، وأمَّا إن جُعِلَ عامًّا.. فلا يصحُّ جعله بدلاً منه، بل ظرفٌ لمحذوف.

قوله: (﴿إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا﴾) أي: إنساناً ظاهرَ البشرة؛ أي: الجِلد، ليس على جلده صوفٌ ولا شعرٌ ولا وبرٌ ولا ريشٌ ولا قشرٌ.

قوله: (أجريت فيه من روحي) أشار بذلك إلى أنه ليس المرادُ بالنفخ حقيقتَهُ؛ لاستحالته على الله تعالى، وإنما هو تمثيلٌ لإفاضة ما به الحياةُ بالفعل على المادَّة القابلة لها.

قوله: (والروحُ جسمٌ لطيفٌ... إلخ) هذا قول جمهور المتكلِّمين وهو الأصح، وقيل: إنَّ الروح عرضٌ وهي الحياة التي صار الجسم بها حيًّا، وقيل: إنها ليست بجسم ولا عرَض، بل هي جوهرٌ مجرَّدٌ قائمٌ بنفسه، له تعلُّقٌ بالبدن للتدبير والتحريك، غيرُ داخل فيه ولا خارج عنه، وهو قول الفلاسفة.

قوله: (بنفوذه فيه) أي: سرَيانِه فيه كسريان الماء في العُود الأخضر.

قوله: (﴿فَقَعُوا۟﴾) الفاء واقعة في جواب (إذا).

قوله: (سجودَ تحية بالانحناء) جوابٌ عمَّا يقال: كيف جاز السجود لغير الله تعالى؟ وتقدَّم قولٌ بأنه كان سجوداً حقيقة بالجِباه، وتقدَّم الجوابُ عنه: بأنَّ محلَّ كون السجود لغير الله غيرَ جائزٍ ما لم يأمر به المولى تعالى، أو يقال: إن السجود لله تعالى وآدم جُعِلَ كالقبلة[1].

---

(١) وهو قول الشعبي كما نسَبه له أبو حيان في «البحر المحيط» (١/٢٤٧)، ومنهم من قال: اللام بمعنى (مع)، أي: اسجدوا لي مع آدم مؤتمين به، وانظر الأقوال (١/١٢٧، و٢/٥٠٧-٥٠٨).

فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ....

(﴿٧٣﴾ - ﴿٧٤﴾) ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ ـ فيه تأكيدانِ ـ ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ هو أبُو الجِنِّ، كان بَين المَلائكةِ، ﴿ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في عِلمِ الله تعالى.

(﴿٧٥﴾ - ﴿٧٦﴾) ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ أي: تَوَلَّيتُ خَلقَه؟ وهذا تَشرِيف لِآدمَ؛ فإنَّ كُلَّ مَخلُوق تَوَلَّى الله خَلقَه، ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ الآنَ عن السُّجود؟ استِفهامُ تَوبِيخ، ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾: المُتكبِّرين فتكبَّرتَ عن السُّجودِ لِكَونك مِنهُم؟ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾... إلخ) قيل: أول من سجد لآدم جبريل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم عزرائيل، ثم الملائكة المقرَّبون، وكان السجود يوم الجمعة مِن وقت الزوال إلى العصر، وقيل: مئة سنة، وقيل: خمس مئة سنة.

قوله: (فيه تأكيدان) أي: فكلٌّ منهما يُفيد ما أفاده الآخر، وقيل: إن (كل) للإحاطة، و(أجمعون) للاجتماع، فأفاد أنهم سجدوا عن آخرهم، وأنهم سجدوا جميعاً في وقت واحد غير متفرِّقين في أوقات[1].

قوله: (كان بين الملائكة) أشار بذلك إلى أنَّ الاستثناء منقطعٌ وهو الحقُّ، وتقدَّم تحقيق ذلك[2].

قوله: (في علم الله) أي: أن الله تعالى عَلِم في الأزل أنه يكفر فيما لا يزال، وكان مسلماً عابداً، طاف بالبيت أربعة عشر ألف عام، وعَبَدَ اللهَ ثمانين ألف عام.

قوله: (أي: تولَّيْتُ خلقه) أي: بذاتي من غير واسطة أبٍ وأمٍّ، وتثنية اليد؛ إظهاراً لكمال الاعتناء بخلقه عليه السلام.

قوله: (﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ الآن... إلخ) أشار المفسِّر إلى جواب سؤالٍ واردٍ، وهو أن قوله: ﴿مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ معناه: المتكبرين، فيلزم عليه التكرار، فأجاب: بأنَّ المعنى: أتركتَ السجود لاستكبارك الحادث أم لاستكبارك القديم المستمرِّ؟!

---

(١) هذا إذا كانت مع (كل)، أما بدونها.. فتفيد التأكيد المجرد، وهو ألا يخرج أحد من الفعل، فلم يكن الاجتماع في وقت واحد، بل الاجتماع في الفعل. أفاده بعض الحواشي عن الشيخ عبد القاهر. «فتوحات» (٣/ ٦١٤).

(٢) انظر (١/ ١٢٧، و٢/ ٥٠٨).

قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ ....

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾.

(٧٧ - ٧٨) ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي: مِن الجنَّةِ، وقِيل: مِن السَّماوات؛ ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: مَطرُودٌ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾) هذا جوابٌ من إبليس لم يُطابق الاستفهامَ السَّابقَ؛ لأنه أجاب بأنه إنما ترك السجودَ لكونه خيراً منه، وبيَّن ذلك بأنَّ أصله من النار، وأصل آدم من الطين، والنارُ أشرفُ من الطين؛ لِكون النار نورانيَّةً، والطين من الأرض وهي ظلمانيَّةٌ، والنورانيُّ أشرفُ من الظلمانيِّ. وهذه شبهتُهُ، وقد أخطأ فيها؛ لأنَّ مآل النار إلى الرماد الذي لا يُنْتَفَعُ به، والطينُ أصلٌ لكلِّ نامٍ نابت كالإنسان والشجرة، ومِن المعلوم: أنَّ الإنسان والشجرة خيرٌ من الرماد، وزيادة على ذلك أنَّ النوع الإنسانيَّ تشرَّف بأمور؛ الأول: من جهة الفاعل المشار إليه بقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، والثاني: من جهة الصورة المشار إليها بقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾، ولم يَحصل ذلك لغير النوع الإنساني، فدلَّ على أفضليَّته.

قوله: (أي: من الجنة... إلخ) هذا الخلاف مبنيٌّ على الخلاف الواقع في أمر الملائكة بالسجود لآدم؛ هل كان بعد دخوله الجنة أو قبله، فقوله: (أي: من الجنة) مبنيٌّ على الأول، وقوله: (أو من السماوات) مبنيٌّ على الثاني.

وقيل: المعنى: اخرج من الخلقة التي كنت عليها أوَّلاً؛ لما ورد: أن إبليس كان يفتخر بخلقته، فغيَّر الله خلقته، فاسودَّ بعد ما كان أبيض، وقَبُحَ بعد ما كان حسناً، وأظلم بعد ما كان نورانيًّا، وروي: أن إبليس كان رئيساً على اثني عشر ألف مَلك، وكان له جناحان من زمرد أخضر، فلما طُرِدَ.. غُيِّرت صورته، وجعله الله معكوساً على مثال الخنازير، ووجهُه كالقردة، وهو شيخ أعور، وفي لحيته سبع شعرات مثل شعر الفرس، وعيناه مشقُوقتان في طول وجهه، وأنيابه خارجة كأنياب الخنازير، ورأسه كرأس البعير، وصدره كسَنام الجمل الكبير، وشفتاه كشفتي الثور، ومنخراه مفتوحتان مثل كوز الحجام[1].

قوله: (﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾... إلخ) فإن قلتَ: إذا كان الرجمُ بمعنى: الطرد، فاللَّعنةُ بمعناه، ولزم التكرارُ، أجيبَ: بأنَّ الرجمَ: الطَّردُ من الجنة أو السماء، واللعنة: الطَّرد من الرحمة، وهو أبلَغ.

---

(١) كذا في «الفتوحات» (٣/٦١٦) نقلاً عن العلامة الكرخي.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ ....﴾

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: الجَزاءِ.

(٧٩ - ٨٣) ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: النـــاسُ، ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾: وَقتِ النَّفخة الأُولى، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المُؤمِنين.

(٨٤ - ٨٥) ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ ـ بِنَصبِهما، ورَفعِ الأوَّل ونَصبِ الثَّاني، فنَصبُه بالفعلِ بعدَه، ونَصبُ الأوَّل قِيل: بِالفِعل المَذكُور، وقِيل: على المَصدَر، أي: أَحُقُّ الحَقَّ، وقِيل: على نَزع حَرف القَسَم، ورَفعُه على أنَّهُ مُبتدأ مَحذوفُ الخَبر، أي: فالحَقُّ مِنِّي، وقِيل: فالحَقُّ قَسَمِي ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ﴾) ذكرها هنا بالإضافة، وفي غيرها بالتعريف؛ تفنناً[1].

قوله: (﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾) فإن قلتَ: كلمة (إلى) لانتهاء الغاية، فتقتضي انقضاء اللعنة عند مجيء يوم الدين مع أنها لا تنقطع، أجيبَ: بأنَّ اللَّعنة قبل يوم الدين مِن الله وعيدٌ بخلوده في العذاب، ومن العبيد طَلَبُ ذلك، وفي يوم الدين تحقُّقُ الوعيدِ والمطلوب.

قوله: (﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ﴾) أي: أمهِلني وأخِّرْني، والفاء متعلِّقةٌ بمحذوف، تقديره: إذ جعلتني رجيماً فأمهلني ولا تُمتني إلى يوم يبعثون؛ أي: آدمُ وذرِّيَّتُهُ، وأراد بذلك أن يجد فسحةً لإغوائهم ويأخذ منهم ثأرَه، وينجو من الموت بالكليَّة؛ إذ لا موت بعد البعث، فأجابه تعالى بالإمهال مدَّة الدنيا لأجل الإغواء، لا بالنَّجاة من الموت.

قوله: (﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾) الباء: لِلقسم، ولا يُنافيه قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف: ١٦]؛ فإنَّ إغواء الله تعالى له من آثار عزَّته التي أقسم بها هنا.

قوله: (بنصبهما ورفع الأول... إلخ) أي: فالقراءتان سبعيَّتان[2].

---

(١) في سورة (الحجر): ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

(٢) قرأ عاصم وحمزة برفع الأول ونصب الثاني، والباقون بنصبهما، وانظر توجيهاتهما نحويًّا في «الدر المصون» (٩/ ٤٠٠).

﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٥ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٧ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ۝٨٨﴾

وجَواب القَسَم: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ بِذُرِّيَّتِك ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ﴾ أي: الناسِ ﴿أَجۡمَعِينَ﴾.

(٨٦ - ٨٧) ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾: على تَبليغ الرِّسالةِ ﴿مِنۡ أَجۡرٖ﴾: جُعْلٍ، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾: المُتَقوِّلين القُرآنَ مِن تِلقاء نَفسِي، ﴿إِنۡ هُوَ﴾ أي: ما القُرآنُ ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ﴾: عِظةٌ ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾: لِلإنسِ والجِنِّ والعُقَلاء دُون المَلائكة.

(٨٨) ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ﴾ يا كُفَّارَ مكَّة ﴿نَبَأَهُۥ﴾: خَبَرَ صِدقِه ﴿بَعۡدَ حِينِۭ﴾ أي: يَومَ القِيامة، و(عَلِمَ) بِمعنَى (عَرَفَ)، واللَّام قبلَها لامُ قَسَم مُقدَّر، أي: واللهِ.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (وجواب القسم... إلخ) أي: المذكورُ في بعض الأعاريب المتقدِّمة، أو المحذوفُ.

قوله: (﴿أَجۡمَعِينَ﴾) توكيدٌ للضمير في ﴿مِنكَ﴾ وما عطف عليه.

قوله: (دون الملائكة) إنما أخرجهم من العالمين وإن كان لفظُ (العالمين) يَشملهم؛ لأجل قوله: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ﴾، والذكر معناه: الموعظة والتخويف، وهو لا يُناسب إلا الإنس والجنَّ.

قوله: (خبرَ صِدْقِهِ[1]) أي: من ذكر الوعد والوعيد.

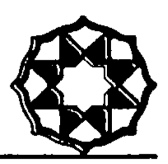
قوله: (أي: يوم القيامة) تفسيرٌ لـ﴿بَعۡدَ حِينِۭ﴾، والحين: مُدة الدنيا، وقال ابن عباس: بعد الموت، وقيل: مَن طال عمره.. علم ذلك إذا جاءه نصر الله والفتح.

قوله: (بمعنى: عرف) أي: فهو متعدٍّ لمفعول واحد وهو ﴿نَبَأَهُۥ﴾، وقيل: إن (عَلم) على بابها تنصب مفعولين، والثاني قوله: ﴿بَعۡدَ حِينِۭ﴾.

✿ ✿ ✿

---

(١) لعل في العبارة قلباً؛ أي: صدق خبره، وبعضهم فسَّر النبأ بالصدق فقط. «فتوحات» (٣/ ٦١٨) عن شيخه العلامة الأجهوري.



فهرس السُّور

✿ ✿ ✿